

الطبعة الثانية

أدونيس

الكتاب

أهس المكان الآن

I

الهافي

علي مولا

الكتاب

أحمد العبدان الآن

أدونيس

الكتاب

أهس العكان الآن

مخطوطة تُنسب إلى المتنبّي
يُحقّقها وينشرها أدونيس



الطبعة

© دار الساقى
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ١٩٩٥
الطبعة الثانية ٢٠٠٦

ISBN 1-85516-563-5

دار الساقى
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولام)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ - ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

للمؤلف

مجموعات شعرية

قصائد أولى، ١٩٥٧.

أوراق في الرّيح، ١٩٥٨.

أغاني مهيار الدمشقي، ١٩٦١.

كتاب التحوّلات والهجرة في أقاليم النّهار واللّيل، ١٩٦٥.

المسرح والمرايا، ١٩٦٨.

هذا هو اسمي، ١٩٧١.

مفرد بصيغة الجمع، ١٩٧٥.

المطابقات والأوائل، ١٩٨٠.

كتاب الحصار، ٨٢ - ٨٥

شهوة تتقدّم في خرائط المادّة، ١٩٨٧.

احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، ١٩٨٨.

أبجدية ثانية، ١٩٩٤.

دراسات

مقدمة للشّعر العربي، ١٩٧١.

زمن الشّعر، ١٩٧٢.

فاتحة لنهايات القرن، ١٩٨٠.

سياسة الشعر، ١٩٨٥.

الشعرية العربية، ١٩٨٥.

- كلام البدايات، ١٩٨٩.
- الصوفية والسوريالية، ١٩٩٢.
- ها أنت أيها الوقت، ١٩٩٣.
- النظام والكلام، ١٩٩٣.
- النص القرآني وآفاق الكتابة، ١٩٩٣.

مختارات

- ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء، مقدّمة) ١٩٦٤-١٩٦٨.
- مختارات من شعر السيّاب (مع مقدّمة).
- مختارات من شعر يوسف الخال (مع مقدّمة)، ١٩٦٢.
- مختارات من شعر شوقي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.
- مختارات من نصوص الكواكبي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.
- مختارات من نصوص محمد عبده (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من نصوص محمد رشيد رضا (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من نصوص محمد بن عبد الوهاب (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- (الكتب الستة الأخيرة اختيرت وقُدّم لها، بالتعاون مع خالدة سعيد).

ترجمات

- الأعمال المسرحية الكاملة لجورج شحادة، ١٩٧٥.
- الأعمال الشعرية الكاملة لسان-جون بيرس، ١٩٧٦.
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، ١٩٨٦.
- مسرحيّة فيدر لراسين، ١٩٧٥.
- الشقيقتان العدوَّان لراسين، ١٩٧٥.

I

ومنزِلِ ليس لنا بمنزِلِ

المتنبى

في ذاكرة تِلْدُ الكلمات وتُولدُ فيها

تِلْدُ الأشياء وتُولدُ فيها
لا تُعرفُ حدًّا
بين الماضي والحاضر،
وُلِدَ الشاعرُ

في رَمَلٍ يعلو في صَعْدٍ*

في صحراء لغاتٍ، وُلِدَ الشاعرُ
عاش ولكن في ما يُشبه تابوتًا
سافر، لكن في ما يشبه مقبرة
في طقس لا تخلو سَنَةً منه،
طقس للقتل (وقد لا يخلو يوم)
عاش الشاعرُ

طَقْس كان يُعاش كأن رِيَّاحَ
الجَنَّة تُسري فيه، وعابرها
والأقلام

في هذا الطَّقْس، رأى الشاعرُ

وَجْه الكون، وراح يُضيء مداه
ويُلْقح بِأَنَسِ الإنسانِ الشَّعْرَ
وكلِّ كلامٍ

ويُلْقح ما تِلْدُ الأَيَّام.

أَخْبَرْتُ جَدَّتِي: (والمحبون والأصدقاء يُثْتَوْنَ)
شَيْءٌ هَوَى

مَاسِحاً بِيَدِيهِ

تَجَاعَيْدَ أُمِّي عِنْدَمَا كُنْتُ أَخْرُجُ
مِنْ حُزْنِهَا

بَعْضُهُمْ قَالَ: هَذَا مَلَاكٌ

بَعْضُهُمْ قَالَ: شَيْطَانُهُ تَرَاى

قَبْلَ مِيعَادِهِ

بَعْضُهُمْ آثَرَ الصُّمْتِ خَوْفًا وَتَقْوَى

كَانَتْ الْكَوْفَةُ الْأَلِيفَةُ تَدْخُلُ فِي غُرْبَةٍ

* صَعَدَ: صخرة ملساء،
يُكَلِّفُ الكافر صعودها. ثم
يُجَذِبُ مِنْ أَمَامِهِ بِسَلَّاسِلٍ
ويضرب مِنْ خَلْفِهِ بِمِقَامِعٍ
حتى يبلغَ أَعْلَاهَا فِي أَرْبَعِينَ
سَنَةً.

إذا بلغه، يُجَذِبُ إِلَى أَسْفَلِهَا،
ثُمَّ يُكَلِّفُ الصُّعُودَ مَرَّةً
أُخْرَى. وهذا دأبه أَبَدًا.

(«سأرهقه صعوداً») [المذثر:
١٧]

(التفسير الكبير للزاوي)

* لِلْفَرَاتِ، لِدَجَلَةَ، لِلْغَابِرِينَ لُغَاتُ
وَشِعْرِي إِعْجَامُهَا وَإِعْرَابُهَا.

- ب -

أَمِي هُمْدَانِيَّة

خَرَجْتُ مِنْ أَحْشَاءِ الْكُوفَةِ - خَدًّا لِلتَّسْرِينِ
وَحَدًّا لِنَبَاتِ سِرِّي

وَأَبِي جُغْفِي وَرِثَ الْفَقْرَ عَنِ الْإِيمَانِ الْمَوْغِلِ
فِي كَشْفِ الدَّيْجُوزِ

فِي الْكُوفَةِ، فِي جَانِبِهَا الشَّرْقِيِّ سَكْنَا فِي
حِي كِنْدِي

سَمَانِي أَحْمَدَ زَهْوًا وَتَفَاءَلْ

فِي تَلْقِيِي بِ «أَبِي الطَّيِّبِ»، كُنَّا

نَلْبَسُ لَيْلَ الدُّمْعِ، وَلَكِنْ

كُنَّا

نَتَمَوَّجُ فِي بَحْرِ مِنْ نُوزِ.

* جَسَدِي غَابَةٌ مِنْ رَمُوزِ
وَحُطَّائِي كَمَا رَسَمَتْهَا ظَنُونِي،
دَرَجَ صَاعِدًا،
وَتَهَاوِيلُ كَشْفِ.

○ قال الزاوي

مُسْكُونًا بِالْكَلِمَاتِ

وَبِالْأَفْعَالِ وَبِالْأَسْمَاءِ:

كَيْفَ سَنَقْرَأُ قَوْلَ الشَّاعِرِ إِنْ لَمْ
تَقْرَأْهُ

فِي الْأَعْمَالِ وَفِي الْأَشْيَاءِ؟

وَتَنَى الزَّائِي:

لَا نَعْرِفُ مَنْ نَحْنُ

الآنَ، وَمَنْ سَنَكُونُ،

إِذَا لَمْ نَعْرِفْ مَنْ كُنَّا. وَلِذَا
سَأَفْضُ عَلَيْكُمْ

مَنْ كُنَّا -

وَأَقْدَمَ عُذْرِي لِلْقِرَاءِ

إِنْ كَانَ حَدِيثِي سَرْدِيًّا، أَوْ كَانَ
بَسِيطًا لَا يَتَوَدَّدُ لِلْفَصْحَاءِ

وَتَنَى الزَّائِي:

دَخَضًا لِلشَّيْطَانِ،

قَالَ اللَّهُ: الْأَرْضُ مِهَادٌ لِلْإِنْسَانِ

وَسَأَجْعَلُ مِنْهَا عَرْشًا

وَيَكُونُ النَّاجِ خَلِيفَةً،

وَتَنَى الزَّائِي:

هُوَذَا الْعَرْشُ يَبِيتُ تَحْتَ سَقِيفَةٍ.

- ج -

سَأَقُولُ:

أبي ميراث عذابٍ

وأسمي أُمِّي،

سُكْرًا بالكلماتِ وحبًّا للأشياءِ

رِيمَ سرابٍ في صحراءِ.

○ وثني الزاوية

مُفْرَأً سامعيه وقراءه

للهبوط إلى آخر الجحيم التي تتأصل
في أرضهم وتوارى بها،

قال: أروي لكم

بعض ما خَبِرَ المتنبي وما حاله وما
صاغه

بعذاباته وبألفاظها وبسخر البيان الذي
يتبسَّج من نكهة الرمز، أو لمحة
الإشارة

في نسج العبارة.

سأختل حالي لابساً حاله وأكثر تلك
الجحيم بلفظي - بسيطاً، مستضيئاً بما
قاله، أتقفى الضياء إلى ذرواب
الكتاب

بادئاً بالتراب.

أبدأ عما صحَّ الإجماع عليه -

تلك السنة التأسيسية:

إحدى عشرة هجرية.

- أ -

- نقاسم: مينا أمير ومنكم أمير

- يقتل الله من قال هذا

- يقتل الله من لا يقول بقولي.

- ب -

- «قتل الله سعداً وسيقتل من لا يُبايع
من يابَّت قريش».

- ج -

- «قولوا لعلي أن يأتي»

- «خزناً أو سِلماً طوعاً أو كَرْهاً

لن تخرج حتى

تقبل من يابَّته أهل قريش بايع».

- «كلّا، إن كان الأمر كما تتحدث عنه

قال الله،

وقال رسول الله بأنّي أولى منه؟

الأنصار؟ بها احتج عليكم.

ما حجتكم ضدّ

وكيف أبايع من

أَبَوَيَّ انْشِطَارُ: دَمٌ لِلْعَذَابِ دَمٌ لِلْمَوْءِلِ
وَالْمُنْتَظَرِ.

أ - الإشارة إلى بني هاشم.

هَبَطَا مِنْ أَعَالِي الْقِبَائِلِ مِنْ رَأْسِهَا
يُسْرِجَانِ خِيُولَ السَّهَرِ

أَخَذَا الْأَبْجَدِيَّةَ فِي رَاحَةِ وَالْقَصِيدَةَ فِي رَاحَةِ
وَقَالَا:

سَوْفَ نَقْرَأُ فِي ضَوْءِ سِرِّهَا أَحَدًا.

ب - الإشارة إلى المرتدين.

○ قال الزاوي

مغموساً في ذاكرة المتنبّي:

- أ -

شُغِلُوا بِالنَّبِيِّ، بِمَوْتِ النَّبِيِّ،
وَلَمْ يُشْغَلُوا بِالْخِلَافَةِ

شَهْوَةُ الْمَلِكِ تَسْتَأْصِلُ النَّاسَ،
تَذَرُهُمْ كَالْعَصَافَةِ.

- ب -

«أَخْرِقُوهُمْ، خُذُوا مَا لَهُمْ
وَذَرَارِيَهُمْ، وَالنِّسَاءَ
وَاجْعَلُوهُمْ هَبَاءً».

- ج -

أَوْثَقُوا قَدَمِيهِ، يَدِيهِ

وَرَمَوْهُ إِلَى النَّارِ، قَالُوا:

رَأَيْنَا الْفُجَاءَةَ فَنَحْمًا.

وَتَنَى الزَّوَاي:

حَقًّا، بَعْضُ الْأَفْكَارِ كَمَثَلِ
نَبَاتٍ وَحَشِيٍّ

يَأْكُلُ، لَكِنْ لَا يَأْكُلُ
إِلَّا بَشَرًا.

* تِلْكَ التَّخْلَةُ تُصْنَعِي

حِينَ أَقْصُ عَلَيْهَا

ذَكَرَى أَبَوَيَّ، وَتَفْهَمُ قَوْلِي.

- ه -

كانت الشمسُ تَمُشُّ رَأْسَ الغُروبِ وتُجَلِّسُ
في حُضْنِهَا بَيْتَنَا
بَيْتَنَا - لا حِلِّي ولا زِينَةُ
كان يَأْتِي إِلَيْهِ المِساءُ، ويَأْتِي إِلَيْهِ النَّهَارُ
في قَمِيصِ الغُبَارِ.

أ، ب - الإشارة إلى طليحة
بن خويلد الأسدي، (النبي
الكذاب)، والكلام يُنسَبُ
إليه.

ج - الإشارة إلى مالك بن
نوير، الذي قتله خالد بن
الوليد بتهمة الارتداد وتزويج
امراته. وخالد هو الذي قاد
الحرب على المرتدين، سنة ١٢
هجرية.

* الغبارُ الشريدُ الأصمُّ الغبارُ -
الخطي
فوقه ورق طائر
وهوهُ بلا ذكرياتٍ.

○ ما الذي قاله طليحةُ يا أيتها
الزَّاوية،

وبماذا تنبأ؟ لم يجرِ الزَّاوية
أن يردد إلا
نفاً من تعاليمه:

- أ -

«جاءني، قال جبريلُ لي: «ليس
رَبِّي في حاجةٍ للوجوه - مُعْفَرَةٌ
في الصَّلَاةِ»

- ب -

«لا تُصَلُّوا لغير الحياة»

- ج -

وثنى الزَّاوية:

أَسْرُوا مَالِكاً ضَرَبُوا عُنُقَهُ
وَضَعُوا رَأْسَهُ تَحْتَ قَدْرِ
نَضِجَتْ قَبْلَهُ

قتلوا أَهْلَهُ واحداً واحداً

ما عداها - زوجةً كان مَالِكُ
يَزْهَوُ بِهَا،
وتزَّوَّجَهَا خَالِدٌ.

- و -

فِي الْكُتَّابِ، مَزَجْتُ الطِّفْلَ بِكُلِّ شُعَاعٍ
وَمَزَجْتُ الْكَوْفَةَ بِالْآفَاقِ، وَقُلْتُ لِكُلِّ
كِتَابٍ: لَسْتَ الْمَعْنَى.

نَزِدِي فِي غَابَاتِ اللَّعِبِ الْجَدُّ الْبَهْجَةِ بَيْنَ
الْمَحْرُومِينَ، وَأَعْلَى مِمَّا يَذْهَبُ ظَنُّ،
نَزْدُ مُفْرَدٌ

كَنْتُ الْعَابِثَ، كَانَ يُخَيِّلُ أَنِّي
طِفْلُ الْعَبَثِ الْأَوْحَدِ.

* لَا يَبُوحُ الضِّيَاءُ بِأَسْرَارِهِ
سِرَّهُ ذَائِبٌ
فِي شُعَاعَاتِهِ.

○ ما الكتابُ الذي كانَ بينَ سَجَاحٍ
وَمُسَيِّلَةٍ أَيْهَا الزَّائِيَةُ؟

- لَنْ أَقُولَ سِوَى مَا تُوثِّقُهُ
الْكِتَابُ الْبَاقِيَةُ، -

- ١ -

- «نَلْتَقِي، نَتَدَارَسُ مَا جَاءَ وَخِيًّا
عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ نَتَحَارَبَ نَخْلُصُ:

لَا حَسْرَةَ، لَا نَدَمَ

وَنَرَى الْحَقَّ - مَنْ كَانَ مِنَّا
الْأَحَقُّ رَضِينَا بِهِ»

- «حَسَنَ مَا تَقُولُ»

- اضْرِبُوا خِيَمَةً مِنْ أَدَمَ
وَأَمْلَاوْهَا بِعُودٍ

عَبَّقَ الْعُودُ يُوقِظُ فِي النَّفْسِ مَا
تَشْتَهِيهِ وَيُوقِظُ فِي الْمَرْأَةِ الْبَاءَ
قَوْمِي سَجَاحُ، لِنُدْخُلَ.

- ب -

وَتُنَى الزَّائِيَةُ:

خَيْمَةٌ - خَلْوَةٌ، -

حَرَّكَ الْعُودَ أَعْضَاءَهَا الْبَارِدَةَ

حَرَّكَ الْعُودَ أَعْضَاءَهَا الْبَارِدَةَ

دَخَلَ فِي مَقَامِ الذِّ وَابْسَى
مِنْ مَقَامَاتِ وَخَيَّيْهَا

وَحَدَّ الْبَاءَ وَخَيَّ النَّبِيَّ وَوَخَيَّ
النَّبِيَّةَ صَارَا آيَةً وَاحِدَةً.

وَتُنَى الزَّائِيَةُ:

مَا أَشْقَى مَنْ لَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْحَبِّ يَغْتَنِي جَسَدَ الْإِنْسَانِ.

أ - حوار بين مسيلمة (النبي
الكذاب) وسجاح بنت المنذر
(النبيّة الكذّابة).

- ز -

أَلْقَرَى فِي السَّوَادِ * نِسَاءً مِنْ تَخِيلٍ وَزَرْعٍ
وَالْبَسَاتِينُ تَحْنُو عَلَيْهِنَّ -

مَا أَطِيبَ الْوَزْدَ مَا أَكْرَمَ الثَّمَارَ

قَرْيَةً فِي السَّوَادِ: جِرَاحُ

وَأَسَاطِيرُ نَازَ.

لِلسَّوَادِ بِيَاضَ الْحَقُولِ سَلَامُ الشَّجَرِ:

عَاصِفٌ جَامِعٌ مِنْ بَهَاءِ

فِي مَدَى جَامِعٍ مِنْ صُورَ.

* نَايَاتُ كُسِرَتْ،

وَبَقَايَا أَكْوَاخِ

فِي كُلِّ مَكَانٍ سَيَافُونَ وَجُنْدٌ.

○ مَا الَّذِي فَعَلْتَهُ سَجَاحٌ، أَيُّهَا
الزَّائِرُ؟

- تَنْبَاتٌ، صَارَ اسْمُهَا مِثَالاً:
«أَغْلَمُ مِنْ سَجَاحٍ».

وَتَّى الزَّائِرُ:

قَالَتْ لِمُسْلِمَةٍ:

- «أَنْتِ نَبِيٌّ حَقًّا

زَوَّجْتِكِ نَفْسِي وَأَرِيدُ صَدَاقًا
يُنْهِنِي».

- «سَوْفَ أَرْفَعُ عَنْكُمْ صَلَاةَ
الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَالْفَجْرِ

- «أَحْسَنْتَ، هَذَا صَوَابٌ».

وَتَّى الزَّائِرُ:

فَرَّ مِفْتَاحُ أَحْلَامِهَا فَرًّا مِنْ
صُدْرِهَا

وَتَلَّى عَلَى صَدْرِهِ: وَحْيُهَا حُبٌّ

وَحْيُهُ حُبُّهَا.

* السَّوَادُ مِنَ الْبَلَدِ قَرَاهُ
وَرِيفُهُ. وَمِنْهُ «سَوَادُ الْعِرَاقِ»
مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ، وَمَا
حَوْلَهُمَا مِنَ الْقُرَى. وَمِنْهُ
«أَهْلُ السَّوَادِ» حَيْثُ تَأَسَّسَتْ
الْحَرَكَةُ الْقُرْمَطِيَّةُ.

- ح -

أَنهَارَ صُغْرَى قَنَوَاتٍ غَابَاتٍ
نَخِيلٍ:

جَسَدٌ ثَانٍ فِي جَسَدِ الْكَوْفَةِ

سُرُرٌ لِلشَّمْسِ، لَجْذَعِ النَّخْلَةِ تُذَيِّ

عَنَيْتُ لَهُ وَرَسَمْتُ عَلَى الطَّرَقَاتِ حُرُوفَهُ.

فِي كُلِّ مَسَاءٍ يَأْتِي الْجَذَعُ مَلَائِكُ

وَيَنَامُ عَلَى كَتْفِيهِ،

لِمَلَائِكِ النَّخْلِ حَدِيثٌ لَا يَفْهَمُهُ

إِلَّا أَطْفَالُ الْكَوْفَةِ.

أ - مسيلمة، غاطباً خالد بن الوليد.

ب - مُجَاعِدَةُ بْنُ مُرَارَةَ
الأسدي، أحد زعماء
المرتدين. والحوار هو بين
خالد بن الوليد ومُجَاعِدَةَ.

ج - قول يُنسب إلى عفيف
الكندي، أحد المرتدين.

* تِلْكَ أَرْضٌ خِلَاسِيَّةٌ دَافِتَةٌ
لَا يَلِيقُ بِأَحْزَانِهَا وَبِأَحْلَامِهَا
غَيْرَ تِلْكَ الثِّيَابِ الَّتِي نَسَجْتَهَا
نَجْمَةٌ صَابِئَةٌ.

○ نَقْلُ الرَّأْيَةِ

عَنْ مُسَيْلِمَةَ قَوْلَهُ:

- أ -

«أَنَا نَبِيٌّ وَارْتَضَانِي الْخَالِقُ

يَا بَنَ الْوَلِيدِ، أَنْتَ عِنْدِي فَاسِقٌ

وَكَاظِرٌ بِرَبِّهِ، مُتَأَفِّقٌ.»

- ب -

وَتَى الرَّأْيَةِ:

قَتَلُوا مُسَيْلِمَةَ وَصَالِحَ خَالِدٍ
مُجَاعِدَةً،

أَخَذُوا كَمَا فَرَضُوا: ذَهَبًا،

كُرَاعًا، فِضَّةً.

- «وَأَرِيدُ بِتِلْكَ زَوْجَةً»

- «خُذْهَا، فَخَازَ أَنْ أَصَاهِرَ
خَالِدًا.»

- ج -

«تِلْكَ قُرَيْشٌ:

لَا تَخْرُجُ إِلَّا الطَّاعَةُ، أَوْ نَفْسِي.»

○ لكن الزاوية

كان يزوي دماً آخرًا:

«زجوا بالحجارة، ألقوا

من رؤوس الجبال،

نكسوا في قرارات آبارهم
خزقوا بالثبال

في عمان ودارين، من

آخر الشمال إلى آخر الجنوب
قتلوا كلهم - أئنتت منهم
الدروب.»

وثنى الزاوية:

أشراؤ الناس دباب

لا يجذبهم إلا

تئن وفساد.

- ط -

أراميون وفزس، عرب، نُسب الواحد منهم
لِبْنِي عَنَس، لِبْنِي عبد القيس، لكندة أو
همدان، أَكَّانْ مُقيماً أو وافذ

كُلْ - كلهم خُلِطوا بِتُرَابِ الكوفة،

صاروا طيناً واحد

كانوا يَزْنُونُ إلَيَّ وَيَتَسَمُونَ: ثيابي

ليست خزاناً

لكن كانت آيات تترأى في وَجْهي جاءت

مِنْ لُغَةٍ تَتَخَطَّاني وتُوحِدُ بينَ غدي
والأمن،

ضَمِيهم مِثْلِي، مَدْي زَنْدِكِ واختصيننا

يا تلك الشمس.

* سأقول الحب نبيذ الأرض،

وهذا العالم دَنٌّ،

والأيام كؤوس.

* يشير الراوي هنا إلى
المرتدين

- ي -

بَيْتُنَا صَبُوءٌ

تَتَقَلَّبُ فِي جَمْرِهَا

وَالْتَجُومُ تَحْزَنَ خَلَاخِيلَهَا حَوْلَهُ

مَرَّةً، هَبَطَتْ فِيهِ جَنِّيَّةٌ غَسَلَتْني بِأَهْدَابِهَا
وَاخْتَفَّتْ

كَمْ تَحَدَّثْتُ عَنْهَا إِلَى بَيْتِنَا وَتَحَدَّثْتُ عَنْهَا

لَمْ يَكُنْ بَيْتُنَا يَعْرِفُ التَّحَوَّ وَالصَّرْفَ لَكِنْ

كُلَّ أَحْجَارِهِ بَيَانٌ

مَرَّةً،

قَالَ لِي:

خَطَوَاتُكَ حُبْلَى بِمَا لَا يُطِيقُ الْمَكَانُ.

* عَاصِفٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِنَا،

حَلٌّ ضَيْفًا،

وَهَا هُوَ يَزْتَاخُ كَالطِّفْلِ بَيْنَ يَدَيِ

وَرْدَةٍ.

○ قال الزَّوَاي

يَتَحَدَّثُ عَنْ حَبِّ آخِرِ عَاشَتِهِ
جَنِّيَّاتٍ أُخْرَى،

- أ -

- اسْتَجَازَهَا سُلَيْكُ

قَالَتْ لَهُ: «بَيْتَكَ تَحْتَ ثَوْبِي».

- ب -

- أَزْوَاجُهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ

وَلَمْ يَقُلْ: زَانِيَةٌ.

أ - سُلَيْكُ الشَّاعِرُ، وَالْمَرْأَةُ هِيَ
خَالَةُ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ، وَاسْمُهَا
فَكِيهَةٌ.

ب - الْإِشَارَةُ إِلَى امْرَأَةٍ اسْمُهَا
عَمْرَةَ، وَتُسَلِّبُ بِ «أُمِّ
خَارِجَةَ»، وَكَانَتْ مَزْوَاجَةً.

أو ما أفجّع الخطب في هذه
السنة الذاهية،

مات أبو بكر مسموماً
معه

مات الحارث في يوم واجذ

من سم واجذ

في صحن واجذ.

وشى الزاوية:

هي ذي الأرض احترت

وتذاب فيها الصوث

مليث يحدائق، لا لنبات

الحب، ولكن

لنبات الموت.

وشى الزاوية:

لسجاج وأصحابها

لنبواتها - كذبن، لصوت النبوة

فيها، ولن هل فيه، ولن أزلن

نطفىء اليوم ناز الجواب،

ونستقر الأسيلة.

- ك -

- أ -

صوّر في ذاكرتي لإقراطة

كانوا يأتون ويفترشون الفقر

ويقولون: أقمنا عهداً

ألا يبقى أثر للفقر.

- ب -

أتذكر: كان السواد احتضاراً

لغة للتمرد والموت - تشتق من نارها نازها.

هوذا يتواصل ذاك الشر:

عالم يتحدّر واللهب المتحدّر.

يشير الراوي إلى موت الخليفة
الأول، السنة ١٢ هجرية

الحارث بن كلدة الشقي،
الطيب والحكيم.

* تلك آهات أسلافنا
مطر غامر مطر غامض،
وخطانا حقول لها.

○ يعرف الزاوية

كيف يُوغِل في فجر تاريخنا
ويُضيء تقاويمه

كي يُضيء المدينة - أوجاعها
وأسرارها ويُضيء الطريق إلى
المتنبي.

قال، في نشوة: هذه سنة
عمرية

عمر - قيل عنه: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ
عَاقَبَ الشَّعْرَاءَ عَلَى هَجْوِهِمْ.»

وثى الزاوية:

كَرُمْتَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، فَهَآئِثَ كُلِّ
شَهْوَاتِهِ.

وروى الزاوية

حُلِمَ رُسْتَم، فِي عَهْدِهِ،
وَتَأْوِيلُهُ:

- «نَائِمٌ - فِي مَنَامِي:

مَلَكٌ هَاطِطٌ

جَاءَ، لَمَّ الْعِصِيِّ، وَلَمَّ
السِّيُوفِ وَطَارَ بِهَا لِلْسَّمَاءِ»

- «إِنَّمَا آيَةٌ:

«عَرَبٌ طَالَعُونَ مِنَ الرَّمْلِ،
خِيَلًا عَرَابًا.

سَيَبِيدُونَ كِبْرَى، وَيَمْتَلِكُونَ الْقِضَاءَ.»

- ٣ -

لم تَرْدَنِي هَٰذَا الْمَدِينَةُ إِلَّا شَكُوكًا

لم تَرْدَنِي إِلَّا نَكُوصًا عَنْ مَدَارَاتِهَا

لم تَرْدَنِي غَيْرَ التَّمَرُّقِ (تُنَكِّرُ نَفْسِي نَفْسِي)،
وَعَنِي الدُّوَارَ

لم تَرْدَنِي إِلَّا هُبُوطًا فِي جَحِيمِي إِلَى لَا قَرَارَ.

المساء مليء برووس مُقَطَّعة

والصباح قبور: تلك أيامها.

ما الذي كَانَ أَرْضًا ما الذي كَانَ فِيهَا
السَّمَاءُ؟

هُوَذَا نَتَدَثَّرُ أَوْجَاعَنَا

وَنُخَوِّضُ فِي مَهْمِهِ مِنْ دِمَاءِ.

* أَهْوَى الضَّوْءَ طِفْلًا

يَتَعَثَّرُ، فِيمَا يَسِيرُ عَلَى دَرَجَاتِ

الْكَلَامِ،

بِحُرُوفِ الظَّلَامِ؟

١٣ هـ. والنسبة إلى الخليفة
عمر بن الخطاب.

- ن -

أَلْتَبَّاثُ هُنَا فِي الْحَقُولِ وَحَوْلَ الْبُيُوتِ يُجَدِّدُ
أَوْرَاقَهُ: بَعْضُهَا شَهَوَاتٌ،

بَعْضُهَا شُرُفَاتٌ

هَلْ تَقُولُ الْعَرِيشَةُ، تِلْكَ الْعَرِيشَةُ، مِنْ أَيْنَ
جَاءَتْ

إِلَى أَيْنَ تُمْضِي

تَحْتَهَا، مِثْلَ طِفْلَيْنِ كُنَّا نَتَغَطَّى بِأَنْفَاسِنَا.

سنة ١٧ هجرية.

سنة ٢٠ هجرية.

قُلْتُ: لَا دَفْتَرٌ، لَا كِتَابٌ... لَمْ يَقُلْ أَيُّ
شَيْءٍ

نَهَرٌ مِنْ عَذَابٍ جَرَى فِي يَدَيْهِ

نَهَرٌ مِنْ حَنَانٍ جَرَى بَيْنَنَا - وَالتَقَى سَاعِدَانَا

وَالْتَقَى عُتْقَانَا.

سنة ٢٣ هجرية.

* سَحَبٌ فَوْقَ الْكَوْفَةِ - هَذَا

أَنْفَاسُ الْفُقَرَاءِ:

أَجَلُ قَطْرِ، أَصْفَى مَاءً.

○ حَدَّثَ الرَّأْوِيَّةُ:

ذَلِكَ الْعَامَ سُمِّيَ عَامَ الرَّمَادَةِ
(صَارَ لَوْنُ الْبِلَادِ وَلَوْنُ الْعِبَادِ
رَمَادًا) كَانَ عَامًا مِنَ الْجُوعِ -
لَكِنْ

- «كَيْفَ تُنْكِرُ مَا قَدَرْتَهُ
السَّمَاءُ؟»

- «السَّمَاءُ يُبَالِغُ فِي شُكْهَا».

وَتَتَى الرَّأْوِيَّةُ:

أَجَلِي عُمَرُ أَهْلِ الثَّوْرَةِ
عَنْ نَجْرَانَ وَخَيْبَرَ، وَاسْتَقْصَى
فِي هَذَا، سِرَّ الْآيَاتِ.

وَتَتَى الرَّأْوِيَّةُ:

عُمَرُ - كَانَ يُصَلِّي
حِينَ تَلَقَى سَمَ الْخَفْجَرِ.
فِي الْحَلَمِ رَأَى رَمَزًا

لَأَبِي لَوْلُؤَةٍ

وَرَوَاهُ: «يَتَقَرَّنِي دِيكَ أَحْمَرُ».

وَتَتَى الرَّأْوِيَّةُ:

دَمُهُ نَوْبُهُ.

○ قال الراوي :

أوصى الخليفة عمر للمقداد بن الأسود . قال : «أدخل علياً وعثماناً والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ، وأخضِر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر . فم على رؤوسهم :

إن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً منهم ، وأبى واحد ، فاضرب رأسه بالسيف ، إن اتفق أربعة ورضوا رجلاً منهم ، وأبى اثنان ، فاضرب رأسيهما .

إن رضي ثلاثة رجلاً منهم ، وثلاثة رجلاً منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .»

وثى الراوية :

«قال عليٌ للعباس :

«عدلت عثا . قرن بي عثمان ، وقال : كونوا مع الأكثر . فسعد لا يُخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان .»

وثى الراوية :

حائراً ، سائلاً :

عجباً ، كيف دُشن عصر النبوة والراشدين بالقتال وبالقتل والقاتلين ؟

- س -

أتنور : هذا المدي كُتِلَ مِنْ شَرَز
تَفَتَّتْ بَيْنَ صُدُورِ الْبَشَرِ
أَتَرَاهَا الْحَيَاةُ ضِيَاءً - بَنُو آدَمَ يُطْفِئُونَ
شَرَارَاتِهِ ؟
كِي أَظَلَّ بَعِيداً ، غَرِيباً
أَخَذْتَنِي إِلَى بَيْتِهَا كَلِمَاتٍ
وَسَقَتَنِي إِكْسِيرَ أَعْشَابِهَا ،
زَمَنٌ - جَالِسٌ
مِثْلَ طِفْلِ عَلَى رُكْبَتَيْ ، لِيَقْرَأَ مَا يَكْتُبُ
الْفَضَاءُ
فِي دِفَاطِرَ مَشْرُوقَةٍ
مِنْ جُيُوبِ السَّمَاءِ .

رواية الطبري

* كَلَّمَا أَزْدَادَ عِلْمِي فِي الشَّيْءِ ، أَزْدَادُ
عَجْزاً
أَنْ أَذَاكِرَ غَيْرِي بِهِ .

- ع -

جامع - يُبرعُ الناسُ، يُلقون أحلامهم بين
أحضانهِ كلِّ يومٍ
غيرَ أنِّي لا أرى غيرَ أشلائهم.
إنَّها الكوفةُ الدَّاميةُ
فِكْرَةٌ قَدَّعَتْهَا الملائِكُ مِن شاهقٍ
وَمَشَتْ فوقها
أَلَصَقَتْهَا بِوَجْهِ الترابِ
رَحِمًا لِلْعَذَابِ،
وَالْبَقِيَّةُ فِي عَهْدَةِ الرَّايَةِ.

أ - سنة ٢٤ هجرية،
والإشارة إلى الخليفة عثمان.

ب - حوار بين عثمان وعمر
بن العاص، حول خراج
مصر.

ج - كلام ينسب إلى عثمان

د - الكلام لعثمان

○ قال الزاوي

- أ -

شَدَّ أسنانهُ بالذَّهَبِ

وَأَتَى للخِلافةِ مِن بابها المرتقب.

- ب -

وَتَنَى الزاوي:

قال عثمانُ يُفْجِمُ عُمرًا:

- «دَرَبَ اللَّفْحَةُ الآنَّ، أَكْثَرُ مِن
قَبْلُ

- «لَكُنْما جاعَ أولادُها».

- ج -

وَتَنَى الزاوي:

«سَأَقُولُ الأَقاربَ أَوَّلُ
بالولايَاتِ مِن غيرهم».

- د -

وَتَنَى الزاوي:

هَدَمَ الدُّورَ بِمَكَّةَ، وَسَعَ أرضَ
المسجِدِ صاحِ النَّاسِ احتَجَّجُوا،
حُبِسُوا، قال: «كَمْثِلِي عُمرَ
هَدَمَ، لَكِنْ لَمْ تَحْتَجِّجُوا
ما جَزَأَكُم إِلَّا جِلْمِي.»

وَتَنَى الزاوي - فِي نَبْرَتِهِ عَضَبُ
وَعَتَابُ:

جَهْدُ العاجِزِ أَنْ يَغْتَابَ سِوَاهُ.

* مَن يَعْرِفُ ما ذا قال الرَّمْلُ، اليَوْمَ،
لِرِيحِ الكُوفَةِ؟
مَنْ يَعْرِفُ ما ذا قالت
رِيحُ الكُوفَةِ، هذا اليَوْمَ، لِرَمْلِ
الكُوفَةِ؟

○ أَخْبَرَ الرَّاوي:

كُلُّهُمْ، كُلٌّ مِّنَ فِي الْمَدِينَةِ، أَوْ
خَارِجَ الْمَدِينَةِ، يَغْلِبُونَ حَقْقًا
عَلَيْهِ:

تُرَوِّثُ الْبِلَادَ تَحْمِلُنَّ فِي
رَاحَتِهِ.

وَتَمَّى الرَّاوي:

الطَّرِيقَاتُ تَكَادُ تُجَنُّ:

أَرْضٌ - حَرٌّ، وَالْحَطْوَةُ دَنُّ.

هُودًا وَلَدَ أَسْوَدَ

يُخْفِي مِّنْ عَثْمَانَ كِتَابًا

(وَرَوَى: يُخْفِي مِّنْ مَّرْوَانَ كِتَابًا)

فِي قَتْلِ مُحَمَّدٍ.

وَتَمَّى الرَّاوي - (فِي نَبَرَتِهِ
غَضَبٌ مُّ):

سَأَلُوهُ الْأَمَانَ، فَأَعْطَاهُمُ

وَقَفُوا فِيهِ وَاسْتَسْلَمُوا

فَاتَّخِذُوا لَهُ حِصْنَهُمْ

لَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ صَادِقًا:

حَزُّ أَعْنَاقِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا.

- ف -

جَاءَ جَبْرِيلُ فِي غَيْمَةٍ
وَسَقَى كَوْفَةَ الظَّامِثِينَ بِأَسْرَارِهِ.

جَاءَ فِي كَوَكِبٍ
وَرَمَى وَجْهَهُ فِي تَقَاطِيمِهَا.

جَاءَهَا فِي كِتَابٍ -

آدَمَ مِّنْ تَرَابٍ، وَنُوحَ نَوَاحٍ،
وَالْبَقِيَّةُ تُفَاحَةٌ.

* غَيْبُ الْكَوْفَةِ يُزْهِرُ فِي الْفَاطِ بْنِهَا،
لَكِنْ، لَا يُجْمَرُ إِلَّا مَوْتًا.

الإشارة إلى الخليفة عثمان.

الإشارة إلى محمد بن أبي بكر.

الإشارة إلى أهل طبرستان،
ولك سعيد بن العاص الذي
غزاها، وفتحها.

- ص -

وَحَدِّكَ، الْآنَ، فِي الْبَيْتِ، هَلْ يُقَرَّعُ
الْبَابُ؟ تَسْأَلُ فِي ذَاتِ نَفْسِكَ:
مَنْ ذَاكَ؟ وَحَدِّكَ:

لَا أُمُّ، لَا جَدَّةٌ، لَا أَبٌ،

مَنْ يَكُونُ: ابْنُ دَاوُدَ، أَوْ أَحْمَدُ الْكَامِلِي؟

تَتَحَيَّرُ، تُوْغِلُ فِي نَارِ قَلْبِكَ: مَنْ

ذَاكَ؟ تَصْرُخُ مُسْتَبْشِراً:

أَهْوَ الْقَرْمَطِي؟

○ قال الراوي:

لِلْمَتَنِّي ذَاكِرَةٌ - لَهَبٌ يَتَغَلَّغُلُ
فِي التَّارِيخِ، وَجَزْخٌ يَتَدَفَّقُ فِي
جَنَاحٍ،

وَأَنَا قَبَسٌ مِنْهُ، -

- أ -

- «كَيْفَ تُسَمِّي مَالَ النَّاسِ بِمَالٍ
اللَّهِ؟»

- «أَلَسْنَا خَلَقَ اللَّهُ، وَكُلَّ النَّاسِ
وَمَا مَلَكُوهُ مُلْكٌ لِلَّهِ؟»

- «غِطَاءٌ. قُولُوا هَذَا

الْمَالِ سِوَاءَ

بَيْنَ النَّاسِ، وَأَعْطُوا

وَأَسُوا الْفُقَرَاءَ.»

- ب -

وَتَنَى الرَّاوي:

حَزْبُ صَمَاءَ

بَيْنَ لُغَايَ وَتَاوِيلِ أَلْفِ
لَامٍ هَاءَ

وَالْأَنْقَاضُ عَقُولٌ حِيناً
وَرَوْوَسٌ حِيناً.

أ - حوار بين أبي ذَرِّ الغفاري
ومعاوية، سنة ٣١ هجرية.

* أَنْ تَكُونَ بَصِيراً
غَيْرُ كَافٍ لَكَي تُبْصِرَا.

○ وثى الزاوي:

- أ -

- «الفتنة نار تجري وأبو ذر
يُسعلها. ما الزاي؟ أقتل،

أم نقي؟»

- «نقي».

- ب -

وثى الزاوي:

من نلّ رمل في الرُبْدَة

كان أبو ذر يتحدّث مع أحلام
الناس،

ومات وحيداً في المنفى.

- ق -

كم جَمَعْتُ الدفاتر كي أُنَجِّبَ فيها

كنتُ أحفظُ عن ظهر قلبٍ

كلّ ما قاله الأولون،

وأسمع أصوات قُرّائهم:

- «لم أجذ مثل هذا الفتى حافظاً».

- «لم يَجِيءْ مرّةً للصلاة».

- «يكتبُ الشعر، قبل الأوان، صغيراً، وهو

في العاشرة.»

أتذكر، كنا صديقين، شمساً وماء -

أنا والفراث.

* مِنْ شَفَتِي طِفْلٌ

تَخْرُجُ حِكْمُهُ هَذَا الْعَصْرِ الشَّيْخِ.

أ - مراسلة بين معاوية
وعثمان، سنة ٣٢ هجرية.

- ر -

«الشَّيَاطِينُ أَلْفُفٌ جَسَمًا،
أَحَدُ عَقُولًا مِنَ النَّاسِ، أَعْرِفُ مِنْهُمْ،
وَلَا آفَةُ فِيهِمْ»

هكذا أَجَمَعَ الأولونُ
وأنا المتأخر أصغي، وأَقْتَصُّ آثارَكُمْ،
أيها السَّابِقُونَ.

* الْحَقِيقَةُ بَيَّتْ

ليس فيه مقيمٌ ولا جَارٌ مِنْ حَوْلِهِ
ولا زَائِرٌ.

ب - كلام لعمر بن العاص
مخاطباً عثمان.

ج - حوار بين علي وعثمان،
سنة ٣٥ هجرية.

○ قال الراوي:

ما أذهأها - تلك الظلمات

ما أَبْلَغَهُ - ذاك الإعجاز

الكامِنُ فيها

أفهم، إذ أزويها

عَجَزَ الكلمات.

- أ -

كَثُرَ النَّاسُ عَلَى عَثَمَانَ

نَالُوا مِنْهُ

أَقْبَحَ مَا نَالُوا مِنْ إِنْسَانٍ.

- ب -

- «إِعْتَدَنْ، أَوْ اعْتَزَلِي».

- ج -

- «ضَعُفْتُ، رَقُفْتُ عَلَى

أَقْرَبَائِكَ».

- «هُمْ أَقْرَبَاؤُكَ أَيْضًا»

- «لَكِنَّ الْفَضْلَ فِي غَيْرِهِمْ».

○ وَتَنَى الزَّارِي :

- أ -

« قُولُوا لِعَلِيٍّ أَنْ يَسْقِيَنَا مَاءً . »

- ب -

قَالَ عَلِيٌّ لِابْنَيْهِ :

ذَرَدَا عَنْ عَثْمَانَ

وَحُذَا الْمَاءَ إِلَيْهِ .

- ج -

دَخَلَ النَّاسُ عَلَى عَثْمَانَ

هَذَا يَضْرِبُهُ

بِالسَّيْفِ وَهَذَا

يَخْنُقُهُ

قَتَلُوهُ ذَبْحًا وَأَنْتَهَبُوا مَا شَاؤُوا

قَالُوا : « إِنْ كَانَ حَلَالًا كَفُّهُ

فَالْمَالُ حَلَالٌ » .

- ش -

السَّوَادُ مَعَ الشَّمْسِ فِي الشَّمْسِ

بَيْنَ الْخِيوطِ - الْأَشْعَةِ ، أَرْضُ

زَرْعَتِهَا الْأَسَاطِيرُ وَالصُّلُوثُ وَأَحْلَامُهَا .

وَالْحَصَادُ الضِّيَاغُ

السَّوَادُ أَخٌ فِي النَّشْوَةِ ،

أَخٌ فِي الرِّضَاغِ .

أ - الكلام لعثمان ومرو
محاضر، سنة ٣٥ هجرية .

ب - الحسن والحسين .

• أَغْمِضْ عَيْنِيكَ ، لِتَعْرِفَ كَيْفَ
تُشَاهِدُ وَجْهَ الْوَاقِعِ فِي أَحْلَامِ
مَاتَتْ .

○ وثنى الزاوية:

- أ -

هُرْعَ النَّاسُ يَأْتُونَ بَيْتَ عَلِيٍّ.

- «إِذْهَبُوا، لَيْسَ هَذَا إِلَيْكُمْ لَنْ أَكُونَ الْخَلِيفَةَ إِلَّا بِحَقٍّ»

أَهْلُ بَذْرِ هُمْ الْأَجْدَرُونَ بِقَوْلِ الصُّوَابِ، وَلِي ثَقَّةٌ فِيهِمْ

سُتِّي سُنَّةُ النَّبِيِّ وَلَكِنْ

بَعْدَهُ سَيَكُونُ اجْتِهَادِي

مَسْلُكِي وَطَرِيقِي

وَالْخِلَافَةُ شُورَى

أَوْ تَكُونُ اغْتِصَاباً وَمُلْكاً».

- ب -

هُرْعَ النَّاسِ يَأْتُونَ بَيْتَ عَلِيٍّ

أَهْلُ بَذْرِ عَلَى رَأْسِهِمْ:

- «أَنْتَ أَوْلَى بِهَا».

- ت -

أَتَرَى، يَتَحَوَّلُ جِسْمِي؟

أَشِيرَاعٌ هُوَ الْآنَ - مَا جِثَّ عَوَاصِفُ أَتْرَاجِهِ
وَرَمَتْهُ إِلَى مَرْقَأٍ غَنِيْبِي؟

أَنَايَ - وَالتَّمَزَّقَ إِيقَاعُهُ؟

أَهْوَ الْآنَ يَرْقَى وَالْفَجِيعَةُ مَعْرَاجُهُ؟

أَهْوَ الْآنَ يُهْوِي وَالْمَرَارَاتُ أَذْرَاجُهُ؟

أَتَرَى، يَتَحَوَّلُ جِسْمِي؟

نَهَرُ الْحَبِّ فِيهِ يُغَيِّرُ مَجْرَاهُ، وَالسُّفُنُ

الْجَارِيَاتُ جَنَحْنَ - تُرَاهُ، تَحَوَّلَ جِسْمِي؟

* يُؤَثِّرُ أَنْ يَبْقَى طِفْلاً

يَرْضَعُ، لَكِنْ

مِنْ تَذِي الْأَشْيَاءِ.

١ - حوار بين علي والذين أتوا
ليبايعوه، بعد مقتل عثمان،
سنة ٣٥ هجرية.

○ وثى الزاويه

زاعماً أَنَّ للارضِ جِسْماً تشقُّ
السَّمَاءُ بسكِّينها صدْرُه، كُلُّ
يَوْمٍ،

- أ -

- ما وراءك؟ قُلْ لي

- قَتْلُ عثمان.

- ماذا؟

- قُضِيَ الأمرُ،

- مَنْ بَايَعُوا؟

- عليّاً.

- ب -

- لن يتمَّ لَهُ الأمرُ، هيهات،

- لكنَّ أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ قالَ عَنْ
نَعْتَلٍ:

«اقتلوا نَعْتَلًا إِنَّه كَافِرٌ.»

- تاب. قالوا وقلْتُ

وَأَخِرُ ما قلْتُ أَفْضَلُ

مِنْ قَوْلِي الْأَوَّلِ.»

- ث -

في ذاكرتي أصوات:

«الأناس جميعاً أكلوا لَمَّا جاعُوا

ألهةً عَبدوها.»

أصوات: «نحن جِياغٌ لكن لا نَحيا

لا نَعْرِفُ أن نَحيا إِلَّا كَني يَأْكَلُنَا

مَنْ جَوَّعَنَا.»

في ذاكرتي رَحَّالُونَ رعايا

كَشَفَ لا يُرَوِّى

يَتَرَشَّفُ سِرَّ الدَّهْرِ

مِنْ آلاءِ الشَّعْرِ.

* ثَمَّةَ رُغْبٍ

يَسْتَعْمِرُ فينا

قَلَقَ الكلمات.

أ، ب - حوار بين عائشة
وبعض أخوالها. ونعتل هو
لقب عثمان. سنة ٣٦
هجريّة.

○ أجهش الزاوية:

- أ -

آه من ذلك اليوم - طال
وأصبح تاريخنا كله.

- ب -

جمل جامع يتصدّر حرب قرنيش
يالحزب الجمل
قُطعت أرجل ورؤوس
وأيد:

نظر أفسدته

رياح العمل.

- ج -

وثنى الزاوية:

عرش ينقل، والقتل

عربات حيناً

وجسور، حيناً.

- خ -

هو كرسية، -

هل يفكر؟ هل يتذكر؟ لا زائر

اليوم يُشبه من زاره أمس، والبيت

ينسى

أثره يحاور زواره ويجس تقاطيعهم بأصابع
لا يعرف الظن من أين تأتي؟

آه، كرسية متعب،

تعب في يديه، وفي قدميه، وفي الصدر

والقلب - ثوب من غبار

يُغطيه، يحنو عليه

أيها الثوب، شكراً.

* أتراها الحياة نبات

يتفتح في ثوبة الجراح؟

أ - يوم الجمل، الذي يُسمى
أيضاً حرب الجمل، سنة ٣٦
هجريّة.

○ وثنى الراوي:

- أ -

مَدَّت المائدة:

«قَطَعْتُ أَرْجَلَ وَرْوَسَ وَأَيْدِي»

إِنَّا حَرْبٌ صِغِيرٌ:

«يُذَفَّنُ خَمْسُونَ فِي حُفْرَةٍ
وَاجِدَةٌ.»

- ب -

بَقَرُوا بَطْنَهَا، وَهِيَ حَبْلٌ ذَبَحُوا
رُؤُوسَهَا.

- ج -

رَأْسُ عَمَّارٍ يُحْتَرُّ

وَالرَّمْلُ يُلْهَوُ

بِحُجَّتِهِ الْهَامِدَةِ.

- د -

وثنى الراوي:

لَا يَوْمَ لِدْفَنِ الْمَوْتِ،

كُلُّ الْآيَامِ قَبُورٌ.

- ذ -

تَرْفُضُ الْكَوْفَةَ أَنْ تُعْطِيَ لِلْعَاشِقِ

إِلَّا لَفْظَهَا

شَفَتَاهَا مَوْعِدٌ

وَيَدَاهَا مَوْعِدٌ آخَرُ، - لَفْظٌ

أَتَرَاهُ صَمْتُ رُغْبٍ، أَمْ قِنَاعٌ؟

تَسْكُنُ الْكَوْفَةُ - لَا تَجْرُو، لَا تَسْطِيعُ أَنْ

تَسْكُنَ إِلَّا تَيْهَهَا.

أ - سنة ٣٧ هجرية

ب - الفصحائي عبد الله بن
خبيب، وزوجته.

ج - عمار بن ياسر.

• أَلْزَمَالُ كِتَابِ الصَّحَارَى
وَالرِّيَاحُ تَأْوِيلُهُ.

- ض -

فُقَرَاءَ، حَيَارَى
بعد أن تَتَغَطَّى الحقولُ بِأَهَاتِهِمْ
كِي تَنَامَ، يَعُودُونَ: أَيَّامُهُمْ
وَطَنَ آخِرَ لِلْعَذَابِ
الْغُرُوبُ رَفِيقٌ لَهُمْ
وَالكَأَبَةُ عُكَازُهُمْ
كُنْتُ فِي ظِلِّهِمْ
شَامَةً فَوْقَ حَذِّ التَّرَابِ.

* شَهَقَةً، شَهَقَةً
تَتَصَاعَدُ أَيَّامُهُمْ
فِي مَعَارِجِ أَيَّامِهِ.

○ سَأَلَ الزَّأَوِي:

- هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ يُصَبُّ حَسَاءٌ
فِي جَهَنَّمَ؟
وَرَوَى: قَالُوا -
«هَاتُوا جَوْفَ حَامِرٍ
دُكُوا إِنَّ أَبِي بَكْرٍ فِيهِ وَلْيُحَرِّقْ،
لَكِنْ عَزَّوْهُ - قَمِيصٌ عَمَدَ غَالٍ
وَأُخَذُوا لِمَعَاوِيَةَ رَأْسَهُ.»
وَتَنَى الزَّأَوِيهِ:
رَقِصْتَ نَائِلَةً
بِالْقَمِيصِ، ابْتِهَاجًا
وَسَقَّتْ بِالدَّمِ الْمُتَخَثِّرِ فِيهِ،
أَسَارِيَهَا الذَّابِلَةَ.

الإشارة إلى محمد بن أبي بكر،
وكيفية قتله، سنة ٣٨
هجريّة.

نائلة هي زوجة عثمان.

٥ وثى الزاوي:

- أ -

حيث عابثة بخروف مشوي
ملته أخت القاتل قالت: «كان
أخوك عند مثل خروف
يشوي».

- ب -

أسماء ارتعبت
لم تتكلم
عصت شفيتها
كان دم
يتدفق من ثديتها.

وثى الزاوي:

عجباً للذماء التي لا تحف
(وكزرت هذا على المتنبى،
وكان يردد: ما زلت طفلاً)
عجباً للزمان الذي يتجرع
أمرأج هذي الذماء، ولا يرى
في جوفه،

كيف لا يتفتت وجه النهار

في أنين الغبار.

- ظ -

سيف يذخل في بيعة رُمح
رُمح مخلوع،
كل يهذي
وأنا تيه أنشي في ونخوي
أتجلى حيناً، ورَقاً، أخفى،
حيناً، جذراً
كي أستقصي هذا الملقى.

* يلبس ثوب الليل، ولكن
لا يسكن إلا في فجر.

ب - أسماء هي أخت محمد
بن أبي بكر.

- غ -

أنتمي للشرز

أنتمي للحصاد، احتفاء

بالحقول، لسقائها

قلقاً، ناحلاً

أنتمي للرياح، تؤخذ في عصفها

بين وجه التراب، ووجه الفضاء،

ووجه البشر.

○ وثى الراوي:

جاؤوا، ائتمروا، قالوا:

«نقتلهم، ونريح الناس

من أشراك الخنافس الوسواس.»

وثى الراوي:

صرت أقول لرأسي

وأنا أرنو لرؤوس أخرى:

صمتك لا يعجبني،

ويرد: كلامك لا يعجبني.

وثى الراوي:

هوذا أولم الليل، ما يحبىء

الليل، للمنتبي

وأقرن أوجاع دهري بأوجاعه

لا أخاف. لماذا أخاف؟

وأنا ناضج مثل غيري،

والقطاف المطاف، وترتيلة

الطواف.

* لا يكفي، كي تتبني

أن تهدم بيتك، فالأنقاض لكي

تستأصل أيضاً، ولكي تمحي:

المخو بداية سيرك نحوي.

المؤتمرون: عبد الرحمن بن
ملجم المرادي، البرك
التميمي، عمرو التميمي.
والمقصودون بالقتل: علي
ومعاوية وعمرو بن العاص.
سنة ٣٩ هجرية.

هَوَامِش



أَتَفِيأُ - أَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الذَّاكِرَةِ
مِنْ مَدَارَاتِهَا، وَدَوَالِيهَا الذَّاكِرَةِ،
أَتَفِيأُ أَسْلَافِي الْآخَرِينَ
الَّذِينَ يَضِيئُونَ أَعْلَى وَأَبْعَدَ
مِنْ ظُلْمَةِ الْقَتْلِ، مِنْ حِمَاةِ
الْقَاتِلِينَ.

- I -

حوار

- «كَيْفَ تَخَيَّرَ إِبْلِيسَ

زَوْجَتَهُ؟

أَلْهَا إِنْسَمَ؟»

- «ذَاكَ نِكَاحٌ لَمْ نَشْهَدْهُ.»

- II -

حوار

- «فِي وَجْهِكَ شَيْءٌ مِنْ إِبْلِيسَ»،

- «صَدَقْتَ، كَبِيرُ الْإِنْسِ شَبِيهٌ

بِكَبِيرِ الْجِنِّ.»

- III -

حوار

- «هل تعرفُ وَجْهَ الْعَيْبِ؟»

- «كَلَّا،

لا أعرفُ مَنْ لا يَعْرِفُنِي».

- «السَّاعَةُ آتِيَةٌ، لا رَيْبَ.»

- IV -

نَمِيمُ بْنُ مُقْبِلٍ

تَعَجُّزُ الْأَبَدِيَّةِ أَنْ تُطْفِئَ النَّارَ،

أَوْ أَنْ تُحَرِّكَ هَذَا الْحَجَرَ

مِثْلَمَا قُلْتَ، مِنْ دُونِ قَوْلٍ - وَلَكِنْ

أَلْهَذَا تَمَتَّيْتُ: «يَا لَيْتَ أَنِّي حَجَرٌ»،

مَازَجاً بَيْنَ لَيْلِ التَّرَحُّلِ وَالْمَوْتِ

وَالْأَغْنِيَةِ؟

مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ فِي هَذِهِ الْأَمْنِيَةِ

مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ غَيْرُ اتِّجَاهِ السَّفَرِ؟

قيل: كان بعد إسلامه، يحزن إلى الجاهلية، ويمتجدها، ويبيكي أهلها، ويشعر بغربة في الإسلام. يقول في إحدى قصائده: «لَيْتَ الْفَتَى حَجَرًا».

- V -

ليبد

سأقولُ - أنا الراوية
مِثلما قالَ لي، دونَ قولِ،
تلكَ أياْمنا الماضِيةُ
تترصّدُ أعناقَ أياْمنا الآتِيةِ .
والمراراتُ، فتّاكّةُ، والرُّجومُ
لَبَنٌ دافِقٌ مِن تُدِيّ الثُّجومِ .

- VI -

الشَّنْفَرَى

مِنْ أَعَالِي الْكَلَامِ

نَزَلَ الشَّنْفَرَى

يَتَقَرَّى الْفَضَاءَ، يُطِيبُ وَجْهَ الثَّرَى

وَيُهَيِّئُ لِلْجَائِعِينَ الْوَلِيمَةَ - أَحْلَامُهُمْ

وَارْفَاتُ، تُغَطِّي مَرَارَاتِهِمْ،

وَتُغَطِّي الْحِيَامَ.

- VII -

عُروة بن الورد

لا كَابَةٌ هذي الغيوم، ولا بَهَجَةٌ

الأمكنة

تُلْقِحَانِ دُرُوبِي

جَسَدِي مُوْغِلٌ

في محيطِ اجترَاحَاتِهِ، -

أَتَلَمَّسُ في الرَّمْلِ مائي

وأشعل نَارَ التَّصْغُلِكِ في

غَابَةِ الأزْمَنَةِ.

- VIII -

طَرَفَة

طَرَفَة

وَرْدَةٌ حَزْنٍ تَتَنَاهَبُهَا

رِيحٌ وَصَحَارَى.

يَا طَرَفَة

«أُفْرِدْتُ»، وَلَكِنْ كُلُّ مَكَانٍ قَيْدٌ.

يَا طَرَفَة

رَمَلٌ رَمَلٌ تِلْكَ الصَّدَفَة.

قَبِيلٌ قُطِعَتْ بَدَاةُ وَرَجُلَاهُ
وَدُفِنَ حَيًّا. نَشَأَ يَتِيمًا وَعَاشَ
حَيَاةَ نَهْرٍ. يُلَقَّبُ بِـ «الْغَلَامِ
الْقَتِيلِ»، فَقَدْ مَاتَ، وَهُوَ فِي
السَّادَةِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ.

- IX -

امرؤ القيس

لامرؤ القيس * ظِلُّ

لم يَزَلْ يَتَشَرَّدُ فِي حَوْمَلٍ

وَيُقَاسِسُ بَغْدَادَ حِيناً وَحِيناً دِمَشْقاً

عَشَقْتُهُ الرِّيحُ - كَأَنَّ لَهَا وَجْهَهُ.

يا امرؤ القيس، كيف تَدَثَّرْتَ لَيْلَ الْكَلَامِ،
وكيف تَنَوَّرَتْهُ

ضَائِعاً بَيْنَ خَيْطِ الْهَبَاءِ وَثَوْبِ الْأَبْد؟

كيف هَيَّأتَ هَذَا الْمَهَادَ: عَزَلْتَ

السَّمَاءَ، وَأَغْلَقْتَ أَبْوَابَهَا، وَتَنَبَّأتَ:

لَا جَبْرَ غَيْرُ الْجَسَدِ.

أَلِهَذَا فَتَحَتْ الْفُضَاءَ

نَشْوَةً وَهَيَاماً وَشِعْراً؟

أَلِهَذَا صِرْتَ مِثَاقَنَا - الطَّرِيقَ إِلَى مَا

يُضَاءُ، وَمَا لَا يُضَاءُ؟

* لم يقل شعرة رغبة

لم يقل رهبة،

إنه ذو القروح، امرؤ القيس،
ضليلتنا الثائر

إنه الشاعرُ الشاعرُ.

(خلاصة رأي قديم عن امرؤ
القيس، ينسب إلى أكثر من
شخص، بينهم الإمام علي).

- X -

أبو محجن الثقفي

«سَأَلْتَنِي سَلَمَى: لِمَاذَا حُبِسْتُ؟

لَمْ يَكُنْ مَخْبَسِي لِجِرَامٍ أَكَلْتُ

كَنتُ أَشْرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

وَأَنَا شَاعِرٌ عِنْدَمَا أَشْرَبُ الْخَمْرَ، تَأْخُذْنِي
الْأَرْبَحِيَّةُ

فَأَكْتُبُ عَنْهَا - لِهَذَا حُبِسْتُ،

وَلَأَنِّي قُلْتُ:

«إِذَا مِتُّ، فَادْفِنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةِ

تُرَوِّي عِظَامِي، بَعْدَ مَوْتِي، عِرْوَقُهَا

وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ، فَإِنِّي

أَخَافُ، إِذَا مَا مِتُّ، أَنْ لَا أَذُوقَهَا.»

هي سلمى بنت خفصة،
زوجة سعد بن أبي وقاص
وهو الذي حبسه.

II

لَا تَلْقَ كَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مَكْتَرٍ

المتنبي

- أ -

لِلسَّمَاءِ وَجْهَتْ وَجْهِي، فِي
الْبَادِيَةِ
بَيْنَ أَحْضَانِ سُرٍّ بَعِيدٍ،
سَأَصْمْتُ صَمْتَ الْجُذُورِ: يَكُونُ
لِي الضُّوءُ بَيْتًا
وَتَكُونُ الْبَدَاوَةُ أَبْعَادَهُ الْحَانِيَةِ.

* تَبْكِي النَّجْمَةَ، -
دَمْعُ النَّجْمَةِ لَيْلٌ.

○ هَمْسُ الزَّوَايَةِ

لِلزَّوَاةِ، لِأَقْلَامِهِ:

هَذَا الْمَتْنِي -

وَطْنٌ آخَرُ يَتَحَوَّلُ

يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِهِ،

وَمِنْ نَفْسِهِ.

وَكَأَنِّي أَرَى حَوْلَهُ،

حَيْثَمَا سَارَ، نَخْلًا

يَتَفَوَّسُ، يَضَعُ

مِنْ جَذَعِهِ

غَارَ وَخِي وَشَيْغَرٍ.

- ب -

في مَدْرَسَةٍ
لِقَطَا البِيداءِ، قرأتُ دروِي
أَفَاقَ جِرَاحٍ وَمَنَاجِمَ شِغْرِ.
ما أَعَمَّقَ أَنَّ تَتَحَدَّثَ مَعِ جَنِّي
أَوْ مَعِ نَجْمٍ،
بين خِيَامِ لبني الصَّايِ
حيث يَكُونُ الإنسانُ المَغْنَى.

* يَخْرُجُ القَمَرُ، اليَوْمَ، مِنْ بَيْتِهِ
وَتَجِبِيءُ إِلَى حِينَا
حَامِلًا وَزْدَةً،
لَا بِسَا ثَوْبَ طِفْلِ.

○ أَخَذَ الرَّأْيِيهِ

يَتَأَمَّلُ، يَفْحَصُ أَوْرَاقَهُ،

وَيَقُولُ - الْكَلَامُ

الَّذِي دَارَ بَيْنَ الْقِبَائِلِ،

بَيْنَ الْأَيْسَنِ، تَحْتَ السَّقِيفَةِ،
رَمَلٌ

يَتَسَاقَطُ مِنْ فَوْقِنَا

أَثْقَلَ الْإِزْتِ بِالْقَتْلِ

وَاجْتَنَتْ جُرْثُومَةً

الرَّجَاءِ -

هُوَذَا، الْآنَ،

مُسْتَوْدَعٌ لِلدَّمَاءِ.

نَزَلَ الْمُتَنَبِّيَ حِينَ رَحَلَ إِلَى
بَادِيَةِ السَّمَاءِ، فِي بَنِي
الصَّايِ، وَهُمْ هَمْدَانِيُّونَ.

○ وَصَفَ الرَّاوُونَ

الرَّاوِي،

قالوا عنه:

حين رأى سَيْرَ

التَّارِيخِ، وَوَقَعَ خُطَاهُ،

ذَبَلَ المعنى في

عَيْتِهِ.

- ج -

كَانَ زَيْدٌ يَقُولُ: الْغُيُوبُ

تَنْزَلُ

فِي نَاطِرِي.

مِثْلُهُ، أَشْعَرُ الْآنَ، أَنَّ النُّجُومَ

تَحُلُّ ضَفَائِرَهَا

فِي سَرِيرِي،

تَنَامُ عَلَى سَاعِدِي.

أبو الحسن محمد الزُّيْدِي
(توفي ٣٩٠ هـ.)

* كُلُّ شَيْءٍ أَشَدُّ وَضُوحًا،

وَأَكْثَرُ قُرْبًا إِلَيْنَا

مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَضْطَفِيهَا

لِكِنِّي نَتَحَدَّثُ عَنْهُ.

كيف أقول: الآنَ رَماني
 قَمَرُ أَغْشى بِمَلَكِ شَيْخٍ؟
 هُوَذَا رَفَرَفَ طَيْرٌ
 وَبَنُو الصَّابِي يَزْتَجِلُونَ رُؤَاهُمْ
 لِرَفَارَفِ تَأْتِي،
 وأنا لا أعرفُ
 أين يُرْفَرُفُ رأسي.
 حسناً، هذا حَظِّي
 وسأذهبُ كي أَمْضِيَ هذا اللَّيْلَ الأعشى
 في حانوتِ القمرِ الأعشى.

* وَغَدَّ -

يَجْلِسُ قُرْبَ الخِيمةِ، بابٌ
 يَتَسَاءَلُ: مَنْ سَيَجِيءُ الآنَ؟ خِيَامٌ
 تَتَلَأَلُ حُبًّا.

○ وثى الزاؤون:

رَأَيْنَا الرَّاوِي يَسْأَلُ: «كيف
 أَتَيْتُ،

وَأَيْنَ سَامِضِي؟»

«وَمَضَى يَهْدِي:

«حسناً،

سَأَتَابِعُ سَيْرِي - لَكِنْ

أَهْناكَ طَرِيقٌ؟»

كُوْخُهَا طَيَّةٌ

فِي عِبَاءَةٍ هَذَا

الْفَضَاءِ الَّذِي رَزَيْتُ نَفْسَهَا

بِتَهَاوِيلِهِ،

كَلَّ مَا حَوْلَهُ يَتَنَهَّدُ شَوْقًا لَهُ:

كُوْخُهَا جَسْمَهَا.

قُطَامُ بِنْتُ الْأَصْبَعِ التَّمِيمِي،
الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا حَرَضَتْ عَبْدَ
الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمٍ عَلَى قَتْلِ
الْإِمَامِ عَلِيٍّ، سَنَةَ ٤٠ هَجْرِيَّةً،
وَالْحَوَارِ هُوَ بَيْنَهُمَا.

* نَجْمَةٌ فِي رَدَاءٍ طَوِيلٍ
تَتَنَزَّهُ بَيْنَ التَّخِيلِ.

○ «تَهْرُبُ الذَّاكِرَةُ»

مِنْ دِيَاجِيرِ تَارِيخِهَا،

تَسْقُطُ الذَّاكِرَةُ

فِي الشَّبَاكِ الَّتِي نَصَبَتْهَا

لُغَةُ مَآكِرِهِ»

هَكَذَا كَانَ يَسْتَبْصِرُ

الرَّأْيَ

وَهُوَ يَرَوِي لَنَا -

خَرَجَ الْفَالُ مِنْ حَوْضِهَا

أَلْبَسَتْهُ نِيَابَ الْخُرُوجِ إِلَى قَصْدِهَا

وَالْمُرَادِيُّ يُصْغِي وَيَسْتَفْجِلُ

الرَّحِيلُ:

- إِمْفُضْ، صَدْرِي سَرِيرَ

وَحْيِي هَدِيلُ.

- فِي جَبِينِي، فِي قُبُضَتِي
خُطُوطُ

يَطْلُعُ الْفَجْرُ مِنْهَا:

أَنْتِ شَمْسِي، قُطَامُ

وَأَنَا قَاتِلُ الْإِمَامِ.

- و -

خَرَجْتَ تَسْتَقِي الْمَاءَ - ذِكْرِي الْطِفُولَةَ فِيهِ :
لا رَقِيبَ، طَيِوفٌ تُسَافِرُ

فِي جَسَدِ الْمَاءِ، تَرْقِصُ فِي وَجْهِهِ وَالنَّخِيلُ
هَوَى فِي خُطَاهَا النَّدِيَّةَ،

فِي خَضِرِهَا الْحَيَّةِ -

مَا يَكُونُ، وَمَاذَا سَيَحْدُثُ إِنَّ

رَأَتْ الْقِرْمَطِي؟

○ قال الزاوي :

قال علي عن قاتله، وهو
يموت: «أسير»

لا تُؤذوه

ليكن مَنَواً كريماً

إن مُت، يموت كموتي،

لا عُدوانَ عليه .

وإذا عشتَ نظرت:

أأقتل، أم أعفو؟».

سنة ٤٠ هجرية.

* لا يَزُونِي ماءُ الغَيْبِ،
وماءُ العالمِ رَمْلٌ.

- ز -

قالت : «ستكون الشمس لنا سقفاً

ويكون ردائي ظلّاً

هل تأتي؟»

سارت. قلتُ لنفسي: هذي الأعراية

لحظة كشف، والوقت مُضيء.

سيرتُ، قفوتُ خطاها.

.....

ما أغربها

ما أبهاها - تلك الأعشاب البرية.

* سرّة الفجر تُسلم ريجانها

لنسيم اللقاء.

○ أخبر الزاوية:

غبطة، سجدت عائشه

حين قالوا:

«قتلنا علياً».

وثى الزاوية، -

قال: أعطيت للناس

ما قاله الزواة، ولم

أعطِ سيري،

لن أحدث عنه سوى

المتني، وأشعر أنّي

هنا، الآن، أصغي

إليه،

وأحاول إقناعه

أن سيري وبأل عليّ.

○ قال الراوي:

قال معاوية:

«إِنَّ اللَّهَ، بِحُسْنِ صَنِيعٍ

وَيُلَطِّفُ مِنْهُ،

أَرْسَلَ مَنْ يَغْتَالُ عَلَيَّ.»

وثنى الراوي:

آلَايَةُ قَبْرِ

وَالسَّيْفِ مَلَاكُ،

لُغَةُ مِغْرَاجٍ

بَيْنَ سَيُوفٍ تَعْلُو

وَرُؤُوسٍ تُهْوِي.

- ح -

سَأَكْرَرُ هَذَا الرُّهَانُ:

يَتَقَدَّمُ نَحْوِي

زَمَنْ ضِدَّ صَحْرَاءِ هَذَا الْمَكَانِ،

وَصَحْرَاءِ هَذَا الزَّمَانِ.

بِاسْمِهِ، سَوْفَ أُعْطِي لِنَفْسِي

سِخْرَ الدُّخُولِ،

وَحَقَّ الدُّخُولِ

إِلَى كُلِّ شَيْءٍ.

* وَزِدَّةٌ، عِطْرُهَا بَيْتُهَا

وَالْهَوَاءُ سَرِيرُ لَهَا.

○ قال الزاوي:

قالوا: سَنَ معاوية

فَقَتَلَ الطِّفْلَ وَقَتَلَ الْمَرْأَةَ، أَوْصَى
بُسْرًا:

«أَقْتُلْ أَصْحَابَ عَلِيٍّ شَبَابًا، شُبَّانًا
أَطْفَالًا وَنِسَاءً».

وَتَنَى الزاوي:

طِفْلًا ابْنَ الْعَبَّاسِ

اسْتَشْرَا فِي بَيْتِ

دُبْحَا بِيَدَيْ بُسْرِ -

كَانَتْ قَدْ أَخْفَتْ هَذِينَ

الطِّفْلَيْنِ امْرَأَةً،

قَتَلُوا مِثْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَرْأَةِ كَيْ
يَنْتَقِمُوا مِنْهَا.

- ط -

قَمَرٌ فِي شَكْلِ الْكَوْفَةِ

فَرَشَ اللَّيْلَ بِسَاطًا

وَتَلَبَّسَ بِالْإِسْرَاءِ الصَّاعِدِ

فِي أَنْحَاثِي، -

زَمَنِي أَخْلَامَ مَعْطُوفَةٍ

بِسَوَادِ الْكَوْفَةِ.

بُسْرُ بْنُ أَزْطَاةَ قَائِدُ جَيْشِ
مَعَاوِيَةَ.

عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ فِي
الْيَمَنِ.

* لَا تَسْلُ، فَالْسَّوَادُ الْمُتَوَجُّجُ

بِالْكَوْفَةِ، السُّؤَالُ

حَوْلَهُ الشَّعْرُ يَجْتَاحُ، يَعْلُو

وَيَقُولُ الَّذِي لَا يُقَالُ.

- ي -

جسدي يتَعَدَّدُ:

هذا يُلَوِّحُ، هذا يَرْجُ، وآخرُ

في سَكْرَةٍ

والصَّراطُ، كما يترأى،

هُوَءٌ - لا قرارَ.

أَتَرى، يتَعَذَّرُ بيني وبين السَّمَاءِ اللَّقاءُ؟

ولماذا، إذن،

لم يَجِءْ أَيُّ لَوِّحٍ لِلْعُروجِ وَلِلوَحْيِ، هذا
المساء؟

نَقْنَقُ - أَيُّ ضوئٍ

يُنَوِّرُ أَخْبَارَ ما قد

مَضَى؟

يسأل الزَّاوية

وهو يروي لنا:

- مَنْ أبوك؟

- يُجِيبُك هذا (مُشيراً

إلى سيفهِ)

هاتِ، يا حَرَسِي، عُنُقَهُ.

السائل مجهول والمسؤول هو
زياد بن أبيه.

* أَتُفَكِّرُ؟ هَذي وَشُوسَةٌ

إِسْتَعْفِزْ، وَاصْرُخْ:

يا أَهْلَ الْإِيْمَانِ، اخْمُوني

دَاوُونِي مِنْ فِكْرِي.

○ قال الزاوي:

حاول أن يَغْتَالَ الحسنُ الجِزَاحَ
الأسدي، ولكن أخفق. جاؤوا
بالجِزَاح، ودَقُّوا عُنُقَهُ -
قَطَعُوهُ عُضْوَاً عُضْوَاً.

- ك -

ضَيْدٌ مَا نَبَذَتْهُ السَّمَاءُ - مَا يَتَكَوَّنُ
مِنْ رَأْسِ رُمْحٍ وَمِنْ حَدِّ سَيْفٍ، وَمِنْ
جُتَّةٍ تَتَلَسَّلُ، وَرَأْسٍ يُحْزَرُ،
وَضَيْدٌ الْمَدُونِ بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ فِي
كَاغِدٍ لَيْسَ إِلَّا دَمًا.
ضَيْدُهُ، ضَيْدٌ تِلْكَ الْمَعَاقِلِ،
تِلْكَ الْبُرُوجِ
نَخْتَفِي، نَتَهَجِّي
فِي السَّمَاءِ سِرَّ الْخُرُوجِ، الْخُرُوجِ.

الحسن بن علي

* أَهْنَالِكَ مَاءَ يَزْوِي
ظَمًا الْمَاءُ؟

- ل -

أَهْلُ الْكَوْفَةِ - كُلُّ

جَسَدٌ أَنْقَاضٌ

تَتَنَاسَلُ فِي أَنْقَاضٍ.

أَهْلُ الْكَوْفَةِ

وُلِدُوا سَيْفًا يَتَقَلَّدُ رَأْسًا

رَأْسًا يَتَقَلَّدُ سَيْفًا.

أَهْلُ الْكَوْفَةِ - كُلُّ

يَحْمِلُ فَاسَةً

كِي يَقْتُلَ نَفْسَهُ.

○ وثني الراوي عنه:

- يَا لِلْعَازِ

- خَيْرٌ مِنْ هَذَا النَّازِ

أَكْرَهُ أَنْ أَقْتُلَكُمْ

مِنْ أَجْلِ الْمُلْكِ،

وَأَكْرَهُ أَنْ أَمْلِكَ، حَرْبًا.

وثني الراوي:

زَمَنْ يَنْطِقُ، لَكِنْ

لَا يَنْطِقُ إِلَّا

مِنْ شَفَتَيْ سَيْفٍ.

حوار بين الحسن بن علي
وأصحابه، بعد أن تنازل عن
الخلافة لمعاوية، سنة ٤١
هجرية.

* بِيَدِي قَاتِلٍ،

وعلى حَدِّ سَيْفٍ،

كُتِبَ الْوَقْتُ آيَاتِهِ.

- ٢ -

أنت العائش في إصْطَبَلٍ

لخليفة هذا العالم،

تتمسح بالجدران وبالعتبات، وتحنى رأسك
خوفاً

أو تحني طمعاً

أو تحني ذلاً،

هل تشعر، حقاً

أنك جزء من طينة آدم؟

○ أخير الزاوية:

- تستقيم بنا، أو نقوم كل
اعوجاجٍ

- بماذا؟

- بهذا الخشب

- استقيم، تعالوا

لنطفيء ذاك اللهب.

ونثى الزاوية:

رجل لا أنوثة فيه

نهر دون ماء.

حوار بين معاوية وأصحابه،
سنة ٤٢ هجرية.

* رَجِمَ المعصية

تتموج، تدخل في عيدها، -

هبتوا الأغنية.

- ن -

قَلْتُ لِلَّيْلِ - مَحْمُومًا بَيْنَ خِيَامِ الْمَعْنَى:

هَلْ أَكْتُبُ شِعْرًا أَضْهَرُ فِيهِ

وَجْهَ الْغَيْبِ وَأَضْهَرُ فِيهِ

قَلِقُ الْأَرْضِ - خُطَاهُ، طَيُوفُهُ

أَمْ أَكْتُبُ شِعْرًا لَا يَقْرَؤُهُ إِلَّا

أَهْلُ اللَّفْظِ وَالْإِثْمِ

جُدْرَانُ الْكَوْفَةِ؟

أَضْعَى لَيْلِي - لَمْ يَتَكَلَّمْ.

○ أَخْبَرُ الرَّأْيِيَّةَ:

بِاسْمِ مَحْرَابِهِ

بِاسْمِ مِغْرَاجِهِ

وَالْعُرُوجَ إِلَى خِذْرِهِ الْبَهِيِّ،

قَتَلَ الْبَاهِلِيَّ عِبَادَةً،

وَهُوَ يُصَلِّي.

صَلَبَ الْبَاهِلِيَّ.

الْبَاهِلِيُّ هُوَ الْخَارِجِيُّ يَزِيدُ بْنُ
مَالِكٍ، وَعِبَادَةُ الْإِسْمِ
الضَّحَابَةِ، سَنَةِ ٤٢ هَجْرِيَّةً.

* عَطَشٌ لَا يَشْفُ، وَلَا يُسْتَشْفَى، -

سَأَتْرُكُ مَائِي

يَتَرَفَّرُ فِي حَيْرَةٍ.

- س -

أَيْهَذَا الْخَفِيِّ الْأَلْقَى
أَيْهَذَا الشَّحُوبِ الْمُغْلَغِلُ فِي طَبَقَاتِ الْعَسَقِ،
أَوْ، يَا صُورِي

السَّمَاءُ تَزْرِكُشْ سِرْزَوَالَهَا
بِتَخَارِيمِ غَيْمٍ وَرِيحٍ
وَالصَّبَاحُ يُرْتَلُ أَنْشُودَةٌ لِلطَّيُورِ الَّتِي هَاجَرَتْ -
صُورِي، صُورِي،
بُرْجُ ضَوْءٍ نَحِيلِ
يَتَرَنِّحُ، وَاللَّيْلُ مَعْرَاجُهُ -
صُورِي، صُورِي.

* عندما تتوهج فينا الحقيقة،
لا نتكلم إلا مجازاً.

○ ليس من عادة الراوي

أن يفتن تباريحهُ، الزاوية

ورق ناطق - تتم

الزاوية،

ورق راوي:

- قل إنه الخليفة

ولأنه للمؤمنين أمر،

أمير،

- مقالة نكراء لن أقولها

- خذوه واقتلوه.

حوار بين المظيرة بن شعبة،
عامل معاوية على الكوفة،
وكوفي هو معين بن عبد الله
المحاري، سنة ٤٢ هجرية.

- ع -

أَلْخِيَامُ الْخِيَامِ

غَابَةٌ تَتَقَلَّبُ أَغْصَانُهَا فِي رِيَّاحِ الْكَلَامِ

وَأَنَا أَتَقَلَّبُ فِي ذَاتِ نَفْسِي، أَرْدُدُ:

كَلًّا، لَا أَحِبُّ الضِّيَاءَ

لَا لِشَيْءٍ سِوَى أَنَّهُ كَاشِفٌ.

هَكَذَا، كَيْ أَطِيلَ الطَّرِيقَ، السُّؤَالَ وَأَسْتَنْفِدَ
الْأَفَاصِي

كَمْ أَرْدُدُ فِي ذَاتِ نَفْسِي:

أُحِبُّ الْحَقَاءَ.

○ قال الراوي،

يَتَمَرَأُ فِي أَوْرَاقٍ:

مَاذَا تَقْرَأُ شَمْسُ الْيَوْمِ،

وَمَاذَا تَحْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهَا؟

هَلْ كَانَ الضُّوءُ غَرِيبًا؟

هَلْ كَانَ جَرَّاحًا فِي

رِثَتِهَا؟

وثى الراوي:

قال معاوية لزياد:

«سأكون أنا للين

كن للشدّة أنت، فهذا

خير للملك،

وخير للمملوكين».

زياد بن أبيه، سنة ٤٥
هجرة.

* غَطَّتِ الشَّمْسُ وَجْهِي،
وَوَجَّهَ الْمَكَانَ بِمَنْدِيلِهَا.

○ وَثْنَى الزَّائِفَةُ:

زَمْزَمٌ يَخْرُ

لِرُؤُوسِ عَائِمَةٍ

فِي سُفْنٍ

مِنْ الْفَائِظِ.

- ف -

كُلُّ شَيْءٍ هُنَا، فِي السَّمَاءِ، فِي أَرْضِنَا
لَفْظَةً خَائِفَةٌ -

لَا غِذَاءَ لَهَا، لَا كِسَاءَ

غَيْرُ مَا يَتَقَطَّرُ مِنْ دَمْعِهَا

مِنْ تَبَارِيحِهَا،

وَجَرَاحَاتِهَا النَّازِفَةُ.

* أَتَرَاهَا الْغَيُومُ: خِيَامٌ مِنَ الدَّمْعِ،
أَمْ سُفْنٌ مِنْ دَخَانٍ؟

○ قال الزاوي:

قال معاوية

لابن أثال:

«أقتل عبد الرحمن.»

جاء إليه وسقاه شراباً مسموماً.

بعد قليل

قُتل ابن أثال.

وثى الزاوي:

الزُّؤوسُ السَّلامُ،

والعَرشُ يعلو عليها.

- ص -

صَوْتُ يَغْلُو فِي وَيَسْأَلُ:

مَنْ سَيُحَدِّثُ أَهْلَ الْكُوفَةِ،

هذا اليوم

عَمَّا يَزُوي الحَجْرُ الْأَسْوَدُ فِي

أَيَّامِ الْحَجِّ، وَفِي

أَيَّامِ الصَّوْمِ؟

صَوْتُ يَغْلُو: مَا أَشَقَى الْأَبَاءَ

مَا أَفْجَعَ مِيرَاثَ الْأَبْنَاءِ.

صَوْتُ يعلو: أَلْكَوْفَةُ أَرْضِ

يُفْصَلُنِي عَنْهَا أَنِّي مِنْهَا.

* سَابُوحُ بَطْنِي

لِمَهَبِ رِيَّاحِ سِرِّيَّةِ

كِي تَنْقَلُهُ

لِلْأَفَاقِ وَلِلْأَصْوَاتِ الْبَرِّيَّةِ.

ابن أثال هو طبيب معاوية
وكان قد عظم في الشام،
شأن عبد الرحمن بن خالد بن
الوليد، ومال إليه أهلها
ليخلف معاوية، بدلاً من ابنه
يزيد.

وخالد بن عبد الرحمن هو
الذي قتل ابن أثال، سنة ٤٦
هجرية.

- ق -

قُلْ - لِمَاذَا تَخَافُ مِنَ الْقِرْمَاطِيِّ؟
أَهْوَ السَّيْفُ؟ لَكِنَّ سَيْفَ الْخَلِيفَةِ أَمْضَى،
أَهْوَ الْبَطْشُ؟ لَكِنَّ بَطْشَ الْخَلِيفَةِ أَذْهَى.
أَمْ تَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ؟ أَنْظُرْ
هَذَا هُوَ الْمَوْتُ حَوْلَكَ - فِي الْمَاءِ، فِي
الْخَبْرِ، - خَيْرٌ وَأَوْلَى
أَنْ تَخَافَ مِنَ الْفَقْرِ، وَافْرَحْ
لِأَبَائِلِ حَمْدَانَ قِرْمُطَ فِي
عَصْفِهَا الْبَهِيِّ.

حوار بين زياد بن أبيه،
والتاسك الخارجي عُروة بن
أُدَيْة، سنة ٤٧ هجرية.

* يَبْنِي النَّاسُ بَيْوتًا
مِنْ طِينٍ، أَوْ مِنْ قَشٍّ
بِدَعَائِمٍ أَوْهَامٍ،
وَسِوَى ذَلِكَ، تَرْحَالُ.

○ قال الرازي :

- يَا هَذَا، مَا رَأَيْكَ فِي؟
- أَقُولُ بِأَنَّكَ عَاصٍ
رَبِّكَ، وَابْنُ زَيْنٍ
- قُمْ، يَا حَرَسِي،
اقتُلْهُ.

وَتَى الرَّازِي - يَسْأَلُ
مَاذَا؟ إِنْسَانٌ يَوْمِنُ
لَا يَعْرِفُ مَاوِي
إِلَّا تَحْتَ ثِيَابِهِ،
لَا يَعْرِفُ غَيْرَ اللَّهِ،
وَيَبْقَى
مَطْرُودًا خَارِجَ بَابِهِ.

- ر -

هَلْ أَلْقَى فِي الْكُوفَةِ رَأْسًا
لَا يَتَمَدَّدُ فِيهِ قَبْرٌ؟
هَلْ أَلْقَى قَبْرًا لَا يَتَرَبُّعُ فِيهِ نَبِيٌّ؟
أَلْكَوْفَةُ شَطْرُنَجْ كَوْنِي
تَأْتِي وَتَرَوْحُ عَلَى خَيْطٍ: تَهْبِطُ، تَعْلُو -
دَوْرٌ لَا تَعْرِفُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ:
لَعِبَ مَزْنِيٌّ
فِي دَوْرِ لَا مَزْنِيٍّ.

○ قال الزاوي:

قَتْلِي، أَنْقَاضُ حُرُوبٍ.
مَا أَكْثَرَ مَا يَأْخُذُنِي الْيَأْسُ وَلَكِنْ
حِينَ أُوْجِهَ وَجْهِي
شَطْرَ الشَّعْرِ، وَأَنْظُرُ،
أَشْفَى - لَا الْمُخَ فِي
ظُلْمَةٍ يَأْسِي إِلَّا نُورًا.

* شِعْرٌ، -

هَلْ يَحْتَاجُ الشَّعْرُ إِلَى قَيْدٍ
كِي يُوْغَلَ فِي تَحْرِيرِ الْمَعْنَى؟

○ أَكَّدَ الزَّائِيهِ

عَنْ خَلِيفَةِ ذَلِكَ الزَّمَانِ -

«بَلَى، قَالَ: لِي هَذِهِ الْبِلَادُ،

وَلِي الْإِزْتُ وَالْوَارِثُونَ،

وَلِي طَاعَةُ الْعِبَادِ».

وَتَتَى الزَّائِيَةُ:

عَنْ أَوَّلِ الْأَبْنَاءِ فِي سُلَالَةِ

الْحَاكِمِ، قِيلَ مَرَّةً: «مُضْذِرُ كُلِّ

عِلْمٍ».

وَقِيلَ عَنْ هَذَا الَّذِي يَحْكُمُ حَتَّى

الْيَوْمِ: «لَا أَوَّلَ، لَا آخِرَ لِلْعِلْمِ

الَّذِي يَكُونُهُ».

وَيَصُمْتُ الْفَقِيهَ دَائِمًا

وَيَنْحَنِي مُصَدِّقًا.

- ش -

أَسْأَلُ الْكَوْفَةَ الْآنَ: مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ؟

أَيْنَ الطَّرِيقُ؟

أَلْسَمَاوَةُ صَمْتُ، وَالْفَرَاثُ وَدَجَلَةُ صَمْتُ

وَقَمُّ الْكَوْفَةِ انْشَقَّاقُ:

نَصْفُهُ بَاطِنٌ ظَاهِرٌ

ظَاهِرٌ بَاطِنٌ

نِصْفُهُ نَائِمٌ لَا يُفِيقُ

خَيْرِي أَنْ قَلْبِي نَبْعٌ وَرَأْسِي حَرِيقٌ.

* لَيْسَتْ الشَّمْسُ إِلَّا

جَسَدًا آخَرًا لِلَّيْلِ.

○ قال الراوي:

مات الحسن بن علي مَسْمُومًا
سَمَّتهُ زوجته أَمَلًا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا
من أغراها بالقتل: يزيد.

وثني الراوي:

قال يزيد:

«أَفْتَرَضَاهَا زَوْجًا وَرَفَضْنَاهَا،
وَهِيَ لَهُ؟»

وثني الراوي:

قالوا: «تسعون امرأة لم تتركه
واحدة»

إِلَّا وَهِيَ أَشَدُّ هِيَامًا.

- ت -

يَتَقَدَّمُ هَذَا الزَّمَانُ بِعُكَّازِهِ
مَائِلًا وَلَهُ شَكْلُ رُمَحٍ وَيَتْرُكُ حَوْلِي
مَا تَسَاقَطَ مِنْ أَمْسِيهِ

ويقول: اتَّكَيْءُ

وَيُدْمِدُمُ: جِبْرُكُ نَارٍ،

وَشِعْرُكَ يَشْطَحُ فِي غِيهِ.

يزيد بن معاوية سنة ٥٠
هجريّة.

الإشارة إلى الحسن بن علي.

* يَا لِهَذَا الدَّمِ الْمَتَدَفِّقِ مِنْ أَوَّلِ
الكلماتِ،
لكي يَتَخَثَّرَ فِي آخِرِ الْكَلِمَاتِ.

○ قال الزاوي،

يزوي بغضاً من أقوال زياد:

«كُتِبَ إِلَيَّ فِي فَاسِقٍ

لَا يُؤْوِيهِ إِلَّا الْفُسَاقُ،

وَأَيْمُ اللَّهِ لَا أَطْلُبُهُ، ولو بين

جلدك ولحمك،

فَإِنْ أَحَبَّ لَحْمٍ إِلَيَّ أَنْ أَكَلَهُ،

لَحْمٌ أَنْتَ مِنْهُ.»

- ث -

سَأَزْخِرُ أَتَى فَأَتَى، تُخُومِي

وَأُسَلِّمُ جِسْمِي

لِصَبَابَاتِهِ،

لِدَمٍ بَرَزَخِي،

لِفَضَاءٍ يُفَجِّرُ أَفْلَاكَهُ

فِي دُرُوبٍ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ

مِنِّي إِلَيَّ.

رسالة من زياد بن أبيه إلى
الحسن بن علي.

* سَأَصْرِفُ نَارَ الشَّعْرِ، ولكن

كيف أَصْرِفُ

نَارَ الْوَقْتِ؟

○ قال الزاوي:

قال ابن عدي:

«المخ قبراً عفوراً

كفناً منشوراً

سيفاً مشهوراً،

كيف، لماذا لا أجزع؟»

وثنى الزاوي:

قال جلادة:

«أترأه يكون أقلّ

عذاباً، لو أطفنا

هواه - تركنا له رأسه، وقطفنا

يديه؟»

- خ -

أَتَخَيَّلُ لَيْلَ التَّنَقُّلِ فِي بَلَدٍ آخَرٍ

أَتَخَيَّلُ كَيْفَ سَتَسْقُطُ بَيْنَ يَدَيَّ

النَّجُومُ، احْتِفَاءً.

هِيَ ذِي - نَخْلَةٍ فِي هُدُوءٍ

المساء الحبي

أَوَمَاتٍ، مِنْ حَنَانٍ، إِلَى

هُوَذَا - يُخْطَفُ الكَوْنُ فِيَّ، وَتَشْطَرُّ

اللُّغَةُ الخاطِفةُ

وتطوفُ السَّمَاءُ فِيَّ وَتَعْلُو رُؤَايَ

على دُرُوزِ العاصِفةِ.

حجر بن عدي، الصحابي
الذي قتله معاوية، مع سئة
من أصحابه. أمر معاوية أن
يُطالَبُوا بالبراءة من علي، فإن
أبوا تخفر قبورهم أمامهم،
وثباً أكفانهم، ثم يقتلون.

ولما مشوا إلى حجر بالسيف،
ارتعد فقيلاً له: زعمت أنك
لا تجزع من الموت.

فرّد عليهم هذا القول،

سنة ٥١ هجرية.

* لا أحيا

في هذا التاريخ، ولا أشرّد فيه

إلا كي أخرج منه.

- ذ -

أَلُودَاعَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، لِلشَّمْسِ تَضَنُّعُ مِنْ
تَخْلِهِمْ خِيَاماً لِأَحْبَائِهَا،
أَلُودَاعَ لِأَقْمَارِ تِلْكَ الْخِيَامِ، لِغُشَاكِهَا
وَلِنَاقَاتِهِمْ.

إِنَّهُ الْوَقْتُ كِي يَخْرُجَ الْوَقْتُ مِنْ قَيْدِهِ
إِنَّهُ الْوَقْتُ كِي يَنْزِلَ الْكَوْنُ ضَيْفًا عَلَيْنَا،
وَيَقْيِيءُ لِأَحْلَامِنَا وَلِأَسْرَارِنَا.

○ قال الزاوي:

أهل الشام سياج
حول يزيد.

قالوا:

من لم يخضع ليزيد
ويبايعه،

نضرب عنقه.

وثى الزاوي:

أيام الملك قدور

يطبخ فيها التاريخ،

ويطبخ فيها

رمل الذكري.

سنة ٥٢ هجرية.

* رُبَّمَا، سَوْفَ يَبْقَى شِعَاعٌ يَقُولُ
لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ: عَيْنَاكَ لَا تُبْصِرَانِ،
رُبَّمَا، سَوْفَ تَبْقَى طَرِيقٌ
تَقُودُ الطَّرِيقَ إِلَى لَا مَكَانٍ.

○ وثى الزاوية

عن مجانينِ حمقى، يُعْتَنُونَ فِي
كُلِّ يَوْمٍ:

نَتَمَنَّى عَلَى الْعِزَّةِ الْكُوكَبِيَّةِ ذَاتِ
الْجَلَالِ، الَّتِي خَلَقَتْ لِلذَّنَابِ
الْجُرَافِ،

أَنْ يُنْصَبَ فِينَا أَمِيرٌ

وَلَيْكِنْ رَأْسُهُ مِثْلَ طَبَلٍ

وَلَيْكِنْ مَاضِيِ التَّبُوسِ،

وَحَاضِرِ هَذِي الْوَحُوشِ،

وَمُسْتَقْبَلِ،

لَا أَنَاثِيدَ فِيهِ، وَلَا مَوَسِمَ، لَا
قَطَافَ

غَيْرُ حَشْدِ الْفُؤُوسِ

يَتَوَعَّلُ فِي غَايَةِ الرُّؤُوسِ.

- ض -

مِنْ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَمِنْ تَيْهِ طَيِّءٍ فِيهِ
وَفِيٍّ، وَمِنْ شَعْرِهِ،

أَتَعْلَمُ أَمْثَلَهُ

أَتَعْلَمُ سِحْرَ الْبَدَاوَةِ

تَسْرِي الْحَضَارَةَ فِيهِ - كَأَنَّ التَّخِيلَ قَبَابٌ مِنْ
حَرِيرٍ

كَأَنَّ الصَّحَارَى

لَغَةٌ فِي الْبَحَارِ وَأَعْمَاقِهَا وَكَأَنَّ الْقُلُوبَ

شُھْبٌ لِلصَّعُودِ عَلَى دَرَجَاتِ الْغُيُوبِ

آه، يَا كُوفَةَ الْوَحْيِ، يَا كُوفَةَ الْحَاثِرِينَ

آه، لَوْ تَعْلَمِينَ.

* يُجْهَلُ النَّبْعُ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي، إِلَى أَيْنَ
يُجْرِي - جَهْلُهُ عِلْمُهُ:
مَلِكٌ وَالطَّبِيعَةُ كَرْسِيَّتُهُ.

- ظ -

مِلْ قَلِيلًا، تَقَدَّمْ، مَكَانَكَ: ذِكْرِي
هَـا هُنَا خَاصَمْتَنِي دُرُوبُ
هَـا هُنَا صَالِحَتَنِي لُغَاتُ
وَهَنَّاكَ افْتَرَشْتُ التُّرَابَ، هَنَّاكَ عَنَّتْ خَيْمَةُ
أُغْنِيَاتِي
مَنْ تُرَانِي هُنَا، الْآنَ، أَوْ مَنْ تُرَانِي هُنَّاكَ؟
أَسْأَلُ هَذَا الْحُطَّامَ
أَمْ أَسْأَلُ هَذَا التُّرَابَ الْحَكِيمَ؟ تُرَانِي
شَبَّحَ طَائِفٌ
بَيْنَ هَذَا الْحُطَّامِ وَهَذَا الْكَلَامِ؟

* خَيْرٌ لِلتَّرْحَالِ وَخَيْرٌ لِلسَّكْنَى،
أَنْ يُسْتَصْفَى
مَنْفَى يَتَنَقَّلُ فِي مَنْفَى.

○ قال الزاوي،
عن شخص صار أميراً،
كانت حكمته:
كي تُنْضِجَ وَتُثَا،
إِفْطَنْعَ رَاسًا.

- غ -

لَنْ أُعْثِيَ لِتَاجٍ -

لا لَكِنْدَةٍ، أَوْ هَاشِمٍ، أَوْ هِشَامٍ

الضَّيَاءُ الَّذِي يَتَفَتَّقُ مِنْ سُرَّةِ الشَّمْسِ،
وَجْهِي: أَحَدًا لَا أَحَدَ

سَأُعْثِيَ لِيهِ الْأَبَدَ

عَالِيًا فِي الْكَلَامِ، لِيهِ الْكَلَامُ

عَالِيًا فِي الْأَبَدِ.

○ قال الزاوي

يتأمل في ما يرويه:

زَمَنٌ يُعَلِّمُكَ الْخُضُوعَ

لنملةٍ

وَلِقْشَةٍ.

وثنى الزاوي:

هُوَذَا الْحَاضِرُ مَرْتَبًا بِنَارِ الزَّمَنِ:

كَفَنٌ مُنْدَرِجٌ فِي كَفَنِ.

* أَتَرَاهُ دَمَ سَائِلٍ

مِنْ جِرَاحِ الْبَشَرِ،

ذَلِكَ الزَّمَنُ الْمُنْتَظَرُ؟

فاصلة استباق

أَمْسَكَ الطِّفْلُ بِيَدِي أَبِيهِ، سَارَ بَيْنَهُمَا

- فجأة، القتل

وَصَلَ الرِّبْعُ إِلَى حَدِيقَةِ الْبَيْتِ أَنْزَلَ حَقَائِبَهُ وَأَخَذَ يَوْزَعَهَا عَلَى الْأَشْجَارِ وَعُرُوقِ الثَّابِتَاتِ فِي
رَدَاذٍ يَنْهَمُرُ مِنْ أَطْرَافِهِ

- فجأة، القتل

هِيَ ذِي غِيْمَةٍ تَرعى الْعُشْبَ هِيَ ذِي شَمْسٍ تَنْدُقُ بِهَا اللَّغَةَ

- فجأة، القتل

نَهَضَ يَسْأَلُ الْفَجَرَ: لِمَاذَا تَرَكْتَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ عُكَازًا لِلضَّبَابِ؟

- فجأة، القتل

هَلْ يَجْفِرُ لِلنَّسِيَانِ بِحِيرَةٌ وَيَفْرُقُ فِيهَا؟

هَكَذَا يَعْيشُ فِي أَقَالِيمٍ كَأَنَّهُ لَا يَرَاهَا يَتَحَدَّثُ عَنِ الْحَجَرِ بِلُغَةِ الْهَوَاءِ عَنِ الْمَاءِ بِلُغَةِ
الْتَرَابِ يَقُولُ كُلُّ شَيْءٍ عَنِ الْهَوَى بِلِسَانِ الْإِنَا عَنِ الْإِنَا بِلِسَانِ الْهَوَى
هَكَذَا،

التَّبَسُّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي مَطْلَعِهِ كَانَ كَمَنْ يَرِيسِمُ صُورَةً يَقُولُ لِظِلِّهَا أَنْ يُعَاكِسَ الشَّمْسَ فِي هَذَا
الْمَدَى الْعُفْلُ الَّذِي يُخَاطِبُنَا دَائِمًا خُلِقْتُمْ لِلْأَبَدِ لَكُنْكُمْ تُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ
هَكَذَا،

رَأَيْنَا كَيْفَ تَحَوَّلَتْ قَدَمُ السَّيِّدِ أ إِلَى طَرِيقٍ فِي ثُقْبٍ
كَيْفَ كَانَ جَسَدُ السَّيِّدِ نَ يُثْقَلُ إِلَى قَرطَاسٍ تَكْتُبُ عَلَيْهِ الْجِنُّ أَسْمَاءَهَا
كَيْفَ أَصْبَحَ رَأْسُ السَّيِّدِ ي مَاءٍ يَضْطَرِبُ
هَكَذَا،

رَأَيْنَا التَّارِيخَ يَذُوبُ فِي أَعْضَاءِ كُلِّ مِنْهُمْ
وَيَمْنَحُ لِكُلِّ عَضْوٍ نَجْمَةً
وَالْقَمَرُ شَاهِدٌ
سَيْفٌ يَتَلَاوَلُ فِي مُعَسْكَرِ الشَّهْوَةِ دَوْرِيًّا،
يَبْطُ،

ويطعنُ أحشاءَ المكان

تخرج رَجَمَ

يخرج من الزحمة شكلاً

والحمدُ لكل التباس

في هذا المكان، حيث لا وقت لديك، لكي تَسْتَيْقِنَ أَنَّ السَّحَابَةَ ليست رصاصاً أَنَّ الوردَةَ ليست حَزْبَةً

شكُّ

يروّض الرِّيحَ أَيَّامَ

تمخرُ كَانَهَا أَسْمَاكَ شَيْئاً مَيْتَةً نحو شواطئ تَحْطِطُهَا الفُقَاعَات

والحمدُ لكل التباس.

- القتل، القتل

هكذا يُعلن: شَقَقْتُ غَضَبَ التَّحَوُّلِ طريقاً وأعطيتها خطواتي

- القتل، القتل

قالت الطريقُ اتركوني أَتَطاوَلْ لا تقلقوا إذا احتضنتُ الصَّخْرَ اسْتَبَطَنْتُ اللَّيْلَ قَطَعْتُ الْأَنْهَارَ
والجبالُ ولم يكن ضوءٌ ولم تكن بَرَازِخُ قالت الطريقُ اتركوني أَتَقَدَّمْ في رِيحٍ تتحاوَرُ مع
عُباري لا تخافوا إن استدزْتُ أو انحنيتُ أو تردَّدْتُ أو نهْتُ أو خطرَ لي أن أقولَ: إن كان
السَّحَرُ رَمَلاً فالحقيقة الماءُ أَوْ أَوْمَاتُ: تلك هي الحريةُ تُناديه لكنه لا يجرؤُ على تَلْبِيئِهَا أو
رمزْتُ: كلاً، أيها الماءُ، ليس لديك ما تنبئني به أَوْ جَهَزْتُ: سأقيمُ حَفْلاً لهذه التَّيَّابَات، عيداً
لهذه الحجارةُ يا للغبطةِ في أن تُسامَرَ الحجارةُ يا للفرحِ في أن تُعايشَ ورقاً يسقط فوقك
يَبْسُ يَمْتَزِجُ بك وما أَجْمَلَ الحلم: أن تَلْتَبَسَ عليكِ نفسُكَ اتركوني قالت الطريقُ لا
تجزعوا إن اختلفَ الشَّجَرُ تنوَّعَ العُشْبُ تكاثُرَ الشُّوكُ اتركوني قالت الطريقُ أنا أيضاً أنكرُ شيئاً
أثبتني أثبت شيئاً أنكرني

- القتل، القتل، القتل

في هذا الزَّمن الذي يتأكل ويحدودب، نقولُ: خيطُ ما يربطُ بين ماضي الولاية ومستقبلها مروراً
بالحاضر

(أوه، يا للإنسان الذي لا يرى أماته،

كلّما تقدّم إلا القديم!)

ونقولُ: بلادنا مقاماتٌ - دَنِيحُ قرايين، طلاء القبورِ بالحناء، النقطة، الهيكل الإلهي، جسدٌ يعرُجُ،

صُنْحُ الْأَزَلِّ، تاتار، جوليم، موهاريقا، بارابا

رمالٌ تتحرَّكُ

نساءٌ في سُوقِ الفواكه

في هذا الزّمن الذي يتأكل ويحدّوِب
يدخل س ١ في مكبّر الصّوت ويخفّر اسمه في الهواء
يدخل س ٢ «يُكشّطُ مِنْ وجه الأرضِ إلى لعنة رَبِّه»،
ويكون س ٣ قد سلّم روحه وجسمه وماله
لمولاه الحاكم وليّ الزّمان جَلّ ذكره
راضياً بجميع أحكامه له أو عليه

- بماذا يندر	لا يعترض لا ينكر شيئاً من أفعاله
هذا الرجل؟	سأه ذلك أم سرّه
- يزعم أنه تسلّح	في هذا الزّمن الذي يتأكل ويحدّوِب
بالقوة،	لا تفعل الأفكار لا تتقدّم إلا إذا اندفعت من فم المدفع خصوصاً أنّ «سَفَكَ الدّماءِ
لكن، هل	خصلّة مُستَحْكِمَة بين البشر منذ نشوء الأديان» كما يقول ك خصوصاً أنّ الوالي سيهبط
فحص جيّداً	هنا حيث ينصبّ تحت ملكه كما يقول م إذن اتّخذ هذه القصبّة وطناً لك
ظلامه؟	إذن انكسر أيّها القيدُ المسّمى عقلاً
- ما عزاؤك،	في هذا الزّمن الذي يتأكل ويحدّوِب
أيّها الكناريّ	يرسم المتنبي خطوط التوقّع
الذي لا يرى حوله	مربوطاً بخيط الذاكرة
غير الانقاص؟	وليس الوطن في حاجة إلى بيته بل إلى قبره
	في أرض الطوبى
	حيث الوطن مصنّع تُسيّره آله الله -

هَوَامِش



- I -

تَأْبِطُ شَرّاً

«السَّماءُ كمثلِي»، تقولُ الحِجَارَةُ، لا شَأْنَ
لِللَّغْنِمْ وَالصُّنْحُو فِي مَا تَقُولُ، وفي مَا يُقَالُ
السَّماءُ، كما عَرَفْتَهَا مَرَايَايَ، لَيْسَتْ سَوَى
دُمِيَّةٍ، والحِجَارَةُ أَهْلٌ

لِتَأْبِطُ شَرّاً

أَتَرَاهُ تَأْبِطُ يَوْمًا ذِرَاعَ السَّماءِ، وَأَنْتَ كَرَّ؟ هَلْ
خَافَ مِنْ خَيْرِهَا؟

أَتَرَى خَيْرَهَا دُمِيَّةً؟

هَؤُذَا، مِثْلَ لَيْلٍ خَذَلَتْهُ النُّجُومُ، يَسِيرُ إِلَى
شَمْسِهِ.

لِتَأْبِطُ شَرّاً قِنَاعَ

لا يَرَى حِينَ يَنْظُرُ مِنْهُ، وَتَصْدُقُ عَيْنَاهُ، إِلَّا
الْخَيَالَ.

- II -

عمرو بن بُراقة الهمداني

أَقْطُرُ أَيَّامِي وَأَشْرَبُ حَرَمَهَا
نَدِيمِي تَرْحَالَ، وَدَنِّي هَائِمٌ
لِي السَّمْسُ بَيْتٌ، وَالْهَجِيرُ مِظْلَةٌ
كَأَنِّي مِنْ أَفْصَى جَهَنَّمَ قَادِمٌ
مَحَارِبُ أَهْلِ الْمَالِ يَذْهَبُ رَبُّهَا
هَبَاءً، وَمِجْرَابُ الصَّعَالِكِ دَائِمٌ
بَلَى، مَلَأْتَنِي فِتْنَةُ الْعَيِّ نَشْوَةٌ
«وَإِنِّي عَلَى أَمْرِ الْغَوَايَةِ حَازِمٌ».

الشطر الأخير

للشاعر

عمرو بن بُراقة الهمداني

- III -

سُحيم عبد بني الحسحاس

- أَلْنَسَاءُ اللَّوَاتِي عَشِيقَتُكَ ...

- رَفَقًا بِهِ،

خَلَّ أَوْجَاعُهُ لُغَةً حَرَّةً بَيْنَ أَنْقَاضِهِ،

- وَالْجَسُورُ الَّتِي هُدِّمَتْ، وَاسْتَحَالَ
الْعَبُورُ ...

- تَرَفَّقَ بِهِ

قُلْ لِأَيَّامِهِ أَنْ تَلَمْ جِرَاحَاتِهِ مِرْقَةً مِرْقَةً

وَتُخِيطَ بِهَا شِعْرُهُ،

- وَالْبِلَادُ الَّتِي وَضَعْتَكَ عَلَى جَرْحِهَا مِلْحَ
كُزُّهُ وَرَفُضِ،

- تَرَفَّقَ بِهِ،

خَلَّهِ حَيْثُ أَلْقَى بِهِ الشَّعْرُ فِي هَوْلِ تَرْحَالِهِ،

- مَا الَّذِي قَالَهُ الْحُبُّ؟

- صِنُّوْ، وَصَدِيقٌ لَهُ.

كان عبداً أسود.

قُتِلَ خَزَقًا

بسبب تغزله الشديد،

الصريح بالنساء.

- IV -

أبو دؤاد الإيادي

هل ترى الآن ثوراً يتقلّب في جُحْرِ نملٍ*؟

ها هنا، لا نرى

غير أشواقنا «تقلّب غنوقة».

والحناجرُ تهذي: «إزفعوا رأسه فوق رُمح،
واتركوا فمه مُغلَقاً وعينيه مفتوحتين» -
سكاري

باسم غيبٍ يُحاربُ غيباً.

غير أن الأثير، يشقُّ الدخانَ السماوي،
مُتلتأً منك: هل بيننا برزخٌ لا يرى؟

قلِّ لشعرك: أبهى

لرؤاه وإيقاعه،

أن يظلّ - يرى الثورَ في جُحْرِ نملٍ والقِطاةَ
تنوءُ بأنقالها.

* إشارة إلى

قول الإيادي:

«رُبّ نورٍ

رايث في جُحْرِ نملٍ،

وقِطاةٌ تُحْمَلُ

الأنقالا».

- V -

المُهْلَهْلُ التَّغْلِي

لحظة الحبّ تجتاحها لحظة الموت، لا حمرة
لا لقاء،

والطيور تُفوّض للريح أغشاشها.

قل، متضمني.

ليكن - مثلما قلت، باسم الشيد والآله
الجاهلية

سوف تهتف للأبجدية:

جاسدينا - خذينا ودوري بقلك القصيدة في
قلك المعصية

كي نرّد إلى الأرض زهو الحياة، ونسترجع
الحبّ والخمر والأغنية.

خال امرئ القيس،

كان يلقب

«زير النساء».

الناطقة الذبياني

أدعوك؟ رجاء، أمهلني. أتحيلُ أنكَ تحيا
معنا - (أترددُ: خيرٌ أن تبقى حيث قُبرت)
وماذا تحملُ؟ شِغراً

لكن، لن تلقى الأيام جوارِي حولك
يَسْتَرْسِلُنَ كمثل سنايلٍ في أخضَانِ نَسِيمٍ.

لن تلقى نِعْماً لن تلقى سَوْقَ عُكَاظٍ

لن تلقى غيرَ الليلِ الليلِ الليلِ. رجاء،
أمهلني - كلاً، لا أدعوك، وعُذراً

يَكْفِينِي أَرْقاً أَنِي أتحيلُ كيف ستحيا

مع شعراءٍ تحكُمُ فيهم.

- VII -

عبد يغوث الحارثي

مُتْ نَزْفًا، أَسِيرًا (وشعركَ نَزَفٌ مِنْ وَرِيدِ
الْتَمُرْد) والخمرُ مسكوبةٌ فضاءً مِلءَ وجهك،
في راحَتَيْكَ، تُرى - كيف جئتَ بهذا الضياءِ
الذي لا انْطِفاءَ لأهدايهِ؟ كيف سَلَسَلْتَهُ،
وَنَسَجْتَ لَنَا مِنْهُ ثَوْبًا لَمْ يَزَلْ يَتَلَأَلُ - يَلْبَسُ
أَشْوَاقَنَا، ومقاماتِنَا والرحيلَ، -

يُحْطُ المطافُ

لِدَقَائِقَ دَلَيْتِهَا كَالْعَنَاقِيدِ فِي قُبَّةِ الدَّهْرِ؟
لكن، أَيْنَ مَنْ يَعْرِفُ الْكَرَمَةَ الْجَاهِلِيَّةَ،
وَالسَّرَّ

في نُسْغِهَا، وَالْقَطَافِ؟

أميز،

وَتُخَيَّرُ كيف

يرغب أن يموت.

اختار أن يشرب

الخمر، ويقطع عرقه

الأكحل،

ويموت نَزْفًا.

- VIII -

عَتْرَة

عَتْرَة

لِيَدِيكَ، لِسَيْفِكَ، لِلْبَرْقِ فِي «ثَغْرِهَا
الْمَتَبَسِّمِ»،

فِي كَأْسِهَا الْمُسْكِرَةِ،

يُشْعَلُ الشَّعْرُ قَنْدِيلَهُ.

ضَعَّ حُسَامَكَ فِي غَمْدِهِ

ضَعَّ يَدَيْكَ عَلَى صَدْرِ عَبْلَةٍ - فِي نَبْضِهَا:

سَتَغْنِيكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْجِ، مَوْجُ الْقُرُوسَةِ
وَالْحَبِّ، جَوَابَةً شَامِسَةً

لُغَةِ النَّشْوَةِ الْأَمِيرَةِ، وَالصَّبُورَةِ الْحَارِسَةِ.

- IX -

عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِي

أَثْرَاكَ الْكَلَامُ الَّذِي قُلْتَهُ، أَمْ تُرَاكَ الْكَلَامُ
الَّذِي شِئْتَهُ وَتَمَنَعْتَ عَنْ قَوْلِهِ، أَوْ مُنِعْتَ؟
إِذَنْ، أَيْنَ أَلْقَاكَ؟

فِي الثُّطُقِي، أَمْ خَلَفَ صَمِتِكَ؟ يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ
الْأَمِيرُ عَلَى الْفَقْرِ، يَا أَيُّهَا الْمُتَوَعِّلُ فِي رَفْضِهِ
وَالشَّرِيقُ دَمٌ لِعُرُوبِكَ، مَنْ أَنْتَ؟

وَجْهَكَ فِي حَيْرَةٍ،
وَأَنَا، مِثْلَ وَجْهِكَ، فِي حَيْرَةٍ.

عاش ومات فقيراً. سجنه
العثمان بن المنذر، وقهر أن
يقتله.

سأله أن يمدحه، ليعفو عنه،
فرفض قائلاً: «أما وأنا أسيرُ
لديك، فلا.» قال له: «نزدك
إلى أهلك، ولنلتزم رَفْدَكَ»،

فأجابه: «أما على شَرَطِ المديح
فلا».

ثم رواه من الخمر، تلبيةً
لطلبه، وقطع له عِزُّه
الأكحل، وتركه يَسِيلُ دُمُه
حتى مات.

- X -

دَوَيْدُ بْنُ زَيْدِ الْحَمِيرِيِّ

«أوصيكم شراً بالناس»: أصدوتك هذا؟

و«البيت الموث»: أصدوتك هذا؟

يأتي خشناً في موكبِ صمتٍ

نسمع فيه حُزناً مخنوقاً، غَضَباً مُرّاً

ونرى أطيافَ نساءٍ يبكين

نرى غزلاناً تبكي معهن - أصدوتك هذا؟

يجري ملءَ خيوطِ الشمسِ، يطوفُ علينا،

يسكنُ فينا

صدوتك جُرحٌ

والعالمُ نَزَفٌ مِنْهُ.

لا يُعرف تاريخ موته،

وهو من المعمرين.

قُبيل موته، كتب

قصيدةً قال فيها:

«اليوم، يُبني لدَوَيْدِ

بيته.»،

وقال لأبنائه، وهو يُحتَضَرُ:

«أوصيكم بالناسِ شراً.»

III

إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثَمَا كَانَ

الْمُتَنَبِّي

- أ -

أَثْرَاهَا الطَّرِيقُ لِبَغْدَادَ جُرْخُ؟
إِهْدَايَ، يَا عَوَاصِفَ ظَنِّي - أَحْسُ: التَّلَالُ
تُلُوْخُ،
وَالْأَفْقُ يَفْرَشُ مِنْدِيلَهُ الطَّوِيلُ
وَكَأَنَّ السُّهُولَ عَبَاءَاتُ حُبِّ
وَذِرَاعُ تُطَوِّقُ خَضَرَ الرَّحِيلِ.

○ قال الزَّوَي،

يَسْتَقْصِي سَفَرَ الشَّعْرَاءِ

فَاتُوا زَقَّ غَرَالٍ

تَبْكِيهِ الصَّحْرَاءِ

لِنَخْطُ عَلَيْهِ نَبَأَ التَّرْحَالِ،

وَنَذَرُوْ

رَمَلِ الْمَغْنَى.

* سَفَرٌ:

جُرْخُ مَفْتُوحٌ
فِي أَنْحَاءِ الْأَرْضِ.

- ب -

يَسْبَحُ اللَّيْلُ فِي مَاءِ عَيْنِي، لَكِنْ
لَمْ أَعُدْ أَتَذَكَّرُ تِلْكَ النُّجُومَ
الَّتِي رَافَقَتْنِي،
فَاتِحَ سَاعِدَيَّ وَصُدْرِي
لِلنُّجُومِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ فِي فَلَكِ
آخِرٍ.

○ قال الراوي،

يتذكر واحاتٍ

تَنفَسُ خَائِبَةً

لهجير هواها:

في خطواتِ الشاعر،

أتى سار،

مُحَابِرُ ضَوْءٍ.

* وَرَدَّةٌ عَلَّمَتْ غُزِيهَا
أَنْ يَكُونَ مُقَاماً لَهَا،
عَلَّمَتْ عَطْرَهَا
أَنْ يَكُونَ طَرِيقاً.

○ أَخَذَ الزَّائِرُ

يَنَازِلُهُ فِي حَيْرَةٍ:

أَوْ

مِنْ ذَلِكَ الْحِجَابِ

الَّذِي أَسْدَلَتْهُ

السَّمَاءُ عَلَى وَجْهِهَا.

- ج -

لَأَبِي الْفَضْلِ فِي الْكُوفَةِ السَّائِلَةِ

لُغَةً لِلْجَوَابِ - صَفِيًّا:

نُورُهُ طُرُقٌ لِلْأُلُوهَةِ، وَالْعَالَمِ الْقَافِلَةِ.

مِثْلُهُ - اجْتَمَعَ الْكَوْنُ فِي كَيْدِي، وَأَفْتَرَقَ.

وَأَكْرَرَ مَا قَالَهُ:

لِلْيَقِينِ سَرِيرُ الْفَرَاغِ،

وَلِلْأَرْضِ وَجْهُ الْعَسَقِ.

أَبُو الْفَضْلِ الْكُوفِي شَخْصِيَّةٌ

غَامِضَةٌ خَصَّهَ الْمُتَنَبِّي بِقَصِيدَةٍ

بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ بَادِيَةِ السَّمَاءِ.

كَانَ فِيلَسُوفًا، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي

أَصْلُ الْمُتَنَبِّي وَهُوَ سَهْوَ عَرَفَهُ

بِالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ.

يَقُولُ الْمُتَنَبِّي فِي قَصِيدَتِهِ،

مُخَاطَبَةً:

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَاهُوتِيَّةٌ

فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَ.

* أَرْضٌ لَا تَدْعُو أَحَدًا

لِيَنَامَ عَلَى كَتِفَيْهَا

إِلَّا بَعْدَ فَوَاتِ الْوَقْتِ.

ليست الكوفة الآن حيث أراها
ما الذي يتغيّر في الكون، لو تُهدم
الكوفة الحاضرة
لو تشظّت وعادت حُفنة من هباء؟
لا طريق إلى الكوفة الغابرة
غير تلك التي تتملّل فيها، وتجهّر: كلاً،
ليست الكوفة الآن حيث تراها.

○ وثنى الراوي: _____

لهبّ خامد،

والزمان رماد

أتراه المكان يموت

وهذا الزمان جداد؟

وثنى الراوي:

زمن - حيوان غريب

رأسه قدماه.

* أتركوه لتهيامه،

يقرأ الغيب في وزدة

ويقول الكلام الذي ليس من

كلمات.

○ «أَتَرَاهَا الدُّرُوبُ،

مَتَى ارْتَسَمَتْ أَظْلَمَتْ؟» سَأَلَ
الرَّأْيِي،

وَتَنَى قَائِلًا:

بِاسْمِ أَوْلَئِكَ السَّائِرِينَ

إِلَى التَّوَرِّ، فِي

غَيْهَبِ الْكُرَّةِ السَّائِرَةِ،

يَفْتَحُ الشَّعْرَ مَا تُغْلِقُ

الدَّائِرَةَ.

- ه -

لَسْتُ مِنْ هَاهُنَا أَوْ هُنَاكَ،

مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمُتَطَفِّئِ

قَدَمَايَ تَحِيثَانِ مِنْ طُرُقِ

لَمْ تَحْجِءِ

أَتَقَدَّمُ فِي ظُلُمَاتِ الْمَكَانِ

تُرْجَمَانًا وَضَوْءًا لِهَذَا الزَّمَانِ.

* عِطْرٌ

لِكَايَةِ هَذَا الْعَضْرِ،

يَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِ الشُّعْرِ.

- و -

شَهَوَاتِي تُشْرِعُ أَبْوَابَهَا

نَحْوَ بَغْدَادَ

(هَل قُلْتَ: بَغْدَادُ مَكْسُورَةٌ

بِتَبَارِيحِهَا؟)

لِيَكُنْ بَيْنَنَا التَّبَاسُّ.

أَتَرَاهَا رُسِمَتْ فِي كِتَابِ الْخَلِيفَةِ مَشْطُورَةً

بَيْنَ نَارٍ وَنَارٍ؟

أَلْخَرَابُ يَجْزِي عَلَى أَرْضِهَا خُطَاهُ

وَحُطَاهَا

لَا تَقْوُدُ إِلَى أَيِّ ضَوْءٍ.

سنة ٦٠ هجرية.

○ كان الزاوي يُجِيشُ، وهو
يقصُّ علينا:

مات مُعَاوِيَةُ، سَمَاءُ عَمْرٍ:
كُشِّرَى.

قالوا عنه:

أَوَّلُ مَنْ رَبَطَ الْعَالَمَ

بِيرِيدٍ،

وَأَسْتَضْفَى الْخِضْيَانُ

لِخْدَمَتِهِ،

أَوَّلُ مَنْ أَسَسَ

دِيوَانَ الْخَاتَمِ.

* مُنْتَهَى فِكْرِهِ:
قَلَقٌ يَتَقَلَّبُ فِي جُمْرِهِ.

○ أَخَذَ الزَّائِرُ

يَتَذَكَّرُ كَيْفَ تَدَاعَى

الزَّمَانُ سَوَادًا،

وَتَرْتِعُ فِي مَقْعَدِ

مِنْ دَمَاءٍ،

وَيَسْأَلُ: أَيْنَ الْغَدُو،

وَأَيْنَ الرِّوَاخُ؟

وَيُلْدُنِدُنُ مُسْتَوْجِشًا:

لَا جَوَابَ،

وَلَنْ أَسْأَلَ الرِّيَاخَ.

- ز -

كَيْفَ تَنْفَكُ مِنْ قَيْدِ هَذَا التَّشْرِيدِ،

مِنْ أَسْرِ هَذِهِ الْإِقَامَةِ

فِي غِيَاهِبِ تِلْكَ الْخِلَافَةِ، أَوْ هَذِهِ الْإِمَامَةِ؟

عَجَبًا، - نَتَكَسَّرُ، نَبْنِي جُسُورًا

لَا لِنَعْبُرَ، لَكِنْ لِنَرِثِي أَنْقَاضَنَا.

* أَتُرَاهُ الدَّمْعُ

شَجَرٌ سِرِّيٌّ لِعُبَارِ الطَّلَعِ؟

○ قال الراوي :

في طَسَبٍ، جاؤوا بالرَّاسِ،
نَصَبُوهُ فِي سَاحَاتِ الشَّامِ.
وَقَالَ أَنَسٌ: كُفِّتْ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ، الشَّمْسُ.

وثى الراوي :

اخْتَزَتْ كُلُّ رُؤُوسِ الْقَتْلِ،
جَاءَتْ هَوَازُنُ بَعِثَرِينَ رَأْسًا،
تَمِيمٌ بِسَبْعَةِ عَشَرَ، كَنْدَةُ بِثَلَاثَةِ
عَشَرَ، مَذْحِجٌ بِسَبْعَةِ رُؤُوسٍ،
بَنُو أَسَدٍ بِسِتَّةٍ، وَجَاءَ سَائِرُ
الْجَيْشِ بِسَبْعَةٍ.

وثى الراوي :

يَكْتُبُونَ الْحَيَاةَ عَلَى كَاغِدٍ

مِنْ دَمٍ،

وَالْخِلَافَةُ يَحْرَابُهُمْ.

- ح -

خَلَعْتُ نَجْمَةً ثَوْبَهَا
وَأَتْنِي لِلْهَوَى فِي حَضَنِ دَجَلَةٍ - تَهْنَأُ
قِرَانًا، كَتَبْنَا،

نَجْمَةً لَا تُحِبُّ زَهِيرًا

وَتَعَشَّقُ لَامِيَةَ الشُّنْفَرِ

لَمْ يَنْمِ مَرَّةً فَوْقَ رُؤْدِ الْقَبِيلِ،

وَلَمْ يَزْجَعْ الْقَهْقَرَى.

* يَتَدَثَّرُ ثَوْبَ الْهَجِيرِ، احْتِفَاءً
بِنَقْطَةِ مَاءٍ.

رأس الحسين سنة ٦١
هجرية.

- ط -

تتخَصَّمُ صُورَةُ هَذَا الْمَكَانِ وَمَعْنَاهُ فِيَّ -

النَّهَارُ وَأَشْيَاؤُهُ، اللَّيْلُ وَالْحُلُمُ، هَذَا الْفِرَاشُ
الَّذِي تَتَنَاحَرُ أَشْبَاحُهُ فِي ثِيَابِي، ذَاكَ الْجِدَارُ
الَّذِي مَالَ فَوْقِي أَوْ كَادَ، - أَمْسَكْتُ
بِالْوَقْتِ:

عَضْرِي رَمَادٌ وَالتَّوَارِيخُ قَشٌّ
فَجَاءَ -

فِي خُطَايَ، وَفِي كَلِمَاتِي، يَتَوَثَّبُ طِفْلٌ.

* يَنْبَغِي أَنْ يُزَوَّجَ حَبْرُ الْحَيَاةِ إِلَى
لُجَّةٍ،
حَسَنٌ أَنْ يَكُونَ مَكَانُ الزَّوْاجِ
مَحِيطًا،
حَسَنٌ أَنْ يَكُونَ الْمَحِيطُ سَرِيرًا.

○ أَخِيرَ الرَّأْيَةِ، نَقْلًا عَنِ الشُّيُوطِي
فِي «تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ»، قَالَ:

«لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ، مَكَثَتِ الدُّنْيَا
سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَالشَّمْسُ عَلَى
الْحَبِطَانِ كَالْمَلَّاحِفِ الْمَعْصُفَةِ،
وَالْكَوَاكِبُ يَضْرِبُ بَعْضُهَا
بَعْضًا. وَاحْمَرَّتْ آفَاقُ السَّمَاءِ
سِتَّةَ أَشْهُرٍ، بَعْدَ قَتْلِهِ. وَقِيلَ: لَمْ
يُقَلِّبْ يَوْمَئِذٍ حَجَرًا فِي الْبَيْتِ
الْقُدْسِ إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ دَمًا
غَبِيطًا.

وقيل: نَحَرُوا نَاقَةً، فَكَانُوا
يُرُونَ فِي لَحْمِهَا مِثْلَ الثَّيْرَانِ.
طَبَخُوهَا، فَصَارَتْ مِثْلَ الْعَلَقَمِ.
فِي قَتْلِهِ قِصَّةٌ - فِيهَا طَوْلٌ لَا
يَحْتَمِلُ الْقَلْبُ ذِكْرَهَا.»

وَتَنَى الرَّأْيَةِ:

أَثَرَاهَا الْحَقِيقَةُ فَتَوَى

رَجُلٌ تَتَحَارَبُ فِيهِ:

تَبَيَّرَ مِنْهُ، أَوْ نَكُونُ ظِلَالًا لَهُ؟

- ي -

مَا الَّذِي يَفْعَلُ التَّخَوُّ وَالصَّرْفُ؟ أَسْأَلُ إِبْنَ
دُرَيْدٍ، وَأَكْرَرُ هَذَا السُّؤَالَ عَلَى الْفَارِسِيِّ،

هُوَذَا الْغَيْبُ يَأْتِي إِلَيَّ

أَتَقْرَأُهُ فِي صَمْتِهِ وَأَرَى وَجْهَهُ

وَأَلَامِسُ أَطْرَافَهُ وَأَخْصُ يَدَيْهِ وَأَهْدَابُهُ،
وَأَرَى كَيْفَ يَصْعَدُ فِي سُلْمِ الْفَجْرِ، يَهْبِطُ
فِي سُلْمِ الْمَسَاءِ،

لَا أَضِيفُ إِلَيْهِ، لَا أَشَاءُ الَّذِي لَا يَشَاءُ،

وَأَرَى كَيْفَ يَفْتَحُ أَحْضَانَهُ

لِلْمَلَائِكَةِ أَحْلَامِي الْمَارِدَةِ، -

نَحْنُ فِي جُبَّةٍ وَاحِدَةٍ.

○ زَعَمَ الرَّأْوِيهِ

أَنَّ نَهْرَ الْفَرَاتِ، اسْتَحَارَ،

وَذَوَّبَ فِي مَائِهِ الْحُسَيْنَ:

جَسْمُهُ ضِفَّتَاهُ، وَزَنْدَاهُ جَسْرُ

عَلَى الضَّفْنَيْنِ.

وَتَى الرَّأْوِيهِ:

أَنَّ أَرْضَ الْفَرَاتِ

كَتَابٌ، وَالزَّوْوسُ الَّتِي

قُطِعَتْ -

بَعْضُهَا أَنْطَرٌ،

بَعْضُهَا صَفْحَاتٌ.

أبو علي الفارسي (توفي سنة
٣٧٧ هـ.)

وأبو بكر بن دُرَيْدٍ (توفي سنة
٣٢١ هـ.)

من العلماء الذين لقيهم المتنبي
في بغداد.

* إِنَّهُ الْفَجْرُ لَا يَنْحِنِي
لِسَوَى ضَوْئِهِ.

- ك -

يركضُ الوقتُ فيَّ - الرياحُ أضاعَتْ
لقاحاتها،

وأنا لَسْتُ إِلَّا غريباً يتوَهَّمُ أَنَّ النجومَ بيوتُ
له،

وَكأنِّي أضغي إلى حُطواتِ الأصيلِ

في الطريقِ إلى بيتِهِ عابراً حِينًا

وَكأنِّي أَرى كيفَ يَحْنُو، يَمدُّ شرايينَهُ سُرُراً
لِلنَّخيلِ،

وَكأنِّي أَرى الكوفةَ الجميلةَ تُولَدُ في طفلها
الجميلِ.

○ قل لنا أيها الزاوية

قل لنا، مرةً واحدة

بسرٍّ أحزانك الباردة.

لم يُحِب. وتروى،

روى:

جربوا، حاولوا

جمّعوا ما تنأثر منه،

أعيدوا لهذا المقطعِ

أشلاءهُ

- لم يعد رأسه صالحاً

- ويداه بلا معصمٍ

- فتنةُ والزُّؤوسِ وقودُ لها.

وتنى الزاوية،

بتأملٍ في حيرة:

* لا ذُرْوَةَ إِلَّا من هاوية، -

هل تَعْرِفُ كَيْفَ يُتَلُّ على أَبوابِ
الظُلْمَةِ خُدُّ المَعْنَى؟

ألفكرة قُتِلَ أو مَقْتَل:

تلكم مائدة الماضي

أتراها مائدة المُسْتَقْبَلِ؟

- ل -

أَعْصَا شَقَّتِ الْمَاءَ؟ أَصْغَى لِذِجْلَةٍ

يَسْأَلُ أَسْمَاكَ:

هَلْ رَأَيْتِ الْحِكَايَةَ تَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، أَوْ هَلْ

سَمِعْتَ مَلَكَآ يَتَحَدَّثُ فِي مَوْجَةٍ؟

ذِجْلَةٌ يَتَغَطَّى بِأَهْدَابِهِ،

وَيَتَمَتُّمُ أَشْعَارُهُ:

يَحْرَسُونَ طَوَاغِيَتَهُمْ وَيُرَبِّونَ أَغْلَالَهُمْ،

وَانْظُرُوا: تِلْكَ أَيْدِيهِمْ

لَا تَصْفُقُ إِلَّا إِذَا قُتِدَتْ.

○ قال الزاوي:

نَقْلًا عَنْ أَشْخَاصٍ

نَقَلُوا عَنْ أَشْخَاصٍ،

قَالُوا:

«لَوْ كَانَ الْمَعْنَى عِنْدَ

قَرِيشٍ مَاءٍ

لَسَبَحْنَا فِيهِ،

وَلَخَوَضْنَا،

وَلَأَشْرَفْنَا،

وَأَسْتَشْرَفْنَا.

لَكِنَّ الْمَعْنَى عِنْدَ قَرِيشٍ

سَنَيْفٌ، أَوْ كَرْسِيٌّ،

أَوْ حُفْنَةُ مَالٍ.

وَتَنَى الزاوي:

نَهْرُ دِمَاءٍ

يَتَبَجَّسُ مِنْ شَرِيَانِ الْوَقْتِ

فِي صَحْبٍ حِينًا، حِينًا فِي

صَمْتٍ.

* أَلْكِتَابَةُ؟ هَيْئَةُ لَجَبْرِكَ مَوْجِ

الْتَّرْحُلِ، وَاهْمَسْ لِشَاطَانِهِ

أَنْ تَظَلَّ بِلا مَرْفَأٍ.

○ وَثْنِي الرَّأْيِيَّةَ :

«أَلَفَ عَذْرَاءَ فَضَّتْ، أَبَاحَ

يَزِيدُ وَعَمَّالُهُ

الْمَدِينَةَ - أَشْرَافَهَا،

وَقَرَّاءَهَا،

وَأَبَاحَ النِّسَاءَ.

وَثْنِي الرَّأْيِيَّةَ :

«نَخَافُ أَنْ تَرْجِمَنَا السَّمَاءُ

بِالْحِجَازَةِ،

إِنْ نَحْنُ لَمْ نَخْرُجْ عَلَى يَزِيدٍ.»

وَثْنِي الرَّأْيِيَّةَ :

إِنَّهُ الطَّاعِيَّةُ

يَدُهُ دَائِمًا

حَزْبُهُ دَائِمِيَّةٌ.

- ٣ -

لَا أَرَى غَيْرَ رَأْسٍ يُرْجَلُ فِي عَارِهِ

غَيْرَ رَأْسٍ تَدْحَرَجُ عَنْ كَتْفَيْهِ، -

الرَّؤُوسُ كُرَاتٌ

فِي مَدَارِ الْعُرُوشِ وَسَاحَاتِهَا،

اللَّاعِبُونَ

تَتَمَسَّرُ أَهْوَاؤُهُمْ فَوْقَ نِطْعٍ،

وَأَتَعِظُ،

أَيُّهَا الشَّاهِدُ، الْأَلِيفُ لِصَخْرَاءِ هَذَا

الْجَنُونِ.

* مَنْ يَقُولُ: الْحَيَاءُ ثَوَانٍ، وَتَعْبُرُ؟

كَلَّا،

الْحَيَاءُ دَمٌّ وَأَظَافِرُ،

وَأَنْظُرُ لِأَثْيَابِهَا.

الإشارة إلى يزيد بن معاوية،
سنة ٦٣ هجرية.

الكلام لأهل المدينة.

- ن -

زَهْرَاتٍ عَلَى قَدَمَيَّ تَمُوتُ، وَمَاتَتْ شَهَوَاتُ،
وَلَكِنَّ أَسْمَاءَهَا بَقِيَتْ فِي عُروقي، وَأَجَاهِرُ
أَنَّ الرَّبِيعَ الْأَخِيرَ الَّذِي زَيْنَ الْأَرْضَ كَانَ
غَيْبًا

وَأَشْهَدُ أَنَّ الْخَرِيفَ الَّذِي جَاءَ فِي إِثْرِهِ كَانَ
طِفْلًا

أَسَرَّتْنِي تَقَاطِيعُهُ، -

لَا اللَّقَاءَ شِفَائِي، وَلَسْتُ الْمَعَذَّبَ يَوْمَ الْفِرَاقِ
أَشْطَرُ الْوَقْتِ - أُعْطِي إِلَى الشَّعْرِ شَطْرًا،
وَشَطْرًا إِلَى حُلْمٍ لَا يُطَاقُ.

* تَارِيخٌ -

أَلْأَشْيَاءُ خِرَافٌ فِيهِ، وَالْكَلِمَاتُ
ذَنَابٌ وَالظُّلُمَاتُ الْمَغْنَى.

○ وَثْنَى الزَّوَاي: -

قَالُوا: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: سَيَقْتُلُ
فِي هَذِي الْحَزَّةِ أَصْحَابِي وَخِيَارُ
الْأَمَّةِ».

وَثْنَى - قَالُوا:

قَالَ يَزِيدُ لِلْمَرْزِيِّ: «السَّيْفُ
السَّيْفُ،

لَا تَتْرُكُ أَحَدًا».

وَثْنَى الزَّوَاي - قَالُوا:

«أَخْذُوا فَاسَأْ شَقُّوا رَأْسَهُ -
سَطَقَتْ مِنْهُ أَثْوَارٌ».

- «كَلَا، لَا تَقْتُلُهُ

هَذَا مِنْ أَصْحَابِ

رَسُولِ اللَّهِ،

- ذَلِكَ أُخْرَى:

نَاجِثٌ طَاعَةٌ -

حُزُّوا رَأْسَهُ».

الإشارة إلى يَوْمِ الْحَزَّةِ، سنة
٦٣ هجرية.

مسلم بن عُقْبَةَ الْمَرْزِيِّ الَّذِي
كَلَفَهُ يَزِيدُ بَغْزُ الْمَدِينَةِ. لُقِّبَ
بِـ «الْمُسْرِفِ»، لِإِسْرَافِهِ فِي
نَهْبِ الْمَدِينَةِ، وَتَهْدِيمِهَا، وَفِي
الْقَتْلِ.

الإشارة إلى الصَّحَابِيِّ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ.

حِوَارِ بَيْنَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ
وَمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ.

٥ وثنى الراوي:

قالوا - كان المزي يقول:

«مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ، فَسَأَعْطِيهِ مَا يَطْلُبُهُ».

وثنى الراوي:

أضغوا للخذري يقول:

«نَتَقُوا شَعْرِي، نَهَبُوا بَيْتِي،
حَتَّى زَوْجِ حَمَامٍ كَانَ يُرَوِّحُ عَنِّي
أَخْذُوهُ مِنِّي».

وثنى الراوي:

- «أَعْطُوهُ يَشْرَبْ،

أَرَوَيْتَ؟

- نعم،

- يا مُفْرِخْ،

قَدْ مَنَّهُ، وَاضْرِبْ عُنُقَهُ».

وثنى الراوي:

«أَلَا تَلَكُمُ الْأَنْصَارُ تَنَعَى سُرَاتِهَا

وَأَشْجَعُ تَبْكِي مَعْقِلَ بْنِ سَنَانٍ».

حقاً، لِلْإِسْلَامِ غَيَوْمٌ تُمْطَرُ سَمَاءٌ.

- س -

هُوَذَا أَرَسَمُ شَكْلَ السَّحَرِ الطِّفْلِ عَلَى كَفِّ
الزَّمَانِ

قَارِئاً صَمَتَ الْمَكَانِ،

وَأَنَا الْوَقْتُ - انْتَهَزْتُ الشَّمْسَ فِي مُخْدَعِ
جَوَابِ، أَنَا الصَّارِخُ: هَذَا الْكَوْنُ مَوْجٌ،
وَأَنَا الْمُبْجَرُ، وَاللَّجُّ الَّذِي أَفْتَحِمُ الْآنَ،
وَأَسْتَرْسِلُ فِي أَحْشَائِهِ
السَّكْرَى، رِهَانٌ.

* يَتَقَصَّى الشُّرُوقَ بَعَيْنِ الْأَفْوَلِ، -
أَتَرَاهُ يَهْتَبِي لَوْنًا لِحَبْرِ الْفُصُولِ؟

مُسلم بن عُقبة المزي في يوم
الحرّة.

الكلام لأبي سعيد الخذري.

الكلام للمزي والإشارة إلى
الصحابي معقل بن سنان
الأشجعي.

- ع -

غَضَبِي يَتَشَرَّدُ فِي غَنِيهِ،
غَضَبِي - لَا هُرُوبَ، وَلَا كِبْرِيَاءَ
لَا قَبِيلَ وَلَا رَايَةَ.
بشراراته
يَسِمُ الْأَمَكِنَةَ
صَاعِدًا، يَتَفَجَّرُ مِنْ كَبِدِ الْأَزْمَنَةِ.

○ قال الراوي:

جُعِ الْأَسْرَى فِي يَوْمِ الْحَرَّةِ، -
قولوا:

«ما نملكه

خَوَّلَ لِيَزِيدَ

وَلَهُ أَنْ يَقْضِيَ فِينَا

كَيْفَ يَشَاءُ».

- أَفَلَسْنَا فِي الْإِسْلَامِ

سَوَاءٌ؟

- وَلَيْنَ هَذَا الْقَوْلُ؟

خُذُوهُ

خُزُوا رَأْسَهُ.»

وثنى الراوي - قالوا:

«بَلَّغَ الْقَتْلَى فِي هَذَا الْيَوْمِ

عَشْرَةَ آلَافٍ،

مِنْهُمْ عَشْرَاتُ

مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ.»

وثنى الراوي:

خَشَعَشَاشَ - ذَكَرَ غَنِيِّي

يَتَنَزَّلُ فِي أَرْضِ خُنْتَى.

الحوار بين مسلم بن عقبة
المزي وأحد الأسرى.

* صَلْبُ هَذَا الْمَكَانِ اثْتِكَالٌ، -
أَتَرَاهُ الزَّمَانُ فَرَاشَ، وَمَهْدَ لَهُ؟

○ قال الراوي:

نَصَبَ ابْنُ نُمَيْرٍ مَجَانِقَهُ،

وَرَمَى كَفْبَةَ الْمُؤْمِنِينَ بَنِيرَانِهِ، -
هَلُمْتُ، سَوَيْتُ رِمَادًا.

وَالْقَرْنَانِ اخْتَرَقَا.

رَأْسُ التَّعْمَانِ يُحَزُّ وَيُلْقَى فِي
حُجْرِ امْرَأَتِهِ.

وَتَى الرَّأْي:

مَاتَ يَزِيدٌ، وَالْقَتْلُ حَصَادٌ
أَعْمَى.

وَتَى الرَّأْي:

أَزْوِي الثَّارِيخَ، وَلَكِنْ كَيْفَ
سَأَزْوِي مَا بَعْدَهُ؟

كَيْفَ أَكُونُ صَدِيقَ الْوَقْتِ
وَصِدَّةً؟

- ف -

أَتَقَدَّمُ خَارِجَ تِلْكَ الشَّرَائِعِ، تِلْكَ الْمَسَارَاتِ،
- هَلْ جَسَدِي فَائِضٌ عَنْ مَدَاهَا؟ أَتَقَنُّعُ؟ مَا

سَيَقُولُ الْقِنَاعُ سِوَى أَنِّي الْحَرْبُ - مَهْمُوسَةٌ؟

أَأْمَزُقُ هَذَا الْقِنَاعَ، وَمَا سَيَقُولُ التَّمَزُّقُ؟ هَلْ
سَيَقُولُ سِوَى أَنِّي الْحَرْبُ - مُجْهُورَةٌ؟

خَصَيْنَ بَنُ نُمَيْرٍ، سَنَةَ ٦٤
هَجْرِيَّةً.

هُمَا، فِيمَا زُوِّي، قَرْنَا الْكَبِشِ
الَّذِي قَدَّى بِهِ اللَّهُ إِسْمَاعِيلَ،
وَكُنَّا فِي سَقْفِ الْكَعْبَةِ.

التَّعْمَانُ بَنُ بَشِيرِ الْأَنْصَارِيِّ.

يَزِيدُ بَنُ مَعَاوِيَةَ.

* هَلْ يَتَلَأَلُ نُورٌ
فِي مِشْكَاتِ دِمَاءٍ؟

○ قال الراوي:

بائع الناس في الشام لابن
يزيد،

ودعا ابن الزبير إلى نفسه.

وثى الراوي:

مرج راحط حقل

من دم ورؤوس.

زفر فر منه، -

تقدوه، فرد عليهم:

«أيدمب يوم واحد، إن أسأته

بصالح أياي،

وحسن بلائنا؟»

- ص -

جفت خطاها، وأجذبت يدها:

شمسي في قفريها

تخرج في داخلي، -

«بش الليالي، سهرت من طربي

شوقاً إلى من يبقدها

أحييتها والدموع تنجدي

شؤونها، والظلام ينجدوها*»

* من قصيدة كتبها المتنبي في
محمد بن عبيد الله العلوي،
عندما جاء إلى بغداد، للمرة
الأولى. يقول فيها: «فني
فؤاد المحب ناز جوى

أحر نار الجحيم أبردها.»

* فلك للإشارات: وجه يلبس وجه

الشرز

جارياً في بروج الطبيعة، مستسلماً

للصوز.

يشير الراوي إلى معاوية بن
يزيد، سنة ٦٤ هجرية،
والى زفر بن الحارث.

- ق -

أَلطَّرِيقُ، وَذَاكَرَةُ تَتَنَزَّهُ فَوْقَ الثَّرَابِ، وَتَحْتَ
الثَّرَابِ، ثُرَابٌ
يَتَقَمَّصُ - وَفَتِي قَمِيصٌ لَهُ.

أَلطَّرِيقُ، وَهَذَا الْحَرِيقُ الَّذِي يَتَصَاعَدُ فِيَّ -
الطَّرِيقُ، وَأَدْخَلَ فِي فَلَكٍ لِلْإِشَارَاتِ: مَاذَا؟
وَأَضَعَيْتُ، أَضْعِي:

تَتَوَهَّجُ فِي الْمَصَابِيحِ، تِلْكَ الَّتِي سُمِّيَتْ
جِرَاحًا.

الإشارة إلى الثوابين، وإلى
المعركة التي سُميت باسمهم،

سنة ٦٤ هجرية.

○ قال الراوي:

تَابُوا مِنْ خِذْلَانِ حُسَيْنٍ

فِي يَوْمِ الطَّفِّ،

تَنَادَوْا لِلثَّأْرِ، -

الثَّأْرُ يُسَاوِي بَيْنَ الْعَالَمِ وَالْجَاهِلِ

وَالثَّأْرُ يُشَكِّكُ فِي نَفْسِهِ:

كَيْفَ يَمُوتُ غَدٌ عَنْ أَمِيَّةٍ؟

وَتَى الرَّاوي:

كَلَّا، لَا يَغْسِلُ عَارًا،

لَا يَغْطِي حَقًّا

قَتْلُ الْقَاتِلِ.

وَتَى الرَّاوي:

قُتِلَ التَّوَابُونَ جَمِيعًا، إِلَّا أَفْرَادًا.

وَتَى الرَّاوي:

هَلْ يَقْدَرُ جَانٍ أَنْ يَغْسَلَ ثَوْبَهُ

بِمِيَاهِ الثَّوْبَةِ؟

* لَا يَقْرُ: الدُّرُوبُ شَهِيقٌ لَهُ،

وَزَفِيرٌ، -

حِكْمَةُ الرِّيحِ تَمْضِي بَعِيدًا بِهِ.

○ أخبر الزاوية:

قال مروان: كلا،

لن تكون المدينة

لابن الزبير، غزاها

بجيش كان رأساً عليه حبيش.

هزم الجيش:

أعناقهم ضربت كلها.

وثى الزاوية:

خز رأس سليمان/

مات الخليفة،

عاش ابنه.

منبج، طيء، كلاب،

وتنوخ، وأوس، -

أفق كالح

والرمال على كتفيه وشاخ

ما الذي تحمل الريح، هذا الصباخ؟

أشرد فيك - ثرائي أستشرف الغيوب

أيهدي الدروب الدروب؟

الإشارة، تبعاً، إلى:

مروان بن الحكم، سنة ٦٥ هجرية. حبيش بن ذلجة.

الصحابي سليمان بن صرد.

عبد الملك بن مروان.

* لا وقت له، إلا مُرتجلاً، -

لا يحوى،

لا يَدْخُلُ في أحكام الساعة.

- ش -

مُوثَقاً هَاهُنَا فِي الشَّامِ
مُسْتَبَاحاً هُنَاكَ، انْشَطَرْتُ هُنَالِكَ: نَجْمِي
عَالِياً عَالِياً، يَتَنَاءَى.
كَيْفَ لِي أَنْ أُتَوَّرَ هَذَا الظَّلَامَ،
وَأُخْرِجَ مِنْ ذَلِكَ الرِّكَامِ؟
أَلْتَوَارِيخُ جَوَابَةً، سَاهِرَةً
تَتَقَلَّبُ فِي شَبَكِ الذَّاكِرَةِ.

نافع بن الأزرق، سنة ٦٥
هجريّة.
أبو علقمة اليمحمديّ.
المهلب بن أبي صُفرة.

* أَهْوَى الرَّمْلُ يَدْخُلُ فِي الشَّمْسِ،
يَأْخُذُ كُرْسِيَّهَا،
وَيَلْبَسُ قُفْطَانَهَا؟

○ وَثْنِي الرَّاوِيَةُ:
«قَتَلُوا نَافِعاً -

كَانَ رَأْسَ الْخَوَارِجِ،
وَأَتَلَقَّى الْيَحْمَدِيَّ
يُحَارِبُ جَيْشَ الْمُهَلَّبِ،
نَادَى:

- «أَلْ أَحَدٌ، يَا أَرْدُ،
أَهْوَاؤُنَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ،
أَعْبِرُوا جَاهِجَكُمْ
سَاعَةً.»

وَثْنِي الرَّاوِيَةُ:
يَهْجُمُونَ، وَكُلُّ
يَتَقَحَّمُ فِي بَهْجَةٍ
فِي حُبُوزٍ
صَائِحاً، ضَاحِكاً:

«يَا أَبَا عَلْقَمَةَ
لَيْسَ لِي جُمُجَمَةٌ
تُسْتَعَارُ، وَلَكِنْ
تُسْتَعَارُ الْقُدُوزُ.»

- ت -

مَا زِلْتُ أَجْهَلُهَا

مَا زِلْتُ أَخْبَطُ فِيهَا خَبْطَ مُغْتَرِبٍ

لَا يَسْتَقِرُّ، وَلَا يَشْكُو إِلَى أَحَدٍ -

تلك البلادُ التي سَمَّيْتُهَا كَيْدِي.

سنة ٦٦ هجرية، - شمر بن الجوشن، أمر السرية التي قتلت الحسين.

خولي بن يزيد الأصبحي الذي اختز رأس الحسين.

عمر بن سعد بن أبي وقاص أمر الذين قتلوا الحسين.

الكلام لعبيد الله بن زياد الذي اشتهر بجبنه.

المختار الثقفي.

ربيعة بن المخارق.

قيل كانوا ثلاثمة.

○ وثنى الراوية:

ها هم قاتلو الحسين تُقَطِّعُ أعناقهم

- شمر، عمر، ورفيقهما الأصبحي،

- انطلق، سز إلى الكوفة، استبخها، وجثني برؤوس الضلالة، وأبدأ بمختارهم.

- يا ربيعة، قد جئنا.

قتل ابن المخارق، وانهمز الجيش: قروا،

ومن أسروا منهم، ضربت كل أعناقهم - واحداً واحداً.

وثنى الراوي:

ألموت فراغ

حتى حين يكون مليئاً.

* يلبس الضوء في الغيم ثوباً،

ويلبس في الصحو ثوباً، -

هكذا يفعل الله،

والشعر في بغض أوقاته.

- ث -

لا أعرفُ كيفُ أعالِجُ قلبي، وهو المتقلَّب -
يَعْلُو، يَهْوِي، وَيُقَلِّبُنِي وَيَجِيءُ ويمضي
ويُسَائِلُنِي:

أَيْنَ حُضُورِي مِنْ أَمْسِي؟
مِنْ أَيْنَ أَنَا؟ مَنْ يُرْشِدُنِي
لِأَسْأَلِ نَفْسِي عَنْ نَفْسِي؟

الكلام لابراهيم بن الأشتر
قائد المختار الثقفي في يوم
الحازر، سنة ٦٦ هجرية.

شرحبيل بن ذي الكلاع
حصين بن نمير

عيد الله بن زياد

رواية بكر بن حماد عن
الاعمش.

* يَسْأَلُ الرَّغَدَ فِي هَذِهِ الْغُيُومِ الَّتِي
تَتَلَبَّدُ فِي يَأْسِهِ:
كَيْفَ يَبْقَى بَعِيداً - قَرِيباً إِلَى رَأْسِهِ؟

○ أَخْبَرَ الرَّأْيَةَ:

صَاح: «يَا سُورَةَ اللَّهِ، هُبُوا،
تَعَالَوْا إِلَيَّ، انْعَمِسْ فِيهِمْ،
أَنْتَ، يَا صَاحِبَ الرَّأْيَةِ -
الْثَقَفِيَّةِ، جَيْشُ الشَّامِ أَبِيدَ،
وَقُطِّعْ رَأْسُ شَرْحَبِيلَ، رَأْسُ
حُصَيْنَ، وَرَأْسُ عُبَيْدٍ وَقُطِّعْ
جَنْمُ عُتَيْدٍ.

وَتَى الرَّأْيَةِ عَنْ رَأْيَةِ:

«كُنَّا بِالرَّحْبَةِ

جَاؤُوا بِرُؤُوسٍ فِيهَا رَأْسُ عُبَيْدٍ
اللَّهُ بْنُ زِيَادٍ - خَرَجَتْ أَفْعَى
أَخَذَتْ تَشْتُمُ رُؤُوسَ الْقَتْلِ
دَخَلَتْ فِي رَأْسِ عُبَيْدٍ، فِي فَمِهِ
خَرَجَتْ مِنْ أَنْفِهِ،
دَخَلَتْ ثَانِيَةً فِيهِ، خَرَجَتْ مِنْ
فَمِهِ، وَالتَّاسُ شُهُودٌ»

وَتَى الرَّأْيَةِ:

قِيلَ:

«يَضْرَعُكَ الْحَقُّ إِنْ أَنْتَ
صَارَعْتَهُ.»

○ أَخْبَرَ الزَّأْوِيَه :

مُضْعَبٌ يَقْتُلُ الْأَسَارَى وَيَقْتُلُ
حَتَّى مِنْ اسْتَسْلَمُوا إِلَيْهِ .

بَعْدَ أَنْ قُتِلَ الثَّقَفِيُّ

قَطَعُوا كَفَّهُ

سَمَرُوهَا عَلَى مَسْجِدٍ ،

قَطَعُوا رَأْسَهُ -

أَرْسَلُوهُ إِلَى ابْنِ الزَّبِيرِ ،

وَمَنْ حُوصِرُوا

قُتِلُوا وَاحِداً وَاحِداً .

- خ -

أَتَحَيَّلُ أَنِّي أَكْتَسِي ظِلَّهُ ، -

أَلْتَحَيَّلُ كَلَامَ

وَأَنَا طِفْلُهُ .

وَالْتَحُولُ الَّذِي بَيْنَنَا

لَيْسَ وَضْفاً وَلَا صُورَةً :

شَعَفَ شَاعِرٌ

يَتَقَاسَمُ أَعْضَاءَنَا .

* صَارَ جَسْراً إِلَى الْمُسْتَحْيَلِ ،

قَلَمُ الشَّاعِرِ الْمَسَافِرِ فِي

لَيْلِهِ الطَّوِيلِ .

مصعب بن الزبير، سنة ٧٦
هجريّة .

المختار الثقفي

عبد الله بن الزبير

قبل كان عددهم ستة آلاف .

- ذ -

أَتَحَدَّثُ فِي اللَّاذِقِيَّةِ مَعَ كَوَكِبِ الْحَبِّ: مَنْ
أَنْتَ؟ مِنْ أَيْنَ؟ كَيْفَ تُوَاحِي الْبُيُوتَ،
الْوَسَائِدَ؟ إِزْجَعِ إِلَى طِينِكَ - الْبَدْءِ،

حُبِّي

فِي الْمَقَامِ الَّذِي اخْتَرَقَتْهُ رِمَاحُ الْفَجِيعَةِ، فِي
عَرَبَاتِ الْفُصُولِ

سَادَرَاتِ تَجَرِّ الْمَدَائِنِ مَغْلُولَةٍ،

وَتَجَرُّ الْحَقُولِ.

سنة ٦٨ هجرية.

○ أَخْبِرِ الزَّائِرَةَ:

الْخَوَارِجُ يَتَهَكَّؤْنَ

الْمَدَائِنَ، يُضْلَوْنَ

أَطْفَالُهَا سَعِيرًا،

يَنْقُرُونَ بُطُونَ

الْحَبَالَى.

وَتُنَى الزَّائِرَةُ:

أَيَّامٌ -

أَفْرَاسٌ، تَائِهَةٌ

تَتَرَكَضُ بَيْنَ رُؤُوسِ

الْقَتْلِ.

* فِي شَرَارِكَ تَحِيَا، وَنَارُكَ مَأْوَاكَ:

لَا صَاحِبَ، لَا كَلِيمَ

غَيْرُ هَذَا الْجَمِيلِ الْجَحِيمِ.

- ض -

قِيلَ، قالوا - والتَّنُوخِي * مُسْتَسْلِمٌ لِلظَّنُونِ
عَبَثًا يَقْرَأُونَ.

إِنْ تَقُلْ: ذلك الماء موتٌ

أَوْ تَقُلْ: حَجَرٌ هَذِهِ الرِّيحُ - لَا أَحَدٌ سَيُمَيِّزُ،
يَفْصِلُ بَيْنَ الْحُدُودِ، طَرِيقِي

فِي الْكَلَامِ الْقَرِيبِ،

وَقَضْدِي فِي أَبْعَدِ الْكَلِمَاتِ.

يَقْرَأُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ

إِنَّهُمْ أَحْرَفُ، وَأَنَا غَابَةٌ مِنْ لُغَاتِ.

○ قال الزاوي:

سُلْطَانٌ يَجْلِسُ فَوْقَ

تَرَائِبِ عَمْرٍو -

يَذْبَحُهُ.

وَتَنَى الزَاوِي:

أَفْتُوا:

«ذَبَحَ الثَّانِرُ شَرْعًا».

وَتَنَى الزَاوِي،

يَتَسَاءَلُ فِي حَيْرَةٍ:

مَا لِسُلْطَانٍ هَذَا

الزَّمانَ يَكْزُرُ فِي

نَشْوَةٍ: كَلِمًا قِيلَ رَأْسُ هَوَى

يَكْبُرُ الْعَرْشُ تَحْتِي، وَأَغْلُو؟

* الحسين بن إسحاق
التنوخى. كان قوم قد
هجروه، وعزوا الهجاء إلى
المتنبى، فكتب إليه يعاتبه في
قصيدة، قال فيها: وَهَبْنِي
قُلْتُ: هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ

أَيْمَنِي الْعَالَمُونَ عَنِ الضَّيَاءِ؟

وهاجي نفسه مَنْ لم يُمَيِّزْ
كلامي من كلامهم الهراء.

جلس عبد الملك بن مروان
على صدر عمرو بن سعيد
الأشدق الذي ثار عليه،
وذبحه، سنة ٦٩ هجرية.

* تَتَوَعَّلُ فِي غَابَاتِ رِوَاكُ:

مِنْ أَيْنَ إِذْنُ،

يَأْتِي أَعْدَاؤُكَ، إِنْ لَمْ يَأْتُوا

مِنْ قَيْنِصِ خُطَاكَ؟

- ظ -

لَا أَشَاهِدُ فِي اللَّاذِقِيَّةِ شَمْسًا، أَشَاهِدُ شَيْئًا
يُقَالُ لَهُ الشَّمْسُ، - هَلْ وَهْمِي الْآنَ أَغْقَلُ
مِنْ خُطَوَاتِي، مِنْ نَظْرَاتِي، أَمْ أَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ
الْمَكَانِ التَّبَاسُ؟

فَلَلْكَ يَتَشَاءُ بَ وَالْأَرْضُ مَرْضُوضَةٌ.

○ قال الزاوي:

فوق حمار أركبة

ليطوف به في الأسواق وفي
الطُرُقَات،

وسقاه شراباً -

سلخ الشاعر

حتى مات.

الشاعر يزيد بن ربيعة
الحميري، والفكرة لعبد الملك
بن مروان، سنة ٧٠ هجرية.

* في هذا اليوم،
لا يُفصِح عَنِّي أَيُّ كَلَامٍ،
أُنْظُرُنِي
حَتَّى أَصْقَلَ عَقْلِي،
فِي مِرَاةِ النَّوْمِ.

○ أَخْبِرِ الرَّأْوِيَةَ:

بين قَيْسٍ وتغلب حرب - لا
تَكَادُ الدَّمَاءُ

بينهم أن تحف، بوحشية يَبْقُرُ
الجانِبَانِ بطونَ النساءِ.

وثنى الراوية:

- إلى أين، يابنَ النَّصَارَى؟

- إلى النارِ،

- أولى،

لو نطقَت بقولِ سواه، لكنثُ
قتلُكُ.

- غ -

شَاغِلِي سَهْرَ قَاتِنٍ، -

كان لي في امرئِ القيسِ صوتٌ،

كان لي فِتْنَةٌ.

واستمعتُ إليه، راعباً عن عُكَاظِ

حاضِنَا سُكْرَهُ.

وَلَنَا سِرُّنَا: لا قبائلَ في شِعْرِنَا.

وَلَنَا عَهْدُنَا:

أَلْقَصِيدَةُ ضَوْءِ المَمَالِكِ، والشَّعْرَاءُ شُمُوسٌ.

سنة ٧٠ هجرية، والحوار بن
عبد الملك والشاعر الأخطل،
وكان قد شكَا إليه الجَحَافُ
بن حكيم السلمي، عدوَّ
قبيلته، تغلب، قاتلاً:

لقد أوقعَ الجَحَافُ بالبشرِ،
وقعةً إلى الله منها الشُّنْكَى
والمعزُّ، فإن لم تُدارِكها
قريشٌ بعدلها، يكنُ عن
قريشٍ مُسْتَرَادٌ وَمَزْخَلٌ.

* أَلْحِيَا لَكِي نَنْتَمِي
لِلضِّيَاءِ - إلى لا مكانِ.

هَؤَامَش



- I -

عبد الله بن عجلان التهدي

مُتَّ عَشَقًا، وَذَلِكَ شَأْنُ الْمُحِبِّينَ،
حَظٌّ

أَنْ يَمُوتَ أَمْرُؤٌ عَاشِقًا.

هَذَا الْفَجْرُ يَنْشُرُ مَا كُنْتُ، وَاللَّيْلُ يَطْوِيهِ،
لَكِنْ

لِزَيْدٍ مِنَ الْبَثِّ. دَفَأْتُ أَيَّامَنَا،

وَحَمَلْتُ مَرَارَاتِهَا

فِي هَوَادِجٍ مِنْ غَبِطَةٍ.

تَقْدِرُ الْآنَ أَنْ تَتَنَوَّرَ:

زَهْرُ الْفُصُولِ

طَائِفٌ حَوْلَ ذِكْرَاكَ - يَذْوِي وَيُزْهِرُ،
وَالشَّمْسُ تَرُوي

مَا يُوشِوشُ، أَوْ مَا يُكْتَمُ، أَوْ مَا يَقُولُ.

يقال إنه الشاعر الوحيد الذي
مات عشقاً.

- II -

المتخلّ الشكري

نَخَلْتِكَ الدُّنْيَا، وَنَخَلْتَ النَّاسَ، -

سَاخِذُ حُفَّتَةِ رَمْلِ

وَأَقُولُ: الشَّعْرُ يُؤَاخِي بَيْنَ الرَّمْلِ

وَوَجْهِ الشَّمْسِ، وَأَسْأَلُ:

هَلْ أُغْرِقْتُ؟ دُفِنْتُ، وَأَنْتَ

تُسَلِّسُ شَعْرَكَ، حَيًّا؟

هَلْ أَخْفَيْتَ؟ سَأَسْأَلُ عَنْكَ:

الْمَغْنَى مَبْثُوثٌ ضَوْءًا

وَالصُّورَةُ لَيْلٌ

فِي وَجْهِ امْرَأَةٍ.

اتَّهَمَهُ التَّعَمَّانُ بْنُ الْمُنْذِرِ بِامْرَأَتِهِ
الْمُتَجَرِّدَةِ، فَأَغْرَقَهُ، كَمَا قِيلَ،
أَوْ دَفَنَهُ حَيًّا، أَوْ أَخْفَاهُ.
وَيُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ لِمَنْ مَاتَ،
وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ خَيْرٌ.

الأعشى الكبير

هذي قصائدك اشتاقت لبارئها
هل أنت في شغلٍ؟
أم أنت حيرانٌ لا لهُوَ ولا عَمَلُ؟
نَسِيرُ فيها، كأنَّ الخمرَ راحلةً
والتَّجَمَّ قافِلَةٌ والنَّشْوَةُ اتَّسَعَتْ
فيها وضاعت على تَرَحُّالها السُّبُلُ
وَنَنَحْنِي فوقها، نَقْفُو قوافيها:
خيَامُ حَبِّكَ - هَذَا ضَوْءُهَا: عَجَبًا، -
كَأَنَّ أَهْلَكَ مَا زَمُوا جِهَالَهُمْ
ولا اسْتَقْلَوْا مَطَايَاهُمْ، ولا رَحَلُوا
وها هُزِيرَةٌ مازالت ترددها،
ونحن نُصْغِي، نَغْنِي مثلها، شَغْفًا:
«وَيْلِي عَلَيْكَ، وَوَيْلِي مِنْكَ، يَا رَجُلٌ.»

- IV -

عمرو بن قميئة

أَوَّلُ الشَّيْءِ مَنْفَى،

أَوَّلُ النَّفْيِ قِيَارَةٌ، وَ«زُمَيْتَ وَلَسْتَ بِرَامٍ»
كَمَا قُلْتَ، يَوْمًا، وَالطَّرِيقُ ضِيَاعٌ.

وَامرؤُ الْقَيْسِ، ذَاكَ الصَّدِيقُ الرَّفِيقُ،
الْمَضِيعُ، يُوْغِلُ فِيهَا

وَشَعْرَكَ يُوْغِلُ فِيهَا -

وَيُخَيِّلُ أَنِّي أَرَى الْمُسْتَحِيلَ يُكْحَلُ

أَهْدَابُهُ بِإِيقَاعِهِ .

قُلْ لَتَلِكِ الطَّرِيقُ الَّتِي ضِغَتْ فِيهَا:

أَوَّلُ الشَّعْرِ مَنْفَى .

نشأ يتيمًا، وكان رفيقًا لامرئ
القيس في سفره .

مات في الطريق، ولُغِبَ
به الضائع .

- V -

الأفوه الأودي

لَيْلِكَ الْآنَ مُسْتَنْفَرٌ

غَيْرَ أَنَّ الصَّبَاحَ بَعِيدٌ بَعِيدٌ، أَوْ كَمَا قَالَ،
يَوْمًا،

ذو القُروح . يُحْيِلُ : شِعْرَكَ جَسْرٌ

بين ثَوْبٍ يُعَارُ، وَقَبْرِ .

وكأني أضغي إليك تَهْلُسُ، تَصْرُخُ :

يا هذه الأنجم - السُّفُنُ الجارِياتِ

إشطحي مثلنا، كزري :

أَلْحِيَا حَصَاةً

مِنْ دَمٍ جَامِدٍ

أَوْ دَمٍ سَائِلٍ فِي حَصَاةٍ .

يقول في إحدى قصائده :
«وحياة المزمع ثوبٌ مُسْتَعَارٌ» .

- IV -

مالك بن نُويرة

هُوَ ذَا ماضِيكَ: جَبِينُ

لِلرَّفْضِ، وَوَجْهٌ

تَتَخَايَلُ فِيهِ آفَاقُ مُرُوقٍ -

وَأَرَى وَثْنًا، -

كَمْ هُوَ حَيٌّ، كَمْ هُوَ عَالٍ هَذَا الْوَثْنُ:

بِسُورَى شَفْتَيْهِ

وَبَغَيْرِ الْأَنْفِ الصَّاعِدِ نَحْوَ دُرَاهُ،

لَا يُفْتَسَنُ.

ارتدّ، كما يُروى، عن
الإسلام، فَقُتِلَ.

قبل كانت فيه غَطْرَسَةٌ
وخيلاء.

- VII -

قَيسُ بْنُ الْخَطِيمِ

يَتَّبِعِي أَنْ تَمِيلَ، وَأَنْ تَتَلَقَّتْ: أَنْ تَبْنِي

الْجِسْرَ - لَا فَضْلَ بَيْنَ الشَّيْءِ

وَمِعْرَاجِهِ فِي الْحَنَاجِرِ،

وَالْكُونُ كَالْحَبِّ: حَتَّى فِي الْقَطِيعَةِ، وَضَلَّ،

فَمِلَّ، وَتَلَقَّتْ

كَيْ يَكُونَ لِقَلْبِكَ أَنْ يَتَسَرَّبَ فِي

الْغَامِضِ الْخَفِيِّ

يَتَفَلَّتُ مِنْ جَسْمِكَ الْقَرِيبِ، وَيَخْفِقُ فِي

جَسْمِكَ الْقَصِيِّ.

بقي على جاهليته ولم يسلم.
أشلمت امرأته، فكان
يصدها، ويتعبها. يأتيها،
وهي ساجدة فيقلبها على
رأسها.

- VIII -

عَدِي بن زيد العبادي
أَلْحِياءُ، كما عَلَّمْتُنَا رِوَاكَ، نَشِيدُ،
أَعْطِ لِلشَّمْسِ إِيقَاعَ هذا النَشِيدِ -
أَتْرِكِ الضَّوْءَ يَزُوسُ تهاويلَهُ
مُفْرَدًا، أو مُتَنًى - أو إِذَا شِئْتَ:
رَفْرِقْ مَزِيحًا،
وَكُنْ حَبِيبًا فِي المَزِيحِ
حَمْرَةً، زُرْقَةً، بِياضَ
وَالسَّوَادِ الثَّنِيَّةِ وَالْهُدْبِ فِي ذَلِكَ النُّسَيْجِ.

زار دمشق وقال فيها أول
شعره. هو العربي الأول الذي
كتب بالعربية في ديوان
كشري. دعاه النعمان بن
المنذر لزيارته، وحين جاءه،
أمر بجسه، ثم قتله.

- IX -

المرقس الأكبر

أَلتَجُومُ التي كُنْتَ تَسْأَلُ: أَسْمَاءُ،
أَتَى مَضَّتْ؟ حَظِيْتُ بِهَا مَرَّةً،
وَرَأَيْتُ كَأَنَّ لَهَا وَجْهَ عُشَاقِهَا.
بَيْنَهَا نَجْمَةٌ

لَيْسَتْ هَالَةً قَانِيَةً

لَمْ تَكُنْ صُورَةً لِكَبْشٍ

لَمْ تَكُنْ ذَكْرِيَّاتٍ، لَمْ تَكُنْ كَلِمَاتٍ

كَانَتْ النُّجْمَةُ الْخَفِيَّةُ مَحْمُولَةً

فِي أَثَرِ الرِّحِيلِ إِلَى أَرْضِكَ الثَّانِيَةِ.

اشتهر بحبه لابنة عمه أسماء.

زوجه أبوها وهو غائب.
وقيل له، حين عاد إليها
ماتت. وكان إخوته قد ذبحوا
كبشاً ودفنوه في قبر قالوا له
إنه قبر أسماء.

أخذ يزوره، ثم تبين الخبر
الصحيح فذهب يبحث عن
أسماء، لكنه مات بعد أن
راها.

- X -

الحطينة

حين أَسَاهِدُ أحوالي
وَأَرَى مَنْ حَوْلِي
وَأَفْكَرُ كَيْفَ أَجُوعُ وَأَعْرَى وَأَقْيَدُ، أَسْأَلُ:
مَاذَا؟
مَا هَذَا التَّكْوِينُ؟ تُرَانِي: مَيِّتٌ، أَمْ حَيٌّ؟
وَجْهِي هِجْ وَ
يَهْجُو هَذَا الْأَرْضَ: الْأَرْضُ سَرِيرٌ
لِغَبَارِ الْمَغْنَى
وَلَسَوْفَ أَظْلُ أَعْتِي هَجْوَ
كَيْ أَعْرِفَ أَنْ أَتَذَكَّرَ دَوْمًا
أَنَّ الْأَحْيَاءَ هُمْ الْأَمْوَاتُ
وَأَتَوَجَّ صَوْتِي
مَلِكَ الْأَصْوَاتِ.

IV

كَأَنَّكَ عَجِيبٌ فِي عَيُونِ الْعَجَائِبِ

المتنبي

- أ -

كَيْفَ يُنْعَى إِلَى كُوفَةِ الْوَجْدِ سَقَاؤُهَا؟

لَمْ يَغِبْ عَنْ مَدَارِي إِلَّا

صُورَةٌ، كَيْفَ أَرْوِي فَلَكَا دَارَ فِيهِ؟

○ أَخْبَرِ الزَّائِيَةَ:

قَتَلُوا مُضْعَبًا قَطَعُوا رَأْسَهُ -
حَمَلُوهُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ.

وَتَى الزَّائِيَةَ:

كُلُّ رَأْسٍ لِيَقْطَعَ:

لَا رَأْسَ إِلَّا

كَيْ يُدْخَرَجَ مَيِّتًا،

أَوْ يَنْكَسَ حَيًّا

تَحْتَ ظِلِّ الْمَلِكِ.

وَتَى الزَّائِيَةَ:

- «الَّذَانِيرُ أَلْفٌ، ثَوَابًا،

- لَا أُرِيدُ ثَوَابًا

كَأَنَّ قَتْلِي إِتَاهُ ثَارًا،

لَا عَلَى طَاعَتِكَ.»

* لَا أَتَوَاصَلُ إِلَّا حَبًّا أَوْ وَخِيًا، -

لَنْ أَشْكُوَ قَيْدِي

هَذَا الْيَوْمَ لِأَيِّ جَنَاحٍ.

مصعب بن الزبير سنة ٧١
هجريّة.

عبد الملك بن مروان.

حوار بين عبد الملك بن
مروان وعبيد الله بن زياد ابن
ظبيان، قاتل مُضْعَب.

○ وثنى الراوي:

حَزُّ رَأْسِ بُكَيْرٍ

صَارَ مَنْ حَزَّهُ

أَمِيرًا -

هكذا يؤخذ الملك

من تبعه.

وثنى الراوي:

قُتِلَ الْقَاتِلُ

حَمَلُوهُ عَلَى بَغْلَةٍ -

وضعوا في مذاكيره

الحجارة مشدودة

بالحيال التي عدلوه بها -

هكذا ناز بالتابل الحابل.

- ب -

لَا تَقْصُ عَلَيَّ خُطَاهُ، يَدِيهِ

لَا تَقْلُ صَمْتَهُ

فَأَنَا أَعْرِفُ الْخَبَرَ وَالْمَاءَ،

وَالجبهة العاليه.

هل شمنت الفراش الذي مات فيه، الرماد

الذي مات فيه ولمست عباة الحانيه؟

أترى أذن الماء؟ والحي: أطفاله، النساء،

المعزون - من أين؟ من هم؟

هل خرجت إلى قبره

واختصنت الحجار، التراب، الكفن؟

أتوسل، يا كوكب الحب، قل لي:

كيف كانت سماء الوطن؟

* لِلْكَابَةِ شِعْرٌ

يَعْرِفُ الشَّيْءَ فِي أَضْلِهِ،

فِي تَجْلِيهِ، فِي مَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ،

وَالْكَابَةُ عِلْمٌ.

الإشارة إلى بُكَيْر بن وشاح
الذي حَزَّ رأسه عبد الله بن
خازم، وأرسله إلى عبد الملك
بن مروان، فأقره أميراً على
خراسان، سنة ٧٢ هجرية.

ومن ثم إلى قتل عبد الله بن
خازم نفسه.

○ قال الراوي:

- قالوا: خُذْ مَا شِئْتَ،
ولكن، ما قَوْلُكَ؟

- أَنْتَ الْأَذْرَى، إِنْ كُنْتَ مُحَقًّا،
لا تتراجع،

أصحابُكَ ماتوا طلباً لِلْحَقِّ...

- أَخَافُ الْمُتَلَّةَ،...

- شاةٌ

دُبِحت، لا يؤمِّلُهَا سَلَخٌ.

قَتَلُوهُ، جَاءَ الْحَاجَّاجُ إِلَيْهِ، بِيَدِهِ
اِخْتَزَرَ الرَّأْسَ (وَكُنَّ جَبَانًا لَمْ
يَجْرَوْا، فِيمَا يُرْوَى، أَنْ يَلْقَاهُ
حَيًّا).

وَتَنَّى الزَّائِيهِ:

أَزْسَلُوا رَأْسَهُ لِابْنِ مَرْوَانَ،
حَزَّوْا مَعَهُ آخَرًا لِابْنِ صَفْوَانَ،
حَزَّوْا مَعَهُ آخَرًا لِابْنِ حَزْمٍ
وَكُنْتُ قُطِعْتُ، عُلِقْتُ فِي
الْمَدِينَةِ كُلِّ الرَّؤُوسِ الَّتِي قَالَ
أَصْحَابُهَا لِابْنِ مَرْوَانَ: كَلَّا.

- ج -

هَلْ أُجَرِّبُ؟ أُعْطِيَ لَتَلِكِ الْعَصَا

شَفَتَيْنِ، لَهْذِي الْحَصَاةَ جَنَاحًا، وَأَمْرُ

لَيْلِ الْحَيَاةِ

أَنْ يُؤَاخِي فَجَرَ الْقَصِيدَةِ؟ مَاذَا؟

شَعَبٌ أَبْجَدِي -

دَاخِلٌ، خَارِجٌ

يَتَمَرَّدُ، يَطْغَى وَيَخْرُجُ عَنْ طَاعَةِ الْكَلِمَاتِ.

حوار بين عبد الله بن الزبير
وأُمِّه أسماء بنت أبي بكر،
ذات النطاقين، وكانت بلغت
المنة، وعميت،

سنة ٧٣ هجرية.

عبد الله بن صفوان

عمارة بن حزم.

* يُبْصِرُ فِي مِرَاةٍ مِنْ أَدْمُعِهِ،

آلَامَ الْفُقَرَاءِ،

يُبْصِرُ فِي مِرَاةٍ مِنْ قَامُوسِ هَوَاهُ،

تِيَّةَ الشُّعْرَاءِ.

هَدَمَ الْحِجَاجُ الْكَعْبَةَ

حَبَسَ الْمَاءَ، الْخُبْزَ وَكَانُوا
يَزْتَجِرُونَ وَهُمْ يَزْمُونَ الْكَعْبَةَ :

«خَطَارَةٌ مِثْلُ

الْفَنِيْقِ الْمَزِيْدِ

تُزْمِي بِهَا أَعْوَادَ

هَذَا الْمَسْجِدِ .»

هَذَمَ : «عَمَلٌ مَقْبُولٌ»

قَالُوا .

ولهذا،

نَزَلَتْ نَارٌ وَالْتَهَمَتْهُ .

وَتَنَى الرَّاوي :

زَمَنَ - بَيْتَ مَرْفُوعٍ

بِرُؤُوسِ الْقَتْلِ .

هَلْ كَانَ يَبْتَسِمُ الْفَرَاثُ لِعَيْمَةٍ

تُمْلِي كِتَابَ الْعُشْبِ حَوْلَ ضِفافِهِ؟

هَلْ كَانَ يَزْتَجِلُ الرِّزْقَاقُ، هُنَاكَ فِي كَنَفِ

الْمَآذِنِ، وَالْمَجَالِسِ حَوْلَهَا شِعَرَ الْفَضَاءِ،

هَلِ الْفَضَاءُ كِتَابَةٌ لِقَوَافِلِ كُتَيْبٍ بَتِيهِ الْعَالَمِينَ؟

أَتَحَاوِرُ الْفُقَهَاءَ، نَسْأَلُ؟ رُبَّمَا

أَفْتَوْا

وَلَكِنْ

هَلِ تَقْدَرُ الْكُتُبُ الْفَقِيهَةُ أَنْ تُجِيبَ السَّائِلِينَ؟

خطبَ الْحِجَاجُ فِي أَهْلِ
الشَّامِ، عِنْدَمَا نَزَلَتْ، فِيمَا
يُرَوَّى، صَاعِقَةً عَلَى
الْمُنْجَنِيْقَاتِ وَهِيَ تَضْرِبُ
الْكَعْبَةَ، وَتَوْقَفُوا عَنْ
الضَّرْبِ، خَوْفًا، قَالَ :

«وَيُحَكِّمُ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ النَّارَ
كَانَتْ تَنْزُلُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا
فَتَأْكُلُ قَرِيبَانَهُمْ، إِذَا تُقْبِلَ
مِنْهُمْ؟ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَمَلُكُمْ
مَقْبُولًا، لَمَا نَزَلَتْ النَّارُ» .

اِقْتَنَعُوا، وَعَادُوا إِلَى ضَرْبِ
الْكَعْبَةِ، سَنَةَ ٧٣ هَجْرِيَّةً .

* خَيِّمَتْ غَيْمَةٌ

فَوْقَ حَقْلٍ حَزِينٍ، -

أَخَذَ الْحَقْلُ يَقْرَأُ لِلطَّيْرِ أَشْعَارَهُ .

○ أَخْبَرَ الزَّوَاوِيَةَ:

أَلْمَدِينَةَ، وَادِي الْقَرَى، فَذَكَ،
خَيْرٌ:

جُرْزٌ مِنْ دَمٍ - الْجَرِيحُ يُبَادُ،
الْأَسَارَى تُقَطَّعُ أَعْنَاقُهُمْ.

وَتَتَى الزَّوَاوِيَةَ:

جَيْشٌ مَزَوَانِيٌّ فِي الْبَحْرَيْنِ -
حَصَارٌ، قَتْلٌ: سِتَّةَ آلَافٍ،
وَالْأَسْرَى: أَلْفٌ. عَبْدُ اللَّهِ
الْأَوَّلُ بَيْنَ الْقَتْلِ.

وَتَتَى الزَّوَاوِيَةَ:

تَحْتَ الْعُنُقِ الْمَذْبُوحِ أَنْيَنَ
لَا يَقْدَرُ أَنْ يَذْبَحَهُ سَيْفٌ.

لَوْجُوهُ

لَوْنُهَا حَسْرَةٌ وَارْتِيَابٌ

لِجَفُونٍ

عَرَقَتْ فِي مِيَاهِ الْوَدَاعِ،

لَا يُدِ

كُلُّ مَا فَعَلْتُهُ قِيُودٌ

لِئُجُومٍ تَفَكَّ الْقَصَائِدُ أَزْرَارَهَا

لِتَحْيِي عَزِيَّ الْمَسَاءِ،

أَنْسَجُ الْآنَ صَدْرِي غِطَاءً

وَأَضْمُ الْفَضَاءَ.

سنة ٧٣ هجرية.

عبد الله بن ثور قائد
الحوارج.

* كَلَا، لَمْ يُغَطِّ لِتِلْكَ النَّجْمَةِ عَهْدًا،
كَلَا، لَمْ يَعْقِدْ أَحْلَافًا مَعَ أَيِّ نَبِيٍّ.

- و -

لَمْ يَعِذْ فِي جَسَدِي مَوْجٌ لَكِي يَحْمِلُ مَاضِيَّ
وَلَا أَمْلِكُ إِلَّا

شَرّاً يَنْسَبُ فِي صَدْرِي، وَلَنْ أَكْشِفَ
أَسْرَارِي إِلَّا لِلشَّرِّزِ، -

سنة ٧٧ هجرية.

سِرُّ هَذَا الزَّمَنِ الْفَاحِلِ فِي مَاءِ حَجَزِ.

○ قال الراوي:

خَتَمَ الْحِجَاجُ

فِي أَعْنَاقِ بَقَايَا مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ، وَفِي أَيْدِيهِمْ.

وَتَنَى الرَّاوي:

لَيْسَ لِي رَغْبَةٌ أَنْ أَمُدَّ يَدِي
لَأَصَافِحَ أَخْبَارَ هَذَا الصُّبْحِ
الَّذِي يَقْرَعُ الْآنَ، بَابِي.

* أَيُّهَا الْفَجْرُ،

مَتَى تَمُنِّحُنِي الْحَبَرَ الَّذِي يَكْتُبُ
لَيْلِي؟

○ قال الزاوي:

خَرَجَ الْبُصْرِيُّونَ عَلَى الْحِجَاجِ، -
ابْنُ الْجَارُودِ، وَصَحْبُ مَعَهُ،
فُتِلُوا: ضَرَبَتْ أَعْنَاقُ الْقَتْلَى،
وَرَأَوْهُمْ نُصِبَتْ لِلْعَبْرَةِ، عِنْدَ
الْحِشْرِ.

- ز -

أَلَكَلَامُ الَّذِي يَتَفَجَّرُ مِنِّي - أَنَا شَكُّهُ،
وَأَنَا نَفْيُهُ،

كُلُّ مَا قُلْتُهُ لَمْ أَقُلْهُ

وَالَّذِي سَأَقُولُ اخْتِلَافُ

وَيُشَبِّهُ لِي أَنَّ نَفْسِي تَحْتَاحُنِي كُلَّ يَوْمٍ. فلماذا
يُقَالُ: أَضِلُّ سِوَايَ وَأَهْدِي سِوَايَ،

وَأَنَا سَاكِنٌ هَوَايَ، وَلَا يَبْتَئِ إِلَّا خُطَايَايَ؟

* قَلْتُ لِي، أَيُّهَا الدَّهْرُ، لِي قَلْبِكَ
الْمُتَقَلِّبُ، لِي وَجْهَكَ الْمُتَعَبُ،
الْمُتَعَبُ

فلماذا يقولون: أَنْتَ الْمُبْرَأُ مِنْ كُلِّ
إِثْمٍ، وَأَنَا الْمَذْنِبُ؟

عبد الله بن الجارود قائد
الخروج، سنة ٧٥ هجرية.

- ح -

هَابطٌ صَاعِدٌ فِي الظَّلَامِ عَلَى دَرَجٍ مِنْ كَلَامٍ
هَلْ يُضِيءُ الْكَلَامُ؟ وَكَيْفَ أَحَاصِرُ فَوْضَائِي؟
كَيْفَ أَعَانِقُ هَذَا السَّدِيمَ الَّذِي يَتَرَجَّرُ فِي،
إِذَا لَمْ أَكُنْ مِثْلَهُ؟

هَلْ أَوْخَرِ رِجُلًا وَأُقَدِّمَ أُخْرَى مِثْلَ غَيْرِي؟
كَلَّا، سَامُضِي أُمَهَّدُ دَرْبًا -

أَتَنَفَّسُ، أَشْتَفُ، أَلْبَسُ هَذَا الرَّحِيلَ
بَيْنَ شِعْرِي وَالْمُسْتَحِيلِ.

* مَا الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِي هَذِهِ الْأَعَالِي؟
لِلْأَسَافِلِ رُؤْيَا
أَكْرَرُ عَهْدِي أَلَّا أَرَاهَا.

○ قال الزاوي:

- مَنْ أَنْتَ؟

- عُمَيْرُ

- أَسَمِعْتَ كَلَامِي أَمْسٍ؟

- سَمِعْتُ

- أَمَا شَارَكَتَ بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ؟

- شَارَكَتُ.

- لِمَاذَا؟

- رَجَّحْتُ أَبِي فِي السَّجَنِ، وَكَانَ
كَبِيرًا.

- أَنْتَ الْقَائِلُ:

«مَمْتُ، وَلَمْ أَفْعَلْ، وَكَدْتُ،
وَلَيْتَنِي

تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي
حَلَالُهُ»

فِي قَتْلِكَ مَا يُضْلِحُنَا،

فَمَنْ، يَا حَرَسِي، وَاضْرَبْ
عُنُقَهُ.

وَتَى الزاوي:

تَارِيخٌ يَمْشِي فِي بِيْزْدَابِ
وَالْخُطُوطِ سَيُوفٌ حِينًا

وَجَاهِجُمُ حِينًا.

حوار بين الحجاج، وعُمير بن
ضابئة التميمي، سنة ٧٥
هجرية.

○ اخبر الزاوية:

«لا تُناظر،

صيدهم كالسبع،

واجتنبهم،

وجد عنهم

خيدان الضبع.»

- ط -

تجلس الأرض في خودة
وتقلد ما رسمته سماواتنا،
هكذا كان حتماً علي
أن أفكر بالقرمطي.

من رسالة بعث بها الحجاج
إلى واليه سعيد بن المجالد
يوصيه كيف يقاتل الخوارج،
سنة ٧٦ هجرية.

* العقول النيرة، مثل الطبيعة،
تحيا وتعمل في شبه غيبوبة.

○ حَدَّثَ الرَّأْوِيَةُ:

قَالَ صَالِحٌ: «لَمْ يَبْقَ عَدَلٌ - فَشَا
الْجَوُزُ، وَازْدَادَتِ الْوَلَاءُ غُلُورًا
وَعُتْرًا، وَيُعَدُّ عَنْ الْحَقِّ، هَيَّا،
اسْتَعِدُّوا».

وَتَى الرَّأْوِيَةُ:

قَتَلُوا صَالِحًا وَعَشْرِينَ مِنْ
صَحْبِهِ،
بَايَعَ الْآخَرُونَ شَيْبَا، -

دَخَلَ الْكُوفَةُ:

الْخَوَارِجُ فِي الْمَسْجِدِ، الْقَضِيرُ،
أَسْيَافُهُمْ خَصَادٌ - وَشَيْبٌ يَقُولُ
لَأَصْحَابِهِ:

«لَا غَنَائِمَ، إِنِّي

وَاهِبٌ مَا غَنِمْتُ».

- ي -

لَا أَشَاهِدُ غَيْرَ الْحَرَابِ وَغَيْرَ الرَّمَاكِ وَغَيْرِ
السَّيُوفِ وَغَيْرِ الدَّمَاءِ:

الزَّمَانُ سَبَائِكُ قَتْلٍ بِأَسْمِ خَلْقِهِ.

- قُلْتُ: لَا أُذَنُّ لِي؟

حَسَنًا، سَوْفَ أَصَمْتُ، لَا أُذَنُّ لِي.

مَا الَّذِي قَلْتَهُ الْآنَ؟

أَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ الْحَوَازِ

بَيْنَ جَسْمِي وَبَيْنِي

بَيْنَ ظَنِّي وَبَيْنِي وَقَرَارِي هُوَ اللَّاقِرَارُ.

* لَمْ يُجِبْنِي عَقْلُ الْكَوَاكِبِ عَمَّا
سَأَلْتُ:
أَجَابَتْ قَنَادِيلُهَا.

صَالِحُ بْنُ مُسَرِّحِ الْحَارِجِيِّ
الَّذِي اشْتَهَرَ بِزَهْدِهِ،

سَنَةِ ٧٦ هَجْرِيَّةً.

شَيْبَةُ بْنُ يَزِيدَ الْحَارِجِيِّ.

○ قال الراوي:

«سِتَّةَ آلَافٍ مَحَارِبٍ

جَاؤُوا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ،

انْضَمَّ إِلَيْهِمْ فِي الْكُوفَةِ عَشْرَةُ
أَضْعَافٍ، لِقِتَالِ شَيْبٍ».

وثني الراوي:

«كَانَ رِجَالُ شَيْبٍ، فِيمَا قَالُوا،
أَلْفًا

هَزَمُوا جَيْشَ الشَّامِ،

وَحَزَّوْا رَأْسَ الْقَائِدِ، لَكِنْ

قُتِلَ زَوْجُ شَيْبٍ: غَزَالَةً.

سَارُوا لِسَوَادِ الْكُوفَةِ

قَتَلُوا وَالِي الْحِجَاجِ عَلَيْهَا

أَخَذَ الْمَالُ شَيْبٍ، وَزَمَاهُ فِي
النَّهْرِ، وَأَنْبَأَ أَصْحَابُهُ:

قَالَ: اشْتَغَلُوا بِالدُّنْيَا.»

- ك -

تَجْتَاحُنِي الشُّهُوتُ جَارِفَةً،

وَتُسَلَمُنِي الْهَمُومُ إِلَى الْهَمُومِ

لَمْ يَبْقَ فِي وَلَهِي، يُؤَاخِنُنِي

وَيَقْرَأُ مَا قَرَأْتُ، سِوَى التَّجْوَمِ، -

عَانِقُ جِرَاحِكَ، يَا دَمِي:

شَعَفِي يَفْتَتِ عَطُورَهُ

وَفَمِي يَذُوبُ عَلَى قَمِي.

شبيب الخارجي،

سنة ٧٧ هجرية.

* مَا سَمَاءُ الْعَالَمِ عَقْلًا،

سَأَسْمِيهِ

رَمِيَّةَ نَزْدٍ.

- ل -

مَا لِدَمْشِقِ،
مَا لِلْأَبْوَابِ الْمَفْتُوحَةِ فِيهَا
حِينَ أَرَاهَا، تُغْلَقُ؟

كَلَّا، لَمْ يَتَغَيَّرْ شَيْءٌ
إِنِّيكَ الْمَلِكُ طَوِيلٌ،
وَالدُّنْيَا زُرْتُكَ.

* أَجْمَلُ الْأَنْجَمِ الْمُضِيئَةِ، فِي هَذِهِ
الْأَرْضِ،
فِي قُبَّةِ الْغُرَابَةِ،
نَجْمَةٌ إِسْمُهَا الْكَأَبَةُ.

○ قَالَ الزَّوَاي:

مَاتَ شَبِيبٌ، حَرَقَا فِي شَهْرِ
دُجَيْلٍ،
زَلَّتْ فَرْسُ الْفَارِسِ:
يَا لِلْمَوْتِ الْبَائِسِ.

قَالَ الْحَجَّاجُ: خُذُوهُ، شُقُّوا
الصُّدْرَ، وَهَاتُوا الْقَلْبَ: رَأَوْهُ
كَالصُّخْرَةِ، ضَلَبًا.
ضَرَبُوا الْأَرْضَ بِقَلْبِ شَبِيبٍ،
صَارَ يَرْنُ وَيَغْلُو.

وَتَى الزَّوَاي:

قَالَتْ أُمُّ شَبِيبٍ: «كُنْتُ رَأَيْتُ
يَنُومِي، فِيمَا أَحْمَلُهُ، أَنَّ شَهَابًا
يَخْرُجُ مِنِّي - لَا يُطْفِئُهُ إِلَّا مَاءٌ.»

وَتَى الزَّوَاي: «فَوْقَ حَصِيرٍ
فِي كُوخٍ، يَبْكِي حَلَمٌ
مَكْسُورٌ.»

سنة ٧٧ هجرية.

- ٢ -

أَرْضٌ - صَوْتُ سُمْ، وَصَدَى رَزْنِيخٍ
وَالرَّايَاتُ رُؤُوسٌ مَقْطُوعَةٌ.
أَرْضٌ تَتَوَكَّأُ وَالظُّلُمَاتُ لَهَا عُكَّازٌ.
مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ الضُّوءُ، وَكَيْفَ يَجِيءُ لِهَذِي
الْأَرْضِ الْمَقْطُوعَةِ
يَدُمُ التَّارِيخُ؟

قطري بن الفجاءة الشاعر
الخارجي، سنة ٧٨ هجرية.

عبدة بن هلال من متأهلي
الخوارج وشعرائهم
وخطبائهم.

* ما أَوْضَحَ التَّارِيخُ: سَيْفٌ عَلَى
عُنُقٍ، وَرَبٌّ سَاهِرٌ يَزْحَمُ.

مطرز بن المغيرة.

○ قال الراوي:

قَتَلُوا قَطْرِيًّا: حَزَّوْا رَأْسَهُ -
زَلَّتْ فَرَسُ الْفَارِسِ
وَهَوَى فِي شَيْعٍ -
يَا لِلْمَوْتِ الْبَائِسِ.

وثنى الراوي:

قَتَلُوا إِبْنَ هَلَالٍ، آخِرَ رَأْسٍ
فِيهِمْ.

وثنى الراوي:

قُتِلَ ابْنُ الْمَغِيرَةِ، وَاخْتَزَّ رَأْسَهُ.

- ن -

قَامَ جَبْرِيلُ مِنْ نَوْمِهِ مَرَّةً
لَمْ يُحَرِّكْ جَنَاحَيْهِ، أَلْقَى
حَوْلَهُ نَظْرَةً
فَرَأَى يَغْرِيًّا نَائِمًا
وَعَلَى صَدْرِهِ رَقِيمٌ
غَيْرَ مَا كَانَ يُوحِي وَيُمْلِي
لَمْ يَنْبَ قُرَيْشًا
عَادَ لِلنَّوْمِ مُسْتَسْلِمًا لِرَوْأَاهُ وَأَسْرَارِهَا.

* إِسْأَلُوا الضُّوءَ: لا، لَنْ يَقُولَ إِلَى
أَيْنَ يَمْضِي، وَلَا كَيْفَ جَاءَ.

○ قال الراوي:

أعجوبة الحياة:

«يأتي إلى رُحَامَةٍ يَنْقُرُهَا،

تَرْنُ بِالتَّسْبِيحِ وَالصَّلَاةِ.»

كَانَ يُحِبُّ صَحْبَةَ:

يُطْعِمُهُمْ فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ

فِي صَيْفِهِمْ،

يَجْعَلُ مِنْ صَيْفِهِمْ شِتَاءً.

كَانَ يَقُولُ لَهُمْ:

«أَقْدَرُ أَنْ أُرِيَكُمْ الْمَلَائِكَةَ.»

وَتَى الرَّاوي:

صَلْبُوهُ قَرَبَ دِمَشْقٍ فِي بَسْتَانٍ

مِلَّةَ دِمَشْقٍ - بَيْنَ الْجُدْرَانِ،

وَفَوْقَ الْجُدْرَانِ، وَتَحْتَ
الْجُدْرَانِ.

الإشارة إلى الحارث بن سعيد
الدمشقي الذي وُصِفَ بِأَنَّهُ
النَّبِيُّ الْكَذَّابُ. حبسه عبد
الملك بن مروان، ثم صلبه،

سنة ٧٩ هجرية.

- س -

أَكْتُبُ الْآنَ مَا يَقْرَأُ الْمَوْتُ: هَذَا
الْفَضَاءُ الَّذِي تَتَقَطَّعُ فِيهِ الرُّؤُوسُ،
وَأُحْيِي
بِاسْمِ أَثْرَاحِهِ وَأَفْرَاحِهِ
كَزَمَةِ التَّائِهِينَ، السُّقَاةَ، النَّدَامَى
وَأَوْجَاعِهِمْ، وَالْكُؤُوسَ،
أَكْتُبُ الْآنَ - مَهْلًا،
أَسْمَعُ خَطْوَ الْمَلُوكِ الْمَجُوسِ؟

○ قال الراوي:

كَانَ الْجُهَنِيُّ يَقُولُ: «الْإِنْسَانُ
مُرِيدٌ قَادِرٌ،
وَلَهُ مَا شَاءَ»، فَسَمِّيَ كَافِرًا.
صَلَبُوهُ حَيًّا،
قِيلَ: احْتَزُّوا رَأْسَهُ.
وَلَهُ أَتْبَاعٌ قَالُوا عَنْهُ:
«خَيْرِ الدُّنْيَا كِي يَزِيحَ نَفْسُهُ».

وثنى الراوي:

أَثْرَاهُ، كَمَا أَكَّدَ الْجُهَنِيُّ، الْقَدَرُ
كُرَّةٌ فِي يَدِ الْبَشَرِ؟

* قال لي:

وَجْهَتِي فِي اتِّحَاءِ الْجِهَاتِ،
وَشَكِّي مِمَّا تَبَقَّتْهُ،
وَفِي مَا تَبَقَّتْهُ.

معبد الجهنني، صلبه عبد
الملك بن مروان سنة ٨٠
هجرية.

○ حَدَّثَ الرَّاويَةُ:

أَكَلَ الْجَمْرَ إِلَى أَنْ مَاتَ: بِهَذَا
حُكْمِ الْحُجَّاجِ عَلَيْهِ.

وَتَى الرَّاوي:

زَمَنَ: مَرَكَبُ سَمْعٍ
يُنَجِّرُ فِي أَمْوَاجِ الْعَيْنِ.

- ع -

أَسْحَابَةٌ تُلْقِي عِبَاءَتَهَا عَلَيَّ؟ حَفِيفُهَا
لُعَّةُ التَّجُومِ الْآفِلَةِ -

يَبِيَّةٌ، وَقَافِلَةٌ تُضَيِّعُ قَافِلَةً.

وَأَنَا الشَّهَادَةُ - حَائِرًا يَهْذِي

كَمَنْ يَمْشِي عَلَى أَشْلَائِهِ

يَمْشِي وَيَزْتَجِلُّ الْفَضَاءَ

وَأَنَا الشَّهَادَةُ - أَرْضُنَا

طُمَسَتْ

لِكَثْرَةِ مَا تَرَاكَمَ فَوْقَهَا مِنْ أَنْبِيَاءَ.

الإشارة إلى إبراهيم بن يزيد
التميمي الكوفي، سنة ٨١
هجرية.

* إِنْ كَانَ هُنَاكَ جَمَالٌ

فَهُوَ الْخَرْقُ - أَفِيئُوا، وَاغْصُوا

لَا تَغْصُوا إِلَّا الْعَادَةَ.

- ف -

لَنْ أَقُولَ لَكُمْ كَيْفَ عَاشُوا، وَكَيْفَ
يَعِيشُونَ، أَوْ كَيْفَ جَاءَتْ إِلَيْهِمْ - عَنِيتُ
الْقُبُورَ، وَلَا كَيْفَ كَانُوا يَهْبِطُونَ إِلَيْهَا
بَأَجْسَامِهِمْ كُلَّهَا أَوْ بِسَاقَيْنِ، أَوْ كَتَفَيْنِ
وَصَدْرٍ. لَنْ أَقُولَ لَكُمْ كَيْفَ كَانَتْ تَجِيءُ
الرَّمَاخُ، تُثَقِّبُ أَجْسَادَهُمْ.

لَنْ أَقُولَ لَكُمْ كَيْفَ جَاؤُوا بِهِمْ

جُثَّتًا - مِنْبَرًا عَالِيًا مِنْ رَمَادٍ

خَطَبُوا فَوْقَهُ، وَصَلُّوا.

أَصْدَقَانِي - كَلَّا،

لَنْ أَبُوحَ بِأَسْرَارِهِمْ.

○ حَدَّثَ الرَّاوِيهِ:

وَقَعَةُ الدُّيْرِ -

دُنِيرِ الْجَمَاعَةِ،

هَلْ يُعْبَرُ عَنْهَا اسْمُهَا؟

مِنْ تَهَاوِيلِهَا،

يَجْبِسُ النَّاسُ أَنْفَاسَهُمْ،

وَتَشُنُّ الْمَعَاجِزُ.

وَتَشَى الرَّاوِيهِ:

ضَرَبَتْ عُتْقَةُ لَا لِشَيْءٍ،

سِوَى أَنَّهُ مِنْ صِحَابِ عَلِيٍّ.

سنة ٨٢ هجرية

والإشارة إلى كميل بن زياد
التخمي.

* مِنْبُذُونَ، وَلَكِنْ

فِي كُلِّ صَعُودٍ، أَوْ كُلِّ هَبُوطٍ

نَحْوُ جُذُورِ الْمَعْنَى،

أَثَرٌ مِنْهُمْ.

- ص -

كَيْفَ أَقْفُو خُطَاهُمْ، وَأَحْلُمُ أَحْلَامَهُمْ، وَأَنَا
نَفْيُهُمْ؟

وَلَا يَأْمَهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ سُدُودٌ
جَرَفَتْهَا خُطَايَ / خُطَايَايَ أَنِّي

لَا أَزَالُ أَعْنِي

كِي أَوْسَعَ آفَاقَهُمْ،

وَأَحَبَّ خُطَايَايَ مِنْ أَجْلِهِمْ.

فَلَأَقُلْ: لِمَنَّهُمْ هَجِيرٌ

وَأَنَا فَيْئُهُمْ.

الإشارة إلى أصحاب عبد
الرحمن بن الأشعث. قيل إن
الحجاج قتل منهم مئة وثلاثين
الفأ. بينهم علماء كثيرون،
منهم: مالك بن دينار،
الحسن البصري، عبد الرحمن
بن أبي ليلى، الشعبي، ابن
مسعود، أبو البختري،
المعمر بن سويد، عمران بن
عصام الضبيعي.

والحوار بين الحجاج وهذا
الآخر، سنة ٨٣ هجرية.

○ قال الراوي:

مُنَى وَفَرَادَى

يَقْتُلُهُمْ صَبْرًا، -

- «لَنْ تُفْلِتَ مِنِّي حَتَّى تَشْهَدَ
أَنَّكَ تَكْفُرُ،

- كَلَّا، لَمْ أَكْفُرْ مِذَّ آمَنْتُ،

- خُذُوهُ، خُزُوا رَأْسَهُ.

وَتَى الزاوي:

لَا نَذْرِي - أَثَرَاهُ الْمَعْنَى، مَنِبُودًا
يَتَشَرَّدُ فِي بِيْدَاءِ الشَّكْلِ؟ أَشَكُلُ
يَتَشَرَّدُ مَنِبُودًا

فِي بِيْدَاءِ الْمَعْنَى؟

* تَحْتَ فَيِّ تَبَارِيحِهِ،
يَتَعَهَّدُ مِيرَاثَهُ - غَاضِبًا، حَانِيًا
وَيَتَابِعُ تَرَحَالَهُ.

○ قال الزاوي:

قَتَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ، خَزَا رَأْسَهُ
وَرُوَّسَ الْبَاقِيْنَ مِنَ الْأَنْصَارِ
الْخُلَصَاءِ،

طَيْفَ بَرَأْسِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي
بَغْدَادَ وَمَصْرَ وَالشَّامَ، وَقَالُوا:
قَطَعَ الْحِجَابُ رُؤُوساً أُخْرَى
لِلْعُلَمَاءِ.

وَتَى الزاوية:

إِنَّمَا أَرْضُنَا فِي ثِيَابِ الْجِدَادِ:

أَتَرَى تَعْرِفُ الثَّمَرَ الْمَرْءَ، تَعْرِفُ
مَاذَا يُبْرِىءُ الْحَصَاذَ؟

- ق -

هُوَذَا السَّجْنُ وَالْقَتْلُ وَالصَّلْبُ، ثَالُوثُ هَذَا
الْمَكَانِ

وَالزَّمَانُ الْمَهْرَجُ وَالْمَهْرَجَانُ -

وَأَنَا، لَا طَرِيقِي جِنَانٌ، وَلَا خَطَوَاتِي جَحِيمٌ
لَا تُغَيِّرْ نِدَاءَكَ، يَا أَيُّهَا الْبَدَوِيُّ الَّذِي فِيَّ،
يَا أَيُّهَا الْبَدَوِيُّ الْكَرِيمُ،

جَامِحًا، أَتَتَّعِمُ فِي قَيْدِكَ السَّاجِرَ،

فِيهِ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَى نَفْسِهَا -

آه، يَا أَسِيرِي.

الإشارة إلى عبد الرحمن بن
الأشعث، سنة ٨٤ هجرية.

بين هؤلاء العلماء: أيوب بن
القرية، عبد الله بن الحارث
ابن نوفل، سعد بن إلياس
الشيباني، عبد الله بن قتادة.

* يُوقِظُ الشَّمْسَ مِنْ نَوْمِهَا
وَيَرْشُّ عَلَى وَجْهِهَا مَاءَهُ.

خَلَفَ أَيَّامَنَا السَّاهِرَةَ
صَائِدٌ، يَتَرَصَّدُ غَزْلَانَهَا النَّافِرَةَ،
وَالسَّمَاءَ رِداءً لِأَحْلَامِنَا
كَلَمًا مَزَقَّتُهُ مَرَارَاتُنَا وَالْهَمُومُ،
رَقَعَتْهُ الْغُيُومُ -
إِنَّمَا آخِرُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي قَالَهَا نَبِيٌّ
قَضَى يائِسًا.

حوار بين عبد الملك بن
مروان وأحد مُقَرَّبِيهِ،
سنة ٨٥ هجرية.

الكلام لعبد الملك بن مروان.

* صَوَّرِي أَنْتِ، أَيَّتُهَا الْمَعْصِيَةُ
جَسَدَ الْأَغْنِيَةِ،
وَاقْرَأِي هَيْتَ لَكَ
عَاشِقِي، أَيُّهَا الْفَلَكَ.

○ حَدَّثَ الزَّاوِيَةَ:
- «ثَبِثْ، يَا سَيِّدِي، عَاجِلًا،
- ثَبِثْ قَبْلَ الْأَوَانِ،
لَأَتِي أَعْرِضُ عَقْلِي
عَلَى النَّاسِ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ.»
جَفِيَّةٌ، كَانَ يَمْسُحُ
دَمْعَهُ.

وَتَى الزَّاوِيَةَ:
قَالَ فِي خُطْبَةٍ:
«كُلُّ مَنْ قَالَ لِي:
«اتَّقِ اللَّهَ»، أَقَطَعُ رَأْسَهُ».

○ وَثْنَى الزَّائِيَةِ:

قَالَ فِي خُطْبَةٍ -

«أَيُّهَا النَّاسُ، عِنْدِي دَوَاءٌ وَحِيدٌ
لِكَيْ تَسْتَقِيمُوا»،
وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ.

وَثْنَى الزَّائِيَةِ:

«قَالَ عَمْرُو، وَقَلْنَا

كَانَ سَيْفِي أَسْرَعَ مِنْ رَأْسِهِ.»

وَثْنَى الزَّائِيَةِ:

شَجَرٌ يَتَسَاقَطُ مِنْ أَجْسَامٍ، مِنْ
أَرْوَاحٍ، -

سَيَقَالُ تَحْيِيرٌ فِيهِ

مِشْطُ الْجَنَّةِ.

- ش -

رَأْسُهَا شَامِخٌ، تَبَخَّرَتْ، تَحَنُّو،

تَتَلَفَّتْ: عَيْنَانِ أُفُقٌ،

وَقَرْنَانِ - بَذَرٌ وَهَالَةٌ.

عَلَّمِنَا شُرُودَ الْبَدَاوَةِ، حَرِيَّةَ الْبَدَاوَةِ،

يَا هَذِهِ الْغَزَالَةُ.

الإشارة إلى عبد الملك بن
مروان،

وإلى عمرو بن سعيد بن
العاص، وكان عبد الملك قد
ولاه العهد بعد ابنه، ثم
قتله.

* يَخْرُجُ الضُّوءُ مِنْ نَفْسِهِ،
كَيْ يُلَاقِيَ أَطْيَافَهُ.

○ قال الراوي:

إِنَّ مَرْوَانَ

يُسَلِّمُ أَنْفَاسَهُ لِلْهَبَاءِ،

كَمْ زَمًا، كَمْ تَغْنًى:

«شَرِبْتُ الدَّمَاءَ».

وثنى الراوي:

أَوْصَى وَلِيَّ عَهْدِهِ الْوَلِيدُ:

«ضَعْ سَيْفَكَ عَلَى عَاتِقِكَ، فَمَنْ

أَبْدَى ذَاتَ نَفْسِهِ، فَاضْرِبْ

عُنُقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ، مَاتَ

بِدَائِهِ».

وثنى الراوي:

عَزَّشَ - تَمَثَّلَ عِظَامَ.

- ت -

يَقْرَأُ الْفَجْرُ مَا كَتَبَتْهُ خُطَايَ - دُرُوبِي

لَعَنَةً لَا يَرَاهَا سِوَاهُ،

وَأَرَى النَّاسَ شَطْرَيْنِ: شَطْرًا

يَقْتَدِي بِالذَّنَابِ، وَشَطْرًا

يَهْتَدِي بِالنَّعَامِ

أَوْ، أَتَى، وَكَيْفَ سَأَكْتُبُ مَرْثِيَّةً

لِلْكَلامِ؟

* أَلْصَبَاحُ انْحَنَى فَوْقَهُ

وَأَنْحَنَى فَوْقَهُ الْمَسَاءُ:

لَا يُبَاحُ بِهَذَا لِغَيْرِ الشُّرَاةِ مِنْ

الْأَصْدِقَاءِ.

الإشارة إلى موت عبد الملك
بن مروان سنة ٨٥ هجرية.

○ حَدَّثَ الرَّاوِيَهُ :

- «صِفْ لِي السُّكْرَ، يَا أَخْطَلُ»،

- «زَهْوٌ فِي أَوَّلِهِ،

وَصُدَاعٌ فِي آخِرِهِ،

مَا بَيْنَهُمَا،

لَا وَضَفَ لَهُ.»

- «مَاذَا تَعْنِي؟»

- «إِذَا مَا نَدِيْمِي عَلَّنِي،

ثُمَّ عَلَّنِي

ثَلَاثَ رَجَاجَاتٍ

لَهُنَّ هَدِيرٌ،

خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلَ يَبْهًا، كَأَنِّي

عَلَيْكَ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمِيرُ.»

- ث -

أَتَحْمَلُ أَعْبَاءَ أَرْضِي -

أَحْلَامَهَا وَالْهَمُومَ،

غَيْرَ أَنِّي لَا أَتَقَدَّمُ - أَمْشِي، كَأَنِّي

فِي الْقَيْدِ أَمْشِي.

أَثْرَانِي عَرَّافٌ هَذَا الْعُبَارِ،

وَنَحَاتُ هَذَا الْغَيْومِ؟

* أَلَكَلَامُ النَّبِيِّ الْمَطَارِدُ ذِئْبٌ،
وَهُوَ جِسْمٌ وَبَيْتٌ لَهُ.

حوار بين عبد الملك بن مروان والأخطل.

- خ -

الْتَبَوَاتْ ثَوْبُ
نَسَجْتَهُ بِأَهْدَابِهَا أَرْضُنَا
وَالسَّمَاءُ وَأَفْلَاكُهَا تَدُورُ عَلَى أَرْضِنَا -
فلماذا

كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا خَوَاءٌ؟
ولماذا كُلُّ شَيْءٍ أَصَمٌّ وَأَعْمَى؟
ولماذا

تَتَدَوَّرُ فُقَاعَةٌ مِنْ زَبَدٍ؟
أَوِ مِنْ أَرْضِنَا وَوَاهَا عَلَيْهَا
أَبَدٌ مِنْ قِيُودٍ
سَابِخْ فِي أَبَدٍ.

* يَغْسِلُ الْأَبْجَدِيَّةَ مِنْ لُغَةٍ مُظْلِمَةٍ
تَتَرَسَّبُ فِيهَا، وَتَطْفُو عَلَيْهَا
هَذِهِ الْكُرَّةُ الْمُتَخَمَّةُ.

○ حَدَّثَ الرَّاويهِ :

سَمِعِي رَشَحَ الْحَجَارَةِ،
مِنْ بُخْلِهِ.

وَتَمَّتِ الرَّاويهِ :

يُقَالُ، لَمَّا وَلَّيَ
الْخِلَافَةَ،

جَاوَزَهُ بِالْمَصْحَفِ
قَلْبُهُ، أَطْبَقَهُ،

وَقَالَ :

«إِذْهَبْ عَنِّي

هَذَا آخِرُ عَهْدِكَ بِي»

أَوْ قَالَ :

«هَذَا آخِرُ عَهْدِي بِكَ.»

الإشارة إلى عبد الملك بن
مروان.

- ذ -

عَبَثًا أَقْرَأُ الظَّلَامَ

عَبَثًا أَقْرَأُ الضُّوْءَ، لَا شَيْءَ غَيْرُ الْخَلِيطِ
الْمُقْتَنِعِ، فِيهِ

يَتَرَاءَى الظَّلَامُ ضِيَاءً،

وَالضِّيَاءُ ظِلَامًا

أَتَرَاهُ السَّرَابُ؟ وَلَا شَيْءَ غَيْرِ التَّحْيِيرِ فِيهِ،
وغير التَّنْبِيْءِ،

لَا شَيْءَ غَيْرِ الْكَلَامِ.

○ قال الزَّواي:

قال عمر بن عبد العزيز:

«الوليد بالشَّامَ، والحجاجُ
بالعراق، وعثمان بن جُبَّارة
بالحجاز، وقرّة بن شريك
بمصر، - امتلأت الأرضُ،
والله، جُوراً.»

وثنى الزَّواي:

هَلْ كُلُّ هَبوطٍ مِعْرَاجُ صُعودٍ؟

* حُرّاً، وأسيراً لهواء الحرية، -
دَوَّبَ شَمْسِي فِي مِلْحِ اللَّيْلِ،
يا هذا السَّيْلُ.

- ض -

لِلأَمِيرِ وَأَبْنَائِهِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَائِهِ،
يَسْكُبُ التَّابِعُونَ: الْبِلَادَ، الْحَيَاةَ، الزَّمَنُ
فِي قِصَاعٍ -
يَرِضُونَ أَجْنَادَهُمْ حَوْلَهَا:
طَائِفٌ يَنْتَشِي،
أَكِلٌ يُفْتَنُ.

حوار بين الخليفة الوليد
وابراهيم بن أبي زُرعة، سنة
٨٨ هجرية.

○ حدث الزاوية:

- «أثره الخليفة يُخَضَّرُ،
يَوْمَ الْحِسَابِ، يُحَاسَبُ
كَالْآخَرِينَ؟»
- «لماذا، إذن
هَذَا اللهُ دَاوُدَ
وَهُوَ الْخَلِيفَةُ،
وَهُوَ النَّبِيُّ؟
تَرَى أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْهُ؟»

وثنى الزاوية:

أثره يَحِينُ اللَّقَاءَ

بين مَرَضَى خِرَافَتِهِمِ وَالِدَوَاءِ؟

* لَا تَكْتُبُ أَرْضَ الْحَرِيَّةِ
إِلَّا لُغَةً وَخَشِيَّةً.

○ حَدَّثَ الزَّائِيهِ :

«إِنَّ مِنْ دِينِنَا

قَتْلَ مَنْ كَانَ مِنَّا -

وَمِنْ غَيْرِنَا، كَافِرًا،

لَا يَرَى رَأْيَنَا.»

- ظ -

لِحَيَاتِي - بَيْتًا مِنْ قَصَبٍ

مُلْكًا لِهُبُوبِ الْحَلَمِ،

وَجُرْحًا

نَبَوِيٍّ الدَّاءِ،

لِحَيَاتِي - رَمَزًا،

يَعْلُو الشَّعْرُ سِرَاجًا

فِي لَيْلِ الْأَشْيَاءِ.

الإشارة إلى رأي كان يقول به
مسلمون كثيرون، سنة ٩٠
هجريّة.

* هِيَ ذِي الشَّمْسِ فِي جُرْجِهِ،

فِي سَرِيرِ مَنَامَاتِهِ -

تَتَزَوَّجُ أَهْدَابُهَا مَصَابِيحَهُ.

○ وَتُنَى الراوية:

«قَبَّحَ اللَّهُ دِينًا

لا يتم بغير القتال،

وَسَفَكَ الدَّمَاءَ».

- غ -

أَخْتَفِي، هَذِهِ اللَّيْلَةُ، الْآنَ، فِي هَذِهِ
اللَّحْظَاتِ، بِمَا هَامَ، أَوْ جُنَّ، أَوْ حَنَّ

فِي سَعَفٍ أَوْ قَصَبٍ -

إِنَّهُ عِيدِي الْمَتَفَرِّدِ، بَيْنَائِي الْأَثِيرَةُ،

عِيدُ الْمَرَارَاتِ،

عِيدُ الْأَقَاصِي،

وَعِيدُ التَّعَبِ.

تُنسب هذه العبارة للجهنم
الشَّيْبَانِي، مُحَاطِباً سُوَيْدَ
الْخَارِجِي،

سنة ٩٠ هجرية.

* ظِلُّهُ شَاعِرٌ آخَرُ،

مِثْلَ طَيْفٍ - يَفِيءُ إِلَيْهِ،

وَيُسَافِرُ فِي وَجْهِهِ.

فاصلة استباق

هُوَذَا أَمَامَكَ بَابُ التَّارِيخِ

«اخْلُغْ نَعْلَيْكَ»

يَمِيناً يَسَاراً اسْتَقِمْ

مِنْ شَيْءٍ يَشْبَهُ الْقَبْرَ تَبْدَأُ الْحِكَايَةَ لَيْسَ صَغَباً أَنْ نَتَخَيَّلَ قَبْراً يَتَكَلَّمُ وَحِيداً قَبْراً، آخَرَ يَنْخَرِطُ فِي حَوَارٍ آخَرَ يَنْتَمِي إِلَى جَوْقَةٍ يُمْكِنُ الْقَوْلُ أَيْضاً: الْقَبْرُ وَجْهٌ.

عِنْدَمَا نَقُولُ عَنْ شَيْءٍ إِنَّهُ وَجْهٌ نَقْدَرُ أَنْ نَقُولَ عَنْهُ إِنَّهُ كَائِنٌ حَيٌّ مَا دُمْتَ تَرَفُضُ أَنْ تَنْسَى الْوَجْهَ أَوْ تَهْجُرَهُ، وَهُوَ هُنَا الْقَبْرُ، فَالْقَبْرُ يَبْتَ لَكَ

مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ الْقَبْرُ إِلَّا شَكْلاً - هَيْكَلًا - لَكِنْ حِينَ نَتَكَلَّمُ مَعَهُ نَتَكَلَّمُ مَعَ شَيْءٍ لَيْسَ مَوْجُوداً دَاخِلَ هَذَا الشَّكْلِ - الْهَيْكَلِ

- هل التاريخ
تجاعيد في وجه
الفجر؟

هل الأعناقُ الرُّؤُوسُ قبورُ عاتمة؟

لَمْ إِذْنِ هَذِهِ الْأَعْنَاقُ الَّتِي تَزِينُ السَّاحَاتِ؟ لَمْ إِذْنِ، هَذِهِ الرُّؤُوسُ الَّتِي تَزْخَرُفُ الْجُدْرَانُ؟

هل التاريخ قبرٌ على صورةِ النجم؟

«كَانَ قَيْسُ بْنُ الْمُلُوحِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَجْنُونُ، يُخْرُجُ إِلَى الشَّامِ وَيَسْأَلُ: أَيْنَ أَرْضُ بَنِي عَامِرٍ؟ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْهَا؟ عَلَيْكَ بِذَلِكَ النَّجْمِ!»،

- هل التاريخ
مسرح دُمي
وقاعات؟

فِي اهْتِدَائِهِ، كَانَ يَسْمَعُ كَلَاماً سَمِعَ مَرَّةً:

«إِنِّي وَهَذِهِ الزَّرَافَاتُ لَا أَجِدُ أَحَداً يَسِيرُ فِي زَرَاةٍ إِلَّا سَفَكَتْ دَمَهُ، وَاسْتَحَلَّتْ مَالَهُ».

- افركوا وَجْهَ
الليل بماء
الورد.

وَمَرَّةً، سَمِعَ:

«يَا أَهْلَ كَذَا، إِنَّ الشَّيْطَانَ اسْتَبْطَنَكُمْ خَالِطَ اللَّحْمِ وَالذَّمِّ وَالْعَصَبِ وَالْمَسَامِيعِ وَالْأَطْرَافِ ارْتَفَعَ وَعَشِشَ بَاضٌ وَفَرَّخَ ذَبٌّ وَدَرَجَ حَشَاكُمُ يَفَاقاً وَشِيقَاقاً أَسْعَرَكُمْ خِلَافاً اتَّخَذْتُمُوهُ دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِداً تَطِيعُونَهُ وَمُؤَامِراً تَشَاوِرُونَهُ

كَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةٌ أَوْ يَنْفَعُكُمْ بَيَانٌ؟».

وَكَانَ الْمَجْنُونُ، حِينَ يَسْمَعُ

يَطْمَئِنُّ إِلَى أَنَّهُ وَحِيدٌ.

«... هكذا تَمَّ حلولُ التعبِ والآلامِ بوصولِ أبي الذَّهبِ إلى دمشق الشَّامِ مَجْهَزاً من علي بيك زعيم المماليك بجيشٍ كبيرٍ وفتوى من المذاهبِ الأربعة

نَصَبَ القنابِلَ على القلعة وعلى البَلَدَةِ هَدَمَ من الجامع الأموي ما هَدَمَ استمرَّ أهل الشَّامِ بعد ذلك في عظيم الشَّدَةِ والضَّيقِ

كان سَبَبَ جميع ما وَقَعَ، بقضاء الله تعالى، على أهل هذه البلدة المقدَّسة، الظُّلْمُ والتَّعَدِّي وتولية الأمور لغير أهلها. قال صلى الله عليه وسلَّم: «إذا وُسِدَ الأمرُ لغيرِ أهله، فَارْتَقَبُوا السَّاعَةَ».

ولم يقدر أحدٌ أن يتكلَّم

نَسألُ الله سبحانه بالأنبياء العظام

بالملائكة الكرام

أَنْ يُلْهِمَ الدَّوْلَةَ العليَّة الانتقام

مِنْ كان السَّبَبُ في تحريكِ هذه الأمور

وتَحْريبِ البلاد

وإيذاء العباد،

ونُهْبِ الأموال.

إلى هُنا،

جَفَّ القَلَمُ

بما وَقَعَ وَرَحِمَ

بدمشق الشَّامِ

صَيِّتَ عن الآلامِ

على أمدِ الأيامِ

ما نأخِ حمام

وهَطَّلَ غمامٌ -

آمين.»

- إلى أين سيقدونا التَّجْمُ الذي تُنْهَدِي به؟ وهل التَّارِيخُ مُشْجِبٌ نعلَقُ عليه الرؤوس؟

- يسأل، يريد أن ينشر ملح الفوضى

- أن يجلسَ على كرسِيِّ الموج، ويزعمُ أنَّ الهراء يصطادُ السَّماءَ.

بلى، نشهد جَهْراً

أَنَّ ذلك التَّائِهَ (بجنونٍ آخر).

«حينَ تَنَاولَ من الكعبة حجراً

وثَبَ الحجرُ من يده،

وعادَ إلى موضعه» -

وكان القرمطي، في السنة ٣٢٠ للهجرة، قد باعَ الحجرَ الأسودَ بثلاثين ألف دينار. ولما أرادَ أن يُسَلِّمَهُ لِلَّذِينَ اشْتَرَوْهُ، (وقيل: لما رَضِيَ أن يُعيدَهُ)، أحضرَ جماعةً مِن أَهْلِ الكوفة، وقال: «اشْهَدُوا أَنَّهُمْ تَسَلَّمُوا الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ»،

بعد الشَّهادةِ والرُّضَى بأنَّ ما تَسَلَّمُوهُ هو نفسُهُ الحجرِ الأسود، قال:

«يَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُمْ

مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ؟

لَعَلَّنَا أَخْضَرْنَا آخَرَ

مِنْ هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ،

عِوَضاً عَنْهُ».

- إلى أَيْنَ سَيَقُودُنَا التَّجْمُ الَّذِي نُهْتَدِي بِهِ؟

هَوَامِش



- I -

لقيط بن يعمر الإيادي

أَفَرَعْتَ إِيَادًا، لَكِنْ

لَمْ يَتَرَدَّدْ كِسْرَى فِي قَطْعِ لِسَانِكَ

هَلْ كُنْتَ أَسِيرَ وِفَاءٍ،

أَمْ كُنْتَ أَسِيرَ بَيَانِكَ؟

قُلْ لِإِيَادٍ: شِعْرِي صَارَ الْآنَ، لِسَانِي،

قُلْ لِلشَّعْرِ: اخْضُتِي، -

سَوَيْتُكَ قَبْرًا

وَتَحَذِثُكَ أَهْلًا.

كان كاتباً في ديوان كِسْرَى،
سابور ذي الأكتاف. رآه
ينوي غزو إِيَاد، فكتب إليهم
رسالة - قصيدة يحذّرهم.
وقعت الرسالة بيد كِسْرَى،
فقطع لسانَ لقيط، وغزا
إِيَادًا. يقول في القصيدة -
الرسالة: «يا لهف نفسي، إن
كانت أموركم

شئى، وأُخِيكُمْ أَمْرُ النَّاسِ،
فاجتمعوا».

- II -

بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمِ الْأَسَدِيِّ
يَا هَٰذَا الْأَشْيَاءَ،

قُولِي أَسْمَاءُكَ: مَاذَا، كَيْفَ، وَأَيْنَ؟
الْإِسْمُ حَيَاةٌ - لَكِنْ،

مُنْذُ وُلِدْتُ، وَمُنْذُ سُمِّيتُ، أَعَاشِرُ
مَوْتِي

وَأَسَائِلُ: مَاذَا تُجَدِّي

فِي أَرْضِ الْغَرْبَةِ، أَرْضِ الْمَوْتِ،
الْأَسْمَاءُ؟

أَرْضٌ - مُخْتَبِرٌ لِلصَّوْتِ

لَا يَنْطَقُ فِيهَا إِلَّا الْمَوْتُ.

كان فارساً شجاعاً عرف حياة
الأنسر، ومات في إحدى
غاراته .

يصف الإنسان بأنه «رهين
بلى»، ويقول في إحدى
قصائده: «كفى بالموت نأياً
واغتراباً» .

- III -

الأخنس بن شهاب التغلبي

إِنْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الْعِبَادُ

بُدِرُوا مِثْلَ زَرْعٍ يُعَدُّ لِيَوْمِ الْحَصَادِ،

فَلِمَاذَا التَّرَدُّدُ فِي الْغَيِّ؟ هَيَّا -

مَرْحَباً بِالْغَوَايَةِ

بَلَدًا فَارِسًا، وَرَايَةً.

كان اسمُ فرسه القَصَا، وكان
يُسَمَّى «فَارِسَ الْقَصَا» يقول
في إحدى قصائده: «وقد
عشتُ دَهْرًا، والسُّغْرَاءُ
صِحَابَتِي.»

- IV -

عوف بن الأحوص

حَيَارَى - يَجُوبُونَ الصَّحَارَى : هَجِيرُهَا

خِيَامٌ لَهُمْ . أَتَى تَقَرُّ عُيُوثُهُمْ

وليس لهم للنوم إلا سَرِيرُهَا؟

هُمُ صَوْتُ هَذِي الْأَرْضِ - تَجْمَعُ بَعْتَهُ

وَهُمْ قَدَرُهَا - فَارَتْ دَمَاءُ، وَنَذِيرُهَا،

«فَلَا تَسْأَلِينِي، وَأَسْأَلِي عَنْ خَلِيقَتِي

إِذَا رَدَّ عَافِي الْقَدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا،

تَرَنِّي أَنَّ قَدْرِي لَا تَزَالُ كَانَتْهَا

لِذِي الْفَرَاةِ الْمَقْرُورِ، أُمُّ يَزُورُهَا.»

كان سيِّداً في قومه، وهو ابن
عمِّ الطفيل، والد عابر بن
الطفيل. والبيتان الأخيران من
قصيدة له.

- V -

السَّمَوَاتُ

كيف أعطيتَ عينيكَ للماء، أُنَى وكيفَ

قرأتَ الثَّبات؟

يَا سَمَوَاتُ، قل لي:

هل وفاؤكَ للموت أَم للحياة؟

صِرْتَ مِثْلَ الأثير - يُدَاعِبُ سَجَادَهُ

بأصابعٍ مِنْ حكمةٍ

في رواقٍ حميمٍ

ليس من ذلك الزَّمانِ

ولا ذلك المكان،

والفُصولُ له تُرجمان.

يَا سَمَوَاتُ، قُل لي:

كيف تَزَجَّتْ ليلَ الطَّبَاعِ، وكيف

نَسَجْتَ له الأغْنِيَا؟

اشتهرَ بوفائه. وهو القاتل في
إحدى قصائده: «يَقْرُبُ حُبُّ
الموتِ أَجَالَنَا لَنَا
وتكرهه أَجَالُهُمْ فتطول».

- VI -

الملتَمِس

هَذَا سُهَيْلٌ، وَهَذِي نَارُهُ - قُيِّسَتْ :

لَا شَيْءَ، فَالْتَجَمُ لَا يُعْطِي وَلَا يَعْدُ

أَغْرِقْ جِرَاحَكَ فِي كَأْسِ تَعَاثِيرِهَا

وَلَيْسْطَحِ الرَّأْسِ، وَلْتَشْرُدْ بِكَ الْكَبْدُ

لَكَ التَّرَحُّلُ مِثَاقٌ، إِذَا صَغُرَتْ

عَلَيْكَ أَرْضٌ، وَضَاقَ النَّاسُ وَالْبَلَدُ

«فَلَا يُقِيمُ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ

إِلَّا الْأَذْلَانِ: غَيْرُ الْحَيِّ، وَالْوَتْدُ

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْقُولٌ بِرُمْتِهِ

وَدَا يُشْجُ، فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ.»

هو خال طرفة بن العبد،
مات في بُصْرَى (سورية)،
ففي إحدى رحلاته. وفي
البيت الأول إشارة إلى قوله:
«وقد أضاء سُهَيْلٌ، بعدما
هَجَعُوا

كَأَنَّهُ ضَرَمَ بِالْكَفِّ مَقْبُوسٌ».
والبيتان الأخيران له.

- VII -

المرقش الأصغر

أَتَحَيَّلُ تِلْكَ الْبَوَادِي وَنَبَاتَاتِهَا السَّاهِيَةَ

تَتَحَدَّثُ عَنْ فَاطِمَةَ

عَنْ جَمَالِكَ، مُسْتَسْلِمًا

لِلشِّبَاكِ الْحَبِيبَةِ - تِلْكَ الشِّبَاكِ (الْخِيُوط) الَّتِي
نَسَجَتْهَا خُطَاهَا،

أَتَحَيَّلُ أَنَّكَ تُضْغِي، تَرَى فَاطِمَةَ:

جِسْمَهَا ذَائِبٌ فِي الْفَضَاءِ

وَالذَّرُوبُ إِلَيْهَا الْهَوَاءُ.

هو عمّ طرفة بن العبد اشتهر
بحبه لفاطمة بنت المنذر،
وبجماله.

- VIII -

حاتم الطائي

نَسْكُنْ، لَكِنْ لَا نَسْكُنُ إِلَّا

فِي كَلِمَاتٍ

وَالنُّكْتَى ظَرْفٌ

أَلْهَذَا، قُلْتُ لِهَذَا الْعَالَمِ

كُنْ ضَيْفِي

وَيَنْتَبِثْ لَهُ فِي صَدْرِكَ بَيْتاً

يَتَحَرَّرُ فِيهِ

وَحَنُونٌ عَلَيْهِ - حُبُّكَ حَوْلَ خُطَاهُ مِثْلُ

الْحَاتَمِ.

فِيهِ الْكَلِمَاتُ تَصِيرُ حَقُولاً

وَالْحَرْفُ يَصِيرُ رَغِيفاً.

يَا حَاتِمَ

حُلْمُكَ فِي شَجَرِ الْأَيَّامِ حَفِيفٌ دَائِمٌ:

«أَوْقِذْ، فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ

عَسَى يَرَى نَارَكَ مِنْ يَمْرُ

إِنْ جَلَبِثْتَ ضَيْفَاً، فَأَنْتَ حُرٌّ».

الأشطر الثلاثة الأخيرة لحاتم
الطائي، مخاطباً، عبداً عنده.

- IX -

الحارث بن حلزة البشكري

حارث؟ خائِنٌ لاسمه؟ - الحقولُ بَوارٍ

وكلامُ الرِّبيعِ فيها خريفٌ، وكلامُ

الشتاءِ صيفٌ: مَدَى مَنِيَتْ -

دوارٌ، وحيرةٌ، وانكفاءٌ

يَهْرُبُ النَّاسُ - يطلبون نِجاةً

بعضهم كالِدَوَاءِ، بعضٌ داءٌ

وأنا بينهم، أَتَغْنَى،

«لا يُقِيمُ العَزِيزُ بالبلدِ السَّهْلِ، ولا

ينفعُ الذَّلِيلُ التَّجاءُ.»

البيت الأخير للحارث

- X -

الأسود التَّهْشَلِيّ

نَادَمْتُ نَعْمَانَ: يَسْقِينِي، وَيَسْأَلْنِي،
وَيَسْتَضِيءُ، وَيَسْتَقْصِي، وَيَقْتَسِ

هَلِ الْمَلِكُ يَرَى فِي كَأْسِهِ قَلْقِي -

كَأَنِّي مُوثَّقٌ يَلْهُو بِهِ الْحَرَسُ؟

بِي شَهْوَةٌ لِقْفَارٍ لَا يُجَاوِرُهَا

غَيْرُ الْقْفَارِ - أَغْنِيهَا، وَأَمْحَضُهَا

حَبِّي: أَطُوفُ بِهَا،

أَخِيَا غَرِيبًا كَذِئْبٍ، لَا مَقَرَّ لَهُ

«وَلَا رَعِيَّةَ إِلَّا الطُّوفُ وَالْعَسَسُ».

كان ينادم النعمان بن المنذر،
والشطر الأخير من قصيدة
له.

شَيْخُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقَتِي
 حَذَرِي بِهَا أَفْضَلَ أَمْ الْبَيْدَانُ؟
 المتنبي

○ قال الزاوي:

أَلْبَحْرُ الْيَوْمَ،

يَتَجَمَّ كُلُّ

شَوَاطِئِهِ،

كَيْ يَمْلَأَهَا صَمْتًا.

- أ -

عَشِقْتَنِي الْبَحِيرَةَ، لَكِنْ مَنْ أَمَرُوا عَلَيْهَا
كَرِهُوا أَنْ نَكُونَ عَشِيقَيْنِ، أَنْ نَتَغَتَّى
بِصَفَاءِئِنَا -

يَسْكُرُ الْأَفْقُ مِنَّا،

وَيَسْكُرُ فِينَا،

وَيَلَايِسُ أَطْرَافَنَا،

هُودًا، أَتَرْحَلُ نَحْوَ التَّنُوخِي، أَمْضِي

مُودِعًا بَعْضَ مَا فِيَّ، فِيهَا -

أَتَرَاهُ التَّرَحُّلُ يَنْتِي؟

بحيرة طبرية.

والإشارة إلى علي بن ابراهيم
التنوخني في اللاذقية.

* وَحْدَهُ، مُفْرَدًا

وَالضِّيَاءُ الَّذِي يَتَبَجَّسُ مِنْ وَجْهِهِ،
شَاهِدٌ.

- ب -

لَنْ أَقْصَى اللَّقَاءَ

بَيْنَ شِعْرِي وَاللَّادِقِيَّةِ، كَلَّا

لَنْ أَبُوحَ بِمَا وَشَوْشَتْنِي الشَّوَاطِيءُ، مَا قَالَ
رَيْتُونُهَا وَمَا قَالَتِ الْكُرُومُ، الْجِبَالُ وَغَابَاتُهَا،

لَنْ أَبُوحَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَنِي - مَاذَا أَقُولُ؟

بَلَى، سَوْفَ اخْتَارُ تَلَاءً يَكُونُ لَهُ الْغَيْمُ وَجْهًا
حَيْثُ لَا تَخْرُجُ الشَّمْسُ مِنْ مَهْدِهَا حَيْثُ
يُسْتَقَطَّرُ الْحُبُّ وَالْفَجْرُ مِنْ زَهْرَةِ الْكِيْمِيَاءِ،

وَأَبُوحُ، وَلَكِنْ

لَنْ أَبُوحَ لِغَيْرِ الضِّيَاءِ وَغَيْرِ الْهَوَاءِ.

○ حَدَّثَ الرَّأْوِيَّةُ،

قَالَ عَنْهُ رُؤَاةٌ:

شَحِبَتْ، بَعْدَهُ، تِلَالٌ

كَانَ يُلْقِي عَلَيْهَا

قَصَائِدَ لَمْ

تُكْشَفْ

بَيْنَ أَوْرَاقِهِ.

* أَمْشِي - لَكِنْ

تَتَبَاطَأُ، تَلْهُو، لَا تَتَّبِعُنِي:

هَلْ تَعِثُ أَحْلَامِي مَتًى؟

○ قال الزاوي :

لم نَعْرِفْ ما يَشْهَدُ أَنَّ

الْجَنَّةَ أَرْضٌ

سُقِفَتْ بِسَماءٍ أُخْرَى

إِلَّا سَقَطَ أَدمُ

فِي طِينِ الْعَالَمِ.

- ج -

تِلْكَ أَنْطَاكِيَّةُ

تَتَوَسَّدُ شَمْساً وَبَحْراً

وَالْمَغِيثُ يَقْرُبُ أَحلامِي الثَّائِيَّةُ.

جَسَدِي نَشْوَةٌ

وَدَمِي سَابِغٌ بَيْنَ أَفْلاكِها.

المغيث بن بشر العجلي.

لا عَن الْجَنَّةِ الضَّائِعَةِ

أَتَساءَلُ - لَكِنْ

عَن دُرُوبِي وَأَفاقِها الشَّاسِعَةِ.

* لا تَنْظُرْ خَلْفَكَ : ليس وراءَكَ إِلَّا
أَنْتَ، وَإِلَّا ظِلٌّ.

- د -

أَلْسَلَامُ السَّلَامُ لِأَنْطَاكِيَّةِ

لِلْمَغِيثِ وَلِلْأَصْدِقَاءِ

بِهِمِ الْأَرْضُ خَضِرَاءُ، زَاهِيَةٌ، صَافِيَةٌ

وَلَهُمْ كِبْرِيَاءُ الرِّجُولَةِ: كَلَاءُ،

لَا تَسِيرُ الْحَيَاءُ إِلَى أَوْجِهَا الرِّخْبِ،

إِلَّا بِأَعْجُوبَةِ الْكِبْرِيَاءِ.

ابراهيم التيمى زاهد كوفي،
سنة ٩٢ هجرية.

○ قال الراوي:

أَلْتَيْمِي قَتِيلٌ فِي سِجْنِ الْحِجَاجِ -

رَوَوْا عَنْهُ:

«كَانَ الطَّيْرُ يَرِفُ عَلَى كَتِفَيْهِ حِينَ
يُصَلِّي».

وَتَى الرَّاويهِ:

أَتَرَى أَرْضَنَا لُفَّةً فِي الْأَثَرِ،

لَا يَتَرَجَّمُ أَسْرَارَهَا

غَيْرُ قَتْلِ الْبَشَرِ؟

* يَغْسِلُ الْيَاسَمِيْنَ مَنَادِيلَهُ

فِي جَدَاوِلَ تَنْبُعٍ مِنْ شِعْرِهِ.

- ه -

كيف، ماذا، أتَهْذِي؟

لم أَقُلْ لِمُعَاذٍ

مِثْلَمَا قِيلَ عَنِّي: مُرْسَلٌ، أَوْ نَبِيٌّ.

قُلْتُ: أُعْطِي لِهَٰذِي الدُّرُوبِ،

لِتِلْكَ الْمَسَافَاتِ أَسْمَاءَهَا

وَأَجَاهِرُ أَنَّ الزَّمَانَ

لَيْسَ إِلَّا دَمًا

يَتَبَجَّسُ مِنْ شَرِيَانِ الْمَكَانِ.

○ قال الراوي:

- هَلْ أَنْتَ سَعِيدٌ بْنُ جُبَيْرٍ؟ كَلَّا

أَنْتَ شَقِيٌّ ابْنُ كُسَيْبٍ

- أُمِّي أَغْلَمَ بِاسْمِي مِنْكَ

- مَا أَشَقَّاكَ وَأَشَقَّى أَمَّكَ

- مَا أَشَقَّى أَهْلَ النَّارِ

- خُذُوهُ.

وَقَتَّى الرَّاوي:

أَخْذُوهُ، قَطَعُوا رِجْلَيْهِ

خَزَوْا رَأْسَهُ.

* شِعْرُهُ نَبْعُ ضَوْءٍ

يَحِيطُ السَّمَاءَ رِداءً وَيَكْسُو بِهِ

ضِفَّتَيْهِ.

وَقَتَّى الرَّاوي:

أَيُّهَا السَّيْفُ، قُلْ لِي: مَاذَا تَحْسَدُ

فِيكَ السَّمَاءُ، وَمَاذَا تَحْسَدُ فِيهَا؟

أبو عبد الله معاذ بن
إسماعيل.

حوار بين الحجاج وسعيد بن
جبير، وكان من العلماء،
سنة ٩٣ هجرية.

- و -

لم أَقُلْ: مُرْسَلٌ أَوْ نَبِيٌّ. قُلْتُ: هذا شتاء
الجماعة صَيْفِي، وصيفي شتاء، والخريفُ
رَبِيعِي

لِي فِي الْأَرْضِ بَابٌ يُؤَدِّي إِلَى الْمُسْتَسِيرِ، وَلِي
طَاعَةٌ - مِنْ عَلٍّ.

وَأَنَا مَنْ تَنَبَّأَ شِعْرًا.

لم أَقُلْ: مُرْسَلٌ أَوْ نَبِيٌّ

قُلْتُ: هذا الفضاء

يَتَنَوَّرُ بِاسْمِي مَا لَا يُقَالُ، وَيَصْدَحُ فِي مَطَرٍ
مُسْتَجَابٍ

لَا يَشَاءُ الَّذِي لَا أَشَاءُ.

صدحة المطر:

رقية كان العرب يقولون إنها
تمنع المطر أن يُصيب مكاناً
أصاب كل ما حوله من
الأمكنة. ويُنسب إلى النبي
أنه مارس هذه الرقية في
اللاذقية، تدليلاً على نبوته،
كما روى أبو عبد الله معاذ
ابن إسماعيل.

* جَسْمُهُ بَخْرٌ نَوْرٌ
تَتَمَرَّأَى الطَّبِيعَةُ فِيهِ.

○ قال الزاوي:

لا أروي إلا ما أسمعه - قالوا:

يَوْمَ الدِّينِ

تأتي الأرض إلى

بارئها،

في شكل غرابٍ

في زي امرأةٍ

مجنونة.

○ قال الراوي:

في عُرْفَةٍ

سُدَّتْ كُلَّ نَوَافِذِهَا كَالْقَبْرِ،
رَمَوْهُ فِيهَا - كَادَ يَمُوتُ.

وَتَنَى الرَّاوي:

لَمْ يَقُلْ قَوْلَهُمْ،

ولهذا قطعوا رأسه.

- ز -

كَيْفَ لِي أَنْ أَرُدَّ التَّبْوءَةَ - تَأْتِي

فِي قَمِيصٍ مِنَ الضَّوءِ، تُلْقِي وَجْهَهَا فِي
يَدَيَّ، وَتَنْفُثُ أَسْرَارَهَا فِي عُرُوقِي؟

وَأَنَا مَنْ تَنْبَأُ شِعْرًا

أُظْهِرُوا: إِنَّهَا الْآنَ تَفْرَشُ لِي سَاعِدَيْهَا
وَتُسَكِّنُنِي دَارَهَا

كَيْفَ لَا أُتَبَطِّنُ أَغْوَارَهَا؟

وَأَنَا مَنْ تَنْبَأُ شِعْرًا.

الإشارة إلى عمر بن عبد
المعز الذي حبسه الوليد،
لأنه خالفه في خلع أخيه
سليمان، من العهد، وتولية
ابنه، سنة ٩٥ هجرية.

الإشارة إلى قتيبة بن مسلم،
سنة ٩٦ هجرية.

* أَلْغَيْبُ كَمَثَلِ الطَّرَائِدِ، تَأْتِي إِلَيْهِ،
وَتَدْخُلُ فِيهِ -
أَتَرَاهُ شِبَاكَ لَهَا؟

○ قال الزاوي:

«رأيتُه -

كان كمن يركض في أكفانه».

- ح -

بِاسْمِ عِطْرِ يُسَافِرُ فِي عُتْقِ الرِّيحِ،

عِطْرِ جَرِيحٍ

بِاسْمِ مَوْتٍ يُرَابِطُ فِي دَاخِلِي - يَتَنَبَّأُ أَنِّي صِنْتُ
لَهُ

بِاسْمِ لَيْلٍ بِشِينَةِ مَيَّةٍ هِنْدٍ (جَسَدٍ يَكْتَوِي مِنْ
الْهَجَرِ - هَجَرٍ قَفْصٍ لَا حُدُودَ لِجُدْرَانِهِ)

بِاسْمِ أَشْيَائِي الَّتِي لَا تُسَمَّى، وَالَّتِي تَتَنَكَّرُ
فِي غَيْرِ أَسْمَائِهَا، وَتَغَيِّرُ أَسْمَاءَهَا وَتَمَحُو

بِاسْمِ حَبِّ

مُزْجَا مُزْجَا مُزْجَا، سَادَاعِبُ فِي تَعْبِي الْيَوْمِ
نَجْمًا

وَأَحَاوُلُ جَرَّ السَّمَاءِ إِلَى مَضْجَعِي.

وثنى الزاوي:

أخيا الصلاة، حزم الغناء.

كلمة قالها عمر بن عبد
العزیز، عندما وضع الوليد
في قبره.

الإشارة إلى سليمان بن عبد
الملك، سنة ٩٦ هجرية.

الإشارة إلى سليمان بن عبد
الملك.

* أَلَكُونُ وَجَسْمِي وَخَدَةُ حُلْمٍ

وَخَدَةُ شِغْرِ:

أَلِهَذَا نَحْنُ فِرَاقُ فِي أَوْجِ عِنَاقٍ؟

- ط -

تاريخيَ بدء (كلّ غريبِ بدء).

حوالي، هذي اللحظة، موج

لا تعرف كيف تُسافرُ فيه

سُفُنُ المعنى

نحو الأشياء، ونحو الأسماء

كُنْ، يا جسدي، نُوراً

وَتَبَدَّدْ

في هذي الأزجاء.

○ قال الراوي:

- «مَنْ اسْتَخْلَفَ؟ إِبْنِي؟

- غائب.

- إِبْنِي الْآخَرُ؟

- ما زالَ صغيراً.

- اسْتَخْلَفَ عُمراً.

- اتَّخَوَّفَ، لا يرضاهُ أَحَدٌ مِنْ

أَهْلِ أُمِّيَّة.

- اسْتَخْلَفَهُ

وَاسْتَخْلَفَ مَعَهُ، مِنْ بَعْدِ،

يَزِيداً.

- رَأَيْ صَائِبٍ.

وَتَى الرَّاوي:

كَتَبَ الْعَهْدَ خَفِيّاً فِي قُرْطَاسٍ

مُخْتَوِّمٍ، وَدَعَا لِلْبَيْعَةِ:

- «مَنْ فِيهِ؟

- مُخْتَوِّمٌ، لَا يُفْتَحُ إِلَّا بَعْدَ

الْبَيْعَةِ.

- نَرَفُضُ، كَيْفَ تُبَاعِ مَجْهُولاً؟

- مَنْ يَرُفُضُ، يَقْطَعُ رَأْسَهُ.

* غَيَّرَتْ وَجْهَهَا الْحَيَاءُ،

احْتِفَاءً بِمَا قَالَهُ أَمْسٍ عَنْهَا.

حوار بين سليمان بن عبد
الملك ورجاء بن حياء، سنة
٩٧ هجرية.

والإشارة إلى عمر بن عبد
العزيز

وزيد بن عبد الملك.

- ي -

حَمَلْتُ شَمْسِي وَأَيَّامِي وَأَسْئَلْتِي
وَرَحْتُ أَسْتَفْرِئُ الدُّنْيَا، وَأَمْتَحِنُ
لَا أَرْضَ، لَا وَطَنَ
إِلَّا رُؤَايَ - تَرَوُزُ الْمَجْدَ، تَرْسُمُهُ
بَحْرًا وَتُوغِلُّ فِيهِ، تَسْتَضِيءُ بِهِ
الشَّعْرُ رَبَانَهَا، وَالْمَرْكَبُ الزَّمْنَ.

كلامٌ لعمر بن عبد العزيز،
مشيراً هنا إلى المركب الخاص
بالخليفة،
سنة ٩٩ هجرية.

* لَا يُرْسِي،
إِلَّا كِي يُحْسِنَ خَوْضَ اللَّجَةِ
فِي أَمْوَاجٍ لَا يَعْرِفُهَا.

○ قال الزاوي:

- «ما هذا المركب؟»

كلامٌ

لا حاجة لي فيه.

وثنى الزاوي عن عمر:

«لا طاعة للمخلوق

السادر في معصية الخالق.»

وثنى عنه:

«رجلٌ هاربٌ من إمامٍ

ظالمٍ، لا يقالُ لَهُ: ظالمٌ.»

وثنى الزاوي عنه:

«نفسِي تَوَاقَّةٌ لِلْأَقَاصِي،

لَا لَا وَجُودَ لِأَفْضَلِ مِنْهُ.»

- ك -

لا لِوَعْدِ صَبَرْتُ، ولا قَلَقِي آمِلُ
أَتَرَاهَا الْحَيَاةُ اِمْحَاءُ الشَّوَاطِئِ،
وَالْمَوْجُ فِيَّ وَفِيهَا هُوَ الرَّاحِلُ؟
أَمْ تُرَانِي خُلِقْتُ، -

الْفَضَاءُ رِدَائِي

وَدَهْرِي مِسْجَبُهُ الْمَائِلُ؟

○ قال الراوي:

- «لا أَقْبَلُ هَذِي

الْحَالِ

لَا حَلِي: اختاري بين الحلي

وهذا البيت».

- «لا أختارُ سواكَ.»

- «إذن،

نُعْطِي الْحَلِيَّ

لبَيْتِ الْمَالِ.»

حوار بين عمر بن عبد العزيز
وزوجته فاطمة.

* يَتَشَرَّدُ فِي هَمِّهِ وَيَعْلُو، -
هَمُّهُ أَنْ يُدَبِّرَ طُوفَانَهُ.

○ وثى الراوي :

« لا تأخذهم بالظنة

خذهم بالإثبات،

وما أزمته السنة،

إن لم يصلحهم حق

لن يصلحهم شيء. »

وثى الراوي :

- « لا يصلحهم إلا سوط

أو سيف »

- « كلاً، بل يصلحهم عدل،

أو حق. »

- ل -

قُلْتُ لِلشَّمْسِ : اتركيني - لا تغيبني

حوالي جسمك عني،

ودعي زنديك مرسوماً على خاصرتي.

شهوتي أن أدخل الآن إلى غابة

نخل،

وأرى جسمي مرسوماً على أغصانها.

من رسالة كتبها عمر بن عبد
العزیز لعامله على الموصل،
بحسب الغساني، سنة ١٠٠
هجريه.

حوار بين عمر بن عبد العزيز
وعامله على خراسان، الجراح
ابن عبد الله.

* إبتكر كلمات

للمكان، تصير زماناً.

○ وثنى الراوي:

- «وَيْحَكَ، تَسْقِينِي سُمًّا؟»

- «أَعْطَوْنِي مَالاً، وَعَدُونِي أَنْ أُغْنَى.»

- «إِذْهَبْ، لَكِنْ

أَرْسَلْ مَا أَعْطَوكَ

لِبَيْتِ الْمَالِ

وَاهْرَبْ،

لَا تَتْرِكْ أَحَدًا

يَعْرِفُ أَنِّي تَذْهَبُ.»

وثنى الراوي:

مَسْمُومًا، مَاتَ،

وَجَاءَ يَزِيدُ بَعْدَهُ.

- ٢ -

لَسْتُ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ:

لَا أَمِيرٌ، وَلَا قِزْمَطِيٌّ

لَجَّةٌ تَنْتَأَى

لَجَّةٌ تَتَهَيِّدُ أَغْوَارَهَا سَحَابًا

هذه صورتي -

شَهْوِي

أَنْ أَفْصَلَ لِلضَّوءِ قُمْصَانَهُ.

حوار بين عمر بن عبد العزيز
وخادمه الذي سَمَّاهُ، سنة
١٠١ هجرية.

يزيد بن عبد الملك.

* يَحْدُثُ أَنْ تَتَجَلَّى نَارٌ

فِي صُورَةِ مَاءٍ.

- ن -

قَتْلَى، وَدُعَاةٌ

وَدُعَاةٌ - قَتْلَى

وَالنَّاجُونَ دُمَاءَ مَهْدُورَةٍ.

أَضْغِي لِأَرَاغِنِ هَذَا التَّوْحِ

الطَّالِعِ مِنْ أَنْقَاضِ الْوَقْتِ

النَّازِفِ مِنْ أَعْنَاقِ مَكْسُورَةٍ -

مَا أَخْفَى فِيهَا صَوْتَ اللَّهِ،

كَأَنَّ اللَّهَ الصَّمْتُ.

○ وَثْنَى الزَّوَايَ:

بَسْطَامُ يَخَاطِبُ

أَصْحَابَهُ:

«مَنْ كَانَ يَرِيدُ

الدُّنْيَا،

فَالدُّنْيَا وَلَتْ، وَالذَّارُ الْآخِرَةُ

الْمَأْوَى.»

وَثْنَى الزَّوَايَ:

«لَبَسُوا الْمَوْتَ،

وَلَكِنْ غُلِبُوا،

طُجِنُوا،

فِيمَا يُرَوَّى، طَخُنَا.»

* عَجَبًا، مَا لَهُ الْفَجْرُ، قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ

مَرَّةٍ،

شَفَقَتْنِي هَذِهِ الْمَقْبِرَةُ،

مَنْ هَدَاهُ إِلَيْهَا، وَمَنْ أَخْبَرَهُ؟

الإشارة إلى ثائر اسمه بسطام،
لكنه اشتهر باسم شؤذب،
سنة ١٠١ هجرية.

- س -

نَتَنَفَّسُ، لكن أهذا هواء؟

والقصيدة مَحْنُوقَةٌ - كتبوها على خُودَةٍ وعلى
سيف طاعٍ وكرسيه وراياته.

نَتَنَفَّسُ، لكن أهذا هواء؟

والقصيدة مَحْنُوقَةٌ - سُلِبَتْ نكهة

الأرض، دِفءُ المقام،

لم يَعُدْ يقرأ الكون - يعرفُ أن يقرأ الكون،
غيرُ الخروج

وغيرُ التطوُّحِ فوق شَفِيرِ الكلام.

يزيد بن المهلب

يزيد بن عبد الملك

معاوية بن يزيد بن المهلب.

عدي بن أخطاة

○ وثى الزاوي:

قتلوا ابن المهلب

قطعوا رأسه، نَصَبُوهُ في دمشق
وفي حَلَبٍ

قتلوا كلَّ أصحابه،

قتلوا أهلهم - كلَّ أطفالهم،
والتَّساء سَبَوْهُنَّ ببيعَت كبيع
الرقيق

ما أمرُ الخلافة بين يزيدٍ ورعايا
يزيد،

ما أَشَقُّ الطَّرِيقُ.

وثى الزاوي:

في وابط، كان معاوية

يقتل كلَّ الأُسرى -

كان عدي بينهم.

* يا للصَّخراء:

لغة أخرى في إنجيل الماء.

وثى الزاوي:

قتلوا تسعة صبيان، ورؤوسهم
نُصِبَتْ،

كانوا، فيما قيل، جَسَاناً - لا
يُعرفُ أَجَلُ منهم.

أرسلهم مسلمة بن عبد الملك
إلى أخيه الخليفة، فأمر بقطع
رؤوسهم ونُصِبَها.

- ع -

الزَّفِيرُ اسْتَطَالَ، تَحَوَّلَ، صَارَ

الطَّرِيقَ، -

لَمْ يَعْذُ فِي عُرُوقِي غَيْرُ الْهُجُومِ عَلَى الْغَيْبِ،

مَا لَا يَرَاهُ الْكَلَامُ،

وَمَا لَا يُطِيقُ.

قال مصعب الزبيري: رأى
عبد الملك بن مروان في
منامه، أنه بال في محرابه،
أربع مِزَات، وسئل سعيد بن
المسيب عن تفسير ذلك،
وكان هذا تفسيره، سنة ١٠٣
هجريّة.

○ حَدَّثَ الزَّائِيَةُ:

في المنام رأى أَنَّهُ بَالٌ

فِي قَلْبِ مَحْرَابِهِ، أَزْبَعًا.

سُئِلَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ:

- «كَيْفَ تُفَسِّرُ هَذَا الْمَنَامَ؟»

- «سَوْفَ يَمْلِكُ مِنْ صُلْبِهِ،

أَرْبَعَةً،

أَخْرَجُ الْمَالِكِينَ: هِشَامٌ.»

* فِطْرَةُ الشَّعْرِ فِي بَخْرِهِ

أَنْ يَكُونَ مُرِيدًا

لَا لِشُطَّانِهِ - بَلْ لِأَمْوَاجِهِ.

- ف -

فُسْحَةٌ فِي مَدَائِنِ حُلَمِي - أَتَقَدَّم فِيهَا أَتَشْرُدُ
فِيهَا،

لَا رَفِيقٌ وَلَا عَابِرٌ

غَيْرَ مَا يَتَمَوَّجُ فِي نَاطِرِي

لِأَقْلٍ إِنِّي أَمْتَزَايَ

وَمَرَايَايَ عَنِّي مَنِّي إِلَيَّ.

الإشارة إلى يزيد بن عبد
الملك الذي اشتهر بحبه هذا،
سنة ١٠٣ هجرية.

حوار بين يزيد بن عبد الملك
وهو يحتضر، وأحد الذين
حضرُوا موته.

* أَلَرَّبِيعُ يَقُولُ، وَقَالَ الْخَرِيفُ وَقَالَ
الشَّتَاءُ:

يَلْبَسُ الْأَفْقُ ثَوْبًا طَوِيلًا
لِكِنِّي يُحَسِّنُ الْبُكَاءَ.

○ حَدَّثَ الرَّأْوِي:

قَالَ مِنْ حُبِّهِ لِحَبَابَةِ:

- «دَعُونِي أَطِرْ»،

فَأَجَابَتْ حَبَابَةُ:

- «وَلَيْنَ تَتْرَكَ الْأَمْرَ بَعْدَكَ، يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنَةِ؟»

وَتَنَى الرَّأْوِي،

قَالُوا:

- «مَاذَا تَتَمَنَّى الْآنَ، وَأَنْتَ
تَمُوتُ؟»

- «حَبَابَةُ».

وَتَنَى الرَّأْوِي:

أَلَرَّجَالُ مَعَانٍ فِي كِتَابِ الْحَيَاةِ -
النَّسَاءُ الصُّبُورُ.

- ص -

إِنَّهُ الْمُتَقَلَّبُ:

أَلْيَبُوتُ شِبَاكَ

والكَلَامُ الَّذِي يَغْسِلُ الْأَرْضَ، يَذْوِي.

تَدْحَرُجُ فِي كُرَّةٍ مِنْ لَهَبٍ،

أَلْتَجُومُ الَّتِي رَسَمْتَنَا تَتَخَبَّأُ مِنَّا.

○ قال الراوي:

جاؤوا، شهدوا ليزيد:

«كَلَّا، ليس على الخلفاء

حساب،

كَلَّا،

ليس على الخلفاء عذاب».

يزيد بن عبد الملك، وقيل
كان هؤلاء الشهود شيوخاً
وكان عددهم أربعين، سنة
١٠٤ هجرية.

* أَتُرَاهُ - حَاضِرِي مُوثِقٌ كَأَمْسِي

وَأَنَا مِثْلُهُ؟

أَتُرَانِي أَحْيَا - أَمُوتُ وَحِيداً لِنَفْسِي

دَاخِلَ نَفْسِي؟

○ قال الراوي:

خَرَجَ الْعَبْدِيُّ،

وَمَاتَ قَتِيلًا، جَاءَ هَلَالُ بَغْدَةَ -

مَاتَ قَتِيلًا.

وثنى الراوي:

أَمَرُوا مُصْعَبًا عَلَيْهِم،

أَمَرُوا مَعَهُ أُخْتَهُ،

قَتَلُوهُمْ جَمِيعًا -

وَاحِدًا وَاحِدًا.

- ق -

زَمَنْ لِلْسَّقُوطِ، وَشِعْرِي هَدَامُهُ الرَّجِيمُ،

أَلْدَائِنُ مُهُورَةٌ

بِخَوَاتِمِ أَنْقَاضِهَا،

وَالدُّرُوبُ إِلَى كُلِّ أَرْضٍ

وَهَنْ، أَوْ دَمٍّ، أَوْ غَضَبٍ.

وَأَنَا لَا أَقْصُ الشَّقَاءَ، وَأَنْفَرُ مِنْ وَضْفِهِ.

زَمَنْ لِلْسَّقُوطِ، وَشِعْرِي

كُوكَبٌ يُزْتَقَبُ

دَعْوَةً لِلْهَبُوطِ إِلَى آخِرِ الْجَحِيمِ.

* ينزل الشاعرُ في التَّيِّهِ،

كَمَنْ يَنْزِلُ بَيْتًا، -

هَكَذَا يَحْمِلُهُ الْكُونُ إِلَى مَحْرَابِهِ،

وَيَرَى السِّرَّ عَيَانًا.

الإشارة إلى مسعود بن أبي
زينب العبدي

وهلال بن مدلاج

ومُصْعَبُ الوالبي

وهم جميعاً من الخوارج في
الموصل آنذاك سنة ١٠٤
هجريّة.

- ر -

أَصْدَقَانِي - كَأَنِّي أَرَاهُمُ

يَجْلِسُونَ وَيَرَوُونَ أَحْلَامَهُمْ:

أُفِقُّ فِي يَدٍ

كوكَبٌ فِي يَدٍ.

وَكَأَنِّي أَرَاهُمُ

يُقْبَلُونَ عَلَى صَهَوَاتٍ

أَسْرَجَتَهَا تَبَارِيحُهُمْ

زَمَنًا آخَرًا

يَصْهَرُ الْأَرْضُ فِي حَبِّهِ

وَيَغْتَبِرُ مِيثَاقَهَا.

○ قال الزّاوي:

قال يزيد:

أما عُمَرُ

أَحْجُجْ مِنِّي إِلَى زَيْتِهِ.

وسارَ في دَرْبِهِ،

لكنّه لم يكْمِلِ المِيسِيرَةَ،

وغيّر المسارَ والسَّيْرَةَ.

وثقّى الزّاوي:

ماتَ يزيدُ،

ويعهدُ منه،

جاء هشامُ.

يزيد بن عبد الملك والإشارة

إلى عمر بن عبد العزيز

هشام بن عبد الملك، سنة

١٠٥ هجرية.

* لِيَغِيبَ مَا تَبَقَّى

من ضياءِ الطَّرِيقِ:

لِلْعَدَاوَةِ وَجْهَ الْحَيَاةِ، وَلِلْمَوْتِ وَجْهَ

الصَّدِيقِ.

- ش -

أَصْدِقَائِي - كَأَنِّي أَرَاهُم
يَجْمَعُونَ وَيَبْنُونَ مِن طِينِ أَيَّامِهِمْ
مُدْنَا لِلْغَضَبِ،
أَيَقْنُوا أَنَّ تَارِيخَهُمْ
وَيُنَابِغُهُ
تَتَفَجَّرُ فِي شَهَوَاتِ اللَّهَبِ.
زِدْهُمْ حَيْرَةً وَافْتِتَانًا،
أَعِزَّهُمْ إِلَى نَارِهِمْ،
وَارْتَفِعْ فَوْقَهُمْ رَايَةً
أَيُّهَا الْعَصَبُ.

○ حَدَّثَ الزَّائِرِيَّةَ،

ذَاهِلًا، بَاكِيًا:

مُضَرٌّ أَوْ رِبِيعَةٌ:

حَزْبٌ وَقَتْلٌ، -

مُعْجَمٌ وَاجِدٌ لِلْهَدَايَةِ وَالْغَنِيِّ مِنْ
آدَمَ،

وَأَسَاطِيرُهُ، وَسَلَالَتِهِ الْحَيَّةِ
الْبَائِلَةِ،

يَتَنَزَّلُ فِي لُغَةٍ وَاجِدَةٍ.

سنة ١٠٦ هجرية.

* خطاياي مثلي،
أَنَاي وَأَوْسَعُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ،
وَكُلِّ سَمَاءٍ.

- ت -

كَادَ أَنْ يَتَخَلَّى التَّرَابَ،

من شقاءٍ ورُغْبٍ،

عَنْ نباتاتِهِ، -

هكذا - قدمائِي على الأَرْضِ،

لَكِنَّ لِي فَرَساً فِي السَّحَابِ.

○ حَدَّثَ الرَّأْوِيَةُ:

- مَكَّةُ مَوْطِنُ صَالِحٍ لِلشَّيْمَةِ -
شَتَمَ عَلَيَّ صَلَاةً.

- مَا قَدَمْنَا لَشَتْمٍ، قَدَمْنَا لِحِجٍّ.

وَتَنَى الرَّأْوِيَةُ:

الرُّعَيْنِيُّ يَخْرُجُ مَعَ صَخْبِهِ -

قُتِلُوا كُلُّهُمْ:

وَاحِداً، وَاحِداً.

وَتَنَى الرَّأْوِيَةُ:

خَارِجُونَ دَعَاةً

فِي خُرَاسَانَ، لَكِنْ

صَلَبُوا كُلُّهُمْ، بَعْدَ تَقْطِيعِ
أَطْرَافِهِمْ.

دَعَاةُ عَبَّاسِيُونَ.

* مَثَلَمَا عَلَّمَهُ الْفَجْرُ الَّذِي أَسْلَمَهُ

الَلَّيْلُ إِلَيْهِ،

يَحْضُنُ الْكَوْنَ، وَيَدْعُو الشَّعَرَ

كَيْ يَرْسُمَ وَجْهَ الْأَرْضِ فِي ضَوْءِ

يَدْيِهِ.

- ث -

غالبًا،

يُوهِمُ الْعُمُقُ: يبدو فراغاً وسطحاً.

- ما الذي قُلْتَهُ؟ أعدِ المسألة.

- سَوْفَ تَبْقَى طويلاً طويلاً

لكي تَتَلَمَّسَ باباً لِشِعْرِي،

ولكي تَدْخُلَهُ.

○ قال الزاوي، وهو يُقَلِّبُ
أوراقاً وَيَذُقُّ فيها:

سَيُفْ مَكْسُورٌ

في خاصرة،

رَأْسٌ يَتَدَحْرُجُ في أَجْرافِ
نارِيتهِ،

رُقُصٌ رِمَاحٍ في حَلَباتِ دَمٍ،
عَمِيَاءُ،

موسيقى لاهوتية، -

يا لِلْيَاسِ! أَلَيْفٌ

مِثْلَ الْخُنْزِرِ،

ومِثْلَ الْمَاءِ.

* شَرِبَ الْيَاسُ ماءَ الرَّجَاءِ، وَصَيَّرَ

إِبْرَيْقَهُ دَوَاءً

وَالطَّيُورَ غَيُوماً - جَمَدَ الْمَاءِ فِيهَا:

ما الذي يَقْصُدُ الشَّاعِرُ

أَيُّهَا الْوَلَهُ السَّاحِرُ؟

○ وثى الزاوي :

خَوْفُ خَوْفٍ

مَا نَعْرِفُ،

مِمَّا نَجْهَلُ،

مِمَّا كُنَّا - مِمَّا سَنَكُونُ.

وثى الزاوي :

إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا مَغْمُوسًا

فِي آلاءِ الشَّمْسِ،

لَنْ تَلْقَى بَيْتًا تَسْكُنُ فِيهِ، إِلَّا
الْيَأْسَ.

- خ -

ليس بين المكانِ وبينِي غيرُ الوُضُوحِ

غيرَ أَنِّي سَأَبْقَى غَمُوضًا،

وأُوَثِّرُ أَلَا أُبُوحُ، -

لَمْ يَحْنِ بَعْدُ وَفْتِي، وَأَغَانِي مَكْتُوبَةٌ

بِلُغَاتِ الْعُصُورِ - الْأَجْتَةِ،

فَلَيْسَمَحِ الشُّعْرَاءُ

إِنْ خَذَلْتُ نُبُوءَاتِهِمْ،

وَتَوَثَّرَتْ وَجْهَ الْمَجَاهِيلِ،

وَلَيْسَمَحِ الْفُقَهَاءُ.

* يَتَمَاهَى مَعَ الصَّبَوَاتِ الَّتِي تَتَبَجَّسُ

مِنْ عَتَمَاتِ الْجَسَدِ،

يَتَمَاهَى مَعَ الشُّعْرِ - يَقْرَأُ مَا لَا تَرَاهُ

الرِّيَاحُ

وَمَا لَا يَقُولُ الزَّبَدُ.

- ذ -

تعبت هذه القافلة
كيف تأتي وتزتاخ في كنف العَصْرِ، والعَصْرُ
يَبْحَثُ عَمَّا يَفِيءُ إِلَيْهِ؟
وتمائيله، وتأويله
لُغَةً أَقْلَةً.

تعبت هذه القافلة
أرسموا شكلها في كتاب
ولترثها المنابر - أحفادها،
والأقارب، والعائلة.

* ما تُرانا؟ كتاب
أَمْ لُغَاتٌ تُؤَسَّسُ أَحْشَاءُنا
ونهاجرُ منها، كي نُحَرِّرَ إِيْقاعنا
من سلاسل إِيْقاعها،
في لُغَاتٍ سِواها؟

○ قال الزاوي، يُسأل:

أهل الذمة،

أهل الجزية -

أُتْجَرُ عَلَيْهِمْ

إن كانوا

من أهل الكدنة؟

سنة ١١٠ هجرية.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ :

إِنَّهُ سُورَةٌ

يَتَقَلَّبُ فِي النَّارِ ، -

فِي النَّارِ يُقَذَّفُ أَصْحَابُهُ كُلُّهُمْ .

وَتُنَى الرَّأْيِيَّةُ :

لَا بِنَ بَسْطَامَ هَذِي الْفَسَاطِيطُ
مَرْفُوعَةٌ ، وَلَأَصْحَابِهِ ،

كَبُيُوتٍ مِنَ الْغَيْمِ - فِيهَا

فُقِلُوا كُلُّهُمْ .

وَرَوَى بَعْضُهُمْ قَائِلًا :

بَعْدَ حِينَ ، مَرَزْنَا بِهِمْ :

مَوْضِعٌ كَانَ يَغْبِقُ مِسْكَأً .

- ض -

أَتُرَانِي مَلَلْتُ يَقِينِي فِي كَلِمَاتِي

وَمَلَلْتُ الْقُصُورَ الَّتِي هَدَمْتُهَا

وَالْقُصُورَ الَّتِي شَيَّدْتُهَا ،

وَمَلَلْتُ الرُّقَادَ عَلَى صَدْرِهَا

وَصُعُودِي إِلَيْهَا ،

وَهُبُوطِي فِيهَا -

وَأَنَا الْآنَ أَسْأَلُ هَذَا الْفِرَاعَ :

تُرَانِي ، مَاذَا سَأَفْعَلُ مِنْ دُونِهَا ؟

الإشارة إلى سُورَةِ بِنِ الْحَزْرِ
الَّذِي خَرَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ،
وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ شَخْصًا ،
سَنَةَ ١١١ هِجْرِيَّةً .

عَبْدُ اللَّهِ بِنِ بَسْطَامَ .

* قَالَ : لَا وَقَفْتُ فِي الْأَرْضِ ، إِلَّا
لِكُنِّي نَجْعَلُ الْأَرْضَ شِغْرًا .

- ظ -

عاشِقٌ وَلَهُ الثَّائِرِينَ -
الْفُرَاتِ وَأَفَاقُهُ وَالْأَعَالِي
أَوْقَطُ الْأَرْضِ مِنْ نَوْمِهَا وَأَعَالِي.
جَسَدِي، مِثْلَ تَارِيخِ هَذَا الزَّمَانِ،
مَلِيءٌ بِكُلِّ الْعُرُوشِ الَّتِي دُمِّرَتْ،
وَبِكُلِّ الْعُرُوشِ الَّتِي لَا تَزَالُ تُرْقَعُ
تِيْجَانِهَا.

هَكَذَا - نُقْطَةً، نُقْطَةً
أَتَقَطِّرُ، أُنْسَأُ بَيْنَ جَرَارِ الزَّمَنِ
وَطَنًا آخَرًا،
وَطَنًا لِلْوَطَنِ.

* لَا غَيُومٌ تَرَى خِلَالَهَا، -
أَلْحَقُولُ اكْتَسَبْتُ بِزَفِيرِ نَبَاتَاتِهَا،
وَالْغُصُونُ انْقِبَاضُ
فِي وَجْهِ الشَّجَرِ:
هَلْ يَجِيءُ الْمَطَرُ؟

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ

هَازِيًا يَتَصَفَّحُ أَوْرَاقَهُ:

مَطْبَعُ لِلرُّؤُوسِ:

الْقُدُورُ الْقَصَائِدُ،

وَالثَّارُ الْفَاطِمَا.

لَا تَسَلْ، - أَلَسْأَلُ

عَنِ الضَّرْبِ بِأَبٍ إِلَى اللَّيْلِ.
كَانُوا يُقَدِّفُونَ إِلَى حُفْرَةٍ مِثْلَ
أَكْدَاسِ قَشَرِ:

هَلْ سَأَلْتَ عَنِ الرُّوحِ؟

«مَنْ أَمَرَ رَبِّي».

لَا تَسَلْ،

يُقَدِّفُونَ إِلَى حُفْرَةٍ لَا مَكَانَ لَهُمْ

خَارِجَ الْمَقْبَرَةِ

كَيْفَ يُقْتَلُ

أَبْنَاؤُهُمْ وَأَخْفَادُهُمْ:

تِلْكَ خَائِمَةُ الْمَأْتَرَةِ.

○ قال الراوي

كان يُقَلِّبُ أوراقاً

وَيَدُقُّ فِيهَا -:

قَتْلُ قَتْلٍ، كُلُّ صَبَاحٍ

أَثَرُ مِنْهُ خَبَرٌ عَنْهُ.

سَمَنَةُ الْفَتَاىَ شَرْعاً يَتَوَعَّلُ فِينَا،

سَمِينَاةٌ مَهْوًى

يَتَوَعَّلُ فِينَا.

- غ -

نَجْمَةٌ -

لَيْسَتْ صُورَتِي

وَأَنَا أَتَرَصَّدُ خِصْماً وَأَقْرَأُ ثَوَارَهَا.

لَمْ أَقُلْ هَذِهِ نَجْمَتِي

وَهَوَاهَا هَوَايَ وَلِي عُرْيُهَا الْبَهِي -

لَيْسَتْ صُورَتِي

وَأَنَا لَمْ أَقُلْ ضَوْءُهَا نَمَائِي وَقَوْضَ

أَسْرَارَهُ إِلَيَّ.

* وَطَنٌ لَا يُوَلَّدُ، أَوْ لَا يَنْمُو

فِي حَضْنِ قَصِيدَةٍ،

رِثَّةٌ مَسْدُودَةٌ.

هَوَامِش



- I -

طُونِسْ

كان يُسَمَّى طاووساً

لكن، منذ تَغَنَّى بالكلماتِ وبالأشياء، تغيَّرَ
(قِيلَ: تَخَنَّنَتْ)، صارَ طُونِساً.

أولَ مَنْ زَيْنَ حَبْلَ الصَّوْتِ، وآخَى

بين الحَرْفِ وصَوْتِ الدَفِّ، ومَدَّ الموسيقى

طُرْقاً تَقْصِي

أَرْضَ الأحلامِ،

أولَ مَنْ غَنَّى في الإسلامِ.

- II -

الوليد بن يزيد

لِمَ لَمْ تُزَفَّعْ تَمَثَّالاً بَعْدَ الْقَتْلِ؟
يَرَاكَ الْعَابِرُ، يَقْرَأُ فِي قَسَمَاتِكَ شِعْرَ
اللَّحْظَةِ، يَسْقِي
لُغَةَ الْأَبَدِيَّةِ
بَدَمَ الْحَرِيَّةِ -
لِمَ لَمْ تُزَفَّعْ تَمَثَّالاً؟
هَلْ صَنَّمُ الْفِكْرَةِ
أَعْلَى،
أَوْ أَكْثَرُ طَهَرًا
مَنْ صَنَّمِ الصَّخْرَةَ؟
شَكِّي لَا يَرُوهُ أَيُّ بَيَانٍ.

- III -

جميل بثينة

بَعْدَ أَنْ يَتَسَامَرَ مَعَ نُخْلَةٍ
رَاسِمًا وَجْهَ بَثْنَةٍ فِي جَذْعِهَا،
فِي الصَّحَارَى وَغِزْلَانِهَا،
يَفْتَحُ الشَّعْرَ أَحْضَانُهُ
يَفْتَحُ الْحَبَّ أَحْضَانُهُ
لِلْجَمَالِ - لِمِيعَادِهِ الْمُسْتَهَامِ
فِي سَرِيرِ الْكَلَامِ.

- IV -

قيس المجنون

هائمٌ، كلُّ ما حوله يتكورُ نُهدين، لكن لا
يرى فيهما غَيْرَ عَيْنَيْنِ - معراجهُ

بين حلمٍ وحلمٍ.

كلُّ يومٍ، يُخَاطُ لأجفانه حجابٌ

ويُقَادُ إلى حُفْرة.

والطريقُ التي يتقرى - لا إلى سَكْرَةٍ

من جرار الجَسَدِ:

أَلطريقُ إلى لا أخذ.

فَبحقِ السماء،

لَمْ، يا قَيْسُ، هذا البُكاء؟

عمر بن أبي ربيعة

قوموا، نَسْتَقْبِلْ عُمْراً

نَسْأَلُ كَيْفَ يَعُودُ الشَّاعِرُ مِنْ رَحْلَتِهِ فِي
جِسْمِ امْرَأَةٍ؟

قُلْ، يَا عُمَرُ

كَيْفَ تَوَالَفُ بَيْنَ التَّارِيخِ وَنَهْدِ أَبْنَى مِنْ
وَطَنِ؟ كَيْفَ تَقُولُ الْمَرْأَةَ إِنْ لَمْ تَتَمَثَّلْ فِيهَا
كُلَّ دِمَشْقٍ؟ إِنْ لَمْ تَقْرَأْ فِيهَا الْأَرْضَ؟
أَتَصْمُتُ؟ هَلْ تَخْشَى

أَنْ تَسْبِقَكَ الْجِدْرَانُ إِلَيْهَا،

وَيُخَوِّنَكَ خَلْفَ الْجِدْرَانِ الْمَعْنَى، وَتُخَوِّنَ
الصُّورُ؟

مَا لَكَ تَصْمُتُ؟ مَاذَا؟ أَيَطْوِقُ رَأْسَكَ جُنْدٌ؟
أَهْنَالِكَ مَنْ يَتَخَفَى؟ مَنْ يَقْتُلُ، أَوْ مَنْ يَأْتِمُرُ؟
قُلْ، يَا عُمَرُ.

- VI -

الأخطل

فَتَحَ الشعر للأخطلِ البابَ: أَيْقَظَ ما خلفه
من كوامنَ، من مُبْهَماتٍ
وتدثر بالسرّ، لا فاصِلُ
بين حُمر الحياةِ وحُمرِ الإلهِ.
سَكَّرَ في العروقِ، ولا تاجَ غيرِ الكؤوسِ،
تُدارُ عليها الرؤوسُ،
ولا فاصِلُ
بينَ ما تُحْبِي الضُّلوعُ وما تُعلنُ الشِّفاةُ.

قال مرّةً يخاطب شاعراً:

«لو نَبَحَتِ الخَمرةُ في
جوفك، لكنت أشعر
الناس.»

- VII -

عبید بن أبوب العنبري

نَخْلَةٌ - يقرأ الرَّمْلُ أيامه تحتها

وكانَ لها مُقْلَتين، وتُضغِي، -

أذْناَبٌ عَوَتْ؟ أم عُيَيْدٌ يَمُرُّ؟

وحيدٌ؟ أم تُؤانِسُهُ ذَنْبَةٌ؟

قِيلَ: كانَ الطَّرِيدُ الشَّريدَ، صديقَ البراريِّ،
أو قيلَ: زَاغُ

لا يُصاحِبُ غيرَ السَّعالي، وَيَسْتَنْسِبُ الطَّباءَ
طعاماً لَهُ،

نافراً مِنْ مَهَبِ الخَلِيقَةِ، مُستَسليماً
لِمَهَبِ القَرَاغِ.

- VIII -

الأحيمر السعدي

تلك ظباء تتساءلُ عنكَ: أأنتَ صديقٌ؟ أم
أنتَ عدوٌّ يتربُّصُ؟ ماذا بين يديكَ؟ أسْهَمُ؟
تلك ظباء: وَزْدٌ يَتَنَقَّلُ يَكْسُو جَسَدَ الصَّحْرَاءِ
لا تَتَقَلَّدُ سِيفاً
لا تَتَنَكَّبُ رِيحاً
لا تَطْلُبُ إِلَّا الشَّمْسَ وَالْأَمَاءَ.
هل أنتَ صديقٌ؟
وَجْهَ سَهْمِكَ نَحْوَ صَدُورِ أُخْرَى.

- IX -

العَرْجِي

قَيَدُوهُ، وَأُلْقِي فِي السَّجَنِ تِسْعَ سِنِينَ، مَاتَ فِيهِ. رَوَوْا أَنَّهُ كَانَ شَخْصاً كَرِيماً، فَارِساً، بَيْنَ أَفْضَلِ مَنْ أَنْجَبَتْهُمْ قُرَيْشٌ.

قال في سجنه:

«أضاعوني، وأَيَّ فِتَى أضاعوا».

- أ -

«نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كَلَّهُ، لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجٍ

فِي الْحَيَجِّ، إِنْ حَجَّتْ، وَمَاذَا بَيْنَ،

وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ؟

- ب -

أَمَاطَتْ كَسَاءَ الْحَزَنِ عَنْ حُزٍّ وَجْهَهَا

وَأَرَخَتْ عَلَى التَّنِينِ بُرْدًا مُهْلَهلاً

مِنَ اللَّأَمِ لَمْ يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حَسْبَهُ،

وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُغْفَلًا.»

قَبْرُهُ - مَطَرٌ نَازِلٌ فَوْقَهُ

يَتَدَفَّقُ مِنْ سُرَّةِ الْغَيُومِ،

وَمِنْ بَيْنِ أَفْخَازِهَا.

انْقَشُوا فَوْقَهُ:

غِبْطَةٌ أَنْ يُعَاشَ الْجَسَدُ

فِي سَرِيرِ الرَّبْدِ.

- X -

ذو الرّمة

في الخيام التي رسمتها النّساء
بمناديل أحلامهنّ - الخيام التي تتشرّد
بين القصائد، كان لّمة أن تُجلِسَ السّماء
تحت أردافها.
شقّ غيلان قلب الفضا، وأودع فيه أساير
ميّة، أودع فيه سراويلها:
ما أبانت وما حجبته،
والفراش الذي زيّنته له.
هوذا طيفها بين أهدابه
يتموج، يعلو ويهبط في جسد الأرض،
في طبقات الهواء.

VI

وَجُبْتُ هَجِيْرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيَا

الْمُتَنَبِّي

○ قال الراوي:

ذات يَوْمٍ،

أَحَبُّ هِشَامٍ

خَلْوَةٌ فِي الزَّصَافَةِ،

مِنْ دُونِ غَمٍّ

لَمْ تَكَدْ تُشْرِقُ الشَّمْسُ

حَتَّى أَتَتْهُ

رِيشَةً مِنْ دَمٍ فِي دَمٍ:

وَأَهْ، لَا يَوْمَ لَا يَوْمَ،

مِنْ دُونِ غَمٍّ.

وَتَتَى الرَّاوي:

هَلْ تُشْرِقُ شَمْسُ الْيَوْمِ

فِي قَرْنِي شَيْطَانٍ؟

خَيْرٌ أَنْ أَمْضِيَ لِلنَّوْمِ.

- أ -

جَمَضَ، -

غَابَةُ نَخْلٍ كَانَ هَوَايَ يَدُورُ وَيَشْطَحُ

فِيهَا - حِينًا، وَيُرَاقِصُهَا حِينًا.

أَتُرَى - لَيْلَتُهَا

كَانَتْ لَيْلَةً قَدَرٍ؟

الإشارة إلى هشام بن عبد
الملك، برواية الإمام
الشافعي، والعبارة الأخيرة
لهشام نفسه، سنة ١١٤
هجريّة.

* أَرْضٌ - قِطْعَانُ غَيُومٍ
يَزْعَاهَا رَغْدٌ أَعْمَى.

- ب -

إيقاعُ دماءِ

يأتي في خطواتِ الفَجْرِ - الفَجْرُ قريبٌ،

هَلْ أَحَدٌ

يُضْغِي؟

ينصَحُ ذاكَ الشاعِرُ*

أَنْ اتَّخِلْ - عَنْ أَحِبَّائِي، عَنِي.

هُوَ مَأْمُورٌ طَوَّعُ الْآمِرِ

وَأَنَا أَمْرِي مَتِي.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

«حَبَّةٌ وَاحِدَةٌ

تُبَاغُ بِأَكْثَرِ مِنْ دِرْهَمٍ

فِي الثَّغُورِ الْقَرِيبَةِ،

فِي الْهِنْدِ. أَنْتُمْ

تَشْتَرُونَ رَغِيفًا

بِدِرْهَمٍ،

فَلِمَاذَا شَكَوْاكُمْ؟

إِنِّي عَالِمٌ بِالسَّرَائِرِ،

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.»

الإشارة إلى الشاعر
الصنوبري، محمد بن أحمد
الضبي.

كلامٌ لوالي خراسان، موبخاً
أهلها، سنة ١١٥ هجرية.

* بَعْدَ أَنْ يَتَسَامَرَ مَعَ نَخْلَةٍ فِي
الْخَفَاءِ،

يَفْتَحُ الشَّعْرَ أَحْضَانَهُ لِلتَّجُومِ وَأَيَاتِهَا

حِينَ تَأْتِي لِمِعَادِهَا فِي فَرَاشِ الْمَسَاءِ.

- ج -

لَوْلُوْ -

لولو الغوري أمير حمص.

يَحْشُدُ الْجُنْدَ. هل سَيُغَيِّرُ علينا؟

من بعيد - تِلَالٌ (تُراها قوافِلُ؟) هل

يُقْبِلُ الموتُ من هذه الجهات؟

كيف؟ مِنْ أين يخرج؟ ماذا؟ لَمْ الخوفُ؟

سُخِّقاً لهذا التَّصَدُّعِ، - مِنْ أين لي

هذه التُّرَاهاتُ؟

رسالة من هشام بن عبد الملك
إلى عاصم بن عبد الله الذي
ولاه على خراسان، بعد عَزْل
واليها الجنيد لانه تزوج
الفاضلة بنت يزيد بن المهلب،
سنة ١١٦ هجرية.

الإشارة إلى عمال الجنيد.

الإشارة إلى الحارث بن سريج
وأصحابه. بايعوا الرضا،
وليسوا السواد، ولكن
هُزِمُوا، ومات جمع كبير
منهم، غَرَقاً، سنة ١١٦
هجرية.

* إِنَّهَا الشَّمْسُ تَمْسَحُ وَجْهِي

بمنديلها، -

تَعْبِي، اليومَ، فَجَرُّ.

○ قال الراوي:

- «إِنْ أَدْرَكْتَ جُنَيْدًا

وَبِهِ رَمَقٌ، أَزْهِقْ رَوْحَهُ.»

كان جنيد قد مات.

ومضى عاصم يُعَذِّبُ

عُمَّالَهُ وَيَزْجُ بِهِمْ فِي السُّجُونِ

و كيف لم تعلموا،

كيف لا تعلمون؟»

وَتَتَى الرَّاي:

حربٌ بين الحارثِ

إِبْنِ سُرَيْجٍ وَالْوَالِي عَاصِمٍ:

لا تميزُ

بين بريءٍ أو آثِمٍ.

- د -

مَنْ أُحَارِبُ؟ أَيْنَ الْعَدُوِّ الْجَمِيلُ؟
أَأُحَارِبُ غُورِيَّهِمْ
وَنَوَاطِيرَهُ
وَالَّذِينَ يَعِيشُونَ - مَوْتاً
فِي سِراوِيلِ صِينَانِهِمْ؟

لؤلؤ الغوري

مَنْ أُحَارِبُ؟ سُحْقاً لِعَصْرِي
سُحْقاً لِهَذَا الزَّمَانِ الْهَزِيلِ.

الإشارة إلى موسى بن كعب،
والى ما فعله به أسد بن عبد
الله والي خراسان، بعد
عاصم، سنة ١١٧ هجرية.

* إفتح صَدْرِي -

سَتَرِي فِيهِ
طَائِرَتَّمْ وَفُرَاتًا أَخْضَرَ
يَسْبَحُ فِيهِ وَرْدٌ أَحْمَرُ.

○ قال الزاوي:

جَرُّوا موسى
بلجام حمار، دَقُّوا أَنْفَهُ
كَسَرُوا وَجْهَهُ.
- لا حَقَّ لَكُمْ
- أَفْتَنَطُّ، أَيْضاً؟
جُرُّوهُ، وَلْيُضَلَبْ.

وَتَى الزاوي:
شَهِدَ الْأَزْدِيُّ،
وكان إليه الْأَقْرَبُ:
«موسى جاري،
وَهُوَ بَرِيءٌ»
- فَلْيُضَلَبْ.

- ه -

كَاِمِن - حَاِصِر

فِي الْعُقُولِ، النَوَايَا،

الزَّوَايَا،

الْأَرْزَقَةِ،

فِي كُلِّ دَرْبٍ،

وَأَخْمَنُ: رَأْسِي

رُبَّمَا الْيَوْمَ، أَوْ فِي غَدٍ

سَيَدْلَى فَوْقَ صَدْرِ الْمَكَانِ

وَيُقَالُ: قَتَلْنَاهُ - ذَاكَ الشَّعُوبِيَّ

هُرْطُوقَ هَذَا الزَّمَانِ.

○ حَدَّثَ الزَّوَايَةَ:

عَنْ خُدَاشٍ -

أَبَاحَ خُدَاشَ لِلْمَحْبِيَّيْنَ

وَالْأَصْدِقَاءَ الَّذِينَ

اسْتَجَابُوا إِلَيْهِ، التَّسَاءَ،

قَالَ: بَعْضٌ لِيَبْغُضَ كِسَاءَ.

لَكِنْ الْقَتْلُ، كَانَ الْجَزَاءَ.

وَتَى الزَّوَايَةَ:

فِي كَلَامٍ يَعْتَفُ مَاءَ الْمَطَرِ:

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الشَّهَوَاتِ

الَّتِي تَتَأَجَّجُ بَيْنَ ثِيَابِي الشَّجَرِ.

* مَنْ أَنْتَ؟ تَسَائِلُنِي مَرَاةً:

هَلْ أَظْهَرُ - هَلْ أَمْتَرَأَى بِقِنَاعِ آخَرَ

أَمْ أَكْسَرُهَا؟ هَذِي مِرَاةً

لَا تَعْرِفُ كَيْفَ سَتَخْرِجُ مِنْ

وَجْهِي.

الاسم الأصلي لخداش هو
عمار بن يزيد،
سنة ١١٨ هجرية.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

- «خُذْ وَشُدَّ عَلَيْكَ

الْقَصَبُ

وافعلوا مثله.»

صَبَّ نَفْطًا عَلَيْهِمْ،

أَضْرَمَ النَّارَ فِيهِمْ:

تَجَلَّوْا وَغَابُوا

فِي لِبَاسِ اللَّهَبِ.

وَتَى الرَّأْيِيَّةُ:

أَلْغِيْرَةُ؟ قَالُوا:

كَانَ يَأْتِي إِلَى الْمَقْبَرَةِ

يَتَكَلَّمُ، يَأْتِي جَرَادٌ

كَمِثِلِ النَّشُورِ

وَيُعْطِي جَمِيعَ الْقُبُورِ.

وَتَى الرَّأْيِيَّةُ:

صَوْتُ سَمَاءٍ مُخْنَوِقَةٍ

يَتَمَوَّجُ يَهْدِي

فِي هَذِي الْأَجْسَامِ الْمَحْرُوقَةِ.

حُلْمٌ، -

مَوْتُ

يَجْرِي فِي الْأَشْيَاءِ، وَفِي الْكَلِمَاتِ

يُرْزَلُ مُوسِيقَاهَا -

يُوغَلُ فِي الْإِيقَاعِ،

وَيَسْطُخُ فِي طَبَقَاتِ الصَّوْتِ.

مَوْتُ -

يُعْطِي لِلْمَعْنَى

وَجَهَ الْمَاءِ - يُمِيتُ الْمَوْتَ.

* لَرَبِيعِ ثَانٍ،

أَزْرَعُ زَهْرًا آخَرَ - جِسْرًا

بَيْنَ غُبَارِ الطَّلَعِ وَبَيْنِي.

الإشارة إلى السوالي خالد
القشيري مخاطباً المغيرة بن
سميد المجلي وصحبته.
كانوا، فيما قيل، ثمانية
يُسَمُّونَ الوُصَفَاءَ.

وكان بينهم شخص يُسَمَّى
بيان، ادَّعى النبوة زاعماً أنه
هو المراد بهذه الآية: «هذا
بيانٌ للناس»، سنة ١١٩
هجريّة.

- ز -

ناقتي - أمس، لم يتقدّم
نحوها أيّ نجم.
عُرِفَ اللَّيْلُ قَفْرَاءَ، والضَّوْءُ يَكْبُو
عند أبوابها.

أَتَوْهُمْ؟ لَكِنَّ ذَهْنِي حَدِيدٌ
وَحَفَّ الزَّمَانُ عَلَى شَفَتِي،
وَحَفَّ الْمَكَانُ -

بَلَى، أَلْبَسَ اللَّيْلَ ثَوْبًا،
وَحُضُورِي أَنِّي غَيْبٌ.

* قَالَ لِلْغَيْبِ: خُذْنِي إِلَيْكَ،
لِأَبْقَى كَمَثَلِكَ - طَيْفًا.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

خَرَجَ الْبُخْتَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ -
هُزِمُوا وَأَبْدُوا.

وَتَى الرَّأْيِيَّةُ:

أَلْصَحَارِيُّ يُقْتَلُ

مَعَ صَحْبِهِ كُلِّهِمْ،

وَابْنُ بَشَرٍ وَأَصْحَابُهُ

يُقْتَلُونَ:

لَا يَفِيدُ الْخُرُوجُ،

وَلَكِنْ،

إِنْ تَقُلْ ذَلِكَ، يَسْخَرُ مِنْ قَوْلِكَ
الْخَارِجُونَ.

وَتَى الرَّأْيِيَّةُ:

ثُدُّوا فِي قَصَبٍ

صَبَّ عَلَيْهِمْ نَقْطُ

نُصْبُوا فِي الْكُوفَةِ،

فِي رَحْبَتِهَا

وَرَمُوا بِالنَّارِ، - وَزِيرٌ

لَمْ يَتَحَرَّكَ

صَارَ يُرْتَلُّ آيَاتُ اللَّهِ إِلَى أَنْ

غَلَبَتْهُ النَّارُ.

الإشارة إلى الصحاري بن
شبيب، وإلى البهلول بن
بشر، واسمه كُثَاة: أراد أن
يجيء إلى دمشق، ويقتل
الخلافة، وكانت جماعته دون
المئة، سنة ١١٩ هجرية.

الإشارة إلى وزير السخثياني
الذي خرج مع نفر من
أصحابه، في الخيرة، على
الوالي خالد القسري، سنة
١١٩ هجرية.

○ أَخْبَرَ الرَّاوي:

قِيلَ: زَيْدٌ رَأَى أَنَّهُ
أَضْرَمَ النَّارَ فِي نَوْمِهِ
فِي الْعِرَاقِ،
وَأَطْفَأَهَا وَانْطَفَأَ.

وَتَى الرَّاوي:

جَاءَ أَنْصَارٌ وَخَصُوهُ
لَكِي يَخْرُجَ، قَالُوا:
«أَنْتَ مَنْصُورٌ، وَأَبْنَاءُ أُمَيَّةٍ
هَالِكُونَ.»

- «لَا يُغْنِيكَ مَا قَالُوا،
أَنْتَ كَاذِبُونَ.»

وَتَى الرَّاوي:

أَيَّامُ نَجْرِي فِي أَنْهَارٍ
حَفَرْتُهَا أَجْدَاثُ الْمَوْتِ.

- ح -

سَأْتَقِحُ نَفْسِي - سَأَبْقَى

أَتَسْتَتُّ فِي هَوْلِ هَذِي الْبِلَادِ
الَّتِي لَا تَقُولُ

سِوَى قَرَشِهَا (الْقَرَشُ كَسَبٌ وَبِهِ سُمِّيَتْ
قَرِشٌ)،

كُلُّ تَارِيخٍ هَذِي الْبِلَادِ النَّبِيَّةِ
قَرَشٌ وَقَرَشٌ.

الإشارة إلى زيد بن علي وإلى
حلم رآه، سنة ١٢٠ هجرية.

من حوار بين زيد بن علي
وداؤد بن علي.

* قَمَرٌ وَثِيٌّ
يَتَلَأَلُ فِي حَرَابِ نَبِيٍّ.

- ط -

«أَلَمْلُكْ لِي»،

وليس لي مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ مَنْزِلٍ،

لِي رُقْعُ السَّحَابِ الْمُبَكَّرَاتِ الْهَطِّلِ

لِي الْخَزَامَى تُثِيثُ بِصَنْدَلٍ

وَلِي دَمُ الْقَرْنَفَلِ

فِي بَلَدٍ كَمَثَلِ هَذَا الزَّمَنِ الْمَحْبَلِ

وَلَنْ يَمَلَّ شَعْفِي، لَنْ يَأْتَلِي

عَنْ اقْتِحَامِ الْغَيْهِيِّ الْأَهْوَلِ.

○ قال الزاوي:

- «أَهْلُ الْكُوفَةِ

ليسوا إِلَّا أَلْسَنَةً،

وَقُلُوبُهُمْ فِي خَزَبٍ مَعَهُمْ.

قَالَ عَلِيٌّ فِيهِمْ:

«يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ،

إِنْ أَهْمَلْتُمْ خُضَّتُمْ،

وَإِذَا حُورِشْتُمْ خُرْتُمْ.»

وَتَنَى الرَّأْيِيهِ:

بَايَعَ النَّاسُ زَيْدًا

عَلَى مَا يَقُولُ الْكِتَابُ،

وَرَدَّ الْمَظَالِمَ،

وَالْقَنِيءَ - يُفَسِّمُ مَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ

سَوَاءً، وَخَارِيَةَ الظَّالِمِينَ.

يُجْتَنَمُ الْمُتَنَبِّي قَصِيدَتُهُ فِي أَبِي
عَلِيٍّ الْأَوْرَاجِيِّ، قَائِلًا:
«فَالْمَلِكُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ ثُمَّ لِي.»

من رسالة إلى زيد بن علي،
كتبها عبد الله بن حسن، سنة
١٢١ هجرية.

* زَغَزَعْتَنِي رِيَا حِي،
وَكَأَنِّي، فِيمَا أُسِيرُ، أُخَادِعُ
سَيْرِي، وَرَاحِلَتِي وَجَرَا حِي.

○ حَدَّثَ الزَّائِيَةُ :

- «قَاتِلُوا الْمُعْتَدِينَ

فَاتِلُوا مَنْ يَقَاتِلُ مِيشَاقَنَا،
وَأَنْصَحُونِي سِرّاً وَجَهْراً.»

وَتَتَى الزَّائِيَةُ :

نَهْرُ يَعْقُوبَ قَبْرَ لَزِيدٍ

فَوْقَهُ الْمَاءُ يَجْرِي

شَاهِداً وَغَطَاءً

سَالُوا، فَتَشُوا، نَبْشُوهُ

قَطَعُوا رَأْسَهُ

صَلَبُوا جِسْمَهُ بِالْكُنَاسَةِ مَعَ
صُخْبِهِ

أَرْسَلُوا رَأْسَهُ لِهَشَامٍ

عَلَّقُوهُ بَبَابِ دِمَشْقٍ

فَتَرَةً، عَلَّقُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فِي
سَاحَةِ الْمَدِينَةِ،

حَتَّى قِيلَ: مَاتَ هِشَامٌ.

أَنْزَلُوهُ بِأَمْرِ الْوَلِيدِ، وَأُخْرِقَ:
ذَابَ الزَّمَادُ

فِي هَبَاءِ الْبِلَادِ.

- ي -

أَلْوَجُوهُ الَّتِي مِنْ تُرَابٍ

وَالَّتِي لَوْنُهَا ذَهَبٌ

وَالْوَجُوهُ الَّتِي يَتَصَاعَدُ مِنْهَا اللَّهَبُ

وَالْوَجُوهُ الَّتِي عَشَقْتَنِي

وَالْوَجُوهُ الَّتِي كَرِهْتَنِي

فِي مَدَى هَذِهِ الْكُرَةِ الْفَاسِدَةِ،

كَلَّهَا لُغَةً وَاجِدَةً

مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ.

من وصايا زيد بن علي
لأصحابه، سنة ١٢٢ هجرية.

الإشارة إلى زيد، وصُخْبِهِ
والمقربين الثلاثة: نصر بن
خزيمة، معاوية الأنصاري،
زياد التَّهْدِي.

* مَا الَّذِي نَجْتَبِيهِ، نَحْيِيهِ، فِي ذَلِكَ

الْهَبُوطِ، -

هَلْ نُحْيِي الْأَعَالِي وَأَتْرَاحَهَا

أَمْ نُحْيِي السَّقُوطَ؟

- ك -

أَتَعَجَّبُ مِنِّي - لَا أَحْسُ بِأَنِّي
قَادِرٌ أَنْ أُحِبَّ وَأُكْرَهَ كَالنَّاسِ،
أَلْقَى شُعَاعِي وَأَمْضِي
شَعْفِي وَضَلَّتِي بِسِوَايَ - بِنَفْسِي
وَبَاغْوَارِهَا
وَبَاهْوَائِهَا،
لَا أَحْسُ بِأَنِّي نَفْسِي إِلَّا إِذَا
انْصَهَرْتُ فِي سِوَاهَا.

○ قال الراوي:

ذُنْبٌ فَوْقَ الذَّنْبِ:

سُلْطَانٌ جَائِزٌ

وَمَجَالِسَةُ الْمَوْتَى

وَحَدِيثُ الْمَرَأَةِ، وَالثَّرْوَةُ:

خَمْسٌ يَقْتُلْنَ الْقَلْبَ. ١

وَتَنَى الرَّأْيَ:

بَيْنَ وَقْعِ الصَّلَاةِ،

وَوَقْعِ السَّيَاطِ،

يَتَارَجَعُ جَنْزُ الصَّرَاطِ.

كلامٌ لمحمد بن مسلم الزُّهري
الذي ظهر في ذلك الوقت،
سنة ١٢٣ هجرية.

* أَيُّهَا الْجَامِحُ الْمَارِقُ -

مَا أَمَرَ الطَّرِيقَ إِلَى الذَّاتِ، فِي
نَشْوَةِ الْعِشْقِ، يَا أَيُّهَا الْعَاشِقُ.

- ل -

كُلُّ هَذِي الثُّجُومِ

جُنْتُ أَوْ صَدَى حَشْرَجَاتٍ .

ليس لِلشَّعْرِ غَيْرُ الهُجُومِ وَغَيْرُ الْفَتْوحِ ،
وَلَا ، لَسْتُ مِنْ هَذِهِ اللَّغَةِ التَّبْوِيَةِ إِلَّا لِأَنَّ
مَوَازِينَهَا

وَتَفَاعِيلُهَا وَتَصَارِيفُهَا

لِغَةٍ فِي الهُجُومِ وَأَنْشُودَةٍ لِلْهُجُومِ .

كلام لمحمد بن مسلم الزمهرى

كلام لبلال بن سعد .

من خطبة لوالى الكوفة، خالد
القسري، يوم الأضحى،
عندما ذبح الجعد بن درهم
في أصل المنبر في الجامع،
سنة ١٢٤ هجرية .

* لَا تَسْلُ عَنْ زَمَانٍ وَرَاءَكَ ، وَازْسُئِ
عَلَى وَجْهِكَ الصَّبَاحُ ،
مَا مَضَى جَسَدٍ مِنْ جِرَاحٍ - لَا
يَجِيءُ لِيَلْقَاكَ إِلَّا عَلَى فَرَسٍ مِنْ
جِرَاحٍ .

○ قال الراوي :

«سؤالك

تصطاد العلم كما يُصطاد
الوَحْشُ :

العلم خزينه

وسؤالك مفتاح .»

وثنى الراوي :

«داركم وخدها، تتغيّر، أنتم

للبقاء خلقتكم،

ولم تُخلَقوا للفناء .»

وثنى الراوي :

«أيها الناس ضُحُوا

فأنا سأضحى بِجَعْدٍ

زَعَمَ : «اللَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ خَلِيلًا

وَمُوسَى لَمْ يَكَلِّمُهُ» ،

ضُحُوا - يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكُمْ» .

- ٣ -

وَضَعُوا قِرْمَةً مِنْ خَشَبٍ
فِي يَدَيَّ، وَفِي قَدَمَيَّ، وَعُنْقِي
وَرَمَوْنِي إِلَى السَّجَنِ ضَلُّوا:
عَبَثًا يُسَجِّنُ الثَّوْرُ. هَذَا الْمَدَى
يَتَزَوَّدُ مِنْ جَمْرٍ شِعْرِي
لَهَبًا يُطْفِئُ اللَّهَبَ
لَهَبًا يُشْعِلُ اللَّهَبَ.

الإشارة إلى يحيى بن زيد بن
علي بن الحسين، سنة ١٢٥
هجرية.

* أَلْمَدِينَةُ حَنْجَرَةٌ دَامِيَةٌ
يَتَقَطَّرُ مِنْهَا أَنْيْنٌ:
لَا تُرَازُ الْحَيَاةُ بِغَيْرِ الْفَوَاجِعِ - رَائِحَةٌ
عَادِيَّةٌ.

○ حَدَّثَ الرَّاَوِيَّةُ:

هَاهِي الْجُوزْجَانُ
سَاحَةً يَتَوَقَّعُ فِيهَا
جِسْمٌ يُحْيِي - مُثَلًى.
أَرْسَلُوا رَأْسَهُ لِدِمَشْقٍ،
بَقِيَ الْجِسْمُ حَيْثُ ذُلِّي، حَتَّى
يُحْيِيَ أَبِي مُسْلِمٍ.
أَنْزَلُوهُ وَصَلُّوا عَلَيْهِ.
بَعْدَ أَنْ دَفَنُوهُ، قَتَلُوا الْقَاتِلَ،
خَطَبُوا: سَتُغَيَّرُ هَذَا الزَّمَانُ،
وَنَسْتَأْصِلُ الْبَاطِلَ.

وَتَنَى الرَّاَوِي:

يُقَالُ، فِي رِوَايَةٍ -
«أَخْرَقَهُ الْوَالِي
رَمَاهُ فِي قَوْصَرَةٍ
أَلْقَاهُ فِي سَفِينَةٍ

وَفِي الْفَرَاتِ دَرَهُ.»

- ن -

الإشارة إلى الخليفة الوليد بن
يزيد بن عبد الملك، سنة
١٢٦ هجرية.

- زنديق

- نائر

- وشعوب هذا الشاعر

- وقرايمطة فساق أصحابه

- فليقتل

- كلاً،

كي يتذوق أفسى نبد

يُرمى في حبس،

ويعلق حتى الموت، عليه بابه.

فتوى الذهبي مأخوذة من
تاريخ الخلفاء للسيوطي.

القولان الأخيران للشاعرين
مروان بن أبي حفصة، وابن
ميادة.

* لا يغلبه إلا ضوء أبهى منه
والضوء الأبهى منه - فيه، وعنه.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

قطعوا رأسه

نصبوه على رأس زُمج

وطافوا به في دمشق

وصفوه: «ماجّن، فاسق».

وثى الراوي:

قال الذهبي:

«لم يك زنديقاً أو كافراً،

لكن، كان شروباً للخمر،

ولوطياً».

وثى الراوي:

- أ -

«كان جميلاً، شاعراً».

- ب -

«رايت الوليد بن يزيد مباركاً

شديداً بأعباء الخلافة كاهلة».

وثى الراوي:

يا للغة المُرءودة

تحت جليد الأرض الموعودة.

- س -

كلام للخليفة الوليد يزيد،
يردّ به على منجمين قالوا له:
ستملك سبع سنين»، وعلى
حماد الراوية الذي قال له:
«كلاً، ستملك أربعين سنة»،
سنة ١٢٦ هجرية.

جَلَّادُونَ لَهُمْ أَسْمَاءُ

جَلَّادُونَ بِلَا أَسْمَاءِ

أَشْبَاحُ تَأْتِي فِي غَارَاتِ

وَحُرُوبُ تُجْرِي فِي أَنْفَاسِكَ، بَيْنَ الْعَيْنِ
وَحُلْمِكَ - رُغْبُ

فِي الْكَلِمَاتِ وَفِي الْأَشْيَاءِ.

إِمْلَأْ قَنَدِيلَكَ حُبًّا

يَا هَذَا الْمَسْجُونُ، وَبَارِكْ

حَتَّى السَّجَنِ، وَبَارِكْ

بَيْتَ اللَّعْنَةِ بَيْتَ الدَّاءِ.

الخطابُ هنا موجّهٌ إلى القرآن
الكريم.

* يتأصّلُ في التاريخ، ولكن
كي يُخَسِّنَ أَنْ يَتَأَيَّ عَنْهُ
فِي آفَاقِ سِرِّيَّةٍ -
كَأَدِ السَّجَنُ يَصِيرُ مَلَاذًا
لِلْحَرِيَّةِ.

○ قال الراوي :

«لَا مَا قَالَا يَكْسِرُنِي،

لَا مَا قُلْتُ يُغَرِّرُ بِي، -

وَاللَّهِ سَاجِي الْمَالِ،

كَأَنِّي أَحْيَا أَبَدًا،

وَسَاضَرَفُهُ صَرَفَ قَدِيرٍ،

سَيَمُوتُ غَدًا.»

وَتَتَى الرَّاوي :

يُنْسَبُ هَذَا الشَّعْرُ إِلَيْهِ :

«تَهْدِدُنِي بِجَبَارٍ عَنِيدٍ فَهَا أَنَا ذَاكَ
جَبَّارٌ عَنِيدٌ

إِذَا مَا جِثَّتْ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ
فَقُلْ يَا رَبِّ مَرْقَنِي الْوَلِيدُ»

○ حَدَّثَ الرَّأوِيَّةُ:

جاء بعد الوليد، يزيد

وكان ابن عم له

قال عن نفسه:

«أنا ابن كسرى،

وأبي مروان

وقبصر جدي،

وجدي خاقان.»

وثنى الراوية:

قيل عنه: «يزيد

أغرق الناس

في الملك، من طريقه.»

وثنى الراوية:

«قتلوا خالدًا - كان مُتَّهَمًا، -

قيل: «عمر في داره كنيسة

لتصلي بها أمه.»

- ع -

يخرجون عليّ، - يجيئون من خطواتي،

من كلماتي

ويسرون مني إليّ

في مداري في أدواتي

لا يطيقون عبء المجاهيل، عبء

السطوع - يتوؤن، يلقون أمراضهم

تبعات عليّ.

سنة ١٢٦ هجرية.

* تنفر منه

لغة رباها،

ويثور عليه

ضوء يخرج منه.

الإشارة إلى خالد القسري.

- ف -

○ قال الراوي:

«قَتَلَ الوليدُ، لذلك ننبشهُ،
ولسوف نصلبهُ.»

ها أنا الآنَ غيري في السَّجِنِ، لكُنَّي لم
أَحُلْ

هَلْ أَقُولُ: «المكانُ

وثنى الراوي:

فريسةُ هذا الزَّمانِ؟»، أَقُولُ: «مداري

أَسْوَاقُ دِمَشْقٍ مُلِيتْ بِالْقَتْلِ.
حَرَقُوا الْمِزَّةَ

لا يَرى في الجَسَدِ

غَيْرَ تَهْيَامِهِ؟» -

وَقَرَى أُخْرَى.

وأنا غيري الآنَ، بيني وبين هُمومي جِسْرٌ

وثنى الراوي:

قَلَقَ مُطَمِّئِنٌ

حَاصِرُ مِرْوَانَ حِمَصاً - قَتَلَ
النَّاسَ، صَلَباً.

غَائِبٌ حَاضِرٌ

أَحَدٌ لا أَحَدٌ.

وثنى الراوي:

صَلَبَ ابنِ نَعِيمٍ وَأَصْحَابَهُ بَعْدَ
أَنْ قُطِعُوا.

خُزَّ رَأْسُ يَزِيدَ.

* لم أترك جَسدي - هذا الوطنَ اللَّيْلِي

إِلَّا بِضَعِ دَقَائِقَ بَيْنَ يَدَيْكَ: لماذا

يا هذا الحُبُّ تَجُورُ عَلَيَّ؟

الإشارة إلى الخليفة يزيد،
والكلام للخليفة مروان الملقب
بـ «الحمار».

قيل: قتل في هذه الأسواق
يومذاك، ثمانية عشر ألفاً،
وقيل: صلب مروان في
حصص ستمئة شخص.

الإشارة إلى ثابت بن نعيم
الذي خرج على مروان في
فلسطين،

ولم يزيد بن خالد القسري
الذي نقض بيعه مروان، سنة
١٢٧ هجرية.

- ص -

أَلرَّحِيلُ مُقَامِي، وَأَرْضِي هَذَا الرَّحَالُ
وَالشَّمَالُ الْجَنُوبُ لِرَحْلِي، وَالْجَنُوبُ
الشَّمَالُ، -

أَتَحْيِلُ أَنِي

وَرَدَّةٌ لِلتَّحْيِيرِ جَاءَتْ

مِنْ جُذُورٍ بَعِيدَةٍ

كَيْ تُوشِشَ أَيَّامَهَا:

شَهَوَاتِي حَقُولِي

وَالْتَمَرْدُ وَرَدُّ الْقَصِيدَةِ.

○ حَدَّثَ الرَّأوِيَّةُ:

«لَوْ مَلَأْتُ يَدَيَّ نَجُومًا وَأَنْزَلْتُ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، لَمْ تَنْجُ مِنِّي».

وَتَى الرَّأوِي:

«لَوْ كُنْتُ فِي بَطْنِي، لَكُنْتُ
شَقِيقَتَهُ، كَيْ أَقْتُلَكَ».

وَتَى الرَّأوِي:

قُتِلَ الْحَارِثُ، -

صَلَبُوهُ مَقْطُوعَ الرَّأْسِ.

وَتَى الرَّأوِي:

قُتِلَ الضَّحَّاكُ، وَجَمَعَ مِنْ
أَصْحَابِهِ.

قَتَلُوا مِنْ بَوَيْعِ بَغْدَةَ،

قَتَلُوا شَيْبَانَ، وَكَانَ التَّاجُونَ
أَعْطَوْهُ الْإِمْرَةَ - لَكِنْ،

مَعَهُ قُتِلَ الْبَاقُونَ.

* مَا السَّمَاءُ؟ تَرَاهَا

لُغَةً فِي الْإِضَاءَةِ أَمْ لُغَةً فِي
الْأَقْوَالِ؟

وَالْكَلَامُ؟ تَرَاهُ، الْكَلَامُ رَحِيلٌ

أَمْ تَرَاهُ الْطَّلُونُ؟

الْقَوْلَانُ لِلْحَارِثِ بْنِ سُرَيْجٍ
مَخَاطِبًا الْجَهْمَ بْنِ صَفْوَانَ سَنَةَ
١٢٨ هَجْرِيَّةً.

الإشارة إلى الحارث بن سريج
نفسه.

الإشارة إلى الضحَّاك بن قيس
الخارجي، وشيبان بن سلمة
الخارجي.

○ قال الزاوي:

قُتِلَ ابْنُ الْكَزْمَانِي

صَلَبُوهُ - صَلَبُوا مَعَهُ أَصْحَابُهُ،
صَلَبُوا مَعَهُ، أَيْضاً، سَمَكَةً.

وَتَّى الزاوي:

«لَا يَمْنِي، لَا مُضَرِّي

خَيْرٌ أَنْ نَخْتَارَ، لِنُخْرِجَ مِنْ هَذَا
الْخَلْفِ، أَمِيراً قُرْشِيًّا.»

وَاخْتَارُوا يُوسُفَ، خَزْبٌ - قَتْلٌ
وَرَوْسٌ تُهْدَى زُلْفَى لِقْرِيشٍ،
وَلِسُلْطَانٍ قْرِيشٍ.

وَتَّى الزاوية:

قُلْ لِرَأْسِكَ: لَا، لَسْتُ شَيْئاً

سِوَى شَمْعَةٍ تَتَوَسَّسُ

بَيْنَ هَذِي الشَّمْعِ - الزَّوْسِ.

- ق -

أَتَخَيَّرُ، مِنْ أَوَّلِ، أَصْدِقَانِي

فِي قِفَارِ الشَّامِ، وَأُعْطِي

شَمْسَ أَيَّامِي الْكَرِيمَةَ

لِفُصُولِ الشَّرَزِ

أَتَعَلَّمُ، مِنْ أَوَّلِ، أَبْجَدِيَّةَ هَذِي الْجَذُورِ
الْقَدِيمَةِ

وَأَقُولُ الطَّرِيقُ إِلَى الْمَجْدِ، أَعْلَى وَأَوْسَعُ مِمَّا
يُظَنُّ الْبَشَرِ.

* إِنَّهُ الْعَرْشُ يَهْرِفُ، يَضْرِبُ أَنْعَامَهُ

بِعَصَا رَبِّهِ

خَلَّنِي لَطْرِيقِي، -

لَا طَرِيقٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ خُطَوَاتِكَ أَبْنَى
كِسَاءٍ لِأَهْوَالِهَا.

الإشارة إلى الوضع في
الاندلس، وإلى يوسف بن
عبد الرحمن الفهري، سنة
١٢٩ هجرية.

حَيْرَتِي فِي مَنِي، -

لا أرى مِن مَّكانٍ

لِضَيْقٍ وَكَزْرِهِ

فِي حَيَاتِي، لَكُنْتِي أَتَنَاسَى وَأُهْمِلُ:

لا رَأْيَةً، لا حُدُودَ

وَكَأَنِّي صُعودٌ يَقُولُ الهَبُوطَ، هَبُوطٌ يَقُولُ
الصُّعودَ.

هُوَذَا ابْنُ شَبِيبٍ وَأَنْصَارُهُ
يَفْتَكُونُ بِأَصْحَابِ نَضْرٍ: قَتَلُوا
إِبْنَهُ تَمِيمًا

قَتَلُوا قَادَةَ وَجُنُودًا، وَتَبَدَّدَ
أَصْحَابُ نَضْرٍ.

وَنُبَاتَةُ - خَزُّوا رَأْسَهُ، أَرْسَلُوهُ
لَأَبِي مُسْلِمٍ.

قَتَلُوا حَيَّةَ إِبْنِهِ، قَطَعُوا رَأْسَهُ -
أَرْسَلُوهُ لَأَبِي مُسْلِمٍ،

قَتَلُوا مِنْ جُنُودِ الشَّامِ وَأَنْصَارِهِمْ
أَلْفًا، وَقَالُوا: قَتَلْنَا ثَلَاثِينَ
أَلْفًا.

الإشارة إلى قحطبة بن شبيب
صاحب أبي مسلم الخراساني،
وإلى نصر بن سيار العامل
الأموي على خراسان، ونباتة
ابن حنظلة العامل الأموي
على جرجان، سنة ١٣٠
هجريّة.

* أقرأ اليومَ فِي دَفْتَرِ الْمَغْصِيَةِ
شَدْرَاتٍ عَنِ الرَّفْضِ - لَاءَاتِهِ
وَجِرَاحَاتِهَا، وَالْخَيْوِطَ الَّتِي تَصِلُ
الْجُرْحَ بِالْأَغْنِيَةِ.

○ حَدَّثَ الرَّأْوِيَةُ:

قال مُسْتَمَهلاً صَحْبَهُ:

لن نُقَاتِلَ حتى نَرى قولهم،

- في الكتاب؟

- الكتابُ إلى جَوَلَتِ.

- في اليتيم؟

- سَنَفْجُرُ في مالِهِ وفي أَمَةِ.

- القتالُ حلالٌ لكم.

وَتَتَى الزَّأْوِيَةُ:

قُتِلَ الحارِجِيُّ أَبُو حمزة،

قتلوا في المدينة، بعد الهزيمة،

أَصْحَابُهُ كُلَّهُم،

وكانوا

قتلوا من قريشٍ

عدداً طَمْ أَسْوَاقُهَا.

وَتَتَى الزَّأْوِيَةُ:

إِبْنُ يَحْيَى قَتِيلٌ: قطعوا رأسَهُ،

أرسلوه لمروان في الشَّامِ،

في الجُزْفِ يُقْتَلُ إِبْنُ عَطِيَّةَ.

- ش -

يَتَسَاقَطُونَ، - الْوَقْتُ قَافِلَةٌ تَسِيرُ

أَمَامَهُمْ.

شَعَفِي هُنَا وَالْآنَ جَائِحَةٌ: تُرَاهُ،

لَمْ يَكْتَمِلْ أَلَقَ الْبِدَايَةِ؟

يَتَسَاقَطُونَ، وَلَسْتُ أَتَنْتَظِرُ التَّهْلِيهِ.

* لَسْتُ فِي دَاخِلِي

لَسْتُ خَارِجَ أَعْضَائِي النَّاحِلَةِ،

أَيْنَ يَمْضِي بِي التَّيْهُ؟ مَا هَذِهِ

الْقَافِلَةُ؟

الإشارة إلى أبي حمزة
الحارِجِي، والحوار بينه وبين
جند الشَّامِ، حيث التقوا في
وادي القرى، سنة ١٣٠
هجرية.

الإشارة إلى عبد الله بن يحيى
الملقب بـ «الطالب بالحق» في
صنعاء. وابن عطية هو قاتله.

○ حَدَّثَ الرَّأْيَةُ:

قتلوا عامرَ بنَ ضُبَارَةَ
قائدَ جيشِ الشَّامِ،
وفَرَّ الذينَ نجوا مِن
يَدَي قُحطَبَةٍ.
قتلوا في خراسان
قادةَ جيشِ الشَّامِ،
ويُدَّ أنصارُهُم.

وَتَى الرَّأْي:

نَادَى:

- «مَنْ يَلْقَ أُسِيرًا
فَلْيَضْرِبْ عُنُقَهُ،
وَلْيَأْتِ بِرَأْسِهِ».

- ت -

عَجَبِي أَنِّي مِثْلُ وَزِدٍ
لَا يُبْرِعُ إِلَّا فِي انْجَاهِ عَدِ يُقْبِلُ،
أَلْهَذَا - أَبَدًا أَرْحَلُ؟
عَنْ يَا طَائِرَ الْمَوْتِ، عَنْ
لَا طَرِيقَ تَوْدِي إِلَى صَبَوَاتِي - تُرَاهَا
حَجَبْتَنِي حَيَاتِي عَنِّي؟

* كَيْفَ، مِنْ أَيْنَ أَقْدَرُ أَنْ أَتَيَقَّنَ أَنِّي
أَنَا، الْآنَ، نَفْسِي؟
هَلْ أُغَيِّرُ حَسِّي؟

قحطبة قائد جيش أبي مسلم
الخراساني سنة ١٣١ هجرية.

كلام لقحطبة مخاطباً أنصاره.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ :

قُحْطَبَةُ

جُنَّةٌ فِي الْفُرَاتِ : «إِذَا مِتُّ،
شَدُّوا يَدَيَّ، اقْدِفُونِي

فِي الْمَاءِ،

كَيْ لَا يَرَى النَّاسُ أَنِّي مِتُّ.»

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةُ :

أَمَرُوا ابْنَهُ عَلَى جَيْشِهِ .

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةُ :

قُتِلَ ابْنُ مُحَمَّدٍ -

كَانَ رَأْسُ الْخُرُوجِ عَلَى خَلْفَاءِ
أُمَيَّةَ .

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةُ :

أَهْلُ الشَّامِ شَتَّتَتْ، وَالْعَرَقِيُّ
كُتِرُ يَمِينُ قُتِلُوا .

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةُ :

مَدَنٌ - لَا ذَاكِرَةً فِيهَا غَيْرُ
الْمَوْتِ، وَغَيْرُ دَوَارٍ فِي أَنْفَاقِ
الْمَوْتِ .

- ث -

جَدَّتِي (وَا دَمًا فِي دَمِي)، -

هَلْ أَدَوْبُ دَهْرِي كَجَبْرِ

وَأَخْطَ بِهِ مَوْتَهَا

وَأَخْطَ بِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي عَشَقْتُهَا،

وَأَسْلَسِلُ فِي جَرْسِهَا جِرَاحِي؟

لَا أُقْسِرُ، بَلْ أَفْتَحُ الْجَرْحَ فِي غَيْهِبِ الدَّلَالَةِ

خَاشِعًا - أَلْتَجَرَّعَ كَاسَ الْفَجِيعَةِ حَتَّى الثَّمَالَةِ .

* كَوْنْتُ غِبَارًا

فِي هَيْئَةِ قَبْرِ،

وَرَسَمْتُ عَلَيْهِ شَمْسًا .

الإشارة إلى وصية قحطبة قائد
جيش أبي مسلم الخراساني،
سنة ١٣٢ هجرية .

الإشارة إلى إبراهيم بن محمد
ويُعرف بإبراهيم الإمام .

○ قال الزاوي:

عبد الله بن علي في قلب دمشق
- «سوى جامعها اضطربلاً» -

لم يشهد في قبر معاوية إلا
خطاً أسود مثل هباء.

جسم هشام كان صحيحاً - لم
ينل سوى جزء من أنفه

صلب الجسم وأخرق: ذروه
في الزئج.

وثى الزاوي:

قبر عبد الملك

فارغ ليس فيه سوى الجمنجه.

- خ -

أول الأغنية

جسد يتفتح في ألقي المعصية، -

مذ هبطنا إلى الشعر أو مذ صعدنا،

نفينا.

مذ كتبنا، نفينا.

هكذا، أتواطأ ضدي

في دم الأبجدية

في جموح اللسان وشهوة نيرانه الأولية.

* في أحضان الحب،

يصير الموت عشيقاً.

سنة ١٣٢ هجرية.

الإشارة إلى هشام بن عبد
الملك.

عبد الملك بن مروان.

○ قال الزاوي:

في يومٍ واجدٍ

قتلوا من أبناء أمة آلفاً،

بَسَطُوا الانطاعَ عليهم - مَدَّوا
بُسْطاً، أَكَلُوا

كان القتلُ يَختلجُون

فوقَ الانطاعِ وتحت الانطاعِ
ويُختصرون.

وثى الزاوي:

قتلوا مرواناً، حَزُّوا رأسه

بعثوه إلى السِّفاحِ

بعثوا معه الكاتب

وَلَّى عبد الجبارِ عقوبته: يحمي
طسناً بالثار، يتوجُّ رأسه.

كزَّر ذلك مَرَاتٍ، حتَّى مات.

وثى الزاوي:

قطعانَ خرجت من إضْطَبَلِ
العصرِ وضَلَّت.

- ذ -

آتِي أَنِّي مِنْهُمْ - بَشَّرَ مِثْلَهُمْ

ولكنني

أَسْتَضِيءُ بما يَتَخَطَّى الضياءُ

آتِي أَنَّهُمْ

يقرأون الحُرُوفَ، وأقرأ ما في الخفاءِ.

قُتِلَ، بحسب الزواية، اثنان
وتسعون ألفاً.

مروان الحمار آخر خلفاء بني
أمية.

عبد الحميد الكاتب، وعبد
الجبار هو صاحب شرطة
السِّفاح.

* لا أحتاج لهذه الشمسِ، شموسي

لا تَحتاج إليّ، -

حَزَبِي فِي أَحْشَائِي:

يُخْرِجُ فَيَلْقُ أَعْدَائِي

من بين يديَّ وَمِنْ شَفَتِي.

○ حَدَّثَ الرَّأْيَةُ:

رَأْسُ مَرَوَانَ بَيْنَ يَدَيِ هِرَّةٍ
تَسْتَطِيبُ اللِّسَانَ وَتَلْهُو بِهِ:
«هَذِهِ ذُرَّةُ الْمَوْعِظَةِ».

وَتَتَى الرَّأْيَةُ:

بُويَعُ لِلْسَفَاحِ فِي الْكَوْفَةِ،
بِالْخِلَافَةِ.

قال في خطبة،

بعد أن بايعوه:

«إِنِّي النَّائِرُ الْمُبِيرُ».

- ض -

قُمْصَانُ الشَّمْسِ اتَّسَخَتْ

وَضِيَاءُ الرِّمْلَةِ يَغْسِلُهَا،

لَوْ كَانَ الْمَعْنَى طِفْلاً

لَرَأَى فِي الرِّمْلَةِ مَهْدًا، وَالْدُّنْيَا طِفْلَةً

وَلَقَالَ: الشَّعْرُ يَطُوفُ، وَفِي عَيْنَيْهِ

يَتَمَوَّجُ ضَوْءُ الرِّمْلَةِ.

* قَلْبٌ - لَا مِنْ لَحْمٍ،

مِنْ وَسْوَاسٍ

لَا يَحْيَا إِلَّا بِمَجْرُوحٍ

يُنْزَفُ بَيْنَ قُلُوبِ النَّاسِ.

قال المتنبي بعد أن التقى
حامى الأدب والفن أبا محمد
الحسن بن عبيد الله وكان والي
الرملة: «إِنِّي ضُتُّ أَيْامِي
بَعْدَهُ».

سنة ١٣٢ هجرية. قال
السفاح، فيما يروى: «لو لم
يُرْنَا الذَّهْرُ مِنْ عَجَائِبِهِ إِلَّا
لِسَانُ مَرَوَانَ الْحِمَارِ، وَهُوَ فِي
فَمِ هِرَّةٍ تَمَضُّهُ، لَكُفَى بِذَلِكَ
مَوْعِظَةً».

- ظ -

أَتَقَدَّمُ، لَكُنَّيْ هَلْ أَسِيرُ؟ أَحَدُكُمْ، لَكِنْ
تُرَانِي، أَرَى؟

زَمَنْ كَاذِبٌ، بَلَدٌ مُفْتَرَى

هَلْ أَقُولُ لَشَعْرِي أَنْ يَتَوَحَّشَ، أَنْ يَتَمَاهَى
بِمَحَالَاتِهِ؟

كَيْفَ، مِنْ أَيْنَ لِلشَّعْرِ أَنْ يَغْلِبَ الرَّمْلَ، أَوْ
أَنْ يُغَيِّرَ هَذَا الْفُضَاءَ؟

أَتُرَانِي كَغَيْرِي: أَصْنَعُ مِنْ شَهَوَاتِي
جِبَالاً، وَأَجْرُ السَّمَاءِ؟

○ قال الراوي:

السُّفْيَانِيُّ يَقَاتِلُ ابْنَ عَلِيٍّ
يَقْتُلُ آلَافاً مِنْ جَيْشِ الْعَبَّاسِيِّينَ،
وَلَكِنْ

ظَفَرَ الْعَبَّاسِيُّونَ،

قَتَلُوا أَنْصَارَ السُّفْيَانِيِّ، جَمِيعاً -
فَرْداً، فَرْداً.

هَرَبَ السُّفْيَانِيُّ، وَلَكِنْ، قَتَلُوهُ -
حَزَّوْا رَأْسَهُ،

أَخَذُوهُ لِلْمَنْصُورِ
وَابْنِي لَهُ.

وَتَّى الرَّاوي:

قَتَلُوا خَفْصاً أَوَّلَ مَنْ سَمَّوْهُ
وَزِيْراً.

وَتَّى الرَّاوي:

أَبْنَاءُ أُمِّيَّةٍ فِي مَكَّةَ
قَتَلُوا دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ.

وَتَّى الرَّاوي:

شَمْسٌ تَنْشُرُ أَخْبَارَ الْقَتْلِ
وَتَوَزَّعُهَا فِي أَكْيَاسٍ لَيْسَتْ إِلَّا
أَجْسَاماً حَيّاً، وَرُؤُوساً حَيّاً.

الإشارة إلى محمد السفيناني ابن
عبد الله بن يزيد بن معاوية،
وإلى عبد الله بن علي، سنة
١٣٣ هجرية.

الإشارة إلى أبي سلمة حفص
ابن سليمان أول من وَزَرَ لبني
العباس.

* تَرَكَ الْمَوْتَ يَسْبَحُ فِي مَاءِ أَحْلَامِهِ،
وَأَبَاحَ لَهُ سِرَّهُ،
كَيْ يَكُونَ قَرِيناً لَهُ،
وَيَكُونَ لَهُ صُورَةً.

○ قال الزاوي:

قال شريك:

«قَتَلُ نفوس، سَفَكَ دماء -
كلًا، ليس لهذا بايَعْنَا آلَ
مُحَمَّدٍ.»

وثى الزاوي:

مات شريك بعد قليل، قَتَلَ.

- غ -

قال صَوْتُ لِصَوْتِي:

لا أَرَى فوق أرضِ قريشٍ
غيرَ مَنْ يَقتُلُونَ، وَمَنْ يُقتَلُونَ،

قال صوت لِصوتي:

وقتنا خيمةٌ والفجیعةُ قِنْدِيلُها.

قال صوت لِصوتي:

والضَّحَى، يَسْطُرُونَ
كلُّ ما لا يرونَ ولا يَعْلَمُونَ.

* مَرَّةً، قَالَتِ الْأَرْضُ لِلشَّعَرِ: هَبْنِي
إِيقَاعَكَ الْيَوْمَ كِي أَكْتُبَ الْقَصِيدَةَ،
كَانَ فِي يَأْسِهِ يَتَمَرَّقُ، يَنَأَى وَيُوغِلُ
فِي شَمْسِهِ الْبَعِيدَةِ.

شريك المهري، سنة ١٣٣
هجريّة.

فاصلة استباق

إنه طَرَبَ العَصْرَ أينما حضرتم في المكان ترون وجهه

حين تَحْطَى بروية المكان، يُسْتَحْسَنُ أن تنحني ترفع يديك مهابةً تُلَوِّحُ بالعلامة التي تُمَيِّزُكَ
إمسح بوجهك الباب الأَمْلَمُ أن تقبل العتبة أولاً استقبله بصدرك أَشِيرُ إليه تَمْجِيداً كيفما
سرتَ يحسن أن تسير متقارب الخطوات من غَيْرِ وَثْبٍ رَمَلاً وَاسْتَيْزِ المكانَ، أينما توجَّهتَ
مكاناً للنخر لك أن تعتبر بالهواء أو بالغبار أو بهذا الذي يظهرُ الآن أمامنا أنظر إليه يأخذُ
الحصى تحيةً للمكان لا أيَّ حصى يأخذُ المُتَطَاوِلُ المُسْتَنَنُ يرميه يميناً يساراً أمانةً وراءه
مع كلِّ حصاةٍ يَرميها يُسَبِّحُ السَّمَاءَ بحمد الملائكة يقدرُ أن يرميها راكباً أو راجلاً جالساً
أو قائماً

مأمورٌ بالزَّمني

قبل طلوع الشمس

ويجوز في الليل

وقُبيل المغيب

إنه طَرَبَ العصر

وأصغيتنا جيداً إلى الخطب التي تعلَّم النُحْرُ، - لا يُنْحَرُ إلا الأَفْضَلُ اقتداءً بالكبش الذي افْتَدَى
به إسماعيل النحر عبادةً والدَّمُ لكتابة التاريخ اعتباراً واستبصاراً - قلنا التاريخُ سائلٌ نَزَلَ في
هذا المدى العُفْلَ رَجَحْنَا إمكان وصفه بأنه صَبِغٌ أو مَرَقٌ ماءً معتصراً أو مُخْلَلٌ
واستدركنا - أحياناً يتغيَّرُ وصف السائلِ كأن يصيرُ ما ينحلُّ في الماء جزءاً من الماء آنذاك يمكن
القول المكانَ سائلٌ آجِنٌ

كلاً، لم تكن ترسمُ يا امرأ القيس إلا لأنك تمحو يقول صديقك المتنبي الذي لا تعرف اسمه
والذي تحيط به الآن أشكالُ أقواسٍ فيما يرى ملاكاً يرفع يديه ليبارك العساكر

في طرب العصر

ويقدم لها بَقْلُ الرُّوحِ في إيقاعات حُوِذٍ وأنصالٍ لها هالَةٌ الوُحْيِ وتجلُّسٌ حول الموائد

خُشوعاً خُشوعاً

السَّماءُ تنزل وتجلس هي أيضاً تتأمل كيف يتوحش الثّبات الإنسيّ كيف تخرج الحيوانات
الجائمة في أرحام الكلمات كيف وجد القتل طريقه إلى المكان الذي رأى الله فيه صورته وقال:
حَسَنَ هذا وها هي تُصغي إلى شفاءِ بهيمة الأرجل تصدح بخطبة الأزمنة لم تشعر أنك معني
بهذه الأبهة (ونحن هنا نخطب المتنبي) قلنا تنزل السَّماء وتجلس هي أيضاً تستطيع أن تواكبها
أيّما تولّت (ونحن هنا نخطب ضميراً غائباً) أن ترى إليها ترقص وتغني لا تقل إنها تتصنع
قل إنها تدرّب على طربِ العَصْرِ
هوذا رأسٌ

نَزَلْ عن كفيها

وأخذ يتنبأ -

نسيجٌ إسفنجيّ من الرّؤوس والأطراف يمتصّ رؤوساً وأطرافاً أخرى وساطةٌ تضغّ الرّوح في
أطباقٍ تغطّيها خوفاً من الشّياطين مكانٌ آخر يشبّ في هذا المكان من أحشائه تخرج طفولة
القتل وعلى هذه الصّورة سيكون ما يكون آمين.

إنّه طربُ العَصْرِ

تأخذ الفراغ بيتاً وتستكمل السقوط ترى التراب يترصّص ويتجسّص دماً ترى جدراناً تلتهم
البشرَ بشراً يتسولون الغبار ترى إلى الكلام يتدفّق جثثاً من الحناجر ولن تغطّي بالحياة إلا
مصادفةً

بين الموت والموت

إذن، ألن تقول لكلّ منا ماذا يفعل حين تموت؟

هل يُكثر من ذكر هادم اللذّة؟ هل يتخشّع ويتفكّر في مآله؟ هل يمشي وراء جنازتك أم أمامها؟
يتبعها بنارٍ أم سراج؟ يرفع صوته؟ نغمّق القبر إلى الصّدر؟ وأين نضع رأسك؟ وكم نرفع قبرك
عن الأرض - شبراً أم فتراً؟ أنرّش فوقه الماء؟ أنبنيه وننقّشه ونجصّصه؟ هل نجلس عليه، أو
نتكّى، أو نمشي؟ وقبل ذلك هل نُسرّع بالجنازة وكيف؟

ثمّ نطمئن إلى النّبوءة، -

أ - الإنسان يسيّر نحو البيغاء، ب - يُولد جنسٌ آخر من حيوانات الله، ج - الدّم ساعة رمليةٌ
والرياح جنائز عائمة.

إنّه طربُ العَصْرِ.

هوامش



- I -

وَضَّاحُ الْيَمَنِ

أَخَذَ الْحُبَّ تَارِيخَهُ الْأَوَّلَا،

يَأْخُذُ الْمَوْتَ تَارِيخَهُ الْمُقْبِلَا، -

تَلْبَسُ الْبِئْرُ أَخْزَانَهُ

وَتَذَوِّبُ فِي مَائِهَا قَلْبَهُ

وَتَقُولُ لَهُ: صَرْتُ مِثْلِي -

لَنْ نَحْنُ، وَلَنْ تَأْمَلَا.

دفنه الوليد بن عبد الملك حيًا
في بئر، لأنه تغزل، كما قيل
بأبنته فاطمة.

وفي رواية أن أم البنين، امرأة
الوليد بن عبد الملك، عشقته
وعشقها، وحدث مرة أن
سمع الوليد بخبر وجوده
عندها، فأخبأته في صندوق
أخذه الوليد ودفنه في حديقة
داره.

سنة ٩٠ هجرية.

- II -

يزيد بن الطثرية

كلما اشتعلت نجمة

فوق أهدابه،

مرّ في وهمه نذّي أنثى

وانحنى راعشاً فوقه.

قلبه مُثَقِّلٌ بالبُرودةِ هذا المساء،

كيف لا تتحيرُ فيه النساء؟

مات قتلاً، سنة ١٢٦
هجريّة.

- III -

أعشى مُمدان

قَتْلِي تَغْرِيفٌ لِحَيَاتِي - لَا تَتَكَبَّرُ.

مَنْذُ تَكْوُنَ هَذَا الْإِنْسَانُ

وَسَقَى اللَّهَ جَنَائِنَ آدَمَ، بِالشَّهَوَاتِ،

وَنَجَّى نُوحَ

مِنْ طُوفَانِ الْعَالَمِ - كَانَتْ

تُخَلِّقُ بِاسْمِ الرُّوحِ، لِمَجْدِ الرُّوحِ

أَجْسَادَ لِلْعَصِيَانِ.

قتله الحجاج.

- IV -

تَوْبَةُ بنِ الحُمَيْرِ

سَلِمْتَ أَخِيلِيَّةَ لَيْلَى، سَلِمْتَ دَارُ لَيْلَى

حُبُّهَا عِطْرُنَا، عِطْرُهَا أَرْضُنَا

كَيْفَ أَنْقَلُ حَبِّي

لِلْخُطَى - وَقَعْتَهَا كَأَنْشُودَةٍ قَدَمَاهَا؟

لِلدَّرُوبِ الَّتِي تَتَمَشَّى عَلَيْهَا،

لِلْفَرَّاشِ الَّذِي تَتَمَدَّدُ فِي حُضْنِهِ؟

كَيْفَ أَنْقَلُ حَبِّي لَهَا؟

أَفِيرِ دَمْعٍ وَمَاتَ قَتْلًا، سَنَةُ
٨٠ هجرية.

- V -

قيس بن ذريح

بعد أن قالت الشمسُ: أعطيتُ لُبنى سِمَاتِ
النُّجوم، وأحوالها،

لم أزل أتفرّس فيها، أتقرّى تقاطيعها
وأُسائلُ إزميلَ حبي:
كيف أَنَحْتُ تمثالها؟

أحبُّ لُبنى، ولكنها لم تنجب
أجبره أبوه على نطليقها،
فأصيب بعد فراقها بالجنون،
سنة ٦٨ هجرية.

- VI -

أبو دهبِل الجُمحي
أَغُونِي، أَيُّهَا الحُبُّ يَا أَيُّهَا السَّاجِرُ،
جَسَدِي قَابِلٌ
ودمي قَابِلٌ
وَضَلَّكَ لِي غَافِرٌ.

كان جيلًا، يُرسل شعره فوق
منكبَيْه، وكان سَيِّدًا من
أشراف قومه. مات سنة ٦٣
هجرية.

- VII -

يزيد بن مَفَرَّغ الحميري

لَيْلٌ وَنَهَارٌ:

فِعْلَانٍ - الْأَوَّلُ مُلْكٌ

وَالثَّانِي مَلِكٌ،

ويزيدٌ بينهما

لَفْظٌ مُجْرُورٌ.

كان عبداً وأُغْتِقَ. سُجِنَ،
وكان يكتب شعره على
جلدان السَّجْنِ، مات سنة
٦٩ هجرية.

- VIII -

عروة بن حزام

أُتْرَى الْآنَ أَيقُنْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ

التي تَتَبَرَّجُ - طَوْرًا لَهِيًّا،

وَطَوْرًا زَيْدًا،

لَا مَكَانَ لَهَا

غَيْرُ هَذَا التَّعْيِيمِ الْجَحِيمِ الْجَسَدُ؟

أَحَبُّ عَفْرَاءِ ابْنَةِ عَمِّهِ، لَكِنْ
زُوجَتْ إِلَى غَيْرِهِ، بِدُونِ
إِرَادَتِهَا. يُقَالُ مَاتَتْ حَزْنًا،
عَلَى قَبْرِهِ.

مَاتَ سَنَةَ ٣٠ هَجْرِيَّةً.

- IX -

كثير عزة

وَجْتَائِكَ، ذِرَاعَاكَ، صَدْرُكَ

غَابَاتُ حِلْمٍ

لِهُبُوبٍ بِلَا غَايَةٍ

غَيْرَ أَنْ تَتَنَسَّمَ عَزَّةً - لَكِنْ

لُعَّةُ الْحَبِّ مَجْرُوحَةٌ

وَزَمَانُ الْمُحَيَّنِ جُرْخٌ.

غَيْرَ أَنَّا نُهُوْمُ مِثْلَ الْفَرَاشِ: الطَّبِيعَةُ

بَابٌ عَلَى الْمَوْتِ،

وَالْجُنْسُ، كَالضُّوءِ، مِفْتَاحُهُ.

وقف معظم شعره على عزة،
مات سنة ١٠٥ هجرية.

- X -

الفرزدق

أَتَعْلَمُ مِنْكَ لِأَعْرَفَ مِثْلِكَ مَا تَعْرِفُهُ:

لِلكَلِمَاتِ قِبَائِلُ أَيْضاً

وَلِكُلِّ مِنْهَا جَيْشٌ.

كَلِمَاتٌ تَسْتَعْبِدُ أُخْرَى

لِثُبَّتِ عَرْشاً

فَوْقَ بَقَايَا كَلِمَاتٍ بَادَتْ.

وَالْمَنْطُوقُ الْمَرْتِيُّ مِنَ الْكَلِمَاتِ كِتَابٌ

يَنْزَلُ مِنَ لَامَرْتِي:

جَسْرُ سَرَابٍ

بَيْنَ رَمَادٍ يَمْضِي، وَرَمَادٍ يَأْتِي.

VII

يَضُمُّهُ الْمِسْلُكُ ضَمًّا الْمُسْتَهَامِ بِهِ

الْمُتَنَبِّي

○ قال الزاوي :

قتلوا بَسَامًا

قتلوا أصحابه .

وثى الزاوي :

قُتِلَ الصُّفْرِيُّ ،

أمير الصُّفْرَةِ

عَشْرَةُ الْآفِ قُتِلُوا مَعَهُ ،

فيما قالوا :

حُرِّقَتْ كُلُّ بَيْوتِهِمْ

حُزِّنَتْ كُلُّ رُؤُوسِهِمْ .

وثى الزاوي ،

حذراً حائراً :

رَبِّمَا ، خَطَا أَنْ نَرَى السَّيْفَ
سَيْفًا ،

رَبِّمَا كَانَ وَجْهُ الْمَلَاكِ -

مُؤْذِنًا بِالْهَلَاكِ .

- أ -

سَائِرُ بَيْنِ جَرِحٍ وَجَرِحٍ لِأَنْطَاكِيةَ

أَتَعْلَمُ أَنْ أَسْتَضِيءَ بِلِيلِي

أَتَعْلَمُ أَنْ أَحْضَنَ الْهَائِيَةَ ،

وَأَرَى فِي عَذَابِ الْجَسَدِ

مَا يُضِيءُ الْأَبَدَ .

الإشارة إلى بَسَامِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
الذي خرج في المدائن .

الإشارة إلى الجلندي أمير
الخوارج الصُّفْرَةِ فِي عُمَانَ ،
سنة ١٣٤ هجرية .

* مَا الْكِتَابَةُ؟ ماذا سيكتبُ؟

أَطْيَافَ مَا حَفَظْتُهُ لَهُ الذَّاكِرَةُ

أَمْ سَيَكْتُبُ نِيرَانَهُ السَّاهِرَةَ؟

○ أكد الزاوية

أن تاريخه،

مثلما صَوَّر المتنبي

وَجْهَ تاريخه:

لم يكن غير رَقَصٍ

على الهاوية.

- ب -

كيف تجزأ سَيَافٌ

أن يمنع سَيري،

أَنْ يحجزني؟

هَلْ يَأْمَلُ هذا الوالي أن أمدحه؟

أَمَلٌ بِالْبَحْرِ يَصِيرُ حصاةً.

سَأَقُولُ لها - لَطْرَائِلِسَ:

أَبهى وقتٍ فيها تَسْتَرُوحُ فيه نفسي،

وَقْتُ

يُعْطِي رَأْسِي لِلشَّمْسِ وَيُعْطِي الشَّمْسَ

لِرَأْسِي.

* أَقْصَى مِمَّا يَصِلُ اليَأْسُ، وَأَقْصَى مِمَّا

يَعْدُ الأَمَلُ:

تلك دروبي أَكْتُبُهَا

كقصيدة بَوَّحٍ لا تَكْتَمِلُ.

○ وصف الزاوية

مَنْ يعيشون في عصره،

قافياً رؤية المتنبي:

لم تعد وردة

تفتّح في فكرهم،

قطعوا جذر أحلامهم.

- ج -

قُتِلَ ابْنٌ كَيْغَلَعَ فِي جَبَلَةٍ، -

لا أَسْرُ ولا أَخَزَنُ،

ليس لي رايّة غير نفسي -

فأنا فوق ما أضمرُوا، وما أعلَنُوا،

أَهُوَ الدَّهْرُ يَخْتَارُنِي:

أَتَخَايَلُ فِي ثَوْبِهِ

وَأَعِيشُ خَصِيماً وَنَدّاً لَهُ؟

الإشارة إلى عدو المتنبي،
ولكى قوله فيه حين قُتِلَ: «إن
مات، مات بلا قُتْلٍ ولا
أسَفٍ،

أو عاش، عاش بلا خُلُقٍ ولا
خُلُقٍ».

* يُضْغِي حُرُوفٍ لا أَسْمَاءَ لَهَا،

وَيُعَاشِرُهَا، وَيُغْنِيهَا

كَي تَتَعَلَّمَ فِيهِ سِرَّ الْأَسْمَاءِ

وَتَسْمِيَ الْأَشْيَاءَ.

في الطريق إلى تَذْمِرٍ وإلى بعلبك
وَحْصٍ
تَقْرَيْتُ يُونَانَهَا
وتَقْرَيْتُ رُومَانَهَا
وتَقْرَيْتُ ما تَفْعَلُ الأَبْجَدِيَّةُ في حَبْرَهَا، -
أَسْكَرْتَنِي أَيْقُونَةُ.

○ قال الزاوي:

بيت، -

آساس من ملح،

سجنوا فيه

عبد الله بن علي.

أَجْرُوا ماءً في الآساس،

فذاب الملح، -

البيت تهاوى:

بيت من ملح

قَبْرَ لابن علي.

وثى الزاوي:

قتلوا أصحاب

ابن علي.

هو عم الخليفة المنصور. وقيل
إن المنصور هو الذي أوحى
بهذه الطريقة من القتل، سنة
١٣٧ هجرية.

* حين سيأتي مَوْتِي
سِيرَانِي، وَأَنَا شَيْخٌ،
طِفْلاً يَلْهُو بالدُّنْيَا.

دِزْهَم - بَيْرَقْ

فوق رأسِ دِمَشَقِ

تَوَجَّهَتْ بِعَرْشِ لَهُ شَكْلُ سَيْفِ،

حوله الأرضُ بُزْكَانُ ظُلْمٍ وَحَقْدِ

حوله الدَّهْرُ طوفانُ قَتْلِ،

وَلَهُ النَّاسُ جَبَانَةٌ.

الإشارة إلى أبي مسلم
الخراساني، وسنباذ أحد
أتباعه، خرج في خراسان،
مطالباً بدمه، سنة ١٣٧
هجريّة.

○ قال الزّاوي :

لَقَوْهُ فِي عِبَادَةٍ

رَمَوْهُ فِي دِجْلَةٍ.

وَتَنَى الزّاوي :

قالوا - حَيَّ يُزْزَقُ،

وهو إمام

لكن، محبوسٌ في الرّيّ،

ويُظْهَرُ حين يبيءُ

الوَقْتُ،

وقالوا: من أَهْلِ الجَنِّ،

لَهُ أَصْحَابٌ،

وهو نبيّ، - زارا أَرْسَلَهُ.

وَتَنَى الزّاوي :

قتلوا سُنْبَاداً

قتلوا آلافاً مِن أَصْحَابِهِ.

* هُوَذَا، نَقْرَأُ فِي وَجْهِكَ، يَا هَذَا

الْفَضَاءُ

مَا يَرَاهُ الشُّعْرَاءُ.

○ قال الزاوي:

قتلوا جَهْوراً

قتلوا صحبة

كلهم.

وثنى الزاوية:

قتلوا الخارجيّ - المعبد،

قتلوا ما يزيد على الألف

من صُخْبِهِ.

أَلْقَتَالُ هُنَا، وَالْقَتَالُ هُنَاكَ، هُنَالِكَ: شَرَعُ

وَالرَّؤُوسُ حَصَادُ

يُذَرِّهِ كُلُّ بَايَاتِهِ.

أَثَرِي يَمَكُنُ الْعُبُوزُ؟

أَثَرِي يُؤَمِّنُ الْعُبُوزُ؟

وَحَدَهَا، ذُرَوَاتُ الشَّجَرِ

تَتَحَنِّي فِي سَلَامٍ

لِتُحَنِّي الطَّيُورُ

وَتُحَنِّي الْمَطَرُ.

* ثِقَّةُ الْعِطَرِ بِالْوَزْدِ: هَذِي

ثِقَتِي بِحَيَاتِي.

الإشارة إلى جهور بن مرار
العجلي الذي خرج على
النصور، سنة ١٣٨ هجرية،
والى خارجي آخر هو المُعَبَّد.

- ز -

مُذُنُّ لَمْ تَعُدْ
غَيْرَ إِسْمٍ وَإِثْمٍ
وَلَهَا الْأَبْجَدِيَّةُ - مَرْصُوفَةٌ
بِالْمَقَابِرِ،
مُخَفَّوَةٌ بِالسُّيُوفِ
أَنْتِ بُهْلُولُ هَذِي الصَّحَارَى، وَشَحَاذُ تِلْكَ
الْحُرُوفِ
ضَعِ أَغَانِيكَ فِي قَضْعَةٍ
وَجَبِينِكَ فِي حُفْرَةٍ، -
لِلْعُبُودَةِ هَذَا الْمَكَانُ وَهَذَا الْمَقَامُ
وَلَهَا هَذِهِ الْخِيُولُ لَهَا هَذِهِ الْحِيَامُ.

* مَا أَصْعَبَ أَنْ أَبْقَى
فِي نَفْسِي، دَاخِلَ نَفْسِي، وَأَكُونَ
لَهَا،
مَا أَصْعَبَ أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا
لَأَكُونَ الْآخَرَ.

○ قَلَمٌ أَعْمَى:

يَمَزُجُ مَاءَ الشَّكْلِ

بِعَصِيرِ الْبَقْلِ، -

كَانَ الزَّائِي

يَتَأَمَّلُ فِي تَارِيخِ الْجَنْزِ

وَيُشِيرُ إِلَى كُتَابِ الْعَصْرِ.

○ حَدَّثَ الرَّاوِيَّةُ:

دَعَا لِحَلَاةٍ

أَلْ عَلِيٍّ،

فَأَيَّدُوا جَمِيعاً.

وَتَى الرَّاوِي:

قَتَلُوا كُلَّ الرَّاوِنْدِيَّةِ،

لَمْ تَبْقَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

بَقِيَّةٌ.

- ح -

أَتَنَسَّمُ فِي هَذِهِ الرِّيحِ لَيْلِي وَالْجُنُوبَ: تُرَى
قَيْسٌ يَحْيَا

قَلْباً حَائِراً

فِي خُطَايَ، وَفِي قَسَمَاتِي؟

طَائِرٌ فِي سَمَاءِ الشَّامِ تَنْبَأُ، لَكِنْ

لَا يَقُولُ نَبِوءَاتِهِ، -

مَالِخٌ مَاءَ هَذِي الدَّقَائِقِ، وَالْقَحْطُ يَجْرُدُ عَنْ
شَجَرِ الْحُلُمِ أَوْرَاقَهُ.

* لَمْ يَكُنْ وَاهِماً، حِينَ قَالَ: السَّمَاءُ
امْرَأَةٌ، -

كَانَ يَحْلُمُ بِالْأَرْضِ، يَسْكُبُ أَحْلَامَهُ
فِي قَنَادِيلِهَا الْمُطْفَأَةِ.

الإشارة إلى جماعة من
الأمراء، وقد قتلهم أبو داؤد
نائب خراسان، سنة ١٤٠
هجريّة.

الإشارة إلى طائفة الرّاونديّة
التي خرجت على المنصور.

- ط -

نقطة، نقطة -

يَتَقَطَّرُ عِلْمُ الْغُيُوبِ عَلَى فُقَهَاءِ الشَّامِ:

لَا يَحِلُّ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ شِعْرٌ،

هَلْ يَحِلُّ

الْتِخَالُ فِيهَا، إِذَنْ؟

هَلْ يَحِلُّ الْمَقَامُ؟

○ أخذ الزاوية،

يترنم في خفية:

الحروب التي تتوالى

في هياكل

في صلوات،

والحروب الوسائد والشهوات،

والحروب التي ابتكرت

باسمها الكلمات:

هوذا خبزنا.

* لا طريق تؤدي إلى ذروة الحياة

سوى المستحيل، إذن لا مقام،

والنديم ظلام -

أدير الكأس، يا أيها الظلام.

○ ومضى الزاوية

في ترانيمه:

نتحدث مع حزبية

ونعاشير جبانة

ونؤول ما خبا الله

في موجة

في حصاة،

لا لشيء - سيوى أن نُحيي

الشتات،

ونزفّع أنشودة

للحصاة.

- ي -

جُنْدٌ -

يَفْتَحِمُونَ، وَيَفْتَحُونَ، وَيَمْتَلِكُونَ

ويقولون: لنا أرواحٌ

تقدر أن تتنزه في الفردوس

وتقدر أن تتزوج فيه

ذكراً أو أنثى -

من شاءت، ما طاب لها.

* لا أقصّ الشقاء، ولكن

أتقصّي الزمان وميراثه الحميم

وأقول: اهبطوا، لا قرار، إلى قاع

هذي الجحيم.

- ك -

الإشارة إلى محمد بن إبراهيم
ابن عبد الله بن الحسن بن
علي بن أبي طالب، الملقَّب بـ
«النفس الزكيَّة». سنة ١٤٤
هجريَّة.

كَيْفَ لِي أَنْ أُوَاطِنَ هَذِي الْحَيَاةَ، كَمَا
رَسَمُوهَا وَكَمَا خَيَّلُوهَا؟

أَبْدَأْ، أَتَبَدَّلُ فِيهَا - أَبَدَّلْ يَأْساً قَدِيماً

بِيَأْسٍ جَدِيدٍ،

كَأَنِّي أَبَدَّلُ نَوْبِي.

لَنْ أُوَاطِنَ غَيْرَ التَّمَرِّدِ فِيهَا وَالْخُرُوجِ عَلَيْهَا.

عَبَثاً تَتَشَاءُمُ - تَمَحْوُ طَرِيقِي،

وَتَنْقَرُ هَذَا التَّرَابَ

أَيْهَذَا الْغُرَابِ.

ابن التَّعَمَّانِ الْغَسَّانِي الَّذِي
خَرَجَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الذَّاخِلِ، وَقَتَلَ مُحَاصِراً فِي
أَشْيَلِيهِ.

○ قال الرَّأَوِي:

كَانَ النَّاسُ قُرَآدِي

وَجَمَاعَاتٍ يَأْتُونَ

إِلَيْهِ

لَيَرَوْهُ - لَيَزُوا كَمَ كَانَ جَيْلاً

قَتَلُوهُ - خَزَوْا الرَّأْسَ،

وَأَرْسَلَ لِلْمَنْصُورِ،

وَطَافُوا فِي بَغْدَادَ بِهِ -

طَافُوا فِي مَدِينِ أُخْرَى.

وَتَنَى الرَّأَوِي:

صَلَبُوا أَنْصَارَهُ.

وَتَنَى الرَّأَوِي:

كَانُوا قَدْ قَتَلُوا ابْنَ التَّعَمَّانِ

وَجَمَعُوا مِنْ أَصْحَابِهِ،

وَابْنُ السُّنَحِ أَبَا الْخَطَّابِ وَجَمَعُوا

مِنْ أَصْحَابِهِ.

زَعِيمُ الْإِبَاضِيَّةِ فِي أَفْرِيقِيَا:
عَبْدُ الْأَعْلَى الْمَعَاوِي (أَبَرُ
الْخَطَّابِ).

* جَاهِدْ أَنْ يَقُولَ الْبَعِيدَ الْعَصِيَّ،

يَتَاخَى مَعَ الضُّوءِ، يُوْغِلُ فِيهِ

وَيُعَاشِرُ تَرْحَالَهُ الْبَهِيَّ.

- ل -

الحياة قِلاَعُ

أَتَوَسَّدُ أَعْنَاقَهَا كَأَنِّي

أَتَوَسَّدُ صَدْرَ الْحَقُولِ،

وَاضِعاً شَعْفَيَّ حَوْلَهَا هَالَةً.

وَلِمَاذَا، إِذَنْ، يَغْشِقُ الْحُلُمُ فِيَّ،

وَيَنْسَخُ مَا قُلْتُهُ، مَا أَقُولُ؟

○ قال الزاوي:

أَخِي سَفِيَانُ تَثَوَّرَا

كَيْ يُطْعِمَ لَحْمَ

الكَائِبِ

لِلجَمْرِ اللَّاهِبِ:

قَطَعُهُ إِرْبَا إِرْبَا

وَرَمَاهُ فِيهِ.

وَتَنَى الزَّأَوِي:

قَالُوا لِلكَائِبِ،

لَا يَضْدُقُ غَيْرُ اللَّهِ وَغَيْرِ

الْعَرِشِ،

وَأَنْتَ الْكَائِبُ.

* مِتْعَةٌ هَذَا الْعَبَثِ الْمَتَدَفِّقِ حَوْلِي مِثْلَ

السَّيْلِ

أَنِّي فِيهِ -

لَا أَعْرِفُ نَفْسِي - لَا أَدْرِي:

أَنهَارٌ وَقْتِي أَمْ لَيْلٌ؟

وَتَنَى الزَّأَوِي:

كَانُوا قَدْ قَتَلُوا إِبْرَاهِيمَ

وَحَزُّوا رَأْسَهُ

صَلَبُوهُ فِي سَوَاقِ فِي

بَغْدَادَ، وَلَاءَ

لِخَلِيفَتِهِمْ.

سفيان بن معاوية عامل
المنصور على البصرة،
والكاتب هو ابن المقفع، سنة
١٤٥ هجرية.

الإشارة إلى إبراهيم أخي محمد
النفيس الزكية.

- ٢ -

تُرَانِي غَيْبٌ؟ غَيْرَ أَتَيْ عَاصِفٌ
رَكَابُهُ رَفُضٌ وَتِيَّةٌ وَتِرْحَالُ
يُضَلِّلُنِي نَبْضِي - تُرَانِي مَفَازَةٌ؟
وَيُوهِمُنِي - وَجْهِي بِحَارٍ، دَمِي آلُ
كَأَنِّي مِنْ طِينِ غَرِيبٍ، مَكُونُ
وَلَا شَمْسَ لِي غَيْرُ الْهِيَامِ - يُضِيئُنِي
وَأَوْغِلُ فِيهِ، مُسْتَزِيدًا، وَأُخْتَالُ.

○ قال الزاوي.

يُضْغِي لِلْمَتْنِي، وَيُفَكِّرُ فِي أَحْوَالِ
النَّاسِ، غَرِيبٌ:

مَا مِنْ أَحَدٍ يُضْغِي
كُلُّ لَّا يَسْمَعُ إِلَّا
صَوْتَهُ.

وَتَى الزاوي:

هَذَا زَمَنٌ
لَّا يَقْرَأُ فِيهِ كُلُّ مَنَا
إِلَّا مَوْتَهُ.

* سَفُنُ الْحَلَمِ تَجْرِي عَلَى مَتْنِ هَذَا
الْهَوَاءِ،
حَامِلَاتِ جِرَارِ الْأَغَانِي لِرِي
الْفَضَاءِ.

- ن -

تَرْكَبُ اللَّيْلَ؟ لَيْلٌ
نَسَجَتْهُ الشَّامُ بِأَهْوَالِهَا - سَرَيْنَا
أَلْشَّوْاطِيءَ مَحْبُوكَةً
بِضَفَائِرِ أَمْوَاجِهَا

وَالشُّهُولُ كَمَثَلِ الْجِبَالِ، شِبَاكَ.
أَيُّهَا اللَّيْلُ، مَهْلًا - أَنْمُضِي؟ تَمَهَّلْ
لَا تَقُلْ، لَا تَقُلْ أَيْنَ نَمُضِي؟

يُسَوِّدُ أَيُّ يَدْعُو لِلْخَلِيفَةِ
الْعَبَّاسِيِّ الْمَنْصُورِ، وَالْإِشَارَةُ
هُنَا إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْمَغِيثِ،
وَقَدْ قَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخَلُ،
وَقِيلَ قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ سَبْعَةَ
الْآفِ، سَنَةَ ١٤٦ هَجْرِيَّةً.

* مَا أَنَا غَيْرُ مَا كُنْتُ: مَا كُنْتُ
يُذْهَشُ مِمَّا أَنَا - مَحِيطٌ
يَتَمَرَّقُ فِي لُجَّةِ،
وَيُحَارِبُهُ مَوْجُهُ.

○ حَدَّثَ الرَّأْيِيَّةُ:

أَلْعَلَاءُ يُسَوِّدُ
فِي الْأَنْدَلُسِ.

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةُ:

يَتَسَاءَلُ: مَاذَا؟

أَيُّكَونَ السَّوَادُ بِيَاضًا

لِبَغْدَادٍ أَمْ أَنَّهُ أَحْمَرًا؟

لَا أَرَى أَيُّ فَرْقٍ.

وَالْعَلَاءُ يُسَوِّدُ فِي الْأَنْدَلُسِ

حَوْلَهُ يَتَجَمَّعُ خَلْقٌ كَثِيرٌ -

قَتَلُوهُ، قَتَلُوا جُلَّ أَصْحَابِهِ.

وَتَنَى الرَّأْيِيَّةُ:

أَيُّذَا السَّوَادُ، اتَّعِظْ

أَيُّذَا الْبَيَاضُ، اتَّعِظْ

أَنْتَمَا ضَفَّتَا الْهَائِيَّةَ.

- س -

حُلْمي يُقرحني ، لكنّ دمي يُكيني ، -
ما أغرب رأسي - يلهو
يتأزججُ شكّا
بين الفكرة والطّين
ويؤاخي بين الباطن والظاهر
في لغة الشاعر.

○ سألَ الزاوية :

ما الذي يأخذُ
المتنبّي؟

أي حلمٍ تطاردُ
أهدابه؟

ولماذا، تُراه،
يتقصّى عيون البَشَر
حاضناً نَوْمها؟

فجأة، أُخِذَ الزاوية

بتباريحِهِ -

فجأة، خافَ وارتجفت ركبته،

فجأة، راحَ يمحو خطاهُ،
ويَمْحو الأثر.

* لا بدايةً، لا مُنتهى :

إنها الأرضُ سكرانةٌ، -
ألنا الكأسُ - مكسورةٌ، أم لها؟

○ أخبر الراوية :

- أ -

عاهد المصلين ألا يخرجوا
أو يثوروا،

فإذا غيروا عهدهم،
خُلَّت كل أرواحهم
وأموالهم.

- ب -

غيروا عهدهم.

- ج -

- ما ترون؟

- إذا ما عفوت،

فإنك أهل، والعقاب يكون
كما شئت.

- أنت، يا شيخ،

ماذا ترى؟

- قد أباحوك

ما ليس في ملكهم:

أترى، إن أتت امرأة
وأباح

فَرَجَها دون عقد نكاح،

هل يحق نكاح؟

- لا يحق.

- إذن، كيف تغزؤهم؟

- ع -

أتراها تُفكرُ هذي المدينة، أم تتذكّر؟

لا زائرُ اليوم يُشبه مَنْ زارها أمس،
والأرض تُنسى وتُنسى.

أتراها تُحاورُ زوارها، وتُجسُّ تقاطيعهم؟

تعبٌ في هواها

تعبٌ في خطاها

تعبٌ في يديها

وشعري يُحنو عليها.

حوار بين الخليفة

المنصور وبعض

الفقهاء، وبينهم

أبو حنيفة،

وهو المقصود بالنداء:

يا شيخ.

* أترأه الواقع حلمٌ
يحيا طفلاً - مصلوباً
قُطعت رجلاه؟

- ف -

قَلَقَ - غِبْطَةً،

في جنائنِ بَوَحٍ

لا يراها النَّظَرُ.

والطَّرِيقُ مرايا

لا لِصَفْوِ النِّبَايِعِ، لا لِلزَّهَرِ

أَلطَّرِيقُ مرايا

لِعَذَابِ البَشَرِ.

○ حَدَّثَ الرَّأْوِيَةَ:

كان نعمانٌ من بين

أنصاره،

وأعطاه يوماً

كُلَّ ما كان يملكُ. حَزُّوا

رأسَهُ، أرسلوه

للخليفة مُسْتَبْشِرِينَ:

«قَتْلُهُ سَوْفَ يُطْفِئُ نَارَ

الخروجِ،

وَيَسْتَأْصِلُ الْخَافِجِينَ».

الإشارة إلى إبراهيم بن عبد
الله الطَّالِبِي الذي قتله
المنصور. ونعمان هو الإمام
أبو حنيفة، وقد تبرَّع
لنصرته، فيما يُروى، بأربعة
الآف درهم - كُلُّ ما كان
يملكه.

* خُطَوَاتُ جِرَاحٍ،

والجِرَاحُ متى اسْتَأْنَسَتْ تَمَاهُتُ

بِالتَّرَابِ، وصارت

صورةً،

وَتَأْنَسَنَ فَخَارُهَا.

○ قال الراوي

يَسْتَذِرْجُهُ سِرُّ الْمُتَنَبِّي:

يَسْتَذِرْجُنَا سِرُّ

يَسْتَذِرْجُ جِنَّ الشَّيْغِرِ إِلَيْهِ،

وَيُنَازِعُنَا

وَيُصَادِقُنَا

مِفْتَاحُ رَمُوزٍ

بَيْنَ يَدَيْهِ -

وَالْأَبْوَابُ رِيَاخٍ.

- ص -

كَمْ قَلْتُ: جِثْتُ يَلَا طَقُوسٍ

وَوَهَبْتُ نَفْسِي لِلْجُمُوحِ، لِكُلِّ رَفُضٍ.

كَمْ قَلْتُ: أَخْرَقْتُ هَذِهِ اللِّغَةَ الْأَمِينَةَ
لِلْأَصُولِ،

أَرَجَّ قَاعِدَةَ الْأَصُولِ،

وَزَرَعْتُ وَجْهِي فِي الْفَضَاءِ، وَقَلْتُ: زَرْعِي

خَلَقْتُ وَشَهْوَةُ خَالِقٍ، -

أَنَا أَنَا؟ أَمْ كَوَكَبٌ بَدَأَ الْأَفْوَلُ؟

* الْحَيَاءُ، كَمَا نَتَقَلَّبُ فِي جَمْرِهَا،

انْشِقَاقُ،

جَسَدٌ لَا يَكْفُ عَنْ الرُّغْبِ مِنْ

رَأْسِهِ.

- ق -

تَغْنَى الزَّهْوَرُ بِشَعْرِ اللَّقَاحِ، وَيَرْقُضَنَّ
فِي الرِّيحِ رَقْصَ الشَّرَرِ
الْهَارِ - جَهَاراً يُوقِّعُ كَاللَّحْنِ،
وَاللَّيْلِ - فِي خَفِيَّةٍ، يُتَتَكَّرُ
بَعْضُهَا شَطْحَاتٍ - عَنِتُّ الْجِبَالَ، وَبَعْضُ
سُورٍ
بَيْنَ وَادٍ وَوَادٍ
يَتَقَطَّعُ حَبْلُ الْقَدَرِ.
إِنَّ رَأْسِي مَلِيءٌ بِالْكَوَكِبِ: ضَوْءُ الْبَصِيرَةِ،
ضَوْءُ الْبَصَرِ
تَوَّامَانِ، وَضَوْءُ التَّمَرَّدِ وَغَدُهُمَا الْمُنْتَظَرُ.

* رَمْلٌ غَتَّى لِرِيَّاحٍ غَتَّتْ:
أَبَارٌ مُلِئَتْ بِدَمِ الْآبَاءِ وَبِالْآبَاءِ
تَتَفَجَّرُ فِي جَوْفِ الْأَبْنَاءِ.

○ قال الراوي،
دَمِشَاءً، حيراناً:
ما هذا التَّارِيخُ -
الْبَحْرُ، بِمَوْجٍ،
يَفِيضُ عَلَى الْمُنْتَبِي، وَيَغَالِبُهُ؟
بَحْرٌ يَرْمِينِي فِي شَطَائِنِ
تَمْلُوهَا أَعْنَاقُ
دُبِيحَتِ
وَمَرَائِبُ رَاسِيَّةٍ
كَيْ تُبَحَّرَ
فِيهَا أَعْنَاقُ لِلذَّبْنِ،
هَلْ ذَلِكَ نَصْرٌ؟
هَلْ هَذَا الْفَتْحُ؟

○ أَخْبَرَ الرَّأْيَةَ:

أَلْخَوَارِجُ يَغْزُونَ

أَفْرِيقِيَا الْعَرَبِيَّةَ

بِدَمٍ آخِرٍ

غَيْرِ مَا تَرْجِيهِ

بَنُو هَاشِمٍ أَوْ أُمَيَّةُ،

قَتَلُوا عَامِلَ الْخَلِيفَةِ،

أَنْصَارُهُ - وَلَكِنْ،

أَتَرَاهُمْ

كَمَا اتَّهَمُوهُمْ:

يَقْتُلُونَ النِّسَاءَ

وَأَطْفَالَهُنَّ؟

الْخَوَارِجُ يُزْسُونَ سُلْطَانَهُمْ.

- ر -

لَا أُرِيدُ لِحَلْمِي أَنْ يَتَنَزَّهَ حَوْلِي

لَا أُرِيدُ لَهُ أَنْ يُوَالِفَ وَجْهِي

أَوْ يَتَأَلَّفَ مَعَ خُطَوَاتِي،

بَلْ أُرِيدُ لَهُ أَنْ يَظِلَّ الْبَعِيدَ

الْمَشْرِدَ فِي أَبْعَدِ الْفُلُوتِ.

سنة ١٥٢ هجرية، وعاميل
الخليفة هو عمر بن عثمان بن
أبي صفرة.

* إِنَّهُ الْمَوْتُ: حَزَيْتِي
أَنْ أَكُونَ قَرِينًا وَنَدَاً لَهُ.

- ش -

أُضْغِي لِوَقْتِي :

لَا وَقْتُ لِلْمَجْنُونِ كِي يَكْسُو

بِضَوْءِ هَوَاهُ قَافِلَةَ الْعَقُولِ .

لَا وَقْتُ لِلْمَجْنُونِ/ حَانَ الْوَقْتُ -

تَنْكَسِرُ اللَّغَاثُ عَلَى اللَّغَاثِ ،

وَيَنْحَنِي

قَوْلٌ عَلَى طَلَلِ الْمَقُولِ .

* أَعْطِهِ حَفْنَةً مِنْ بَخُورِ -

(لَا تَقُلْ ، أَيُّهَا الشَّعْرُ ، مِنْ أَيْنَ أَوْ

كَيْفَ جَاءَتْ)

لِيَرَى كَيْفَ يَقْرَأُ تَارِيخَ هَذِي

الْبِلَادِ ،

وَكَيْفَ يُخْزِرُ مَوْتَ الْعُصُورِ .

○ قال الزاوي :

كَيْفَ أَخْاطِبُ وَقْتِي ،

وَيَأْتِي لِسَانِي أَخْبِرْ عَنْهُ؟

وَتَنَى الزاوي :

رَأْسٌ لَا يَعْلُو ،

إِلَّا مَرْسُومًا أَوْ مَنْقُوشًا

فَوْقَ جِدَارٍ ، أَوْ كُرْسِيٍّ

أَوْ رَمَحٍ .

شَعْبٌ مَحْمُولٌ فِي

مَقْبِضِ سَيْفٍ ،

مَلِكٌ يَمْلِكُ حَتَّى

يَقْتُلَ شَعْبَهُ

مَعْتَمِدًا رَبَّهُ ، -

وَتَنَى الزاوي :

أَتَرَى هَذَا بَلَدًا

أَمْ مَقْبَرَةً؟

- ت -

في مَدْرَسَةِ لِقْطَا الصَّحْرَاءِ، قَرَأْتُ دُرُوبِي،
لَكِنْ، هَلِ لِلصَّحْرَاءِ زَمَانٌ أَوْ تَارِيخٌ مِثْلِي، -
شَمْسٌ مِنْ أَبْوَابِي،
غَابَاتُ رِمَاحٍ، لَا طَيْرٌ.
أَسْرَابٌ تَتَطَايَرُ مِنْ أَعْنَاقِي. جَيْشٌ - وَالْأَعْلَامُ
جَاهِجٌ قَتْلَى؟
هَلِ لِلصَّحْرَاءِ زَمَانٌ أَوْ تَارِيخٌ مِثْلِي؟
أَحْيَانًا،
يَحْسُنُ أَنْ نَتَحَدَّثَ مَعَ أَشْكَالٍ
حَيْثُ تَكُونُ الصَّحْرَاءُ الْمَعْنَى.

* جُرْجُحٌ، تَرَشَّحُ مِنْهُ
قَطْرَاتٌ - يَتَذَكَّرُ فِيهَا
جَرَحًا آخَرَ.

○ أَخِيرَ الزَّائِيَةِ:

كَانَ رَأْسُ الْخَلِيفَةِ
يَبْتَزُّ مِنْ غِبْطَةٍ،
وَهُوَ يَأْمُرُ خَصِيَّائَهُ:
إِقْطَعُوا مِثْلَمَا
تَشَاوُونَ أَيْدِي أِبْنَائِهِ،
وَسَيَقَاتِلُهُمْ وَاضْرِبُوا،
بَعْدَ ذَلِكَ، أَعْنَاقَهُمْ.

وَتَشَى الزَّائِي:

بَعْدَ قَلِيلٍ،
قَتَلَ الْمَنْصُورُ
أَبَا أَيُّوبَ وَأَخَاهُ،
وَابْنَيْنِ لَهُ.

الكلام للخليفة المنصور،
والإشارة إلى الشاعر خالد
الكاتب وأبنائه، سنة ١٥٤
هجريّة.

أبو أيوب المورياني، وكان
وزيراً للمنصور.

○ أكّد الزاوية

أنّ هذا الحوار

الذي تقرأون

جرى بين ناسٍ يُصلّونَ خُمساً:

- إبنُ أبي العوّاء

يُحلّلُ الحرام

- يُحرّمُ الحلالَ

- يأمرنا بالفطر إن صُمنا

وبالصيام عندما نُفطر،

- مرطقة،

- لا بدّ من قتله.

وثى الراوي:

قتلوه واختزوا

رأسه.

- ث -

أصدقائي، أسلافهم -

لا قبورَ لهم كي نفىءَ إليها

ونجلسَ في ظلّهم

ونحدثَ أطبافهم.

أُحرقوا - أين ذاك الرّماد الذي

أنصهروا فيه، وانتسبوا مثله

للثّراب؟ تُراه

آثر التّفّي، قرّ، وطارَ مع الرّيح،

يَبْحُثُ عن وطنٍ آخرٍ؟

* فزداً - من أين لِفردٍ أن يصنعَ ثورة

إلاّ في كلماتٍ، في أوراقٍ؟

جُمعاً - يا للهول، تكونُ الثّورةُ

مزعى، وقبائلُ ثيرانٍ.

الإشارة إلى محمد بن أبي
العوّاء، سنة ١٥٥ هجرية.

○ كاد الزاوي أن يبكي

وهو

يقصُّ علينا موت

الشاعر حماد:

قالوا عنه زنديق:

أفليس الدين فضاء سَمحاً،

لا قَسْرَ فيه، لا إكراه؟

وضعوه فوق بساط، واحتزوا
رأسه.

- خ -

كلّما قيلَ هذا زمانُ القُرودِ، استعاذَ الرواةُ
بما لم يقولوا،

وأجفَلَ مِنْ قولِهِ القائلُ

وطنٌ ماجِلٌ ماجِلٌ ماجِلٌ.

صَرَخَاتْ وأبواقُ رُغْبٍ

والتذيرُ يَرِجُ المكانَ

بأعاجيب هذا الزَّمانِ.

* إنبقيني، يقولُ لأحلامه،

نحو مجهولي، اغمريني

ببهاءاته،

فطرتي أنتِ، مائي وطني.

الإشارة إلى حماد عَجَرْد،
سنة ١٥٥ هجرية.

- ذ -

لا العدو الذي بَدَّهْم
يُوقِظُ الرُّوحَ فِيهِمْ، وَيُوَحِّدُ مَا بَيْنَهُمْ،
لا حضورَ يُؤَاخِي بَيْنَ أَشْتَاتِهِمْ،
وَرَوَاهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ نَفَقَ مُغْلَقٌ، وَصِدَاقَاتُهُمْ
مَرَضٌ آخَرَ خَلَقُوهُ لِقَتْلِ الْأَحْيَةِ وَالْأَصْدِقَاءِ،
مَنْ هُمْ، مَنْ تُرَاهِمُ يَكُونُونَ، يَا هَذِهِ
السَّمَاءُ؟

○ حَدَّثَ الزَّوَاوِيَّةُ:

- إِمْفَضِ، يَا ابْنِي،

وَاعْرِفْ لَنَا

حَالِ ثَوَارِهِمْ.

ذَهَبَ الْإِنْسُ -

عَادَ مُضْطَرِبًا، وَاهِنًا.

- أَوْهَنْتَ؟ طَرَدْنَا

مِنَ الشَّرْقِ، نُحَسِّدُ

حَتَّى عَلَى لَقَمَةِ الْعَيْشِ. كَلَّا،

لَا مَقَرَّ، اكْسُرُوا

غِمْدَ أَسْيَافِكُمْ: فَلِمَا نَمُوتُ،

وَلِمَا نَسُودُ:

إِنَّمَا سُنَّتِي - إِنَّمَا سُنَّةُ الْوُجُودِ.

.....

وَتَقْدِمُ نَحْوَ ابْنِهِ - غَاضِبًا،

ضَارِبًا عُنُقَهُ.

* مَوْتِي

فِي الْخُطُوبِ وَفِي الطَّرِيقَاتِ،
تَتَسَاقَطُ أَشْلَاؤُهُمْ - حَزَفًا، حَزَفًا
مِنْ عَرْشِ
يَتَقَلَّبُ فِيهِ رَبُّ الظُّلُمَاتِ.

الإشارة هنا إلى عبد الملك بن
عمر، ابن عم عبد الرحمن
الداخل، وكان أهل أشبيلية
ثاروا عليه، فأرسله لحربهم،
سنة ١٥٦ هجرية.

- ض -

سبحانَكَ، يا هذا الكرسيّ -

مَصْنُوعاً برؤوسٍ قُطِعَتْ،

مَصْبُوغاً

بدمٍ - طفلٍ حيناً، شيخٍ حيناً،

مَسْئُولاً، جزءاً جزءاً

من أحلام نبيّ،

سبحانَكَ، يا هذا الكرسيّ .

○ قال الراوي

في رَجْعِ صِدَى

للأَيام وللمتني:

أَتَعِمُّ بالضوء

علينا،

يا هذا النجم -

أَتَرَاكَ تخافُ الرّجم؟

وثنى الراوي:

بين العرشِ،

وذاك الرأسِ،

وهذا السيفُ - العالمُ:

زُلْفَى أو طُوبَى،

والكَوْنُ صلاةً.

* ضَعَّ يَدَيْهِ،

ضَعَّ بَقِيَّةَ أَعْضَائِهِ الهَامِدَةِ

في الرَّمَادِ، وضع رأسَهُ، سَاخِناً

فوق صَخْنٍ على المائدة.

- ظ -

هَلْ يَدَاكَ يَدَاكَ؟ إِذْن، إغْتَسِلْ
من خطاياك، واغسلهما:
لم تقم، لم تَمُدَّ يَدَا لِحَيِّي، هذا المساء،
نُحُوضُ الْقَمَرِ
لم تَمُدَّ يَدَا لِنُطُوقِ خَصَرِ الْمَسَاءِ
الذي يَتَنَسَّمُ عِطْرَ الشَّجَرِ.

* تَخْلَعُ الشَّمْسُ قِمَاصَهَا
وَتَغْطِي بِهَا لَيْلَ أَوْجَاعِهَا.

○ قال الزاوي:
أَتَعْجَبُ. لا بِالرَّيشَةِ
يَكْتَبُ، لا بِيَدَيْهِ،
بل بِالْكُونِ، وبدءاً
من كُلِّ حِصَاةٍ فِيهِ،
من كُلِّ عَذَابٍ،
من كُلِّ عَمَاءٍ،
من كُلِّ ضِيَاءٍ،
بدءاً مِنْ كُلِّ جَنِينٍ.

كَلَا، لَنْ تَفْهَمَ
مَا أَزْوِيهِ،
لَنْ تَفْهَمَ شَيْئاً مِنْ
تَارِيخِكَ، لَنْ
تَفْهَمَ سِرَّ الْحَاضِرِ
إِنْ لَمْ تَفْهَمَ هَذَا الشَّاعِرِ.

○ أخيرَ الزاوية:

- ١ -

قتلوا يوسفًا:

ضربت عنقه

بعد أن قُطعت

يداهُ ورجلاه، أصحابه

قتلوا مثله.

صَلَبُوا كلهم

فوقَ جَسَرٍ.

- ب -

وَتَى الزاوي:

فَتَحَ المَهْدِي باباً

أَفْضَى لِبَنَاءِ ضَخْمٍ

مَمْلُوءٍ قَتَلَ

من أبناء أبي طَالِبٍ -

أطفالاً وشيوخاً

تَدَلَّى من آذانهم

رُفَعَ حُطَّتْ فيها

أَنسَابُهُم.

حَقَرَ المَهْدِيْ لَهُم

قَبْراً ضَخْماً

دُفِنُوا فِيهِ،

وَبَنَى فَوْقَهُمْ دُكَّاناً.

- غ -

اتَّيَدَ، أَيُّهَا المَهْرَجَانُ، -

أَيُّ فَرْقٍ إِذَا جَاءَ عَرْشَكَ فِي أَنَّهُ،

أَوْ إِذَا جَاءَ قَبْلَ الْأَوَانِ

أَوْ إِذَا جَاءَ بَعْدَ الْأَوَانِ؟

كُلُّ شَيْءٍ يُسَمَّى - صَدَى لاسْمِهِ

وَاحْتِفَاءً بِآلَائِهِ،

المَكَانَ سَرِيرٌ لَهُ، وَالْفِرَاشُ الزَّمانُ.

يوسف البرم الذي

خرج على الخليفة

المهدي في خراسان،

سنة ١٦٠ هجرية.

* دائماً في رحيل

عن سواه، وعن نفسه، -

هكذا رسمته الفصولُ على وَجْهِهَا.

VIII

الأوراق

(أوراقٌ عُثِرَ عليها)

في أوقاتٍ متباعدة، أُلْحِقَتْ بالمخطوطة)

ورقة بلا رقم

لِمَ لا أرى غيرَ الفُرات؟
أَلَا تَهْ لغةُ التراب - حروفُها
زَهْرٌ وعشْبٌ؟
أَلَا تَهْ رَجْمُ الصداقة - يلتقي
فيه التقيضُ نقيضَه؟
أَلَا تَهْ كبدُ الطَّبيعة - تحني
فيه البلادُ على البلاد، وينحني
فيه الثَّباتُ على الثَّبات؟
الأرضُ نائمةٌ على أنقاضِها
والوقتُ يُوغلُ في السَّبات، -
لِمَ لا أرى غيرَ الفُرات؟

I

من جهاتِ دِمَشْقِ وبغدادَ، تأتي رياحُ:
لا لِقاحَ ولا زَرْعَ،
والثَّمَرُ المرُّ كالرُّمْلِ
جاثٍ على شَجَرِ الأزمَةِ، -
الرياحُ دَمُ الأَمَكَةِ.

II

هذه اللَّيْلَةُ، لَنْ أَرْجِعَ لِلْبَيْتِ، كما اغْتَذْتُ، سَأَبْقَى
سَاهِرًا،
أَسْمُرُ مع قافلةِ الأنجمِ، أمشي
سَادِرًا بين الشَّجَرِ،
وأَرَى كيف يَنَامُ اللَّيْلُ محمولًا عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ.

III

في مياه الفرات - المياه التي تتغطى بأحزانها
نرجس ذابل،
والثياب التي ترتديها الضفاف ندى يتبخّر، -
هذي بلاد
تأوه من نفسها.
ما أقول؟ لمن أتوجه، من أسأل؟
الذى مقفل.

IV

بحّة صوت، -
أغرق فيها إيقاع المغنى وأغرق فيه.
عنق امرأة، -
ضغ رأسك في مهواه،
واخلطم ضد الموت.

V

عَلَّمَتْهُ الْمَحِيطَاتُ إِيقَاعَ أَمْوَاجِهَا -
عَلَّمَتْهُ الصَّحَارَى رُسُومَ الزَّمَالِ وَأَشْكَالِهَا،
لَمْ يُحَسِّسُوا بِأَسْرَارِهَا وَبِأَسْرَارِهِ
لَمْ يُحَسِّسُوا الْفُرُوقَاتِ فِي نَبْضِهِ - وَقَالُوا:
تَتَكَرَّرُ الْفَاطَةُ
مِثْلَمَا تَتَكَرَّرُ أَيَّامُهُ، -
ضَجَّكَتْ وَزْدَةٌ
تَتَقَلَّبُ فِي الْعِطْرِ أَوْزَاقُهَا.

VI

عَجَبًا! يُبْعَثُ الْمَيِّتُ،
وَالْحَيُّ يَنْقَى
دَفِينِ خُرَافَاتِهِ.

VII

يَحْيَا اللَّهُ وَحِيداً،
لَكِنْ، مَا أَعْجَبُهُ، مَا آتَسُهُ - الشَّيْطَانُ
لَا يَحْيَا، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَحْيَا
إِلَّا فِي جَسَدِ الْإِنْسَانِ.

VIII

لَيْسَ هَذَا الْعَرَقُ -
يَتَصَبَّبُ مِنْ رَاحَتِي وَمِنْ لَحْظَاتِي،
دَمْعَ حُبٍّ وَلَا دَمْعَ حُزْنٍ،
إِنَّهُ الْجَبَرُ يَكْتُبُ أُنْشُودَةَ الْمُفْتَرَقِ.

IX

تَبَادُلْ، يَا مَوْتُ: أُعْطِيكَ شَمْسِي، وَأَخْذُ لِيْلِكَ، -
غَيَّرْتُ؟ مَاذَا يُفِيدُكَ جِسْمِي؟
لَيْسَ إِلَّا نَسِيجًا أَعْطَيْتَنِي بِهِ مَقْلَتِي
حِينَ أَرَزْتُو إِلَيَّ.

X

تِلْكَ امْرَأَةٌ -
بَيْنَ خُطَايَاهَا يَتَمَشَّى طَيْفٌ
أَحْيَانًا، يَطْفُو فِي عَيْنِهَا
ظُلْمًا، أَوْ تَأْوِيلًا.
أَحْيَانًا، يَغْفُو
فِي مَوْضِعٍ سِرٍّ.

XI

يُشْرَدُ الشَّعْرُ فِي الْجَنْسِ، يَتَعَبُ
يَرْتَاخُ فِي الْحَنْجَرَةِ،
لِلْكَتَابِ الْكَلَامُ، وَلِلشَّعْرَاءِ الْعَذَابُ
وَالْأَوَةُ الْمُسْكِرَةُ.

XII

صَفْصَافٌ بِالْكَ :
دَفَقْتُ حَزْنَ
تَأْتِي الرِّيحُ إِلَيْهِ -
لَا تَقْرُؤُهُ
رِيحٌ بَاكِئَةٌ
تَتَقَلَّبُ فِيهِ، وَتَقْلَبُهُ.

XIII

هُوَذَا المَوْتُ يَغْرَى أَمَامِي، وَيَجْهَلُ -
مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الصَّبَاحُ، وَكَيْفَ يَجِيءُ الْمَسَاءُ
أَيُّهَا المَوْتُ، خُذْنِي دَلِيلًا،
وَسَأُعْطِيكَ ظِلِّي جَسْمًا
وَيُشْغِرِي رِذَاءً.

XIV

تَجْفَلُ المَدُنُ التَّائِمَةَ
مِنْ خُطَايَ - تَحْكُ أَسَارِيرَهَا
بِالْمَكَانِ، وَتَفْرُكُ أَهْدَابَهَا
بِالْهَوَاءِ، هَوَائِي عَلَى وَجْهِهَا
شَمْلَةٌ هَائِمَةٌ.

XV

شَمْسٌ / قَمَرٌ:
صِنَوَانٍ، وَكَلٌّ
يَحْيَا فِي وَحْدَتِهِ، -
هل هذا كُزَّة، أَمْ حُبٌّ؟

XVI

أَثَرُ الْحَجَرِ
يَتَحَدَّثُ مَعَ نَفْسِهِ؟
أَثَرُ الشَّجَرِ
يَتَحَاوَرُ - أَغْصَانُهُ كَلَامٌ؟
أَفَقٌ، - مَسْجِدٌ لِلْبَصِيرَةِ، فَاتِحَةٌ لِلْبَصَرِ.

XVII

مَرْحَسُنْ أَفَرَدْتَهُ الطَّرِيقُ - انْزَوَى وَتَقَوَّسَ، غَمَّى
وَأَسْلَمَ أَحْشَاءَهُ لِلْهَوَاءِ
أَسْكَرَتْهُ جِرَارُ الْفَضَاءِ.

XVIII

لِي هَوَى آخَرَ مُقِيمٍ
بَيْنَ جَبْرِيٍّ وَالشَّيْءِ وَالْكَلِمَاتِ -
تُرَانِي أَصْدَقُ مَا لَا أَرَى
وَأَنَا لَا أَصْدَقُ مَا تَتَقَرَّى يَدَايَ،
وَمَا تَحْتَ عَيْنِي؟ كَلَّا،
لَا أَصْدَقُ غَيْرَ الرِّيحِ الَّتِي تَتَدَثَّرُ ثَوْبَ السَّيِّدِ.

XIX

حُبِّكَ ظِلُّ
حُبِّي شَمْسٌ :
وَعْدُ لِقَاءٍ ، أَمْ وَعْدُ فِرَاقٍ ؟

XX

تُرْسِلُ الشَّمْسُ أَضْوَاءَهَا
فِي خِيوطٍ - غَلَائِلَ تَكْسُو الْحَقُولَ
وَتَنْقُطُ أَفْرَاسِنَا .
أَلْهَوَاءُ يُفَتِّقُ أَزْوَاجَهَا
وَالنَّهَارُ يَجْرُ الدَّيُولُ .

XXI

هُوَذَا، أَتَفَرَسُ - أَقْرَأُ مَا يَكْتُبُ السُّحَابُ
فِي دِفَاتِرِ مَكْتُوبَةٍ
بِجَهْوَنِ التَّرَابِ.

XXII

أَلْمَجِيءُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ،
أُنْشَوْدَةً،
لَا صَلَاةَ.

XXIII

خَيْمَتْ غَيْمَةٌ
فَوْقَ بَسْتَانِ نَخْلٍ، -
أَخَذَ الْقَطْرُ يَفْرَأُ لِلضَّيْفِ أَشْعَارَهُ.

XXIV

يَتَقَدَّمُ، يَتْرُكُ خَلْفَ خُطَاهُ
غَابَاتٍ،
لَا يَعْرِفُ أَنَّ يَتَحَدَّثَ عَنْهَا
فَضْلٌ أَوْ إِقْلِيمٌ.

XXV

يَضَعُ الثَّلْجُ والزَّعْدَةُ القَاصِفَه

تَضَعُ العَاصِفَةُ

كُلُّ أَثْقَالِهَا

منذ فجر الأزل

فوق أكتافِ هذا الجبلِ، -

لم تُغَيِّرْ تقاطيعَهُ

لم تُخْلَفْ

أثراً فوقَهُ - وأنا لَنْ أقولَ: الجديدُ الذي سَوْفَ يَأْتِي

صاعداً هابطاً ذلك المُتَحَدِّزُ،

أثرٌ من قديمِ عَبرَ.

XXVI

عِلْمُهُ بِالْمَكَانِ

خَطَرٌ، وَأَدَقُّ وَأَوْسَعُ

بِمَا يُطِيقُ الزَّمانَ.

XXVII

أَهْوْ شُرُّ، إِذَا قَلْتُ: هَذِي الْمَدَائِنُ مُنْحَلَّةٌ
تَتَهَلَّهْلُ مَأْسُورَةٌ
فِي حَصُونٍ - صَحَارَى
مِنْ دَمٍ وَاقْتِتَالٍ؟
أَهْوْ شُرُّ، إِذَا قَلْتُ: لَا تَكْتَرِثْ، لَا تُبَالِ؟

XXVIII

قَلِّقْ رَاسِبٌ - عَائِمٌ:
هُوَذَا طَفْسُهُ الدَّائِمُ.

XXIX

دَوَارُ الشَّمْسِ جَنُونَ ظِلَامٍ، وَجَنُونَ ضِيَاءٍ
أَتَى مَا لَ جَبِينُ الشَّمْسِ، تَرَاهُ يَمِيلُ
يَتَرَصَّدُهُ السَّحَرُ الطِّفْلُ وَيَرْبِضُ فِيهِ
شَفَقٌ شَيْخٌ،
وَيُجِيءُ شُرُوقٌ بَيْنَ يَدَيْهِ،
وَيَرُوحُ أَصِيلُ
كُلِّ صَبَاحٍ فِيهِ حَيٌّ
كُلِّ مَسَاءٍ فِيهِ قَتِيلٌ.
دَوَارُ الشَّمْسِ نَقَائِضُ عِلْمٍ،
وَنَقَائِضُ قَوْلٍ:
كَمْ أَشْبَهَهُ،
لَكِنْ حَيَاتِي، مِثْلَ كَلَامِي، تَأْوِيلُ.

XXX

كَيْفَ؟ هَلْ قُلْتَ إِنِّي أَهْذِي؟

رُبَّمَا، رُبَّمَا.

أَلِهَذَا،

فَاتْنِي أَنْ أَقُولَ الْحَجَرَ

جَالِسٌ - يَتَفَنِّئُ وَجْهِي؟

أَلِهَذَا،

فَاتْنِي أَنْ أَحْتِيَ هَذَا الصَّبَاحَ الَّذِي يَتَلَبَّسُ حُزْنِي،

وَأَحْتِيَ الشَّجَرَ؟

XXXI

حَتَّى حِينَ تَقُولُ:

سَأَكْتُبُ ذَاكَ الشَّيْءَ الْأَقْصَى عَنِّي

أَوْ هَذَا الشَّيْءَ الْأَكْثَرَ قَرِيباً مِنِّي،

لَنْ تَكْتُبَ إِلَّا نَفْسَكَ.

XXXII

لَمَّا الشَّمْسُ تَفَرَّكَ أَهْدَابَهَا
بِالشَّوْاطِءِ، - وَجْهَ الْغُرُوبِ
يَرِفُ عَلَى الْمَاءِ،
وَالْمَوْجُ يَأْوِي إِلَى غَارِهِ.
فِي التَّلَالِ، الْقَرَى
تَتَنَاقَرُ بَيْنَ الصَّنَوِيرِ
تُسَلِّمُ أَجْسَادَهَا
لَأَمِيرَةٍ غَابَاتِهِ:
أَلْجُدُوعُ ابْتِهَالُ
وَالْغُصُونُ كَمَثَلِ الْمَنَادِيلِ،
تَلْتَفُّ حَوْلَ رُؤُوسِ التَّلَالِ.

XXXIII

لَيْسَ مِنْ شَهَوَاتِي
أَنْ أَفِيءَ إِلَى غَبْرَةٍ
أَوْ إِلَى حَسْرَةٍ وَأَرْقُقَ شِغْرِي بِهَا،
وَأُبْكِي وَأَبْكِي.
شَهَوَاتِي
أَنْ أَظِلَّ الْغَرِيبَ الْعَصِيَّ،
وَأَنْ أُغْتِقَ الْكَلِمَاتِ مِنَ الْكَلِمَاتِ.

XXXIV

خَذَانٍ: عِيُونُ جَارِيَةٍ
لِدُمُوعٍ
لَا تَلْمَحُهَا عَيْنٌ.

XXXV

لِلتَّجُومِ الصَّدَاقَةُ - (أَيْنَ الْبَسْرُ؟)
وَالتَّجُومُ اغْتَرَابٌ وَشُطَّانٌ حَلُمٌ
كَئِنِّي تَعُودُ إِلَى مَا تَغَرَّبْتَ عَنْهُ،
أَوْ لَتَبْدَأَ لَيْلَ السَّفَرِ،
هَكَذَا قُلْتُ، وَاخْتَرْتُ عَائِلَةً مِنْ شَرَزِ،
هَامِسًا لِلتَّشِيدِ الَّذِي يَتَصَاعَدُ مِنْ جَسَدِ الْأَرْضِ:
أَنْتَ التَّشِيدُ الَّذِي ضَاقَ عَنْهُ الْوَتَرُ.

XXXVI

أَكْتُبْ - يَاخُذْنِي رَغَبٌ،
وَأُجْنُ، وَيُجْفَلُ مِنِّي
حَتَّى الْجَبْرِ، وَحَتَّى الْوَرَقِ
وَأَسْأَلُ نَفْسِي: هَلْ أَكْتُبُ حَقًّا، أَمْ أَخْتَرِقُ؟

XXXVII

يا لهذا الطريق الذي لا يؤدي إلينا
والذي ليس فينا
والذي ليس منا
والذي هو ميراثنا ومِعراجنا،
يا لهذا الحياة التي لا تقول سوى موتها.

XXXVIII

أُنظِرْ خَلْفَكَ: ليس الماضي
إلا ثقباً كونياً
لا تخرج منه إلا
أطراف بخارٍ.

XXXIX

قال لي، حائراً، هَوَايَ :
أين أمضي؟ إلى أين تمضي خطاي؟
كلُّ هذا المكان الذي تتحطَّم تيجانهُ
كلُّ هذا الزمان الذي يتهاوى
كلُّ هذي الحناجر مسكونة، بالغضب
كلُّ هذا اللهب
كلُّ هذا خطاي -
وأنا لَسْتُ إلاَّ سِوَايَ
أسرثني، رَمَثَني
لِلتَمَرَدِ، لِلرَّفْضِ،
لِلْمُسْتَحِيلِ والآلِهَةِ، يَدَايَ.

XL

عَجَلَاتُ الْوَقْتِ نَحْيُءُ وَتَذْهَبُ فِي أَحْشَائِي
وَتَرَايُفُهَا
صَوْرٌ وَمَرَايَا
وَحَشَوْدُ لَغَايَاتٍ،
وَدَمٌّ، وَحُرُوبٌ.
أَعْضَائِي تَحْتَ صَرِيرِ صَدَاهَا
تَتَقَاتَلُ سِرّاً مَعَ أَعْضَائِي.

XLI

ثَائِرٌ، هَادِيءٌ، رَافِقٌ، قَابِلٌ
مِثْلَ مَوْجٍ يُحَارِبُ شُطْرَانَهُ:
لَا مَقِيمٌ وَلَا رَاحِلٌ.

XLII

أحياناً تأتي الريح، ترج، تُزَلْزَلُ - لا تتحرك أوراقى،
أحياناً لا تأتي الريح، ولكن
تَسَاقَطُ أوراقى.
قولوا للريح: انْفُكْ هبوبي عنها وانْفُكْ وثاقى، -
بيتي سِرٌّ:
بابي مَطَرٌ، والغيمُ رِواقى.

XLIII

أَفُقٌّ مِنْ نُحَاسٍ
يُسَافِرُ فِي أَفُقٍ مِنْ صَدَأٍ، -
لم أكن أتوقع من حُطَوَاتِ الطَّبِيعَةِ
هَذَا الْخَطَأَ.

XLIV

أَلْجِدَارُ الَّذِي أَتَفَيَّأُ فِي ظِلِّهِ شُقُوقٌ -
أَثَرَاهَا سَطُورٌ
كَتَبَتْهَا يَدُ الْوَقْتِ، أَمْ نَقَّاتٌ
مِنْ حَتَايَ صَارَتْ رَمَاداً؟
أَمْ تُرَاهَا ارْتِجَاجٌ:
جَسَدٌ آخَرَ لِلْبُرُوقِ؟
خَيْطُ ضَوْءٍ - سَوَادٌ:
يَتَعَذَّرُ أَنْ أَقْرَأَ الْآنَ هَذِي الشُّقُوقَ.

XLV

مَسْجُونٌ فِي جُذُرَانِ الضَّوءِ، أَسِيرٌ
بَيْنَ شِبَاكِ،
لَا يُنْقِذُهُ إِلَّا لَيْلٌ - مَاذَا قُلْتُ؟ أَأَغْنِي
لَا يُنْقِذُهُ إِلَّا مَوْجٌ؟

XLVI

أَلْكَلامُ خُطَى فِي الْبِياضِ، مَهَبٌ لِحَزِيَّتِي
عاصِفٌ تارَةً
تارَةً، هادِئٌ مُسْتَسِيرٌ.
وَالْكَلامُ خُطَى فِي السَّوَادِ:
هوى مرّة
ومرارة، مهاوٍ.
فيه ليلى صباخٍ
ومديحي مرثيتي.
أُولُوِي، إِذْنُ:
لا تقولوا بلفظي، قولوا بإثيتي.

XLVII

حَظُّكَ الْأَكْمَلُ
أَنْتَ الشَّهْوَةُ الْجَهِيرَةُ وَالْفَتْنَةُ الْمَعْلَنَةُ
أَنْتَ الْهَائِمُ الْمَرْحَلُ فِي غَيْهِبِ الْأَمَكْنَةِ،
حَظُّكَ الْأَجَلُ
أَنْتَ الْعَصْفُ - يَنْقُضُ، يَسْتَأْصِلُ
وَلَكَ الْبَذْءُ: تَحْتَاخُ، أَوْ تَرْحَلُ.

XLVIII

زَهْرَةٌ فِي حَدِيقَةِ أَيَّامِهِ
تَتَحَرَّرُ مِنْ قَيْدِهَا :
قَيْدُهَا عِطْرُهَا
مَا يَقُولُ لَهُ الْآنَ بُرْعُمُهَا الذَّابِلُ؟
وَلِمَاذَا السَّوَالُ؟ وَمَنْ أَنْتَ، يَا أَيُّهَا السَّائِلُ؟

XLIX

ذَاكَ فِينِيقُ يَنْهَضُ،
يَحْطِى بِفَجْرِ احْتِمَالَاتِهِ
عَارِيًا
وَالثِيَابُ الَّتِي لَبَسَتْ جِسْمَهُ
لَمْ تَكُنْ غَيْرَ لَيْلٍ يُذِيبُ الشَّرْزُ
فِي مِيَاهِ الصُّورِ.

L

قَلَقِي حَارِسَ، يَدَايَ عَلَى كَتِفِكَ،

وَلَكِنْ هَذَا الظَّلَامُ يَقُودُكَ أَبْعَدَ

بِمَا ظَنَنْتُ. تَبَاطَأْتُ؟

عَيْنَاكَ سِحْرٌ، وَوَجْهَكَ مِنْ فِتْنَةٍ -

تَلَفُّتْ

قَامَةُ الشَّعْرِ ظِلٌّ عَلَيْكَ،

الْمَكَانُ انْقِسَامٌ

فِي جِرَاحِكَ، شَطْرَانِ: شَطْرُ خِصَامٍ وَشَطْرُ وِثَامٍ

فَلِمَاذَا يَقُودُكَ، أَبْعَدَ بِمَا ظَنَنْتُ، الظَّلَامُ؟

قَلَقِي حَارِسَ، يَدَايَ عَلَى كَتِفِكَ، وَتَبْهِي غِنَاءً، -

سَيَكُونُ لَكَ التَّيَهُ أَبْهَى مَقَامٌ.

IX

الفَوات فجد ما سبق من الصّفحات

راوِ آخَرُ يَزُوِي :

كانَ سَطِيحٌ يُطَوِي طَيِّ حَصِيرٍ لَكن

كُلُّ مَقَالٍ يَتَرَدَّدُ فِي شَفْثِيهِ كَانَتْ

تَتَرَدَّدُ فِيهِ أَعْجُوبَةٌ

وَكَذَلِكَ شَيْءٌ كَانَ، وَلَكن لَمْ يَكُ إِلَّا

شَيْئًا مِنْ إِنْسَانٍ :

عَيْنًا وَاحِدَةً

رَجُلًا وَاحِدَةً

وَيَدًا وَاحِدَةً، -

أَيُّكُونُ كَلَامُ

كَمَالًا؟

الإنسانِ

وثنى هذا الزاوي :

قيل عن كاهن :

«أَنَّهُ فِي قَفَاء» .

راوٍ آخَرُ يروي :

كان، لكي يَسْتغوي بَغْضَ الأعرابِ

يُمارِسُ عِلْمَ التَّيْرُنِجَاتِ : رُقَى، تعزيماً

زَجْراً، سِحْراً.

يَصْنَعُ رَايَاتٍ مِنْ وَرَقٍ

ولها أَذْيَالٌ

ولها أَجْنَحَةٌ

وَيُعَلِّقُ فِيهَا أَجْرَاساً وَيُطَيِّرُهَا

فِي الرِّيحِ وَيَهْتَفُ : أَصْغُوا

هَذِي خَشْخَشَةً لِلْمَلَائِكَةِ تَأْتِينِي

فِي رَجَلِ رَبَّانِي.

وثنى هذا الرَّاوي :

قالوا : لَا بُدْعَةَ إِلَّا

وَالشَّيْطَانُ يَزِينُهَا

وَيَحْكُ عَلَيهَا.

* الإشارة إلى مُسَيِّلِمة «النبى الكَذَّابِ»، الذى كان يُسَمَّى «رُحْمان اليمامة».

وفى قومه يقول شاعرٌ مجهول :
«أَكَلْتُ رَبَّيَا حَنِيفَةً مِنْ جُوعٍ قَدِيمٍ
بِهَا وَمِنْ إِعْوَازٍ».

رَاوِ آخَرُ يَزُوي :

عكسوا عُنُقَهَا وَأَدَارُوا

رَأْسَهَا خَلْفَهَا

وَرَمَوْهَا إِلَى حُفْرَةٍ .

لا طَعَامَ وَلَا مَاءَ حَتَّى تَمُوتَ ، وَتُحْرَقُ لَمَّا تَمُوتُ .

هَكَذَا ، عِنْدَمَا يَمُوتُ كَرِيمٌ

فِي الْقَبِيلَةِ ، كَانُوا يَفْعَلُونَ بِأَجَلِ نَاقَاتِهِ* .

دُونَ ذَلِكَ ،

يُحَسِّرُ سَيْرًا عَلَى قَدَمَيْهِ .

* البليّة هو الاسم الخاصّ الذي يُعطى لهذه الناقة . وفيها يقولُ شاعرٌ اسمه عُويم التّبّهاني ، مخاطباً ابنه :

أَبْنَيَّ ، لَا تَنْسُ البليّة ، إِنَّمَا لِأَيْكَ ،
يَوْمَ تُشُورُو ، مَزْكُوبٌ .

راوِ آخَرُ يَزَوِي :

أَغْفَلُ خَيْطًا حِينَ تُسَافِرُ : هذا رَتَمٌ*

حِينَ تَعُودُ ، افْحَصُهُ -

إِنْ كَانَ ، كَمَا تَرَكْتُهُ يَدَاكَ ،

فَزَوَجْكَ مَا خَانَتْكَ ، وَإِلَّا

فَاصْرُخْ : زَوْجِي خَانَتْني .

* يسخر شاعرٌ مجهولٌ من هذه
الخرافة ، قائلاً :

ماذا الذي تنفعك الرِّثَائِمُ ؟

إِذْ أَصْبَحْتَ وَعَشَقَهَا مُلَايِمٌ

وَهِيَ عَلَى لَذَائِهَا تَدَاوِمٌ

يَزُورُهَا صَبَّ الْفَوَادِ عَارِمٌ

بِكُلِّ أَدْوَاءِ النَّسَاءِ عَالِمٌ .

راوِ آخِرُ يزوي:

سَوَفَ أَثَّرَ شَعْرِي، كَمَا قِيلَ لِي

وَسَأُكْحِلُ عَيْنِي، أَحْجَلُ تَيْهًا

كَمَا قِيلَ لِي،

وَأُغْنِي كَمَا قِيلَ لِي

«يَا لَكَاحٍ، التَّكَاحُ التَّكَاحُ

وَلَيْكِنْ ذَاكَ، قَبْلَ الصَّبَاحِ».

راؤ آخر يزوي :

أقبلوا ينصحون عليًا* :

- لا تحاربهم اليوم، فالقمر الآن

في العقر، الرأي أن تتزيت،

- لكن،

لي أنا قمر، ولهم آخر.

* علي بن أبي طالب

راوِ آخَرُ يَزُوي :

«لَا قِتَالٌ*، إِذَا لَمْ يَكُونُوا هُمُ الْبَادِثِينَ،

وَلَا تَقْطَعُوا الْمَاءَ عَنْهُمْ،

وَلَا تَقْتُلُوا مُذْبِرًا أَوْ جَرِيحًا،

وَلَا تُثَلِّةً بِقَتِيلٍ،

وَلَا تَكْشِفُوا عَوْرَةً، وَلَا تَهْتَكُوا أَيْ سِتْرَ،

وَلَا تَدْخُلُوا دَوْرَهُمْ دُونَ إِذْنٍ،

وَلَا تَأْخُذُوا مَا لَهُمْ فِي الْبُيُوتِ،

وَرِفْقًا بِكُلِّ النِّسَاءِ وَإِنْ شَتَمْتُنَا.»

* من وصية الإمام عليّ لأنصاره،
في يوم صفين، (يوم الجمل).

رَأَوْ آخَرَ يَزُوي :

وسادتي تَحْلُجْ تحت رأسي*،

ساقِي لمن رَمَاهَا

أَقْطَعُ مِنْ حُسَامٍ :

«يا ساقُ لن تُراعي

إِنَّ معي ذراعي.»

وثنى هذا الراوي :

«نحنُ* بنو ضَبّة أصحابَ الجملِ

نَتَقَى ابنَ عَفَّانَ بِأَطْرافِ الْأَسَلِ

أَلْمُوتُ أَحلى عِنْدنا مِنَ الْعَسَلِ.»

* كَلَامُ حَكِيمِ بْنِ جَبَلَةَ فِي يَوْمِ
الْجَمَلِ، مُشِيرًا إِلَى شَخْصٍ مِنْ
أَنْصَارِ مَعَاوِيَةَ، قَطَعَ رِجْلَهُ،
فَأَمْسَكَ بِهَا وَقَتَلَهُ. ثُمَّ اتَّخَذَهُ
وَسَادَةً. وَكَانَ حَكِيمٌ مِنْ أَنْصَارِ
عَلِيٍّ.

* رَجَزٌ يُنسَبُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ
ضَبّةٍ، مِنْ أَنْصَارِ مَعَاوِيَةَ وَعائِشَةٍ.

راوٍ آخر يزوي :

هذا أنا ابنُ عُتْبَةٍ*

يَلْقَى رَضِيًّا رَبَّةً، -

«قد عالج الحياةَ حتى مَلَأَ،

لا بُدَّ أَنْ يَقِلَّ أوْ يُقْلَأَ.»

وثنى هذا الراوي :

هُوَذا عَمَّارٌ* صَرِيحٌ

كان رسولُ الله يُسَمِّيه الطَّيِّبُ

ويقول لَهُ :

«تُقْتَلُ بَغِيًّا

بسيوفِ الباغين.»

* هاشم بن عتبة بن أبي وقاص،
وكان يُلقب بـ«المِرْقَال» لِسرعته في
الحركة.

* عمار بن ياسر

راوِ آخَرُ يَزوي :

جاء * يَدْعُو إلى السَّلَمِ ما بينهم

غَيْرَ أَنَّ السَّهَامَ

هَطَلَتْ فَوْقَهُ،

كَانَ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ كِي يُرِيحَ السَّلَامَ.

وَأَتَى هَذَا الرَّاوي :

جاء كَعْبُ بْنُ قُرَيْبٍ *

رافِعاً مُصْحَفاً -

قَتَلَتْهُ السَّهَامُ، رَثَاهُ عَلِيٌّ

وَأَتَى عَلَيْهِ.

* الإشارة إلى مسلم بن عبد الله
من أنصار علي.

* من أنصار معاوية وعائشة.

راوِ آخَرُ يَزُوي :

كان * كمثلِ مَلِكٍ

يَزُهو بِهِ جنودُهُ ، -

«ماتَ على خُطامِهِ

سبعونَ مِن رجالِها .»

وَتُنى هذا الراوي :

عبدُ الله * تَحَصَّنَ في دارٍ

مع سبعينَ نصيراً ،

جاء إليه جاريةٌ *

حَرَقَ الدَّارَ عليهم -

ماتوا كُلُّهُمْ ، حَزَقاً .

وَتُنى هذا الراوي :

سَوَّوا مِن كلماتِ الله سيوفاً

وَبَنَوْا مِن معناها

ما طابَ لَهُم - دُوراً وقُصوراً

لِلسِّياقِينَ .

* الإشارة إلى جمل عائشة ، الذي
سُمِّيت حرب صَفِّينَ باسمه .

وكان اسمه : عَنكَر .

* عبد الله الحضرمي من أنصار
معاوية ، وجارية بن قدامة
السعدي من أنصار علي .

راي آخر يزوي :

قالوا :

أكثر من عشرة آلاف، قُتلوا

في يوم الجمل،

قُطعت في ذاك اليوم جذور الأمل.

راوِ آخَرُ يَزوي :

حَفَرُوا لِسُحْنِمِ * أَخْذوداً

مَلَأُوهُ حَطْباً

وَرَمَوْهُ فِيهِ .

صَبَّوْا التَّفْطَ عَلَيْهِ - حَرَقُوهُ حَيًّا .

وَتَنَّى هَذَا الرَّاوي :

قالوا : كان صليلُ النَّارِ غِنَاءَ

ييكِي فِيهِ شِغْرُ الشَّاعِرِ

ضَحِكَاً مِنْ ذَاكَ الزَّمَنِ الْبَائِزِ .

وَتَنَّى هَذَا الرَّاوي :

كُلُّ يَتَشَهَّى قَوْلَ الشَّاعِرِ ، -

«تَوَسَّدَنِي كَفًّا وَتَنَنِي بِمِعْصَمِ

عَلِيٍّ ، وَتَحْوِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا .»

* الشاعر سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي
الحِمْيَرِ .

* الإشارة إلى الخطيئة، والحوار
بينه وبين من حضروا موته.

راوِ آخَرُ يَزُوي :
- جاءتْ ساعَةُ موتِكَ* ، ماذا تُوصي؟
- «أَلشَّعْرُ صَغْبٌ وطَوِيلٌ سَلْمَةٌ
إذا اِزْتَقَى فيه الذي لا يَعْلَمُهُ
رَلْتُ بِهِ إلى الحَضِيضِ قَدَمُهُ
يُرِيدُ أنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ.»
- هل تُوصي لِلْفُقَرَاءِ بشيءٍ؟
- أنْ يَبْقُوا ما عَاشُوا
يَسْتَجِدُونَ. سُؤالُ النَّاسِ تِجَارَةٌ
لا تَخْشَرُ. كُلُّ سُؤالٍ رِبْحٌ.
- ماذا عَن أَبنائِكَ؟
- مالي،
لا لِلأُنثَى، بل لِلذَّكَرِ
- لم نَقْرَأْ هذا في خَبَرٍ أو في آثَرٍ.

- ما هذا أمرُ الله،

- ولكن، هذا أمري.

- ويسارُ* هل تترقُّ هل تُغيِّقه؟

- لَنْ أُغيِّقه:

مُملوكُ أبدأ ما دامَ هنالك عَبَسِي.

- مَنْ بَيْنَ النَّاسِ تَرَاهُ الْأَشْعَرُ؟

- هذا المَحْجَنُ، هذا المَغْفُوفُ الرَّاسِ: لِسَانِي.

- لكن، ما يُكيِّك؟ الموتُ؟ أَخَوْفًا مِنْهُ؟

- كَلَّا، أَبْكِى لِلشَّعْرِ وَأَبْكِى يَمِّنَ

يَزْوِيهِ جَهْلًا: وَيَلُ لِلشَّعْرِ مِنَ الْجَهَالِ، رُوَاةُ السُّوءِ -

خُذُونِي حِينَ أَمُوتُ، ضَعُونِي

فَوْقَ حَارٍ، فَلْعَلِّي أَنْجُو.

وَتَمَى هَذَا الزَّوَاي:

كُلُّ يَسْتَحْضِرُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ، غَيْرَ أَنَّنِي رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذٍ

لَهُ نَكْهَةٌ لَيْسَتْ بِطَعْمِ سَفَرْجَلٍ وَلَا طَعْمِ تَفَّاحٍ وَلَا بَنْبِيذٍ.

* غلام الحطيثة، وكان أسود من بني عَبَسَ.

راوِ آخِرُ يَزوي :

أَخْبَرَ زَيْدًا ، -

«فِي جَنْبَيْهِ وَعَلَيْهَا مِثْلُ غَطَاءِ كَفِّهِ

دَخَلَ السُّهُمُ بِسَهْمٍ آخَرَ مَاتَ : أَتَيْتُ إِلَيْهِ

وَنَزَعْتُ الثَّانِي مِنْ جَوْفِهِ

وَأَخَذْتُ أَهْزُ الْأَوَّلَ فِي جَنْبَيْهِ وَأَخْضَضْتُهُ

لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَتَزَعَهُ .»

وَتَتَّى هَذَا الرَّاوي :

لَمَّا أَخَذَ الثَّقَفِيُّ* الْكَوْفَةَ ، أَوْصَى قَائِدَهُ :

«إِذْهَبْ وَاقْتُلْ زَيْدًا .»

جَاءَ ، أَحَاطَ بِزَيْدٍ - قَالَ لِكُلِّ مِنْ أَصْحَابِي :

«لَا تَسْتَخْدِمُ سَيْفًا أَوْ رِمْحًا

إِسْتَحْدِمُ نَبْلًا أَوْ حِجْرًا .»

رَجَعُوا نَبْلًا وَحِجَارًا حَتَّى كَادَ يَمُوتُ . أَتَوْهُ

وَبِهِ رَمَقٌ - حَرَقُوهُ حَيًّا .

* هو المختار الثقفي، وقائده هو
عبد الله بن كامل الشاكري. وزيد
هو زيد بن رُقَاد أحد قتلة
الحسين، وهو نفسه قاتل عبد الله
بن مسلم ابن عقيل .

راوِ آخَرُ يَزَوِي:

«بَايَعُوكَ*»، ولكن

بَايَعُوا قَبْلَ ذَلِكَ جَدَّكَ: جَدَّكَ خَيْرُ

وعصركَ أسوأُ مِنْ عَصْرِهِ،

كيفَ تَطْمَعُ أَنْ يَفِي الْخَائِنُونَ؟

سوفَ يَنْقَلِبُونَ عَلَيْكَ، كما انقلبوا ضِدَّهُ.

وَتَنَى هَذَا الرَّاوي:

لمْ يُطْعَ زَيْدٌ* إِلَّا الشَّرَارَ الَّذِي يَتَوَهَّجُ فِي صَدْرِهِ -

وَتَحُلُّ

عَنْهُ مَنْ بَايَعُوهُ.

* الكلام لمسلمة بن كهيل، مخاطباً
زيداً بن علي بن الحسين.

راوِ آخَرُ يَرْوِي :

- إن كنت بريئاً ،

فلماذا

لا تتبرأ منه؟

- لا أتبرأ مِن أَذْنِي ،

وَتَلَمَّذْتُ عَلَيْهِ .

- قم ، يا حَرْسِي

واقطع رَأْسَهُ .

* حوار بين الحجاج وممدان ،
مؤذن الإمام علي ، والضمير عائد
إلى علي .

رايَ آخَرُ يَزوي:

- إِبْنِي*،

هَلْ تَأْذُنُ لِي أَنْ أَدْفَنَهُ؟

- كَلَا.

ما رَأَيْكَ فِي قَاتِلِهِ؟

- قال رسول الله: «تَقِيْفُ

يُخْرِجُ مِنْهَا اثْنَانِ - مُبِيرٌ

وَالْآخَرُ كَذَّابٌ.»

أنت الأول، والمختار الثاني.

* حوار بين أسماء بنت أبي بكر
(ذات السطّاقين)، أم عبد الله بن
الزبير، والحِجّاج بعد أن قتله.

ويقال إنّ مُصعب بن الزبير قتل
من أصحاب المختار الشقفيّ،
صَبْرًا، ثمانية آلاف.

راوِ آخِرُ يزوي :

- أريدُ * أن أعطيكَ القضاء

- لَسْتُ لَهُ بِأَهْلٍ

- تَبَالُهُ عَلِيٌّ، أَوْ رِيَاءُ؟

وثنى هذا الراوي :

حَاوَلَ أن يَفْرَّ من جحيمة، وَأَن يَمُوتَ راضياً، بعيداً -

جَرى إلى الْفَرَاتِ كي يُغْرِقَ فيه نَفْسَهُ

لم يَتَلَعَهُ مَاوُهُ - طَفَا كمثلِ قَصَبَةٍ.

أَخْضَرَهُ الْحِجَااجُ : عِنْدَ بَابِهِ

سَمَرُهُ -

وماتَ فوقَ خَشْبَةٍ.

* حوار بين الحجاج، وماهان بن أبي صالح.

راوِ آخِرُ يَزُوي :

- مَنْ أَنَا * مَا مَقَالُكَ فِيَّ ؟ أَجِنِّي ،

- أَنْتَ أَعْلَمُ ،

- لَكِنْ ،

بُتَّ عِلْمُكَ فِيَّ ،

- إِذَنْ ، لَنْ يَسْرَكَ مَا سَأَقُولُ ،

- وَلَكِنْ ،

بُتُّ ،

- جَائِزٌ ، وَجَرِيءٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ .

- أَوْ تَعْرِفُ مَنْ أَنْتَ ؟

- كَلَّا ،

لَسْتُ أَهْلًا لِيَكْشِفَ رَبِّي لِي عَيْتَهُ ،

وَلَأَعْرِفَ نَفْسِي .

- لَا أَرَاكَ ضَحَكَتَ إِلَى الْآنِ ، كَيْفَ ؟ لِمَاذَا ؟

- أَوْ يَضْحَكُ طِينٌ ؟

* تنويع على حوار بين المحتاج ،
وسعيد بن جبير ، وكان من
العلماء .

- لا أراك لهوتَ إلى الآن، كيف؟ لماذا؟

- لا أحسَّ بِمَنِيْلٍ إلى اللّهُو، أجهلُ أشكالَهُ كُلِّها.

- ما تَرى في عليّ،

أفي جَنَّةٍ أم جحيم؟

- ما دَخَلْتُ إلى جَنَّةٍ أو جحيم،

لأعرف، لكنّه أوّلُ المُسلمينَ،

- لَكَ الويلُ مِنِّي،

يا غلامي تقدّم

حُزُّ لي عُتْقُهُ.

وثنى هذا الرّاوي:

قَتَلُوهُ على التَّطْعِ ذُبْحاً

وَرَوَوْا:

بعد أن سَقَطَ الرّأسُ، كان يقولُ الشّهادة.

٢١

راوِ آخِرُ يزوي
تاريخاً ذاتياً للحجاج
بلسانِ الحجاج:

- أ -

صنُو ذاك الجحيم الذي في السماء:
ليس لي لذة
غيرُ سفكِ الدماء.
أخفشُ العين، لكنني
أقرأ الممكنات، وأعرفُ ما في الخفاء،
والخليقةُ عندي
أخٌ للملائك والأنبيا.
كلّ مَنْ لا يقولُ بقولي، يُعدّ لديّ من الأشقياء:
قتلهُ حكمةٌ وصلاةٌ.

أَلْفُ أَلْفٍ: شَبَابٌ، شَيْخٌ، نَسَاءٌ
قُتِلُوا تَحْتَ سَيْفِي وَيَأْسَمِي
كِي أَبْرَىءَ عَرْشِ الْخِلَافَةِ مِنْهُمْ
وَأَطَهَرَ ثَوْبَ الْفَضَاءِ
مِنْ عُفُونَاتِهِمْ.

كُنْتُ أَجْمَعُ فِي السَّجَنِ، بَيْنَ نَسَائِهِمُ وَالرِّجَالِ:
وَلَا ظِلٌّ، لَا سَقْفٌ
لَا فَرْقٌ فِي الصَّيْفِ أَوْ فِي الشِّتَاءِ.
كُنْتُ أَصْنَعُ مِنْ حَشْدِهِمْ
غَابَةً لِلْبَقَاءِ
هَكَذَا تُسَجَّنُ الشَّهَوَاتُ، وَتُطْلَقُ فِي مَذَقِنِ،
وَالْمَنِيِّ الْبُكَاءُ.

- ب -

كُنْتُ أَنْقَضُ إِسْلَامَهُمْ
وَأَصْبُ عَلَى الْآخِرَةِ
نَقْطَ أَخْلَائِهِمْ
وَأُجْزِجُ أَحْشَاءَهُمْ
فِي سِلَاسِلِ أَهْوَائِي الْمَاكِرَةِ.

كُنْتُ طَاغُوْتُهُمْ
أَتَقَنُّنُ فِي قَتْلِهِمْ، وَأُجْرِي
بَيْنَ أَعْنَاقِهِمْ رَغْبَاتِي،
كُنْتُ جَبَّارَهُمْ، وَالْمَقْضُوفُ فِي أَنْرِهِمْ، وَالْقَضَاءُ.

- ج -

أَيْنَ أَيُّوبُ*، ذَاكَ الْفَصِيحُ،
سَاجِدٌ مِنْ مَوْتِهِ آيَةً، -
أَدْخَلُوا حَرْبَةً فِي تَلَافِيهِ أَحْشَائِهِ
خَضَخَضُوهَا طَوِيلًا
خَضَخَضُوهَا - اسْحَبُوهَا: دَمٌ أَسْوَدٌ.

* أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْةِ، مِنْ فَصَحَاءِ
الْعَرَبِ.

وَدَمَّ أَحْمَرٌ - آيَةٌ لِلْفَصَاحَةِ،

- هَاتُوا

غَيْرُهُ، أَوْثِقُوهُ

شَرِّحُوا جِسْمَهُ

وَانْضَحُوهُ بِخَلٍّ وَمَلِجٍ،

وَاتْرَكُوهُ يَمُتُّ.

غَيْرُهُ، قَلْتُمْ: ابْنُ سَعْدٍ؟*

أَضْرِبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ،

أَضْرِبُوا مَفْرَقَ الرَّأْسِ، شَقُّوهُ نِصْفَيْنِ:

نِصْفًا هُنَا، وَنِصْفًا هُنَا.

غَيْرُهُ، قَلْتُمْ: ابْنُ يَزِيدٍ؟*

إِمْنَعُوا الْأَكْلَ عَنْهُ،

قَدِّمُوهُ طَعَامًا لِهَٰذِي الْكِلَابِ، اثْرَكُوهُ

بَيْنَ أَثْنَائِهَا.

* محمد بن سعد بن أبي وقاص.

* ابراهيم بن يزيد التيمي الزاهد.

- غَيْرُهُ، قَلْتُمْ: مسجدٌ حَرَامٌ؟
طَوَّقُوا كُلَّ أَبْوَابِهِ
عندما أَرَفَعُ العِمَامَةَ عن رَأْسِي، أَفْجَأُوهُمْ
وَاحْصُدُوا غَابَةَ الرِّقَابِ بِأَسْيَافِكُمْ، وَقُولُوا:
هَذَا مَسْجِدُ الْفَنَاءِ .

- د -

أَلْسَمَاءُ يَدِّ فِي يَدِي
وَالْخَلِيفَةُ مِنْهَا: لَا يَشَاءُ الَّذِي لَا أَشَاءُ .

راوِ آخِرُ يزوي :

- زَعَمُوا أَنَّهُ*

لا يكفّ عن الشربِ،

يَدْخُلُ في الإثمِ،

حتّى ولو كان في ضيقِ سَمِّ الخياطِ.

- إجلدوه اجلدوه إلى أن يتوبَ

فلعلَّ السَّيِّئَ

سَتَكْفُرَ عَنْهُ وعن شعره الذُّنُوبَ.

* الإشارة إلى الشاعر ابن هزّمة.

راوِ آخِرُ يَزْوِي :

جاؤوا بحبالٍ

جاؤوا بحديدٍ

سَمَلُوا عَيْنِيهَا*

قَطَعُوا رِجْلَيْهَا، زُنْدِيهَا

وَرَمَوْهَا فِي السُّوقِ

جَسَداً مَخْرُوقاً.

لَمْ تَتَأَوَّهْ، قَالَتْ :

آخِرُ أَيَّامِي فِي الدُّنْيَا

أَوَّلُ أَيَّامِي فِي آخِرِي.

* الإشارة إلى امرأة اسمها
البَلْجَاء، قتلها عبيد الله بن زياد.

راوِ آخِرُ يَزُوي:

شَاهَدْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ*، وَبَيْنَ يَدَيْهِ

رَأْسُ حُسَيْنٍ*

وَالْمُخْتَارَ*، وَبَيْنَ يَدَيْهِ

رَأْسُ عُبَيْدِ اللَّهِ،

وَمُضْغَبَ*، بَيْنَ يَدَيْهِ

رَأْسُ الْمُخْتَارِ،

وَعَبْدَ الْمَلِكِ*،

بَيْنَ يَدَيْهِ

رَأْسُ الْمُضْغَبِ.

وَتَنَى هَذَا الزَّوَايَ:

قَالُوا - بِيَدِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ

مَكْتُوبٌ هَذَا فِي الْفَلَكِ،

يَا هَذَا الشَّاهِدُ، لَا تَعْجَبْ.

* عبيد الله بن زياد

الحسين بن علي

المختار الثقفي

المضغَب بن الزبير

عبد الملك بن مروان

والكلام لعبد الملك بن عمر.

راوِ آخِرُ يَرْوِي :

قتلوا رَزْجَهَا*

قطعوا رأسه، وألقوه في جِجْرها.

نَقَلُوا للخليفة عنها كلاماً، دَعَاها

سائلاً،

أَكْذَت قَوْلَهَا.

- أَخْرَجُوهَا، ولكن

ناولوها العطاء الذي يقطعُ اللِّسَانَ.

- عَجَباً للخليفة، يقتل زوجي، وَيَهْدِي لِي الجوائز؟ كَلَّا،

وَتَبَّاً لهذا الزَّمان.

وَتَنَّى هذا الرَّاوي :

أُخْرِجْتُ، في الطريق إلى الكوفة، اكْفَهَرْتُ

بغيموم الفجيرة آفاقها

جَزَعْتُ، جَفَجَفْتُ، تهاوَتْ - هَوَتْ مَيَّتَةً.

* الإشارة إلى أمنة

بنت الشريد، وزوجها

هو عمرو بن الحمق

الحزاعي الذي قُتل

بأمرٍ من معاوية.

راوِ آخَرُ يَزْوِي :

- أَخْضِرُوا مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ

- هَلْ تُبَايِعُ؟

- كَلَّا.

- اضْرِبُوا عُنُقَهُ.

- أَخْضِرُوا هَانِئًا* :

- هَلْ تُبَايِعُ؟

- كَلَّا.

وَتَنَى هَذَا الرَّاوي :

- أَخْرَجُوهُ إِلَى السُّوقِ - فِيهَا

- ضَرَبُوا عُنُقَهُ.

* الكلام لمبيد الله بن

زياد، وكان مسلم قد

التجأ إلى دار هانيء بن

عروة، فحمأه ورفض

تسليمه.

راوِ أَخْرُ يَزَوِي:

أَعْرَابِي مَرَّ بَدَارِ عُبَيْدِ اللَّهِ *

رَأَاهَا عَجَبًا،

وَرَأَى صُورًا وَتَمَائِيلًا فِيهَا - قَالَ:

«أَسَدٌ كَالِخ

كَبِشٌ نَاطِخ

كَلْبٌ نَابِخ».

وَتَمَّى هَذَا الزَّأْوِي:

شَاعَتْ كَلِمَاتُ الْأَعْرَابِي، وَقَالُوا:

لَمْ يَلْبِثْ فِي تِلْكَ الدَّارِ، عُبَيْدُ اللَّهِ،

سِوَى أَيَّامٍ، حَتَّى مَاتَ.

* دار عبید الله بن زیاد فی
البصرة.

راوِ آخرُ يزوي :

قُتِيَّةُ * الفاتخ

يَقْتُلُ مع أهله،

وَجُنْدُهُ القاتلون.

وَتْنَى هذا الراوي :

أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ لَا يَعْقِلُونَ

أَجْسَامُهُمْ دُمَاءُ

سَابِحَةٌ فِي فَلَكٍ سَابِغ.

* قتيبة بن مسلم.

رَأَوْا آخَرَ يُزَوِّي :

كَانَ زَعِيمَ الدَّعْوَةِ * - يُزْسِي فِيهَا

أَمَلًا آخَرَ ، عَهْدًا آخَرَ .

حَبَسُوهُ ،

قَتَلُوهُ فِي غُبَسِهِ .

وَتَى هَذَا الزَّوَاي :

هَلْ نَفْتَكُرُ ؟

هَلْ نَعْتَبِرُ ؟

رَبِّي شَجَرَةٌ

لَمْ يَقْطِفْ مِنْهَا ثَمَرَةً .

* إبراهيم الإمام، زعيم الدعوة
للمعبسين قتل مروان الملقب
بالحمار، آخر الخلفاء الأمويين.

٣٠

راوِ آخَرُ يَزوي :

- أ -

* المغيرة بن سعيد العجلي .

قال العجلي :

أعضاء الله حروفُ هجاءٍ

ولهُ صورةُ إنسانٍ

لكن من نُورٍ،

وعليه تاجٌ من نورٍ

ولهُ قلبٌ تتبعُ منه الحكمةُ .

- ب -

قال العجلي :

لما خلقَ الله العالمَ

لَقَطَ الإسمَ الأعظمَ ، -

طار الإسمُ وَحَطَّ كمثلِ التاجِ

على رأسِهِ .

- ج -

قال العجلي:
كتب الله على كفيه
أعمال الناس.

- د -

قال العجلي:
من عرق الله انبجست أمواج
صارت بخرين -
الأول عذب، والآخر مالح
الأول نور والثاني أسود كالخ.

- هـ -

قال العجلي:
خلقت من ظل الله الشمس، ومنه
خلق القمر،
أفتى الله الباقي من ظله.

- و -

وثنى هذا الراوي:
زعم الحارث بن كثير
أنه ساجر
فاجر
خيبت
من الشيعة الخبيثاء:
الغيرة لا يستحق البقاء.

٣١

راوِ آخَرُ يَزوي :

- أ -

* قيل إن أبا حمزة الخارجي قتل
في هذا اليوم سبعة أشخاص.

جَمَعَ مِنْ أَهْلِ قَرِيشٍ
قُتِلُوا،
فِي يَوْمِ قُدَيْدٍ*.

- ب -

رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ، بَيْنَ يَدَيْهِ عَجِيْنٌ
ضَرَبُوا عُنُقَهُ،
فَارْتَمَى رَأْسُهُ فِي الْعَجِيْنِ.

- ج -

«كُلُّ مَنْ هَا هُنَا آمِنٌ،
غَيْرُ أَهْلِ أُمِّيَّةٍ.
مَنْ تَكُونُ؟ تَقْدَمُ،
لَكَ مِنِّي الْأَمَانُ -

أَلْقِ سَيْفَكَ،

أَلْقَاهُ، جَاءَ إِلَيْهِ

شَقَّ بِالسَّيْفِ رَأْسَهُ.

- د -

كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَبْكُونَ قَتْلَهُمْ - فُرَادَى

كَلَّ بَيْتٌ لَهُ مَيْتٌ،

وَلَهُ مَاتَمٌ.

- ه -

وَتَنَى هَذَا الزَّوَاي:

قَتَلُوا الْخَارِجِيَّ أَبَا هَمْزَةَ

قَتَلُوا جُلَّ أَصْحَابِهِ.

- و -

وَتَنَى هَذَا الزَّوَاي:

غَيَّرَ أَنَّ الشُّرَاءَ أَغَارُوا انْتِقَاماً

قَتَلُوا قَاتِلَ الْخَارِجِيِّ وَأَصْحَابَهُ.

- ز -

وَتَنَى هَذَا الزَّوَاي:

جَاءَ لِلْجُرْفِ، لِلْقَرْيَةِ الْخَارِجِيَّةِ، ابْنُ يَزِيدٍ*

قَتَلَ الْقَاتِلِينَ الشُّرَاءَ -

الرِّجَالُ النِّسَاءَ الدَّرَارِي

وَالْكِلَابَ وَمَا دَبَّ حَتَّى الدَّجَاجِ،

تَرَكَ الْجُرْفَ قَفْراً.

* عبد الرحمن بن يزيد نائب
الخليفة عبد الملك بن مروان،
والجرف قرية في الحجاز.

٣٢

راوِ آخرُ يزوي :

- أ -

* الإشارة إلى محمد الملقَّب بـ
«النفس الزكَّية»، والذي خرج في
المدينة على الخليفة المنصور.

قطعوا رأسه*

أحضروه لعيسى بن موسى :

- ما تقولون فيه؟

- مارق، كافر.

- كذبتُم،

ما لهذا قتلناه، لكن

خالفَ المؤمنين، ومنَ أمروه عليهم،

وشقَّ عصا المسلمين.

- ب -

قتلوا جُلَّة

من أخِصائه، ومن أهله.

- ج -

قُتِلَ ابنُ حُضَير

من أجَلِه أصحابه.

سألت أخته أمانة عنه -

- قتلوه،

سجدت غبطةً.

قال، في حيرة، زوجها:

- تسجدين وتغتبطين لقتل أخيك؟

- نعم، لم يفر، ولم يؤسر.

- د -

وثنى هذا الراوي:

خزق السهم رأس أخيه

قطعوا رأسه،

أرسلوه

لأبي جعفر*.

وضَعَ الرأس بين يديه -

* الخليفة المنصور والإشارة إلى
أخي «النفس الزكية».

دَخَلَ النَّاسُ - كُلُّ

لَا عَيْنَ، شَاتِمَ.

قال جَعْفَرُ * لما أتاه:

- «عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ فِي

ابْنِ عَمِّكَ، وَلَيَغْفِرَ اللَّهُ

تَغْرِيطَهُ

في حقوقِكَ»،

- «أَهْلًا، يا أبا خالدٍ،

هنا - قُرَيْنًا.»

* جعفر بن حنظلة، وكان كلامه
ذكياً، اعجب به النصور.

راوِ أَخْرُ يزوي :

قال * : لَنْ أَتَوَّى القضاء،

فَجُنَّ الخليفة مِن قوله .

وكان دَعَاهُ

لِتَوَّى القضاء بِبَغْدَادَ،

أَلْقَاهُ فِي السَّجْنِ . قِيلَ :

سَقَاهُ الخليفة سُمًّا . وقالوا :

كان فِي كُلِّ يَوْمٍ يُسَاطُ،

إِلَى أَنْ تُوقِيَ فِي سِجْنِهِ .

* الإمام أبو حنيفة النعمان .

راؤِ آخَرُ يزوي:

لأبي مُسلمٍ*، رأيتُ ثلاثاً

وأنا نائمٌ:

- وقَعْتُ عِمَّتَهُ،

- إِنِّهَا رَأْسُهُ.

- وَكَيْتُ خِيْلُهُ،

- إِنِّهَا حَظْلُهُ.

- قَالَ: أَقْتُلُ.

- أَلَلَّهُ أَكْبَرُ،

في الفَجْرِ كان أبو مسلمٍ

قتيلًا.

* أبو مسلم الحُرَاساني، والحوار
بين الخليفة المتصور، ورجل من
خاضته رأى الحلم.

X

توقيعات

إذا ما تأملت الزمان وصرفه

تَيقَنْتُ أن الموتَ نوعٌ من القتلِ

المتنبي

توقيع مُفرد

هَلْ ضَاعَ النَّظَرُ، اخْتَنَقَ الصَّوْتُ؟
أَفْ، مَا هَذَا التَّارِيخُ - الْمَيِّتُ فِيهِ
يُقْتَلُ حَتَّى بَعْدَ الْمَوْتِ.
- ماذا تفعلُ، يا هذا الشاعرُ
في هذا البلدِ البائِزِ؟
- أشهدُ فيه
تكوينَ بلادٍ أُخرى.
- ماذا تفعلُ، يا هذا الزَّاوي
في هذا التَّارِيخِ المَيِّتِ؟
- أشهدُ فيه
ميلاداً آخَرَ
لتواريخٍ أُخرى.

صوت بتوقيع ثلاثي

يزعم الزاوية
أن هذا الحضور الذي يتغطى بأسلافنا
ليس إلا غياباً، -
لا يرى من بهاء الحديقة إلا
وردة ذابلة
أثرى هذه لغة عادلة؟
عَضِبُ الأرض، جَلُمُ التِّبَاتِ، وَسُوسَةُ البادية
لم يقل أي شيء، ذلك الزاوية
عن تهاويلها وتأويلها،
كيف؟ لا حَقَّ في الصَّمْتِ لِلزَّائِرَةِ.
هي ذي الشمسُ تهمسُ للزاوية،
وتكثر مزهوة:
حكمة الضوء أبقي وأعمق من ليل صحرائك الدامية.

أصوات بتوقيعات متعددة

- أ -

- مَنْ يَقُولُ: التَّبَوُّهُاتُ لَا تَنْتَهِي؟

- مَنْ يُؤْمِسُ، مَنْ يَتَلَبَّسُ أَحْشَاءَكَ؟
- الْفُصُولُ.

- مَنْ تَتَبَّأُ لِلْأَرْضِ غَيْرُ السَّمَاوَاتِ؟

- مَاءُ الْيَنَابِيعِ، زَهْرُ الْحَقُولِ.

- أَثْرَاكَ تَوَخَّذْتَ مَعَ نَجْمَةٍ

أَمْ تَأَخَّيْتَ مَعَ مَارِدٍ؟

أَمْ تَصَوَّرْتَ لِلْمَخْلُقِ فِي صُورَةٍ

لَا مَسَاقَةَ فِيهَا

بَيْنَ مَا فَطَرْتَهُ الْغَرَائِزُ فِيهِمْ،

وَمَا أَسَسَتْهُ الْعُقُولُ؟

- لَمْ أَقُلْ، لَا أَقُولُ.

- ب -

نَهَرَ لَا مَصْبَ لَهُ، لَا ضِيفَافَ

وَالْفَضَاءُ سَرِيرٌ لَهُ -

إِنَّهُ السَّيِّدُ الطُّفْلُ يَلْهُو

لَيْسَ هَذَا طَرِيقًا وَلَا مَوْعِدًا

لَيْسَ مَاءٌ وَلَا صَخْرَةٌ

فَلَقَى لَفَّهُ

بعباءةٍ مِراثِهِ
ورمى بين عينيه أسرارَهُ.

- ج -

يَتَقَصَّى - لَهُ وَجْهٌ فَجَرٍ وَعَيْنَا سَمَاءٍ
هل يَكُونُ لِأَشْوَاقِهِ
زَمَنٌ آخَرُ، لَهَبٌ آخَرُ؟
الزُّوْسُ تَجَدَّدُ أَفْئَاصُهَا
وَالزَّمَانُ كُرَاتٌ
تَتَدَخَّرُجُ مَسْحُورَةٌ.

- د -

قَمَرٌ بَيْنَ سَاقَيْنِ مَغْسُولَتَيْنِ
بِأَبَارِقٍ مِنْ شَهْوَةٍ
قَمَرٌ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي قَادَهُ لِهَوَاهُ
قَمَرٌ فِي خُطَاهُ
قَمَرٌ بَيْنَ بَيْنٍ.

- ه -

كَلِمَاتٌ -
شَهْوَةٌ تَتَقَلَّبُ فِي جَنَمِهَا.
كَلِمَاتٌ -

غَابَةُ خَبَائِثِهِ
بَيْنَ أَغْصَانِهَا.
لَا نَبِيٍّ وَلَا سَاحِرٍ - نَارُ شَيْغَرٍ
فِي الْمَكَانِ وَمِنْ لَا مَكَانٍ
تَتَأَجَّجُ فِي تِيهِ هَذَا الزَّمَانُ.

(باريس، آذار ١٩٩٥)

علي مولا

ISBN 1-85516-563-5



9 781855 165632



DAR
AL SAQI

أدونيس

الكتاب

أمس الممكن الآن

II

علي مولا

الساقية

الكتاب

أهس العكان الآن

أدونيس

الكتاب

أهس المكان الآن

مخطوطة تُنسب إلى المتنبّي
يُحقّقها وينشرها أدونيس



دار
الساقي

© دار الساقى

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٩٨

ISBN 1 85516 740 9

دار الساقى

بناية ثابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان

هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI

London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH

Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

للمؤلف

مجموعات شعرية

- قصائد أولى، ١٩٥٧.
- أوراق في الرّيح، ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، ١٩٦١.
- كتاب التحوّلات والهجرة في أقاليم النّهار واللّيل، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا، ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي، ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع، ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل، ١٩٨٠.
- كتاب الحصار، ٨٢ - ٨٥، ١٩٨٥.
- شهرة تتقدّم في خرائط المادّة، ١٩٨٧.
- احتفاءً بالأشياء الواضحة الغامضة، ١٩٨٨.
- أبجدية ثانية، ١٩٩٤.
- الكتاب - I ، دار الساقى ١٩٩٥.

دراسات

- مقدمة للشّعر العربي، ١٩٧١.
- زمن الشّعر، ١٩٧٢.
- فاتحة لنهايات القرن، ١٩٨٠.
- سياسة الشعر، ١٩٨٥.

- الشعرية العربية، ١٩٨٥.
- كلام البدايات، ١٩٨٩.
- الصوفية والسوريالية، ١٩٩٢.
- ها أنت أيها الوقت، ١٩٩٣.
- النظام والكلام، ١٩٩٣.
- النص القرآني وآفاق الكتابة، ١٩٩٣.

مختارات

- ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء، مقدّمة) ١٩٦٤ - ١٩٦٨.
- مختارات من شعر السيّاب (مع مقدّمة).
- مختارات من شعر يوسف الخال (مع مقدّمة)، ١٩٦٢.
- مختارات من شعر شوقي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.
- مختارات من نصوص الكواكبي (مع مقدّمة)، ١٩٨٢.
- مختارات من نصوص محمد عبده (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من نصوص محمد رشيد رضا (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- مختارات من نصوص محمد بن عبد الوهاب (مع مقدّمة)، ١٩٨٣.
- (الكتب الستة الأخيرة أختيرت وقُدِّم لها، بالتّعاون مع خالدة سعيد).

ترجمات

- الأعمال المسرحيّة الكاملة لجورج شحادة، ١٩٧٥.
- الأعمال الشعرية الكاملة لسان - جون بيرس، ١٩٧٦.
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، ١٩٨٦.
- مسرحيّة فيدر لراسين، ١٩٧٥.
- الشّقيقان العدوَّان لراسين، ١٩٧٥.

القسم الأول

I

خُذْ مَا تَرَاهُ، وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ،
فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحْلِ.
المتنبي

- أ -

قال^(١) تأتي معي

حَلَبٌ تَتَهَيِّدُ أَيَّامَهَا

بالفتوح: الشمال

يتقلب في نارها

والجنوب قريب

غريب.

كيف لا أستجيب لهذا السؤال،

تاركاً سعن الليل

تُبحر في شمس أنطاكية؟

ألوداع الوداع لأنطاكية، -

أتراها ولادتي الثانية؟

* يتنور أيامه:

كل شيء ضياء له ودليل.

وجهه شمسُه،

وتباريحه

أفقٌ باذخ يتصاعد فيه.

- أ -

الحجيم التي كان يلزأوه

أن يتوغل في نارها

دون أن يبلغ الهاوية،

فر من هوليها إلي

يتفتأ في مقلتي.

قال، تأتي وتأخذ فيها

مكاني،

ليلها غابر

والضراط إليها

ضيق، شائك.

(١) القائل هو سيف الدولة،
عندما كان في أنطاكية. سنة
٣٣٧ هـ.

- ب -

يَلْتَقِي شَاعِرٌ وَأَمِيرٌ

شَاعِرٌ يَقْرَأُ الْوَقْتَ فِي شَعْرِهِ

أَمِيرٌ

يَقْرَأُ الْوَقْتَ فِي صُحُفٍ مِنْ دُمَاءٍ،

وَيُسِرُّ: «هَوَى غَامِضٌ شَدَّ

قَلْبِي وَعَقْلِي إِلَيْهِ...»

تُرَاهَا

بِيعَتِي، أَمْ تُرَاهَا

بِيعَةَ الْمَتْنَبِيِّ؟»

- ٢ -

لا أجيئ، إذا كان في كلِّ دربٍ

دليلٌ وضوءٌ - أجيئ،

إذا انطفأ الضوء،

وارتطم العابرون الحيازي

بحجارة سيجلهم.

وأجيئ، إذا كان لي أن

أشق طريق الجحيم،

إلى آخر الجحيم.

ما أمرُ اللقاء، وما أغمض اللقاء، وما أعذب
اللقاء.

* صوته يتموج في أذن الوقت والوقت

يُملي أعاصيره:

نسغ هذا الفضاء

سائلٌ يتقطر من فلك الكبرياء.

- ج -

- جالساً^(١)، سوف أقرأ شعري بين

يديك، ولن أنحني

مِثْلَ غَيْرِي: أَقْبَلْ بَيْنَهُمَا الْأَرْضَ،

لَكُنْتِي

سَاعَانِقُ فَيْكَ السَّمَاءَ

وَأَقْبَلْ كُلَّ عُلُوٍّ.

- أَأَخَاصَمُكَ الْآنَ؟ لَا، لَنْ أَخَالِفَ

مَا قُلْتَ. خَيْرٌ.

لَكَ مَا شِئْتُهُ،

لَمْ يَشَأْهُ سِوَايَ وَلَا شَاءَ الشَّعْرَاءُ.

* رَبِّمَا،

لَا شِفَاءَ لَجَرْحِكَ إِلَّا

فِي يَدَيَّ وَرَدَةٍ

لَمْ تَلَامِسْهُمَا يَدَاكَ.

- ٣ -

حسنًا

أَتَنَوَّرُ فِي سَفَرِي نَحْوَ نَفْسِي،

وَنَحْوَ الْمَدَائِنِ وَالنَّاسِ،

شُعْرِي، وَأَتَبْذُ الرَّاوِيَةَ.

لَا دَلِيلَ سِوَى الشَّعْرِ -

يَتَكَرَّرُ الْهَاوِيَةُ

وَيُضَادِقُ مَعْرَاجَهَا الْكَرِيمَ.

فَلْيَجِءْ نَحْوِي الْفَضَاءَ

لِيَجِءْ مِثْلَ طِفْلٍ،

نَفِيًّا وَخُرًّا

لَأَخْطُ عَلَيْهِ

مَا رَوَتْهُ النُّجُومُ لِعَيْنِي هَذَا

الْمَسَاءَ.

(١) حوار بين المتنبي وسيف الدولة.

أَلَمَسَاءُ، صَدِيقُ الْعِنَادِلِ، يَتْرُكُ مَزْمَارَهُ
فِي يَدَيْ، وَيَمْضِي
طَائِفاً، سَائِلاً.

أَتَرَانِي حَقًّا أَجُورُ، إِذَا
قُلْتُ مَا لَا يُقَالُ؟ وَلَكِنْ
كَيْفَ أَطْمَسُ مَا يَطْمَسُ
الْجُورُ وَالْبَغْيُ؟
مَا الشَّعْرُ إِنْ لَمْ يَرِ الْجَذَرُ،
إِنْ لَمْ يُضَيَّنَا؟ وَمَا الضُّوءُ
فِي الشَّعْرِ، إِنْ لَمْ يُنَوَّرْ
دُجَّةً أَيْامِنَا، وَزُلْزِلَ
وَهُم تَارِيخُنَا؟

كَزَرُوا مَا تَشَاوُونَ - أَنْتُمْ
لِلْعُرُوشِ وَأَهْوَائِهَا،

✽ عِنْدَمَا يُصْبِحُ الْغَيْبُ ثَوْبًا لَجْسَمِكَ،
وَالشَّمْسُ رِقَامَةً فِي يَدَيْكَ،
كَيْفَ لَا تُولِدُ الْأَرْضُ مِنْ أَوَّلِ
فِي خَطَاكَ، وَفِي نَظَرِيكَ؟

ناقتي - أَتَغْلَغُلُ فِي وَخْدِهَا :

أَلْمَحُ الْمَوْجَ فِيهِ

وَالصَّحَارَى - أَرَى النَّخْلَ، كَلَاً،

وَخَذَهَا حِيرَةً وَالتَّبَاسَ،

وَدُرُوبَ إِلَى

أَرْضِهَا، خَفِيَّةً .

أَتُرَاهَا -

حَلَبَ بَيْنَ أَهْدَابِهَا

أَمْ تُرَاهُ الْحَنِينُ إِلَى اللَّاذِقِيَّةِ؟

* شَغْفِي أَنْ أُرَبِّي سِرِّي كَطْفَلٍ،

شَغْفِي أَنْ أَفِيءَ إِلَى بُرْعَمٍ

وَأَخْبِيءَ حَبِّي

فِي أَسَارِيرِهِ .

للسيوف التي تتناسل فيها،

لأبنائها

وأبناء أبنائها،

كزروا، أنشدوا:

لَكَ حَشْدُ الْقَبَائِلِ،

حَذُو الْقَوَائِلِ،

وَالْعَالِيَاثِ الْقَصُورُ

وَأَنوَارُهَا السَّاطِعَةُ،

وَاتَرَكُونِي أَنَا لِضَلَالِي

لَنْ أَفِيءَ إِلَى ظَلْكُمْ

وَذَخَرْتُ لَصَوْتِي هَوًى

آخِراً،

وَمَدَى آخِراً

وسأبقى رفيقاً أميناً لبيدائتي

الوابيعة .

أُتْرَاهُ شِعْرِي

نَجْمَ رَحَالٍ

في صحراء المعنى -

يَتَعَهَّدُ واحَاتٍ

ويشوق مجاري في الأصوات وفي الكلمات؟

أُتْرَاهُ قلبي

قَمَرٍ بَطَالٍ

يَسْكُنُ في حَرَمِ الأحلام، وبينني

مُدْنَا لِلتَّيِّهِ وَلِلشَّهَوَاتِ؟

لائين الكلبي، وسيف، وأبي
مخنف^(١)،

تاريخ رمالٍ

يتأرجع في عرشٍ دامٍ،

في عَبَثٍ مُسْتَأْتَفٍ.

* لِلْفَضَاءِ طيُورٌ تَخْطُ السَّمَاءَ -

نبؤَاتِهَا ورؤَاها،

رُقِعَ من سحابٍ يَلُونُ السَّلَامَ

كُلَّ طَيْرٍ قَلَمٍ.

(١) أبو مخنف، سيف بن
عمر، ابن الكلبي: إخباريون
ومؤرخون قدامى.

- ز -

جَرَّتِ الشَّمْسُ أَرْدَانَهَا
فِي رَوَاقِ الْغُرُوبِ ، وَأَعْطَتْ قَنَادِيلَهَا
لِلْمَسَاءِ .

أَلَسَّهَوْلُ حَيَاةٍ
تَتَلَقَّحُ فِيهَا

شَهَوَاتُ الشَّجَرِ ،
وَالنَّجُومُ كَمِثْلِ النَّسَاءِ
يَتَفَحَّصْنَ أَجْسَادَهُنَّ ،
وَيَفْتَقْنَ ثَوْبَ الْقَمَرِ .

(١) هاشم بن حكيم،
المقنع . وقيل اسمه عطاء .
كان يتبرقع بحرير أخضر، أو
بوجه من الذهب . قيل أحرق
قلعته رافضاً الاستسلام . قاتلاً
لمن معه :
«من أحب أن يرتفع معي إلى
السماء،
فلْيَلِقْ نفسه معي في هذه
النار» .

يقول المعري، مشيراً إليه :
أفئ، إنما البذر المقنع رأسه
ضلالٌ وغَيٌّ مثل بذر المقنع .

- ٦ -

انقضى، أوغل في الآثار،
وفي التاريخ، وفي ذاكرتي -

- ١ -

خوصِرَ هاشم^(١)، أشعل ناراً :
«لن يلمسني سيفٌ
أهلي ونسائي
سيموتون كمثلي .
نارٌ - الطفُ بَرْدُ
في أنعم دار» .

- ب -

أعطاهم سماً، أو هذا
ما أخبر عنه، وهوى كلُّ

* أترى يعرف الماء أن الشرر
وحيه المنتظر؟

- ح -

حَلَبٌ - أَتَرَاهُ السَّحَابُ الَّذِي يَنْزِلُ

الآنَ عَنْ كَتْفِي، يَسِيرُ إِلَيْهَا؟

لَأَقُلَّ إِنَّهُ رَفِيقِي:

رَجِمْتُ لِلتَّخِيلِ، أُمُّ لِلْحَنِينِ؟

أَقُولُ لِيظَنِّي تَمَهَّلْ

حَسْبِيَ الْآنَ أَنِّي قَرِيبٌ إِلَيْهَا -

حَامِلٌ شَمْسَهَا

حَاضِنٌ ظِلَّهَا.

فِي اللَّهَبِ الصَّاعِدِ نَحْوَ اللَّهِ،

أَتَوَهُ -

أَخْذُوهُ مَيْتًا، قَطِّعُوا الرَّأْسَ،

اسْتَبْشَارًا

وَمَضُوا. حَمَلُوهُ لِلْمَهْدِي،

وَكَانَ مَقِيمًا فِي حَلَبٍ.

- ج -

هَاشِمٌ كَانَ يَقُولُ: «إِلَهُ

يَتَجَسَّدُ فِيَّ، دَعُونِي

أَتَبَرِّقَ حَتَّى

يَكْمُلَ فِيَّ نَجْسُهُ، ثُمَّ سَأَكْشِفُ

عَنْ ذَاتِي

إِيْرُونِي - سَأُبَيِّحُ لَكُمْ

مَا شِئْتُمْ».

سَأَقُولُ لِهَذَا الْفَضَاءِ الْمُنَوَّرِ: كُنْ مِثْلَهَا.

❖ شَهْوَةُ الشَّمْسِ تُعْلِقُ شُبَاكَهَا:

مَتَعَةً أَنْ نَرَى اللَّيْلَ يَأْوِي إِلَيْهِ

وَيُوشِشُ قُضْبَانَهُ.

- ط -

يكتب الشَّعْرُ وَخَي الصَّدَاقَةِ
في كِتَابِ جَامِئَةٍ -

هذه آية:

فَجُرْ تَارِيخَنَا

قَائِمٌ قَاعِدٌ،

هُوَذَا يَنْتَحِنِي -

يَتَرَبَّعُ فِي أَوَّلِ الْعِطْرِ،

يَقْرَأُ لِلْمَاءِ، لِلْعُشْبِ، لِلشَّجَرِ

الْفَاتِيحَةِ.

- ٧ -

- أ -

خرجوا^(١)،

اسْتَبَسَّلُوا،

أُبِيدُوا.

- ب -

قُتِلَ الْيَشْكِرِيُّ^(٢)، وَيُدُّ أَنْصَارُهُ
فِي الْجَزِيرَةِ،

وَدَمَّ الْبَرِيرِيُّ، وَدَحِيَّةُ
وَالْبِرْلَسِيُّ^(٣) يَسِيلُ عَلَى جَسَدِ
الْبِيرَةِ: الْأَمِيرُ يُحِبُّ الرِّقَازَ عَلَى
جُفَةِ الْأَمِيرِ.

(١) إشارة إلى فرقة
المحمرة، الذين خرجوا في
جرجان، وقتلوا جميعاً، كما
يُروى.

(٢) عبد السلام بن هاشم
اليشكري، خرج على الخليفة
اسمهي وكان أنصاره
يتكاثرون في الجزيرة.

(٣) العباس البربري، دحية
الغساني، إبراهيم البرلسي،
خرجوا في البيرة، بالاندلس
على عبد الرحمن الداخل،
 وقتلوا مع عددٍ من أنصارهم.

* تعجب الأرض من ذلك الهباءِ

الذي يتحدَّرُ من آدم،

وتؤكد سُكْرًا بِهِ:

لن أوجّه وجهي إلا إليه.

- ي -

زَفَرْتَنِي شَهيقاً

مُدُنٌ لَا تُحِبُّ السَّمَاءَ، وَلَكِنْ

لَمْ أَكُنْ قَادِراً بَعْدُ، أَنَّ أَتَبَلَّغَ،

أَوْ أَنَّ أَتَبَلَّغَ مَا وَسَّوَسَتْهُ

مَفَازَاتُهَا،

وَمَا رَمَزَتْهُ،

أَلْهَذَا تَأَسَّسْتُ فِي صَمْتِهَا، وَفِي وَحْيِهَا؟

- ٨ -

- ١ -

الْخَلِيفَةُ فِي حَلَبٍ^(١) لِلتَّفَقُّدِ: -

«أَيْنَ الزَّنَادِقَةُ؟ اسْتَخْرِجُوهُمْ

مِنْ مَخَابِئِهِمْ، وَأَبِيدُوهُمْ

وَاحِدًا وَاحِدًا.

قُطِعُوا بِالسَّكَاكِينِ أَوْ رَأْفِهِمْ،

قَرَّبُوهَا - أَنَا الْبَادِيءُ

كَي يُقَالَ: اصْطَفَاهُ ثَوَاباً

لِلنَّعِيمِ وَلِدَانِهِ، الْبَارِيءُ».

* رحلة الرَّمْل لا تنتهي،

والبشارة تأتي مِنَ الْبَحْرِ

فِي جَوْفِ حُوتٍ.

(١) قال ابن الأثير: «في السنة ١٦٣ هـ، جاء الخليفة المهدي إلى حلب، فأمر بجمع الزنادقة فيها، وفي نواحيها. جُمِعُوا وَقُتِلُوا، وَقُطِعَتْ كَتَبُهُم بِالسَّكَاكِينِ».

- ك -

فِي كُلِّ مُفْتَرَقٍ صَمْتُ يُوسَعُ لِي
 حَدُّ الْكَلَامِ، وَيَزْمِينِي إِلَى الْفَلَكَ
 لِي فِي الْكَلَامِ أَسَاطِيرُ وَلِي سُتُنْ
 وَلِي طَيُورُ صَبَابَاتِي وَلِي شَبَكِي
 تَقَاطَعَتْ فِي رَايَاتٍ وَأَشْرِعَتْ، -
 عَدِي عُرُوشُ
 وَشِعْرِي مَالِكُ الْمَلِكِ.

(١) من أسلافهم:

الحعد بن درهم،

معبد الجهني،

غيلان الدمشقي،

عبد الصمد بن عبد الأعلى.

- ب -

سنة دامية -

وَالزَّنَادِقَةُ الْيَوْمَ أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ
 مَضَى^(١)

عبرة لسواهم،

سَأَعِدُّ أَسْمَاءَ مَنْ قَبِلَ عَنْهُمْ
 زَّنَادِقَةً

وَأَبِيدُوا،

أَوْ أَحْيَظُوا، لِأَمْرِ خَفِيِّ،

بَعْفُو الْخَلِيفَةَ، لَكُنْتُ لِنِ ابْنِ أَبِي
 بَرَاءٍ وَلَا شَاهِدٍ

حذراً من غتو اليد الباغية،

سأقول: أنا وحدي

الزاوية، -

* غِبْطَةُ أَنْ يُزَاوَجَ مَا بَيْنَ أَنْفَاسِهِ

واضطراب الجناح،

ألهذا،

لم يكن مرةً، طيعاً للرياح؟

أبان بن عبد الحميد اللاحق

حَلَبٌ -

أَتْرَاكِ التَّوَهُّمَ، عَمَرْتُ وَقْتِي بِهِ؟

ما يكونُ، إذن، وعدُّنا؟

ما يكونُ اللَّقَاءُ الَّذِي نُشْرِكُ الْغَيْبَ فِيهِ؟

وإِلَى أَيِّ شَمْسٍ سَأُوْكِلُ لَيْلِي

عَنْدَمَا نَتَغَطَّى

بَصَابَاتِنَا؟

نَتَسَتَّرُ، أَمْ نَتَكَنَّى؟

لَنْ أَصْرَحَ، لَكِنْ

هَلْ أَخُونُكَ إِنْ وَشَوْشْتَنِي نَفْسِي،

وَوَشَوْشْتُنَا؟

* لَا يَرِيدُ مِنَ الدَّرَبِ إِلَّا

أَنْ يَرَى كَيْفَ تُرْخِي جَدَائِلَ

أَحْلَامِهَا،

وَتَفَكَّ، الْعَشِيَّةَ، زُنَّارَهَا.

ابن طالوت ابن شاكر

ابن ديصان ابنة يعقوب

ابنة مطيع أبو نؤاس

أبو العباس الناشء

أبو علي سعيد

أبو العتاهية

أبو عيسى الوزاق

إبراهيم بن ستيابة

إسماعيل بن سليمان الجيهاني

إسحاق بن خلف بشار بن برد

البقلي^(١) الجرندي

جميل بن محفوظ

داؤد بن روح بن حاتم المهلبی

(١) كان يقول:

«الإنسان كالبقلة، إذا مات

لا يرجع».

- م -

كيف لي أن أطمئن هذا المشرّد

في دمي المتشرّد -

هذا الغروب الشروق

الشروق الغروب؟

وأنا في رحيلي نحو المكان ونخوي

لم تفدني دروبي إلا

لمخو الدروب؟

وُدّة الشروي

والبة بن الحباب زوجة يعقوب

حماد الزاوية حماد عجرد

حماد الزبرقاني

حفص بن أبي وردة الحريري

يعقوب بن الفضل الهاشمي^(١)

يحيى بن زياد الحارثي

يزيد بن الفيض

يونس بن أبي قزوة

محمد بن أيوب المكي

محمد بن طيفق محمد بن التجم

محمد بن زياد محمد بن بادان

مطيع بن إياس^(٢)

* فُسْحَة -

يَتَصَفَّحُ فِيهَا كِتَابَ التَّجُومِ، يَمْدُ
الصَّبَاحِ،

يَمْدُ الْمَسَاءِ، يَمْدُ السَّهَرِ

بَيْنَ أَهْدَابِهِ وَالصُّوَرِ.

(١) قتله الهادي سرّاً وأعلن أنه مات ميتة طبيعية،

و «زوجة يعقوب»، و «ابنة يعقوب» هما زوجته وابنته.

(٢) «ابنة مطيع» هي ابنته.

نَدَى يُبَلِّلُ أَطْرَافِي، مَدَى عَبَقِ

بِنَكْهَةٍ - أَتْرَاهَا نَكْهَةُ الْعَسَقِ؟

أَحَارُ: هل هي هَمْسُ الْغَيْبِ مُرْتَسِمًا

بَغِيرِ حَبِيرٍ، وَمَقْرُوءًا بَلَا وَرَقٍ؟

أَمْ نَكْهَةُ الضَّوءِ يَنْجَلُو جِبْهَةَ الْأُفُقِ؟

خُذْ الْغَوَايَةَ مِنْ عَيْنِي، يَا حُلَمِي

وَاخُذْ طَرِيقَكَ، وَاتْرُكْنِي إِلَى طَرَقِي.

منقذ بن زياد الهلالي

محمد بن أبي عبيد الله

التعمان غبادة

عبد الله بن معاوية بن يسار

العباسي ابن داؤد بن علي^(١)

عبد الكريم بن أبي العوجاء^(٢)

عمارة بن حرببة

علي بن الخليل

صالح بن عبد القدوس

قاسم بن رنقطة.

* يدعو الأرض لتلعب نَزْدَ الدَّهْرِ

في ملكوتِ الشَّعْرِ.

(١) مات في السجن.

(٢) يقال إنه عارض القرآن الكريم.

- س -

شَرُّرُ الْآنَ يَلْمَعُ فِي غِيْمَةِ الْأَمْسِ،

وَالْأَمْسُ يَغْمَسُ أَطْرَافَهُ

فِي بَحِيرَةِ فَجْرِ -

هَكَذَا تَتَجَمَّعُ فِي نَفْسِي الْأَزْمَنَةُ.

أَلْسَمَاءُ تَلُمُ تَقَاسِيْمَهَا

مِنْ أَقَالِيمِ شِعْرِي: أَقَالِيمُهُ

مَوْعِدٌ لِفَرَادِيْسِهَا -

هَكَذَا تَتَمَرَّقُ فِي نَفْسِي الْأَمْكَنَةُ.

- ج -

أوصى المهدي ابنه الهادي،
قائلاً:

«يا بُنَيَّ، إِنْ صَارَ لَكَ هَذَا

الْأَمْرُ، فَتَجَرَّذْ لِهَذِهِ الْعَصَابَةِ

(...) فَارْفَعْ فِيهَا الْخَشَبَ،

وَجَرِّدْ فِيهَا السَّيْفَ، وَتَقَرَّبْ

بِأَمْرِهَا إِلَى اللَّهِ الَّذِي لَا شَرِيكَ

لَهُ.

فإني رأيت جَدَّكَ الْعَبَّاسَ فِي

الْمَنَامِ قَلَّدَنِي

سَيْفِينَ، وَأَمَرَنِي بِقَتْلِ

أَصْحَابِ الْإِثْنَيْنِ».

* مَا أَبْرَكِ، يَا كَتِيفَ الشَّاعِرِ،

تَحْمِلِينَ الصَّخُورَ وَتَارِيخَهُنَّ،

وَفَاءَ لِمَعْرَاجِهِ الْحَائِرِ.

- ع -

يُنَحْنِي جَسَدِي فَوْقَ أَعْضَائِهِ

وَيُجَاهِرُ: مَا أَبْعَدَ الْعُضْوَ عَنِّي،

وعن نفسه -

هل يقولُ لكم حيرتي؟

هل يقولُ يقيني؟

كيف أعرفُ؟

لكن

عَرَضِي، هَاهُنَا، نَبَرٌ:

أَنْ أَقِيسَ الْمَسَافَاتِ بَيْنِي وَبَيْنِي

عندما أتوغلُ في غربة الضوءِ

عن أمسه،

وعن شمسهِ.

* قُمْ لِنَايِكَ، وَاسْتَأْنِفِ الْأُغْنِيَةَ:

شَاعِرٌ يَتَشَرَّدُ - أَجْمَلُ غَابَاتِهِ

فِي الطَّرِيقِ إِلَى نَفْسِهِ،

غَابَةُ الْمَعْصِيَةِ.

- ٩ -

تقاسيم على الوصية

- ١ -

زَندِيقُ

مَنْ يَجْهَرُ بِالتَّوْبِيلِ خِلَافًا

لِلتَّنْزِيلِ

ويعلم: كلُّ حرامٍ لِلتَّحْلِيلِ.

- ب -

زُندَقَرُ، -

يُولَدُ الْكُوْنُ مِنْ نَظْفَةِ الْمَاءِ

تَنْزَلُ فِي رَحِمٍ مِنْ مَلَزٍ.

- ف -

قَمَرٌ يَتَنَزَّهُ، يَحْمِلُ أَوْرَاقَهُ

فِي حَقَائِبِ سِرِّيَّةٍ.

الْتَجُومِ صَدِيقَاتُهُ

وَالْغُيُومِ ثِيَابَ لَهُ.

قَمَرٌ عَاشِقٌ يُغْنِي:

حَلَبُ آيَةٍ

فِي كِتَابِ الْخَفَاءِ.

مَا يَكُونُ، غَدًا كَشْفُهَا؟

مَا يَكُونُ الْجَلَاءُ؟

- ج -

أَهَيَّ الْمَانُوتَةُ؟

أَشْعُوبِيَّةٌ؟

أَلْمَنَاصِرُ تَسْخَرُ مِنْ ظُلْمَةِ

الْعُقُولِ،

وَتَحْزَنُ لِلْأَبْجَدِيَّةِ.

- د -

أُبْغِضُ. لَكِنْ،

إِنْ أُبْغِضُ شَيْئًا

لَا أُبْغِضُ أَهْلَهُ^(١)

أَتُحِبُّ الْعَقْلَ،

وَنَكْرَهُ أَصْلَهُ؟

* تَكْحَلُ الشَّمْسُ أَجْفَانَهَا بِالسَّوَادِ

كَيْ تُحَسَّ بِمَا حَوْلَهَا، وَتُحَسِّنَ

إِصْغَاءَهَا

لَأَنْثَنِ الرَّمَادِ.

(١) إشارة نقدية لكلام

للملاحظ قال فيه: «فإنما عامة

من ارتاب بالإسلام، إنما

جاءه هذا عن طريق الشعوبية.

فإذا أبغض شيئاً، أبغض أهله».

(البيان والتبيين: ٣، ١٤).

أَتَرَى وَحْدَهَا تَتَلَقَى الْمَنَارَاتُ؟ مَالِي

أَتَوْجَسُّ؟ قَلْبِي

يَتَفَلَّتُ مَنِّي، وَيَمْضِي وَحِيداً

عَالِياً عَالِياً،

وَدَائِي

أَنْنِي أَوْقِظُ الْأَرْضَ مِنْ نَوْمِهَا وَأَعَالِي،

أَنْنِي عَاشِقٌ

زَمَنَ الْكُوفَةِ، الْفَرَاتِ وَأَحْزَانَهُ،

وَالْأَعَالِي.

- ه -

هُودًا يَهْذِي:

«لَيْسَ لَأَيِّ مِنْكُمْ أَنْ يُثْبِتَ
رَبًّا.

لَا إِبْرَاهِيمَ

إِلَّا بِالْحَزَنِ، وَلَكِنْ

كَيْفَ يَكُونُ الْمَحْسُوسُ

الْمُثَبِّتَ رَبًّا؟

وَأَسْأَلُكُمْ.

مِنْ أَيْنَ لَنَا

أَنْ نُثْبِتَ مَا لَا نُدْرِكُهُ؟»

* يَمْضِي، يَجِيءُ، يَرَى، يَشْتَاقُ،

يُنْكَسِرُ -

أَحْزَانُهُ قَبْرُ أَحْلَامٍ، وَحَيْرَتُهُ

غَيْمٌ عَلَى قَبْرِهَا، وَالشَّاهِدُ الْمَطَرُ.

- ق -

أَيَّامٌ لَيْسَتْ أَيَّاماً -

وَأَرَاهَا مِثْلَ ضِفَائِرِ مُسْتَرَسَلَةٍ
لِمَلَاثِكٍ لَا أَخْبَابَ لَهُمْ،
لَا يُنْمَوْنَ لِأَيِّ مَدِينَةٍ.

- أَيَّامٌ -

كُلِّ امْرَأَةٍ

تَنْسَجُ مِنْهَا زُنَاراً.

كُلِّ شَرِيدٍ

يَتَلَمَّسُ فِيهَا

حَبْلَ سَفِينَةٍ.

- و -

- أَلَسَلَحْفَاءُ أَقْصَرُ دَرْبٍ

لِلدَّخُولِ إِلَى مَلَكُوتِ الزَّمَانِ.

- إِنَّتِي اللَّهُ، هَذَا

رَأَيْ مِنْ قَالَ بِالذَّهْرِ،

وَالزُّنْدَقَاتُ لَهُ تُرْجَمَانُ.

- ز -

غَابَ يَزْدَانُ بَخْبٍ^(١)

فِي حَدِيقَةِ أَوْهَامِهِ،

لَمْ يَعُدْ بَعْدُ مِنْهَا.

- وَلِمَاذَا يَعُودُ

وَهُوَ مِلْءُ الْوُجُودِ؟

* العزيرُ المشرَّدُ يشكو لأوراقه:

«كَادَ أَنْ يَرْجِعَ الضَّوُّءُ مِثْلِي، حَزِيناً،
لِمَجْرَاتِهِ الْأَمِينَةِ.

مَا أَمَرَ الْمَسَافَاتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ،
مَا أَبْعَدَ الْمَدِينَةَ».

(١) أحد رؤساء المانوية في
العصر العباسي.

حَلَبٌ - وَقَتْنَا إِلْفَنَا

مَوْكِبٌ آخِرٌ فِي رَكَائِبِ أَشْوَاقِنَا

تَتَوَرَّدُ، تَقْفُو، تَجَسَّ، تُخَالِطُ أَنْفَاسَنَا

وَأَفْرَاسَنَا،

تَتَزَيَّأُ لَنَا

بِهَوًى يُبْتَكِرُ

وَتُوَالِفُ وَسْوَاسَنَا

وَتَخْطُ وَتَمْحُو الصُّمُورَ.

حَلَبٌ - وَقَتْنَا إِلْفَنَا

فَرَسٌ لِرُؤَاا

تَتَقَدَّمُ أَفْرَاسَنَا.

* هَذَا لِسَانُ غَوَايَةٍ - مَا أَبْلَغَهُ :

سِرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ الْغَرِيبِ، يَحُومُ

فِي قَلْقٍ عَلَى جَسَدِ اللَّعَةِ.

- ح -

لِزِنَادِقَةٍ

سَمَوْا أَنْفُسَهُمْ

«إِخْوَانُ الصَّدَقِ»،

تَتَوَفَّجُ سِرًّا

أَفَاقُ الشَّرْقِ.

- ط -

مَعْجَزَاتٍ، مَخَارِيقُ سِخْرِ

وَالشَّيَاطِينِ تَسْكُنُ فِيهَا.

- ي -

صِيدُوا «أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ»^(١)،

سَجَنًا، قَتْلًا، حَرْقًا

صِيدُوهُمْ

فِي كُلِّ الْأَنْحَاءِ.

(١) من وصية الخليفة المهدي.

و«أصحاب الأهواء» هم الفرق التي كانت تُعَدُّ في نظر الخلافة ونظايمها، منحرفة عن الدين.

- ك -

لم يقولوا اسمها^(١)،
وروا أنها أعلنت مرّة
وهي في حضرة الرشيد
أنها مانوتة.
دهش الناس من أمرها
كيف، أتى لأنتى
لا ترى، لا تريد
غير ما يتأخى
ظلاماً ونوراً
في الحياة،
وفي جسد الأبدية.

- ش -

لم يكن مرّة غريباً بلا ألفة
لم يكن مرّة أليفاً بلا غربة.
دائماً كان مثلي
غريباً أليفاً معاً
دائماً كان مثلي مكاناً
لِتاويله،
لا لأقواله.

هوذا ذلك الرفيقُ الصديقُ الذي فيّ،
يخرج من ليله،
حاملاً وردةً
كان قلبي تغنى بها.

* زهرةٌ تخرج الآن من رحمِ الهواء
لُتحِيَّ معراجهُ
وتقولُ لهذا الأثير الكلامَ الذي لم
تقله السماء.

(١) الإشارة إلى ابنة مطيع بن
إياس.

- ت -

أَتَخِيلُ شِعْرِي غَرِيباً يَرُودُ الْأَرْقَةَ

فِي حَلَبٍ، تَتَمَرَأُ

فِي خَطَاهُ شَبَابِيكُهَا،

وَلَهُ ظِلُّهُ قِلَاعٌ، وَلَهُ الْفَجْرُ بَيْتٌ،

لَا يُقِيمُ، وَلَا فُسْحَةٌ تَحْتَوِيهِ.

أَتَخِيلُ شِعْرِي يَتَنَقَّلُ فِي هَمِّهِ

(هَمُّهُ أَنْ يَدَبِّرَ طُوفَانَهُ)

عَشِيقُ الْأَرْضِ، حَبْرُ الْفُصُولِ، الرَّجِيلُ

وَلَهُ فِيهِ حَظُّ الرِّيحِ،

وَأَنْشُودُهُ الْمُسْتَحِيلُ.

- ل -

هَذَا كِتَابُ الْمَانُويَّةِ:

وَرَقٌّ صَقِيلٌ^(١)

وَالْجَبْرُ أَصْفَى مَا يَكُونُ، غِلَافُهُ

نَقْشٌ وَزْرَكْشَةُ - لِهَذَا

رَدُّوا ذُبُوعَ الْمَانُويَّةِ،

وَهِيَ الضَّلَالَةُ عِنْدَهَا

لَا حِكْمَةَ فِيهَا،

وَلَا مَثَلٌ، وَكَلَّ كَلَامُهَا

يُشْتَقُّ مِنْ سَوَاءِ الطَّوْنَةِ.

(١) وصف الجاحظ كتب

المانوية، قائلاً:

«لا تفيد علماً ولا حكمة

وليست مثلاً سائراً، ولا خيراً

ظريفاً، ولا صنعة أدب،

ولا حكمة غريبة، ولا فلسفة

ولا مسألة كلامية»

(. . .) «أجود ما تكون

الكتب ورقاً يكتب عليه بالحبر

الأسود البزاق، ويُستجاد له

الخط».

(الحيوان، الجزء الأول).

* كلما قال: هذي طريقي

إلى نارِي الآتية،

أجفل الضوء فيه،

وتراءت له طرقٌ ثانية.

عَنِّي لَهَا

لهوائِها ولمائِها ولأَرْضِها،

عَنِّي لِكُلِّ حُرُوفِها:

صَوْتِي ذِرَاعٌ

وهوأي خَاصِرَةُ الكَلَامِ.

لِمَ لَا تَكُونُ الْأَبْجَدِيَّةُ حُبِّه

وسريرُهُ،

ويكون حَارِسُهُ الْهُيَامُ؟

- ٢ -

المَهْدِيُّ «القَضَابُ»^(١)

أَمِيرُ الْقِتْلَةِ:

هذا ما قالوه عنه.

وقالوا:

كان الإنسانُ أَخْسَ

وأدنى

بين يديه، مِنْ بَضَلَةٍ.

- ن -

مُرْسَلُ أَنْتِ أَيْضاً؟

أَفَلَنْ تَفْهَمَ السَّمَاءَ

أَنْ وَجْهَ التَّخِيلِ وَوَجْهَ التَّجِيلِ،

على أَرْضِنَا،

سَوَاءً؟

* قال لِلشَّمْسِ: خَذِينِي

طَيِّبٌ أَنْ نَدْخَلَ الْآنَ إِلَى وَاحِدَةٍ

نَخْلٍ،

وأرى جِسْمَكَ ظِلًّا،

وأرى جِسْمِي مَرْسُومًا عَلَى

أَغْصَانِهَا.

(١) سُمِّي الْخَلِيفَةُ الْمَهْدِيُّ
«قَضَابُ الزَّنَادِقَةِ».

- س -

- «هل تجوز له الإشتباه؟

- لا تصح

كما يأمر الشرع، إلّا...

- هوذا طائر

خذه واذبّحه. هذي

صورة لنبئك: أبصق عليها وعلى
المانوية - أعمالها،

وأقوالها،

والكتابة^(١).

- ع -

طلب الشاعر^(٢) العفو،

لكنهم قتلوه.

- خ -

أخذ الليل من حلب ساعديها

أخذ الفجر شباكها، -

سفر

تحوّل فيه الجراح إلى أغنيات.

سفر...

سنقول الصحاري سقنا رحيق أساطيرها

ونمتنا فضاءاتها،

وسنرجو،

باسم أحلامنا،

أن تنام التوافد غريانه،

وتسوس السماء فراشاتها.

* إنها الشمس تؤاخي، وتسترسل

في مزج هواها بهواه، -

ما الذي يرتسم الآن على أهدابه،

ما الذي تحتضن الآن يدها؟

(١) يُروى أن القاضي كان يطلب من المتهم بالزندقة في اشتباثته، أن يبصق على صورة ماني، وأن يذبّخ طائراً، وكانت المانوية تحرم ذبح الحيوان.

(٢) هو صالح بن عبد القدوس الذي حوكم بتهمة أن شعره يظهر الحكمة والفضيلة، ويطن الشريعة والزندقة. وقد طلب العفو، لكنه قُتل.

- ذ -

حَلَبٌ - أَتَخِيلُ أَيَّامَهَا

تَتَفَتَّحُ مِثْلَ الزَّهْرِ

فِي فُضَاءِ الْبَشَرِ

هُوَ ذَا عَهْدُنَا، -

سَنَكُونُ لَهَا نَبْضُهَا

سَنَكُونُ لَهَا صَوْتُهَا.

بِاسْمِ هَذَا اللَّهَبِ

سَأُسَمِّي السَّرَابَ تَرَاباً

وَالْبِلَادَ وَأَفَاقَهَا حَلَبٌ.

- ف -

- قل لي،

مَاذَا تَحْفَظُ مِنْ آيَاتِ

الْقُرْآنِ؟

....

- لاشيء؟ معاوي، قُمْ

وَأَقْتُلْ.

- وَلَدِي! لَا أَقْدِرُ،

- قُمْ يَا عَبْدُ أَقْتُلْهُ،

أَقْتُلْ هَذَا الشَّيْطَانَ^(١).

- ص -

لا ماوى

لِلشُّكَاكِ، وَلِلخُلَعَاءِ،

وَأَهْلِي الْكُفْرِ،

إِلَّا الْفَقِيرَ.

* لَا يَقُولُ لِهَذَا الدَّمِ الْمَتَمَلِّمِ فِي

جَسْمِهِ

الْمُضْطَرَبِ

غَيْرَ مَا قَالَهُ مِرَاراً: إِغْتَرِبْ، إِغْتَرِبْ.

(١) حوار بين الخليفة
المهدي وعبد الله بن
معاوية بن يسار بحضور أبيه
معاوية وكان من وزراء
المهدي، حيث تم قتل الابن
بإيد أحد لعبيد.

- ض -

ما أقولُ لهذي الدُّروب، لبتلك
الدُّروب التي سَبَقَتْها، وما ذا أقولُ
لِذاك الوردِ؟
للْهُيام الذي مَرَّ في جبره واحترق؟

ما أقولُ لشعري فيها،

وهو المُلْتَقَى، وهو المُفْتَرَق؟

(١) هو آدم حفيد الخليفة
عمر بن عبد العزيز. ضربه
المهدي ثلاثمئة سوط بنهمة
الزندقة. كان يقول «والله
ما أشركتُ بالله طُرْفَةً عين.
ومنى رأيت قرشياً تزندق؟
ولكنه طرب غلبنى، وشعر
طفخ على قلبي، وأنا فتى من
فتيان قریش أشرب التَّبِيد،
وأقول على سبيل المجون».

(٢) إبراهيم بن سَيَّابة، كما
وصفه الأصفهاني.

- ق -

لم يكن آدم^(١) يتزندق،
ما قاله

جاء فيضاً على القلب،
من طربٍ وإتشاء.

كان هذا مُجوناً،

ويؤكد أصحابه:

لم يكن آدم مُشركاً.

- ر -

كان خليعاً^(٢)

يَهْوَى الغُلْمَان

ويعيش رفيقاً للمجان.

* لبسَ التَّوَرَّ ليحيا في الليل بعيداً،
ولكي يَبْقَى
لامرئياً.

- ظ -

يَهْبِطُ اللَّيْلُ - أَحْلَامُنَا

سُرُرٌ وَثِيَابٌ لَهُ.

يُشْرِقُ الْفَجْرُ - أَعْمَالُنَا

وَأَقْوَالُنَا

سُقْنٌ وَبِحَارٌ لَهُ.

يربط الوقت أهدابه بميثاقنا.

هَيَّءِ الْحَبْرَ، أَنْصِتْ لِمَا سَتَقُولُ

وما نفعلُ،

أَيُّهَا الزَّمَنُ الْمُقْبِلُ.

- ش -

سَوْفَ أَصْلِبُهُمْ كُلَّهُمْ^(١) -

نَصَبُوا أَلْفَ جَذَعٍ

كِي يُدْلُوا

فَوْقَهَا - وَاحِدًا وَاحِدًا.

- ت -

اسْتَنْتَى هَارُونَ^(٢) زُنَادِقَةً

مِنْ عَفْوٍ أَضْدَرَهُ.

- ث -

لَا أَبَدِيَّ

إِلَّا فِي مَوْجِ الزَّائِلِ

هَاتِ الْمَعْنَى، يَا سَيِّدَ عَمْرِي،

وَأَمْكُنْهُ فِي هَذَا السَّائِلِ.

(١) نصب الهادي ألف جذع

لصلب الزنادقة قاتلاً:

لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة

كلها، حتى لا أترك منها عيناً

تطرف.

(٢) استثنى الخليفة الرشيد

الزنادقة من عفو عام أصدره

سنة ١٧٠ هـ = ٧٨٦ م.

* هوذا يحملُ روحين لكي يدخلَ في

دِفءٍ حَلَبٍ:

روحَ لَيْلٍ أَشْعَلَ الْكُوفَةَ قَنْدِيلًا،

وروحاً لِلْغَضَبِ.

- غ -

هذي، إذن حَلَبُ:

شَهَاء تَضْرِبُ فِيهَا الشَّمْسُ خِيَمَتَهَا

يَحْفَهَا التَّيْنُ وَالزَّيْتُونُ وَالْعِنَبُ.

يا للبياض - صَعَدْنَا فِي مَدَارِجِهِ

نَعْلُو، نُقَابِسُهُ

وَنَسْتَشِفُّ، وَنَسْتَصْفِي، وَنُحْتَلَبُ

تُضِيئُنَا نَارُ جَبْرِ لَا نَفَادَ لَهُ

وَنَسْتُضِيءُ بِهِ الْأَقْلَامُ وَالْكَتَبُ

فِي سَيْرِنَا مِنْ مَرَاسِي جَمْرِهِ لَهَبُ

وَفِي مَسَالِكِنَا مِنْ ضَوْئِهِ شُهْبُ.

- خ -

أَلَفَ ابْنُ عَطَاءٍ^(١)«أَلَفَ مَسْأَلَةً» كَي يَرُدَّ عَلَى
الزَّنْدَقَةِ،هَكَذَا فَعَلَ ابْنُ الْحَكَمِ^(٢)وَمُحَمَّدُ^(٣) وَالْحَسَنُ الْمَوْسَوِيُّ^(٤)وَأَحْمَدُ^(٥) وَاللَّيْثُ^(٦)، ثُمَّ

أَضَافُوا:

الرَّازِي^(٧)وَالْمَسْعُودِي^(٨)وَأَبُو عَثْمَانَ الرَّقِّيَّ^(٩).

(١) واصل بن عطاء.

(٢) هشام بن الحكم «الرد

على الزنادقة»، «الرد على

أصحاب الاثنين».

(٣) أبو علي محمد بن

عبد الوهاب الجبائي: «الرد

على أصحاب التناسخ

والخرمية».

(٤) أبو محمد الحسن بن

موسى النويختي: «الرد على

أصحاب التناسخ».

(٥) أحمد بن حنبل: «كتاب

الرد على الزنادقة والجهمية».

(٦) أبو الربيع محمد بن

الليث الخطيب: «كتاب الرد

على الزنادقة».

(٧) أبو بكر محمد بن زكريا

الرازي. «الرد على المانوية».

(٨) المسعودي: «الإبانة في

أصول الديانة».

(٩) أبو عثمان الرقي: «الرد

على الملحدين وأصحاب

الائتين».

* شِعْرُ طِفْلٍ

يَتَشَرَّدُ فِي فَلَوَاتِ الْمَعْنَى

الْعَالَمُ فِيهِ فَرْدٌ

وَالشَّاعِرُ - حِينَا جَمْعٌ، حِينَا ثَالُوثٌ،

حِينَا مُثْنَى.

هوامش



أنا الغريق،
فما خَوْفي من البَلَلِ؟

المتنبي

رابعة العدوية

توفيت نحو سنة ١٣٥ هـ.

بيعت كمولاة لأحد التجار.
احترفت العزف والغناء، ثم
تصوّفت. قالت بفكرة «الحب
الإلهي» وأولت الوصف
الحسي الشهواني في القرآن،
رمزياً، وروحياً.

قُلْتُ أَضْنَاكِ جَمْرُ النُّحُولِ، وَلَكِنْ
أَهْنَاكِ لِلْحَبِّ ثَوْبُ
غَيْرِ مَا يَنْسُجُ النُّحُولُ.

السَّلامُ عَلَى بَرِي أَقْلَامِهِ،
وَالسَّلامُ لِآثَارِهِ - لِدَوْرِهِ
تَنَاقَلُ فِي ظِلِّهِ
وَتَقُومُ وَتَقْعُدُ فِي دَارِهِ.

عِطْرُكِ الْآنَ يَزُوي أَسَاطِيرَ عُشَاقِنَا
وَرَدَّةٌ وَرَدَّةٌ،
فِي كِتَابِ الْحَقُولِ.

أبو دلامة

كوفي، اسمه زيد بن
الجون
كان كما يروون «عبدًا حبشيًا
فصيحًا، خليعًا ماجنًا». توفي
سنة ١٦١ هـ.

ذلك السيد الماكرُ الماجنُ:

شعره وجهه -

فيهما يصبح السوادُ بياضاً

والبياض سواداً،

وتُلَوَّنُ لِلخَمْرِ قُمصانها.

لم يُطْلَقْ كأسه السالفون، وأعرضَ عن لمسها

ماؤهم، -

ماؤهم آجِنُ آسِنُ.

سفيان الثوري

توفي سنة ١٦١ هـ.

والنص قائم على حوار بينه
وبين الخليفة المهدي.

(١) أحد الأشخاص من بطانة
الخليفة.

- قل لماذا تفرّ هنا وهناك مِنّا؟

أَتظنُّ بأنّا

لو أردناكَ نَعجزُ؟ قُلْ لِي ماذا

نحكم الآنَ فيكَ؟

- إلهٌ قادرٌ عادِلٌ

حاكِمٌ فيكَ : يَثْبُتُ حَقُّ

وَيُزْهَقُ، في حكمِهِ، الباطِلُ.

- مالهُ الجاهِلُ؟

أبهذا يُقابِلُ من كان مثلكَ؟ إِيذَنُ لَأُضْرِبَ^(١) . . .

- وَيَلِكُ، أُسْكُتْ

لا يَريدُ سوى ذاكَ : يمضي سعيَداً

ونسقى نحنَ في قَتْلِهِ.

اكتبوا عهده قاضياً لا يُرَدُّ له أيُّ حُكْمٍ.

كتبوا عهده في كتابٍ، ولكنَّ سفيانَ فَرَّ، وألقى

بالكتابِ إلى دجلةِ.

إبراهيم بن أدهم

توفي سنة ١٦١ هـ. وهو
زاهد ومتصوف مشهور.

لا أريد قميصاً،

ولن أتعَمَمَ في الصيف. أمشي

حافياً مثل غيري من الفقراء، وأحيا

عاملاً في الحصاد، وفي الحمل والطحن، سُخْقاً

للسلاطين والأغنياء.

لا أريد سوى فَرْوَةٍ في الشتاء،

وأصومُ كَأَنِّي لا مُلْك، لاشيء في الأرض عندي،

سوى شمسها والهواء.

مطيع بن إياس

توفي سنة ١٦٩ هـ. أنهم
بالزندانة.

هَذَا الْوَلَهُ الْمَتَفَجِّرُ فِينَا لَكِي يَغْبِرُ

الْحُبُّ طَلْقاً

إِلَى هَوَاةِ الْفَجِيعَةِ،

أَوْ مُخْدَعِ الْحَبِيبَةِ، -

فَاغْفُرِي مَا تَقَدَّمَ أَوْ مَا تَأَخَّرَ مِنْ ذُنُوبِنَا

(إِنْ حَسِبْتَ خَطَانَا ذُنُوباً)،

يَا جَسُورَ التَّعَقُّلِ، يَا هَذِهِ الْجَسُورَ الْغَرِيبَةَ.

السيد الحميري

توفي السيد الحميري
سنة ١٧٣ هـ.

لم يَتَلْ شعرة

في الزواية ما يَسْتَحِقُّ، وفُسرَ هذا:

«كان يَهْوَى بني هاشم». وأضافوا:

«كَانَ يُفْرِطُ فِي النَّيْلِ مِنْ بَعْضِهِمْ،

ومن بَعْضِهِنَّ - نساءِ النبي،

وصَحْبِ النَّبِيِّ».

وتقول الرواية عن ناقدٍ كان من صفوة العارفين

أَنَّهُ قَالَ: «بَشَارُ وَالْحَمِيرِي

أَشْعَرُ الْمُحَدِّثِينَ»^(١).

(١) الناقد هو أبو عبيدة
معمر بن المثنى.

الخيزران

ماتت في سنة ١٧٣ هـ.
أخذت العلم عن الإمام
الأوزاعي.
قُتل ابنها الهادي بأمرٍ منها:
جلست جواربه على وجهه
وخنقته.

شهوة الخيزران

تسهر الأرض فيها، جَحِيمَةُ الوَقْتِ،

فَرَّاسَةُ المكانِ

وَتَوْسُسُ فيها النساءِ

لِلهَبَاءِ الذي لا يَغْتِي لغير الهَبَاءِ.

أبو إسحاق الزُّهري

- ١ -

ضربَ العودَ عَنِّي عليه، وأَباحَ السَّماعَ
كان من علماء الحديث. . تولَّى القضاءَ ببغدادَ،
كان البخاري يروي له، وروى مسلمٌ له.
هكذا، سوف نمضي إليه، ونسألُ:

ماذا سَنَعَصِي

وكيف نُطِيعُ الذي لا يُطَاعُ؟

- ٢ -

أَعْطِ الموسيقى

أَجْمَلُ ما يعطيه

رجلٌ لحبيبتِهِ.

نَاغِ العودَ أَطْعُهُ، واجمِخْ مَعَهُ، وأَبِخْ

شَهواتِ العَزْفِ، اصْأَعِذْ فيها، واهْبِطْ

أَتَى شَتَّى، وكيف تشاء

واغْبِطْ من عَنِّي

من قال الموسيقى

لغةً أُخْرَى للأشياءِ، وَأَرِضْ أُخْرَى للأشياءِ.

موسيقار ومن العلماء

الشفقات بالحديث. روى له

البخاري ومسلم. ولَّى القضاءَ

ببغداد. كان يبيع السَّماعَ،

ويضرب العودَ، ويغني عليه.

توفي سنة ١٨٤ هـ.

سَلَمُ الخاسر

مات سنة ١٨٦ هـ ماجن
فاسق من تلامذة بشار وسني
الخاسر لأنه ورث من أبيه
مصحفاً فباعه واشترى بثمانه
طنبوراً.

يقول بشار: من راقب الناس
لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الخائبك اللهبج.
ويقول سلم الخاسر: من
راقب الناس مات غماً/ وفاز
باللذة الجسور.

هي مفتونة، وأنا شهوة

وكلانا بلا مرفأ:

كيف نُرسي معاً، ونفوض للموج أثقالنا؟

هي ذي نشوة

لذئاب تباريحنا

تتلقف أحشاءنا -

أتراها ستجتث أحزاننا ومراراتنا؟

أتراها ستمحو الدروب التي شقها الموت فينا؟

آه، طنبور تبهي صاحب حائر -

هو صنو الحياة، ورايح أقداحها

وأنا الخاسر.

جعفر البرمكي

(١) هذه الأبيات صياغة
وتنويح.

فقد قال هارون الرشيد مرّة،
بعد قتله جعفر البرمكي،
كلاماً بالمعنى نفسه.

قال هارونُ يرثيه (هل كان يضحكُ،

أم كان يبكي؟):

يا أخي^(١)، لا يُطِيقُ الفَلَكُ

كوكِبَيْنِ يَجِثَانِ فِي زَمَنِ وَاحِدٍ

وَيَخْطَانِ وَجْهَيْهِمَا بَغْدٍ وَاحِدٍ،

ولذا أَسْتَمِيحُكَ عُذْرًا،

فلا بُدَّ أَنْ أَقْتَلَكَ.

دفاتر الفلك

سيمائي

لَقِيطُ النجوم

اسمه أبجد

(١) «التاريخ يومٌ ينسب إليه ما يأتي بعده».
(المقريزي، الخطط، ص ٤٦٩).

✽

«تاريخ كل شيء آخره، وهو في الوقت غايته، يقال: فلان تاريخ قومه، أي إليه ينتهي شرفهم».

(قدامة بن جعفر، الخراج: ذكره المقريزي، الخطط، ص ٤٨٤).

✽

«فأما التاريخ، فأول من فعله في الإسلام عمر بن الخطاب.

(...) فقبل له: لو أُرُخْتُ يا أمير المؤمنين لكنّ تعرف الأمور في أوقاتها. فقال: وما التاريخ؟ فأُغْلِمَ ما كانت العجم تفعله. فقال: أُرُخُوا».

(المبرّد، الكامل: ١٤٣/٢).

✽

(٢) بينهم علي بن دينار، الشاعر والخطاط، الزاهي، الشاعر والمتكلم، ابن نباتة، الخطيب.

✽

صديقٌ للمتنبّي ونجّي لأهوائه

يعيش على قارعة الهواء في سفر دائم، يقرأ دفاترُ الفلك ويؤرّخ^(١) للمدن.

في حلب، انضمّ إلى حلقة الأصدقاء^(٢) الذين كانوا يتدارسون شعر المتنبّي في ضيعته، الصّفّ، قرب المعرّة، أو في بيته، في سبّعين، باب حلب. كان أبجد يسمر معهم اللّيل، ويروي لهم سيرة المدن التي عرفها. وكان بين ما يرويه وشعر صديقه مطابقات غريبة يحارون أحياناً في تأويلها. غير أنّ ما يرويه، وهذا ما يعترف به، كان مليئاً بالرموز والإشارات، وهو إذن، ليس سهلاً على الفهم.

دَوَّنَ علي بن دينار رواية أبجد كما سمعها، مضيفاً إليها تأملات أبجد وانطباعاته الخاصة التي كان يدوّنُها في دفترٍ خاصّ سمّاه «دفتر الذكرى»، نقله علي بن دينار بخطه.

تنشر الرواية والمذكرات، هنا، للمرة الأولى طبقاً لأصلها في المخطوطة التي تركها علي بن دينار. الرواية مكتوبة بصيغة الضمير الغائب، هو. والمذكرات مكتوبة بصيغة المتكلم، أنا.

زاد أدونيس على الرواية أشياء جدّت في العصور التالية لعصر المتنبّي، وأشياء رآها في العصر الحاضر، خصوصاً في ما يتعلّق بمدينة حلب وقلعتها.

الرواية

I

القلعة^(١)، -

لا يجفّ دم الحرب، قَتَلَهَا كمثل إِبْرَ في يد الرّيح،
تخيّل لِلزّمن ثوبه الأكثرُ التصاقاً بجسده. قد يتغطّى
هذا الدّم، حيناً، بالكلام. قد يختبئ، حيناً، تحت
غبارٍ ما. لكن يكفي أن ترى إلى المكان الذي سال
فيه، أو يكفي أن تنبّه إلى كلمة أو إشارة أو حدث
حتى ينبجس.

لا يجفّ دم الحرب

في المدن التي بنيت على صورة القلعة،

في القلعة التي بنيت على صورة المدينة الأولى.

كانت الملائكة قد جرّت السّمس إلى باب القلعة.
ورأى أبجد في ضوئها، أنّها بدأت خطواتها في أيام
سلوقس نيكادور، قبل المسيح بثلاث مئة واثنين عشرة
سنة. ولما صار فيها تلامذة للمسيح، أخذ يتعاش
تحت رايتها عابِدُو السّماء: يهوداً ونصارى،
والسّاجدون لوجه الحجر الذي كان يُسمّى صنماً،
والسّاجدون للثّار.

(١) «حلب، اسم كان في
البداية لقباً للتلّ الذي تقوم عليه
القلعة. ويروى أن سورية هي
الثّام الأولى، وهي حلب وما
حولها من البلاد. وفي طرف
حلب بناحية الأحص، مدينة
عظيمة دائرة، وبها آثارٌ قديمة
يقال لها سورية، وإليها
يتنسب القلم السّورياني.

وقيل كان إبراهيم
الخليل، حين يمضي شمالاً،
من الأرض المقدسة، ينتهي
إلى ذلك التلّ - يضع أثقاله
ويبيت رعاة قطعانه من الغنم
والماعز والبقر، إلى الفرات
وماحوله، وإلى الجبل
الأسود الذي هو جبل
الأمانوس.

ثم هَلَلْتُ لخيول أبي عبدة وسيوفه .

وقيل كان الفقراء يجيئون
إليه من كل ناحية في
الشمال . كان يأمر الرعاة
بخلب ما معهم طول النهار ،
وإعداد الطعام وروضع هذا كله
في الطرق التي تحيط بالتل .
وكان الفقراء السوافدون
يهلّلون ، قائلين :

خَلَبَ إبراهيم !

وقيل إن إبراهيم لما قطع
الفرات من حرّان (عرفت
أسماء عديدة : أوديثة ،
أذانا ، الزها ، أورقة - اليوم) ،
وكانت مدينته الأولى ، وفيها
زُمي بالنار ، أخذ يتصدق على
الكنعانيين من قطعانه . وفي
أرض حلب ، حفز لهم الآبار
والأعين ، ومنها العين التي
سُميت باسمه ، وهي التي
بنيت عليها مدينة حلب .

وفي رواية أن بطليموس
هو الذي بنى مدينة حلب
وسماها أشمونيت ، ومعناها
عين الماء . ورأى الأعين التي
بحيلان وهي من قرى حلب
العامرة ، فأمر المهندسين أن
ينوا المدينة ، وأن يجزّوا هذه
الأعين إليها في قساطل .
وأخر ما بنى فيها باب
أنطاكية .

هكذا شعر أنه يجيء إلى القلعة من لا جهة ،
أعني من تلك الجهات الخاصة حيث تبتكر الأسلحة
التي لاتشيخ ، وحيث تظل النباتات في سهرٍ دائم .
وكان قد نَزَعَ أقفال المتاهات وغيّر أسرارها .

- كيف ستواجهه ، إذن ، سبعة آلاف من السنين ؟ سألته ،
من بعيد ، حجارة كلسية بيضاء .

تلك هي أزمان ، كما يقول رقيم من إيبلا .

وهي نفسها حلب ، كما يقول رقيم من ماري .

وهي نفسها بيزوا ، مسقط رأسه - عنيث والد الإسكندر
المقدوني ،

أسماء كثيرة لحجرٍ واحد !

قال في نفسه : استأذن أرسطو تلميذه الإسكندر للبقاء
فيها حتى يَشْفَى ، فمن تُراني استأذن لكي أدخل إليها ؟

كان مضطرباً كمن يشاهد ذاكرته تتقلّ في غابةٍ كمثل
يمامةٍ خائفة . لم يبح لأحدٍ باضطرابه . وكانت اللّغة
تتغلغل هاربةً منه ، في الأشياء ، التي تتغلغل في أحشاء
القلعة .

أخَذَتْهُ نَشْوَةُ الْكِتَابَةِ : لَا يَهْبِطُ الْإِنْسَانُ فِي الشَّيْءِ
إِلَّا وَهُوَ يَهْبِطُ فِي نَفْسِهِ .

هَلْ سَيَنْبُشُ الْقَلْعَةُ وَيَقُولُهَا ، كَأَنَّهُ يَنْبُشُ جِسْدَهُ
وَالْمَدَنُ الَّتِي زَارَهَا؟ إِذَنْ ، سَوْفَ يَسْتَأْذِنُ الْقَلَمَ - أَوَّلَ
الْحَلْقِ .

احْرَسُهُ ، أَيُّهَا الشَّعْرُ .

وَسَوَّسَ لَهُ الْقَلَمُ : اقْرَأْ ، اقْرَأْ أَوَّلًا أَحْشَاءَ الْمَدَنِ
وَأَكْبَادَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ جَدُّكَ الْمُنْجَمُ الْأَوَّلُ .

رَوَى السَّلْفُ الصَّالِحُ «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ ،
فَنَظَرَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَاخْتَارَ مَوْضِعَ الْمَدِينَةِ الْأُولَى ،
الْحَرَمَ ، أَوِ الْبَيْتَ الْحَرَامَ . هَبِطَ ، وَبَنَى . جَاءَ بِالْحِجَارَةِ
مِنْ سَبْعَةِ جِبَالٍ ، وَقِيلَ مِنْ خَمْسَةِ : حِرَاءَ ، ثُبَيْرَ ، لُبْنَانَ ،
الطُّورَ ، الْجَبَلَ الْأَحْمَرَ .

الْمَلَانِكَةُ هِيَ الَّتِي نَقَلَتْ الْحِجَارَةَ .

لَمَّا فَرَعَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ^(١) ، الْمَدِينَةِ
الْأُولَى ، جَاءَ جِبْرَائِيلُ وَقَالَ لَهُ :

- طُفْ بِهِ سَبْعًا .

طَافَ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ مَعَهُ سَبْعًا ، وَاسْتَلَمَا
الْأَرْكَانَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ .
ثُمَّ أَرَاهُمَا جِبْرِيلُ الْمَنَاسِكَ : الصَّفَا ، الْمَرْوَةَ ، مِثًى ،

وَفِي رِوَايَةٍ «أَنَّ بِلُوكُوسَ
الْمَوْصِلِيِّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى
هَذِهِ الْمَدِينَةَ . وَيُسَمِّيهِ
الْيُونَانِيُّونَ سَرْدِينِيلْيُوسَ ،
وَخَلَفْتَهُ عَلَى الْعَرْشِ ابْنَتُهُ
أَطُورَا الْمُسَمَّاةُ سَمِيرَامَ .
وَشَاهَدَ بَعْضُهُمْ عَلَى ظَهْرِ
كِتَابٍ عَتِيقٍ فِي حَلَبَ عَلَى
بَابِ أَنْطَاكِيَةِ كِتَابَةً بِالْيُونَانِيَّةِ
هَذِهِ تَرْجُمَتُهَا : «بَنَى هَذِهِ
الْمَدِينَةَ صَاحِبُ الْمَوْصِلِ ،
وَالطَّالِغُ الْعَقْرَبُ وَالْمَشْتَرِي
فِيهِ ، وَغُطَارْدُ يَلِيهِ ، وَلِلَّهِ
الْحَمْدُ كَثِيرًا» .

(١) «جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ
(ص) وَعَلَيْهِ عَصَاةٌ حُمْرَاءُ ،
وَقِيلَ خُضْرَاءُ ، عَلَاهَا الْغُبَارُ :
- مَا هَذَا الْغُبَارُ ، أَيُّهَا
الرُّوحُ الْأَمِينُ؟

- زَرْتُ الْبَيْتَ . كَانَتْ
الْمَلَانِكَةُ مَزْدَحِمَةً عَلَى الرُّكْنِ ،
وَهَذَا غُبَارُ أَثَارَتِهِ أَجْنَحَتْهَا» .

✽

«قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
لِكَعْبٍ :

- أَخْبَرَنِي عَنْ الْبَيْتِ
الْحَرَامِ .
قَالَ :

- أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ
أَدَمَ . قَالَ لَهُ : هَذَا بَيْتِي أَنْزَلْتَهُ

مُزْدِلِفَةً، عَرَفَةَ.

لَمَّا دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنَى هَابِطاً مِنَ الْعَقْبَةِ تَمَثَّلَ لَهُ إِبْلِيسُ
عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ.

قَالَ لَهُ جَبْرِيلُ:

- إِزْمِهِ.

رَمَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، فَغَابَ عَنْهُ.

ثُمَّ بَرَزَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوَسْطَى، فَقَالَ جَبْرِيلُ:
- إِرْمِهِ.

رَمَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ فَغَابَ عَنْهُ.

ثُمَّ بَرَزَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ السُّفْلَى، فَقَالَ جَبْرِيلُ:
- إِرْمِهِ.

رَمَاهُ إِبْرَاهِيمُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ فَغَابَ عَنْهُ.

مَضَى إِبْرَاهِيمُ فِي حَجَّهِ، يَرِافِقُهُ جَبْرِيلُ، وَيَعْلَمُهُ
الْمَنَاسِكُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَرَفَةَ.

- أَعْرِفْتَ مَنَاسِكَكَ؟

- نَعَمْ.

وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ عَرَفَاتُ.

مَعَكَ، يَطَافُ حَوْلَهُ،
وَيُصَلِّي، كَمَا يُطَافُ حَوْلَ
عَرْشِي وَيُصَلِّي، وَالْمَلَائِكَةُ
هِيَ الَّتِي رَفَعَتْ قَوَاعِدَهُ.

(١) «قَالَ النَّبِيُّ (ص) لِعَائِشَةَ،
وَهِيَ تَطُوفُ مَعَهُ بِالْكَعْبَةِ،
حِينَ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ: «لَوْلَا
مَا طَبَعَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ، يَا
عَائِشَةُ مِنْ أَرْجَاسِ الْجَاهِلِيَّةِ
وَأَنْجَابِهَا، إِذَا لَا تَشْتَفِي بِهِ
مِنْ كُلِّ عَاهَةٍ. وَإِذَا، لِأَلْفِي
الْيَوْمِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ.
وَلَكِنَّ اللَّهَ غَيَّرَهُ بِمَعْصِيَةِ
الْعَاصِينَ، وَسَرَّزْنِي عَنْ
الظُّلُمَةِ وَالْأَلَمَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى شَيْءٍ كَانَ
يَدُوهُ مِنَ الْبَخْتَةِ».

❦

«عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ:
خَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
إِلَى مَكَّةَ. لَمَّا دَخَلْنَا الطَّوَافَ،
قَامَ عِنْدَ الْحَجَرِ (الرُّكْنَ)
وَقَالَ: «أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ
لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْبَلُكَ مَا
قَبَّلْتُكَ».

ثُمَّ قَبَّلَهُ، وَمَضَى فِي
الطَّوَافِ».

❦

ثُمَّ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُؤَدِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ . قَالَ :

- يَا رَبِّ ، صَوْتِي لَا يَبْلُغُ .

- أَذِّنْ ، وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ .

عَلَا إِبْرَاهِيمَ الْمَقَامَ . أَشْرَفَ بِهِ حَتَّى صَارَ أَرْفَعَ الْجِبَالِ وَأَطْوَلَهَا . جُمِعَتْ لَهُ الْأَرْضُ يَوْمَئِذٍ : سَهْلُهَا وَجِبَلُهَا ، بَرَّهَا وَبَحْرُهَا ، إِنْسُهَا وَجِنَّهَا ، حَتَّى أَسْمَعَهُمْ جَمِيعاً . أَدْخَلَ إِصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ . أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ يَمِيناً شَمَالاً شَرْقاً غَرْباً . قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ . أَجْبِئُوا رَبَّكُمْ . أَجَابُوهُ مِنْ تَحْتِ التَّخُومِ السَّبْعَةِ ، وَمَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ كُلِّهَا : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .

كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَحْجُّ كُلَّ سَنَةٍ عَلَى الْبُرَاقِ .

وَقِيلَ حَجٌّ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ ، مَا شِئِينَ . بَعْدَ ذَلِكَ ، حَجَّتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأُمَمُ .

بَيْنَ الرُّكْنِ^(١) وَالْمَقَامِ وَزَمَزَمَ قُبُورُ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَبِيًّا جَاءُوا حُجَّاجاً . مَاتَ فِيهَا آدَمُ وَنُوحٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ .

حَجَّ مُوسَى عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ .

«كُنَّا جُلُوساً فِي الْحَجَرِ ، وَإِذَا نَحْنُ بِبَرِيقٍ حَيٍّ ذَكَرَ . اشْرَأَبَتْ لَهُ أَعْيُنُ النَّاسِ . طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعاً . صَلَّى رَكَعَتَيْنِ . قُلْنَا لَهُ : أَيُّهَا الْمُفْتِيرُ ، قَضَى اللَّهُ نُسُكَكَ . بِأَرْضِنَا عَبْدُكَ وَسَفِهَاءَ نَخْشَى عَلَيْكَ مِنْهُمْ . كَذَّبَ بِرَأْسِهِ كُومَةً بِطَحَاءَ ، وَضَعَ ذَنْبَهُ عَلَيْهَا ، وَسَمَا فِي السَّمَاءِ .»

(١) قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : «جَمَعَ جَبْرَائِيلُ لِآدَمَ ، الْحَجَرَ وَالْحَدِيدَ . قَدَحَهُمَا ، فَخَرَجَتْ النَّارُ . وَعَلَّمَهُ ضَعْفَةَ الْجِرَاءَةِ : أَنْزَلَ إِلَيْهِ ثُوراً كَانَ يَحْرِثُ عَلَيْهِ ، قِيلَ هُوَ الشَّقَاءُ .»

*

(٢) مِنْ أَسْمَاءِ مَكَّةَ : بَكَّةُ ، أُمُّ رَحِمٍ ، أُمُّ الْقُرَى ، ضَلَّاحٌ ، كَوْثَى ، الْيَاسَّةُ ، الْحَاطِمَةُ .

«سَمَّيْتُ الْكَعْبَةَ لِأَنَّهَا مَكْتَبَةٌ عَلَى خَلْقَةِ الْكَعْبِ . وَسَمَّيْتُ بَكَّةَ لِاجْتِمَاعِ الزَّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِيهَا . أَوْ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي الطَّوَافِ . أَوْ لِأَنَّهَا تَبْكُ أَغْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ .»

*

حجّ ذو القرنين ماشياً.

لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ قَوْمَ نُوحٍ، رَفَعَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ^(١) إِلَى السَّمَاءِ. قَبْلَ إِغْرَاقِهِمْ، وَوَفْقاً لِرَوَايَةِ السَّلَفِ، لَمَّا تَابَ الرَّبُّ عَلَى آدَمَ، أَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ^(٢). طَوَى لَهُ الْأَرْضَ، فَجَعَلَهَا خُطْوَةً. كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ حَزِيناً يَبْكِي. وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْزَنُ لِحُزْنِهِ وَتَبْكِي لِبَكَائِهِ. عَزَاهُ الرَّبُّ بِخِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِ الْجَنَّةِ وَضَعَهَا لَهُ فِي مَكَّةَ فِي مَوْضِعِ الْحَرَمِ. كَانَتِ الْخِيَمَةُ، كَمَا يُوَكِّدُ السَّلَفُ الصَّالِحُ، يَاقُوتَةَ حُمْرَاءَ تَحْرُسُهَا الْمَلَائِكَةُ مِنْ سُكَّانِ الْأَرْضِ آنَ ذَاكَ: الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ. وَمَنْ أَجَلَ الْمَلَائِكَةُ، حُرْمَ الْحَرَمِ، خُصُوصاً عَلَى حَوَاءَ، لِمَعْصِيَتِهَا. لَكِنْ اسْتَمَرَ آدَمُ يَلْتَقِي بِهَا. وَكَانَ إِذَا أَرَادَ لِقَاءَهَا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ.»

✱

«فِي أَعْلَى مَكَّةَ مَسْجِدٌ يُقَالُ لَهُ مَسْجِدُ الْجَنِّ. يَسْمِيهِ أَهْلُ مَكَّةَ مَسْجِدَ الْحَرَسِ. وَتُسَمَّى مَسْجِدَ الْبَيْعَةِ، إِذْ يُقَالُ إِنَّ الْجَنِّ بَايَعُوا الرَّسُولَ (ص) فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ. وَفَرَبَهُ مَسْجِدُ الشَّجَرَةِ، يُقَالُ إِنَّ الرَّسُولَ (ص) دَعَا شَجَرَةً كَانَتْ فِي مَوْضِعِهِ، لِيَسْأَلَهَا عَنْ شَيْءٍ، فَأَقْبَلَتْ تَخْطُ بِأَصْلِهَا وَعُرُوقِهَا الْأَرْضَ حَتَّى وَفَقَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ. سَأَلَهَا عَمَّا يَرِيدُ، ثُمَّ أَمَرَهَا، فَرَجَعَتْ إِلَى مَوْضِعِهَا.»

✱

- أَذْرَكْتُ فِي الْبَيْتِ،
تَمَثَّلَ مَرْيَمَ وَعِيسَى؟

- «نَعَمْ، أَذْرَكْتُ تَمَثَّلَ
مَرْيَمَ مَرْوَقاً، وَفِي حَجَرِهَا
عِيسَى ابْنَهَا، قَاعِداً مَرْوَقاً.
وَكَانَتْ فِي الْبَيْتِ سِتَّةَ أَعْمَدَةٍ.
وَكَانَ تَمَثَّلَ عِيسَى وَمَرْيَمَ فِي
الْعَمُودِ الَّذِي يَلِي الْبَابَ.»
(حِوَارِ بَيْسَانَ بْنِ جَرِيرَجَ
وَسَلِيمَانَ بْنِ مُوسَى الشَّامِيِّ
وَعَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحَ).

✱

*

«كانت الكعبة مبنية برُضَم يابس ليس بمدرٍ . كان بابها بالأرض، ولم يكن لها سقف وكانت الكسوة تُدلى على الجدران من خارج وتُربط من أعلى . كان في بطنها إلى يمين من دخلها، جبٌ بوضع فيه ما يُهدى إليها من مالٍ وجليٍّ . على ذلك الجب حية تحرسه بعثها الله منذ جرحهم، ذلك أنه عدا عليه قومٌ منهم سرقوا ما فيه مرة بعد مرة . حرسه الحية بعد ذلك خمسمئة سنة حتى زمن قريش . وكان قرناً الكبش الذي ذبحه إبراهيم معلقين في بطن الكعبة . ثم إن امرأة ذهبت تجتر الكعبة، طارت من مجمرتها شرارة أحرقت كسوتها . ثم جاء سيل عظيم دخل الكعبة وصدع جدرانها . . . إلخ» .

*

«كان عمر بن الخطاب، إذا رأى البيت . قال: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحِينَ رَبَّنَا بِالسَّلام» .

*

كان البيت يدعى قادساً، وناذراً، والقرية القديمة والعتيق» .

«مرض آدم قبل أن يموت . لم يطل مرضه أكثر من أحد عشر عاماً . قبيل موته، أوصى بعلمه كله إلى ابنه شيث . أوصاه كذلك أن يخفي هذا العلم عن قابيل وأبنائه لأنه قتل هابيل .»

(رواية ابن الأثير)

روى أبو هريرة أن الله قبض يديه، وقال لآدم:

«- اختر يا آدم .

قال آدم:

- أحببتُ يمين ربِّي، وكلتا يديه يمين .

فتح الله قبضته اليمنى، فإذا فيها صورة آدم وذريته كلهم، وإذا كل رجل منهم قد كتب عنده أجله .

وكان مكتوباً لآدم أن يعيش ألف سنة .»

(رواية ابن الأثير)

«عاشت حواء بعد آدم سنة واحدة .

لَمَّا ماتت، دفنت معه في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز . بقيا معاً حتى جاء الطوفان . أخذهما

نوح،

وضعهما في تابوت وحملهما في السفينة.

عندما غاضت الماء وانتهى الطوفان، ردهما نوح
إلى الغار وكانت حواء قد غزلت ونسجت وخبزت
وعملت أعمال النساء.

(رواية ابن الأثير)

❖

❖
عن ابن عباس: «الركن
يمين الله في الأرض يصافع
بها عباده، كما يصافع أحدكم
أخاه».

❖

«نزل آدم من الجنة ومعه
الحجر الأسود. لولا أن الله
طمس ضوؤه، لما استطاع
أحد أن ينظر إليه».

❖

«عن عكرمة: «الحجر
الأسود يمين الله في الأرض،
فمن لم يدرك بيعة
رسول الله، فمسح الحجر،
فقد بايع الله ورسوله».

❖

«عن ابن عباس: «نزل
الركن وهو أشدّ بياضاً من
الفضة. ليس في الأرض من
الجنة إلا الركن الأسود
والمقام. هما جوهرتان من
جواهر الجنة. لولا ما منّهما
من أهل الشرك، ما منّهما ذو
عاهة إلا شفاها الله».

❖

«يبعث الله الركن
الأسود، له عينان يبصر بهما،
ولسان ينطق به، يشهد لمن
استلمه بالحق». (حديث).

❖

«أزيل الحجر الأسود من مكانه مراراً. من جرهم
والعمالقة وخزاعة. وآخر من أزاله القرامطة، في السنة
٣١٩هـ. (وقيل ٣٢٠هـ.)، قلعوه وذهبوا به إلى
البحرين. أعاده الخليفة العباسي المطيع لله إلى
مكانه، ووضع له طوقين من الفضة».

❖

«بنيت الكعبة إحدى عشر مرة:

بناية الملائكة، بناية آدم، بناية شيث، بناية إبراهيم
وإسماعيل، بناية العمالقة، بناية جرهم، بناية قصي،
بناية قريش، بناية ابن الزبير، بناية الحجاج. وبنيت
للمرة الحادية عشرة في السنة ١٣٠٩/هـ، في عهد
السلطان مراد».

✽

قال سعيد بن المسيّب:
«أحلف بالله، ما أكل آدم من
الشجرة وهو يعقل. سقته
حواء الخمر حتى سكر، ثم
قادت إليها، فأكل».

(١) ورد ما يشابه ذلك في
رواية على لسان النبي (ص):

«... خرجت مرة، فإذا

بجبرائيل على الشمس، جناح
له بالمشرق وجناح له
بالمغرب. فجئت مسرعاً،

فإذا هو بيني وبين الباب،
فكلمني حتى أنست به. ثم
وعدني موعداً، فجئت له،
فأبطأ عليّ، فأردت أن أرجع،
فإذا أنا به وميكائيل قد سدا
الأفق. فهبط جبرائيل وبقي
ميكائيل بين السماء والأرض.

فأخذني جبرائيل، ثم شقّ عن
قلبي فاستخرجه، ثم استخرج
منه ما شاء الله أن يستخرج.
ثم غسله في طنيت من ذهب
بماء زمزم. ثم أعاده مكانه.

ثم لأُمّهُ. ثم ختم في ظهري
حتى وجدت من الخاتم في
قلبي. ثم قال: اقرأ...
فجعلت لا يلفقاني حجرٌ
ولا شجرٌ إلا قال: السّلام
عليك».

✽

قال كعب الأحبار (وقيل سليمان الفارسي): «شكت
الكعبة إلى ربّها ما نُصب حولها من الأصنام، فأوحى
الله إليها إني منزلٌ نوراً وخالقٌ بشراً يحتون إليك حنين
الحمام إلى بيته. فسئل:

- وهل للكعبة لسان؟

قال:

- نعم، ولها أذانان وشفّتان.»

✽

«النظر إلى الكعبة عبادة. الدّخول فيها دخولٌ في
حسنة، والخروج منها خروجٌ من سيئة.»

✽

«من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً، خرج من الخطايا
كيوم ولدته أمّه.»

✽

«إني لأعرف حجراً بمكّة، كان يُسلم عليّ قبل أن
أُبْعَث»^(١). (حديث برواية مسلم)

✽

الذّكرى

I

المدينة ألف

✽

في المدينة ألف،
يُضيف الصيادون إلى خيوط شباكهم خيوط أحلامهم:
لهذه ألوان الوقت،
ولتلك ألوان الموت.

✽

بعضهم يريد أن يصنع جنة للحرية
لكن بكلمات
لا يقدر هو نفسه أن يتفوه بها.

✽

في المدينة ألف،
تكفي تعويذة واحدة - يُكتب الأبد على وجهها الأول،
والأزل على وجهها الثاني،
لكي يتموج البحر في سُم الخياط،
ولكي تنبت للحجر أجنحة.

✽

حَجَرٌ في المدينة ألف، وجد نفسه فجأة أنه رأس
آدمي.

هذا الرأس وجد نفسه فجأة أنه مسخرٌ لقراءة كتابٍ في
مدح التاج. منذ تلك اللحظة تبارى الرؤوس كلها في هذه
القراءة.

✱

كلا، لن أصف المدينة ألف بما كانت عليه، مثلاً،
مدينة الاسكندرية. كانت هذه المدينة توصف بأنها من الأمكنة
التي يباح فيها كل شيء، والتي يسافر إليها الإنسان لكي
يمارس حريته، دون أي قيد أو أي عائق.
كلا، لن أصف المدينة ألف بأنها «العاهرة الكبيرة»، أو
بأنها، كمثّل مدينة سدوم، رمز للحرية القصوى التي تحول
إلى عبودية قصوى، والتي لا يمكن أن يظهرها إلا المطر الذي
يسيل ناراً... كلا، لن... .

✱

المحو هو الهاجس الأول للمدينة ألف، لكنها تنسى
دائماً أن المحو، هو أيضاً، كتابة.

✱

تسع المدينة ألف لكل شيء، إلا لذلك العضو الصغير
الجميل: القلب.

✱

يقال:

تخرج كلمات من أقفاص تملأ البيوت والشوارع في
المدينة ألف، - كلمات طويلة كالحيال،

ويقال:

ينطق بهذه الكلمات أشخاص لا يتحدثون إلا مع أشباح
تنقسم المدينة ألف، كأنها أسرة ومقاصير.

بعضها، مثلاً: أيها الشقاء ستكون اسماً لهذا الوقت.
وبعضها: لم تعد تقدر أية نجمة أن تتسلل إلى غرفة
الشاعر. وبعض هذه الأسماء، مثلاً أخيراً: عبثاً، تقرع هذا
الباب الذي يسميه غيرك المستقبل.

✱

يُروى أن للنهار والليل في المدينة ألف اشكالاً خاصة
بهما، لا يعرفهما النهار والليل في أية مدينة أخرى.
من ذلك، مثلاً، ان النهار يبدأ في المدينة ألف كأنه قيد
موصول بقيد آخر. صحيح أن له قدمين، لكنهما مأخوذتان
بتسليق جدران غير مرئية. أما يدها فترتقان دون توقف، ثوباً
منسوجاً من تلك الخيوط التي يعرفها أهل الاختصاص، والتي
تصل الرمل بالرمل. من ذلك أيضاً، أن له اذنين لا تسمعان
إلا الكلمات التي تنفخها شفتاه كمثلي الأنابيب، حيناً،
والكرات حيناً آخر، ولا تعرف عيناه أن تنظرا إلى أي شيء،
إلا بدءاً من النظر في مرآة الموت (وفي رواية ثانية: مرآة
الموتى). هكذا تعيش الحرية والحقيقة والحب والنور، وراء
حجاب. وحين تظهر، بين فترة وأخرى، تظهر إما مضرجة
بالدم، أو مغمورة بالخجل.
ومن ذلك أن المدينة ألف ترفع هذا النهار علماً يخفق

على قصورها، وفي شوارعها.

هذا قليل من أشياء كثيرة تروى عن النهار في المدينة
ألف.

أما الليل فهو لا يوصف، أو لنقل: ليس في الحديث
عنه غير الحرج.

※

للأطفال في المدينة ألف غذاء خاص وغريب تستخرج
مادته من مسحوق الرعب. ولهم أسرة متقلبة تشبه الكهوف.

※

هل تعرف كيف ترتفع جدران الدم؟ كيف تتجاور، أو
كيف تتنافر؟ أنت في المدينة ألف لا تتخيلها، بل تصطدم
بها.

※

حطت خوذة على خريطة المدينة ألف (الخريطة التي
بدت كمثلي صورة بحجم التاريخ) وصاحت بملء معدتها:
أيتها الصورة، أنا المعنى.

المدينة باء

※

تبدو الحياة في المدينة باء
ثوباً منشوراً على حبال من الكلام.

※

مكتبة، في المدينة باء،
لا يرى الداخل إليها غير محابر لا حبر فيها، وغير
أقلام لا تكتب، وغير كراسٍ تجلس عليها دُمى بألوان زاهية
ومتنوعة. مكتبة، صممت على شكل ممحاة.

※

قتل الأب في المدينة باء ظاهرة عامة. لكن معظم
الأبناء يتحرون فيما يحاولون قتل آبائهم. ذلك أن معايير
هؤلاء الأبناء، ومرجعياتهم وبنابيع إلهامهم ولغتهم، الآباء
أنفسهم. والمشكلة، حقاً، في هذه المدينة هي انتحار الابن،
لا مقتل الأب.

※

هل سأبدو مجنوناً، إن أكدت لمن يقرأونني الآن، أن
للکمة في المدينة باء، وجهاً وقامةً وأطرافاً. أن لها باختصار
شكل الإنسان؟

※

«الإنسان حيوان ناطق»، يقول أرسطو.

ويقول بهلول المدينة باء: «صحيح أن الإنسان حيوان ناطق، لكنه لا ينطق إلا كذباً: إما لتحسين نفسه، وإما لتقبيح غيره».

✽

هل تريد، حقاً، أن توقظ الآخر في المدينة باء، وأن تفصح عن حقيقته؟

إذن أيقظ نفسك، وأفصح عن حقيقتك أولاً.

✽

لا يعرف الشاعر في المدينة باء، إن كان عليه أن يفرح أو أن يحزن:

كلماته تُحرقُ، كلَّ يوم،

وكلما نضجت جلودها بُدلت غيرها.

✽

المهم في الشعر، بالنسبة إلى المدينة باء، هو رؤية أسنانه، خصوصاً الأنياب. عندما تراها، يسهل عليها - كما تقول - فهمه وتقويمه.

✽

لابدّ من شكر خاص لسياسة الطبيعة في المدينة باء. فهي تنزل المطر من غيمٍ كمثّل غشاء البكارة.

✽

مدينة - صحراء لا ينقطع بريدھا
وليس في الرسائل غير الرمل .

※

هَيِّنْ على اللذّة جسد هذه المدينة،
ألهدا تُداهن الرّغبة الرّغبة،
ويغشّ العضو العضو؟

※

عجباً! كلّ جميل في هذه المدينة يموت لحظة الولادة.
والقتل فيها نشيد لا تتسع لغيره حنجرة الريح .

※

كلّا. أنت في المدينة باء لا تقيم بين جدار وآخر، بل
بين لحظةٍ وأخرى .

※

تحت كل شارع في المدينة باء، شارع آخر
وفوقهما يد الغبار، -
مدينة يسوسها الغبارُ بغلمانه .

※

كلّ في المدينة باء يحاول أن يتشبّه بالحجر، لكي يقدر
أن يتّسع، كمثلّه، لحضور الموت .

※

خلسةً، كلَّ ليلة،
تتسلل إلى المدينة بآء أشباح من عالم آءر،
ملأت الءلوس في بيوتاتها.

✱

أقول لك، أيتها المدينة بآء:
ليس جسءك إلا بذرة تُرمى في تربة جسء آءر.
وليسء الروح إلا مظلة تسهر على الجسء وأحواله.
وأقول لك:
اسمك ممحوءٌ بك، مكتوبٌ بغيرك.
ولا تسلي عن الملح الذي يتكءس في أحشائك التي
تكاء أن تتحول إلى مملحة تتسع لأفطار الأرض.
لهذا لا آحب هذه المدينة الشعر إلا بشرط واحد: أن
يحمل مطرقةً ويدور في الشوارع.

✱

من الأرض آاء كل شيء،
لكن بحيلة ما دبرتها هذه المدينة، أو بعنفٍ ما تنازلت الأرضُ
للسماء عن آقوق ابتكاراتها آميعاً.
هكذا، كلَّ يوم،
تعيد السماء تكوين هذه المدينة، وها هي صورتها،
اليوم:

جَسَدَ كمثل الإصبع
ينام في حضن كمثل الخاتم.



للسهول التي تزرع المدينة باء،
لهياكل نباتاتها التي يرفعها في الهواء طقس الزرع
والحصاد، لآنية البخور التي تشكلها أنفاس البشر في لازورد
الأيثر، للأبواب والنوافذ التي تفتحها يد الشمس في فضاء
الشجر والسنابل،
لهذه جميعاً،

أقدم طبيعتي أنا الحائر المحير، وأتوسل للرعْد أن يأخذ
بيدي. لعل في هذا ما يؤكد لك، أيتها المدينة، أن صوتي
فيما يتراجع عنك، يتقدم نحوك، وأنه فيما ينفصل عنك،
يتصل بك - لكن في طرف آخر لتاريخ آخر.

المدينة جيم

✽

الموت هو الذي استأثر بوضع قدميه على عنق هذه
المدينة،

والحياة هي التي أذنت له .

هكذا تعزف المدينة جيم حياتها على قيثار الموت .

✽

«رُدّد آخر كلماتك . ضعها إداماً على رغيغ اللحظات
التي بقيت لك» :

تلك هي لازمة لا تتوقف عن تكرارها أصوات غامضة
في فضاء المدينة جيم .

✽

لا تتميز المدينة جيم بالسلاسل التي تختص بالسهر على
الشفاه والأيدي والأقدام، فهذه سلاسل تعرفها معظم المدن .
السلاسل التي تتميز بها المدينة جيم نوع من السائل
الذي يجري في الكلمات، وفي النظر، وفي التنبّض - أحياناً .
يتحول الخارج، بجهاته الأربع، إلى مستنقع تختلط به
هذه السلاسل وتتمازج . وغالباً، يتعذر التمييز بينها وبين
الهواء .

✽

لم أكد أتخيل حضوري في المدينة جيم، حتى خرج
مني عضو من أعضائي. خرج نافراً، غاضباً.
أكتب الآن لكي أعذر له، ولكي أعيده إلى مكانه.

※

«ليس في الإمكان أحسن مما كان» تقول المدينة جيم.
لذلك ليس العالم، بالنسبة إليها، موضوع تغيير.
المسألة، كما ترى، هي أن يتألف الإنسان مع العالم،
أن يتركه في سيرورته، وأن يسايره.

※

قرأت يوميات شاعر في هذه المدينة، اخترت منها هذه
الخواطر:

أ - للكلمات في المدينة جيم رؤوس وأيدٍ وأرجل،
وليس لك أن تسألها، بل أن تتبعها.

ب - يجب أن تُعطى للفكر في هذه المدينة وظيفة النار.
ج - لا تأمل في فضاء آخر، ما دمتَ مُسَجُوناً في فضاء
الكلام.

د - يكتب صديقي الشاعر بطريقة يبدو فيها كأنه هو
نفسه باريء اللغة.
التحية له.

يقول أيضاً مؤكداً أن الكلمات في المدينة جيم تهتء
ثورتها الخاصة:

تنبثق لا من المعاجم، بل من قاع الجسد وأغواره،
من زواياه، ودوائره ومهاويه،
ثم تدخل في العالم وتدخله فيها - في عرس دائم.
حيث الغياب أجمل صورة للحضور،
حيث المحو نفسه تسمية جديدة للأشياء.
و - تأخرت كثيراً لكي اكتشف أن السماء ليست خارج
جسد الإنسان، بل في داخله.
ز - أقول لليقين أينما رأيته:
شفتاك غيم،
وإن كان رأسك حجراً.
ح - كمثل السراب يتحرك الواقع في المدينة جيم.
لذلك لم يعد فيها مكان للحلم.
ط - كيف أغوي الأشياء لكي تذكرني بالكلمات التي
تقدر أن تفصح عنها؟
ي - كلا، لا يجوز أن يكون الشعر مصنوعاً من قبل
الناس أجمعين، ولا مصنوعاً من أجلهم، بل يجب أن يكون
مصنوعاً بهم.
ك - رأسي سجنٌ يغلق أبوابه على سجناء كثيرين، -
كيف أحرر غيري منه، إن لم أحرر أنا نفسي؟

※

الرهان، في كل تجربة كتابية عظيمة، خصوصاً في
المدينة جيم، ليس الكتابة، بل التاريخ.

*

احتفاء بنفي الشاعر (وقيل بموته)،
عقدت السماء منديلاً أخضر حول خاصرتها، وأخذت
تراقص المدينة جيم.

المدينة دال

✱

شكل الشيء في المدينة دال هو الشيء نفسه . والكلمة هي حروفها . أنت ، أيها المقيم فيها ، المأخوذ بالمعنى ، لا مدينة لك غير المجاز .

✱

العلماء في المدينة دال يحملون دائماً فؤوساً تحمل علومهم . يرابطون في الأزقة ، في الزوايا ، في الساحات ، وفي الأسرة - أحياناً . الرؤوس التي يسيطرون عليها ، يفصلونها عن رقابها ، ثم يصلونها ثانية . ويصح ، غالباً ، ظنهم : تنقلب هذه الرؤوس إلى فؤوس ، هي أيضاً .

هكذا نرى أن مايسمى بالفكر في هذه المدينة مقبول لدى سكانها جميعاً ، خصوصاً أن رسالته هي أن يخلق التآلف بينهم وبين ما يسود .

هكذا تعود المواطن في المدينة دال أن يعمل الأعمال الباطلة وأن يكرر الأقوال الفاسدة .

مع ذلك ، لا تخلو الشوارع في المدينة دال ، بين حين وآخر ، من منشورات سرية ، يطيب لي أنا العابر ، أن أجازف فأثبت للقارئ بعضاً منها :

أ - منشور سري : « العمل حرية . من لا يعمل لا كيان له . باطل ، إذن ، كل عمل تعمله لا يزيد في طاقتك ،

وفاسد كل يوم تعيشه لا يزيد في حريتك ومعرفتك».

ب - منشور آخر: «كل مواطن في المدينة دال ينصب نفسه ربّ عملٍ للوطن، بدلاً من أن يكون عاملاً. كأنّ المدينة عرش، وكل مواطن لا يشرّ بها إلا بوصفه الجالس على هذا العرش، أو بوصفه، وحده، الوليّ عليه. من أين لهذه السياسة العمياء أن تصنع مدينة بصيرة؟».

ج - منشور ثالث: «رفض الروماني سيللا^(١) (Sylla) أن يحكم شعباً من العبيد - كانت روما في أوج عظمتها. لم يكن يريد الحكم لمجرد الحكم. ولم يكن يريد أن يحكم، هو الحر، إلا أحراراً مثله».

※

ثمة في المدينة دال لحظات مية لها رائحة الحياة. وثمة لحظات حيّة لها رائحة الموت. ولماذا، أيتها المدينة التي اكتست بغبار السنايك عصوراً - لماذا تزدادين غباراً؟
كلا، لن أجلس حكمتك على سريري.
كلا، لن أذاعبَ طفل الحاضر الذي تداعبينه.

※

من أين يجيء هذا الصراخ في المدينة دال؟ (ما أقوله هنا ينطبق على المدينة باء)، كيف يحدث أنك تحسه، تراه تلمسه، ولا تكاد أن تسمعه؟ للجدران هي أيضاً زفيرها، والفضاء نفسه شهيق.

تمحو السماء الأسئلة، ويرسو الزمن قرب العتبات
كمثل أقدام أضناها السفر.

ضعي كاحلك، أيتها المدينة، فوق الحروف. والتبس،
يا جسدها، بالكلام والصوت. يبدو أن السماء نثرت بذارها
فيك، مرة أخيرة وإلى الأبد.

✽

أسدل الجسد ستاره المهدّب. أخذت كل نافذة في
المدينة دال ترهف أذنيها. وبدأ الليل يقطع الخيوط التي تربطه
بالكواكب وبساتينها. إن كانت هناك سعادة فهي بين فخذيك،
أيها الإنسان: تقول المدينة دال، وكان ليلها الصوت الأول
الذي بشر بذلك.

✽

المدينة دال (ما أقوله هنا ينطبق أيضاً وبشكل خاص
على المدينة باء)، مثقلة بأزل المعرفة، لكنها مع ذلك الريشة
والدخان. مولودة مع الماء الأول، لكنها مع ذلك المتقلبة أبداً
في رمل الموت. طالعة ضوءاً أول في سديم العالم، لكنها مع
ذلك التائهة في الظلمات.

لكن، لكن كم سأكون هائلاً عندما تقدر كلماتي أن
تصعد السلم الذي تصعد عليه مراراتها،
لكن، لكن سأظل أُنور بها.

وسأظل أناديها في هذا الرّماد الغامر: أيّها اللهب
العمودي!

✽

طريقك في المدينة دال (وفي كل مدينة) لا تعطى .
وهي ليست طريق الآخر . طريقك هي بحثك عن الطريق .

✽

لا أستطيع أن أسقط إلا في حوض الدقيقة التي
أعيشها . وكل دقيقة سماء موصولة بسماء أخرى :
لا أستطيع إلا أن أعلو ، هكذا يقول الوحيد المتشرد
خارج المدينة دال .

✽

ستظلُّ طريقي هشة ومتعددة ،
ذلك أنها لن تمتد إلا بين المضيء والأكثر إضاءة .

✽

ما أكمل نظام المدينة دال ، وما أقوى أمنها :
وأكمل وأقوى ما فيهما ، الأرامل والكلاب ، -
الأرامل لتزيين الشوارع
والكلاب للحراسة .

II

يقولون لي : ما أنت؟ في كل بلدة
وما تبتغي؟ ما أبتغي جلاً أن يُسمى .
المتنبي

- ذ -

إبتدغ

تتزندق،

أو تمنطق

إذا شئت أن تتزندق.

- ض -

إعشق امرأة

مثلما يعشق العطر أكمامه،

خارج القيد،

أيًا يكن، تتزندق.

- ظ -

اكتب الماء، ماء الحياة، كما

يتفجر في صدرها،

تتزندق.

- أ -

(١) إبراهيم الخليل.

حَلَبَ دَارُ هِجْرَتِي الْآنَ، كَانَ الْخَلِيلُ^(١)، كَمَا
 قِيلَ، يَأْتِي إِلَيْهَا مِنَ الْقُدْسِ، يَمْكُثُ فِي تَلْهَا.
 تَلْهَا قَلْعَةً - فِيهِ، قَالَ الرِّوَاةُ الثَّقَاتُ: بَنَوْا
 لِلْخَلِيلِ مَقَامًا، وَلَهُ فِي الْمَقَامِ، كَمَا قِيلَ،
 جَزُنْ كَانَ يَحْلِبُ أَغْنَامَهُ فِيهِ - قَالُوا: مِنْ هُنَا
 سُمِّيَتْ حَلَبَ بِأَسْمِهَا، وَأَضَافُوا: حَلَبَ قَلْبُ
 هَذِي الْبِلَادِ الَّتِي سُمِّيَتْ شَامًا، وَهِيَ مِنْ عَيْنِهَا
 النَّبِيَّةُ إِنْسَانُهَا. وَقَالُوا: بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ
 وَالطَّالِعُ الْعَقْرُبُ

وَعُطَارِدُ وَالْمَشْتَرِي فِيهِ...

- كُلُّ الْكَوَاكِبِ تَرْنُو لَصَوْتِكَ، يَا أَيُّهَا
 الْكُوكَبُ.

* كُلَّ مَا قَالَهُ،

كُلَّ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَمَا لَنْ يَقُولَ

كَتَبَتْهُ الْأَصُولُ، وَتُقْصَحُ عَمَّا تَسِرَ
 مِنْهُ -

الْحَقُولُ الرِّيحَ الْفُصُولُ.

- ب -

حَلَبَ - نهرها، التلال، الأزقة،

أبوابها

وساحاتها

صور ولغات،

ودمي تُرجمان.

إِفْتَحَ البابَ كي تلمس الضوء
والظلمَ معتنقين، وراء الشقوق
التي تتموج في ليله،
تترندق.

جسدي مائل

فوق ذاك الهبوب الخفي

الذي ينسج الزمان وأسراره

بخيوط المكان.

عَن للكوكب الذي يتلأل في
غيبِ الشعر كي تتفتح في
نوره،
تترندق.

قل: مللت من الغيبِ يملِي علي
خرافاتِهِ، وأهواءِهِ،
تترندق.

* يجلس الحلم في حلب، كلَّ ليلٍ

معه نخلة

تجلس القرفصاء

كي تمشط شعر السماء.

- ج -

حَلَبٌ - شَهْرُزَادُ الْأَمِيرَةِ

بَيْنَ مِيثَاقِهَا وَأَشْوَاقِهَا

أَسْلَمْتَنِي إِلَى نَارِهَا الْأَمِيرَةِ

وإِلَى نُورِهَا،

كَيْفَ أَرْجُو خَلَاصًا

مِنْ بَهَاءِ مَدَارَاتِهَا؟

وَأَنَا لَمْ أَكُنْ، مَرَّةً،

كَوَكَبًا تَابِعًا - لَنْ أَكُونَ

جَسَدِي سُفْنٌ جَارِيَاتٍ

وَرُبَّانُهُنَّ الْجَنُونُ.

- غ -

إِنْ تَقُلْ: شِغْرُ ابْنِ جُرَيْجٍ وَبَنِي
فَارِسٍ،أَرْقُ وَأَجْمَلُ مِنْ شِغْرِ ابْنِ كِلَابٍ
وَبَنِي مُرَّةٍ،

تَتَزَنَّدُقُ.

أَوْ تَقُلْ: لَسْتُ أَذْبَحُ طَيْرًا،

أَوْ تَقُلْ: هَذِهِ الْأَرْضُ لَيْسَتْ
بَسَاطًا، وَلَكِنَّهَا كُرَّةٌ،

تَتَزَنَّدُقُ.

شُقُّ صَدْرِ الْكَلَامِ،

لِتَعْرِفَ أَسْرَارَهُ،

تَتَزَنَّدُقُ.

* حَبٌّ - لَغَةٌ:

كُلُّ حُرُوفِ الْعَلَّةِ فِيهَا، أَعْضَاءُ

وَسَوَاكُنُهَا

فُرُشٌ وَوَسَائِدُ، وَالْأَيَّامُ نِقَاطٌ.

أَلرَّيْبُ الَّذِي كَانَ يَبْنِي لِنَهْرِ قَوْنِقِ

مُدْنًا مِنْ رِيَا حِينِهِ

مَاتَ مُسْتَوْحِشًا:

هَكَذَا، كَانَ يَهْمِسُ لِي بَعْضُهُمْ،

وَيُثْنُونَ: كَلَّا،

لَمْ يُلَوِّخْ لَهُ أَيْ بَابٍ، وَلَمْ تَتَقَدَّمْ

زَهْرَةٌ كَيْ تَقُولَ: وَدَاعًا.

وَحْدَهُ، تَمَّتَمَ الشَّعْرُ: أَرْفَعُ هَذَا الرَّيْبَ

إِلَى ذُرَوَاتِي

لِيَكُونَ مَلِكًا عَلَيْهَا، وَرَفِيقًا لَهَا.

جَدَّ عَنِ السُّنْبِ، سَفِي

العروش، وأبوابها وتعاليمها،

تَتَزَنَّدَقُ.

وَحَذَّ الشَّمْسَ مِنْ خَارِجِ الْحُرُوفِ

الَّتِي تَعْمَلُ فِي حَبْرَهَا،

تَتَزَنَّدَقُ،

وَاعْتَرَبَ، وَاضْطَرَبَ وَانْخَطَفَ،

وَاجْتَهَدَ،

تَتَزَنَّدَقُ.

* زُرْقَةُ الصَّحْرَاءِ تَحْنِي رَأْسَهَا

وَتُحْيِي اللَّيْلَ: بَسْتَانُ نَجُومٍ

نَائِمٌ، وَالسُّحْبُ الْبَيْضُ لِحَافٌ.

كَيْفَ أَصْحُ، وَكَيْفَ أَصْحَحُ نَفْسِي؟

تَاهَتْ لَغْتِي

فِي حَنْجَرَتِي .

أَتَرَاهُ الشَّعْرُ يَفْكَكَ جَسْمِي

وَيُبَعِّثِرُهُ

فِي أَجْسَامٍ أُخْرَى؟

أَتَرَاهُ شِعْرِي مَوْتِي؟

سَرَقَسْطَةُ^(١) مِيدَانُ حَرْبٍ

بَيْنَ أَبْنَائِهَا وَأَبْنَائِهَا .

الْأَمِيرُ يُصَلِّي لِأَسَافِهَا

الْمَاضِيَةِ

وَالْحَسِينُ بْنُ يَحْيَى -

بَعْضُ أَشْلَائِهِ رَمَادٌ

بَعْضُهَا حَطَبٌ وَشَرَارٌ .

لَا خِيَارَ:

تَكُونُ مَعَ الْعَرْشِ،

أَوْ فِي فَمِ الْهَآوِيَةِ .

* شُهِبَ مِنْ كَلَامٍ أَحْرَقَتْ جِبْرَهَا،

غَيْرَ أَنَّ الْوَرَقَ

لَمْ يَقْلُ كَيْفَ عَنَى لَهَا، وَهَوَى

مِثْلَهَا، وَاحْتَرَقَ؟

(١) بَيْنَ ١٦٤ - ١٦٥ هـ
شَبِتَ فِي سَرَقَسْطَةِ حُرُوبٍ
مَاتَ فِيهَا الْكَثِيرُ وَقِيلَ إِنَّ
الشَّخْصَ الَّذِي قَادَ هَذِهِ
الْحُرُوبَ صَدَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
الدَّخَلِ وَأَسَمَهُ الْحُسَيْنَ بْنَ
يَحْيَى قُتِلَ «بَطْرِيْقَةً بِاللُّغَةِ
الْوَحْشِيَّة» .

(١) يعقوب بن داود.
استوزره المهدي، ثم سجنه
وسجن عماله وأصحابه.

فِي يَدَيَّ حَلَبٍ
يَتَقَلَّبُ مِثْلِي حَبْرُ الهمومِ،
والتَّجُومُ وبعضُ النساءِ
رسومٌ له،
ومَرايا.

هكذا تهجس الشمس فيَّ،
وتهجس تلك التُّخومُ
التي تتطاوَلُ فيما وراء التُّخومِ.

- ١١ -

- أ -

«وَضَعُونِي فِي جُوفِ بَيْتٍ،
طَالَ شُعْرِي وَاسْتَرَسَلَا
كَدْتُ أَفْقَدُ عَيْنِي» - هذا ما حكاه
ابن داود^(١) عن سجنه.

- ب -

حين أخرج من سجنه، قال:
«لَمْ يَبْقَ مُسْتَفْتَعٌ لشيءٍ،
فخذوني إلى مكّة».

* هُوَ، مِنْ يَاءِ هَذَا الزَّمانِ إِلَى
الْأَلْفِ الْأَوَّلِ
قَلَقٌ ذَاهِبٌ
يَتَأَمَّلُ فِي قَلَقٍ مُقْبِلِ.

جَامِعٌ مَّوْعِدٌ

لَطِيفٌ تَجِيءُ بِهَا مَوْعِدٌ.

وَالْمَدِينَةُ شَحَادَةٌ

تَتَمَدَّدُ فِي بَابِهِ،

ضَفَرَتْ حُزْنُهَا أَكَالِيلَ غَطَّتْ بِهَا

كَتَفَيْهَا.

وَجْهَهَا سَاهِمٌ يَسْأَلُ:

مَا ذَلِكَ الْمُخْبَأُ،

مِنْ أَيْنَ يَأْتِي،

وَكَيْفَ سَيَأْتِي؟

- ج -

وَضَعُوهُ عَلَى نَاقَةٍ وَإِلَى مَكَّةٍ
أَرْسَلًا.

مَاتَ فِيهَا،

تَهَكَّمُ شَاعِرٌ:

«فَدَغَ عَنْكَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ،
جَانِبًا

وَأُقْبِلْ عَلَى صُهَبَاءِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ».

* أَخَذَتْهُ الرِّيحُ فِي حِضْنِهَا

شَرِبَتْ وَجَدَهُ وَسَقَتْهُ -

لَا يَزَالُ كَمَا تَرَكْتُهُ.

- ح -

أَحَدٌ: لَا أَذَانٌ، وَلَكِنْ

نَعْمَ آخَرٌ -

أَقُولُ لِأَجْرَاسِهِ:

أَمْسِكِي بِيَدَيَّ، خُذِينِي

مِثْلَ طِفْلِ يَسَافِرُ فِي ظَنِّهِ

وَيَجْرُ السُّهُولَ، يَجْرُ الْجِبَالَ،

بَأَعْتَةِ أَشْوَاقِهِ،

وَيَجْرُ الْخِيَالَ.

- ١٢ -

- أ -

أَوَّلُ الْمُحَدِّثِينَ ابْنُ بُرْدٍ^(١): هَكَذَا
أَجْمَعُوا.نَسَبُوهُ إِلَى امْرَأَةٍ أَعْتَقَتْهُ مِنَ الرِّقِّ،
وَاتَّهَمُوهُ

بِالْفُجُورِ، وَبِالزُّنْدَقَةِ -

مَاتَ جَلْدًا: تَأَسَّسَ شِعْرُ

الْحَدَاثَةِ فِي مَخْرَفَةٍ.

(١) بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ. كَانَ، فِيمَا
يُرَوَّى، يَفْضَلُ النَّارَ عَلَى
الْتَرَابِ، وَيُصَوِّبُ رَأْيَ إِبْلِيسَ
فِي امْتِنَاعِهِ عَنِ السَّجُودِ لِآدَمَ.
وَذَلِكَ مَا اغْتَشِمَ عَلَيْهِ فِي
اتِّهَامِهِ بِالزُّنْدَقَةِ، وَقَتْلِهِ.
يَقُولُ: «الْأَرْضُ مَظْلَمَةٌ وَالنَّارُ
مُشْرِقَةٌ
وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتْ النَّارُ».

* طَمَسَتْ جَسَدِينَا وَجَبَرَ طُفُولَاتِنَا

لِغَةِ زَائِدَةٍ -

أَلْهَذَا، لَمْ تَصِلْ بَيْنَنَا

(كَلَّ تِلْكَ الْجَسُورَ الَّتِي بَيْنَنَا)، مَرَّةً

وَاحِدَةً؟

- ط -

حَلَبَ - أَلَفَ مُهْرٍ مِنَ الرُّومِ،

تَأْتِي إِلَيْهَا

هَرَبًا، كُلَّ يَوْمٍ

كَيْ تُسَيِّحَ فُرْسَانُهَا

وَهِيَ تَهْرَبُ مِنْ نَفْسِهَا

كَيْ تُسَافِرَ فِي كُنْهِ أَحْوَالِهَا.

أَهْنَأَ، أَهْنَأَكَ مَنْ يَعْرِفُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَشْهَدُ
فِيهَا؟

أَهْنَأَ، أَهْنَأَكَ مَنْ يَتَفَهَّمُ عِطَرَ

الْجِرَاحِ، الَّذِي يَتَخَيَّرُ أَرْدَانَهَا؟

- ب -

رَاحَ يَهْذِي صَدِيقٌ لَهُ:

«عَنْ يَمِينِي،

أَتَفْلُ بِاسْمِكَ، بَشَارُ،

أَتَفْلُ أَيْضًا

عَنْ يَسَارِي - أَسْجُدُ

لِلنَّارِ مِثْلَكَ، لَا لِلْمَلَائِكِ،

أَوْ آدَمَ».

* فِكْرَةٌ تَتَوَهَّجُ فِي رَأْسِهِ:

نَجْمَةٌ تَضْحَكُ.

فَلِمَاذَا يُسَمَّى هُنَا مَانُوِيَّا،

أَوْ يُقَالُ هُنَاكَ لَهُ: مُشْرِكُ؟

- ي -

تُرَابُهَا صَوْتُهَا - إِنَّمَا وَمَغْفِرَةٌ
عَنِّي، زَهَا لَاعِبًا، يُوْحِي وَيُوقِظُنِي
وَيُوقِظُ الْجَبَرَ وَالْأَقْلَامَ وَالْكَتُبَا
فَصَبْرْتُ أَقْرَأُ أَيَّامِي بِحُكْمَتِهِ
مُتَوَرًّا أَتَمَاهِي بِاسْمِهِ وَبِهِ
حَتَّى كَأَنِّي مَن عَنِّي وَمَن لَّعِبَا.

- ١٣ -

قَتَلَ الْأُمَوِيُّ (١) الْمَغِيرَةَ -

إِبْنِ أَخِيهِ،

وَأَصْحَابَهُ.

قِيلَ: كَانُوا يُعْتَوْنَ -

لَا بُدَّ أَنْ يَنْزَلَ الْعَرْشُ

فِي حِينَا،

وَيَكُونُ لَنَا ظِلُّنَا،

وَيَقْبِضَ إِلَيْهِ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلَنَا،

وَالَّذِينَ يَجِيئُونَ مِن بَعْدِنَا،

وَيَقْبِضُوا إِلَيْنَا.

* له مع الشعر للترحال قافلة

لاتعرف القرب إلا وهي تبتعد، -

لَنْ يَمْنَعُ الْمَوْجُ إِنْ أَلْقَى مَرَّاسِيَهُ

فِيهَا، وَلَنْ يَبْدَ النَّارُ الَّتِي تَلْدُ.

(١) هو عبد الرحمن الداخل.

قتل ابن أخيه المغيرة
ابن الوليد بن معاوية بن
هشام، وقتل معه آخرين بتهمة
إجماعهم على خلعوه.

- ك -

أُتراني هنا راحلٌ، وأنا قاعدٌ؟
ولماذا أرى في الغيوم وسائدَ، في
الريّح بيتاً
ولماذا أُجسّ كأنّ الفضاء
مثل جبانة؟

- ١٤ -

- أ -

خرّضَ الموصل

كي تُفَيّقَ وكي تعملًا.

- ب -

كان^(٢) ظلوماً شريراً.

قتلوه - قالوا:

حقٌّ أن يفتَصَّ الناسُ مِنَ الشُّرَيْرِ
الحاكِمِ

حقٌّ أن نعملَ كي لا يحكمَ فينا
إلا الرّجلُ العَدْلُ العالمُ.

(١) ياسين الخارجي الذي
خرج في الموصل على
الخليفة المهدي وقتل.

(٢) موسى بن مصعب
الخشعمي الذي كان والياً
للمهدي على مصر.

أيها الفجرُ، مهلاً
أضياؤك هذا الضياء
أُم تُرى... عفوك الآن،
صِف لي،
أيهذا الغبار الأمينُ الصديقُ
صِف لِخَطْوِي، لِشِعْرِي هذا الطَّرِيقُ.

✽ أترانا سنطحن آلامنا مثل قَمَحٍ،
ونخبز ما يتيسّر منها، ونعيش عليها
مرّة ثانية
طول أيامنا الباقية؟

- ل -

حَلَبٌ - والهواء تَخَارِيمُ تكسو

التوافذ، والضوء نَسَاجُهَا.

أَتَشْرُدُ، شُعْرِي فِرَاتُ

وجسمي ذبولٌ.

قَلَقٌ فِي يَدَيَّ وَفِي نَظْرَاتِي

قَلَقٌ فِي عُرُوقِي -

آه، يَا قَلَقِي، يَا صَدِيقِي؟

أَتُرَاهَا خُطَايَا خُطَايَا،

تُرَاهَا طَرِيقِي طَرِيقِي؟

- ١٥ -

- أ -

جَارِيَةٌ حَرَّةٌ،

بِسْمِهَا

مَاتَ^(١) عَلَى زُنْدِهَا.

- ب -

فَلْيَقْتُلْنِي^(٢) اللَّهُ

إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ: سَوَاءٌ عِنْدِي

سِرُّ الْخُلُقِ،

وَسِرُّ الْمَوْتِ، وَسِرُّ الْبَاءَةِ.

- ج -

جَاءَ حَسِينُ^(٣) مَكَّةَ، قَالَ:

«الْعَبْدُ الْمَنْضَمُ إِلَيْنَا، حُرٌّ».

* أَلَصَّوَاعِقُ تَأْتِي - تُدَلِّي قَنَادِيلَهَا

بِخِيوطِ الْمَطَرِ

كِي تَوَدَّعَ إِقْلِيمَهَا،

قَبْلَ أَنْ تُحْتَضِرَ.

(١) الخليفة المهدي. بلغت الحملة على الزنادقة أوجها في عهده، سنة ١٦٦ هـ. (٧٨٢ م) وقد أنشأ من أجل قتلهم ديواناً سماه «ديوان الزنادقة».

(٢) الكلام لخالد البربري العامل العباسي، مخاطباً الحسين، المعروف بـ «صاحب قنق».

(٣) صاحب قنق. وهو الحسين بن علي بن الحسن، وينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب.

- م -

حَلَبَ - كَمْ تَمَرَّدَتْ، كَمْ ضَرَبَ السَّيْفُ أَعْنَاقَ
أَبْنَائِكَ الْغَاضِبِينَ،

- ١٦ -

- أ -

قطعوا رأسَ حسينٍ في فُخٍّ،
لكن، أَفَلَتِ إدريسُ^(١)

أخفاه واضِئٌ مِثْلَ كِتَابٍ
بِيريدِ المَغْرِبِ -
واضحٌ يُقْتَلُ صَلْبًا.

كَمْ خَلَطَتِ الْمَحْبِينَ بِالْمَبْغُضِينَ،
الْمَقِيمِينَ بِالرَّاحِلِينَ.

حَلَبَ - كَمْ حَضَنْتِ الطُّغَاةُ

أَيْنَ تُذْيَاكِ؟ مِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ

فِي صَدْرِكَ الْمَوْتُ؟ مِنْ أَيْنَ

يَبْدَأُ مَاءُ الْحَيَاةِ؟

- ب -

أَلَزَمَانُ كَمَا شِئْتَهُ^(٢)، وَالْمَكَانُ
بِهَجَّةٍ وَانْشِرَاخٍ.

هَذِهِ كَأْسُكَ الْآنَ، خُذْهَا:
عَسَلٌ طَيِّبٌ.

كَانَ سَمَاءً، وَمَاتَ الرَّبِيعُ.
الْخَلِيفَةُ فِي غِبْطَةٍ:

مَا الَّذِي سَوْفَ نَفْعُلُ
بِالْخَيْزِرَانِ؟

✽ أَرْضُهَا تَتَفَجَّرُ، تَلْبَسُ طُوفَانَهَا، -

أَلَسَّهَوُلُ تَوَاسِي جِرَاحَاتِهَا

وَالْجِبَالُ تَسَامِرُ أَحْزَانَهَا.

(١) فُخٌّ مَكَانٌ قَرِيبٌ مَكَّةَ
وَيُقَالُ إِنْ رُوِّسَ الْقَتْلَى كَانَتْ
تَرَبُّو عَلَى الْمِثْنَةِ. ظَلُّوا أَيَّامًا
دُونَ أَنْ يُوَارَوْا فَأَكَلَتْهُمْ السَّبَاعُ
وَالطَّيْرُ. وَإِدْرِيسٌ هُوَ مُؤَسَّسُ
دَوْلَةِ الْأَدَارَسَةِ، الدَّوْلَةِ
الْمَغْرِبِيَّةِ الْأُولَى. هَرَّبَهُ فِي
الْبَرِيدِ شَخْصٌ اسْمُهُ وَاضِحٌ
كَانَ يَتَوَلَّى الْبَرِيدَ إِلَى
الْمَغْرِبِ. وَهُوَ مَوْلَى
صَالِحِ بْنِ الْمَنْصُورِ فَقَتَلَهُ
الْهَادِي صَلْبًا.

(٢) الْكَلَامُ بِلِسَانِ الْخَلِيفَةِ
الْهَادِي وَهُوَ يَقْتُلُ الرَّبِيعَ مَتَّهَمًا
إِيَّاهُ بِأَمْرِ الْخَيْزِرَانِ.

- ١٧ -

أَلْخَلِيفَةُ^(١) يَبْرَأُ مِنْهُ الزَّمَانُ، وَيَبْرَأُ
مِنْهُ الْمَكَانُ

قَتَلَتْهُ جَوَارِيهِ خَنْقًا:

جَلَسَتْ عَلَى وَجْهِهِ مِثْلَمَا شَاءَتْ
الْخِيزْرَانُ.

قَتَلَهُ كَانَ عِيدًا تَغْتَنِي بِهِ
الْمَاجِنُونَ، وَقَالُوا احْتِفَاءً بِهِ:

كَيْ تُعِيدَ الْحَيَاةَ إِلَى سِيرِهَا صِدْقَهُ
وإِلَى وَجْهِهَا رَوْقَهُ

يَنْبَغِي أَنْ تَوْسِعَ أَحْشَاءَهَا
وَأَنْعَاءَهَا

لِلْمَجُونِ وَلِلزَّانِقَةِ.

- ن -

لَا أَبْشُرُ، أَهْوَى

أَنْ أَرَى كَيْفَ تَمْضِي الْعُرُوشُ

إِلَى مَوْتِهَا،

وَأَحَبَّ رَمَادًا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ.

لَا أَبْشُرُ، أَهْوَى

أَنْ يُقَادَ الطَّغَاةُ إِلَى مَوْتِهِمْ صَاغِرِينَ

أَنْ أَرَاهُمْ أُمَامَ الَّذِينَ يَسُوسُونَهُمْ

رُكْعًا، ضَارِعِينَ

وَأَرَى كَيْفَ يَجْرُونَ، يَمْضُونَ كَالْقَشِّ

فِي لُجَجِ الثَّائِرِينَ.

* مِنْذَ مَا تَامَ امْرُؤُ الْقَيْسِ شَوْقًا إِلَيْهِ -

إِلَى مَلِكِهِ الْمُنْتَظَرِ،

أَلْفِتْنَا طَيُورَ السَّفَرِ.

(١) الهادي الذي خنقته
جواريه بأمر من أمه
الخيرزان، وخلفه ابنها
الرّشيد. وعلى إثر موته، ظهر
الرّنادقة الذين استتروا،
واشتهر بينهم، على الأخص،
يونس بن أبي فروة ويزيد بن
الفيض.

أطفال شُبُه عِراة

يزدحمونَ أَمامي، حولي،

هذي حَلَبٌ - أهِي الكوفةُ؟ أذكرُ،

أُعلو،

وأجددُ عَهدي.

ليريقِ يَخْبُو في أعينهم

لنداءِ يَذمى في أيديهم،

يَتَقَحَّمُ شعري، يَتَنَهَكُ

كي يتغيَّرَ هذا الفَلَكُ.

صَحْصَحَ^(١) يهزمُ الجندَ، جُنْدَ

الرشيد، ويقتل منهم جموعاً.

الرشيد يوجه جيشاً كبيراً:

قتلوا صَحْصَحاً،

وتفرَّق أصحابه.

قتلوا عامل الجزيرة ابنَ فُروخ^(٢)
عبرةً وعقاباً.

سألوهُ^(٣) لماذا

تُخرج الطالبين من دُورهم،

وتُفرِّغ بغدادَ منهم؟

(١) الصَحْصَحُ الخارجي.

(٢) أبو هريرة، محمد،
عامل الرشيد على الجزيرة.
والرشيد هو الذي قتله.

(٣) الإشارة إلى الخليفة
الرشيد.

✽ مَزَج الموتُ والفَقْرُ

أبناء تلك القرى،

بأبناء هذي القرى -

عَصَصَ آسِرٌ، زَمَنَ يُزْدَرَى.

- ع -

لا أَشَاهِدُ إِلَّا ظَلاماً يَرِينُ عَلَى صَدْرٍ

آدَمَ، -

تلك الجِئَانُ التي سَحَرَتْهُ وتلك

الجحيم

لم تُعَلِّمَهُ حتَّى الوفاءِ إلى طينه الكريم.

- ١٩ -

بين الإخوة^(١) حربٌ:

فازَ هشامٌ ونفى أخويه.

ليس رأسي غراباً

ولا أرضَ مَنْ وسلوى

ولا صلواتٍ ولا أدعية،

رأسي الكونُ: آدمُ زرعُ له

والحصادُ هو المعصية.

* «إمض، لا تتمهل»:

حكمة دائمة

للنجوم التي تتوغل في جبل الليل،

نشوانة هائمة.

(١) هشام بن عبد الرحمن
الداخل، وأخواه سليمان
وعبد الله. أعطاهما مالا،
ونفاهما.

- ف -

«لا مُثَنَّى»:

تهمس الأشياء في أذني -

حقاً،

كلُّ ما في حَلَبِ فَرْدٍ بشطرين،

ولا لُحْمَةٌ ما بينهما؟

هكذا يُوغِلُ في غُرْبَتِهِ نَهْرُ قُويِقِ

ناجِلاً منكسراً في الضَّفَتَيْنِ

مثلما تنكسرُ الشَّهْوَةُ في أَوْجِ

التحامِ الجسدين.

- ٢٠ -

- أ -

«سوف أضرب عُثْقَهُ»^(١) -

ماحياً خَلْقَهُ وخُلُقَهُ.

- ب -

موسى، آدم: أين التقياء؟^(٢)

- أتشك؟

- معاذَ اللَّهِ، ولكن

أسأل: كيف؟

- هاتوا النُّطْعَ، وهاتوا

السَّيْفَ.

(١) بلغ الرشيد أن بشراً
المريسي يقول بخلق القرآن،
فقال إذا ظفرت به سأخرب
عنقه.

(٢) قال أبو معاوية الضريير
«حدثت الرشيد يوماً حديث
«احتج آدم وموسى»، وعنده
رجل من وجوه قريش. قال
هذا لرجل - أين التقياء؟
فغضب الرشيد وقال: - النطع
والسيف! زنديق يطعن في
حديث.

* قلبه حسرات

تَتَقَلَّ مخنوقة الهواء

في فُصولِ البكاء.

أَشْتَهِي لِقَويِقِ

مَا اشْتَهَيْتُ لِنَفْسِي :

أَنْ تَظِلَّ الْعَيُونُ الَّتِي تَقْتَفِيهِ

تَتَأَلَّأُ مَاخُودَةً

بِفَقَاعَاتِهِ .

أَشْتَهِي لِقَويِقِ

أَنْ يَظِلَّ التَّذِيرَ الْمُنَوَّرَ ، حَيْثُ الزَّمَانُ

مَرِيضٌ ، وَالْمَكَانُ يَنْوَأُ بِأَسْلَانِهِ .

أَشْتَهِي لِقَويِقِ

أَنْ يَظِلَّ كَمَا رَسَمَتْهُ خُطَاهُ :

لَا سَرِيرٌ لَهُ غَيْرُ أَمْوَاجِهِ .

- ٢١ -

أَلْزَبِيدُ يُؤَلِّي الْأَمِينَ ابْنَهُ ،

وَهُوَ فِي الْخَامِسَةِ ،

هَلَّلَ النَّاسُ لِلطَّمَسِ يَمْحُوهُمْ

وَلَايَاتِهِ ،

وَأَعْرَاسِهَا ،

وَأَسْيَافِهَا ،

وَلِكُلِّ تَقَالِيدِهِ الطَّامِسَةِ .

* يَتَغَلَّغُلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ

نَفْسًا مِنْ هَبَاءٍ :

لَا يُرِيدُ الصَّعُودَ عَلَى سُلَّمِ الْأَنْبِيَاءِ .

- ق -

في البيت . الباب حديد
والشباك الضيق في الزاوية
اليسرى لم أفتحه .
من أين تجيء الريح ، إذن؟

ريح ،
كل حطام الأرض يصلُّ فيها .

- ٢٢ -

- ١ -

عَرَبَ : ذا يَمَانٍ ، وذا مُضَرِّي
والشَّامَ لكلِّ منهما
ساحةً للقتالِ ،
وَأَيَّامُهَا
جزرٌ من دَمٍ .

- ب -

في نصيبين والموصلِ ،
قُتِلَ الْفَضْلُ^(١) مع صحبه ،
لا تقل : كيف ؟ لا تسأل .

* خُذْ يَدِي فِي يَدِكَ :

يومنا واحد
وغدي لا يُسَافِرُ إِلَّا طَالِعاً مِنْ عَدِكَ .

- ر -

كَأَنَّ يَتَمَزَّقُ وَجْهَكَ يَالَيْلُ، بَيْنَ
يَدَيَّ، وَأَنَّ يَتَمَزَّقُ فِيهِ الْقِنَاعُ
كَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الْمَرْقَ الْحُمْرَ فِي مَوْجِ
يَأْسِي مِثْلَ الشَّرَاعِ،
آسِفًا:

لَيْسَ لِلْأَرْضِ شَكْلُ الزَّمَانِ
كِي أَطَابِقَ مَا بَيْنَ جَسْمِي وَحُلْمِي،
غَيْرَ أَنِّي سَأُوغِلُ فِي شَهَوَاتِي
وَأَتَابِعُ هَذَا الرَّهَانُ.

- ٢٣ -

- أ -

إِنِّهَا مِنْ جَدِيدِ
نِزَارِيَّةٍ وَيَمَانِيَّةٍ،
مُدُّ هَذَا الشَّبَكِ
أَيُّهَا الذَّهْرُ، وَاعْمُرْ
بِتَخَارِيمِهِ الْفَلَكَ.

- ب -

الزُّوْسُ، نِزَارِيَّةٍ وَيَمَانِيَّةٍ،
كَالسَّنَابِلِ، حَصَادُهَا
مَرَّةً، رَجُلٌ عَاقِلٌ دُونَ دِينِ
مَرَّةً،
رَجُلٌ دِينَ دُونَ عَقْلِ.

* تَسْكُرُ الرِّيحُ: هَذِي كُؤُوسُ الْغُبَارِ
فَرَعَتْ، وَالتَّهَارُ
أَخَذَتْهُ يَدُ اللَّيْلِ، وَالثَّلْجُ أَغْلَقَ
حَانُوتَهُ.

- ش -

مَنْ يُصَدِّقُ أَنِّي أَمُوتُ

لَكِي أَكْتُبُ الْقَصِيدَةَ؟

مَنْ يُصَدِّقُ أَنِّي أَخْطِئُ فِي كُلِّ حَرْفٍ،

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ؟

وَأَكْرَزُ مَا كُنْتُ رَدَدْتُهُ:

خَطَايَ أَزِلِّي

خَطَا خَالِدٍ -

وَلَيْسَ كَمَا قِيلَ عَنْهُ.

خَطَايَ أَنَّ ضَوْئِي قَرِيبٌ وَشَمْسِي بَعِيدَةٌ.

* قَصَبُ الْمَاءِ، زَهْرُ الْجَنَائِنِ،

خَشْخَاشَ هَذَا الزَّمَانِ - مَزِيحٌ

يَتَعَلَّمُ أَسْرَارَهُ، وَيفكّ الرَّمُوزَ الَّتِي
أَقْفَلْتُهَ،

وَيَرْفَعُ مِنْهَا سَقُوفًا

لَأَيَّامِهِ، وَلَأَحْلَامِهِ.

- ٢٧ -

- ١ -

قال المهدوي^(١): رأيتُ كائني

أعطيتُ قضييًّا للهادي

ولهارونَ قضييًّا.

الأولُ أوزقَ في أعلاه

والثاني أوزقَ من أسفلِهِ

حتى أعلاه.

- الملكُ قصيرُ للهادي،

ولهارونَ

يَطُولُ الملكُ: تَكُونُ

لَهُ أَنْهَى أَيَّامٍ.

(١) الحكيم بن إسحاق
الضيغمري، هو الذي فُسر
للمهدي منامه.

- ت -

كان ذلك ليلاً، والخريف يسيرُ على ضِفّةِ
النهر - ليلاً. قمرٌ يتغطى بأهدابه،

زقاقٌ

يَقْطُ يَتَمَزَّأُ في السَّعَاعِ الذي كان يرسمُ
حُرَّاسَ أبوابِها.

كان ذلك ليلاً، والنجوم زهورٌ

تتناثرُ في حَيْثُها - في المداخلِ، في
الشُرُفَاتِ

وفي العتباتِ المدينةُ بيتٌ لها،

وأنا عابِرٌ

أَتَشْقُ عِطْراً يَجِيءُ ويذهب في كلِّ فَجٍّ.

هكذا - وأنا أَتبعثرُ مُسْتَسْلِماً لحصاراتها

أَخَذْتَنِي المدينةُ بينَ يَدَيْهَا إليها

- كان ذلك

ليلاً، والخريف يُلْلُ سِرْوَالَهُ

بمياهٍ قُويِقٍ.

* لا كنيسةَ جاءت، لا كنيسٌ ولا جامعٌ:

لامجيبٌ ولا سامِعٌ.

- ب -

أهلُ أفريقيا

يقتلون ابنَ رَوْحٍ^(١).

ليس بين الرعايا والولاة الذين
يسوسونهم،

غيرُ أوجاعهم وأُسيافهم.

- ج -

هل كلُّ نظامٍ يتأسَّسُ سُمٌّ

مُهَرَّقٌ

من جسد الماضي؟^(٢)

(١) الفضل بن روح
ابن حاتم والي الرشيد على
أفريقية.

(٢) الإشارة إلى إدريس بن
عبد الله، مؤسس دولة
الادارة في المغرب، والذي
مات مسموماً سنة ١٧٧ هـ.

- ث -

قَلْتُ لِنَفْسِي ، وَأَنَا أَتَفَكَّرُ فِي مَا يَجْرِي حَوْلِي :

أَأَشَاغِلُ فِكْرِي وَأُضِلُّهُ

كَيْ لَا يَعْرِفَ شَيْئاً عَنِّي

وَلَكِي يَنْأَى

أَمْ أَتْرَكُهُ يَقْتَصُّ خُطَايَ؟

حَوْلِي غَابَةٌ حَبٌّ :

أَصَوَاتٌ فِي أَوْرَاقِ الْغَابَةِ ، رُقُصٌ ، -

أَهْوَى آخَرُ يَأْتِي؟ أَمْ أَشْبَاحُ

تَتَحَرَّكُ ، تَرُصُّ مَا يَتَوَالَدُ مِنِّي

فِي آثَارِ خُطَايَ ،

وَفِي أَنْقَاضِ هَوَائِي؟

❖ شَاهِدُ الشَّعْرِ يَمْلِي رِوَاةً عَلَى شَاهِدِ

السَّنَوَاتِ الْعِجَافِ ،

أَلْعُرُوشُ سَكَاكِينُ أَوْ هَامِينَا

وَالشُّعُوبُ الْخِرَافُ .

- ٢٥ -

- أ -

كتب الرشيد إلى يزيد^(١) :

«لأوجهن إليك

مَنْ يَأْتِي بِرَأْسِكَ ،

إِنْ تَأَخَّرَ فِي الْمَجِيءِ

إِلَيَّ رَأْسَ التَّغْلِبِيِّ» .

- ب -

قتل الوليد التغلبي ،

رثته ليلي :

«أيا شجرَ الخابور ، مالك

مُورِق؟

كَأَنَّكَ لَمْ تَجَزَعْ عَلَى ابْنِ

طريف» .

(١) يزيد بن يزيد الشيباني ،
والإشارة إلى الوليد بن طريف
التغلبى الذي خرج على
الرشيد في الجزيرة ، وليلى
هي أخت الوليد .

- خ -

نَهْرُ قَوَيْقٍ

جَسْرٌ مَاتَ، وَجَسْرٌ

لَمْ يُوَلَّدْ.

ما بينهما

لَعَّةٌ تَتَمَرَأُ فِي مَاءٍ عَابِرٍ -

مِنْ أَيِّ أُتَيْتَ؟ وَكَيْفَ سَتَمْضِي

يَا هَذَا الشَّاعِرُ؟

- ٢٦ -

بَرْبِرُ تَاكَرْتَا^(١)

ثَارُوا، خَلَعُوا الطَّاعَةَ،

أَفْتَاهُمْ

جَيْشُ هِشَامٍ.

قَالُوا: بَقِيَتْ تَاكَرْتَا

سَمِعَ سَنِينَ، لَا يَسْكُنُهَا إِنْسِي،

لَا يَدْخُلُهَا إِنْسِي.

(١) من أقاليم الأندلس التي كانت خاضعة آنذاك لهشام بن عبد الرحمن الداخل.

* أَوَّلُ الشَّعْرِ مَاءٌ - (فِي قَوَيْقٍ تَمَوْجُ مَاءٍ لَهُ رَغَبَاتٌ لَمْ يَفْهَنْ بِأَسْمَائِهِنَّ لَغِيرِ الضُّفَافِ)

وَأَنَا لَا أُرِيدُ الْقَطَافَ: أُرِيدُ الدَّرُوبَ الَّتِي سَلَكَتُهَا الثَّمَارُ إِلَى مُسْتَهْلِ الْقَطَافِ.

- ذ -

أَسْتَشْرِفُ الشَّعَرَ: فِي عَيْنِيهِ قَافِلَةٌ

ضَلَّتْ، وَقَافِلَةٌ تَحْيَا بِلَا وَطَنِ

دُرُوبُهَا الضَّوءُ - مَمْزُوجًا بِحَيْرَتِهَا

وَجَبَرَهَا الدَّمْعُ مَسْكُوبًا عَلَى الدَّمَنِ

أُضِلُّ فِيهَا وَأَهْدِي: أَيُّ وَسْوسَةٍ

تَقُولُ مَوْجِيَّ مَحْمُولٌ عَلَى سُفْنِي؟

أَرْضِي كَلَامِي، - كَلَامِي جَنَّتِي عَشَقْتُ

وَجَهَ الْجَحِيمِ، وَرَبِّي - حَاضِنًا وَثْنِي.

- ٢٧ -

- أ -

فِي الْجَزِيرَةِ، نَارَ خُرَاشَةِ^(١).
قَالُوا:

- يَدَّدَ اللَّهُ جَمْعَ الْخَوَارِجِ،

قَالُوا:

أَطْفَأَ اللَّهُ نِيرَانَهُمْ.

- ب -

الْمَحْمَرَّةُ اسْتَبَسَلُوا مِنْ جَدِيدِ

بِقِيَادَةِ عُمُرٍ^(٢). وَقَالُوا:

بُدُّوا. وَأَضَافُوا:

أَطْفَأَ اللَّهُ نِيرَانَهُمْ.

* آه، مَنْ أَيْنَ يَخْرُجُ هَذَا الْفِرَاقُ
الَّذِي يُمَسِّكُ الْأَرْضَ مِنْ عُنُقِهَا؟(١) خُرَاشَةُ الشَّيْبَانِي
الْخَارِجِي.(٢) عُمُرُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْعَمْرِكِيُّ، وَقُتِلَ فِي مَزُو.

- ض -

قال لي، وهو يَشْرَبُ - يَهْذِي وَيَبْكِي:

لست لي، يا أخي، مثلاً.

إنني أتمثل بالحارث بن مُضاض^(١)، -

سأقول: تَقَمَّضْتُ فِيهِ

مِثْلُهُ أَتَطَوَّحُ فَوْقَ التَّرَابِ كَأَنِّي

تراث،

وأعيش على الأرض في غُرْبَةٍ.

مثله أَتَقَدِّمُ، أَمْزِجُ فِي ذَاتِ نَفْسِي،

وفي كلماتي وفي خطواتي

بين وجه السماء ووجه السراب.

- ٢٨ -

- أ -

إِبْنُ مَرْءَةٍ^(٢) يُذْبِحُ فِي الْقَيَروَانِ،

وعمران يُقْتَلُ مِنْ بَعْدِهِ،

والتَّمَرْدُ فِي تُونِسِ أَثَّرَ بَعْدَ عَيْنٍ.

وطليطلةٌ تَحْتَفِي

بِالرُّؤُوسِ الَّتِي قُطِعَتْ وَسِيقَتْ

إِلَى رُبِّهَا، كَالْتَّذُورِ -

هتفوا، أُنْشِدُوا حَوْلَهَا:

هَكَذَا تَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ!

(١) رجلٌ شبه أسطوري.
يقال إنه من ملوك العرب قبل
الإسلام وضربت الأمثال به
لأغترابه وطوافه في أنحاء
الأرض. ويقال إنه حارب بني
إسرائيل.

(٢) مَخْلَدُ بْنُ مَرْءَةَ الْأَزْدِيِّ
وعمران ابنه. ثارا على
إبراهيم بن الأغلب. وكان
قائد التمرد في تونس، رجل
يدعى حمديس، قتل من
أنصاره عشرة آلاف.

وفي طليطلة كان المتمرّد
عبيدة بن حميد، وقتل مع
آلاف من أنصاره، كما
بروى. وحملت رؤوسهم
جميعاً وطرحت أمام «صاحب
الاندلس».

* يحيا قريباً إلى أحلامه الأوّل،
كأنه العِطْرُ - مَسْكُوباً، يطوف على
وجه المكان، وَيَسْتَجْلِي أَقاصِيَهُ
بلا اكتراث، بلا يأس، بلا أمل.

- ظ -

كم أَخَاصِمُ نَفْسِي، أَسْأَلُ نَفْسِي:

- لماذا تُزْوَعُكِ دَوْماً إِلَى وَطَنِ آخَرٍ؟

ولماذا

كَلِّمًا جِئْتَ أَرْضاً صَبُوتٍ إِلَى غَيْرِهَا؟

كَيْفَ لِي أَنْ أُدْجِنَ فِيكَ انْفِجَارِكَ -

ذَاكَ الْهَدِيرَ، وَذَاكَ الشَّرَازَ؟

- إِنَّهُ وَلَهُ الشَّاعِرُ

إِنِّهَا فَتْنَةُ الرَّحِيلِ إِلَى لَا قَرَارَ.

- ٢٩ -

رَجُلٌ غَامِضٌ - يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْهُ،
يَجْهَلُونَ اسْمَهُ

وَالدُّرُوبُ الَّتِي جَاءَ مِنْهَا،

وَيُحِبُّونَهُ: يَنْتَمُونَ إِلَيْهِ بِأَحْلَامِهِمْ.
وَيُحْيُونَهُ بِالصِّفَاتِ الَّتِي مَيَّزَتْهُ:

«لَمْ يَصْغُ مَرَّةً

جِرَاحَاتِهِ عَلَى الْمَائِدَةِ،

لَيْسَ مِنْ هَذِهِ اللَّغَابِ،

وَيَجْهَلُ هَذَا الصَّرَاطَ،

وَيَنْبِذُ مَا تَرَسَّمُ الْقَاعِدَةُ».

* قَدَمَاهُ هُمَا تَبِيهُهُ الْأَوَّلُ:

كَيْفَ لَا يَصْعَدُ الْوَحْيُ فِيهِ،

كَيْفَ لَا يَنْزِلُ؟

- ٣٠ -

- أ -

مات الكاظم^(١)

في السجن - وقالوا:

أرسل للسجان^(٢) يقول:

«بلائي يمضي،

ورخاؤك يمضي،

لكنّ الخاير أنت،

فانتّ الطاليم».

- ب -

كيف تعارض يا بهلول^(٣)؟

كأنك، حقاً، بهلول.

رَفُضَكَ سِجْنٌ -

تُزْمَى فِيهِ، لا عودة منه

أو تُقْتَلُ فِيهِ.

- ج -

قَبْدَهُ، اسجنوه، ألّه أن يخالف

رايي؟»

- د -

مات من أثرِ السجن، في بيته.

- غ -

عند بابِ بُزَاغا

فاجأتني خطاها

فاجأتني ضفائر أوجاعها

مُسْدَلَاتٍ عَلَى كَتْفِهَا.

لم أكن أتوقع أن التَّعَبَ

جسدٌ آخَرُ

تتناسخ فيه حَلَبٌ.

(١) موسى الكاظم، ومات

في سجن الرّشيد. كُتِبَ

بالكاظم لأنه كان يُحسن إلى

من يسيء إليه، كاظماً غيظه.

(٢) الخليفة الرشيد.

(٣) البهلُول بن راشد، كان

عالماً راهداً عارض أمير

أفريقية (وكان آنذاك محمد بن

مقاتل المُكَنِّي)، في إرساله

النحاس والحديد والسلاح

إلى ملك أسبانيا فضربه الأمير

وحجسه.

* أَلْعَزِيزُ الْمَشْرَدُ - في قدميه

جَبَلٌ رَاكِعٌ، وفي راحتيه

وَجْهٌ أَيْقُونَةٌ.

غ - ١ / طَلْسَمَات

يَجْرِي مِنْ بَابِ بُزَاغَا

نَهْرٌ ذَهَبٌ

يَتَجَمَّدُ مِلْحًا، لَكِنْ فِي طَعْمٍ مُعْتَدِلٍ.

※

حَجَرٌ أَسْوَدٌ فَوْقَ بِلَاطٍ أَسْوَدَ - قَالُوا:

لَمَّا نَزَعُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ

انْهَارَتْ

أَسْوَارُ الْقَلْعَةِ سَوْرًا سَوْرًا،

وَانْهَارَ الْجَامِعُ فِيهَا.

※

حَجَرٌ حَدٌّ

حِينَ يَغْتَيَّرُ مَوْضِعُهُ

تَتَبَرَّجُ كُلُّ نِسَاءِ الْحَيِّ، وَتَأْخُذُهُنَّ الشَّهْوَةُ

وَيَجَامِعُنَّ، اسْتِمْتَاعًا

جَهْرًا، أَوْ فِي خَلْوَةٍ.

※

ماء -

إِنْ قَطَرَتْ مِنْهُ قَطْرَةٌ
فَوْقَ الْعَقْرَبِ مَاتَ. وَقَالُوا، اسْتَطْرَادًا:
قَرْيَةٌ يَحْمُولُ
لَا يَحْيَا الْعَقْرَبُ فِيهَا،
وَإِذَا جَاءَ إِلَيْهَا مَاتَ.

✱

حِينَ يَفِيضُ قَوْيُوقُ
يَحْمَرُّ الْمَاءُ وَتَبْدُو فِيهِ
صُورٌ، وَتَمَائِلُ نَحَاسٍ.

✱

عَيْنُ كَبْرِيتَيْهُ
يَأْتِي النَّاسُ إِلَيْهَا
مِنْ كُلِّ الْآفَاقِ، وَتَشْفِي الْأَمْرَاضَ جَمِيعًا.
لَا يَدْرِي أَحَدٌ
مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ الْمَاءُ، وَكَيْفَ، وَأَيْنَ يَرُوحُ؟
قَالُوا: جَرَحُ

يتطهر فيه
كون مجروح.

✽

جزء
لدماء سلاحف تشفي المصروعين، وتشفي
كل الأوجاع السرية.

✽

بالرومية
كُتبت أسماء المقبورين:
هذا نور من عند الله، وهذا في عليين.
مقبرة - يغمرها نور
لا يسقط إلا في الليل، وحين يجيء الناس إليه،
يخفي.

غ - ٢ / أبواب

في التاريخ أن الدخول
إلى مدينة حلب، كان يتم من
أبواب متعددة، يعود أقدمها
إلى القرن الثاني عشر
الميلادي، ويعود أحدثها إلى
بداية القرن السادس عشر.

بَابُ النَّصْرِ، -

غَزَلَانُ فِرَاقٍ وَمَرَارَاتٍ
تَتَقَاظَرُ مِنْ أَسْوَارِ الْقَصْرِ.

※

بَابُ أَنْطَاكِيَّةَ، -

رَأْسُ قَدِيسَةٍ
تَتَفَتَّحُ فِيهِ وَرُودٌ
لَا يَرَاهَا سِوَى عِطْرِهَا.

※

بَابُ قَسْرِينَ، -

فِي يَدَيْهِ ثَلَاثُ نَجُومٍ
يَتَفَقَّدُنْ أَضْوَاءَهُنَّ، عَلَى رَأْسِهِ
قَمَرٌ هَائِمٌ؛

※

الأبواب التي زالت ولم
يبق لها أي أثر، هي: باب
العراق، باب العدل، باب
الفرايس، باب السعادة، باب
السلام، باب العافية، باب
الأربعين، باب القناة، باب
الأحمر. الأبواب التي زالت
وبقي اسمها. هي: باب
الفرج، باب الجنان، باب
التيرب. الأبواب الباقية هي:
باب أنطاكية، باب النصر،
باب قسرين، باب المقام،
باب الحديد.

بابُ الحديد، -

لا تَسْلُنِي،

وقلْ أَيُّ شَيْءٍ.



باب المقام، -

ذَبْحُ،

وإبراهيم يَسْكُبُ في المقام

دَمَعُ الكلام - دَمَ الكلام.



باب العراق، -

يعشق الضموء ليل الرحيل،

كيف مالت أباييله، يميل.



باب العدل، -

ما أصفاه، ما أوهنه هذا التبع:

نسجته الحيرة في الأحشاء بخيط الدمع.



باب الفراديس، -

وجه عشتارَ فوق المدينة، رُدّوا
عن وجوه التوافذ أَسْتَارَهَا.

✽

باب السعادة، -

موسيقى ماء
تَبْجَسُ مِنْ كَبِدِ الصَّحْرَاءِ.

✽

باب السّلام، -

إِرْحَلْ، أَوْ لَا تَرَحَّلْ
بَابُ الْغَرْبِ كَبَابِ الشَّرْقِ، فَمَاذَا تَأْمَلُ؟

✽

باب العافية، -

وضع الدّاءِ يديه
في ماءٍ بارِدٍ.

✽

باب الأربعين، -

هِيَ قَافِلَةٌ لِلْبُكَاءِ
تَتَفَتَّحُ فِيهَا السَّمَاءُ.

※

باب القناة، -

بِأَنْفُوسَاءٍ تَحْفَظُ أَسْمَاءَ مَنْ مَرَّ فِيهَا
وَتَقُولُ دَفْئًا
لَيْلَ أَحْزَانِنَا
فِي شَلَى وَزْدَةٍ.

※

باب الأحمر، -

مَرْكَبٌ مِنْ شَرَارٍ يَسَافِرُ فِي لُجَّةٍ مِنْ شَرَارٍ
بَيْنَ هَذَا الْجِدَارِ وَذَاكَ الْجِدَارِ.

※

باب الفرج، -

شَارِعٌ يَتَغَطَّى حَيَاءً مِنَ الضُّوءِ،
يَخْجَلُ مِنْ عُرْيِهِ.

※

باب الجنان، -

آه، ما أجمل الأغنية
في فم المعصية

✽

باب الثيرب، -

طِفْلٌ
يتخيل وجه الله ويغفو
في إضْطَبَلٍ.

✽

باب لا اسم له، -

لبس الماء كَتَانُهُ
كلّ خيط له شكل نايٍ
والعناكب أوتارُهُ.

هوامش



شَرُّ البلادِ
مكانٌ لا صديقَ بهِ .

المتنبي

بهلول المجنون

مات سنة ١٩٠ هـ.

بومتانِ على عُصْنِ واحدٍ:

قَالَ خَيْرِ -

جَسَدٌ لَا يَنَامُ

وَالسَّرِيرُ الْكَلَامُ.

بُومَتَانِ عَلَى عُصْنِ وَاحِدٍ:

حُبُّنَا وَزِدَّتَانُ

لَكُمَا، أَيُّهَا الْعَاشِقَانُ.

لغة - فتنه

غير أن بنيتها وأحفادهم

أسلموا جسمها

لرطوبة أيامهم.

شَرَّري موثق بأحوالها وناري في سَفَرِ كاسِرِ

كي أعاشِرَ أسرارها،

أَتَقَصَّى مداها

في هَوَى آسِرِ.

أبو نواس

مات سنة ١٩٥ هـ.
وكان في التاسعة والخمسين
من عمره.

- أ -

«هو للمُحدثين»

كامرئ القيس للأقدمين» (أبو عبيدة)

- ب -

«ليته لم يكن ماجناً

إذن، كنت آخذ علمي منه» (الإمام الشافعي)

- ج -

.....

أول من أخرج الشعر من داره البدوية،

أعطاه سراً جديداً، وسحراً جديداً.

وهو بدء لهذا الأبد.

- د -

«لو تقدّم في الجاهلية:

لم يتقدّم عليه أحد» (عمرو بن كلثوم العتابي)

جابر بن حيان

كوفى، له حوالى ٢٣٢
كتاباً. منها: أسرار الكيمياء،
علم الهيئة، تصحيحات كتب
أفلاطون، الخمائر، صندوق
الحكمة، الرحمة، العهد في
الكيمياء... وهو أول من
وصف أعمال التقطير،
والسبلر، والتذويب،
والنحويل. مات سنة
٢٠٠ هـ.

إهدنا صَنَعَةَ الكيمياء

إهدنا إلهواها، لإكسيرها التَّيْلُ -

زُبْقاً، بَوْرَقاً

حطباً ومنافع، فحماً

وَأَنَابِيْقَ من كُلِّ قَنْ.

إهدنا للخداع الجميل

ولتقطيرها، ولتحويلها.

إهدنا صنعة الكيمياء

لِنُحوِّلَ هذا التُّرابَ الجميلَ، جِنَاناً

وَأَنهارَ شَعِرٍ وَحِبِّ

لأَحْبَابِنَا ولأَعْدَائِنَا،

مَنْ على الأرض منهم، وَمَنْ منهم في السَّمَاءِ.

الإمام الشافعي

لغة الشَّرْع في رَأْسِهِ،
لغة الشُّعْر في رِئْتِهِ وفي شَفْتَيْهِ؛

الأَقَالِيمُ فَنَحَاءَ في وَجْهِهِ،
غَيْرَ أَنَّ المَدَائِنَ تَعْنُو وترزُحُ مَقْطُورَةً،
تَتَقَلَّبُ في فِقْهِهِ.

هشام الكلبي

النسابة، وصاحب كتاب
«الأصنام». مات سنة
٢٠٤ هـ.

لَا تَزَالُ إِلَى الْآنَ أَصْنَامُكَ الرَّاسِخَةُ
تَتَوَهَّجُ فِي لَيْلِنَا.
لَا تَزَالُ نَنَامُ عَلَى دَفْنِهَا،
فِي أَسْرَةٍ أَطْيَافُهَا الْبَاذِخَةُ
لَا تَزَالُ إِلَى الْآنَ نَشْرَبُ مِنْ ضَرْعِهَا:
كَيْفَ ضَاعَتْ وَضِعْنَا، وَهَا زَرْعُنَا
يَتَنَاسَلُ مِنْ جَذْعِهَا
وَيَعُودُ إِلَى زَرْعِهَا.

الفرّاء النحوي

كان يُسمّى «أمير
المؤمنين» في النّحو. وكان
مؤدّباً لابني المأمون اللّذين
كانا يقدّمان له نعليه،
احتراماً. مات سنة ٢٠٧ هـ.

لغةٌ تتساءلُ عن حالِها:

ما الذي نسجته عن الشّيء، ماذا

يعرف الشّيء منها؟ وأيّ جسورٍ

نُصبت بين أواجه وأواجهها؟

لغةٌ تتساءلُ عَمّا ترى

عن مرايا تقول لها ما ترى،

والمرايا ضيّاعٌ

مثلها، وسؤالٌ.

أحمد بن صدقة

قُتل سنة ٢١٠ هـ.

طُنبوري حَذَقَ الصَّنْعَةَ، غَنَى:
غَنَى رَمَلاً، هَزَجاً - يشكو
لِلصَّخْرَةِ قَلْبَ حَبِيبَتِهِ، وَيؤاسي
وَرْدَةَ حُبِّ تَذْوِي.
هوذا يَمْضِي، يَزْجُو أَنْ يَلْقَى الْأَحْبَابُ
فِي الشَّامِ، يَحَادِثُ طَيْراً
يَتَفَيَّأُ غِيماً.
صَحَبَ، أَصَوَاتُ - بَعْضُ الْأَعْرَابِ
يَلْتَفُّونَ عَلَيْهِ:
أَخَذُوا مَا مَعَهُ - قَتَلُوهُ.

موسيقى طنبور
تَتَغَلَّغُلُ فِي صَمْتِ الْأَعْشَابِ.

بشر بن المعتمر

توفي سنة ٢١٠ هـ. له،
كما يُروى، قصيدة في أربعين
ألف بيت يرث فيها على
خصوم المعتزلة.

- I -

معتزلاً رائداً،
جَمَعَ آراءه وأفكاره
وصاغها قصيدةً واحدة،
ينقد أعداءه
طرائقاً، ولغةً فاسده.

- II -

الأفكار ظلالٌ تأتي وتروح - فأين الجدوى
في أن تُقنع رأساً ليصير يميناً،
وهو شمالٌ
ليصير شمالاً وهو يمينٌ.
ليس الفكر وريداً أوشرياناً.
والأفكار عباءةٌ راعٍ
يتوهم أن الأشجارَ قطعٌ.

عَلِيَّة بنت المهدي

ماتت سنة ٢١٠ هـ.

«كانت من أجمل النساء،
وأظرفهن وأكملهن، أدباً
وعقلاً».

(رسالة عن رجلٍ أحبته)

منذ أن لبس الوقتُ قُفْطَانَهُ

وتبخترَ تيهاً به،

لم يعد يتذكر أوقاتنا

لم نعد نتلاقى

لم يعد بيننا

غير ذاك المكان الذي كان يحنو علينا

حين كنا نفيءُ إليه -

يُلبس حُزْني،

والألبسُ أفراحه.

الرواية

III - II

(...)

- «خُذِ الشعر، أنت أيها المأخوذ بالمرئي ارفعه بيتاً وأقم فيه سيكون حتماً عليك آنذاك أن تسكن في الجانب الآخر غير المرئي حيث يهدر دم العناصر حيث الماء والهواء التراب والنار ثدي واحد آنذاك، ربّما عانقك الشقاء طويلاً طويلاً ولن تقدر أن تؤاويك حتى أحلامك لن تقدر شجيرات الفستق، بحقولها الفسيحة كلّها أن تُظلللك لن يجديك عبق البرتقال أو حنان الزيتون والتين».

(...) هذا ما جَهَرَ به لفضاء القلعة توهماً منه أنه سيفهمه، ولم يكن يريد منه أي شيء قال ذلك لوجه القول، ربّما لأنه كان يشعر أن جسده تلك اللحظة طافح بحكمة القلق والوحدة، ألاّ قدرة له تقريباً على التطق. دائماً يملأ فمه بماء كلما جهد أن يفرغه مُلىء بماء آخر (...).

(...) قرأ:

«اهتمّ الملوك بعمارة القلعة وتحصينها» -

أ - كُتب على جانب الباب الأوسط في القلعة:

«بالإشارة العالية، المولوية، الأمرية،
الشمسية، قرأ سنقر الجوكندار المنصوري
الأشرفي كامل المملكة الحلبية، أعزّ الله
نصره».

ب - كُتب على زئار باب القلعة:

«أمر بعمارته بعد إهماله وإشرافه على الدثور،
في أيام مولانا، السلطان الأعظم، الملك
الأشرف، صلاح الدنيا والدين، ناصر الإسلام
والمسلمين، عماد الدولة، ركن الملة، مجبر
الأمة، ظهير الخلافة، نصير الإمامة، سيد
الملوك والسلاطين، سلطان جيوش
الموحدين، ناصر الحق بالبراهين، محيي
العدل في العالمين».

ج - كُتب على برج القلعة الشمالي:

«جدّد هذا السور المبارك مولانا السلطان الملك
الأشرف قانصوه، عزّ نصره في أيام المقر
الأشرفي الأمير السيفي عين مقدم الألو

بالديار المصرية سيباي الأشرفي نائب القلعة
المنصورة بحلب عزّ نصره سنة ٩١٥هـ.

هل ذلك البخار لهاث؟

هل تلك الحفرة سرير؟

نثار خشب، نبات شبه ذابل شجرات تكاد أن تبكي
ركام حصي وغبار أشباح ذاكرة تتكىء حاسرة
الرأس على عجيزة القلعة القلعة أم فقدت جميع
أبنائها تنحني على شرفات تطلّ على صحراء
الذكرى. حولها طرق يرسمها فراغ الخطوات،
أشخاص يخرجون ليتوهم من أنقاض التاريخ^(١)،
مهزومين يحملهم اليأس على أطراف أظافره.

استحضر سراً شبّ الموت وعجب من نفسه كيف
أخذت تتحدّث معه وتتنزه خفية خارج جسده، بين
يديه وعينه.

لم يلمح طفلاً أم ترى شبه له أنّ الأطفال هنا كلّهم
رجال قبل الأوان؟

لم يلمح كتاباً أم ترى شبه له أنّ الكلمات هنا
أخشاب ومسامير؟

غير أنّه سمع من يقول: ينبغي أن تكون القصيدة
قناةً ينبغي أن يكون الكتاب رغيماً

(١) التاريخ جسّد خراباً، -
كيف يدخل فيه وروحه أكثر
خراباً؟ لكن كيف يهرب منه،
هو الذي يتقلب بين يديه؟

وَحُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ الْأَبْجَدِيَّةَ طِفْلَةٌ مُتَشَرِّدَةٌ لَا مَكَانَ لَهَا مَعَ
أَنَّهَا تَقِيمُ فِي الْمَتْحَفِ دَاخِلَ قَفْصٍ، وَأَنَّهُ أَخَذَ يَتَشَرَّدُ
وَرَاءَهَا لَكِي يَطْبِقُ عَلَيْهَا حَنَانَ ذِرَاعِيهِ.

قَرَأَ كِتَابَةً بِأَبْجَدِيَّةٍ ثَانِيَةِ عَلَى بَابِ أَنْطَاكِيَّةٍ، -

«بِسْمِ اللَّهِ

أَمْرٌ بِعِمَارَةِ الْبَابِ وَالْأَسْوَارِ بَعْدَ خَرَابِهَا وَدَثُورِهَا وَمَحْوِ
رَسُومِهَا،

مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ مَالِكَ رِقَابِ الْأُمَمِ سَيِّدَ
سُلَاطِينِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ سُلْطَانَ الْبَرِّينِ وَخَاقَانَ
الْبَحْرَيْنِ وَخَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ نَاطِرَ الْغَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ الْعَالَمِ الْكَامِلِ
الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ الْمَنْصُورِ خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكُهُ

فِي كِفَالَةِ الْمَقَرِّ الْأَشْرَفِيِّ السَّيْفِيِّ»

(. . . .) («هنا،

كَانَ يَتَدَرَّبُ عَلَى الْمَوْتِ فِي قَلْعَةٍ ثَانِيَةِ تَلَّةٍ عَالِيَةٍ
تَشْرَفُ عَلَى الْمَدِينَةِ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الصَّرَاخُ وَالْأَقْدُورُ
الطَّعَامُ الَّتِي يَغْطِيهَا الذَّبَابُ

كَأَنَّهُ يَرَى الْآنَ ذَلِكَ الطَّاهِي عَابِسًا ضَاحِكًا مَعًا يَكْشُطُ
بِمَغْرِفَتِهِ الْخَشْيِيَّةِ الضَّخْمَةِ الذَّبَابَ عَنْ وَجْهِ الْقَدْرِ
ثُمَّ يَمَلَأُ بِالْمَغْرِفَةِ ذَاتَهَا صَحْنَهُ النِّحَاسِيَّ الصَّدِئَ.

وكان يأكل كغيره كان في الطعام رغم كل شيء
وربما بفضل كل شيء لذة ومتعة.

كان الجنون توأم الخبز والرأس فريسة القدم
ولم يكن لديه آنذاك شيء يقوله لأي شخص
لكن كان أحياناً يجروء على التنهّد خفيةً
وهمساً).

قرأ كتابةً على باب الحديد، -

«أمر بعمارة هذا الحصن المنيع الباب
مولانا السلطان الملك قانصوه الغوري
عزّ نصره

بولاية مملوكه أبرك مقدم الألوّف بالديار
المصريّة وشاد الشرايات والخانات الشريفة، ونائب
القلعة المنصورة بحلب المحروسة، أعزّ الله أنصاره
سنة ٩١٥».

وقرأ كتابةً على قُضطلٍ شِبادق: -

«أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك المقرّ الأشرف العالي
المولوي المالكي المخدومي الكاملّي السيفي يلغا
الصالحى كافل المملكة الحليّة المحروسة أعزّ الله

أنصاره، من ماله، ابتغاء لوجه الله تعالى يقيه العطش
الأكبر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم، في ربيع الأول سنة ٧٤٦هـ.

وقال أبجد:

رأيت أيامي كأنها تخرج من الحجارة^(١)، وتندلق
أمامي. حاولت أن أقول لذلك النهار: اذهب
واتركني. حاولت أن أقول لشمسه: كوني يدي
اليمنى، ولو مرة واحدة، واكتبي ما أمليه عليك.

لم تسمعني الشمس. كانت تعطي أذنيها لصوت آخر.
وحُيِّل إليّ كأنني غيمة لا تعرف من أين جاءت ولماذا
وكيف؟ تراها غيمة عشقت «حارة الحب»؟ تراها
لا تزال في «ساحة فرحات»؟ أم لعلها أثرت البقاء في
«سوق الحراج»؟

تنهدت: «أيتها الغيمة أنا أنت، وأنت لست أنا».

قرأ كتابة على خان القصايتية، -

«أنشأ هذا الخان المبارك في أيام السلطان الملك
الأشرف أبي النصر، قانصوه الغوري عز نصره، المقر
الأشرف السيفي في عين مقدم الألف بالديار
المصرية،

(١) «لما ضاقت مكة على
بني إسماعيل وجرحهم،
تفشحو في البلاد يلتمسون
المعاش. كان لا يرحل واحد
منهم إلا يحمل معه حجراً من
الحرم، تعظيماً له، وصبايةً
بمكة وبالكعبة، يضعه حيثما
خل، يطوف به طوافه
بالكعبة.

ثم أخذ الناس يعبدون
ما استحسوا من الحجارة».

«كان عمرو بن لحي أول
من غيّر دين إبراهيم
وإسماعيل، ونصب الأوثان.

«رأيت عمرو بن لحي،
يجر أمعاءه في النار، على
رأسه فروة». (حديث).

«قدم عمرو بن لحي
بصنم يقال له هُبَل، من
هيئة، من أرض الجزيرة،
نصبه على البئر في بطن
الكعبة، وأمر الناس بعبادته.
كان الرجل إذا قدم من سفر
بدأ به على أهله، بعد طوافه
بالبيت، وحلق رأسه عنده».

وشاذ الشراب خاناه الشريفة بها ونائب القلعة المنصورة الحلبية المحروسة أعز الله أنصاره، ابتغاء لوجه الله تعالى. ومن تعرض إليه كان الله ورسوله خصمه، وذلك في شعبان المكرم سنة ٩١٦هـ.

«كان عند هبل في الكعبة سبعة قِداح، كل قِدح في كتاب.
العقل نعم لا منكم (وسيط)، مُلْصَق (لا نسب له) من غيركم (حليف) المياه».

✽

«دخل رجلٌ من جرهم بامرأة منهم إلى الكعبة فَجَرَّ بها.

اسم الرجل أساف اسم المرأة نائلة، مُبِخا حجرين. أخرجها من الكعبة. نُصِب أحدهما على الضفا والآخر على السُرَّة. لم يزل الأمر يتقادح حتى صار يتمنع بهما مَنْ وَقَف على الضفا والمروة، ثم صاروا وثنين يعبدان، وكان يُنْخَر عندهما».

✽

«دخل الرسول مكة، يوم الفتح، وفيها ثلاثمئة وستون صنماً تُشَدُّها إبليس بالزصاص. وكان بيد الرسول قُضَيْب، كان يقوم عليها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل. ثم يشير إليها بقضيبي، فتساقط على ظهورها. ثم جمعت وكُثِرَت

هكذا يجلس الزمن في القلعة على كرسي يَسْع التراب والهواء. حين يعمل تبرد الشمس وتمتدّد على الأرض. تخرج رياح كثيرة تسير خارج القلعة أشجاراً أشجاراً. تهيج هذه الرياح أجزاء الكون، فينحني جسده قوساً تضطرب وتلتهب وتكون المسافة التي نسميها المدينة قد تحوّلت إلى جِوّة مملوءة عطشاً. وترطب النفس ثم تيبس ثم تنصدع، ويعلو منها بخارٌ برقة النسيم يدغدغ الشجر وما يختبئ وراءه وفي تقاطيعه من غاباتٍ ونبابع.

للشمس في هذه المسافات خيوطٌ حين تنقطع تتحوّل إلى غيوم. وكلّ نجمة فيها طريقٌ تنزل منها ألوان تختلط بالتراب، فيتحوّل كلّ شيء: الندى مطرٌ يمشي، والثلج مطرٌ ينام.

وقال أبجد:

- رأيت في هذه المسافة حجراً أسود يسقط من السماء، يتكئ عليه شيخٌ، والغريان تطير فوق رأسه تنتظر موته.

ورأيت جنازةً ترافقها المشاعل والمزامير،
وكنت أسمع تسبيحَ الشجر.

وحرقت بالنار. خرجت من
أحد الأصنام المكسورة
المحروقة امرأة سوداء شمطاء
عريانة نخمش وجهها وتدعو
بالويل. قيل للرسول الخبير.
قال: تلك نائلة.

قلت: بُنيت القلعة في تطابق تام مع المدينة الأولى.
وسألت القلم أول الخلق عن تكوين المدينة الأولى
فاستجاب. قال:

«خلق الخالقُ غمماً تحته هواء فوقه هواء
خلق الماء

﴿رَبَّنَا ابْلِيسَ ثَلَاثَ رَّغَاتٍ﴾
رنة حين لُعن، فتنشّرت
صورته عن صورة الملائكة،
ورقة حين رأى الرسولُ قائماً
بمكة يُصلي، ورقة حين افتتح
الرسولُ مكة.
اجتمعت إليه ذرّيته،
قال:

- عبناً تردّون أمة محمد
إلى الشرك، لكن أفسدوا فيهم
التواخ والشعر.

جعل عرشه^(١) على الماء

جعل الماء على متن الريح

أخرج من الماء دخاناً ارتفع فسماه السماء

أيّس الماء أرضاً واحدة - فتقها سبعاً

وضع الأرض على الحوت

الماء على حجرٍ عريضٍ أملس

الحجر على ظهر ملك

الملك على الصخرة التي ذكرها

لقمن (ليست في السماء ولا في الأرض)

الصخرة على الريح

تحرك الحوت

(١) «تقول طائفة من أهل
الكلام إن العرش فلنك مستديرٌ
يحيط بالعالم. لكن ثبت في
الشرح أن العرش سريز ذو
قوائم تحمله الملائكة. وهو
كالقبة على العالم، أو هو
سقف المخلوقات»
(الحافظ بن كثير الدمشقي).

اضطربت الأرض وتزلزلت
أرسي عليها الخالق الجبال فقررت (لهذا تفخر
الجبال على الأرض).

خلق الخالق الليل قبل النهار
خلق الشمس والقمر على عجلتين، لكلّ عجلة ثلاث
مئة وستون عروة، يجرّها ثلاث مئة وستون ملاكاً،
يسقط الشمس والقمر في بَخرٍ بين السماء والأرض،
وهذا كسوفهما
تخرجهما الملائكة جَرّاً، وهذا شروقهما».

✽

(...)

«أيتها الغيمة، أنا أنت، وأنت لست أنا».

✽

ربّما، بفعل هذه الغيمة، لم يزر عمود سمعان لم
يكن في حاجة إلى أن يحول حياته إلى عمود آخر
لم يكن في حاجة إلى أن يرى السماء جريدةً والشجر
أقلاماً كان انحيازُهُ مريباً ولم تكن فضة المدينة
كلاماً ولم يكن ذهبها صمتاً.

كان النهار يتوكأ على طفولة المساء
الشمس تنام إيداناً بصلحها مع المُتعبين والليل
يتهايم ليملاً جيوبه برؤوس العشاق

في مثل هذا الوقت الذي ينسج المدينة وتنسجه،
والذي هو صيفٌ ربيعٌ كأنه الخريف،

حَظَرَ له أن يتساءل: هل الكتابة هي، وحدها،
الشِّتاء؟

وخطرَ له أن يضعَ مكانَ التَّاء حرفاً آخر، لا لأنَّ
الأشياء في أوج وضوحها لا لأن التَّخِيل يفارقه
ويَنأى لا لأنَّه يعيش حقيقة ما ظنَّه خيالاً،

بل لأنَّ الكتابة في مثل ذلك الوقت تُشبه التَّيَمُّم في
أرضٍ يغمرها ماء المعنى

هذا ما كان يقوله الشَّيْخُ فيه،

هل للطفل فيه نزوعٌ آخر لا يتبيَّنه؟

ماذا تريد، إذن، أيُّها الطفل؟

قلت له مرَّة: «الأفكار سُرعانَ ما تموت»، ولم يُضغِ
كان الحقَّ معك هي ذي يراها كمثُل ثمارٍ
تتساقط ولا يأبه لها حتَّى البستانيُّ الذي أمضى حياته
ساهرًا عليها.

الآن، ماذا تريد أيُّها الطفل؟ لك كلُّ شيءٍ إلَّا أن
تُحاولَ إغراءه بأن يشاركَ في لهوك الفردوسي.

أنت أيضاً تخطيء أحياناً أيُّها الطفل.

قلت له مراراً: «أينما ذهبت في أنحاء المدينة ستري
المتنبي.

ربّما لن ترى أثراً لسيف الدولة لكن ستجد في كل
زاوية أثراً من صديقك المتنبي».

قَلْبَ الشَّوَارِعِ نَقَبَ فِي الْأَرْقَةِ تَقَرَّى الجدران
تَسْلُقُ جبال الهواء أمسك بجبال الشمس لا أثر
كلأ لا أثر.

أنت أيضاً تخطيء كثيراً أيها الطفل.

ليست السماء زرقاء فوق المدينة وليست رمادية ليس
للسماء لون، للسماء رائحة وليس هناك مصدر تستطيع
أن تقول عنه بيقين: هوذا أصل الرائحة. وعندما
تحاول أن تسأل الشمس أو ناحية في الفضاء، لا يأتيك
جواب تزداد حيرتك وتشط بك البلبلة
منشارٌ بعلو السماء يغوص في جسد المدينة
أهو أصل الرائحة؟

كلأ، قالت له حجارة تتوجت بالنقوش وجاهر
بالكلمة ذاتها حَطَّ كوفي موزق.

غضب على قدميه لأنهما لم تتعبا غضبت عليه
مثذنة جامع الأطروش لأنه لم يعرف، هو الذي يقول
برؤية ما لا يرى، أن يقرأ وجهها ولا أن يقرأ ما وراءه.

«سعيدة بهذا الفراغ الذي أتلاً فيه»: قالت له مثذنة
جامع التوتة وكان قد سلّم على جامع القيقان في حيّ
العقبة وشعر منذ وقعت عليه عيناه كأنه هو الذي يقبل
نحوه آتياً من سفرٍ في أقاليمٍ ممّا قبل التاريخ.

حيّ التّل، -

في حيّ التّل، سار وسط أريج ينبعث من ثياب النساء
وأعناقهن دافقاً كمثّل طوفانٍ أخضر أريج أحسن
كأنه يجعله، بسحرٍ ما، كائنًا غير مرئيٍّ يمضي وقته في
صناعة الغيم

لم يفهم كيف يلبس الفضاء هنا ثوباً مليئاً بالثقوب. لم
يفهم كيف أنّ الكلام هو الذي يفتح هذه الثقوب.
هل يقدر الكلام أن يتحوّل إلى نملٍ طائر؟.

لكن، أصغوا.

بحر قائم في الهواء

«كانت المدينة ألف قبل تكوينها جوهرة خضراء،
نظر إليها الخالق نظرة هَيَّيَّة، فصارت ماءً.
نظر إلى الماء غَلَى وتصاعد منه دخانٌ وزبد
صار الزَّبَد أرض المدينة والدخان سماءها
شَدَّها الخالق بالجبال لكي لا تهوي أو تميد،
وجعلها مَسْكَنًا لِلرَّيَّاح والماء والشَّجَر وحجارة
الكبريت والإنسان أحياناً.
وزَيَّنَها بالأزمنة ووعدها بأن تتحوَّل إلى أرض ثانية،
بيضاء - جميلة كالخبز ووضع في سماءها شَمْساً
من ضوئه تتدلَّى منها عجلةٌ بثلاثمئة وستين عروة
يتأرجح فيها ثلاثمئة وستون ملاكاً لكلِّ ملاك وجهان
الأول يُسمَّى النهار والثاني يُسمَّى اللَّيْل
وسوَّر السَّماء ببحر قائم في الهواء تسكن فيه النُّجُوم
ويدور حول نفسه سريعاً كالسَّهم ومنح لكلِّ ما
فيها نعمة الكلام، -
كان النَّسر يأتِي إلى الحوت في البحر فيخبره بما في
البرِّ، ويأتِي الحوت إلى النَّسر فيخبره بما في البحر».

الشمس والقمر

«كانت الشمس في المدينة أُلْف تسقط أحياناً من عجلتها، وتسود، تخويفاً للناس.

وكثيراً، كانت تُحبس هي والقمر، تأديباً، -

وكانا يسجدان ويُصلّيان ويستأذنان بالشروق، فلا يُؤذَن لهما، إلا بعد انقضاء ثلاث ليالٍ حيث يكونان في سُرّة السماء،

ويأتي إليهما ملاكٌ يأخذ بقرونهما، ويطلعهما من الشرق، من باب التوبة.»

تكوين

(المدينة أُلْف)

«نَصَبَ بانيها أخشاباً

شَدَّها بحبالٍ طويلةٍ تتدلَّى منها أجراسٌ صغيرة ووصلها بعمودٍ من الرُخام علقَ على العمود جرساً كبيراً أمر البتائين أن يضعوا أساساتها دفعةً واحدة من سائر أقطارها حين تتحرك الحبال ويرنّ الجرس.

ثم أخذهُ النوم

في نومه

جاء غرابٌ أسودُ أبيض جلس على حبل
الجرس حركه رن الجرس الكبير وتحركت
الحبال وخفقت أجراسها الصغيرة آنذاك وضع
البنّاؤون الأساس دفعةً واحدة

وتَمَّ هذا كله بحيلٍ

وحركاتٍ فلسفية .

كان بناء المدينة طبقاتٍ بقناطر عالية يسير تحتها
الفارس، رافعاً رمحه وكان لهذه القناطر والطبقات
ثقبٌ للضوء ومنافذ للهواء وقيل إن المدينة بنيت
على مثال مدينة أخرى تجلس على كرسي من الزجاج
بهية السرطان في جوف البحر - مليئة بالتمثيل:
تمثالٌ يشير بسبابة يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت
تعلو الشمس فتعلو السبابة وتنخفض فتتخفض .

تمثالٌ يُنبئ بالعدو -

حين يدنو من المدينة

يسمع للتمثال صغيرٍ هائل .

تمثال يقيس الوقت: يستقبل كلّ ساعةٍ تجيء بصوتٍ
يختلف عن صوته الذي استقبل به الساعة التي مضت .
مصادفةً مرّاً أبجد في ناحيةٍ من المدينة ألف يقال
لها، شجرة الرّقوم. تمتد هذه الناحية بين جهتين
- وفُسّر ذلك بأنّ ساكنيها لا يعرفون المستطيل أو
المرّيع أو المثلث أو متوازي الأضلاع أو غيرها من
مثل هذه الاشكال هي خطّ مستقيم أو متعرج أو
مُنحنٍ أو لولبيّ: خطّ له بداية محدّدة ونهاية محدّدة.

الإنسان في هذه الناحية جهتان: أبيض أو أسود،
قصير أو طويل، فقير أو غنيّ. الكون كذلك جهتان:
واق وويق. لذلك نادراً ما تتحدث عن شيء اسمه
البرّ أو البحر وهي إن تحدّثت عن البحر تسمّيه جهنّم،
وإن تحدّثت عن البرّ أو اليابسة سمّتها الفانية .
في هذه الناحية تسير الجبال سير السحاب فتكون سراباً
وترتج الأشجار فتكون كالسفن في البحر أو كمثل
القناديل المعلقة في الرّيح

وفيها صوّر

ينفخ نفخة الفرع

ونفخة الصّعق

ونفخة القيام للربّ،

فيطير الناس هاربين من الرعب، فتلقاهم الملائكة
وتضرب وجوههم.

وفي هذه الناحية،

تطلع الشمس من المغرب قصّة ذلك أنّها كلّما
غربت جاءت إلى العرش سجدت استأذنت
في الرجوع يأذن لها وحين يقرّر العرش أن
تطلع من المغرب تستأذن في الرجوع فلا يسمح لها
يطول الليل تعرف أنّها وإن أُذِنَ لها لن تدرك
المشرق تجيء إلى العرش وتقول:

رَبِّ، ما أبعد المشرق! مَنْ لي بالنّاس؟

وحين يصير الأفق مثل الطّوق، تستأذن في الرجوع،
فيقال لها:

- ارجعي واطلعي من مكانك هكذا تطلع على
الناس من المغرب

وفي ناحية أخرى رأى شجرة الزقوم كانت تفصله
عنها أمة هي بين الأمم كالشعرة البيضاء في الثور
الأسود (وقال آخرون: كالشعرة السوداء في الثور
الأبيض)

حول شجرة الزقوم سوق لا يُباع فيها ولا يُشترى إلا
صور النساء والرجال مَنْ يشتهي صورةً يدخل فيها

ثم تجيء ريح تهب في الثوب والوجه، فيرجع
المسافر إلى زوجته أجمل وأشهى
ويكون الصخر كافوراً،
والمسك عالياً كالجبال.

رأى كرسياً أخذ يكلمه، وليس بينهما ترجمان.
كان عنده حوض، وعند الحوض ميزان
ورأى رجلاً في كفة فيها تسعة وتسعون سجلاً لذنوبه
وخطاياهم وفي الكفة الثانية بطاقة كالأنملة فيها كلام
كانت الكفة التي تحمل البطاقة هي الراجحة.
كان حول الميزان بقرة كمثّل الغمامة، والكتب تتطاير.
وقيل له هنا تبدأ مدينة الواقع.

التفت رأى حشداً يسير على خيط رفيع يقال له
الشعرة يستجدّ حتى يصبح كشفرة السيف ويستحرّ
حتى يكون كمثّل الجمر كان الجميع صامتين إلا
واحداً يركب ناقه وآخر يغني بصوت يشبه الأذان
مَرّوا على الشعرة عُرّاً محجلين -

واحدٌ كمثّل انقضاض الكوكب،

واحدٌ كمثّل الرّيح،

آخر كمثّل شدّ الرّحلي - يُزْمِلُ رَمَلاً.

حين رأى الخالق، ما رأى، أمر الملائكة أن يرشوا ماءً
يقال له ماء الحياة أخذ التاجون يبتون كما يبت الحُبُّ
في السّيل الجميل، ويخرجون كأنهم اللؤلؤ وفي
رقابهم عقود وخواتيم.

سمع أحدهم يقول:

لكلّ شخص في مدينة الواق خيمة من لؤلؤة واحدة،
مجوّفة، طولها ستون ميلاً.

ولكلّ رجل في مدينة الواق اثنتان وسبعون زوجة
يدخل في كلّ واحدة دَحْماً دَحْماً.

وفي مدينة الواق فرسٌ من ياقوتة حمراء لها جناحان
تحمل الرّجل وتطير به حيث يريد.

وفيها شجرة تخرج الثياب من أكمامها، وهي ثيابٌ لا
تَبْلَى، وفيها سحائب لا تُسأل شيئاً إلاّ أمطرته حتى
أنّ بعضهم يقول للسحابة: أمطرينا نساءً، فتمطرهم
نساءً.

وعنقود العنب فيها لا ينتهي يظل صاحبه يأكل منه
حتى نهاية العالم وهو كبير بقدر مسيرة شهر
للغراب

وفيه شجرة يقال لها الظل الممدود يسير الإنسان في
ظلها مئة عام. وليس في الواق شجرة إلا ساقها من
ذهب^(١).

فيما أخذ يفتكر في هذه المدينة العجيبة خرج عنق من
النار وبدأ يتكلم كان رجل يتجه نحو العنق
سمع العنق يزفر ورآه ينزوي وينقبض ثم يشهق
إليه شهقة الناقة إلى بغيرها وكان قعر النار سبعين
خريفاً.

وعرف أن هذه مدينة الويق.

أصغى سمع الرجل يتحدث مع الخالق أو يتحدث
إلى نفسه:

- «مَسْتَنِي رِيحُهَا يَا رَبِّ، وَأَحْرِقْنِي حَرَّهَا.

(أزاحها الرب عن وجهي).

- يارب، قَرَّبْنِي إِلَى بَابِ الْوَاقِ.

(١) روى أحدهم، قال:
«رأيت في هذه المدينة صنماً
عظيماً رجلاه في الأرض،
ورأسه في السماء. أعلاه من
ذهب، وأوسطه من فضة،
وأسفله من نحاس. وساقاه
من حديد ورجلاه من فخار.
فبينما أنا أنظر إليه قد أعجبني
حسنه، وإحكام صنعته، فدفعه
الله بحجر من السماء، فوقع
على قمة رأسه، فدقّه حتى
طحنه. فاختلط ذهبه وفضته
ونحاسه وحديدته وفخاره حتى
تختل إليّ لو اجتمع جميع
الإنس والجن على أن يميزوا
بعضه من بعض، لم يقدروا
على ذلك، ولو هبت ريح
لأفترته. ونظرت إلى الحجر
الذي قذف به، يربو ويعظم
حتى ملأ الأرض كلها.
فصرت لا أرى إلا السماء
والحجر...».

(قَرَّبَنِي قَانِلًا: لَا تَسْأَلْنِي غَيْرَ ذَلِكَ)

سَكَتَ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ:

- يَا رَبِّ، أَدْخِلْنِي مَدِينَةَ الْوَاقِ.

(قَالَ: أَلَمْ تَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْأَلَنِي؟ مَا أَغْدِرُكَ، يَا بَنُ آدَمَ
لَكِنْ، مَا زَالَ يَسْأَلُهُ وَيَدْعُوهُ حَتَّى ضَحَكَ. حِينَ
ضَحَكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَأْذَنُ لَهُ بِالذَّخُولِ إِلَيْهَا.

(أَدْخَلَنِي وَقَالَ: اشْتِهِ كُلَّ شَيْءٍ!)

اشْتَهَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيَّ كُلُّ مَا
اشْتَهَيْتُ.

وَقَالَ لِي: خَلَّصِ اللَّبَنَ مِنَ الْمَاءِ!»

«مَدِينَةُ الْوَيْقِ نَارٌ كُلُّهَا،

النَّارُ الَّتِي نَعْرِفُهَا جِزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ مِنْهَا ضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ
مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَنْفَعَةٌ لِأَحَدٍ،
وَكَانَتْ نَارُ مَدِينَةِ الْوَيْقِ حُمْرَاءَ ثُمَّ اشْتَعَلَتْ أَلْفَ سَنَةٍ
فَابْيَضَّتْ ثُمَّ اشْتَعَلَتْ أَلْفَ سَنَةٍ فَاسْوَدَّتْ وَهِيَ الْآنَ
سُودَاءَ بَيَضَاءَ

فَوْقَ هَذِهِ النَّارِ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنْ شَعْرَةٍ وَأَحَدٌ مِنْ
سَيْفٍ عَلَيْهِ كَلَالِيْبٌ وَحَسَكٌ وَيَعْبُرُ النَّاسُ عَلَيْهِ
كَمِثْلَ الرِّيحِ وَالْبَرْقِ، وَكَمِثْلَ أَجَاوِيدِ الْخَيْلِ.

ورأى رجلاً، يجيء وعلى ظهره شاة لها ثغاء،
وأخر على رأسه فرس تحمحم،
وأخر قتيلاً يمشي ورأسه في يده.
ورأى واحداً ينتعلُ نعلًا من نار، ودماغه يغلي من
حرارة نعليه، ورأى رجلاً يحكي ثم يسكت فجأة،
وحين سكت فمه أخذت تتكلم ساقاه.
ورأى واحداً يُصبُّ الحميم على رأسه فينفذ من
الجمجمة حتى يصل إلى جوفه فيسلب ما فيه ثم يمرق
من قدميه،
ورأى شخصاً يُرمى في عينٍ من النار يقال لها غساق،
ثم يُخرَجُ منها وقد سقط جلده ولحمه عن عظمه،
فَيُعلَّقُ جلده ولحمه في كعبه، ويترك وحيداً يمشي
يجرّهما وراءه كما يجرّ ثوبه
ورأى فوق أهل مدينة الويق سحابة سوداء تناديهم:
ماذا تطلبون؟ فيقولون: ماء، ماء، ماء!
لكنّ السحابة تمطرهم سلاسل وجمراً
وكان بعضهم يتمدّد في توابيت من حديد توضع في
القعر في تنور صغير كمثّل القمع يقال له: جُبّ
الدّمع. وقيل إنّ لهم طعاماً ذا عَصّة لا يدخل البطن
ولا يرتفع إلى الفم، فيبقى بين المعدة والحلقوم.

وأهل مدينة الويق لا ينامون ولا يموتون . يجلسون في
النار، يأكلون النار ويشربونها ويلبسونها. وقيل بين
أذن المقيم في مدينة الويق وكتفه مسيرة سبعين خريفاً .

وكان يسمع ضجيجاً فيقال له هذه أحجارُ أرسلت في
مدينة الويق منذ سبعين خريفاً، والآن تصل إلى
قراها .

وقال أبجد:

حين يستقر أهل مدينة الواق وأهل مدينة الويق كلٌّ في
مدينته، يجيء واحدhem بكبشٍ لونه أسود يخالطه
بياض يضعه على الشعرة وينادي:
يا أهل مدينة الواق، أتعرفون هذا؟
فيقولون: نعم، إنه الموت .

ثم ينادي:

يا أهل مدينة الويق، أتعرفون هذا؟
فيجيبون: نعم، هذا هو الموت .
ثم يذبح الموتُ الكبش فوق الشعرة، ويقال لأهل
المدينتين:

خلودٌ في ما تجدون،

خلود ولا موت .»

الذِّكْرَى

III - II

المدينة هاء

المدينة هاء

مولودة لا تقدر أن تنهض من الفراش
الذي ولدت فيه .

✱

تركب المدينة هاء

عربة تائهة،
لا تفكر، لا تحلم، ولا تتوقف عن الكلام .

✱

تقول المدينة هاء :

إن لم تكن سعيداً بي، أنت يا من تبحث عن السعادة،
فابحث عن وكر - تَمَدَّدْ فيه،
سُدَّ فمك وأذنيك،
أغمض عينيكَ، ونم، ولا تستيقظ .

✱

المدينة هاء

تُحلّ الكلام محل الأرض -
هكذا لا تظهر فيها الكلمات إلا مغطاة
بعباءة الغيب .

✱

المدينة هاء

تفصل بين الوردة وعطرها
وتحرض الجسد على أعضائه .

✽

المدينة هاء

عزبة تجرّها ألفاظٌ أنحلّها السير .
مكانٌ يهمس أخباره
في أذني سجن .

✽

المدينة هاء؟

ضعوا رؤوس أعدائكم على رفوف الهواء ،
وانتظروا الطير الأبايل .

✽

المدينة هاء

ذئبة تقتل كلّ يوم غزالةً
لكي تغتسل بمسكها !

✽

المدينة هاء

تغطي وجهها وتضع على رأسها قبعة ،

لها كذلك أظافر خاصة
تحكّ بها ظهر التاريخ .

✽

المدينة هاء
جسر بين العنق والمشنقة .

✽

المدينة هاء -
كثيراً، رأيتها تركب نهدين
من معدنٍ لا أفقه شيئاً من أسرارهِ .

✽

المدينة هاء
تعيش هانئة في مزمار
يعيش هانئاً في طَبْلٍ .

✽

المدينة هاء
تحمل زمناً أعرج أبكم
يحمل تماسيح - بيوتاً للناس .

✽

المدينة هاء

كمثل عبارة في حرفها الأول رجل

في حرفها الأخير امرأة،

وبينهما جسر

لا من الحب لا من العمل،

بل من القتل .

ثلاث لافتات على بوابة المدينة هاء

- ١ -

لا وجود لشيء اسمه الحرية
وما لا وجود له ، لا يحتاج إليه الإنسان .

- ٢ -

لن تقبلك هذه المدينة
إلا إذا أقمت فيها ومعها
على بضع خطواتٍ من جهنم .

- ٣ -

تأملوا في هذا السيف :
غمده رأسٌ
يحرس سجنًا هو نفسه رأس .

المدينة واو

كل عمل تقوم به المدينة واو، تحسبه نصراً. لذلك
تحيا في هزيمة متواصلة.

※

تحتفي المدينة واو بماضيها كثيراً، طئاً منها أن الأشياء
والأفكار لا تدخل التاريخ، إلا عندما تصبح خارج التاريخ
- متحجرة.

※

حولت المدينة واو سكانها جميعاً إلى آلات. لم يعد
أحد منهم يبادر للقيام بعمل ما، بل لم يعد يدري ماذا يفعل.
ينتظر كل منهم يداً تجيء من فوق، أو من خارج، لكي تجد
له مكاناً أو ثقباً في سلسلة ألتها الثانية، الموصولة بالآلة
الأولى.

※

طبيعي أن يجد الفأر نفسه حراً في السجن الضخم الذي
أقامته المدينة واو لغزلانها.

※

أن تقول لبلادك، كما تقول لأملك، أحياناً، أكرهك،
وأن تقبل منك ذلك، فيما تحتضنك، أمر يؤكد عظمتها،

ويعطيها القيمة والمعنى .

وهو أمر لا تريد المدينة واو أن تفهمه، وترفض أن
تسمعه .

※

غداً، لن يكون للمدينة واو وللمقبرة إلا اسم واحد .

※

التفت، أيها العابر في المدينة واو: قل لي كيف امتحت
الطرق يميناً وشمالاً وراءك وأمامك؟

※

يصرّ سيد المدينة واو على أن أفراد الأمة يمكن أن
يكونوا مشوهين، وأن تكون الأمة في الوقت ذاته، كاملة
الخلق والخلق!

※

نعم، تحلم المدينة واو، هي أيضاً، لكنها لا تحلم إلا
بالخلاص من هؤلاء الذين تسميهم المرضى والذين يتحدثون
عن الحرية .

※

كل شيء في المدينة واو متهم، أو مشتبه به . ولست
مستثناة، أنت أيتها الوردة . حتى لو صارت لك أجنحة وطرت
بعيداً، فسوف يقال عنك: هه؟ تحولت إلى غراب .

※

أن تحيا في المدينة واو، هو أن تشبع دائماً جنازة الحياة .

✽

كل ساكن في المدينة واو، يفكر راهباً ويعمل شرطياً .

✽

التقدم في المدينة واو، هو أن تنتقل من سجن كامل إلى سجن أكثر كمالاً .

✽

لا تقرأ القصيدة في المدينة واو، ولا تكتب إلا بوصفها دجاجة .

✽

واحد وواحد وواحد إلى ما لا نهاية، لا تساوي في المدينة واو إلا واحداً .

✽

لماذا تسكن في المدينة واو؟
- لأنها تتيح لي أن أختبر العدم، وأنا حي .

✽

الكلمات في المدينة واو ليست أبجدية، إنها نوع آخر من الحيوانات الداجنة .

✽

أَتَبْنَا أَنْ تَتَحَوَّلَ الْحِجَارَةُ فِي الْمَدِينَةِ وَאוּ إِلَى مَلَايِكَةٍ .

✽

أَنْ يَمْشِيَ مَخْلُوقٌ عَلَى قَدَمَيْنِ لَا يَعْنِي بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ
إِنْسَانٌ : هَذَا مَا نَتَعَلَّمُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَאוּ .

✽

أَوْهَ ، لِمَاذَا لَا تَسْقُطُ الْمَدِينَةُ وَאוּ إِلَّا عَلَى رَأْسِ الْإِنْسَانِ؟

✽

تَمْضِي الْمَدِينَةُ وَאוּ وَقْتُهَا بَاحِثَةٌ فِي كَيْفِيَةِ تَحْوِيلِ الْقَدَمِ
إِلَى رَأْسٍ ، وَالْمَعْدَةُ إِلَى أُذُنَيْنِ !

✽

قَالَ الْعَدَمُ لِلْمَدِينَةِ وَאוּ : أَحَبُّ أَنْ انْتَمِي إِلَيْكَ .

✽

لَيْسَ سَاكِنُ الْمَدِينَةِ وَאוּ مَسْجُونًا دَاخِلَ جُدْرَانِهَا
وَحَسْبُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَسْجُونٌ أَيْضًا دَاخِلَ رَأْسِهِ .

✽

الْعَنْفُ هُوَ لَا زُورِدُ الْمَدِينَةِ وَאוּ .

✽

كتب - أبواق وركب منحنية، كتب - سلاسل يقين،
سدود ومتاريس، كتب - دروب مقطوعة، كتب - لا تجرؤ أن
ترفع بصرها، كتب - حروب لقتل الأخ أخاه، كتب - أصول
في فن إبادة الرغبات: تلك هي بعض من الكنوز التي تحتزنها
المكتبة العامة في المدينة واو.

※

يخترق المدينة واو نهر، نصفه دم، ونصفه الآخر سائل
لتمويه الدم.

※

التبريز في فن اعتقال الهواء وسجنه، التبريز في فن
محاكمة الورد، التبريز في فن صيد الأصوات: اختصاصات
جديدة أضافتها المدينة واو إلى الاختصاصات المعروفة في
برامجها التربوية.

※

ما لا يقال عن المدينة واو، هو القنديل الذي أكتب في
ضوئه ما يقال.

※

المدينة واو فأس بطيئة تحفر قبراً بلا قرار.

※

المدينة زاي

قَدَمَ إلى الجهة التي تفتتح الفوضى،
قَدَمَ إلى الجهة التي تفتتح النظام،
الجهتان هما معاً طريقه إلى المدينة زاي
ومنها تجيء وحدة خطواته:
مفارقة لا ترقى إليها أية مسيرة.

※

تكوّن المدينة زاي من الحروف التي تكوّن اسمها،
لا أكثر،
وربما أقل.

※

تكرّر المدينة زاي دائماً:
ليس بين الجئة والجئة،
إلا مسيرة نقطتين.

※

(من يوميات عثرتُ عليها بين أوراق شاعر نفته المدينة زاي،
ومات في المنفى):
أ - «الموت نفسه ليس مخرجاً.

ب - بَخَرُوا أَعْضَائِي بِالرَّفْضِ ..

ج - للكلمات هي أيضاً جثث
وهي غالباً تظلّ سابحةً في رأس هذه المدينة .
د - أناسٌ

يحملون أفكارهم في جيوبهم .

هـ - أرفض أن أطرّد شياطيني ،

وإلا كيف أقدر أن أرى الملائكة؟

و - أتنزه كلّ صباحٍ ، مع رفيقي الدائم :
المستحيل .

ز - ليس للحصاد أخلاقٌ غير ما يقوله المنجل ،
ولا حيلةٌ للسنابل .

ح - منذ اللحظة التي ولدت فيها
بدأت اتعرّف على موتي .

ط - ربما انقسمت في نفسي ، خصوصاً في شعري ، إلى
أشخاصٍ عديدين . ربّما حرّضت أحدهم على الآخر ،
وواجهت أحدهم بالآخر ، وانتصرت لأحدهم دون الآخر .
وهذا كلّهُ ، لكي أكتشف الاحتمالَ ، الممكن ، الوجه الآخر .
لكي أهدم بلادةِ الوضوح ، ولكي أعطي للتناقض حدوده
القُصوى .

✱

المدينة حاء

ليس الجسم وحده هو الذي ينفَت في هذه المدينة، بل
الاسم أيضاً. رضي الأول أن يتمدّد في حقيبة من التراب،
وقبل أن تحمله، مع أنها تشبه القبر. غير أنّ الثاني الذي رفض
أن يتخذ له كفناً إلاّ من كتان القمر، لا يزال يلتطم بحجر
لا أعرف كيف أصفه. ليس في كلّ حال، الحبر الذي تنتجه
آلة المعنى.

أتحدّث عن غائب، لكنه في الوقت نفسه حاضر.
ويكتب كلّ يوم في هذه المدينة.

✱

تنزلق بين أوراقه، ملء كلماته،
شظايا منطفئة تترمد بطيناً بطيئاً،
صفائح من معادن يجهلها،
هالات لا يقدر أن يفسرها ألا بمعاجم الكيمياء، وهي
ليست بين يديه.

ونمة شهب تخترق فضاء المدينة حاء ملونة حتى
كواحلها بلهب الغضب،
يشبه له أنه يحيا فيها.

✱

القلب - مفكراً، والعقل - عاشقاً:
هكذا تريد له الحياة أن يكون، لكي يقدر أن يعيش في المدينة
حاء .

※

- (من خواطر شاعر في المدينة حاء، مات شاباً):
- أ - كيف أنتمي إلى وطن، لا ينتمي هو نفسه إلي؟
ب - مئة رغيف من القمح، لا تصنع رغيفاً واحداً من
الذرة.
ج - تجاهل وأنس،
إن كنت تريد أن تتجدد باستمرار.
د - أيها القصص، إنك تملؤني شيخوخة.
هـ - لا أخاف، ولا أفاجأ: ذلك أنني لا أمل شيئاً.
و - الغزالي - مُستنجداً بأبي نواس: هذا هو المشهد الذي
سيُتكرّر في الغرفة الطيبة المقبلة، غرفة التشريح
المعرفي.
ز - المسألة هي أن تكذب السماء، إن شئت أن تصدق
الأرض،
وأن تكذب الأرض إن شئت أن تصدق السماء.
ح - لن اعترف بأخطائي إلا لهذه الغيمة العابرة.

المدينة طاء

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
لاتكاد أن تفتح لك أبوابها،
حتى تدخل في متاهة من العناق بين الموت والأفق.
تشعر كأنها لاتحيا بأحيائها، بل بموتها.
تشعر كأن حياتها اليوم هي موتها أمس.

※

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
لم تعد إلا عربة تجرها ألفاظ أنحلها السير في صحراء
الآلة،

لم يكن لمعماريتها أن يتنبأ أن نوافذها لن تمتلئ
بالأعين بل بالسائر

ولا تتحقق من بشاعة الآلة إلا في هذه المدينة :
ترى جسدها يثخن تحت أكداش القمامة، من كل نوع،
وتكاد أن تصرخ عالياً ملء الأرض
هي ذي محاكم تفتيش أخرى لقتل الإنسان.

※

من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
كل ساكن فيها،

يعيش في ورقة، في خزانة، في دكان .
هكذا يتحول فيها التاريخ إلى حانوت، وتتحول
الكلمات إلى نساء يسرن في الشوارع بنصف جسد،
هكذا تبدأ الشمس يومها خطأ في المدينة طاء،
مثلك أنت، أيها العابر.



من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
ولست هنا لأوحد بين الرباب والأرغن أو لكي أمزج حزني
بوردة الغياب.

أنا هنا لكي أمعن في التساؤل:
هل المنفى أول العتبات وآخرها؟
هل التاريخ بيت أشباح؟



من زمن دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
هكذا يغمرك فيها ضوء -

لا ضوء الشمس الطالعة، بل ضوء شمس غابت .
هكذا واكبن في مستقبلي تخيلته واستدعيت،
وأخذ يقرأ معي:

لكن، ما تأويلك أيها الشعر؟



من زمن، دخلت شفرة الموت في عنق المدينة طاء،
ألهذا تدخل أعضاؤك إليها في عيد، وتخرج منها في جنازة؟
ألهذا تقرأ أينما توجهت عينك في صفحة فضائها:
«التاريخ غبار ذاكرة، والحاضر ذاكرة غبار»؟

(خواطر عُثِرَ عليها بين أوراق شاعرٍ
نفته المدينة طاء)

- أ - «أفضل اليد الصديقة على اليد العاشقة ،
غير أن مشكلتي هنا ،
هي أنني لا أعرف حباً خارقاً ، ولا أعرف صداقة
خارقة .
- ب - لا يذكر صديقي أنه عاش يوماً واحداً ، خارج هذا
المأزق :
إما أن يفصلَ عن نفسه لكي يلتقي بالآخر ،
وإما أن يفصلَ عن الآخر لكي يلتقي بنفسه .
- ج - يموت من كوني حياً ، -
مسكين هو . لا أملك ، مع ذلك ، إلا أن أشفقَ عليه .
- د - لماذا أشعر أنني مشرّد إلى الأبد ، في كل جملة أكتبها ؟
- هـ - نام الليل على وسادتي ،
فيما كنت ساهراً .
- و - عَصُرَ ، -
سريّر تهزّه الآلة .
- ز - تنحني سنابل القمح للريح ،
لا لكي تُحييها ،

بل لكي توذعها.

ح - ليحصى الشاطئ، حكمة ما أرجبها وما أقواها:

بصمتٍ أبدى، يُصغي

إلى الموج الذي يثرثر أبدىً.

ط - أنكلم كثيراً على الماء،

لا تظنوا أنه في العالم الخارجي -

إنه في أحشائي. »

المدينة ياء

يتكلمون في المدينة ياء على الأجنحة دائماً، لكن ليس
في كلامهم غير القيود.

✱

تبدو السياسة في المدينة ياء كأنها مِرْجَلٌ ضخْمٌ بحجم
العالم، مليءٌ بحساء الرؤوس من كل نوع.

✱

لو صَحَّ أن تكونَ الحريةَ جسماً، لما كان هذا الجسم
في المدينة ياء، إلا حشداً هائلاً من الجراح خِيط بعضها إلى
بعض في هيكل يطفو تائهاً في نَهْرٍ من الدم.

✱

تؤكد المدينة ياء، وفقاً لتقاليدها وتعاليمها، أنَّ
المعرفة، في البدء، لم تكن للإنسان، بل للغراب، وأنَّ
القتلَ (وليس الكلمة) هو الذي كان في البدء.

III

هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ، فَمَا
يَبِينُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَذَلُ
فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ
وَفِي بِلَادٍ مِنْ أَخْتِهَا بَدَلُ.
المتنبي

- ٣١ -

السَّارِي أَبُو غَمْرٍ^(١) يَخْرُجُ،
يَقْتُلُ بِاسْمِ الدِّينِ،
وَيُحَارَبُ، يُقْتَلُ بِاسْمِ الدِّينِ.
ما أَعْجَبَ هَذَا الْإِيمَانَ، وَأَعْجَبَ
مَنْهُ أَنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ سَوَاءٌ
فِي عِلِّيْنِ!

- أ -

(١) مِنْ قَوَادِ الْخَوَارِجِ.

يَبْكِي آدَمَ
لَا مِنْ إِثْمٍ، لَا مِنْ نَدَمٍ أَوْ مِنْ حُزْنٍ.
يَبْكِي فَرَحاً
مِنْ نَشْوَتِهِ
بِبَهَاءِ الْعَالَمِ.

* طَبَخْنَا، وَتَطْبَخَ هَذَا الْوَجُودُ
عَلَى نَارِهَا الْمُلْغَزَةِ،
حِكْمَةُ الْمَعْجِزَةِ.

- ب -

نَضَلَّ ذَهَبٌ

يَنْقُذُ حَتَّى الْقَلْبِ . تَرَاهُ

كان نزيلاً في فردوس؟

- ٣٢ -

سِرٌّ^(١) إِلَى قَرْطَبَةٍ

أَيُّهَا الرَّأْسُ، لَا عَهْدَ عِنْدِي

لِمَنْ كَانَ ضِدِّي .

أُتْرَاهُ الْخَالِقُ يَنْفَخُ أَيْضاً مِنْ رَوْحِهِ

فِي الرُّمَحِ؟ تَرَاهُ

تَسْبِيحُ الْقَاتِلِ، بِاسْمِ اللَّهِ، ضِيَاءٌ

يَصْدُرُ فَيْضاً عَنْ تَسْبِيحِهِ؟

* يُولَدُ الْغَيْبُ تَوَّامَ قَابِيلَ - قَتْلًا،

تُولَدُ الْأَرْضُ تَوَّامَ أَنْشُودَةٍ.

(١) الحكم، صاحب
الأندلس، يخاطب رأس
عمه، المقطوع، سليمان.
وقد بعث به إلى قرطبة ليراه
الناس، اعتباراً.

- ج -

قُلْ، إِذْنٌ، أَيُّهَا الْفَقِيهُ،

أَيَا هَادِي الْحَيَارَى،

قُلْ لَنَا: أَيِّ مَاءٍ

يَطْهَرُ مَائِدَةُ الْحَنْجَرَةِ

مِنْ أَقَاوِيلِهَا الْمُنْكَرَةِ؟

لَا تَقُلْ هَذِهِ وَحْدَهُ بَيْنَنَا،

لَا تَقُلْ ذَاكَ وَضَلُّ،

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ الصَّحَارَى.

- ٣٣ -

فِي نَسَا^(١)،

النِّسَاءُ سَبَايَا،

وَالْبِلَادُ رَمَادٌ -

هَلْ تَشْكُ؟ تَقْدَمُ

لَكَ أَنْ تَتَفَحَّصَ،

أَنْ تَلْمَسَا.

* بَيْدٌ مِنْ ضِيَاءٍ

تَرْسُمُ الشَّمْسُ وَجْهَ الْحَجَرِ،

وَبَحْبَرِ الْهَبَاءِ

يَرْسُمُ اللَّهُ وَجْهَ الْبَشَرِ.

(١) الإشارة إلى علي بن
عيسى بن ماهان، قُتِلَ فِي
مَدِينَةِ نَسَا، أَبَا الْخَصِيبِ
وَسَيَّ نِسَاءهُ وَذُرَارِيهِ.

(١) الكلام للخليفة الرشيد،
بعد أن قتل جعفر البرمكي،
ونصب رأسه على جسر في
بغداد، وقطع جسمه نصفين
نصبا على طرفي الجسر، ثم
أُخْرِقَا.

عندما يلبس الليل جلبابه
ويُجَيِّش حولي تهاويله
ويقول: تَهَيَّأ، أَتُنْكَ الرُّؤْيَى
في بوارق مكسوة بالغيوم.

لا أرى ما أفيء إليه
أو أفوض جسمي إلى جسمه،
غير مغراج هذي التجوم.

- ٣٧ -

- أ -

«هوذا أجهزت عليه،
واشتأصلته،

- جعفر كان شهاباً
وأنا من سواه، مَنْ أشعلهُ،
وأنا أطفأته».

- كيف، لماذا؟

- «لو أعلم أن قميصي

يعلم ذلك،

أخرفته»^(١).

* لم تبُح هذه المثلثة
بالقتيل - بِمَنْ تَلَّه، وبمن جَرَّه،
وَبِمَنْ كَفَّنَه،
وحده التخلُّ نكس أغصائه.

- ب -

لا برامكة، حاصروهم
وأبيدوهم.

وخذوا جعفرًا -

قيدوه بقيد حمار. اضربوا عنقه،
وانصبوا رأسه عاليًا،

واقطعوا جمسه قطعتين -

اصلبوا القطعتين على الجسر،
ثم اخرقوه.

لا برامكة - لا أمانَ لهم، لا
أمانَ لمن ينتمي إليهم، ولمن
يلجأون إليه.

واقتلوهم كباراً صغاراً، وعلى
كلِّ دربٍ،
وفي كلِّ دارٍ.

- ه -

أصحيح

أنا لا نموتُ، كما قال بعض النبواتِ،
لكننا ورقٌ يتساقطُ من شجرٍ لا نراه،
نغيرُ أيقاعنا وخطانا
وسرايلنا

ونسافر من ظاهر الجواب إلى باطن
السؤال -

زادنا صمتنا
والدروبُ أظلمتْ أيامنا
والمطَيّ الخيال.

أصحيح

ما تراءى لتلك النبواتِ، يا هذه السهولُ
ويا هذه الجبالُ؟

* كيف نقدرُ أن نفهم العقابَ
السمائي، أو نفهم الثوابَ،
والحقيقة تأتي وتمضي - غيمةٌ تتقشعُ
في رقةِ الهدب، أو لمعةٌ من سراب؟

قال عن نفسه

إِنَّهُ السَّيِّدُ الْحَاكِمُ الْكَامِلُ

وهو مفتاح هذا الوجود، وميزانه العادلُ
بعده، لا كلام: لا سؤال ولا سائل.

فلماذا صَمَتَ وآمَنَت، يا أَيُّهَا الْمُتَفَقِّهُ،

كالآخرين، وَأَنْتَ الْأَمِينُ الْمُرْجَى،

كما علَّمونا،

وَعَبْرُكَ مُسْتَشَبِّحَ جَاهِلٍ؟

* من أين يجيء، وكيف يجيء

ليجلسَ في كرسيِّ الحاكم،

طاعونٌ دائِمٌ؟

- ج -

أَنْسَ بَنُ أَبِي؟^(١)

ذاك سيفي تحت فراشي،

خُذْهُ، يا عَبْدُ، واضربْ به عُقَّةُ.

- د -

«آه، واجعفرأه»:

كان يَهْذِي ابنُ عثمان^٥ في

شُرْبِهِ. إِنَّهُ وَخَصِي لَهُ

وَشَيْئًا لِلرَّشِيدِ: اضربوا

عُقَّةُ/

ضرب الابن عُقَّةَ أبيه.

- ه -

آه، واحيرناه،

ما تقولون في الابن يقتل،

زُلفى لسلطانهِ، أباه؟

(١) كان أنس بن أبي صاحباً
لجعفر، ومتهما بالزندقة.(٢) هو إبراهيم بن عثمان بن
نُهَيْك. كان يذكر البرامكة
ويبكي عليهم، فإذا شرب
النبيد مع جواريه يأخذ سيفه
ويقول: واجعفرأه، واسيدأه
والله لأتعلن قاتلك ولأثارتُ
بدمك. وشئ به للرشد ابنه
وخصي له. وابنه هو الذي
أسرع وضرب عنقه، امتثالاً
لامر الرشيد.

- ز -

يَهْبِطُ وَجْهَهُ الْخَالِقِ نَحْوَكْ، لَكِنْ

تَعْلُو بَيْنَ يَدَيْهِ -

مَعْجُونًا بِهِمَا

مَرْسُومًا بِهِمَا

مَحْمُولًا فِي مَوْجِهِمَا.

عَجَبًا!

كَيْفَ تَجِيءُ، إِذَنْ، مَجْبُولًا

بِالْقُبْحِ، وَكَيْفَ تَكُونُ شَقِيًّا؟

(١) نصّ الرسالتين، كما وردتا في المصادر التاريخية.

- أ -

«من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أما بعد، فإنّ الملكة التي كانت قبلي، أقامت مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق. فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بك أضعافه إليها. لكن ذلك لضعف النساء وحمقهنّ. فإذا قرأت كتابي هذا، فاردد ما حصل لك من أموالها، وأذكر نفسك بما تقع به المصادر لك، وإلاّ فالسيف بيننا وبينك».

- ب -

«من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الرّوم، قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب، ما تراه دون ما تسمعه».

- ٣٥ -

- أ -

«مِنْ نَقْفُورٍ^(١) مَلِكِ الرُّومِ،

إِلَى هَارُونَ مَلِكِ الْعَرَبِ:

كَانَ حَقِيقًا أَنْ تَحْمِلَ أَنْتَ الْمَالَ

إِلَيَّ، لِهَذَا

أَطْلُبُ أَنْ تُعْطِيَنِي

مَا أَعْطَيْتَ الْمَلِكَةَ -

ضَعْفًا وَاسْتِخْذَاءً.

وَلَسَوْفَ أَحْكُمُ سِيفِي

إِنْ لَمْ تَفْعَلْ».

- ب -

«مِنْ هَارُونَ إِلَى نَقْفُورٍ، كَلْبِ

الرُّومِ: إِلَيْكَ جَوَابِي -

لَنْ تَسْمَعَهُ، لَكِنْ سَتَرَاهُ».

* تَسْأَلُ؟ ضَوْءُ التَّسْأُولِ هَادٍ، وَلَكِنَّهُ
افْتَتَانٌ

لَا يَقُودُكَ إِلَّا لَكِي تَتَرَحَّلَ مِنْ مَهْمَةٍ
إِلَى مَهْمَةٍ.

- ح -

إِنَّهُ الدَّرْهَمُ
يَتَدَثَّرُ أَحْلَامُهُمْ، وَيَغْتَبِرُ مِثَاقَهُمْ
وَيُصَوِّرُ أَيَّامَهُمْ
وَيَقُولُ لَهُمْ مَنْ هُمْ.
أَلْحَيَاةُ تَمُوتُ، تُشَيِّعُ، تُدْفِنُ -
لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَى قَبْرِهَا
حَاكِمٌ أَوْ فَقِيهٌ.
وَحَدَهُ الشَّعْرُ، صَلَّى وَعَتَّى.

- ٣٦ -

ثَوْرَةٌ فِي طَرَابِلِسَ الْقَرْبِ
ضِدَّ الْوَلَاةِ،
مَزَّجَتْ خَمَرَهَا بِالذَّمَاءِ،
وَأَسَافَهَا بِالصَّلَاةِ.

* الْقَرَابِينُ فِي مَنْجَنِيْقِ،
وَالْمُصَلُّونَ يُلْقَوْنَ أَيَّامَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ
فِي دَمٍ فِي رِصَاصٍ: فِي قِذَائِفٍ وَعُغْدٍ.

- ط -

لا أريدُ ولا أتحيرُ - لكن

أصادفُ:

بيني وبين الكلام

شهوات -

مرّة، لا أفيقُ،

وأترك جسمي لباساً لها.

مرّة، لا أنام

لا أصادقُ إلا شهواتي ومعراجها، -

تتغيرُ في كلّ يومٍ، وتغيرُ أمواجها.

* زمنٌ بيتٌ: وعدٌ لقاء

لكنّ الباب، الجدران، السقف،

وكلّ نوافده،

تلويحاتٌ وداع.

- ٣٧ -

- أ -

يسمرقند^(١) في هذه الآونة

أنّه الرّبة الواهنة -

قاتلونٌ وقتلى

وحروبٌ نغيب، وأخرى

خلفها كاميئة.

- ب -

سيف^(٢) يتكسر، يهوي

في قبضة سيف.

(١) تمرّد رافع بن الليث على عامل سمرقند. قتله، واستولى عليها.

(٢) سيف بن بكير، خرج وقتل.

- ٣٨ -

- أ -

يَسْكُرُ ابْنُ هِشَامٍ^(١)

بالرؤوس: الدماء له كالخمر -

الرؤوس كؤوس لها.

مرّة، تندرج بين يديه،

وينكس أجسامها.

مرّة، فوق أعواده

لعب متزف/

سكر متزف.

- ي -

ارتاب، استوحش: كلّ كبيرٍ

صار صغيراً في عينيه،

وتفرّق ذهنه:

يَسْمَعُ ما لا يَسْمَعُ

ويرى ما ليس يراه أحد.

قال فقيه عنه:

هذا رجل مجنون.

* فاجأته الغيوم

بتأويلها،

عندما راح في الليل يقرأ ما كتبه إليه

النجوم.

(١) قتل الحكم بن هشام، كما يُروى، ما يزيد على خمسة آلاف من أهل طليطلة وأعيانها. وصلب جماعة من قرطبة منكسين، وضرب أعناق جماعة.

- ب -

تَرَوَانُ^(١) يَشُورُ، سَوَادُ الْكُوفَةِ
أَخْضَرُ، وَالْأَشْجَارُ بَيُوتٌ.

أَتَرَى حَظَّ الْتَائِزِ

يَبْقَى فِي أَرْضِ اللَّهِ،

وَعِنْدَ مَلَائِكَةٍ

الْآتِي،

حَظًّا عَائِزًا؟

- ج -

«أَهْدِمُوا»^(٢) فِي الثَّغُورِ الْكِنَاسِ،
قُولُوا لِأَصْحَابِهَا:

الْبَسُوا مَا تَشَاوُونَ إِلَّا

الْبَاسَ الَّذِي يَتَرَبَّأُ

بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَقُولُوا لَهُمْ:

ارْكَبُوا غَيْرَ مَا نَرُكِبُ

فَلَنَا مَذْهَبٌ وَلَكُمْ مَذْهَبٌ».

- ك -

بَابِلُ سُرِقَتْ شَمْسُهَا

وَمَجَامِزُ يُونَانَ مِنْ بَعْدِهَا

لَهَبٌ ضَائِعٌ.

كُلَّ شَيْءٍ لَكَ الْآنَ، يَا أَيُّهَا الْمَتَفَقِّهُ،

جِسْمُ

وَرِعٌ ضَارِعٌ.

أَنْتَ بَابُ الْخُرُوجِ إِلَى كُلِّ بَابٍ،

وَأَنْتَ الصَّنِيعَةُ وَالصَّانِعُ.

(١) ثروان بن سيف قتل عاتمة
أصحابه.

(٢) «أمر الرشيد بهدم
الكنائس في الثغور، وأمر
أهل الذمة بمخالفة هيئة
المسلمين في لباسهم
وركوبهم».

* سَاعَةُ الْمَتَفَقِّهِ رَمْلٌ

عَقْرِبَاهَا كَلَامٌ

لَا يَقُولُ سِوَى نَفْيِهِ.

- ل -

قَالَ فَقِيهٌ يَهْدِي طِفْلاً:

لَا مَهْرَبَ

لَنْ تَقْدَرَ أَنْ تَذْهَبَ

حَتَّى لَوْ فُتِحَتْ أَبْوَابُ

حَتَّى لَوْ مُهِّدَتْ طُرُقُ.

مَا أَعْجَبَ هَذَا الشَّيْءَ الرَّاسِخَ فِيكَ،

الْأَقْوَى مِنْكَ،

الصَّارِخَ دَوْماً:

لَا مَهْرَبَ.

- ٣٩ -

- أ -

حمزة^(١) سيفٌ

يَنْتَرُهُ بَيْنَ رِقَابِ النَّاسِ.

- ب -

أذربيجان والخُرَّمِيَّةُ^(٢) في ثَوْرَةٍ،
والرَّشِيدُ يُوَجِّهُ فِرْسَانَهُ إِلَيْهِمْ:

«اقتلوا كُلَّ شَبَّانِهِمْ،

وبيعوا ذراريهم

كالعبيد»/

ذَاكَ أَمْرُ الرَّشِيدِ.

* الْأَذَانُ يُدَلِّي قَنَادِيلَهُ

فِي قِبَابِ الْمَسَاءِ

يَرْتَقِي زَفْرَةً زَفْرَةً

دَرَجَاتِ السَّمَاءِ.

(١) حمزة الخارجي.

(٢) كَانَ قَائِدَ جَيْشِ الرَّشِيدِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْهَيْثَمِ
الْخَزَاعِي.

- ٣ -

- ما الفَرْقُ بين الرَّمحِ في يدِ مُسلمٍ
والرَّمحِ - رُومياً؟ أذلك مؤمنٌ
والآخر الروميّ كافِرٌ؟

(١) قبيل موت هارون الرشيد
في طوس دعا بَقْصَابٍ وأمره
أن يقطع أعضاء بشير بن
الليث، فلما فرغ القصاب من
عمله، أغسى على هارون،
ولم يلبث أن مات. وكان قد
قال له: «والله، لو لم يبق من
عمري إلا أن أحزك شفتي
بقتلك، لقتلتك». ورافع هو
أخو بشير.

- أسألتني؟ لا، لا تُكابر
أنتى لك الإيغال في سِرِّ الأصول،
وأنت شاعرٌ؟

- ٤٠ -

صَلَّى، حمدَ اللهَ، وصاحَ كأنَّ
على شفتيه ناراً:
هاتوه^(١)، واذعوا قَصَاباً لِيَقْصِبُهُ،
وأرى كيف يَقْطَعُ عضواً عضواً.
ثم تنهَّد: يا اللهُ،
ملَكْنِي أيضاً من رافعٍ
لأَرَى،
كيف يُسافِرُ في الأحشاءِ
وفي الأعضاء،
الحدُّ القاطعُ.

* قال يهدي امرأةً تلطم خديها على
عاشقها:
عملٌ كُفْرٌ - من البِدْعَةِ أن يُلْطَمَ
خَدٌ فوق مَيِّتٍ.

- أصحیح،

مَلِكُ الْمَوْتِ خَيَلٌ، وَهُوَ لَا يَأْكُلُ،
وَاللَّحْدُ

كَمَثَلِ الْمَهْدِ، أَسْرَارُ طَقُوسٍ؟

- أصحیح

تُخْرِجُ الرُّوحَ مِنَ الْمُؤْمِنِ رَشْحًا،
وَمِنَ الْكَافِرِ تَنْسَلُ انْسِلَالًا؟

- أصحیح

يَضْغَطُ الْقَبْرُ عَلَى صَاحِبِهِ؟
أَصْحِيحٌ أَنَّهُ يَحْكِي وَيَمْشِي؟

* صرَخَ الْجَلَادُ: غَرِيبُ

كَيْفَ تَطُولُ وَتَنْمُو هَذِي الشَّجَرَةُ؟
لَا نَابَ لَهَا، لَا أَظْفَارَ -
مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ إِلَيْهَا الثَّمَرَةُ؟

- ٤١ -

مَاتَ فِي حَبْسِهِ الْفَضْلُ^(١)،
كَانُوا يَقُولُونَ عَنْهُ:
«لَا مِثْلَ لَهُ فِي الْبَشَرِ».

إِنْقَطَعَ إِنْقَطَعَ
أَيُّهَا الْوَتَرُ.

(١) الفضل بن يحيى
البرمكي، ومات في حبسه
بالزُّقَّة. كان يقال عنه: «لم يُرَ
في العالم مثله».

- ٤٢ -

- أ -

القتالُ يمزقُ بغدادَ،
بغدادُ في كلِّ يومٍ
تبتخرُ في حلّةٍ من جُثثٍ
في قصور العَبَثِ.

- ب -

جِيءَ برأسِ عليٍّ^(١)،
طَوِيَ الجِسمُ كطَيِّ الثوبِ،
يَدَاهُ
فِي رِجْلَيْهِ.
لَفَّ بِلَيْدِ
ورموهُ فِي بَثْرِ.
قالَ بزهُوَ طاهرٍ^(٢):
«رَأْسُ عَلِيٍّ بَيْنَ يَدَيَّ،
وَهَذَا خَاتَمُهُ -
حَمْدًا لِلَّهِ».

- س -

يَنْبَغِي أَنْ تَسَافَرَ، يَا أَيُّهَا الْفَقَهُ،

فِي أَلْفِ لَيْلٍ وَلَيْلٍ:

تُفَرِّقُ مَا بَيْنَ نَجْمٍ وَنَجْمٍ

وَتَجْمَعُ مَا بَيْنَ فَجَرٍ وَفَجَرٍ،

وَتَوَالِفُ بَيْنَ التَّقْيِضِينَ:

وَجْهِ الزَّوَالِ وَوَجْهِ الْأَبْدِ،

قَبْلَ أَنْ تَتَلَمَّسَ بَدْءَ الطَّرِيقِ

لِيسْرِ الْجَسَدِ.

* زَمَنْ تَتَقَدَّمُ أَيَّامَ عَقْرِيهِ الْمُبْهَمِ
فِي طَبُولِ الدَّمِ.

(١) علي بن عيسى بن ماهان، قائد جيش الأمين.

(٢) طاهر بن الحسين، قائد جيش المأمون.

- ع -

أُتْرَاهِم، مثلما قيل عنهم،
يَشْتَرُونَ الْجِبَالَ وَعِقْبَانَهَا
وَالغِيَوْمَ وَأَطْفَالَهَا
وَيَبِيعُونَ لَيْلَ الْبَحَارِ؟
أَلْهَذَا، إِذَنْ، لَا يَرُونَ الْحَقُولَ، وَلَا
يَنْتَحِنُونَ عَلَى الْوَزْدِ، لَا يُؤْمِنُونَ
إِلَى الْجُلَنَازِ؟
أَلْهَذَا، إِذَنْ، سَاجِرُ الْقَوْلِ يَمْلَأُ كَفِّهِ
مِنْ فَلَكَيِّ الْقِمَازِ؟

(١) الأيمن والمأمون.

- ٤٣ -

خَزَبُ الْأَخْوِينِ^(١): رَحَاهَا
أَدْغَالُ جَنُونٍ.
إِنَّ يَنْصَلُّ مِنْ أَبِيهِ
وَأَنْخَ لَا يَقْتُلُ إِلَّا أَخُوهِ.

✽ لو قيل الفقه قراءة ظَنُّ
لا تُلْزَمُ إِلَّا الظَّنُّ، فَمَاذَا
سَيَقَالُ إِذَنْ
عَنْ لُغَةٍ تَتَهَرَّأُ فِي شَفْتَيْهِ
عَنْ جَسَدِ الْأَرْضِ الْمُخْنُوقَةِ بَيْنَ
يَدَيْهِ؟

كَلَّمَا جَاءَ وَقْتُ الْهَلَالِ
يَتَخَيَّرُ مِنْ إِرْثِهِ قِنَاعاً، ثُمَّ يَهْبِطُ فِي خَفِيَّةٍ
يَدُورُ، يَخْصُ النَّسَاءَ بِأَسْرَارِهِ،
وَيَقُولُ الَّذِي لَا يُقَالُ.
وَيَسْأَلُ أَعْضَاءَهُ:

أَتَرَاهُ يُحَسِّنُ الْمَطْرَ
بِالْأَنْثَيْنِ الَّذِي يَتَصَاعَدُ مِنْ شَهَوَاتِ الشَّجَرِ؟
أَتَرَاهُ يُحَسِّنُ الشَّجَرَ
بِالْأَنْثَيْنِ الَّذِي يَتَنَزَّلُ مِنْ شَهَوَاتِ الْمَطَرِ؟

(١) العَيَّار هو الشخص الذي لا يهتمُّ بأمور عيشه وإنما يعيش كيفما اتفق. وقد ظهر العَيَّارون في بغداد في أثناء الحرب بين الأمان والمأمون. والبيت الأخير للشاعر يعقوب الخريمي من قصيدة طويلة مشهورة، كتبها في خراب بغداد، آنذاك.

ولعمرو بن عبد الملك العنبريس قصيدة في وصف العيارين قال فيها:

«خَرَجْتَ هَذِهِ الْحُرُوبُ رَجَالاً

لَا لِقِطْعَانِهَا وَلَا لِنِزَارِ؛

مَعْتَصِراً فِي جَوَاشِنِ الصُّوفِ
يَغْدُونَ إِلَى الْحَرْبِ، كَالْأَسْوَدِ
الضَّوَارِي

ليس يدرون ما الفرار، إذا
الْأَبْطَالُ عَاذُوا مِنَ الْقِتَالِ بِالْفِرَارِ
وَاحَدٌ مِنْهُمْ يَشُدُّ عَلَى الْفَيْنِ
غُرْبَانٌ مَا لَهُ مِنْ إِزَارِ

ويقول الفتى إذا طَعَنَ الطَّعْنَةَ
خَذَهَا مِنَ الْفَتَى الْعَيَّارِ».

- ٤٤ -

عَرَادَاتٌ وَمَجَانِيقُ:

بغدادُ حصارٌ -

عَيَّارُونَ^(١) عُرَاةٌ

ويعوضون الحربَ عُرَاةً

إِلَّا مِمَّا يَنْتَرُ عَوْرَةَ كُلِّ مِنْهُمْ.
وَالرَّأْسُ مُغَطًى

بِالْخَوْصِ الْمَحْشُوِّ بِزَفْلِ:

خَوْصٌ سَمَوُهُ خُوذًا.

وَالْمَقْلَاعُ سِلَاحٌ لَهُمْ -

نَهَبُوا بِغَدَادًا،

صَارَتْ بِغَدَادُ خَرَابًا -

«قَفَّرًا خَلَاءٌ تَعْوِي

الْكِلَابُ بِهَا

يُنَكِّرُ مِنْهَا الرُّسُومَ زَائِرُهَا».

* عِنْدَمَا تَشْهَدُونَ الْقَمَرَ
وَشَوْشُوا الْبَحْرَ، عَطَّوْا سَرِيرَ مَنَامَتِهِ
بِشَرَاكِ السَّفَرِ.

عَالَمٌ دَاخِلٌ

كَيْفَ نُصْغِي إِلَى وَقْعِهِ

وَالدَّرُوبَ إِلَيْهِ بِلَا مَنَفَذٍ؟

عَالَمٌ خَارِجٌ

كَيْفَ نَقْتَصُّ آثَارَهُ

وَالدَّمَاءَ تَغْطِي خُطَاهُ؟

عَبَثَ نَحْنُ فِيهِ وَمَنْهُ

وَالرِّيَّاحَ تَبْدَلُ قِمَصَانَهُ

وَتُجَدِّدُ أَحْوَالَهُ.

* لست فقيهاً،

وأنا لا أشربُ خمراً:

ما يَشْرَبُ عَقْلِي، لا أَشْرَبُهُ.

- ٤٥ -

- أ -

ذَبَحُوا مِنْ قَفَاهِ الْأَمِينِ^(١):

خَذُوا رَأْسَهُ

إِلَى طَاهِرٍ.

نَصَبُوا رَأْسَهُ فَوْقَ رُمُحٍ. خَذَوْهُ
لِلْخَلِيفَةِ كَيْ يَطْمِئْنَ،

خَذُوا بُرْدَةَ الْخِلَافَةِ، وَالْخَاتَمَ،

الْقَضِيبَ: اطمأنَّ الْخَلِيفَةُ،

لَمَّا رَأَى

كُلَّ هَذَا، وَخَزَّ سُجُوداً: «لَكُمْ
أَلْفُ أَلْفٍ...»(١) «نُصِبَ رَأْسُهُ عَلَى بَرَجٍ،
وَكُتِبَ عَلَيْهِ: «هَذَا رَأْسُ
الْمَخْلُوعِ مُحَمَّدٍ».أَمَرَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ أَتَوْا
بِالرَّأْسِ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ».

- ق -

هل أقول لذاك الفقيه:
 خُلِفْتُ وفي قدمي دروبُ الضياع؟
 هل أقول: لهذا تلبسَ جسمي
 حالَ القلاغ -
 يتغلغلُ فيها، يروز مفاتيحها،
 يتبطنُ أسوارها.
 هل أقول له كيف أجمعُ بين
 الطبيعة والطنع:
 كي أتعلم أسرارها.

* رجلٌ - نجمةٌ تتطوح، تنسابُ في
 لجة البحر،
 تطفو على الماء، تعلو وتشرذ
 في طبقات الغيوم، -
 أثرها تُجنُّ النجوم؟

- ب -

أجسام أجسام^(١)
 تتحول في الشهوات إلى
 صلبان.
 ألمخمور يقيم النهب،
 القتل، الحرق
 ثلاثة أيام في قرطبة
 ونواحيها.
 ألمخمور يسوق الناس
 فرادى وجماعات،
 كالأنعام.

(١) قتل الحكيم بن هشام في
 الأندلس، وكان يُنادى: يا
 مخمور، عدداً كبيراً من
 المتمردين عليه في أرباض
 قرطبة. وقيل إنه اختار ثلاثئة
 من وجوههم، فقتلهم
 وصلبهم منكرين. وأقام
 النهب والقتل والحرق ثلاثة
 أيام.

أَوَّلُ الدَّهْرِ يَغْفُو عَلَى زُنْدِي الْآنَ،

أَقْرَأْ أَحْوَالَهُ،

وَأَقَالِيَمَهَا، وَتَقَاسِيَمَهَا، -

أَسْأَلُ الشَّمْسَ: لِمَ يَبْقُ مِنْهُ

غَيْرَ مَا حَفِظْتُهُ،

وَمَا قَلْتُهُ -

مِثْلَمَا قَرَأْتُهُ الْغَيُومَ

فِي كِتَابِ النَّجُومِ.

- ٤٦ -

«سِرٌّ إِلَى ذَلِكَ الْخَارِجِيِّ»^(١)،

وَجِئْتِي بِرَأْسِهِ،

فَأَنَا هَا هُنَا قَاعِدٌ فِي انْتِظَارِكَ،

إِنْ لَمْ تَجِئْتَنِي بِهِ، سَأَجِيءُ

بِرَأْسِكَ» - هَذَا هُوَ الرَّأْسُ بَيْنَ

يَدَيْهِ،

وَالْأَمِيرِ، كَمَا قَالَ، فِي قَصْرِه

قَاعِدٌ.

(١) الكلام للحكم ابن هشام، مخاطباً أحد قواده. والخارجي المشار إليه ثائر من البربر. ويقال إن الحكم صلب اثنين وسبعين شخصاً من أعيان قرطبة وفقهائها، لمجرد تقديم إياه على شرب الخمر والانهماك في الملهذات.

* هَاتِيهَا، نَحْبِكَ الْآنَ، يَا أَيُّهَا الْمَارِقُ

أَنْتَ بَابُ الدَّخُولِ إِلَى كُلِّ سِرٍّ،

وَأَنَا الطَّارِقُ.

- ٤٧ -

- أ -

إقطعوا رأسه^(١) وطوفوا به،
واقطعوا جسمه اثنين - نصفين:
نصفاً إلى ضفة، ونصفاً إلى
ضفة، -

دجلة ظامىء للظفر

كيف يذبح في ضفتيه البشر.

- ب -

قتلوه^(٢) - بعضهم قال: أعطي
سماً،
وهو في سجنه.

- ش -

هَمْتُ، غَنَيْتُ، نَادَيْتُ:

يا أَلَفَ الْبَدءِ، يا ياءُ،

يا أَيُّهَا الْأُبْدُ

كيف تزعمُ أَنَّكَ أَبْقَى وَأَجْمَلُ من ذلك
الحجرِ المتوَحَّدِ

في ركن بيتي؟

عَجَبِي يَتَوَعَّلُ فِي غِيَةِ، وَصَوْتِي

بَطَرٌ، هَائِمٌ.

لم يُجِنِّي فِقِيهِ، لم يُجِنِّي أَحَدٌ.

* بدم الأُزْمَنَةُ

يَتَّبَعُ مُسْتَسْلِمًا

للحروب وأهوالها

جَسَدُ الْأَمْكَنَةِ.

(١) الإشارة إلى قتل أبي
السرايا قائد عسكر الطالبيين
الخارجيين في الكوفة، سنة
٢٠٠ هـ.

(٢) هُرْثَمَةُ بْنُ أَعِينٍ.

- ت -

(١) يحيى بن عامر ابن
إسماعيل، الذي قتله المأمون
لأنه قال له: يا أمير الكافرين.

لا نعرف إلاّ أشياء

لا أسماءَ لهنّ، ونعرف أنّ

الإسمَ كمثّل الطّيفِ،

وما أبعدُه

حتّى حين نجاهِرُ: ما أقربُه!

أهناك فقيّه يعرف سِرَّ الإسمِ،

ويعرف أين يكون، وكيف يَجِيءُ

المعنى؟

- ج -

يا يحيى^(١)، كيف تُسمّي

رأسَ الإيمانِ، أميراً

للكفّار؟ - تُراكِ سُمّتَ الدّنيا،

فطلبتِ الموتَ لكي تترخّلَ
عنها؟

* ليس لي ثقةٌ في نجومِ

لا تقبل، في كلّ يومِ،

كتفّي شاعري.

نَصْنَعُ مِنْ كَرْسِيٍّ وَطْنًا
وَنُسَيِّجُهُ

برؤوسٍ قُطِعت، بِجِرَابٍ تَدْمَى
ونعزّزه

- ٤٨ -

- أ -

بسجونٍ لا حُرَّاسَ عليها
إِلَّا قَتْلٌ -

بعد أن قطعوا رأسه^(١)

يَنَارُ، أَوْ يَسْتَكْمِلُ قَتْلًا.

ربطوا جسمه بِخَبْلٍ على جذع
رَمَح، وطاقفوا به في مدينة بغداد
- مَرَّوا على بيته ليراه دَوَّوه،
وطافوا به الكرخ، ثُمَّ رَمَوْهُ إِلَى
دَجَلَةٍ -

اجلس، يا هذا التَّارِيخُ الْوَاهِنُ فِي
أَحْضَانِ الْفَقْه - تَفَتَّتْ
وارقْدُ مِثْلَ رَمَادٍ.

أيها النهر، ما أَتَهَمَكَ!

أيها النهر، ما أَكْرَمَكَ!

* كِي أَضْحَكَ أَوْكِي أَبْكِي
أَسْكَبُ ظَنِّي فِي خَطَوَاتِي،
وَأُذِيبُ يَقِينِي فِي شَكِّي.

- ب -

آذَى فُسَاقُ الْحَزْبِيَّةِ، وَالشُّطْرُ
النَّاسَ كَثِيرًا.

قَطَعُوا فِي بَغْدَادَ الطُّرُقَا

أَخَذُوا غُلَمَانًا وَنِسَاءً، جَهْرًا.

فِي فُطْرُبَلْ، رَاحُوا يَنْتَهَبُونَ،
وَقَالُوا:

لَمْ يَبْقَ مَكَانٌ فِيهَا،

أَوْشِيءَ،

إِلَّا سُرِقًا.

- خ -

أَبْدِيَّ - وَلَكِنْ

لَا يَكُونُ، وَلَا يَتَجَلَّى،

وَلَا يَتَمَثَّلُ إِلَّا

فِي دَمِ زَائِلٍ:

هَذِهِ صُورَةُ الْعَيْبِ أَوْ صُورَةُ الْكَوْنِ،

أَوْ صُورَتِي -

وَلَكَّ الْآنَ أَنْ تَتَيَّقَنَّ، أَوْ تَتَحَيَّرَ،

يَا أَبَيْهَا الْمَتَفَقَّهُ،

يَا سَائِلِي.

* لَا يَجِيءُ الْأَبْدُ

لَا تَجِيءُ السَّمَاءُ إِلَى الْأَرْضِ إِلَّا

فِي نَشِيدِ الْجَسَدِ.

خَلَعُوا^(١) المأمون، وقالوا:

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ، خَلِيفَتُنَا.

- «كَلَّا،

لا طاعةَ للمأمون

تَرَكَ التَّنْوِيدَ، وَشَاءَ الْخُضْرَةَ،

هَذَا

مَسْحُورٌ، أَوْ مَجْنُونٌ!».

- عندي، يَا مَوْلَايَ سَوَّالٌ.

- قُلُّهُ.

- كَيْفَ يَقُولُ الْعَضْوُ الْعَضْوُ، وَيَنْزِلُ فِيهِ - فِي
مَاءِ الْقَلْبِ، وَكَيْفَ يُلَاسُّ، كَيْفَ يَعِيشُ الْبَاهُ
الْبَاهُ؟

- سُبْحَانَ اللَّهِ. سَوَّالُكَ؟ مَاذَا قُلْتَ؟

أَتَسْأَلُ؟ عَفْواً

تِلْكَ أُمُورٌ

لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ.

* النِّسَاءُ اللَّوَاتِي رِبَطْنَ سُرِيرِي

إِلَى قَصَبٍ فِي ضِفافِ التَّهْرِ،

لَمْ يَزَلْنَ كَمَا كُنَّ - جَبْرًا غَرِيْبًا

فِي كِتَابِ الصُّورِ.

- ض -

جَرَسُ يَعِشِقُ الْأَذَانَ، أَذَانٌ

تَرْتَمُ أَجْرَاسُهُ -

باسم تلك الجبال التحيلة في الصَّوْبِ،

باسم اهتزازاتها،

ومقاماتها،

وإيقاعها.

(١) الفضل بن سهل، وكان يوصف بأنه «ذو الزناتين» القلم والسيف. قتله في الحمام أربعة أشخاص مختلفو الأصول، وقد ضرب المأمون رقابهم، وهم غالب المسعودي الأسود، قسطنطين الرومي، فرج الديلمي، موفّق الصقلبي.

(٢) بابك الخزمي الذي ادعى أن روح جاويدان بن سهل حلّت فيه. قاد أصحابه الجاويدانية وتمرد.

قال عنه: «دينه دين الفرج، ويؤمن بالتناسخ».

- ب -

إبراهيمُ بن المهدّي يسودُ الكوفةَ. خَرَبَ.

هوذا الفضلُ^(١)، وزيرُ المأمون، قَتِيلٌ.

- ج -

أُغْلِنَ بِابْكُ^(٢): «جاويدانُ روحٌ حلّت في جسمي

صارَتْ مَعْنَايَ،

وَصَارَ اسْمِي».

* قَمُرُ الْيَوْمِ يَفْرُكُ بِالْجَائِلِيقِ

يديه، وبالفقه يفرك أجفانه، -

أَتَرَاهُ يَعُودُ إِلَى بَيْتِهِ سَالِمًا؟

- ٥٠ -

- أ -

بَغْدَادُ تُغَيَّرُ: تَخْلَعُ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِّي،
وَتَدْعُو
لِلْمَأْمُونِ.

- ب -

قال المأمون: «الناس على
دَرَجاتٍ، -

مَظْلُومٌ، أَوْ ظَلَامٌ
أَوْ لَا مَظْلُومٌ لَا ظَلَامٌ.
الأول يرجو منا عدلاً،
والثاني يرجو عفواً،
والثالث مُسْتَعْفِنٌ،
يكفيه بيت يرتاح إليه».

- ظ -

كنت أعرف سِرَّ القتالِ، وأنشودةَ النَّصْرِ،
أعرفُ كيفَ سَيُخَفَّرُ قَبْرِي، وَيُصَلَّى عليه،
ومن سَيَنُوحُ عليّ، وكيفَ وأَنْتِ،
وأعرفُ شَكْلَ الزَّهْوَرِ التي سَتَكْدُسُ حَوْلِي،
وَاللُّوْنَ وَالرَّائِحَةُ،
عندما كُنْتُ أَصْغِي لصوتِ الفقيهِ
يُرْتَلِّ مَرثَاتَهُ
لِلشَّهيدِ المَشِيْعِ، أَوْ يقرأُ الفاتِحَةَ.

❖ اهبطوا أيها الصَّاعِدُونَ، وذوقوا
بِهَاءَ الهَبْوَطِ،
ما الذي كانَ آدَمُ لولا الخَطِيئَةَ، لولا
السُّقُوطُ؟

- ٥١ -

«قد أبحتنا»^(١) الكلام:

فَمَنْ قَالَ حَقًّا، حَمِدْنَا

وَمَنْ قَالَ جَهْلًا، نَبَذْنَا.

إجعلوا بينكم أصولاً:

الكلامُ فروغٌ

فإذا ما افترعتم،

رجعتنم إليها».

- غ -

لِعَصَا لَمْ تَكُنْ حَيَّةً

وَلَنْ تَتَحَوَّلَ فِي الْجَهْرِ أَوْ فِي

الْخَفَاءِ إِلَى حَيَّةٍ،

تُسْعِلُ الْأَرْضَ قِنْدِيلَهَا

وَتُقَدِّمُ لِلْعَاشِقِ الْمَتَمَرِّدِ،

مِرَاتِنَهَا

وَسَرِيرَ هَوَاهَا

وَمَنْدِيلَهَا، -

هَلْ أَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى مَنْ عَصَى

أُيْهَذي الْعَصَا؟

* نَهَرُ التَّكْوِينِ، مِنْ هَابِيلَ مَشْطُورٌ

يَمِينًا وَشِمَالًا،

مَا الَّذِي يَشْطُرُ بَيْنَ الضَّفَتَيْنِ

غَيْرُ حَرْبِ الْأَخْوَيْنِ؟

(١) القائل هو الخليفة المأمون.

- غ ٢ -
(استطراد)

سأل الزواي:

(١) علي بن أبي طالب

ما رأيي الفقه بقول علي^(١)

لغريب ضيف كان يسير لبيت المقدس - (هذا إن
صح الثقل):

«لماذا السير لبيت المقدس؟ بغ رحلتك

وأقيم في الكوفة - في مسجدِها

الركعة فيه خمس في غيره.

فيه صلى إبراهيم، وصلى كل نبي، كل
وصي^(١).

(٢) في رواية: «ألف نبي»،
ألف وصي».

وعصا موسى فيه، واليقطين، وفيه.

فَارَ التَّوْرُ، وفيه

ماتَ يَغوْثُ وماتَ يَعوْثُ وفيه

صلى نُوحٌ -

فلماذا السير لبيت المقدس؟»

وثنى الزواي:

قالوا: غمس الله حروفه

في دَمْع^(٣) الكوفة.

(٣) في رواية: جبر.

هوامش



إذا اعتاد الفتى خوض المنايا
فأَهْوَنُ ما يمرّ به الـوَحُولُ.

المتنبى

دنانير المغنّية

ماتت سنة ٢١٠ هـ.

(١) يحيى بن خالد اليرمكي.

نَبَغْتَ عِنْدَ يَحْيَى^(١)

وَكَانَ الرَّشِيدُ يُحِبُّ السَّمَاعَ إِلَى صَوْتِهَا: أَبْتَ أَنْ تَغْنِي

لِغَيْرِ الْبِرَامِكَةِ - اسْتَأْثَرُوا بِهَوَاهَا.

وَأَبْتُ أَنْ تَغْنِي حَتَّى لَهَارُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ،

وَلَمْ تَقْبَلِ الزَّوْاجَ، وَظَلَّتْ

بَعْدَهُمْ، فِي اعْتِزَالٍ عَنِ النَّاسِ،

فِي بَيْتِهَا -

إِلَى أَنْ قَضَتْ.

أبو العتاهية

مات، سنة ٢١١ هـ.
سجنه المهدي العباسي لأنه
هجر قول الشعر وهذده بالقتل
إذا لم يعد إليه!

هجرَ الشعر - قَرَّرَ أن يتوقف عن قوله :

لماذا، وما سِرَ هذا القراز؟

أهُوَ الشعر لَهْوٌ؟ أم طريقٌ بلا مخرجٍ

نَتَعَلَّم فيها الفراز؟

أهو الحِسَّ أَنَا نغامرُ فيه ونَهوي إلى لا قراز؟

ولماذا يثور الخليفة، يُلقيه في السَّجنِ : «تبقى سَجِيناً

إذا لم تعد إليه،

وقد أَقتُلُكَ.

ها أَنَا أُمَهْلُكَ».

عادَ للشعر، أَطلقَ من سجنِهِ.

ما الذي قاله بعد ذلك: شِعْرٌ

لمجد الخليفة، أم شعر فاجعةٍ واعتبار؟

.....

شاعِرٌ كان في بدءِ أَيَّامِهِ بائعاً للجِرازِ.

هشام الفُوطي

فيلسوف معتزلي، مات
سنة ٢١١ هـ. (وفي رواية،
مات سنة ٢٢١ هـ). من
آرائه: «فالناس لو كفّوا عن
الظلم، لا استغفوا عن الإمام»
وَصَفَهُ الْفَخْرِيُّ فِي تَلْخِيصِ
الْبَيَانِ، بِأَنَّهُ «الشَّيْطَانُ».

قال هشامٌ:

«لو كَفَّ النَّاسُ عَنِ الْعِدْوَانِ،

لَكَانُوا اسْتَغْفَرُوا

عَنْ كُلِّ إِمَامٍ»،

كَلَّا لَا حَاجَةَ لِلْإِمَامِ

إِلَّا حَيْثُ الظُّلْمُ وَحَيْثُ الْعِدْوَانُ.

أَلِهَذَا سَمَّوهُ الشَّيْطَانُ؟

إبراهيم الموصلي المغني

مات سنة ٢١٣ هـ.

لم يكن دجلة نرجساً
لهوأي ولا مَرَكِباً،
والفرات على عهدِهِ
سفنٌ مِن جراحٍ، -
مُدَّ لي يدك الآن، يا حُبُّ،
ذَهْرِي مُسْتَوْدَعٌ
لِلْأَعاصيرِ تَجْتَاحُنِي -
ودمي مُسْتَبَاحٌ.

جبرائيل بن بختيشوع

قال، وكان قوله

يَسْتَشْرِفُ الْعَصُورُ:

«لا شأنَ لي بِمَذْهَبٍ

لاشأنَ لي بِسِلْطَةٍ،

أَوْثُرُ أَنْ أَكْتُبَ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ،

أَوْ فِي صَنْعَةِ الْبُخُورِ.»

الأصمعي

مات سنة ٢١٥ هـ. من
أقواله المشهورة: «الشعر نكدٌ
بابه الشرُّ، فإذا دخل في الخير
قُسد».

رِغْبَةُ الشَّرِّ تَنْسَابُ فِي رِغْبَةِ الْوَضْلِ،
وَالْوَضْلُ يَنْسَخُ أَحْوَالَهُ
فِي تَجَارِيِبَ تَنْسَخُ أَحْوَالَهَا
لَيْسَ لِلشَّعْرِ، فِي لِحْظَةِ الْوَضْلِ، إِلَّا
أَنْ يُفَارِقَ أَهْوَالَهُ
وَيُعَاشِرَ أَهْوَالَهَا.

أبو الهذيل العلاف

شيخ المعتزلة في وقته .

مات سنة ٢٢٦ هـ . يقول ابن
الراوندي ساخراً من إحدى
مقولات العلاف «ولِيَ الله
يتناول الكأس من بعض
أزواجه، في نعيمه، بيده
اليمنى، ويتناول من بعضهن
ماتحفه الله به، بيده اليسرى .
إذا أخضر وقت السكون
الدائم (سكون أهل الخُلدين :
الجنة والنار) الذي هو آخر
الأفعال وهو على تلك الحال
فبقي كهينة المصلوب ماذا
يديه في جهتين مختلفتين» .
حضر مجالس المأمون، وكان
يحاول أن يوفق بين القرآن
وآراء أرسطو، في ما يتعلق
بفكرتي الخلق والله .

قُلْ لي :

ماذا أخذت يَدَكَ الْيُسْرَى

مِنْ تَحَفِ اللَّهِ، وماذا

في يَدِكَ الْيُمْنَى :

نَهْدٌ، أم كأسٌ؟

كأسٌ؟ أي شرابٍ؟

لكن السَّاكِنَ في الخُلْدَيْنِ

هل يتحرَّكُ،

هل يتجلَّى، هل يَسْتَتِرُ؟

أم هو غَيْبٌ في المابِئِ؟

قل لي : أَيْنَ يكون هنا وهناك،

هذا القَدَرُ؟

أبو تمام

مات سنة ٢٢٨ هـ. قيل
عنه: «كان يسقي الناس ماء
بالمجزة في جامع مصر» / «كان
يخدم حائطاً بدمشق» / «كان
أبوه خفّاراً بدمشق» / «كان
أسمر طويلاً حلو الكلام، فيه
تمتعة يسيرة».

لأبي تَمَام

جَبَرٌ فِي الضَّوِّ، وَضَوْءٌ

فِي طَبَقَاتِ الْجَبَرِ، لَهُ مِثَاقٌ

مَعَ مَجْهُولاتٍ

يَسْتَشْرِفُهَا، يَسْتَخْلَصُهَا، وَيَعَاشِرُهَا

وَيَجَادِلُهَا وَيَجَافِيهَا - طَوْرًا،

وَيُعَانِقُهَا - طَوْرًا،

كَيْ يَتَدَفَّقَ مِنْهَا حُرًّا

نَسْغُ الْمَعْنَى

فِي الْأَشْيَاءِ، وَفِي الْكَلِمَاتِ،

وَفِي الْأَيَّامِ.

إبراهيم النّظام

ذكروا أنّه

عاشَرَ الثّوَيَّةَ والملحدينَ وأشباههم

وله سَقَطَاتٌ،

وتهمته الزّندقة

غير أنّ صديقاً له قال عنه:

«رجلٌ

لا نظيرٌ له»^(١).

(١) الجاحظ.

مُخَارِقُ الْمَغْنِي

مات سنة ٢٣١ هـ.

خاطبه مرّة أبو العتاهية،
قائلاً: «يا دواء المجانين، لقد
رقصت حتى كدت أن
أحسدك، فلو كان الغناء
طعاماً، لكان غناؤك أذماً.
ولو كان شرباً لكان ماء
الحياة». وحاولت مرّة المغنية
شاربة أن تقلّده في حضرة
إبراهيم بن المهدي، فقال
لها: «إياك ثم إياك أن تعودني
فإن مخارقاً خلقه الله وحده
في طبعه وصوته ونَفْسِهِ،
يتصرّف في ذلك أجمع كيف
أحبّ، ولا يلحقه في ذلك
أحد. وقد أراد غيرك أن ينسبهُ
به، في هذه الحال، فهلك،
واقْضَح، ولم يلحقه».

(الأغاني: ١٨/٢٧٥).

قل لي: ماذا يَغْنِي

في صوتك، في أحشائك، في كلماتك

أن يَنْسَى العِطْرُ

براعمَ يخرج منها؟

قل لي:

أتظنّ غريباً بعد الموت،

وكنّت الخارق طولَ حياتك؟

الرواية

IV

(...)

على الخيوط التي تتدلّى من قرص الشمس تصعد وتهبط حُمى لها رائحة لا اسم لها بُني للمصابين بهذه الحُمى أو هكذا شُبّه له مستشفى جَوّال يمكن لسرعة تجواله أن يُسمّى مستشفى الهواء تتناثر هذه الخيوط في فضاء القلعة الذي يبدو كمثّل سقفٍ طويلٍ على مدى التّظر سَقْفٍ لم يبق من المادّة التي صنعتها غير القشّ والغبار وَهَمَّ ما يقوله بعضهم عن كبريتٍ أحمر يدخل في تكوين هذه المادّة.

لماذا لم يتجرأ أحدٌ أن يسأل سيف الدّولة: كيف هيأت لرعيّتك أن تصنع السيوف والرّماح، الخناجر والقصور وأن تنعم بالسّبايا ولم تهيبّ لها صناعة العلم والفنّ. لو تيسّر له اليوم أن يرافق سيف الدّولة في نزّهة لمشاهدة المدينة التي أعطته ملكها وراقب كيف ينظر إلى أيامه الملقاة على أرصفتها وكيف يمرّ بها العابرون ولا يأبهون لكّر صرخاً: أوه! ما هذا السرّ الذي يجعل حياة أمثال هؤلاء القادة عقيمة وجرداء؟

وَلَكَرَّرَ أَيْضاً، لَكِنْ بِلِسَانٍ مِنْ جَاءَ بَعْدَهُ، وَأُحِبُّهُ -
المعري:

مَا أَدْهَاكَ، وَمَا أَبْقَاكَ، يَا بَيُوتَ الْعِنَاكِبِ.

لَكِنْ، اهْتَمَّ الْمُلُوكُ بِعِمَارَةِ الْقَلْعَةِ وَتَحْصِينِهَا -
«سيف الدولة، سعد الدولة، بنو مرداش، عماد
الدين

آق سنقر، ابنه عماد الدين زنكي، ابنه نور الدين
محمود، ابنه الملك الصالح
ولمَّا مَلَكَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ غِيَاثُ الدِّينِ غَازِي، حَصَّنَهَا
وَحَسَّنَهَا

بَنَى مَصْنَعاً لِلْمَاءِ وَمَخَازِنَ لِلْغُلَالِ

بَنَى سَفْحَ تَلِّهَا بِالْحَجَرِ الْهَرَقْلِيِّ

بَنَى عَلَى بَابِهَا بَرْجَيْنِ لَمْ يُبْنَ مِثْلُهُمَا

وَعِنْدَمَا خَرَّبَهَا التَّتَارُ، جَدَّدَهَا الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ
قِلَاوُونَ وَعِنْدَمَا خَرَّبَهَا تَيْمُورْلَنْكُ وَأَحْرَقَهَا أَعَادَ
بِنَاءَهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ جَكْمَرُ: عَمِلَ بِنَفْسِهِ،
وَاسْتَعْدَمَ فِي الْعَمَلِ وَجُوهَ النَّاسِ: كَانَ الْأُمَرَاءُ
يَحْمِلُونَ الْأَحْجَارَ عَلَى ظُهُورِهِمْ».

هوذا،

تفاجئه عائلة أحزانه جلست والتفت حوله
ربما لأنه قال: سأزور التلة أولاً تلك التي كانت
النجوم تهيمن عليها لا السابحة في الفضاء بل
في الأيدي

- «لا تعرف كيف تهوول، ولا كيف تقفز،

لا تعرف كيف تسدد، ولا كيف ترمي.

لا تعرف حتى أن تمسك بالبندقية،

ماذا تعرف، إذن؟»

حتى عندما كان يختبئ كعصفور في سرير نومه الشبيه
بالحفرة، كان يشعر أن تلك النجوم تجثم ساهرة بين
كتفيه.

أيام - غدران من العذاب،

مع ذلك، تطفو عليها عائلة أحزانه

كمثل أزهار اللوتس.

أو ربما فأجأته عائلة أحزانه لأن القلعة تذكر بتلة أخرى
غير تلة النجوم أصبح اسمها جبل الجوشن؟

- «احتز رأسه أخذه مع رؤوس القتلى والنساء
والأطفال وسار إلى يزيد مرّ بطريقه على حلب نزل

بهم عند الجبل غربي حلب قطرت من رأس
الحسين نقطة دم على الصخر بقي أثرها إلى عهد سيف
الدولة عَمَرَ على الصخر مشهداً سُمِّي مشهد النقطة
(...) وأسقطت إحدى نساء الحسين جثثاً دفنوه عند
ذلك الجبل. مرّة، رأى سيف الدولة نوراً عنده. ثم
تكرّر ظهور النور مراراً، ذهب إلى المكان أمر بحفره
وجد حجراً نُقش عليه: «هذا الحسن بن الحسين بن
علي بن أبي طالب».

بنى عنده مشهداً سُمِّي مسجد الطرح وهو الآن مشهور
باسم مشهد الشيخ محسن
من ذلك الوقت سُمِّي الجبل جبل الجوشن نسبةً إلى
قاتل الحسين سُمِّر بن الجوشن».

أو لعلّ عائلة أحزانه فاجأته لأنه ذكر ذلك التلّ
الآخر.

- «ظهر قومٌ يُقال لهم الرّاوندية خرجوا بحلب
زعموا أنهم بمنزلة الملائكة صعدوا تلاً بحلب ولبسوا
ثياباً من حرير وطاروا.../

وقيل: هلكوا.»

غير أنه ليس ملاكاً، ولا يلبس الحرير
وداعاً لعائلة أحزانه.

كان فيما يعبر المدينة إلى القلعة يشعر كأنه يكتب
خطواته على جدران لحظات تواكب جدراناً من
الحجر لفت أعناقها بمناديل من جبر لا يفنى وبدت
هذه المناديل كممثل غلائل سماوية تتدلى فوق الأبواب
غلائل لها أشكال الرّم ينقشها ويزركشها جبر
أسود، -

أ - منديل زاوية الحيدري :

«أنشأ هذه الزاوية المباركة
المقرّ الكريم العالي السيفي، قَطْلِيْجا
والمقرّ الأشرف الكريم، طأز
كافل المملكة الحليّة، سنة ٧٥٧» .

ب - منديل جامع الطُّنبغا (في ساحة الملح) :

«أنشأ هذا الجامع المبارك
الفقير إلى الله تعالى
المقرّ الأشرف العالي العلائي
الطُّنبغا الناصري
في أيام دولة مولانا السلطان الملك الناصر محمد،
عزّ نصره في شهور سنة ٧١٨» .

لم يكن يحق له الجلوس تابع طريقه مُبَلَّغاً
بأصواتٍ تملو في الأزقة كأنها لهاث الأيتام.

ج - مندبل جامع الجوشية (في السويقة):

«بسم الله

أنشأ هذه الزاوية المباركة

العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ صالح العابد الحاج
جنيد بن عمر الأقصري الأبو سنجاقى.
تغمّده الله بالرحمة -

برسم سلطان الأولياء والأقطاب،

المرشد إلى طريق الحق والصواب

قدوة السالكين وزيدة الواصلين

هادي المسلمين خليفة الله في الأرضين

سرّ الله في الآفاق

حجة الله على الإطلاق

الشيخ المرشد أبو إسحاق إبراهيم

شهريار الكازروفي،

قدّس الله روحه،

وعَلَى خلفاءه ومريديه
وليس لأحدٍ جلوسٌ على سَجادة المجلس غير
خلفائه،
وكان الفراغ في شهر ربيع الأول سنة ٧٤٧هـ.

✱

- ماذا تعمل؟
- لا أعمل. أصلي لكي يصبح الزّرنِخُ عسلاً.

✱

جامعٌ -
كلّ حَجَرٍ حنجرة.

✱

وجهٌ عاملٍ: صحنٌ من الغبار.
وجه بدويّة: أَكْثَرُ من حديقة.

✱

- الوقت؟
- سلسلة في يد الغيب/
كان يتكىء على كيس مليءٍ بحنطة الفرات إلى
جواره امرأةٌ شبه نائمة. أهي رفيقته في حصاد القمح؟
ربّما. كانت أهدابه، وهو ينظر إليها، تنزل على وجهه
كمثل السّنابل.

❖

بدأت الشمس تتدحرج على منحدرات الظلّ.

❖

نباتاتٌ تخرق وجه الإسفلت، احتفاءً بالضوء.

❖

كبشٌ في عنقه خيط حريرٍ أحمر: كبشٌ مسحور.

❖

شخص له شهرة عالية كمثّل ضبابٍ يغطّي الجبال،
آخرٌ له قامّة الألف: هل عمله الدائب هو أن يضرب
جسده بسيف التحول؟

❖

امرأة مسكوبة في عمود أسود جرة سوداء مليئة
بكحول سوداء ومن ضفافها تطفح الشهوة.

❖

لا تزال القلعة تنتظره جالسةً في حضن سوادٍ آخر.
القلعة، -

من الفضاء الذي يحيط بها يتصاعد هباءٌ يتدثر الهواء
والهواء كمثّل عرباتٍ بلا نهايةٍ تقطرُ الناس.

ترقق، يامهماز الغبار .

وكانت الشمس تنزل بطيئةً بين فخذي المساء،
ما أطيب النظر إليها وهي تغسل وجهها بماء الغروب .

※

رجلٌ بدا كأنه يحفر قبراً يرمي فيه جثة النهار .

※

امرأة -

تسدل ستار نافذتها كمثل غيرها تنهياً
لكي تصعدَ سلالم الليل نحو شموسه العالية .

- ينبغي، أيها العابر، أن تقتديَ بطمأنينة الغبار .

- هيهات هيهات،

من أين لي الأسنان التي تقرضُ صخرة الوقت؟

وقال أبجد:

رأيت في المدينة دال، في ناحية تسمى ناحية المقابر
شبحاً جالساً على قبر. اقتربت. قال:

« هل كان طريقك إلينا طويلاً؟

لم أجبه. ظنّ أنني خفت. قال:

- لا تخف. أنا ميت، وهذا قبوري. ولست هنا، الآن.

- إذن أين أنت؟

- في برزخ، مع أصحاب لي نتحدث عنكم.

ثم رأيت يتلاشى، وتظهر وراءه قبة جوهري تفتح وتطلع
منها امرأة، أو مأت، وقالت:

- غداً، يزورنا شخص يُقبر في هذه القبة.

ثم غابت، لا أعرف كيف.

وغير بعيد،

رأيت قبة ثانية يغطيها كساء أخضر، وإلى جوارها امرأة
تدق على الحائط وتصيح:

- أنا المرأة الضالة، من يدلّني على الطريق؟

وأخذت تبكي.

اقتربت وسألتها:

- ماذا بك؟ ماذا يبكيك؟

قالت:

- حملتني عيناى. نمْتُ. أضعت الطريق. كنت أحلم
أنني ذاهبة إلى...

فجأة، رأيتها تسقط ميتة.

آنذاك سيطر عليّ الخوف. ركضت، وفي منعطفٍ
خططت بيديّ خطأ جلست فيه، وأخذت أتمتم
كلماتٍ تعلمتها في طفولتي،

غشيتني سحابات سودّ حجبت عني ما حولي،
وسمعت فيها أصواتاً تقطعها
ورأيت عظاماً تتناثر وتبكي.

ثم سمعت شجرة تقول:

- هذه ليلة الوسوسة، هذه ليلة الجنّ.»

✱

«مرّة، ظهرت لي بنّز وكنت عطشاناً. اقتربتُ لأشرب
منها طلعت منها امرأة قالت بلهجة امرأة:

- تزوّجني!

كانت جميلة. تزوّجتها.

ثم قالت :

- أنا غريبة عن هذه المدينة . وأنا عائدة إلى مدينتي .
طَلَّقْنِي .

ولمّا كنت أحبّ الوحدة ، طَلَّقْتُهَا .

لكن في الليالي التالية ، جاءتني شبحاً وهيئة .

وذاث صباح ،

رأيتها تلتقط قمحاً عن الأرض . كلّمته . وضعت يدها
على رأسها ورفعت عينيها إليّ وقالت :

- بأيّ عين رأيتني ؟

أجبت :

- رأيتك بقلبي لا بعيني .

أومأت بإصبعها وغابت ، دون أن أراها .

فقد ملأ الدمع عيني اليمنى ، وملأ اليسرى ضباب
أخضر . »

✱

« ورأى في المدينة ألف جبلاً غريباً كان ملكها يتردد
إليه بين ليلة وليلة . للجبل ، كما سمع ، مسام ترشح
منها الرياح والبخارات . وفيه صهريج معلق في
الهواء ، عليه قبة تسقط منها حجارة رخوة .

في القبة النهر العجيب الذي يجري في دوائر حتى
ينتهي إلى الصهريج فتغلى الحجارة وتطبخ ،

وتكون منها الأمواج المختومة، والتوايت المقفلة،
وفلك المصباح والرياح،
وتكون منها الحكمة والكيمياء.»

※

«ومرة، كان يسير على طريق ضيقة فجأة، ظهرت
من الأرض أغصاناً متشابكة كأحسن ما يكون من
الشجر واستقامت في الجو كأعلى ما يكون من
الصنوبر والحوار،

ثم انحنى واندست في التراب وهوت إلى الأسفل
بقدر ما كانت عالية.

ورأى شجرة استوقفته وامتدت نحوه ثمرة أخذها
انفلقت في يده أربع قطع

خرجت من كل قطعة امرأة ملأت بالعطر والشهوة
ما بين الأفق والأفق.»

※

«ومرة رأى رجلاً يهرب كانت تطارده الحجارة إلى
ناحية في المدينة ألف يبقى الحجر فيها معلقاً لأنها
ناحية مسحورة تمنع أن يقع فيها ضرب أو قتل.

ورأى الناس الحجر آتياً يطارد الرجل

فصاحوا به: توقف وعد.

توقّف ثم عاد بقي عالِقاً بين السّماء والأرض على
حدود النّاحية، حتّى مات الرجل فطار الحجر
عائداً إلى مكانه.

ورأى مرّة في المدينة ذال، في ناحية تُسمّى ناحية
الطير، طيوراً تتعانق. حين اقتربت، طارت وبقي طائر
كان ميتاً تفوح منه رائحة المسك قال: إنه مليء
بالخير كانت معه عمامة زائدة لفّ بها الطائر
ودفنه.

ناداه صوت:

هذا الذي دفنته شهيد - بعضهم يقول كان يسمع وحي
النّبوة، وبعضهم يقول كان شهيد الحبّ. »

ورأى في طريقه شبّاحاً بلون الرّماد يمشي بطيئاً كأنه
يخرج من بئر ثم تقدّم نحوه وسلّم عليه. دُهِش خائفاً
قال:

« - لا تخف. لكن اقرأ عليّ شيئاً من الشعر.

أخذ يقرأ سرّاً كثيراً وعاد الاطمئنان إلى قلبه
قال: - نحن نحبّ الشعر أغلب الأشخاص الذين
يسلكون هذه الطريق لا يفهمونه أو لا يحبونه أو
غرباء عنه نهجم عليهم ونختقمهم.

وحين أراد أن يسأله: ومن أنتم؟ رآه يغيب. لكن،
شعر أن الطريق أصبحت آمنة كأنما تحرسها الأزهار
والكواكب.»

✱

نام مرّة في بيت صديقه يارجوج
«وبينما كان في الليل، قبيل النوم، ينقل خطواته في
ساحة البيت، رأى السّماء تحمّر احمراراً شديداً
وسمع في الجوّ أصواتاً وهمهمة ثم رأى غيمة
حمراء كمثّل نار قريبة منه، فيها أشباح أمثال الناس
والحيوانات تحمل رماحاً وسيفاً
ثم اقترب غيمٌ أحمر آخر فيه أشباح أمثال الناس
والحيوانات أيضاً تتقلد الرماح والسيوف وتحمل على
تلك الغيمة كجيش يقاتل جيشاً.
كانت الغيمة تهجم على الغيمة فتختلطان ثم تفترقان.
فزع وأسرع يسأل يارجوج عن هذا. قال:
- كان أجدادي يقولون هؤلاء أصدقاء حكموا المدينة
ألف وعاشوا فيها قبلنا وهم يقتتلون في سمائها كلّ
عشيّة.»

✱

حكى يارجوج أنه سمع رجلاً يروي هذه الحكاية، -
«عشق رجل اسمه اطروش امرأة رفض أبوها أن
يزوّجها منه، وزوّجها من آخر. جُنّ أطروش قِده
أهله كان يعصّ شفتيه ولسانه حتى خافوا أن
يقطعها

رآه هذا الرجل مرّة يجلس على تلّ ويخط بإصبعه
خطوطاً وحين دنا منه فرّ كما يفرّ الوحش من
الإنسان ثم ظهرت غزالة فوثب يركض وراءها.»

※

وكان بعض سكّان المدينة ألف يعبدون شجرة صنوبر
«كانوا في كلّ شهر يقيمون لها عيداً يجتمعون
حولها يضربون عليها مظلةً من الحرير تزخرفها
الصّور ثمّ يقدمون لها الذبائح خرافاً وعجولاً
وديكّة حين يتصاعد دخان الذبائح يسجدون باكين
ضارعين

كانت الشجرة آنذاك تتحرّك وتحرك أغصانها يطلع
من جذعها صوتٌ كصوت الأطفال:
«طوبى لكم، إني أمنحكم ملكوتي».
عندئذٍ يرفعون رؤوسهم ويشربون ويرقصون.»

ومرّة ركب البحر في المدينة «وركب معه شابٌ صبيح
الوجه لَمّا توسّطوا البحر فقد صاحب المركب
كيساً فيه مال فتش كلّ من كان في المركب
وحين وصل إلى الشاب ليفتشه وثب وجلس في البحر
فقام له الموج على مثال السرير ثم سمعوه
يقول:

«مولاي،

هؤلاء اتهموني . أقسم عليك، يا حبيب قلبي، أن تأمر
كلّ دابة في هذا البحر أن تخرج رأسها وفي فم كل
واحدة جوهرة» .

فما أتمّ الشاب كلامه حتى رأوا دوابّ البحر قد
أخرجت رؤوسها وفي فم كلّ منها جوهرة
ثمّ وثب الشاب ثانية في الموج، وصار يمشي
وأخذ يغيب رويداً رويداً .»

وأخبره أحدهم «أنّ صديقاً له تزوّج امرأة وسافرا
في الطريق استراحا مرّ بعضهم فرأوا المرأة جالسة
على بطن الرّجل تأكل كبده،
ثم رأوا ناراً تنزل وتشقّها اثنتين .»

ورأى في أحد أحياء المدينة ألف حدّاداً يُدخل يده في
النّار ويخرج الحديد المحمّى دون أن يحترق^(١) سأله :

« هل تضيفني هذه الليلة؟

قال

- نعم . بحبّ .

مضياً إلى منزله . أخذ يراقبه لم يشاهد شيئاً غريباً
يخوّله أن يكون في هذه المرتبة : لا تؤثر النّار في
جسمه قال له :

- كيف لا تحترق بالنّار ولم ألاحظ أمراً خارقاً
يؤهلك لذلك؟

قال :

لهذا سرٌّ غريبٌ وحديث عجيب .

وروى هذه الحكاية .

«كان لي جارة جميلة أحببتها كثيراً وراودتها
عن نفسها مراراً عديدة لكنها كانت ترفض جاءت
سنة قحط وجذب وعمّ الجوع فبينما أنا جالسٌ ،
ذات يوم ، في بيتي وإذا بشخص يقرع الباب قمت
لأرى من هو فإذا بها واقفةٌ بالباب قالت :

- يا أخي إنني جائعة فهل تُطعمني لله؟

(١) في المأثور أن أناساً
أرادوا أن يغزوا المدينة ألف
ويدمروها . وفي طريقهم
إليها ، خرجت عليهم طيرٌ من
البحر لها خراطيم شبيهة
بالوطايط ، حمراء وسود ،
رمتهم بحجارة مدحرجة
كالبنادق نفع في رأس
الرجل ، فتخرج من جوفه .

قلت لها :

- ألا تعلمين، كم أحبك، وأقاسي من أجلك؟ لن
أطعمك إلا إذا مَكَّنْتَنِي من نفسك.

قالت :

- الموت، ولا المعصية.

ومضت إلى منزلها.

بعد يومين، عادت إليّ وسألتني أن أطعمها ثم دخلت
إلى البيت وجلست حين قدمت لها الطعام بكت
وسألتني :

- هذا لله؟

قلت :

- لا.

لم تأكل. قامت وخرجت إلى منزلها.

بعد يومين جاءت وقد هَدَّها الجوع قالت :

- يا أخي، أعيتني الحيل لم أقدر أن أسأل أحداً
غيرك هل لك أن تطعمني لله؟

قلت

- لا.

أطرقت ثم دخلت إلى البيت، ولم يكن عندي طعام. أشعلت ناراً وصنعت لها طعاماً

وَيَيْنًا أنا أضعه أمامها جاءني هذا الخاطر: «امرأة تمتنع عن طعام، مع أنها جائعة جوعاً لا قدرة لها على تحمّله، وأنا لا أمتنع عن معصية الله؟ سأتوب، ولن أقربها في معصية».

ثم قلت: هذا طعامٌ لله.

لَمَّا سمعت ذلك، رفعت رأسها إلى السماء وقالت:
- يارب، إن كان صادقاً، فحرّم عليه النار في الدنيا والآخرة.

تركها تأكل.

قمت لأزِيل النار، فوقعت جمرة على قدمي لم تحرقني دخلت إليها وأنا فرح وأخبرتها رمت اللقمة من يدها وقالت:

- حققت أمنيّتي.

خذني إليك يا رب، هذه اللحظة.

ثم رأيتها تسقط وتموت بين يديّ.

الذِّكْرَى

IV

المدينة كاف

طاب لي كثيراً في المدينة كاف
أن أقطع الغصن الذي أجلس عليه .

✽

يمكنك، في المدينة كاف، أن تستغني عن نصف
اليوم . فهذه المدينة هي نفسها الليل .

✽

في كل إنسان شيء من نيرون، خصوصاً في كل
ما يتصل بفنون الذبح والطبخ والأكل، وهذا مما يخفيه
بعضهم، ويحاربه بعض، ويرأ منه بعض آخر . غير أنه،
ويا للعجب، موضع اعتزاز لدى الناس جميعاً في المدينة
كاف . خصوصاً أن الإنسان فيها مأخوذ بأكل اللحم . وتفتح
شهيته، وتبلغ متعته أوجها عندما يأكل لحم أخيه الإنسان .

✽

لكل شيء في المدينة كاف نهاية، إلا شيء واحد : قتل
الآخر، بشكل أو آخر .

✽

أنا أوسع بيت في المدينة كاف : يقول السجن .

✽

لن تقدر أن تقابل أي شخص في المدينة كاف، إلا من وراء حاجز.

✱

يعتقد الأشخاص الذين يقودون المدينة كاف أنهم لم يولدوا من امرأة، بل من فكرة، ورسالتهم التي يعملون لها بإصرار هي: على أبناء المدينة كاف أن يولدوا هم أيضاً من هذه الفكرة.

✱

يُقال إن المدينة كاف تسير على طريق عالية. ربما. لكنها، بدلاً من أن تنظر إلى الأمام، لا تنظر إلا إلى الوراء.

✱

قبل أن يدخل العابرُ إلى المدينة كاف، يكون شكُّه ضعيفاً. بعد أن يخرج منها، يكبر شكُّه ويقوى. هو - حاضر في المدينة كاف، لكنه موجود في غيرها.

✱

الصفير هو الواحد في المدينة كاف. ويحار علماء الرياضيات في تفسير ذلك.

✱

أينما اتجهت في المدينة كاف، ترى كتباً مصلوبة وترى دمماً ينزف من الثقوب التي أحدثتها المسامير في جسد الكتاب وأحياناً، لا تقدر أن تميز بين شكل الكتاب، وشكل الجسد.

المدينة لام

«ليس الوطن لمن يقيمون فيه، بل هو لمن يهيمنون عليه. الوطن أخطر الأفكار الحديثة التي ابتكرتها شهوة التملك»: هذا نص لمنشور يتداوله الناس سرياً في المدينة لام.

※

«تبتكر بعض الثورات أبواباً لا يقدر أصحابها أن يخرجوا منها، ولا يقدرّون أن يغلقوها»: نصّ لمنشور سري آخر يتداوله الناس سرياً في المدينة لام.

※

«من جهة الضوء أيضاً، يجيء الخطر»، -
قرأت ذلك في رسالة آتية إلى صديق في المدينة لام.

※

هو - مواطن في المدينة لام. ويبحث، مثل كثيرين غيره، عن الحقيقة. لكنه حتى الآن يتردد في الجهر بذلك. فهو لم يقرر بعد أن يذهب -

لا إلى الجنون

ولا إلى الموت.

※

يتربى المواطن في المدينة لام على الإيمان بأنه
لا يكون حياً إلا بقدر ما يكون كل ما حوله ميتاً.

✱

المنهج في ثقافة المدينة لام هو:
سيز، لكن لا تسأل.

✱

الموت الواقعي، والحياة الممكنة: ذلك هو المناخ
الذي يكبر فيه أطفال المدينة لام.

✱

يفكر الناس في المدينة لام ويسلكون، مدعين أنهم هم
الذين يحرسون السماء.

✱

بقدر ما تختلف في المدينة لام مع الواقع، تأتلف مع
الحقيقة.

✱

الفكر في المدينة لام يُورث هو أيضاً،
وليس من رأس إلى رأس، بل من يد إلى يد.

✱

لافتة في ساحة المدينة لام:
عشرون كوكباً على كرسي واحد.

✱

معظم المواطنين في المدينة لام،
يرسلون أحلامهم (بطريقة خاصة، لا أعرف كيف
أفسرها)، إلى القائم على المدينة، لكي تستأذنه، قبل أن تزور
أجفانهم.

※

في المدينة لام حوانيت لا يتاجر أصحابها إلا بعظام
الموتى وأسمائهم.

※

يلوم نفسه أحياناً في بعض لحظات الضعف: لو أنه
صَفَّق مرة للمدينة لام، لكان عنده، اليوم، قمرٌ - على الأقل!

✽

القيم كلها في المدينة لام قائمة على «أفعل» التفضيل:
أكبر، أعلم، أجمل، أشعر... إلخ.
والسبب جهل سكانها: جسّ الفروقات عندهم معطل،
ولا يعرفون أن يميزوا بين شيء وشيء.

※

أفضل أن يبقى رأسي فارغاً على أن يكون ممتلئاً بأفكار
المدينة لام. وأفضل أن أسمى مخرباً على أن أحتفي بعمرانها
القائم.

※

عهداً
سأسهر دائماً على إغراء المدينة لام
بجمال الخراب وسحر الفوضى.

المدينة ميم

في المدينة ميم، تحدثك الجدران سرياً، عن قلب يريد
أن يخرج من نفسه لكي يسكن قلباً آخر، أو عن نافذة تريد أن
تؤاخي الأفق.

هكذا، لكل كلمة في المدينة ميم سجن، باستثناء كلمة
واحدة: السجن.

✱

الحاضر في المدينة ميم هو نفسه الخادم الذي يغسل
قدمي السيد الماضي. وعندما يتاح لك أن تدخل بيتاً في هذه
المدينة، وترى إلى جدرانه، يخيّل إليك أن لحظات الماضي
كلها تحولت إلى صور تتدلى عليها، وتشعر أن الحاضر كله
ليس إلا مسامير لتثبيت هذه الصور.

يطيب لك، بعد ذلك، أن تقسم البشر إلى قسمين:

جماعات تجلس على الزمن،

وجماعات يجلس الزمن عليها.

✱

دخان في زاوية. في الدخان ما يشبه أجنحة ليست
أجنحة طيور. وفيه أحياناً ما يشبه أجفاناً لعيون ليست عيون
امرأة أو رجل. لكن، يا للغرابة، يبدو أنه دخان بلا نار. انظر
من هذه الزاوية، عبر هذا الدخان، إلى الفضاء: سترى أن
وجهه يتعفن ويبلى.

المدينة نون

من الستار إلى الغبار، ومن الغبار إلى الستار: ذلك هو مدار المدينة التي تأخذ اسم الجسد أحياناً وتحلّ محلّه، غالباً، أو تتجلى في شكل المدينة نون. في الستار تجد وجهها، وفي الغبار تجد مرآتها. أما الفم فبعيد، وربما كان قطعة نَقْدِ زائفة في جيب الموت.

✱

أنظر، عند الغروب أو عند الشروق، إلى أعالي الجدران وإلى العتبات في المدينة نون. سترى أن بياض الصحراء يجلس هائناً وربما رأيت في هذا البياض عربة تحسبها ماعزاً، أو شجرة متحركة تمتلئ بفراشات زُينت أجنحتها بالزّصاص والفضّة. لن تلمح أثراً للبحر، مع أنه يقيم على بضع خطوات.

✱

تقدر بيسر أن تشاهد الأبدية وهي تتسلق ما بقي في المدينة نون من جدران الأزمنة. تقدر بيسر أن تشاهد الأيام وهي تتحول إلى أفواه، رافضة أشكال العين والأذن والأنف عند أبناء آدم. تقدر بيسر أن تشمّ البخور المتصاعد من كهف سمي تيمناً: التاريخ. تقدر بيسر أن تشاهد المسرح الذي تنقلب فيه الفاكهة إلى نساء. لكن ينبغي أن يكون لك صبر الهواء لكي تقدر أن تشاهد كيف يكون الإنسان إنساناً.

✱

هذا الذي أقوله عن المدينة نون، أقوله بالسماع والتواتر. عبثاً حاولت أن أدخل هذه المدينة، مع أنها تسكن في مخيلتي. قلت مرة، وقد يشمت تقريباً: سأُنجم، سأستغيث بأفلاك الذكورة والأنوثة، سأكتب التعاويذ - مؤلفاً بين النون والحاء، النون والخاء، النون والذال، النون والسين، النون والعين، النون والياء... إلخ،

✱

كأن المدينة نون لا تريد أن تكون أكثر من عكاز في يد ما. كأن الكلمات في المدينة نون جبال لكي تتسلقها، لا ألفاظ لكي تنطقها.

كأن الزمن في المدينة نون صخور تربط إلى قدمي الإنسان لكي تسهل عليه الهبوط أعمق فأعمق حتى قرارة اللازم.

كأن الشمس في المدينة نون دكان، والهواء ميزان كأن الأشياء في المدينة نون هي التي تتخذ من البشر بيوتاً لها

كأن الكلام في المدينة نون حلقة وصل بين الطرق التي لا تقود إلى مكان.

✱

صحيح أن المدينة نون واحدة موحدة. لكن، صحيح كذلك أن كل زقاق فيها لا يكتب رسائله إلا بدم الآخر.

✱

هو، المواطن في المدينة نون، يمضي حياته كلها في
خياطة الرمل، ويصف نفسه بأنه الأمل.

هي، المواطنة في المدينة نون، تولد، تنمو، تكبر،
تشيخ، تهرم، تموت، لكن دون أن تمر في أية مرحلة من
مراحل الحياة.

✱

قلّما رأيت في المدينة نون إلا التصر. كانت الأبجدية
تتغلى بعباءات تتغلى هي نفسها بعباءات لا تعرف أن تنسجها
إلا يد الرمل. ولست أجهل أنّ الريح هي التي تنتصر دائماً.
لكن، ماذا يعني نصرُ تحقّقه الريح؟

✱

تجلس المدينة نون حيث تقدر الجهات كلها أن ترى
أين هي، وحيث لا تقدر هي أن ترى حتى نفسها. لهذا، أينما
تسكّعت في هذه المدينة، ستسمع الماء يتأوه، والهواء يزفر
ويشكو. لهذا ليست المدينة نون إلا طينياً في أذن الوقت.

✱

ما أكثر الأعمدة، من كل نوع، في المدينة نون. في كل
عمود حكيم يرث الحكمة عن الكواكب حين كانت تقص على
الأرض أحسن القصص. وكلّ عمود خزانة من الأجوبة، لكن
ليس عن الأسئلة التي تطرحها أنت، المقيم الزائل، بل عن

أسئلته هو. هو السائل وهو المجيب. وليس لك أنت إلا أن
تقول نعم.

كل ليلة، قبيل الغسق، ينصب الكلام خيامه بين أغصان
هذه الأعمدة، وينام في انتظار الليلة الآتية. اين ينتهي الحد
الذي تقف عنده وسادة أحلامك، أيتها الأعمدة؟

المدينة سين

ليت الشمس تساعدني، لكي أنقذ ذلك الشعاع الذي
يحاول أن يهرب من ظلام المدينة سين.

✽

عيّد - لكن، تطوعاً:

هذه عبارة لا تجد لها ترجمة عملية إلا في المدينة
سين.

✽

قتل البصيرة وإحياء القدمين:

هذا هو قانون الحياة في المدينة سين.

✽

لماذا تضطرب؟ هل تخشى أن تسقط تحت ضربات
العداء الذي تكته المدينة سين لاسمك ولدروبك؟
أدخلها في محيط حبك، واتكئ على هذا الحب كلما
ذُكرت أمامك.

آنذاك، على الرغم من اللامبالاة التي تخصصها بها، لن
تسقط أبداً.

✽

ما أجمل جسدك، أيها الحب مجزأ - مصلوباً، عضواً
عضواً، على جسد المدينة سين .

✱

بعد، لم تترجم الريح
ذلك الرمل الذي تحتزنه الصحراء التي تحتزنها أحشاء
المدينة سين .

✱

تفكر المدينة سين وتعمل لغاية واحدة:
أن تجعل ساكنيها يألفون ما يأكلهم،
كما يألفون ما يأكلونه .

✱

أيّتها المدينة سين،
لماذا، وأنت الغنيّة بالقتلى لا تبددين إلا الأحياء؟

✱

سأبتكر أحوالاً تشتعل فيها نيران تتمدد في الفضاء كمثل
الأسرة العاشقة، ولن تجد المدينة مفرّاً من الاستسلام إليها .

✱

فتح لي الرعد أبوابه،
فيما كنت أفرع باب المدينة سين . قال:
ينبغي أن تعيد ابتكار الطريق .

✱

في المدينة سين ليس للسجن حدّ. تتموّج حدوده مع الهواء، ومع الضوء والظلام. لا أحد يقدر أن يقيسها. لا أحد يعرف أين تبدأ وأين تنتهي.

وتبالغ بعض الروايات، فتقول: المدينة سين هي التي ابتكرت السجن.

كأنما يجب، لكي نمحو السجن في هذه المدينة، أن نمحوها هي نفسها.

✱

أبحث عما فعلته المدينة سين زاعمة أنه الحق، فلا أعرّ إلا على الخطأ.

✱

أتحدث عن أحلام تكسرت أهدابها،
أتحدث عن بلد لا يحلم به أحد - لا المشرّد، ولا
التائه، ولا من ليس له بلد،
أتحدث عن ثقوب يهيمن عليها ملائكة لا يتوقفون عن
النّش في معاجم الحديد والنار،
أتحدث، وأعني المدينة سين.

✱

للمدينة سين رسالة واحدة: أن تضع حياتها ومصيرها
وطاقتها كلها في بضعة ألفاظ.

المدينة عين

أية شفرة هذه التي تنزهها المدينة عين ، في تلك الساحة
المقفرة : الإنسان؟

✱

لا تقدر المدينة عين أن تفعل شيئاً، كما يبدو، إلا أن
تنتظر خرابها. ربما في هذه الحالة، سيكون الانتظار نفسه
فعلاً، أو يشبه الفعل.

✱

أتدلى في فضاء المدينة عين - جسداً مفرداً، غريباً، مع
ذلك، لن اعتصم إلا بجسدي.

✱

الحياة قصيرة، تقول الحكمة.
غير أنها في المدينة عين أطول من الأبدية.
تقول الحكمة أيضاً: الأرض واسعة،
لكنها في المدينة عين أضيق من سُم الخياط.

✱

تستقبل المدينة عين ضيوفها بأقواس من الضحك،
وتخصص لاستضافتهم بيوتاً من الدمع.

✱

«اصطدمت يداي بعنق الليل. كان مستلقياً على
خاصرتي. لم أقدر أن أرفع غطاءً وضعه الحلم فوقنا.
أخذته النهار وضمه إلى أشياءه التي يستعين بها على مواجهة
الحواس الخمس لجسد ينتظر على العتبة»، -
هذا جزء من رسالة كتبها امرأة في المدينة عين، قبيل
موتها.

✱

صرت مقتنعة أن للأيام في المدينة عين قشوراً، وأن
هذه القشور مسكونة بسحر أخضر.

✱

إن لم تكن لديك في المدينة عين الجرأة على مجابهة
الأسطورة نفسها، فإن مجابهتك للأشياء الأخرى لا قيمة لها.

✱

لن تجد أنهار الواقع ماءً يقدر أن يتحاور مع مجاريها،
كمثل الماء الذي يتفجر من ينبوع خطواتي - من أجل الخراب
الذي يهيا للمدينة عين.

✱

«تنمو في ظل الشجرة نازراً تأكلها»، -
تقول حكمة شاردة في أنحاء المدينة عين.

✱

خرابٌ هي المدينة عين، لكنهُ خراب لا يكتمل.

✽

- لماذا تجمد المدينة عين، بينما تتغير مدن أخرى؟

- لأن المدينة عين تتحالف مع الكلمات،

وتلك المدن تتحالف مع الأشياء.

✽

حزّضِ الوردَ على رائحتها،

وهذه على تلك،

وأشعل بينهما الفتنة:

تلك هي البداية، إن شئت أن تفهم المدينة عين.

✽

وردةٌ تكاد أن تذبل،

تهرب من إنائها في المدينة عين وتجلس قربي، -

- أيتها الوردة، ربما، ربما... .

IV

على الفراتِ أعاصيرٌ، وفي حلبِ
تَوْحُشٌ - (...).

المتنبي

- ٥٢ -

- أ -

- يا حسين، اسقني^(١)- لاسقيتك، إن لم تقل لي،
لماذا بكيت؟- لماذا عناك بكائي؟
- اغتممت،- إذا خرج الأمر من شفتيك،
قتلتك.- يا سيدي، ومتى أفشتا ما تبير
إلي؟

- ذكرت الأمين أخي،

فاختنقت بدمعي واسترخت
لشكابه.

- ب -

«لا يخلو أحد

من شجن»^(٢).

- أ -

سيف رومي، ودّم عربيّ

سيف عربيّ ودّم روميّ -

لعب

والترّد رؤوس.

جيل ينمو، جيل بائذ

والمؤمن، في هذا اللعب المجنون،

كمثل الكافر، جسّر واحد،

لمصير واحد.

* بين سيف يحزّ، وعنق يحزّ،

المدائن وحيّ

والخراب كتاب.

(١) حوار بين المأمون
وخادمه، ساقى الخمر،
حسين.(٢) من كلام للخليفة
المأمون.

- ب -

أَلْجِصَانُ يَحْكُ التَّرَابَ، السَّنَابِكُ

مَكْسُوءَةٌ

بِالْغُبَارِ، وَفِي كُلِّ قَائِمَةٍ
رَجَّةٌ.

أَلْجِصَانُ يُؤَاخِي

بَيْنَ شَمْسِ السَّهُولِ وَأَيَّامِهِ

لَا رَجِيلٌ، وَلَا حَفْمَحَمَةٌ.

أَلْجِصَانُ يُسْرِحُ عَيْنِيهِ فِي غَابَةِ الدَّمُوعِ، -

سَقَطَ الْفَارِسَ الرَفِيقُ، مَضَى

حَيْثُ لَا شَيْءَ:

لَا قَوْمَةٌ، لَا رَجُوعٌ.

- ٥٣ -

حَرْبٌ مَعَ نَضْرٍ^(١)،حَرْبٌ مَعَ بَابِلَ^(٢)مَعَ أَبْنَاءِ الرُّهْدِ^(٣) -

حُرُوبٌ: رَغَبَاتٌ تَمْضِي

رَغَبَاتٌ تَأْتِي،

أَيْنَ الْمَعْنَى، أَيْنَ السَّبَبُ؟

مَا أَكْذَبُهَا - تِلْكَ الْكُتُبُ!

(١) نصر بن شبث.

(٢) بابك الخرمي.

(٣) طائفة من أهل الهند (معزب جث). كان عددهم حوالي ثلاثين ألفاً، يرأسهم شخص اسمه محمد بن عثمان. تمردوا، وغلبوا على طريق البصرة. وجه المعتصم لحربهم عفيف بن عنبسة سنة ٢١٩ هـ. تغلب عليهم، ونفاهم جميعاً إلى عين زربة، على الحدود العربية - الرومية، آنذاك. وهناك قُتلوا جميعاً.

* أَلْكَوَا سِرُّ تَرْصُدُ مَوْتِ الْبَشَرِ،
وَانْظُرُوا كَيْفَ تَنْقُضُ خَلْفَ الْأَثَرِ.

سنة ما حله

لم تبخ بالزؤوس

التي قطعنها

ولا باليد القاتلة.

- ح -

بَطْلٌ مِنَّا مَاتَ شَهِيدًا:

هوذا،

نستصفي أرضاً

ونوسده فيها

في أخدود، أو بين صخور،

ونُهيل عليه تراباً

يتفتت فيه - في ظلمات القبر.

لكنَّ الرّومَ سُكَارَى فَنُ

ما أعجبهم - يستصفون لوجه البطلِ

الميتِ منهم،

وجَهَ الصَّخَرِ، -

ما قولك فينا، ما قولك فيهم

يا هذا الدَّهر؟

* هل هذا الخارج ضوء؟

والداخل، كيف يكون، وكيف

يحول، وكيف يقوم

إن مات الرّوم؟

أَلْحَدِيدُ - حَدِيدُ الزَّمَانِ،
يَقْدُ الصَّخُورَ، وَلَكِنْ
تَأْكُلُ النَّارُ هَذَا الْحَدِيدَ، وَتَنْطَفِئُ النَّارُ فِي
الماء، والماء يعلو
فِي السَّحَابِ، السَّحَابُ تَمْرَقُهُ
الرَّيْحُ. مَرَّقْتُ ظَنِّي
وَوَشَّوْشْتُ نَفْسِي:
سَمَكٌ خَارِجُ الْمَاءِ - هَذَا رِهَانِي
لَا لِزَيْحٍ، لَكِنْ لِإِلْهُو
وَلَأَسْخَرَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ،
وَهَذَا الزَّمَانِ.

- ٥٥ -

سَنَّةٌ قَاجِلَةٌ
لَا تُسْجَلُ فِي دَفْتَرٍ، -
أَلْحَقُولُ وَأَسْمَاءُ حُضَائِدَهَا،
وَأَسْمَاءُ مِنْ حَصْدِهِمْ -
كُلُّهَا نَافِلَةٌ.

❖ الْخِيُولُ الْخِيُولُ
وَرَقٌّ يَتَطَايَرُ بَيْنَ أَكْفِ السُّهُولِ.

سَنَّةٌ قَاتِلَةٌ

ليس فيها سوى الأكل،

والآلَةُ الآكِلَةُ.

هُزِمَ الْعَسْكَرُ، انتَصَرَ الْعَسْكَرُ:

خَبَّرَ عَابِسٌ

خَبَّرَ ضَاحِكٌ.

وَالْفَضَاءُ مُكَبَّبٌ عَلَى شَمْسِهِ

وَعَلَى نَفْسِهِ،

لَا يُحَسُّ بِمَا تُخْبِرُ

وَيُتَمَتِّمُ دُونَ اكْتِرَافٍ:

بَشَرٌ، - غَابِرٌ يَتَعَالَى،

وَعَدُّ يَصْغُرُ.

* بَشَرٌ مَنْذُورُونَ لِيَوْمِ السَّاعَةِ

فِي مُحَرَابِ الطَّاعَةِ.

(١) الأشخاص الذين كانوا
يسعون في البيعة لإبراهيم بن
المهدي. وهم أربعة:
إبراهيم بن عائشة، محمد بن
إبراهيم الأفريقي، مالك بن
شاهين، فرج البغاري.

(٢) الإشارة إلى الخليفة
المامون.

(٣) المقصود هنا هو
إبراهيم بن المهدي.

(٤) الإشارة إلى إبراهيم بن
المهدي. والكلام له، مخاطباً
الخليفة المأمون.

مَوْزَار تَنَامُ كَمَنْبَجٍ :

عَصْفُ رَمَادٍ

يَهْدِي، وَيَرُوحُ وَيَغْدُو

فِي حَدِيثِهَا.

رَمَلٌ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهَا

شَوْكٌ فِي الْأُخْرَى،

وَالْأَيَّامُ قِيودٌ بَيْنَ يَدَيْهَا.

- ٥٧ -

- أ -

أَمْسَكُوا بِهِمْ^(١)

أَخْضَرُوهُمْ إِلَيْهِ^(٢).

صَلَبُوا

بَعْدَ أَنْ قُطِعَتْ

رُؤُوسُهُمُ الْأَرْبَعَةُ.

وَالْخَلِيفَةُ^(٣) كَانَ اخْتَفَى

تَحْتَ بُرْقَعٍ أَثْنَى.

نَبَذَتْهُ الْمَدِينَةُ،

لَمْ يَبْقَ شَخْصٌ مَعَهُ.

- ب -

أَحْضَرُوهُ وَحِيداً^(٤)

- «فَوْقَ مَنْ أَذْنَبُوا أَنْتَ.

عَفْوُكَ فَضْلٌ وَعِقَابُكَ حَقٌّ».

❖ بَلَدٌ لَا يَتَغَيَّرُ فِيهِ إِلَّا الْقَبْرُ، تُرَاهُ

بَلَدٌ مَسْبُوقٌ دَوْمًا،

يُحْطَامُ الْمَعْنَى؟

- ز -

تَلُّ بِطَرِيقٍ، أَمِدُّ، جَنِيحَانُ

جَسْرٌ إِلَى الرُّومِ،

وَالرُّومُ أَحْجَارُهُ -

نَتَخَاطَبُ، نَلْعُو:

إِنَّهَا سَكْرَةُ الْأَلْسِنَةِ

تَجْعَلُ الْقَشَّ وَزْدًا

وَالْحَجَارَ خِيولًا

وَتَوَابِعَ،

فِي هَذِهِ الْأَمَكْنَةِ.

- «بل منحنك عفوي»^(١).

- «وعفوت عمن لم يكن عن مثله

عَفْوٌ، وَلَمْ يَشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ

إِلَّا الْعَلْوُ عَنِ الْعُقُوبَةِ، بَعْدَمَا

ظَفَرْتَ بِدَاكَ بِمُسْتَكِينٍ خَاضِعٍ

مَا إِنْ عَصِيَّتْكَ وَالْغَوَاةُ تَقُودُنِي

أَسْبَابُهَا، إِلَّا بِنِيَّةٍ طَائِعٍ

رَدَّ الْحَيَاةَ إِلَيَّ، بَعْدَ ذَهَابِهَا

وَرَعُ الْإِمَامِ الْقَادِرِ الْمَتَوَاضِعِ»^(٢).

* مَدْنٌ تَقُولُ لِرَبِّهَا: بِكَ نَسْتَعِينُ

هَذَا جَزَاءُ الْكَافِرِينَ،

يُزَجُّونَ مِنْ نَارٍ لِنَارٍ

لَا شَيْءَ يَعْصِمُهُمْ، وَلَيْسَ

لَهُمْ سَبِيلٌ لِلْفِرَارِ.

(١) الكلام للمامون.

(٢) الأبيات لإبراهيم بن المهدي نفسه. وكان، كما هو معروف، شاعراً.

- ج -

أهل قم يثرون، قالوا:

لا خراج،

وكان كبيراً.

حاربوهم،

هدموا سور قم، أذلوهم

وزادوا الخراج عليهم^(١).

- د -

جيش عبيد الله يُباد^(٢)

ومصرُ تعودُ، وترقدُ

بين يدي بغداد.

- ح -

ليقايَا مَلَطِيَّةَ جِسْمٍ حَجَزَ

غَيْرَ أَنَّ الرَّمَادَ مِهَادٌ لَهَا

والتَّأْكُلَ مِثَاقُهَا.

وتدبُّ وتنهض في مَوْتِهَا:

مَوْتُهَا وَاحِدٌ،

والغبارُ الصُّورُ.

* أخذته لغات السلاح وأصواتها:

ألصفائح مثل الصّحائف،

والترسُ طرسٌ.

(١) أخذ من أهلها «سبعة
آلاف ألف درهم، بعد أن
كانوا يتظلمون من ألفي ألف
درهم».

(٢) عبيد الله بن السري،
الذي كان متمزداً في مصر.
وعبد الله بن طاهر هو الذي
تغلب عليه وأباد جيشه.

تَأْذُوا^(١):

«بَرِئْتُ ذَمَّتْنَا

مِمَّنْ يَذْكُرُهُ»^(٢) بِالْخَيْرِ، وَمِمَّنْ
قَالَ:

أَزَاهُ

أَفْضَلَ مِنْ أَيْ

مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ.

- ط -

دَلُّوكْ جَحِيمَ فَارَةٍ، لَوْنُ دُورِهَا
سَحَّامٌ، وَلَوْنُ السَّاكِنِينَ تُرَابٌ
تَفَرَّ الطَّيُورُ الْعَابِرَاتُ مِنْ أَسْمِهَا
وَيَجْفَلُ مِنْهَا فِي الْفُضَاءِ سَحَابٌ
حِصُونُ قِتَالٍ كُلِّ تَسَالَىهَا دَمٌ
وَلَيْسَ لَهَا غَيْرَ السَّيُوفِ جَوَابٌ.

(١) بِأَمْرِ مِنَ الْخَلِيفَةِ
الْعَامُونَ.(٢) الْإِشَارَةُ إِلَى الْخَلِيفَةِ
مَعَاوِيَةَ.

* أَلْقِلَاعُ الْقِلَاعِ

تَتَخَاصَرُ حَوْلَ الْبُيُوتِ، وَحَوْلَ
الْحُدُودِ، وَلَكِنْ لَمْ تَزِدْ قَادَةَ الْجُنْدِ
أَلَا فَرَاغًا،
وَالْأَضْيَاغَ.

- ي -

ثوبٌ هذا التَّهَار طویل

وأذیاله تتمزقُ:

لا بُدَّ من آخرٍ

على قَدِّه، -

أَلْخَنَادِقُ أَزْرَارُهُ

وَالْحِرَابُ الْخِيوطُ

وَأَكْمَامُهُ رِمَاحٌ.

- ٥٩ -

قال المأمون بخلق القرآن،
وأعلن:

«بَعْدَ مُحَمَّدٍ،

خَيْرُ النَّاسِ عَلَيَّ»^(١).

(١) قال ابن كثير: «في ربيع
الأول، أظهر المأمون بدعتين
فظيعتين، إحداهما أطم من
الأخرى، وهي القول بخلق
القرآن. والثانية تفضيل علي
ابن أبي طالب على الناس،
بعد رسول الله (صلعم). وقد
أخطأ في كل منهما خطأ كبيراً
فاحشاً. وأثم إثماً عظيماً».

* لا يعودُ من الحرب إلا إلى

الحَرْبِ:

ربُّ الأَفْوَلِ

سَاخِطٌ دَائِماً - مَرَّةً

تَتَقَطَّعُ فِي حَرْبِهِ الْجَسُومُ، مَرَاراً

تَتَقَطَّعُ فِيهَا الْعُقُولُ.

- ك -

(١) علي بن أبي طالب.

عِنْدَ بَابِ الْكَنِيسَةِ، قَتَلَنِي
وَالْبُكَاءُ عَلَى وَجْهِهَا غَطَاءٌ.

جَرَسَ مَيِّتٌ
مَلَائِكُ يَسْتَسْلِمُونَ إِلَى صَمْتِهِ.

خُوذْ وَبَقَايَا سِوْفٍ
تَتَعَانَقُ فِي كَنْفِ الْمَوْتِ،
وَالرَّيْحُ تَلْهُو
وَتَجَرَّرُ أَذْيَالَهَا.

- ٦٠ -

سَنَّةٌ، كُلُّ لِسَانٍ فِيهَا
يَهْذِي

وَيَكْزُرُ قَوْلَ عَلِيٍّ^(١) :
«اللَّهُمَّ أَرْحُهُمْ مِنِّي
وَأَرْحَنِي مِنْهُمْ».

* وساده الجرح في ضيق وفي سعة
وفي ضماد من الوسواس والأرق
يجر أعضاءه في كل زاوية
كأنه ورق يشكو إلى ورق.

- ل -

بين طِفْلٍ يَجِيءُ لِسَأَلٍ عَنْ أَبِيهِ

عِنْدَ جَارٍ لَهُمْ، وَطِفْلٍ

يَحْمِلُ الْمَاءَ كِي يَسْقِيَ الْعَابِرِينَ،

رَجُلٌ

وَنِسَاءٌ

يَجْرُونَ أَغْلَالَهُمْ

فِي دُورِ الشَّقَاءِ

وَتُرْفَرُ مِنْ فَوْقِهِمْ رَايَةٌ

تَتَمَرَّقُ فِيهَا السَّمَاءُ وَيَقْتُلُ الْأَنْبِيَاءُ.

- ٦١ -

- أ -

بعد أَنْ عَلَّقُوهُ^(١)،

أَشْعَلُوا النَّارَ مِنْ تَحْتِهِ.

- ب -

بَابِكَ الْخَرْمِيُّ، يِقَاتِلُ -

يَقْتُلُ ابْنَ حَمِيدٍ^(٢).

(١) الإشارة إلى عبد الله بن عبد الحكم.

(٢) قائد جيش المأمون، محمد بن حميد الطوسي.

* تتلعثم في صدره

لغةً مرّةً حبيسةً

تتكشفُ أسرارها

للعذاب الذي يتختر في قُبّةِ

الكنيسة.

- ٦٢ -

- أ -

«نَهَبَ لِلْأَمْوَالِ،

وَسَفَكَ دَمًا:

تلك خيائهُ عَهْدٍ

وَالْقَتْلُ عِقَابٌ»^(١).

- ب -

«سَاوَرَا

بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ:

أَهْلُ جِهَالَةٍ

أَهْلُ ضَلَالَةٍ -

لَا عَقْلَ لَدَيْهِمْ، لَا بُرْهَانَ»^(٢).

- ٣ -

أَلْخِيُولُ تَوَاحِي السَّهَامِ،

السُّهَامُ تُفَارِقُ أَقْوَاسَهَا

فِي غِبَارٍ يَلْفَ الْمَدَائِنَ -

أَبْرَاجَهَا وَحُرَّاسَهَا.

- أَيَّنَ نَمْضِي، وَمَنْ سَنَقَاتِلُ؟

- غَرْبًا،

وَنَقَاتِلُ مَنْ لَيْسَ مِنَّا.

تَسْمَعُ الشَّمْسُ، تَحْنُو وَتَقْرَعُ، حُزْنًا

عَلَى الْأَرْضِ، أَجْرَاسَهَا.

* زَمَنْ مِنْ خِرَافٍ

وَسَكَكِينَ، وَالْكُونُ كَالْخِيطِ فِي

إِبْرَةٍ -

فَاتَّقَا، رَاتِقَا.

(١) الكلام للمأمون، أميراً
بقتل ابنِ هِشَام: عليّاً،
وحسيناً، لسوء سيرتهما «قتل
الرجال، وأخذ الأموال».

(٢) الكلام للخليفة المأمون،
واصفاً الأشخاص الذين
يقولون بأن القرآن غير
مخلوق.

- ن -

نَخْلَةٌ - نَقَطَ مِنْ دَمٍ
تَتَغَلَّغُلُ فِي جَذْعِهَا.

جذعها -

لم يكن مرةً فارساً
لم يقل مرةً
إنَّ للحربِ نَخْلًا
وجنائنَ من كلِّ طيبٍ.

وَيُخَيَّلُ أَنَّ يَدَ الشَّمْسِ ضَمَّتْ
عَلَيْهِ بِمَنْدِيلِهَا.

- ٦٣ -

سنة - كلَّ أيامها

شهوات،

النواخِ سريرٌ لها،

والجراحُ لِقاحٌ.

* ما أَعْجَبَهُ -

لَا يَسْتَيْقِظُ إِلَّا فِي طَبَلِ الْحَرْبِ
ضِدَّ الشَّرْقِ وَضِدَّ الْغَرْبِ.

لا أرى

غيرَ تلكَ الجسومِ التي تتراخَمُ أعناقُها
وتُناجِرُ كي تُثَحِّرا.

لا أرى

غيرَ ما تُعلنُ السِّيفُ،
تُراني أشكو،

أم الخوفُ يجتاحني؟

أتراني في حيرة؟ ولكن،

مَنْ يُوَكِّدُ أَنِّي أُوَثِّرُ أَلَا أشاركُ

في الحزبِ،

أَلَا أرى؟

- ٦٤ -

- أ -

حكمه^(١) لا يُطاق، -

كان، ظلماً وبغيًا،

يقتلُ النَّاسَ، أو يجمعُ المالَ
منهم.

قتلوه، جزاءً

رَفَعُوا رَأْسَهُ عَلَى رَأْسِ رُمُحٍ،

وطافوا بِهِ فِي الْعِرَاقِ.

- ب -

تمجيداً،

لِلْعَقْلِ وَحُكْمِ الْعَقْلِ، سَادَعُوا
لِلْقَوْلِ جَهَاراً:

«لَا أَرِي، لَا أَبَدِي

إِلَّا اللَّهُ: الْقَرَأَنُ كَثَلَ الْعَالَمِ،
مَخْلُوقٌ، وَالْإِنْسَانُ مَرِيدٌ حُرٌّ».

(١) الإشارة إلى علي بن
مشام، عامل المأمون على
أذربيجان. وأشير سابقاً إلى
أمر المأمون بقتله مع أخيه،
لطفانيه وظلمه.

(٢) الكلام للمأمون داعياً
الناس إلى القول بخلق
القرآن.

❖ أمشي، أعانق صخراً أشتهي نَفَقاً
ذئبٌ أنا شَبُهُ مَيْتٍ، يشتهي دَمَهُ
خبزاً، ويشرب وَخَلَ اللَّهِ وَالْعَلَقَا.

خزوا الرأس،

وطافوا الأسواق به^(١).

قال ابنُ تمام^(٢):

«شاهدتُ عباناً جُتُّهُ -

كلبٌ أبيضٌ يحرسُها،

يمنع كلَّ كلابِ الحي

أنْ تدنوَ منها!».

وأضافَ سواه:

«كلُّ مساءٍ

كنتُ أشاهدُ أنواراً

كقناديلٍ

تدلى فوقهُ».

لُجَّةٌ مِنْ أَرْقٍ

أَتَقَلَّبَ فِيهَا، وَأَسْتَنْفِرُ الصَّبَاحَ،

وَأَوْهَمُ أَتَيْ فِيهِ وَمَنَّهُ، وَأَعْرِفُ:

لَا شَيْءَ حَوْلِي غَيْرُ الدَّمَاءِ،

وَأَعْرِفُ:

لَا شَيْءَ فِي مَشْرِقِ الشَّمْسِ،

إِلَّا الْعَسَنُ.

(١) رأس عنباس الفارسي، الذي كان من أئمة العلم بالحديث في إفريقية. قتله الأمير زياد الله بن الأغلب التميمي، وأمر بالطواف برأسه في أسواق القيروان.

(٢) شخص من أصحاب عنباس الفارسي، اسمه صبرة، وكان مولى لتمام بن تمام.

❖ بعضنا صادقٌ

بعضنا كاذبٌ، ولكن

صادقٌ كاذبٌ معاً كلَّ صَمْتٍ.

- ف -

كلَّ يومٍ، قبيلَ الغروبِ،
تَجِيءُ إلى المدفنِ القريبِ إلى بيتها،
تتفقَّدُ أبناءَها وأحفادَها،
قلبها في يَدِ وعصاها
في يَدِ،
وتُتميمُ:
يا موتُ خذني إليهم!

- ب -

ماتَ المأمونُ:
اختارَ العقلَ،
ورَدَّ الثقلَ،
وكان يحاورُ مَنْ سَمَوْهُ
بالزُّنديقيِّ، وكان يُفضَّلُ أن
يُصْغِي،
في كلِّ خلافٍ، للفكرِ -
يقولُ بنو الفِكَرِ
قلبي الإنسانِ،
ومعنى الكونِ،
وبيرز الدُّفَرِ.

* مُمَسِكَاً بيدِ الشمسِ، كان الصَّبَاحُ
يَتَنَقَّلُ في حِينَا
والمكانُ على صدرِهِ غَابَةً مِنْ رَمَاحِ.

- ص -

سأقول لهذا الذئب: تَجِيءُ كريماً
وتموتُ كريماً.

سأقول لنفسي

لم أقتل أحداً

لم أهرب

لم أسرق

بيت المال

وأكرر قولي:

أَطَاعَهُ للمولى

لخليفته، ولعمال خليفته

ولعمال العُمال.

- ٦٦ -

- أ -

ثَارَ^(١) في الطالِقَانِ،

تَعَثَّرَ، خَابَ، انكَسَرَ

حبسوه -

قَرَّ مِنْ حبسه.

كيف؟ أين اختفى؟

لا أثر.

* حرب، -

تَهَزَّأُ مِنْ قَتْلَاهَا

مِمَّنْ يَنْتَصِرُونَ وَمِمَّنْ هُزِمُوا.

(١) الإشارة إلى محمد بن القاسم بن عمر، الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب. وقد هرب من حبسه واختفى.

- ق -

حرب - جدل دام

بين المذهب والمذهب:

«غلب الروم»،

«الغالب، بعد غدي، مغلوب»،

قول ينسخ قولاً

في لغة

يستسخنها ويفتقها، ويسققها

داء، -

أتى، ومتى، وإلام

وكيف سيغلب؟

- ب -

ثورة الزط تطفئ.

حاصروهم،

أبادوهم^(١)،

ضربوا كل أعناق أسراهم.

بعثوا بالروس إلى المغتصم:

إنتهج أيها السيد

المرتفع في عرشه،

وابتسم.

(١) قيل قُتِل ثلاثمئة، وأبِير
خمسمة. ودامت ثورة الزط
تسعة أشهر. (راجع الإشارة
لسابقة إليهم).

* في آلسِ قمرٍ يحيا بلا حرسٍ
وحوله الناس والأوهام تشتجرُ
ليلي ومريم شعرٌ في دفاتره
وفي سنائه يؤاخي الموجة الشررُ.

(١) الإشارة إلى قتل من
الخرمية، بلغ عددهم، كما
يروى المؤرخون، مئة ألف،
سوى النساء والصبيان.

وقف الموت في باب كوخ
على باب منبج، مُستقرّاً
حاملاً كأسه -

يَشْرَبُ الأرضَ، أَيامها المانوية،
أغصانها المائلة،
وعلى كتفيه
مدنٌ راحلة.

- ج -

الزجال، النساء،
وصيائهن حصاد^(١):
وأحس كائني أصغي
للمغنين والشعراء،
وأصحابهم:
«يادم الخرمية
كتبتك الغيوم على وجهها
للرياح، نجية».

* حقل موتى، كواسر من كل فج
برك من دم: مائدة
إنها الأرض - مخنوقة، هامة!

- ش -

دَهَبَ الفَارِسُ

ذَهَبَتْ أُمُّهُ

تَسْأَلُ الرِّيحَ وَالشَّمْسَ عَنْهُ

فِي الْحَقُولِ، وَبَيْنَ الْأَرْقَةِ سِرًّا.

- ٦٧ -

- أ -

أَشْجَارٌ قُطِعَتْ

وَزُرُوعٌ بَادَتْ.

وَرُؤُوسُ الْقَتْلَى -

مَا أَكْثَرَهَا

مَا أَشْجَى مُنْظَرَهَا.

لَمْ يَقْدِرْ مَيْسِرَةٌ^(١)

أَنْ يَتَحَمَّلَ: زُلْزَلٌ،

مَاتَ حَسِيرًا.

(١) الإشارة إلى ما حدث في حصار عبد الرحمن بن الحكم لطليطلة، في هذه السنة ٢٢٠ هـ. وميسرة هو القائد المعروف بـ «فتى أبي أيوب». مات، بعد أيام قليلة من الحصار، حسرةً وغمًّا، من رؤية رؤوس القتلى.

لَمْ يُجِبْهَا، وَلَمْ يَعْرِفِ السِّرَّ، إِلَّا
عُصْنُ يَابِسٍ.

* لَا صَوْتَ حَوْلِكَ، لَا صَدَى، -

صَحْرَاءُ مِنْ وَرَقٍ وَرِيحٍ
لِمَنْ اهْتَدَى وَلِمَنْ هَدَى.

- ب -

القضاء على ثورة الرُّط:

أجلوهم بعيداً

عن أماكن سكناهم.

وضعوهم

قريباً من الرُّوم،

جاؤوا إليهم،

وأبادوهم - واحداً واحداً^(١).

- ت -

تاريخ حروب: طرس

كتب الآباء عليه

بدم الأبناء -

كتب الأبناء عليه

بدم الآباء

هول الأشياء.

أكون الثور طريقاً

نحو ظلام آخر أذهى

وأمر حجاباً؟

* تاريخ شيطان

قدفته أحشاء البحر

الأوراق جراز، والخط دخان،

والجبر السحر.

(١) كانوا، كما يروي
المؤرخون، سبعة وعشرين
ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً، من
النساء والصبيا.

- ٦٨ -

«قيل لي^(١) في المنام:

«إذا لم تُحارب

بأبكأ، فسأمُر هذي الجبال

بِرَجْلِكَ»، -

يا رَبِّ، يَسْرُ!

فَتَحْتُ جُفُونِي. مَرَّ وَقْتُ

قَصِيرٍ - هوذا بَابُكَ أَسِيرٌ.

- قَرِيبُهُ.

- أَيْنَ سَيَافُهُ؟

- تَقَدَّمَ، خَذَهُ، واقطع يديه،

ورجليه.

- أَحْسَنْتَ. وَالآنَ لِلذَّبْحِ. شُقُّوا

- ث -

كَلْنَا كَانَ يُوْغِلُ فِي مَذْحِهِ:

«يَمْتَطِي، لَا الْخِيُولَ وَلَكِنْ

يَمْتَطِي هَمَّهُ

لَا عِنَانٌ لَهُ غَيْرَ أَعْنَاقِهِمْ.

سيفه يتحدث عنه

والرؤوس له كلمات».

كَلْنَا كَانَ يَهْذِي.

(١) الكلام للخليفة
المعتصم. وقد استمرّ بابك
الخرمي في تمرّده عشرين
سنة.

ويقول المؤرخون إنه قتل
مئتين وخمسة وعشرين ألفاً،
وأسر خلقاً لا يُحصىون.

ويقولون إن ثلاثة آلاف
وثلاثمئة شخص أسروا معه،
عندما قتل. وأسم أخيه
عبد الله.

وقيل إن بابك طلب أن يشرب
الخمرة، فبيل مقتله.

* جَصُّ فَوْقَ جَبِينِ الْوَقْتِ وَطِينٌ

وَالْحَوْضُ كَبِيرٌ

وَالْأَيَّامُ جَوَارٍ فِيهِ:

تَارِيخٌ يَكْتُبُ فِي تَنْوِيرٍ.

- خ -

لِلدَّمَسْتَقِ ظِلٌّ

يَتَجَوَّلُ بَيْنَ الْقَلَاعِ، وَيُوغِلُ فِينَا:

أَتَرَاهُ دَلِيلٌ وَرَمَزٌ

لِشَهْوَتِنَا الْمَاكِرِ

كِي نَحْرَرَ أَيْمَانَنَا

مِنْ مَرَارَاتِهَا وَتَبَارِيحِهَا؟

إِهْدِنِي، يَا ابْنَةَ اللَّيْلِ،

أَتَيْتِهَا الْبُومَةُ السَّاحِرَةُ!

بَطْنُهُ. أَرْسَلُوا رَأْسَهُ

لِخِرَاسَانَ، طُوفُوا بِهِ. وَاصْلُبُوا

هَذَا هُنَا جِسْمَهُ.

وافعلوا بأخيه، مِثْلَهُ

مِثْلَهُ تَمَامًا.

- ٦٩ -

بَطَاشُ جَبَّاز^(١)،

كَانَ، لِكثْرَةِ قِتْلَاهُ،

يُدْعَى الْجَزَّازَ.

* مَا أَمْرُ الْوَصُولِ إِلَى الشَّيْءِ - فِي

صَمْتِهِ وَفِي سِرِّهِ،

وَمَا أَكْرَمَهُ.

أَجْمَلُ التَّوَرِّ مَا جَاءَ مِنْ جِهَةِ مُغْتَمِهِ.

(١) الإشارة إلى إبراهيم بن موسى الكاظم، وقد قتل في اليمن خلقاً كثيراً.

- ذ -

أصدقائي، أبناء قومي
سقطوا، يفرشون الغبارَ
ويلتحفون العراء.

لا أريدُ البكاءَ، ولكن
كيف أبقى بعيداً؟
كيف لا تدفّق نفسي
في تدفّقِ هذي الدماء؟

* طرقٌ - لا خضراء ولا سوداء
ولا بيضاء
نحو لغاتٍ
لا أفعالاً لا أسماء لا أشياء.

٢٢٣ هـ.

- ٧٠ -

- أ -

قالوا:

«بعضُ الأمراء -

العبّاسُ بن المأمون،

وبعضُ من إخوته،

رفضوا أن يصدر منهم صوت:

وامتصمأه!

أو ما يُشبهه.

فُتِلوا^(١).

لُعِنَ العبّاسُ، وقالوا:

سَمَوْهُ لَعِيناً.

- ض -

في الزقاقِ تجمَعْنَ يبيكين، يرقصنَ:

هذا

عرُسُ العائدين.

أَلْتَوافدُ شمسٍ لِمَن كان حيًّا

والغبارُ ستارٌ على الميتين.

رجلٌ وامرأه

يومئذٍ وحيدين في آخر الزقاقِ

إلى نجمةٍ مُطفأةٍ.

- ب -

في الأحياءِ، الناسُ سُكاري
يتغنى كلُّ منهم:

ما شأني بالسُّلطانِ -

أعني، يا الله،

اتركني في هذا القَبْرِ، بعيداً
عنه:

أخيا خراً

للشعرِ،

لوجه الشعرِ،

وَوَجْهٍ نبيذٍ عالٍ،

وَأَبْناءَ!

* روميّاتُ

بشبابٍ من رُمانٍ

والطرقاتِ قلائدَ ورْدٍ:

الأحمر، هذا اليومَ، أميرٌ.

- ظ -

إِنْفَتْخْ، أَيُّهَا اللَّيْلُ، لَا مِثْلَ قَبْرِ

بَلْ كَمِثْلِ السَّرِيرِ،

وَلَا بِأَسْنَى أَنْ تَرْقَدَ الْحَرْبُ حَوْلَ الْوَسَادَةِ،

كَيْ يَتَوَحَّدَ مَاءُ السَّيِّمِ

وَمَاءُ الْوَجُودِ

وَابْتَعِدْ، لَا تَعُدْ

أَلْجَمَالَ مَتَى سَالَ فِي نَهْرِ أَشْوَاقِنَا،

لَا يَعُودُ.

- ٧١ -

فِي خِرَاسَانَ،

لَا شَهْرَزَادَ، وَلَا شَهْرِيَّازَ

فِي خِرَاسَانَ،

يَخْرُجُ شَخْصٌ

يَرْجَى مَدَامِيكَهَا،

إِسْمُهُ الْمَازِيَّازُ.

* عِنْدَمَا تَشْهَدُونَ الْقَمَرَ

وَشَوْشُوا الْبَحْرَ غَطُّوا سَرِيرَ مَنَامَاتِهِ

بَشَرَاةِ السَّقَرِ.

- غ -

لا تَقْلُ، أَيُّهَا الشَّرْقُ، هَيَّأْتُ نَفْسِي
وَضَبَطْتُ مَوَاعِيدَهَا.

لا تَقْلُ، أَيُّهَا الْغَرْبُ، وَجَّهْتُ وَجْهِي
لِلْقَاءِ - الطَّرِيقُ هُنَا
وَهُنَاكَ، امْحَاةً.

وَالهَوَاءُ يَقُولُ الهَوَاءُ
لَمْ يَحْنِ بَعْدَ يَوْمِ اللَّقَاءِ.

- ٧٢ -

أَسِيرَ الْمَازِيَارُ، وَقَالُوا:
مَاتَ تَحْتَ السَّيَاطِ، وَقَالُوا:
صَلَبُوهُ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ،
أَصْحَابُهُ
وَأَتْبَاعُهُ -

قُتِلَ الْأَكْرَمُونَ الْإِعْزَاءُ مِنْهُمْ.

* وجه زيتونة

ضَارِبٌ فِي تَخُومِ الشَّقَقِ، -
أَتْرَانِي أَقْسَمُ مِنْ أَوَّلِ:
وَالضَّحَى، لِلْقَاءِ، وَلَا مُفْتَرَقُ!

هوامش



لا تعذر المشتاق في أشواقه
حتى يكون حشاك في أحشائه،
إن القتل، مُضَرَّجاً بدموعه،
مثل القتل، مُضَرَّجاً بدمائه.

المتنبي

إسحاق الموصلي

المغني المشهور، مات
سنة ٢٣٥ هـ.

ليت لي أن أغني
أن أرى زمني يتعنى
بالتواصي، في قلب هذي المدينة
كي يؤاسي أوجاعها،
ويؤالف ما بين أحلامها وخطاها
ويفتق أسرارها.

ليت لي أن أدير عليها
كأس أوجاعي الدفينة.

القاضي أحمد بن أبي دؤاد

«كان داعيةً إلى القول
بخلق القرآن، أخذ ذلك عن
بشر المزيسي، عن الجهم بن
صفوان عن الجعد بن درهم
عن أبان بن سميعان، عن
طالبوت ابن أخت لبيد
الأعصم وأخذه طالبوت عن
لبيد بن الأعصم اليهودي الذي
سحر النبي، وكان يقول بخلق
التوراة». مات سنة ٢٤٠ هـ.

نجمة فوقنا، سألنا:

كيف تسمو حياة

يتأله فيها الكلام، ويصبح أرفع منها وأعلى؟

نجمة فوقنا

تتقفي خطانا،

تتقرب، تلمس أكتافنا

تتناهى، تعود - تريد الإقامة ما بيننا.

أثرانا الفضاء الأحب إليها؟

أحمد بن حنبل

توفي سنة ٢٤١هـ /
٨٥٥م أمضى في السجن
ثمانية وعشرين شهراً،
لامتناعه عن القول بخلق
القرآن.

بين السجن وقول مقالٍ لا يرتاحُ إليه،
آثرَ ليلَ السجنِ: الفكرةُ، حيناً، جرحٌ
حيناً سكينٌ،
حيناً ضوءٌ.

ألهدا نفنى
كي تتجدد نأر المعنى؟

الحارث المحاسبي

مات سنة ٢٤٣ هـ /

٨٥٧ م. لم يُصَلِّ عليه إلا
أربعة أشخاص. هجره الإمام
أحمد بن حنبل، وهجرته
العامة معه، لأنه اهتم بعلم
الكلام.

- أ -

لم يُصَلِّ عليه سوى أربعة.

- ب -

هرباً من رعاي

لا يرون طريقاً إلى الذين إلا التعصب

والقتل، عاش وحيداً،

ومات وحيداً.

- ج -

قال: «لا أعلم» -

و «توهم» /

أعمق ما يعرف المرء مُستوهم.

إبن كُريب

محمد بن العلاء ابن
كريب الهمداني. أوصى أن
تدفن معه كتبه، فدفنت. مات
سنة ٢٤٣ هـ.

عند موتي، اخملوني كأني كتابٌ
وضعوا كتبتي عند رأسي،
وادفنونا معاً.

لغَةُ الشَّيْءِ أَتَقَى وَأَبْقَى
وَالْتَعَالِيمَ لَغَوٌ.

ابن منيع

يقال إنه من «أقران ابن
حنبل في العلم». «بيع جميع
ما يملك بعد موته بأربعة
وعشرين درهماً». مات سنة
٢٤٤ هـ.

بكت الأرضُ على جثمانِهِ

وَأَمَّالَتْ كَتْفِيهَا صَوْبَهُ

وَشَوَّشَتْ أَعْشَابُهَا:

«كَانَ مِثْلِي

لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ إِلَّا ثَوْبُهُ».

ابن السكيت

قتل بأمر من المتوكل،
سنة ٢٤٥ هـ. أمر غلماناه من
الأتراك، فداسوا بطنه وحمل
إلى داره حيث مات،
والسبب، كما قيل، هو أنه
فضل الحسن والحسين على
ابني المتوكل اللذين كان
مؤدباً لهما.

شمسُ هذا الصّباح تدقّ على البابِ . أنهَضُ ،
تأخذُ جسمي من كتفيه ، وتركضُ . مهلاً ،
قلتُ . هذا شارعُ - غابةٌ تُصلي .
خذيني إلى شارعٍ آخرِ
أتعلمُ رفضي فيه -
صيرتُ أشتاقُ أن ألتقي غابةً ثانية
وأرى بين أشجارها
شجراً كافراً
وأرى بين أعشابها
نبتهً زانيةً .

ذو النون المصري

- أ -

- قالوا^(١): عَلِمَكَ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ سَلَفٌ. أَحْدَثْتُ.
وقالوا: زنديقٌ أَنْتَ، ومبتدِعٌ.

- «ومالي سوى الإطراقِ والصَّمتِ حيلةٌ

ووضعي كَفِّي تحتَ خَدَيَّ، وتذكاري»

- ب -

- ثُبَّتْ؟ وكيفَ؟ لماذا؟

- في الصَّخْرَاءِ.

نَمْتُ، فَتَحْتُ جَفُونِي:

قَبْرَةٌ عَمِيَاءُ

سَقَطْتُ مِنْ وَكْرٍ، -

الأَرْضُ انشَقَّتْ، خَرَجْتُ فِيهَا سُكْرُجَتَانِ:

السَّمْسُ فِي وَاحِدَةٍ، فِي الأُخْرَى مَاءٌ.

فَأَكَلْتُ، شَرَبْتُ، وَقُلْتُ:

حَسْبِيَ الآنَ، وَثُبْتُ.

وَلَزِمْتُ البابَ إِلَى أَنْ قِيلَ: قُبِلْتُ.

لَمَّا مَاتَ، اضْطُفَّتْ

لِتُظْلَلَهُ،

أَسْرَابُ طُيُورٍ.

مات سنة ٢٤٦ هـ. أو

٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م. سجن في

بغداد بتهمة الزندقة. وأطلق

المتوكل سراحه. كان يلقب بـ

«قطب الوقت». ومن أبرز

تلاميذه أبو يزيد البسطامي.

(١) حوار بين ذي النون

وأخيه.

ديك الجن الحمصي

أحرقَ الحبُّ مِن نَشْوَةٍ
أَحْرَقَ الحبُّ مِن حَيْرَةٍ
أحرق الحب من شغف الظن، من شَغَفِ الشكِّ
في حبّه، واحترق.

أُثْرَانِي أُمَثِّلُ مَا عَاشَهُ -
أُنْحِي فَوْقَ ذَاكَ التَّرَابِ الَّذِي ضَمَّهَا
وَأَوْشُوشِ قَلْبِي: تَقَلُّبُ،
وَاضْطِجِبْ حَلْبًا وَالْمَسَافَاتِ وَالْأَرْضَ،
وَاهْبِطُ
فِي الْغِيَاهِبِ، فِي جَمْرِ هَذَا الْعَسَقِ.

علي بن الجهم

قُتل سنة ٢٤٩ هـ. خيس
وثقي، وفي أواخر حياته
عاش ماجناً عابثاً، زهداً
بالعالم وسخرية منه.

قتله بعض الأعراب
اللتصوص من كلب، قرب
حلب. وكان في طريقه
للمشاركة في الحرب ضد
الزُوم، وهو في حوالى الستين
من عمره. والبيتان الأخيران
وُجدا معه على رقعة حين
نزع ثيابه، بعد موته. يقول
في إحدى قصائده: وأحكمه
التدريب حتى كأنه
يُعاین من أسراره ما تُوقما.

بيتُ جراحٍ يعيش في هَلَجٍ
وَيَسْتَضِيفُ الجراحَ والهَلْعَا
راحَ إلى الزُوم كي يحاربهم
لكنه في طريقه صُرعا
كأنَّ تاريخ أرضه كتب
يقرأ فيها الجراحَ والودعا
«وارحمنا للغريب في البلد النازح
ماذا بنفسه صنعا؟
فارقَ أحبَّاه، فما انتفعوا
بالعيش من بعده، وما انتفعا».

الزّواية

V

الضّوء؟

لا يكشف من الأشياء إلّا حجابها الأكثر قرباً تبقى
الأشياء وراء حجبٍ لا يمزقها الضّوء

كان يردّد ذلك في نفسه فيما كانت القلعة تتزّثر
بسياج من هباء البشر الذين ماتوا لكي يغلقوها أو الذين
ماتوا لكي يفتحوها وفيما كان يخيل إليه أنّ التاريخ
أوراق تتطاير في غبار يتطاير . وأخذت أحجار القلعة
تتنظم في جوقه - كلّ حجرٍ صوت، وبدأت تُملي
عليه، -

أ - بشرّ يملأون الأروقة والأقبية بالكلام لكن
دون أن ينطق أيّ منهم بأية كلمة .

ب - بشرّ في مقام الصفر يجلسون تحت ظل
الواحد .

ج - امرأة تتحدّث مع نهديها .

د - زمنّ، -

قنديل أسود يتدلّى من سقف الأبدية .

هـ - كلاً،

لا ليلك يُحرّر اليدين،
ولا نهارك يحرك القدمين:
يكفيك، أيها الزّمن
أن تصلبَ جسد المكان.

و - التردّد نفسه يشكّ في المصادفة.

ز - لم يكن أرباب القلعة عاجزين عن قتل مدني
بكاملها، وكان كلّ منهم عاجزاً عن قراءة كتاب
واحد.

ح - الفجرُ تكرارٌ

لكنّه، دائماً، بداية.

الفجرُ؟ هل كان القبو فجراً هو الآخر، في نظر
الأمريين بعمارته ومهندسيه وبتأثيه والسّاهرين عليه؟
«أمرٌ بعمارته

مولانا السلطان الملك الظاهر العالم العادل
المجاهد المرباط المنصور المظفرّ الغازي عماد الدنيا
والدين أبو المظفر بن يوسف بن أيوب ناصر أمير
المؤمنين».

وهل كان هذا القبو سعيداً إلى هذه الدرجة؟
لم أكد أطرح هذا السؤال موشوشاً ضوء الشمس،
حتى أخذني قبو آخر يبدو أنه أكثر سعادة، -
«أمرَ بعمارته

مولانا السلطان الملك العزيز غياث الدنيا والذين
ركن الإسلام والمسلمين نسل الملوك والسلاطين خلد
الله ملكه».

فيما كان يخرج ملتفتاً إلى القلعة يودعها، كانت تخرج
من جدرانها التي ترقعها خِرَق العصور أشباحٌ مدججة
بالسلاح تتنافس على الأسلاب التي تركها المهزومون
غزوً داخل الغزو على الأكتاف رؤوسٍ تنتمي
إلى أكتافٍ أخرى على النحور سواعد كانت تتحرك
فوق نحورٍ أخرى قطعان جامحة لا يروضها إلا
الذهب ذبح ورقص تحت سقفٍ واحد مائتٍ
وعرسٌ في لحظة واحدة.

وانظروا: يدبُّ المال في الشوارع كأنه النمل والأيدي
كلها تسرق الأرض باسم السماء أو تسرق الثانية باسم
الأولى.

بلى، لا بدّ لمن يريد أن يدرس فيزياء المدينة، من أن
يدرس أولاً كيمياء الشهوات.

خارج القلعة،
شيخ يتوكأ على عُكَّاز،
للْعُكَّاز رأس امرأة، وطرفُهُ الأسفل دقيقُ كرأس
الحربة .

سوقٌ بسقفٍ مليءٍ بالثقوب تنزل منه أشعة الشمس في
أشكال الدنانير سوق بجدران تزيّنها بسطٌ بدوية
حمرء سواده . حانوت عقاقير وأعشاب طبيّة ومراهم
ومقوّيات ومشهّيات . شراب الرأس للحكمة
شراب القلب للمحبّة طلاسّم لأسافل الجسد وأعالیه
حانوت بشكل محراب امرأة تسير فاتحة مظلة سوداء
لوقاية بياضها من حرارة الشمس امرأة بلباس أسود
يزيد وجهها بياضاً مسجّدٌ يرّمم آخرُيني مكتبة
- لاكتب، بل أقلام ودفاتر .

بدأت الظلمة تطرد الشمس أخذت تتربع على حافة
الأفق على الجدران والأبواب والنوافذ على
أغصان الشجر والمآذن على رؤوس المازّة

خارج القلعة في المدينة القديمة يسير على ترابٍ
سبقتة إليه خطوات المتنبي . ربّما تعانق أثر خطواتهما

وغبارها. حوله من جميع الجهات غبارٌ آخر لا يراه
لا يحسّ به إلا القلب

أخذه الشعور بالوحدة وهو في وسط الجموع شعر
أن خطواته تتخاصم: بعضها يطارد بعضاً وبعضها ينفي
بعضاً

آه كلاً ولم يكن ذلك إلا توهُماً
كان يسير في مكانٍ آخر.

رأى في المدينة زاي هيكلاً مدوراً بسبعة أبواب،
«للهيكل قبة في أعلاها جوهرة أكبر من رأس
الثور تضيء ساحات الهيكل، ولا يدنو أحدٌ من
الجوهرة إلا سقط ميتاً.

وفي الهيكل بئرٌ مثلثة الرأس، متى أكبَّ الإنسان
فوقها، تطوّح فيها إلى الأسفل على رأس البئر
طوقٌ كُتب عليه:

«هذه بئرٌ تؤدّي إلى كتب الدنيا وعلوم السماء

وما كان في ما مضى من الدهر

وما يكون في ما يأتي.

لا يصل إليها ويقتبس منها إلا من وازت قدرته

قدرتنا، واتّصل علمه بعلمنا، وصارت حكمته
كحكمنا».

منذ أن يقع بصر الإنسان على الهيكل،
يقع في نفسه جزعٌ وحزنٌ واجتذابٌ وحنينٌ .

وكان حاكم المدينة سين، حين لا يثق بوزرائه وعماله
يسلط على رعيته ناراً تحكم
تأكل الظالم ولا تضر المظلوم
ومرة رأى في ساحة قصره جماعة رأى ناراً تخرج
إليهم وتأكلهم ثم دنت منها جماعة ثانية فأخذت النار
ترجع إلى الوراء حتى انطفأت .
وقال أبجد :

رأيت في المدينة شين فقراء في أعناقهم وأيديهم
أطواق من الحديد، يتقدمهم رجل أسود رأيت
يأخذ حطباً ويضرم فيه النار ثم أخذوا جميعاً
يرقصون في النار أما هو فلبس قميصاً رقيقاً وأخذ
يتقلب في اللهب ويضربه بأكمامه صارت النار
رماداً ولم يحترق القميص .

※

ويوماً فوجئت المدينة شين
«أمر الحاكم أن ترفع الضرائب عن أهلها، وأن
يتساوى فيها الغني والفقير قال لهم إذا سمع بإنسان
مات جوعاً في شارع أوحى فسوف يحرقه لكن
ذلك لم يدم .»

الذِّكْرَى

V

المدينة فاء

كل شيء في المدينة فاء يقول لك :
«الأمس زائل، واليوم عابر، والغد متهم».

※

الفضاء في المدينة فاء،
بيوت يسكنها ضيوف غير منظورين . وكيفما نظرت،
تري مسرحاً ترصف عليه الرؤوس أدرجاً للصعود.

※

في المدينة فاء،
يُكسر الزمن كما يُكسر الجوز.

※

في المدينة فاء،
تصاد اللانهاية بالراحات، وغبار الخطوات هو نفسه
صياد الوقت.

※

قلما يسمع في المدينة فاء إلا ما يشبه هذا الهمس:

- «هل بطنه جرابٌ لكي يُفْتَح؟»

- «هل جسده قمح لكي يُطْحَن؟».

※

يُخَيَّل، أحياناً، أَنَّ الإنسان في المدينة فاء أشبه بخيط
طرفه الأول اللهب الذي يخرج من فم الشيطان، وطرفه الثاني
الآهات الذي يصعد من فم الملاك.

※

من أين لك، أيتها المدينة فاء،
أن يتحوَّل رأسك إلى نرد، ونبضك إلى رمية نَرْد؟
من أين لك القدرة على الجلوس في حضن عشة،
وعلى أن تُجَلِّسي بين يديك طائر الوقت؟
من أين لك أن تترجمي الريح؟

※

هو، في المدينة فاء، ليس هو
في رأسه تنزف رؤوس، وتحت لسانه تتسلَّل ألسنة.
يخاف أن يُحَيِّي البحر. يخاف أن يشمَّ وردة. ويسأل دائماً:
ماذا أفعل بحياتي؟

※

ألم يكن يكفي ذلك الشاعر عبء الولادة في المدينة
فاء،

حتى ينضاف كذلك عبء الموت فيها؟

※

عندما سيزور المدينة فاء مرَّةً ثانية، (إن سمح العمر
والوقت)،

سيصاحب غيوماً تحجبُ عنه الجنّ.

سيقول لواحدة: أظِّليني،

وسوف يأمر أخرى لتنظر هل غاض ماء الحب؟

المدينة صاد

هو، الحارس على الشمس، في المدينة صاد،
ذهنه كالهواء،
لا يصادف أية عقبة، كيفما فكر، وأينما اتجه .

※

هو، في المدينة صاد،
لا يكتفي بأن يخضع، بل يبحث أيضاً عن أعذار تبرئ
من يخضع له .

※

يخيل، غالباً، في المدينة صاد،
أن العالم كله مكان لكي يتساقط ورق الشجر، ولكي
تلهوّ الريح .

※

لم يسر مرة، في المدينة صاد،
إلا رأى الحلم يسير إلى جانبه، لكن مقيداً .

※

لكي يعرف كيف يكتب عن المدينة صاد،
يفكر بغيرها .

※

قد يكون جسدك، في المدينة صاد، جنة
وتكون حياتك مع ذلك جحيماً.

※

ما لن تكونه أبداً،
هو الكيان الوحيد الذي يتاح لك، في المدينة صاد،
أن تحلم به،
وأن تعمل من أجله.

※

في المدينة صاد،
جسدك، حتى وهو في الظلمة، يكون في النور،
وذهنك، حتى وهو في النور، يكون في الظلمة.

※

كأنك، في المدينة صاد، لا تلتقي مع نفسك، إلا بقدر
ما تضيعُ عنها.

※

أقول، مع ذلك،
أحلم أن أحول كل حجرٍ في المدينة صاد،
إلى إناء أضع فيه وردةً، كل يوم.

أقول، مع ذلك،

لو أن الساعات التي تعيشها المدينة صاد ملكٌ لي،
لَصَنَعْتُ من كل ساعةٍ كرسيًا، وأجلستها عليه .

أقول، مع ذلك،
أتعلمذ على أطفال المدينة صاد، وأملأُ جسدي بغبار
طلعها .

أقول، مع ذلك،
ينثرنى الزمن بين يديها دُرَّةٌ دُرَّةٌ، يوماً يوماً، ساعةً
ساعةً، ومع ذلك تسكت ولا تقول شيئاً .
إذن، ماذا يجدي، أيتها الريح، تَمَائُلُ هذا الغصن؟
ماذا يجدي أن أقطف زهرة من بستان المعنى، وأضيفها
إلى غابة الشكل؟

أقول، مع ذلك،
أودّعك الآن يا دَوَّار الشمس في المدينة صاد .
ماذا؟ تدور مع شمسي، وتتوجني بنظراتك؟
عهداً،
سنظل صديقين في بستان المعنى .

المدينة قاف

« . . . انتقد ما شئت، كما تشاء. نعم، الماضي بالنسبة إلي أفضل من الحاضر، وأجمل. وأعرف أن المدينة قاف تقودني إلى العدم. غير أنني مع ذلك، متضامن معها. ثم، ما هذا الوجود الذي تقودك إليه المدن الأخرى؟ »
(فقرة من آخر رسالة بعث بها كاتب من المدينة قاف إلى صديق له في مدينة أخرى).

※

كل عصيان سياسة في المدينة قاف، حتى ولو عصيت قاعدة فنية. ذلك أن القاعدة ترويض اجتماعي: طاعة واتباع، ورفضها يعني رفضاً للنظام، واستمراراً في البذعة والضلال.

※

المدينة قاف مدينة من الأشياء،
لكن لا وجود فيها إلا للكلمات.

※

يدور الحوار في المدينة قاف بين طرفين: ما يراه الطرف الأول مرتعاً، يراه الطرف الثاني مستطيلاً. ويمضي كل منهما حياته في النضال من أجل إقناع الآخر بصحة رأيه.

إن كان عليك، إذن، أن تتكلم، أيها العابر، كما يتكلم
الجميع، فما تكون الحاجة آنذاك إلى الكلام؟

✱

مرة، قال شاعر في جلسة مع أصدقائه في المدينة
قاف:

«ليكن الفن لذة كلذة الحب: لا يهدف - لا إلى إرضاء
المجتمع، ولا إلى إزعاجه، لا إلى قبوله، ولا إلى
رفضه...»، - منذ تلك الجلسة، لم يسمع أحد شيئاً عنه.

✱

هناك، في المدينة قاف، كتب كثيرة يكتبها أصحابها
بحرية، كما يُقال.

- ربما. لكن قراءتها لا تفتح أي أفق للحرية.

✱

«الفكر إما أنه الموج، أولاً يكون إلا رَمْلاً»: منشور
سرّي أُتيح لي أن أقرأه في المدينة قاف.

✱

مهما مشيت إلى الأمام في المدينة قاف، فإن الوراء
يتقدّمك.

✱

ليس الإنسان في المدينة قاف هو الذي يؤثّر، بل الحدث - آتياً من «فوق» أو من «خارج». الإنسان وسيلة، وهو في أحسن الحالات، شاهدٌ. يعيش في ظل الحدث، وتحتّه.

※

مات رجل في المدينة قاف، بعد أن كتب على ورقة كبيرة هذه الكلمة الغامضة عن أحد أصدقائه:
«يظنّ أن الغامض هو في ما لا يعرفه ولا يراه، وهذا ظنٌّ خاطيء».

إن كان الغامض يهمه، فعليه أن يبحث عنه في ما يعرفه، وفي ما يراه».

※

«لا يقدر الإنسان أن يمارس السياسة في المدينة قاف، لأنه لا يقدر أن يتحدث عنها: كيف يعمل الإنسان في ما لا يقدر أن يقوله؟

السياسة هي أولاً، قدرة على الكلام»، -
منشور سريّ أتيح لي أيضاً أن أقرأه، في زيارة أخيرة لهذه المدينة.

※

قال الطاغية في المدينة قاف لمهرّجه:
- كمال الشعر هو الغاية التي أسعى إلى تحقيقها.
قال المهرّج:
- الوسيلة الوحيدة إلى ذلك هي القضاء على الشعراء.

المدينة راء

الزمن في المدينة راء،
هو دائماً للذين يعيشون خارجه .
لا شيء، في اللغة التي تتكلمها المدينة راء، موجود
بقوة التوهم، كذلك الشيء الذي تسميه الحرية .



الحب في المدينة راء؟
هو أن تدرس، مثلاً، أثر الطير في الفضاء، أو تأثير
الشجرة على الريح .



المدينة راء مرصوفةً بجماجم تسمى جنائن، وبأفخاذ
تسمى أنهاراً .



جميع الكتب التي رأيتها في المدينة راء مليئة بالقبور .
خيل لي، مرة، أن كل كلمة فيها ليست إلا قبراً أو شاهدة .
كأن الإنسان في هذه المدينة لا يحيا إلا ميتاً .



الفكرة في المدينة راء،
ناقة ترفض أن تحمل الرؤوس المقطوعة .



الضحية في المدينة راء،
هي نفسها القاضي والشاهد والجلاد.

✽

تتعذر رؤية المدينة راء،
إلا عنقاً نازفاً مشدوداً إلى قديمها.
هكذا تؤكد المدينة راء أن الانحناء هو أفضل سلم
للصعود.

✽

غرب، غروب، غبار:
كلمات تتخذ منها المدينة راء رموزاً،
ومن هذه الرموز تتخذ أبواباً ومفاتيح.

✽

قانون الحياة اليومية في المدينة راء هو: إما أن تقتل
الآخر، وإما أن يقتلك، -

لكن، أيتها الوردة، ماذا دهاك، وكيف وصلت إلى
هنا، ومن أوصلك إلى فوهة هذا المدفع؟

✽

كل صباح، في المدينة راء،
تمتلئ السماء بأصوات ترتفع كممثل أعمدة لسجون
بنيت خصيصاً للأحلام والنساء.

✽

الضحية في المدينة راء، هي دائماً الإنسان،
لكن من أجل أهداف غير إنسانية.

✱

«ما يقوله السيف يكفي أن يفهمه الدم» :
تكرر المدينة راء، كل يوم، لكي تطمئن جلاديتها.

✱

ولدت المدينة راء -
في يدها اليمنى سكين.
وفي يدها اليسرى وسادة.

✱

أينما رؤي دخان، يقال عادة: لا دخان بلا نار،
إلا في المدينة راء -
ليست النار هي التي تصنع الدخان،
بل الغبار هو الذي يصنعه.

✱

«لا تفكر، لا تقرأ، -
بهذه الطريقة، وحدها، تستطيع أن تتغلب على الفكر
الذي يعارضك، وأن تلغيه».
هكذا قالت المدينة راء.

V

أَذا الحَرْبُ قَدْ أَتَعَبَتْهَا، فَالَهُ سَاعَةٌ
لِيُغَمِّدَ نَضْلٌ أَوْ يُحَلَّ حِزَامٌ.
المتنبي

- ٧٣ -

سُجِنَ الإفْشِين،

فُتِلَ الإفْشِين،

صُلِبَ الإفْشِين -

تُهُمُ شَيْ:

منها أَنَّ كِتَابَ «كَلِيلَةَ» والعَفْرِيتِ

الْآخِرِ «دُمْنَةَ» كَانَ لَدَيْهِ:

كَانَ مُحَلًى ذَهَباً وَجَوَاهِرَ. مِنْهَا:

تَمَثَّلَ مِنْ خَشَبٍ، فِي أَذْنِيهِ

فُرْطَانٍ، وَمِنْهَا صُورٌ فِي

الْبَيْتِ، وَقَالُوا: كَتَبَ لِمَجُوسٍ.

وَأَضَافُوا: أَصْنَامٌ.

يَا لِلْكَافِرِ، مَا أَجْرَمَهُ، مَا أَنْفَقَهُ

عَقْلَهُ!

أُخْرِقَ، دُرِّي فِي دِجَلَةَ!

- أ -

حَلَبٌ تَسْكُنُ الْحَرْبَ، كُلَّ الدُّورِ إِلَى

جِرَاحٍ

كَيْفَ أَفْنِيعُ صَوْتِي

أَنْ يَفِيءَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ؟

أَوْ، لَا بَلَدٌ آخَرُ

وَلِمَاذَا الْخَرَائِطُ أَضِيقُ مِنْ خَطَوَاتِكَ،

يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ؟

* خطواتُ

لَا تُنَافِسُ غَيْرَ النُّجُومِ وَغَيْرَ اللَّهَبِ

وَأَنَا مُتَعَبٌ - تَعْبِي عَاشِقُ

وَجِرَاحِي حَقُولُ لِيُوزِدَ التَّعَبَ.

- ب -

لِلجُنُودِ الَّذِي يَمُوتُونَ فِي أَرْضِ رُومٍ

بِوُتٍ،

وَالْمَلَايِكُ خُرَّاسُهَا -

لِلجُنُودِ الَّذِينَ يَعُودُونَ، هَالَاثٌ وَجِدٍ:

كُلِّ شَخْصٍ يَجِيءُ

لِيَلْمَسَ أَرْضَانَهُمْ،

وَيَرَى كَيْفَ أَنَّ السَّمَاءَ

فُصِّلَتْ

كَيْ تَكُونَ لِأَجْسَامِهِمْ رِداءً!

- ٧٤ -

يَتَرَفَّعُ^(١) كَيْ لَا يُرَى

وَيَطُوفُ الْقُرَى،

دَاعِيَا يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْعَدْلِ

وَالْخَيْرِ،

يَسْتَكْرِ الْمُنْكَرَا

حِسْوَ

وَفِي حِسْوِهِ، خَنْقَوْهُ.

(١) هو المبرقع أبو حرب
اليمني. يقال إنه قتل جندياً
اعتدى على زوجته، وهرب
متبرقعا لئلا يعرف، داعياً إلى
الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر. وقيل: استجاب له
أهل القرى، وقويت شوكته.
أسره المعتصم وحمله. وقتل
في سجنه، خنقاً، سنة
٢٢٧هـ.

* أَغْلِقُوا كُلَّ بَابٍ عَلَيْهِ، وَقَالُوا:

عَانِقِ الْمَوْتَ، وَاصْعِدْ إِلَى مَلَكُوتِ

السَّمَاءِ

كَيْ تَرِيحُكَ مِنْ رِبْقَةِ الشَّقَاءِ.

- ج -

سُمِّيتْ غَزْوَةُ الْقَنَاءِ :

جَيْشُهُ كُلَّهُ انْكَسَرَ^(١)

بَادَ، لَمْ يَبْقَ إِلَّا

نَقَرُ سَنَةٍ - وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

كَانَ يَسْتَأْصِلُ الرُّومَ، كُنْتُ أَرَاهُ

يَرْجُ الْمَكَانَ

كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الشَّجَرِ

خُودٌ لِلْعَدُوِّ، فَوَارِسُ، كُنْتُ أَصِيحُ :

«الْأَمَانُ الْأَمَانُ،

أَيُّهَا الْعِلْجُ» .

- «لَا عِلْجَ^(٢) . هَذَا سَمُرٌ عَالِقٌ بِثِيَابِكَ» : يَحْنُو

وَيَهْتَفُ بِي ضَاحِكًا :

- عَفُو سَيْفِكَ، عَفُو الْفُرُوسَةِ : رَعْبُ الْقَنَاءِ

جَزَنِي مِثْلَ طِفْلِ لِهَذَا الْهَدَاءِ .

* حَفْرَةٌ، رَأْسُ مَيِّتٍ

وِغْرَابٌ عَلَى الرَّأْسِ يَجْثُو :

صُورَةٌ تَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ شَمْسٍ .

- ٧٥ -

يسخر الثائرون من الموتِ،

كُلُّ يَرُدُّ مَا قَالَهُ عَلَيَّ^(٣)

مَرَّةً، فِي الْقِتَالِ :

«لَا أَبَالِي،

سِوَا لَدَيَّ - أَجْنُثُ

إِلَى الْمَوْتِ،

أَمْ جَاءَنِي» .

(١) الإشارة إلى سيف الدولة.

(٢) الكلام لسيف الدولة مخاطباً المتنبي.

(٣) علي بن أبي طالب .

خَرْشَنَه

أَسْلَمَتْ صَدْرَهَا لِلْخِيُولِ وَأَطْرَافَهَا لِلرِّمَاحِ.

خَرْشَنَه

جُثَّتْ أَوْ جَرَّاحَ.

خَرْشَنَه

خَوْذَةٌ تَنْقُصِي، تَنْقُبُ أَحْشَاءَهَا

خَوْذَةٌ تَشْهَدُ فِيهَا،

خَوْذَةٌ مِثْلُنَه.

- ٧٦ -

حَبِسُوا كِتَابًا^(١) -

قَالُوا: أَخَذُوا مِنْهُمْ

أَمْوَالًا.

وَالْتَهَمَهُ: ظَلَمَ النَّاسَ،

السَّرِقَاتِ،

وَقَالُوا:

سَمَوْهُمْ خَوْنًا!

* لَمْ لَا يَكْتُبُ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي

الْخُلْدِ، عَمَّا يَرُونَ، إِلَى الْأَصْدِقَاءِ؟

وَلَمْ الْغَيْبُ يَجْهَلُ أَنْ يَسْقِيَ الْمَاءَ إِلَّا

بِقَارُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ؟

(١) حبسهم الخليفة الواثق
الذي خلف المعتصم بعد
موته، سنة ٢٢٧هـ.

بَطْرَقِيونَ أَسْرَى

وَالدَّمَسْتُقُ يَجْتَرُ أَوْجَاعَهُ .

أَلَذُّهُوْلُ الْأَلِيمِ الدُّهُوْلُ

مُدْبِرٌ مُقْبِلٌ

فِي السَّيُوفِ ، عَلَى صَهَوَاتِ الْخِيُولِ

وَالدَّمَسْتُقُ يَجْتَرُ أَوْجَاعَهُ

لَمْ يَعِدْ قَادِرًا

أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ أَنْيْنِ الْفَرَسِ

وَرَنْيْنِ الْجَرَسِ .

- ٧٧ -

الْأَعْرَابُ فَطِيعٌ ذَنَابُ

وَبُغَا^(١) صَيَّادُ .

قَالُوا: لَمْ يُفْلِتْ أَحَدٌ .

* لَا تَبْتَسِي ، كُونِي مِثْلِي ، يَا أَهْوَائِي :

لَيْسَ الْمَوْتُ أَمَامِي ،

الْمَوْتُ وَرَائِي .

(١) بُغَا الكبير، وقد وَجَّهه الخليفة الواثق لمحاربة الأعراب في الحجاز.

أَلَسْ، -

أَيُّهَا النَّهْرُ، تحت الثياب التي ترتديها
جَسَدٌ ليس فيه مكانٌ

للجِراب، لجرحٍ جديدٍ.

ما تقولُ لمِجرَاكَ، لِلصَّفَتَيْنِ؟ سأُضْغِي.

لستَ إِلَّا دَمًا -

أَلْهَوَاءُ الَّذِي لَأَمَسَ الْآنَ خَدَيْكَ دَامَ،
صَبَغَتْهُ يَدَاكَ

وَحُطِيَ الْعَابِرِينَ دَمٌ يَتَدَفَّقُ، مُسْتَقْطَرًا
مِنْ خُطَاكَ.

- ٧٨ -

- ١ -

«صَلَّيْتُ عَلَيْهِ»^(١)

صَلَّى النَّاسُ جَمِيعًا

بعدَ سَنَيْنِ سَنِيْعٍ مِنْ

مَقْتَلِهِ.

كَانَ الرَّأْسُ وَحِيدًا

مَصْلُوبًا فِي بَغْدَادَ، قَرِيبًا

مِنْ مَسْكَنِهِ،

وَالْجِسْمُ وَحِيدٌ

فِي سَامَرَاءَ:

بَكَّتِ الْخَشْبَةُ

وَبَكَى الْجَنَاءُ»^(٢).

(١) الإشارة إلى أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتل وصلب لآثته رفض القول بخلق القرآن، والنص بلسان أحد أصحابه.

(٢) كان يخضب شعره بالحناء.

* قل لي: ماذا أفعلُ
في وطنٍ يُرْتَجَلُ؟

- ز -

أيهذا الفضاء النقيُّ البريء،

لِمَ لَا يَسْطَعُ اللَّهُ فِيكَ، احتفاءً

بابتهالاتنا إليه

وبأشواقنا؟ لماذا

حين نُعْطِي لآهاتنا

ولأحلامنا

ولأيامنا

شفتيه وأهدأته، لَا يُضْيِئُ؟

- ب -

قال لقاتله^(١):

«نطفةٌ سكرانٍ أنتُ

انسابت في جارية.

من أنت،

وكيف يجيء لراسك عِلْمٌ؟».

(١) الخليفة الواثق. ويُرْوَى أنه دعا بنطح ضير في وسط الخزاعي، ودعا بحبل لشد رأسه. ثم ضرب به الواثق ضربتين على حبل العائق وعلى رأسه. وضرب سيما الدمشقي عنقه، ثم صلب وكتب في أذنه رقعة، فيها: «هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر بن مالك قتل الله على يدي عبد الله أمير المؤمنين الواثق بالله، بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن، ونفي التشبيه. وعرض عليه التوبة، ومكنه من الرجوع إلى الحق، فأبى إلا المعاندة. والحمد لله الذي عجل به إلى ناره».

وُضِعَ الذين شايعوه في السجون، ومنعوا من الزوار، وقطع نخل بعضهم، وانتهت منازلهم. وقيل: إن أحدهم قال للخليفة الواثق وهو يقتله: «اسقني دمه، يا أمير المؤمنين!».

* أَلْقِنَاغُ هُوَ الْوَجْهُ، قالت

وردة -

وردة عطرُها قبرُها.

- ح -

بَيْنَ نَهْرَيْنِ مِنْ غَضَبٍ وَانْحَاءٍ
لِلْقَلَاعِ وَأَسْوَارِهَا،

يَتَدَقَّقُ نَهْرٌ قَوِيْقُ .

وَعَلَى صِفَتَيْهِ

يَسْمُرُ السَّاهِرُونَ: جِرَاحُ

وَأَسَاطِيرُ مَخْنُوقَةٌ .

- ح -

- ما قولك في القرآن^(١)؟

- كلامُ الله،

- وماذا تعني:

مخلوق، أم لا؟

- قلتُ: كلامُ الله،

- أجبني: أترى ربك،

يَوْمَ الْحَشْرِ؟

- قرأنا

آثاراً قالت:

«في الحَشْرِ، ترون الله

كمثل القمر،

وأنا أومنُ حقاً

في صحفة هذا الأثر» .

* شاعِرٌ - غَيْرَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى قَلْبِهِ،

دَوْنَهَا فَلَوَاتٌ، وَمَحِيطَاتٌ ظَنٌّ .

أَغْفُرِي تَبَهُهُ وَتَبْهِي، يَا طَرِيقِي إِلَيْهِ .

(١) حوار بين الواصلين وبعض
رجال قصره من جهة، والفقير
أحمد بن نصر الخزاعي من
جهة ثانية .

- ط -

(١) الكلام لأحد الحضور
المحاورين، ويدعى
إسحاق بن إبراهيم.

(٢) سؤال من الخليفة
الوائق.

(٣) جواب للقاضي
عبد الرحمن بن إسحاق.

(٤) طلب ذلك شخص يدعى
أبو عبد الله الأرمني.

(٥) الكلام للقاضي ابن أبي
دؤاد.

(٦) البيت للمعتي.

تثور عليك من سَفَه قُشِيرٍ

وَتَمْشِي فِي أَعْتِنِهَا كِلَابُ

تُعَاقِبُهُمْ لِتَهْدِيَهُمْ، وَتُغْضِي

كَمِثْلَ أَبِي يُوْرَقُهُ الْعِقَابُ

«وَكَيْفَ يَتَمُّ بِأَسْكَ فِي أَنْاسٍ

تُصِيْبُهُمْ، فَيُؤْلَمُكَ الْمُصَابُ؟» (٦)

- وَبَلَّكَ، أَنْظِرْ مَاذَا

قَلْتَ... (١)

...

- وما فتواكم فيه (٢)؟

- دمه جل (٣).

- لو أَسْقَى دَمَهُ، يَا مَوْلَايَ (٤)،

- القتل يُحَقِّقُ مَا تَطْلُبُهُ.

- تُطْلَبُ مِنْهُ التَّوْبَةُ (٥).

- إِنْ قَمْتُ إِلَيْهِ، لَا يَنْهَضُ

أَحَدٌ مِنْكُمْ. فَخُطَايَ إِلَيْهِ

عِنْدَ اللَّهِ، أَبْرُ خُطَايَ.

اخْتَرُ الرَّأْسَ / خَذُوهُ

دَلُوهُ، قُولُوا:

«هَذَا رَأْسُ الْكَافِرِ

... إلخ».

✽ تطبق الشمس أجفانها

حين ترنو إلينا.

لا ترى غير أرضٍ كَوْنَتْ لِلشَّقَاءِ

تَبَخَّرَتْ فِي جُبَّةِ الْأَنْبِيَاءِ!

- ي -

أَتَى إِلَيْكَ رَسُولُ الرُّومِ، فامتلأتْ

بِالنَّاسِ، سَاحَاتُكَ الْفِيحَاءُ،

وَاشْتَجَرُوا

يَسْتَشْرِفُونَ: بِلَادُ الرُّومِ تَجْرُفُهَا

رِيحُ الْيَبَاسِ،

وَأَنْتَ الْغَيْمُ وَالْمَطَرُ.

«تَزَاحَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبِيًّا

إِلَى بَسَاطِكَ لِي سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ»^(١).

- د -

زَمَنَ مَشُورَمٍ،..

آلَافُ أَرْبَعَةِ أَسْرَى

عِنْدَ الرُّومِ، وَلَكِنْ

مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقِرَآئِنِ،

سَيُفْذَى وَيُحْرَزُ.

مَنْ يَأْبَى،

سَيُظَلُّ سَجِينًا عِنْدَ الرُّومِ!

(١) جلس سيف الدولة
لاستقبال ملك الروم. ولم
يقدر المتنبي أن يصل إليه
لزحام الناس، فعاتبه سيف
الدولة على غيابه. واعتذر
المتنبي بأبيات، منها هذا
البيت الأخير.

* مَنْ تَرَى ذَلِكَ الْفَارِسُ؟

لَا يُخَاصِمُ غَيْرَ الْكَوَاكِبِ،

وَالرَّفْضُ شَيْطَانُهُ الْحَارِسُ.

- ك -

أَرْجُلُ كَالرُّؤُوسِ، رُؤُوسٌ

تَتَعَثَّرُ بِالْأَرْجُلِ -

مَا عُقِيلٌ وَأَنْصَارُهُمْ؟

مَا قُشِيرٌ؟

وَكِلَابٌ وَعِجْلَانُهُمْ، وَنُمَيْرٌ؟^(٢)

بَشَرٌ،

يَذْهَبُونَ إِلَى نَهَبِ جِيرَانِهِمْ

وَالِى قَتْلِهِمْ،

مِثْلَمَا يَذْهَبُونَ إِلَى مَحْقَلٍ.

(١) أَمَرَ بِهِ الْخَلِيفَةُ الْوَائِقُ:
«هَلِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، أَمْ غَيْرُ
مَخْلُوقٍ؟».

(٢) الْفَنَاتُ الَّتِي كَانَتْ تَتَمَرَّدُ
عَلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَالْبَيْتِ
الْأَوَّلِ تَنْوِيعٌ عَلَى مَا قَالَهُ
الْمُتَنَبِّى فِيهِمْ - هَارِبِينَ:
«مَضَرَّا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ، فِيهِ
لَا رُؤُسُهُمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارٌ».

- ه -

إِمْتِحَانٌ^(١) لِأَهْلِ الثُّغُورِ:

تُراهُمْ يَقُولُونَ مَا

يَزَيِّتُ الْوَائِقُ -

«كُلُّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ مِنْ

خَلْقِهِ، وَهُوَ الْخَالِقُ».

كُلَّهُمْ أَعْلَنُوا جَهَاراً

مَا يَرَى الْوَائِقُ -

مَا عَدَا أَرْبَعَةَ:

أَخَذَ السَّيْفَ أَعْنَاقَهُمْ.

* رَبِّمَا لَا تَحِبُّ الْحَيَاةَ الْكَلَامَ؛ الْحَيَاةُ

شِبَاكَ، وَطَرَائِقُ وَضَلُّ وَفَضْلٌ،

بَيْنَ جَسَرٍ تَهْدُمُ فِيهَا، وَجَسَرٍ

لَمْ يَزَلْ قَائِماً.

مَدُنٌ قَتِدَتْ

بِسَلَّاسِلَ مَزْرُودَةٍ

بِالرِّجَالِ، وَمَزْرُودَةٍ بِالنِّسَاءِ.

مَدُنٌ - بعضُ ساحاتِها رؤوسُ

بعضِها أذرعُ وصدورُ.

مَدُنٌ تَتَغَيَّرُ، كَالْغَيْمِ تَأْتِي

وَكَالْغَيْمِ تَمْضِي.

مَدُنٌ يَنْهَضُ الْفَجْرُ فِيهَا

شَاحِباً وَيَدَاهُ عَلَى قَلْبِهِ.

مَدُنٌ - كُلُّ جُذْرَانِهَا دِمَاءٌ.

- ٧٩ -

- ١ -

حَشْدُ رُؤُوسٍ

مِنْ أَبْنَاءِ نُمَيْرٍ،

حُزَّتْ.

وَضِعَتْ صَفًّا، صَفًّا

قُدَّامَ بُغَا:

لِيُغَا ذَوْقُ فِي الْفَتْكِ،

أَمِيرًا!

* مَا لِتِلْكَ الْمَنَازِلِ، تِلْكَ الْبُيُوتِ

كُنُسَاءٍ يَقْلُنَ لِعِشَاقِهِنَّ: أَبْيَحُوا

مَوْتَكُمْ بَيْنَ أَحْضَانِنَا

لَا نَقْبَلُ إِلَّا شِفَاهَا تَمُوتُ.

وَجْهَهَا

وجه مملكةٍ لمقابرٍ من كلِّ عَهْدٍ.

والقصيدة في هذه المدينة قَبْرٌ

يتحرَّكُ في اللَّيْلِ سِرّاً

ويزورُ القِلاعَ

خَرَسَ في الضِّفافِ القَريبَةِ:

لا شيء يومئٍ،

لا ريحَ،

لا موجةً،

لا شِراعَ.

* قَمَرٌ نائِمٌ فَوْقَ خَدِّ الثُّرابِ

قَمَرٌ يهدمُ الجِسْرَ

بين مزاميره والكتابِ.

- ٨٠ -

قُبُلُ الزَّيَّاتِ^(١)

وزيرُ الواثقِ

أخذوا ما يملكُ مِنْ أُمُوالٍ.

وضَعُوهُ في تَنُورٍ. قالوا:

لَمَّا ماتَ، ابتَهَجَ ابْنَاهُ^(٢).

قالا:

«حمداً لِلَّهِ، ارتَحنا مِنْهُ».

كَانَ كَمَا وَصَفَاهُ،

في رأيِ الناسِ،

وزيراً فاسِقَ.

(١) محمد بن عبد الملك
الزيَّات.

(٢) هما: سليمان وعبيد الله.

أَلْتَلَّالُ الَّتِي حَوْلَ آلِسَ مَمْلُوءَةٌ رُؤُوساً
 لَا عَيُونََ لَهَا،
 وَأَذَانُهَا قُطِّعَتْ.
 وَضِيفَافُ قَوَيْقٍ
 حُفِرَ وَبَقَايَا عِظَامٍ.
 أَلْمَدَائِئُ تَلْبَسُ أَشْلَاءَهَا،
 وَتَدُورُ احْتِفَاءً بِسُلْطَانِهَا.
 أَلْمَكَانُ هَتَافٌ لِسِحْرِ الْبَيَانِ الَّذِي
 يَتَبَجَّسُ مِنْهَا،
 وَالزَّمَانُ انْحِنَاءٌ لِبَهْتَانِهَا.

أَسْرَوْه^(١)، اسْتَبِيحَتْ
 كُلُّ أَمْوَالِهِ، وَمَا عَنْدَهُ
 مِنْ نِسَاءٍ.
 قَيَّدُوهُ،
 وَضَيَّرُوا فِي عُنُقِهِ حَدِيدًا.
 مَنَعُوا الْمَاءَ عَنْهُ -
 تَرَكَوهُ يَمُوتُ بِبَطْءٍ.

(١) الإشارة إلى محمد بن
 البعيث في أذربيجان.

* دمه للتراب، وأطرافه للغيوم
 يسمع الماء يحلم، والضوء يكتب،
 والليل يقرأ أشعاره للتجوم.

- س -

إِنْ يَجِئْ مَوْتُهُ الْآنَ فِي خَرَشْنَهُ،

فَأَعِيرُوا لِحَشْمَانِهِ

كَتِفَ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَعُكَّازَهُ.

وَأَعِيرُوا لِجَلْبَابِهِ

قَامَةَ الْمُثَدَّنَةِ.

- ٨٢ -

- ١ -

أَنْتَ أَتْلَسْتُ^(١) لِي

صَوَاتِي، وَعَرَفْتَنِي

بِنَفْسِي، وَزَيَّيْتَنِي -

كُنْتُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَبَا.

غَيْرَ أَنِّي لَا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَكَ

إِمَضٍ وَأَقْرَأُ هَوَانَا

يَا صَدِيقِي، مِنْ أَوَّلٍ،

فِي كِتَابِ الْفُلْكِ!

(١) الخليفة المتوكل،
مخاطباً الأمير إيتاخ الخزرجي،
واله على مكة.

* فِكْرُ كَمَثَلِ فِقَاعَاتٍ يَمُوجُ بِهَا

مَاءُ الْحَيَاةِ، - حَيَاةُ الْخَالِقِ الْجَسَدُ

يُسْتَقْطَرُ الْفِكْرُ مِنْ حُمَاهُ جَامِحَةً

وَفِي حُمَيَاهُ نَارُ الشَّعْرِ تَتَقَدُّ.

- ع -

أَعْرِفُ: الْعُنُقُ أَبْقَى مِنَ السَّيْفِ،

لكن،

كيف، أُنِّي

متى يتوقف طوفانُ

هذي الفؤوسِ

جارفاتٍ، تجرُّ توارِيخَنَا

وتجرُّ الرُّؤوسَ؟

- ب -

في سامراءَ، رجلٌ^(١) قالَ:

أتى جبريلُ إليَّ بهذا

المُصْحَفِ - هذا

قرأَ

وأنا ذو القرنين!

ضربوه حتى ماتَ، وقالوا:

مجنون! مِنْ أَيْنَ لَهُ

أن يتحدثَ مع جبريل -

مِنْ أَيْنَ؟

* بقيَ الحبر، لكنَّما الكلماتُ امحَتْ:

كان يُملِي على ليلِهِ،

رسالةً حُبُّ.

(١) اسمه محمود بن الفرج
النيسابوري.

- ج -

أمر المتوكل أن يلبس النصاري
 زناير مخصوصة
 وطبالسة عسليّة،
 أن يكون إزار النساء
 كذلك، من لونها عسلياً،
 أن تعلق من فوق أبوابهم،
 صور،
 لشرائطين من خشب،
 كي تميز عن دور جيرانهم
 من المسلمين،
 نهى أن يعلم أولادهم

- ف -

تلك هنريط تغنو،
 وآمد «ينيض بالسني»
 «خلف الفرنجة» دعر
 والمدى يتطارول في ناظريك^(١).
 قل لجيشك: مهلاً،
 ترقق بهم،
 مثلما عودتهم طباك،
 ومُد لأوجاعهم يديك.

* ألسبية هذباء، في عنقها
 جرس خاشع، وبين يديها
 وجه أيقونة.

(١) الإشارة إلى سيف
 الدولة.

هي «الحَدَّثُ الحمراء» عهدك ساهرٌ
عليها، وفي أحضانك الدهرُ نائمٌ
جمعتَ بها حَدَّينِ: شَرْقَكَ، صاحياً
وَعَرْباً عليه مِنْ رِوَاهُ غَمَائِمُ
وما السرُّ في ما كَتَمْتَهُ جِرَاحُهَا
ولكنَّه السرُّ الذي أَنْتَ عَالِمٌ
هوئى حَاقِداً، حَقْدُ مُحِبٍّ، فمن تُرى
يَقِيءُ إلى المعنى، وأين التَّراجُمُ؟

* عَطَشٌ فِي الْفِرَاتِ، الضَّفَافُ
تَنْبَأُ عَمَّا سَتَحْمَلُ قَافِلَةُ الرَّمْلِ
لِلْقَاعِدِينَ، وما سيكون القطافُ.

في كَتَاتِبَ لِلْمُسْلِمِينَ،
نَهَى أَنْ يُعَلِّمَهُمْ مُسْلِمٌ،
وَأَنْ يُسْتَعَانَ بِهِمْ فِي
الدَّوَاوِينِ، أَوْ يَظْهَرُوا صَلياً
فِي شَعَائِنِهِمْ -

أَمِراً

أَنْ تُسَوَّى قُبُورُهُمْ كُلُّهَا مَعَ
الْأَرْضِ كَيْ لَا تَشَابِهَ مَا عِنْدَ
جِيرَانِهِمْ مِنْ قُبُورٍ.

وَقَالَ: إِذَا كَانَتِ الْكَنِيسَةُ

مَبْنِيَّةً، حَدِيثاً، فَلَا بُدَّ

مِنْ هَذْمِهَا.

وَإِذَا كَانَتِ الْكَنِيسَةُ فِي مَوْضِعٍ

وَاسِعٍ،

فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُصِيرَ إِلَى مَسْجِدٍ،

أَوْ إِلَى سَاحَةٍ.

- ٨٣ -

أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ : لَا بُدَّ مِنْ
هَذِمِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ،
وَمَا حَوْلَهُ مِنْ بِيُوتٍ .
أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ : لَا بُدَّ أَنْ يُحْرَثَ
الْمَكَانُ، وَلَا بُدَّ مِنْ
زَرْعِهِ،
وَمِنْ سَفْيِهِ،
وَلَا بُدَّ أَنْ يُمْنَعَ النَّاسُ مِنْ
أَنْ يَجِينُوا إِلَيْهِ .

- ق -

لَمْ يَزَلْ آلِسُ يَتَدَقَّقُ، أُمُوجَهُ
خَلَعَتْ ثَوْبَهَا الْقَدِيمَ، الدَّرُوبُ الَّتِي
رَافَقَتْهُ،

غَيَّرَتْ سَمْتَهَا،
وَأَرَى مَاءَهُ يَتَكَسَّرُ فِي حَيْرَةٍ .
وَكَأَنَّ الضَّفَافَ الَّتِي تَحْتَوِيهِ
مَنْحَتْ صَوْتَهَا
مَنْحَتْ صَمْتَهَا
لِرُؤْيَى وَلِغَايِ
يَتَعَذَّرُ أَنْ يَتَقَرَّى مَدَاهَا سِوَى شَاعِرٍ .

* فِي آلِسٍ قَمَرٌ، كَمْ سَالَ مَدْمَعُهُ
وَجَدَاً، وَكَمْ قَطَرَتْ مِنْ دَمْعِهِ قُبُلُ
يَحْيَا وَحِيداً بِلَا جُنْدٍ وَلَا حَرَسٍ
وَحَوْلَهُ النَّاسُ وَالْأَوْهَامُ تَقْتَتِلُ .

رُومٌ هُنَاكَ، ورومٌ هَاهُنَا^(١):

رَحَقْتُ

مِنَ الدُّمُسْتَقِ رَايَاتٍ،

وَمِنَ مُضَرٍ،

تُرِيدُ غَزْوَكُ: تَمْحُو مَا عَمَرَتْ بِهِ

هَذِي الْبِلَادَ، وَلَا تُبْقِي عَلَى أَثَرٍ.

أَخَذْتَ تَضْحُكُ، لَكِنْ غَيْرَ مَكْتَرٍ

وَرَحْتَ تَعْصِفُ، لَكِنْ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ.

- ٨٤ -

- أ -

وجه أرمينيا غَضِبَ ودماء، -

قتلوا يوسف^(٢)،

قتلوا بعض من آزره.

أمروا الآخرين: انزعوا ما عليكم

من ثياب، وفروا

عِزًّا!

جُلُهم ماتَ بَرْدًا

في الطريق إلى بيتِه!

(١) إشارة إلى قول المتنبي
يخاطب سيف الدولة، في
إحدى قصائده:

«وسوى الروم، خلف ظهرك
روم
فعلى أي جانبيك تميل؟»

(٢) يوسف بن محمد الذي
كان عاملاً على أرمينية.

* ذهب الموت يصطأده، فرآه

نائماً في سرير امرأة:

- لَا تَخَفْ، أَيُّهَا الْمَوْتُ، تَوَزَّ

بِأَسَارِيرِنَا النِّيرَاتِ أَسَارِيرَكَ الْمَطْفَأَةَ.

- ش -

(١) أحمد بن نصر الخزاعي،
الذي قتله الواثق وصلبه، لأنه
رفض القول بخلق القرآن.

مَرَّ وَجْهُ قُسْطُيْنِيَّةٍ، وَمَرَّتْ

حَلَبٌ فِي مَرَايَا التَّعَبِ:

مَسْرَحٌ يَدْخُلُ النَّاسُ فِيهِ

فِي تَمَائِيلٍ مَوْتَاهُمْ

فِي السَّيُوفِ الَّتِي احْتَرَقُوا

بَيْنَ أَشْفَارِهَا:

جَسَدٌ مَوْقَدٌ

جَسَدٌ حَزْمَةٌ مِنْ حَطَبٍ.

مَسْرَحٌ: يَجْمَعُ النَّاسُ أَحْلَامَهُمْ

وَيَكْتُبُونَهَا

فِي جَحِيمِ اللَّهَبِ.

- ب -

أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ: لَا بُدَّ مِنْ غَزْوِ

أَرْمِينِيَا. غَزَاهَا بُغَا -

فِيلَ جَمْعٍ

مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، قُتِلُوا

غَيْرَ مَنْ يَبِيعُ، أَوْ كَانَ سَبِيًّا.

- ج -

أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ أَنْ يُنْزَلَ

الْخِزَاعِيُّ^(١) مِنْ صَلْبِهِ.

أَنْ تُسَلَّمَ جِثَّتُهُ لِدَوِيهِ،

وَأَنْ تُدْفَنَا.

* يَتَشَبَّهُ لَيْلِي حِينًا بَلِيلِ الْحَجَرِ:

لَا يَرَى الشَّمْسُ إِلَّا

بِالْحِجَابِ الَّذِي يَتَرَاكُمُ فِي وَجْهِهِ

مِنْ غَبَارِ السَّفَرِ.

يا بُعَا،

ذاك إسحاق^(٢) مولى أمية:

تَقْلِسُ في قَبْضِيهِ، فإلى

عَزَوْهَا.

تلك تَقْلِسُ محروقة

وأُخْرِقَ سُكَّانُهَا.

قيل: خمسون ألفاً،

وإسحاق فارقَهُ رأسُهُ.

أَسْرَوْا جَنْدَهُ الهاريين

نَهَبُوا ما تَبَقِيَ -

نَهَبُوا المِيتِينَ.

- ت -

ما لَكُمْ تَهْرَفُونَ

الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ رَبِّ رَحِيمٍ

في تعاليمكم،

كيف أَضْبَحَ في حَرْبِكُمْ حِرَاباً

وبِهِ تَقْتُلُونَ؟

- هَيَّئُوا لِلْأَمِيرِ الْأَسِيرِ

مُقَاماً كَرِيماً^(١).

* غِيْمَةٌ خَلَعَتْ ثَوْبَهَا

فوق صفصافة.

أَلْمِيَاهُ الَّتِي تَتَحَدَّرُ مِنْ حَوْلِهَا

فَتَحَتْ سَاعِدَيْهَا، احتفاءً.

(١) لَمَّا أَسْرَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ
قُسْطَنْطِينَ ابْنَ مَلِكِ الرُّومِ،
أَكْرَمَهُ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةً فِي
حَلَبٍ، سَنَةَ ٣٤٢هـ.

(٢) إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ
مَوْلَى أُمِّيَّةٍ فِي تَقْلِيسٍ.

- ث -

إمّش، تابغ مسيرك، أشرع

ليس هذا مكاناً

لكي تتوقّف فيه.

هذه لحظة الرحيل،

ولحظة نيرانه الخامدة

والذين تسائل عنهم، رموهم

أمس، في حفرة واحدة.

- ٨٦ -

- ١ -

بعد الآن،

لن يركب أهل الذمة إلا

حُمراً وبغالاً^(١).

لا خيل، أبداً.

- ب -

أمر المتوكل: خير

أن يُنفى هذا الشاعِر^(٢)

لخراسان.

خير أن يُبعد هذا البدوي

السكنى،

عن بغداد - لؤلؤة الحاضر.

* كان ذلك في يوم عيد

وشعرتُ كأنّ المصلين أعرف مني

بحالي:

جرّفتني إلى حشدِهم رمالي.

(١) بأمر من الخليفة المتوكل.

(٢) علي بن الجهم.

أهل حمصٍ يثرون: قُتلى.

طردوا صاحبَ الخراج.

النصارى

أزروا الثائرين.

قُوتلوا

بعضهم صلبوه.

«فتنة» مثلما وصفوها

والذي كان رأساً لها^(١)،

من المارقين -

عَلَقُوا رَأْسَهُ فَوْقَ تَلٍّ.

- خ -

نَاقَةُ الْجُوعِ وَالْقَشِّ لَا تَتَوَقَّفُ

عَنْ جَرِيهَا فِي الْقَرَى

يَقْتَنِيهَا وَيَكْتَبُ آثَارَهَا

فَارِسٌ

يَعْرِفُ النَّارَ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي،

وَيَرَاهَا،

وَلَكِنَّهُ لَا يُرَى.

* لَأُرَاغِنَ خُضْرٍ

تَتَنَقَّلُ بَيْنَ رُفُوفِ الْعَصَافِيرِ،

كَانَ الْمَطَرُ

يَتَرَنِّحُ مِنْ غَبِطَةٍ،

فِي رُؤُوسِ الشَّجَرِ.

(١) شخص يدعى
عبد الملك بن إسحاق بن
عمارة.

قيل عنه^(١):

شابتهم للصحابة. جاؤوا إليه،

قتلوه،

وألغوه في دجلة.

- ذ -

جَلَسْتُ: شُرْفَةُ الْبَيْتِ أَبْهَى مَكَانٍ.

رياحُ

رَفَعَتْ ثَوْبَهَا - أَنْزَلَتْهُ عَلَى رَكَبَتَيْهَا،

بِرَفْقٍ.

كَانَ دَمْعُ سَرِيٍّ يَهِيمٌ عَلَى وَجْهِهَا

كَنْجُومٍ

لَا مَدَارَ لَهَا.

حُتِلَ الْبَيْتُ يَطْفُو كَمَثَلِ السَّفِينَةِ

فِي هَبَاءِ الْمَدِينَةِ.

* رَمَتْ الْقَافِلَةَ

لِلسَّهْوِ وَعَقْبَانِهَا

مَا تَبَقَّى لَهَا

مِنْ رُؤُوسِ الْأَشْقَاءِ فِي حَرْبِهَا

الْعَادِلَةُ!

- ض -

أخذتنا خُطائنا إلى حوض وَرْدٍ
 كانت الشمس تجلس في بابهِ
 بين حردون ماءٍ وحردون صَخْرِ.
 لم يكن صاحب الحوضِ في بيته،
 وبكت أمه
 حينما شاهدتنا -
 لم يكن ظنّها صحيحاً (لم نجى
 لِنُعْزِي. كُتّا

نكره الموتَ والعرسَ)، لكن
 أخذ الورد يقرأ أحزانه علينا، أو لعلّي أكونُ
 قريباً إلى الحقِّ لو قلتُ: شُبّه لي بين
 صُخبي أنّي أصغي إلى الورد يقرأ أحزانه
 علينا.

- ٨٩ -

قتل المتوكل شخصاً
 كان أسلم، ثم تراجع
 وارْتَدَّ. لكنّه
 استُتِيب: أبى
 أن يعودَ لإسلامِهِ.
 ضربوا عنقه،
 أخرقوه.

✽ لِلنَّوَاذِ أَهْدَابِ خَيْلٍ، وَالزَّوَايَا
 طَحَالِبُ. كَانَ الدَّخَانُ
 يَتَصَاعَدُ مِنْ كَوَّةِ
 وَالطُّيُورُ تَرُودُ الْمَكَانَ.

- ظ -

جَسَدٌ يَتَمَدَّدُ. سَيْفٌ تَجَرَّدَ مِنْ غَمْدِهِ
يَتَمَدَّدُ. نَمَلٌ عَلَى
السَّيْفِ، نَمَلٌ
حول رَأْسِ الْقَتِيلِ:
(جَسَدٌ لَا يَزَالُ طَرِيًّا)،
غَيْرَ أَنَّ الْكَوَاسِرَ عَمَّا قَلِيلٍ،
سَتَهْجُمُ.
لَيْلٌ طَوِيلٌ طَوِيلٌ.

- ٩٠ -

حَرْبَةٌ، قَبْلَ كَانَتْ
لِلنَّبِيِّ، اسْمُهَا: غَنَزَةٌ.
(قَبْلَ ذَلِكَ، كَانَتْ
لِلتَّجَاشِيِّ) صَارَتْ
فِي يَدِ الْمُتَوَكِّلِ - يَا أَيُّهَا
الْمُتَوَكِّلُ،
قُمْ وَكَبِّرْ، وَهَلِّلْ!

* فِي السَّمَاءِ ضَجِيجٌ (هَلْ تَضِجُ
الْمَلَائِكُ؟)
وَالْغَيْمُ يَطْلُقُ أَفْرَاسَهُ.
مَرْكَبُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي سَتَسَافِرُ،
فَجْرًا، إِلَى حَبَّهَا، جَانِخٌ.

- مَنْ أَحَبَّ إِلَيْكَ؟ هُمَا^(١)

أَمْ تُرَى حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ؟

- قَنبر^(١) مِنْهُمَا أَفْضَلُ.

- سَوْفَ أَقْتُلُكَ الْآنَ،

بِأَسْرٍ مَنِ يُقْتَلُ.

أَمَرَ الْجَنْدَ: دُسُّوْا عَلَيَّ بَطْنِي،

وَسَلُّوْا اللِّسَانَ،

إِلَى أَنْ يَمُوتَ.

- غ -

مَاتَ أَبْنَاؤُنَا، فَلْتَمَّتْ

هَذِهِ الْحَرْبُ. لَا بَأْسَ بِاللَّهِوِ، حِينَئِذٍ،

وَبِأَلَانِهِ،

وَلْتَعُدْ هَذِهِ السَّيُوفُ لِأَغْمَادِهَا.

لِتَمْتَ هَذِهِ الْحَرْبُ. حَوْلَ بَيُوتَاتِنَا

بَيُوتٍ لِأَطْفَالِنَا

عَمَرُوهَا وَمَاتُوا.

لَتَمْتَ هَذِهِ الْحَرْبُ - وَجْهَ الْحَقُولِ

يَتَنَوَّرُ فِي دَمْعِهِ وَفِي صِمْتِهِ

مَا تَقُولُ الْفُصُولُ وَمَا لَا تَقُولُ.

* أَرَى رِجَالًا، وَلَكِنْ لَا دُرُوبَ لَهُمْ

أَرَى دُرُوبًا وَلَكِنْ لَا رِجَالَ لَهَا، -

دَمٌّ عَلَى شُرُفَاتِ الشَّرْقِ يَنْسَكِبُ:

أَهْذِهِ أَرْضُ رُومٍ، أَمْ تُرَى حَلَبٌ؟

(١) حوار بين الخليفة
المتوكل، ويعقوب بن
السكيت الإمام في العربية.
كان يعلم أولاده، وسأله يوماً
هذا السؤال عن ولديه - المعترز
والمؤيد. وقبر هو خادم علي
ابن أبي طالب.

هوامش



كَأَنَّ جَفُونِي عَلَى مَقْلَتِي
ثِيَابٌ شَقِيقْنَ عَلَى ثَاكِلٍ .
المتنبّي

الحسين بن الضحاك

كان شاعراً خليعاً.

مات سنة ٢٥٠هـ.

الحياة بكاءً:

هكذا قالت الآلهة

أأنا صخرة؟

أم سديم بلا جنة ونار؟

أم بقايا هباء؟

من يقول لأعماقي الوالهة:

لِمَ لا أستطيع البكاء؟

أبو الحسن البكري

كان يروي الغرائب، أعطى الكلامَ إلى المُتخَيِّلِ،
والمستحيلِ، وفي وهمه أَوْعَلا
وضَعَ الأرضَ في قبضةِ الظنِّ - كم ضاعَ في
الشبهاتِ، وكم أَوَلَا
كان بحراً من الجبر، أمعنَ في الفيضِ،
واسترسلا
ربّما كان قَصَاصنا الأَوَلَا.

توفي سنة ٢٥٠هـ. قال
فيه الذهبي: «واضع القصص
التي لم تكن قط». ونعته
بالكذاب الدجال. ترك
«الروايات» التالية: ضياء
الأنوار، رأس الغول، شر
الذهر، حصن الدولاب،
كلندجة، الحصون السبعة
وصاحبها، (هضام بن
الجحاف وحروب الإمام علي
معه)، غزوة الأحزاب، قصة
إسلام الطفيل بن عامر
الدوسي.

السَّقْطِي (سَرِيّ بن المغلس)

توفي سنة ٢٥٣هـ /
٨٦٧م. أستاذ الجنيد وحاله .
في رأيه أنّ حروف القرآن
مخلوقة . مركز فكره المحبّة ،
فالمحبتون يفوقون في النعيم .
اتباع الأبياء .

عَسَقُ يرسم الشَّمْسَ فوق يديه -

يَدَاهُ على الأرضِ ظِلُّ كمثل الهلالِ

هل سَيُضْغِي إِلَيَّ إذا قَلْتُ : وَجْهِي

كوجهك ، يدخلُ في ليله؟

هل سيرسم وَجْهِي

بأشعةِ آفاقهِ؟

ولماذا ، ونحن الصديقان ، هذا السُّؤال؟

الجاحظ

قوله،

والحياةُ التي يتقلبُ في حضنها

وتقلبُ في حضنه

شُرْفَتانِ على مُفْتَرَقِ

وَعِلاَبٍ بلا غالبٍ.

كيف لي أن أُوَحِّدَ بين المنظر والكاتبِ

وأوفقَ ما بين هذا الصباحِ، وذاك العَسَقُ؟

البخاري

صاحب «الصحيح»،
مات سنة ٢٥٦هـ.

مُوقِنٌ أَنْ يَبْتَئَا
أفردته المدينة في حَيِّ قَفَرٍ،
يقرأ الآن، في ليله،
إِنَّ بُرْدَ وَأَصْحَابَهُ.

مُوقِنٌ أَنَّ هَذَا
ما تقول الأسرّة للعاشقين
عندما يطبق الحب أجفانه عليهم.

مُوقِنٌ أَنَّ هَذَا عَدُوُّ الْعَالَمِينَ.

الكِندي

(أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق)

قال يشكو إلى فكره:

لم أرَ الحبَّ إلَّا

في سُدَى وَرْدَةٍ -

كان هذا كمثل الندى، عابراً.

أُتراه سيشكو إلى حبه

مَا تُشِيعُ التجوُمُ

عن جَفَافِ الغيوم؟

توفي سنة ٢٦٠هـ /
٨٧٣م، يُلقَّب بـ «فيلسوف
العرب». عاش في زمن
المأمون والمعتصم، وكان
أستاذاً لأحمد بن المعتصم.
من تلامذته: ابن الطيّب
السرخسي. يروي البيهقي أنه
«كان يهودياً ثم أسلم»، وقال
بعضهم: كان نصرانياً. من
أقواله: «لا تنجو مما تكره،
حتى تمتنع عن كثير مما
تحب».

البسطامي، أبو يزيد طيفور

توفي سنة ٢٦١هـ /
٨٧٤م.

نَهَرَ للحنين، لأغواره
يتدفق من ذروات الكلام
ماحيًا، حاضيًا موته
منصتًا لبواح الألوهة
في قلوب الهيام.

حنين بن إسحاق

مات سنة ٢٦٠هـ /

٨٩٣م. كان طبيباً ومترجماً.

عينه المأمون على «بيت

الحكمة». ولد سنة ١٩٤هـ /

٨٠٩م.

«مرّة، في الحياة التي لا تصدّق أقوالها،
كنت رُحانةً -

أتوسّطُ ورداً

وأجاور صُفُفاً» :

قالت امرأةٌ كان بيني وبين أسارىها

كتبُ ورسائلُ. قالت :

لم تثق بحياتي وقولي، ثم اختفت.

شجّني قوسُ حبٍّ على بابها.

المُزْنِي

توفي سنة ٢٦٤هـ. قال
عنه الإمام الشافعي: «لو ناظر
الشيطان لغلبه».

لو كان الشيطان خصيماً
للمزني، ولو ناظره
لمضى الشيطان حسيراً، أو قُل: مغلوباً.

يا مُزْنِي
من أين أتيت؟
وثني أنت؟ وأين رأيت النور، وكيف رأيت؟
هات يديك، إليك يدي.

سهل التُّستري

مات منفياً في البصرة،
سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م. كان
أستاذ الحلاج، ويوصف بأنه
«في عداد الحكماء
المتألهين».

يَتَأَلَّهُ يَنْسَى كَمَنْ يَتَأَنَّسُنْ، يَعلو، يُحَايِثُ

ما الْفَرْقُ؟ مَوْجٌ

وَاحِدٌ يَتَقَلَّبُ: يَنْسَى

يَتَأَلَّهُ

يَعلو

يُحَايِثُ: دَوَّرَ - مَدَى

إِنَّهُ صَوْتُهُ -

والحياةُ الفضاءُ لهذا الصَّدَى.

الرواية

VI

وكان أبجد قد رأى مرّة في المدينة صاد رجلاً
دائم الطواف يُدعى، كما قيل، بَيْسَر. قال: «رأيتُه
يدنو من النار يتناول بيمينه خنجراً ويشقّ صدره
يخرج كبده بيده اليسرى يحتزّ منها قطعة وهو يتكلّم
يقطّعها بالخنجر يلقيها إلى من حوله تهاوناً بالموت
ورأيتُه يَهوي في النَّار.»

※

وسمع أن لحاكم هذه المدينة مريدين يأتيهم
الشك فجأة في بعض الساعات وقيل: جاؤوا إليه في
ساعة شكّ، وقالوا:

«- إن كنت حاكماً صادقاً، فأظهر لنا من هذه الصخرة
ناقة، ولتكن سوداء صافية اللون.»

قام وقعدَ تتمّم أصغى أشار تحركت الصخرة
تململت بدا منها أنينٌ انصدعت بعد مخاض شديد
كمثل مخاض المرأة وظهرت منها ناقة سوداء صافية
اللون.»

وقيل له إِنَّ حاكم المدينة ضاد استيقظ يوماً فرأى
أسداً جاء به الصيادون في قفصٍ ووضعوه في صحن
القصر . قال أمراً:

« - اخلعوا باب القفص وأطلقوه لا يُحبس الأسد
خلعوا باب القفص خرج الأسد يزأر ويضرب الأرض
هرب الناس وأغلقوا الأبواب في وجهه وبقي الحاكم
جالساً

دنا منه الأسد مدّ يده إليه هزّه وقع الأسد ميتاً
جاء الناس فرأوا أصابع يده قد زالت عن مواضعها
استدعى من ردها كما كانت
وجلس الحاكم معهم كأنه لم يفعل شيئاً. »

※

وكان لي صديق في هذه المدينة اسمه يارجوج
أخبرني أنه كان لحاكمها عمٌ اسمه دمنانة كرهه وأمرَ
بقتله

«دخل عليه في بيته سيّاف الحاكم، وكان معه في
البيت امرأة

بدأ بدمنانة فخنقه ومدّه على الفراش،

وحين أخذ الجارية ليخنفها، قالت:

- اقتلني، لكن لا تقتلني خنقاً.

خنقها وضعها مع دمنانة على الفراش أدخل يده
تحت جنبها أدخل يدها تحت جنبه،
هدم عليهما البيت^(١).

※

وحكى يارجوج أنّ حاكم المدينة خاف من أخ له
على ملكه فأمر بقتله. حين رأى أخوه السيّافين
يدخلون بيته، أخذ وسادةً وضعها على وجهه وصاح:
«- لا تقتلونني. أنا شقيق الحاكم.

ضربه سيّافٌ في جبهته،

نخسه آخر في خاصرته آخر في سرّته.

ثمّ ذبحوه وأخذوا رأسه إلى أخيه الحاكم. أمر
بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة. أمر كلّ
سيّاف يقبض مكافأته أن يلعنه.

كان السيّاف يقبض المكافأة ويلعن الرأس،

والحاكم يبتسم.

※

(١) وروى رجل في هذه
المدينة أنّه رأى في نومه:
«كَانَ النَّاسُ يَعْرِضُونَ عَلَى اللَّهِ
عِزَّ وَجَلَّ. جَاءَتْ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا
ثِيَابٌ رَقِيقَةٌ، هَبَّتْ رِيحٌ
كَشَفَتْهَا. أَعْرَضَ عَنْهَا، تَبَارَكَ
وَتَعَالَى، قَائِلًا: اذْهَبُوا بِهَا إِلَى
النَّارِ، كَانَتْ تَتَبَرَّجُ.
(المنامات، للحافظ أبي
الذّنيا، مكتبة القرآن الكريم،
القاهرة ١٩٨٩، ص ١٤٢).

(١) وقال رجل: «مات رجل
في حيننا صاحب خمارات،
رأبته في النوم، رسالته:

- ماذا فعل بك الله؟

أجاب:

- قال لي ربي: لو لم
تكن شيخاً لعذبك.
(المنامات، ص ١٨٦).

وقال أبجد:

«أخبرني صديقي يارجوج أن حاكم المدينة طاء
غضب مرةً على رجل . جاء به سألُه :

- أنت كيكم؟

- نعم، يا مولاي .

أوماً إلى السّيفين . جَزَدوه من ثيابه، قطعوا يمينه
وضربوا بها وجهه وفعلوا مثل ذلك بيده اليُسرى
ورجليه

ثم أمرَ سيّافاً أن يدخل سيفه بين ضلعين من
أضلاع كَيْكَم، وأمر بقطع لسانه

ثم أمر بصلب أطرافه المقطوعة إلى جوار
جسمه، على جسر المدينة .

بعد ذلك أمر أن يطاف به في جميع أنحاء المدينة،
وقد علّق معه رأسُ حمار ميت، ووضع في عنقه قيدٌ
تدلى منه رقانة حديد،

ثم شدّ بالحبال وألقي في بئر .»

※

وكان لحاكم المدينة ظاء، ثلاث عشيقات اتّفقن
على عصيانه، فقتلهن، -

(١) قال أحدهم لأبجد إن
المدينة ضاد هي مدينة
المنامات . وروى له أن رجلاً
رأى في نومه أنه مات وسبق
إلى النار . فجأةً، رأى حجراً
يكبر، ويسدّ دونه باب جهنم .
عندما أفاق من نومه، تذكّر أنه
كان، حين يُصلّي، يجعل في
قلبه سبعة أحجار، فإذا قضى
صلاته، قال: أشهدك، أيتها
الأحجار أن لا إله إلا الله .
ولهذه الرواية أصلٌ ربّما
أخذت عنه في الكتاب التالي:
(المنامات، الحافظ أبي
الدنيا، مكتبة القرآن، القاهرة
١٩٨٩، ص ١٤٢).

«أمر أن تُحَفَّرَ للأولى حفرة عميقة، يُدلى رأسها فيها ويُطرح فوقه التراب وأن يبقى نصفها الأسفل ظاهراً

أمر أن تُكْتَفَ الثانية وتُقَيَّدَ ثم تحشى بالقطن أذناها وأنفها وفمها وأن تُنْفَخَ بالمنافخ حتى يصير جسمها كالجمل ثم تنزع المنافخ ويوضع مكانها القطن ثم تفصد من العرقين اللذين فوق الحاجبين حيث تخرج الروح ولها صفير.

أما الثالثة، فشرَّح بيديه لحمها، من فخذيهما وعجيزتها، ورماه إلى مماليكه.»

※

وثار على حاكم المدينة عين، أحد أنصاره الأشداء ويدعى سَنَدَر. جمع حوله فئة قوية لكنَّ الحاكم استطاع أن يطرده وينفيه. قبل ذلك أوصى سندر أنصاره قائلاً:

«- من جاءكم على صورتي، فاقتلوه. سيأتي إليكم أناسٌ يتشبهون بي لا تقبلوا ما يقولون واقتلوهم. بعد زمن استطاع سندر أن يتسلَّل عائداً. أخذ أنصاره يتهيأون لقتله. ولما هموا بذلك صاح قائلاً: ويحكم، أنا سندر. قالوا: أمرنا سندر بقتل من يتشبه به. قال: لكن، أنا سندر. قالوا: لا بُدَّ من قتلِكَ، وقتلوه.»

(استطرد)

هو أو يوم من أيام المدينة الأولى

ثم استطرد أبجد، ناقلاً ما سمعه عن حاكم قديم حكم
المدينة الأولى، قال:

«نهضَ صلى الفجر جلس يصغي لقصاصه حتى فرغ
من قصصه قرأ جزءاً من المصحف دخل إلى منزله أمرَ
نَهْيَ صلى خرج إلى مجلسه أذنَ لخاصته حدثهم
وحدثوه دخل عليه وزراؤه كلّموه بما يريدونه

أذنَ بالغداء الأضرّ تحدث طويلاً قام الحرس تقدّم
الضعيف الأعرابي الصبيّ المرأة من ليس له أحد قال:
انظروا في أمورهم

جلس على السرير قال: ائذنوا للناس وفقاً لمنازلهم
لا يشغلني أحد عن رَدِّ السّلام يا هؤلاء: سُميتُم أشرافاً
لأنكم شَرَفْتُم مَنْ دُونكم ارفعوا لنا حاجة من لا يصل
إلينا

اقضوا حاجاتهم اخدموهم

دخل منزله صلى أربع ركعات نادى خاصّة الخاصّة
دخل عليه وزراؤه أتاهاهم بالفواكه والأقراص المعجونة
بالسكر واللبن جلس إلى العصر صلى العصر جلس

على سريره أذن للناس وفقاً لمنازلهم أتى بالعشاء سَمَرَ
ثُلث الليل في أخبار العرب والعجم وأيامهم أثنى من
نساته غرائب الحلوى والمأكَل
نام ثلث الليل قام قعد قرأ عليه غلمانَه سِيرَ الملوك
أخبار الحروب والمكائد خرج صلى الفجر
استأنف ما بدأه مِمَّا وصفناه
وهذا شأنه في كلِّ نهارٍ ولَّيلٍ» .

الذِّكْرَى

VI

المدينة شين

إصنع من جراحك جوقة، امنحها آلات المنفى،
وعلمها عذيف النفي. ستري آنذاك أن أسنان الوقت هي
جمهورك الأول. ستري أن الدم نهر يمر في وادي عبقر الذي
احتلته الكواكب منذ تاريخ ما، وطردت منه كل أثر للأرض.
ستري أن أكبر قاعة لاستقبال هذه الجوقة هي المدينة
شين.

※

إنتاج رؤوس وإنتاج مقاصل، -
إيقاع هائل، لكن في محيط من الزبد:
ما أدهى غيبك، أيتها المدينة شين.

※

كيف أفتح أفقاً لا يصدأ
عندما يلامسه هواء المدينة شين؟

※

لماذا ترفض، أيها البحر، أن تسكن في ذاكرتي؟ لماذا
ترفضين، أنت أيضاً، أيتها الشمس؟
- «لن يكون في ذاكرتك غير الرعب»:
تجيب المدينة شين.

※

للشرطي والزمن في المدينة شين،
عين واحدة .

※

تفرض عليّ المدينة شين
برغبة أحرار في تفسيرها،
أن أصحاب عقارب الساعة، وأعدائي الوقت .

※

هذا الجسد المعلق على خشبة الفضاء
المنصوب على عتبة الريح، كأنه أول الموت،
ليس إلا جسد المدينة شين .

※

قلت للمدينة شين وأكرر:
عبثاً تحاولين قتلي، -
لا يرقى إلى عنقي إلا سيفي .

※

يعرف الإنسان في المدينة شين بأنه:
«طريدة -

غير أنه لن ينجو من الوقوع في الفخ» .

※

أينما وضعت قدميك في المدينة شين،
ينبت التعب .

※

تاريخ المرأة في المدينة شين:
«تولد ليلاً،

وتموت عند الفجر».

※

أتريد أن تعرف الطبيعة وما وراءها؟ إذن، عليك أن
تعرف جسد المرأة وما وراءه.
لكن، لماذا في المدينة شين، يحرم على الناس مثل هذا
السؤال، وهذا الجواب؟

※

سأبني بيتاً من الحجر لعناكب الصبر، وربما الحزن، لكي
أوحي بمناخ المدينة شين.

※

لا أعرف لماذا يشبه لي القمر، أحياناً، في المدينة
شين، كأنه مزيج من الدمع والصلاة، مسكوب في إناء أبيض
له شكل القرن.

※

لم أزر المدينة شين إلا مرة واحدة (لا أقدر). مع
ذلك، لم أسافر مرةً إلا مررت فيها - خفية.
كأنني أراها، في هذه اللحظة، تبكي وتمسح دموعها
بكلماتي.

※

يحدث، غالباً، في المدينة شين، أن يكون الشحم
ورماً، والورم شحمًا. (وعذراً من صديقي المتنبئ).

المدينة تاء

تقول المدينة تاء

إنها شربت رحيق التاريخ .

✽

الحلم الذي لا يفارق المدينة تاء ،

هو أن تكون طابعاً بريدياً على غلاف

اسمه الكون .

✽

«دَربَ ظهرك على الانحناء»:

لافتة تتكرر كثيراً على جدران المدينة تاء ،

وفي شوارعها .

✽

يجلس الجمل على عصفور ،

يتكى الجبل على بنفسجة ،

يمسح الماء وجهه بمنديل الغبار :

تلك هي بعض الأمثال السائرة في المدينة تاء .

✽

من كل حرف،

تخلق المدينة تاء كرسياً

من كل كلمة، تخلق بيتاً.

✱

حاول أن ترى النهار في المدينة تاء،

وسوف تكتشف أنك لن ترى فيه إلا الليل.

✱

«دَفَى حنجرتك بالمدح» -

يقول كتاب الهجاء الذي تفضله المدينة تاء،

والذي تحفظه في خزانة من الثلج.

✱

الواقع في المدينة تاء، مناخ

شكله الحياة ومضمونه الموت.

«بعد أن فرغ الخالق من خلق العالم،

أراد أن يرتاح، فجعل من راحته

بيتاً دخل إليه ولم يخرج بعد»:

هذا ما تقوله أسطورة

تنكرها المدينة تاء، لكنها تسامح معها.

✱

«تنهد الخالق بعد خلق العالم،
ومن هذا التنهد، كانت الرياح»:
تقول أسطورة أخرى
لا تنفيها المدينة تاء ولا تثبتها.

✽

تشرب المدينة تاء المعرفة،
لكن بكأس من الورق المنقوع
في ماء الذاكرة.

✽

من أطراف كل كلمة تلفظها المدينة تاء
يتدلّى قبر أو يتدلّى عرس.

✽

الوردة نفسها قفص في المدينة تاء
والرغيف شرطي.

✽

أقدم وأغنى ذاكرة في المدينة تاء
هي ذاكرة السيف.

✽

فضاء المدينة تاء

سلالم لهبوط الملائكة وصعود الموتى .



جدران -

ليست الأيدي هي التي تبنيها، بل الألفاظ والأصوات:

تلك هي جدران المدينة تاء .



من علمك، أيتها المدينة تاء،

السَّيرَ بقدم الهلال؟



لا أعرف مكاناً يقدر أن يتسع لجنة الوقت

كمثل المكان في المدينة تاء .



أيتها المدينة المرثية لغيري،

لماذا لم تعودى مرثية لي؟



المدينة ثاء

لا تعرف الريح في المدينة ثاء،
أن تمسّط شُغَرَ الشجر.

✽

غريب أمر الناس في المدينة ثاء -
إنهم يعيشون عائمين على أطراف الأظافر.

✽

ليس للحصاة عينان وأذنان،
يد ولسان،
إلا في المدينة ثاء.

✽

تكاد الريح نفسها في المدينة ثاء،
أن تفقد شهوة الهبوب.

✽

النهار في المدينة ثاء، لجة من الدمع،
والليل سفينة غارقة.

✽

ليس القمر إلا الضوء الذي يعكسه،
أو هكذا يبدو.

لكن، لماذا عندما تنظر إليه من المدينة ثاء،
يبدو أن له مخالف تكاد أن تلامس وجهك،
ويبدو كأنه خارج لتوه من الجحيم؟

✽

ينبغي أن تكون لك القدرة على التشبه بالضوء،
لكي تستطيع أن تكتب أو تتحدث
عن الظلام في المدينة ثاء.

✽

أحياناً،
لكي ترى بوضوح في المدينة ثاء،
لا بد لك من أن تغمض عينيك.

✽

كلا، ليست المدينة ثاء،
هي الموعودة بالجنة،
بل الجنة هي الموعودة بها.

✽

تريد المدينة ثاء أن تظل شفاتها
مختومتين بشفتي ملاك.

VI

ومن صَحَب الدُّنْيَا طَوِيلًا، تَقَلَّبْتُ
عَلَى عَيْنِهِ، حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبًا.
المتنبي

- أ -

إِذْهَبْ وَشَاهِدْ كَيْفَ تَخْتَلِطُ

النَّجُومُ هَوَى

بِأَثْدَاءِ النَّسَاءِ

إِذْهَبْ وَعَنْ الرُّومِ

أَغْنِيَةَ الصَّدَاقَةِ وَالْإِحَاءِ -

أُغْسِلْ عَنِ الْأَرْضِ الْجِرَاحَ

وَعَنْ وَجُوهِهِمُ الدَّمَاءَ .

- ٩٢ -

ضربوه^(١) سيّاطاً،

أثقلوه حديدًا،

ورموه إلى السّجن:

يا بُخْتَشُوعَ

أين طُبُّكَ؟

لا طِبَّ عِنْدَ الْخِلَافَةِ،

إِلَّا الْخَضُوعُ!

(١) الإشارة إلى الطبيب
بختيشوع. وقيل ضُربَ مئةً
وخمسين سوطاً.

* إِنْ جَنَحْتَ إِلَى شَهْوَةٍ

تَتَأَجِّجُ فِي جَانْحِيكَ

وَتَجَانْسُتُمَا

فَابْتَدِزْهَا، لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ .

- شاعِرٌ

قَادَهُ الْحُبُّ فِي كُلِّ دَرْبٍ

وَلَهَا، وَاحْتِفَاءً.

يَسْكُبُ الشَّرْقُ فِي غَرْبِهِ،

الْغَرْبُ فِي شَرْقِهِ،

وَيُوَحِّدُ فِيهِ شَتَاتَ الْوُجُودِ.

- مَا أَمْرُ الْفَوَاصِلِ بَيْنَ تَقَالِيدِهِ

وَتَجَارِيهِ،

مَا أَمْرُ الْحُدُودِ.

* أَلْشُّرُوقُ صَدِيقُ النُّخِيلِ

رَسْمَتُهُ يَدُ الشَّعْرِ تِيهًا عَلَى

عُنُقِهِ الطَّوِيلِ.

- ٩٣ -

- أ -

- كَيْفَ قَوْلُكَ^(١) فِي دَارِنَا؟

- كُلُّ دُنْيَاكَ فِيهَا.

- كَيْفَ شَرْبُكَ لِلْخَمْرِ؟

- أَعْجَزُ عَنْ شُرْبِهَا:

أَلْقَلِيلُ امْتِيهَانٍ

وَالكَثِيرُ افْتِضَاخٍ.

- إِنْ سَ هَذَا وَنَادِمٌ.

وَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟

- مِنْ الْبَصْرَةِ.

- كَيْفَ قَوْلُكَ فِيهَا؟

(١) حوار بين الخليفة
المتوكل، وأبي العيلاء، (مات
سنة ٢٨٢هـ).

- ج -

(١) عبيد الله، الفتح بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل.

أَخَذْتَنِي حَرَّاءُ فِي صَمْتِهَا

فِي مِثَالَتِهَا،

وَاللَّغَاتِ الَّتِي تَرَكْتُهَا الْعَصُورُ

وَرَاءَ سَنَائِهَا الْمُسَدَّلَةِ.

لَا تَشْكُ الصَّحَارَى،

تَوَكَّدَ مِنْ أَوَّلِ:

يَعْشَقُ الصَّرْفُ وَالتَّحَوُّ كَوْحاً

يَحْنُ إِلَى طَلْلِ الْأُمِثْلَةِ.

- كمثل جهنم، حين تطيب،

- وماذا ترى

فِي عُيَيْدِ بْنِ يَحْيَى^(١)؟

- رَجُلٌ عَاقِلٌ

قَاسِمٌ نَفْسَهُ

بَيْنَ طَاعَةِ خَلَاقِهِ

وَعِزَّةِ سُلْطَانِهِ.

- ب -

سَوْفَ تُمَطَّرُ بَغْدَادُ،

لَكِنْ دُمًا.

* يَعْرِفُ الرَّمْلُ أَنْ يَتَنَائَرَ، أَنْ يَتَكَدَّسَ

فِي الْقَدَمَيْنِ، وَفِي الرَّأْسِ، أَوْ أَنْ
يَغْطِي

جُثَّتِ الْمَيِّتَيْنِ

يَعْرِفُ الرَّمْلُ أَنْ يَتَأَخَى مَعَ
الرَّاحِلِينَ.

- ٩٤ -

- ١ -

قُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ وَالْفَتْحُ^(١)، كَانَا

يَشْرَبَانِ النَّبِيذَ، وَفِي اللَّيْلِ

مَا يُشَبِّهُ الْقَمَرَ الْمُنْكَسِرَ

يَنْفَقَتْ مِنْ فَوْقِهِمْ.

وَأَتَى الشَّارِبُونَ،

وَمَنْ يَأْكُلُونَ،

وَمَنْ يَحْرَسُونَ،

إِلَى الْمُنتَصِرِ.

سَلِمُوا بِالْخَلَافَةِ، جَاءَ وَصِيفُ^(٢)

وَأَصْحَابُهُ، -

بِأَمْعَا الْمُنتَصِرِ.

- ٥ -

فِي سَرِيرِي عِطْرُ

مِنْ جَنَائِنِ أَيَّامِهَا،

فِي لِهَائِي،

صَحَبَ مِنْ حَنَاجِرِ أَسْوَاقِهَا.

كَيْفَ أُرْوِي لِقُشْطُنَيْنِيَّةَ حَبِّي لَهَا؟

كَيْفَ أَسْكِبُ حَلْمِي

بَيْنَ أَجْفَانِهَا

وَأَفْوِضُ جِبْرِي لِأَوْرَاقِهَا؟

(١) الفتح بن خاقان وزير

المتوكل، وقتل المتوكل في

حضرة البحري، الذي قال

في غدر المنتصر:

«كَانَ وَلِيَّ الْمَهْدِ أَضْمَرَ غَدْرَهُ

فَمَنْ عَجِبَ أَنْ وَلِيَّ الْمَهْدِ

غَادِرُهُ»

كان للمتوكل أربعة

آلاف جارية وطاهن كلهن.

(المسعودي، مروج الذهب).

(٢) وصيف الخادم.

* يحلم أن يتحوَّلَ فِيهِ التَّبْضُ

وَيُحَوَّلَهُ

جَذْرًا بَرِّيًّا،

يَحْيَا وَيَسَافِرُ تَحْتَ الْأَرْضِ.

- ب -

يا أبي^(١)،

لم أجيء منك، لكن لإفاحك

أثمر من سُمِّي المنتصر

غير أنني من طينة لم تُلذها

وتعجز عن أن تراها،

وأنا لا أباهي ولا أفتخز،

بل أقول اعتزلت الدروب

التي رسمتها خطاك،

ووجهت وجهي

لدروب سواها،

وقتلتك حتى أحرز

عطر النبوة

من وزدة الأبوة!

- ه -

كيف أروي لأيقونة

ولهي بتجاعيدها،

بالظلال، الخطوط -

أنسايا باتيها، وتعاريجها؟

لا أخاف، ولن أنكتَم. قولوا

(واعدلوا في تأويلكم)

هو مِمَّن

يتمون لأفاقها

عاشقاً وصديقاً لعشاقها.

* جرس تركته الطبيعة في حضن

طفلي،

أخذ الطفل يلهو به

ذلك اللهو سماء جبر المدينة شِعْراً.

(١) الكلام بلسان المنتصر،
الخليفة الجديد، يخاطب أباه
المتوكل. وقيل: إنه اغتيل في
سامراء بتحريض منه. وكان
المتوكل قد أمر بترك الجدل
في القرآن: لا مخلوق، ولا
غير مخلوق. وهدم قبر
الحسين كما سبقت الإشارة
سنة ٢٣٦هـ.

- ٩٥ -

- أ -

«ليس لي أيّ عهدٍ

ليس لي أيّ عقدٍ

في رقاب البشر.

لستُ أصلحُ من أيّ وجوٍ

للخلافَةِ،

مَنْ كَانَ فِي عُنُقِهِ بِيْعَتِي،

فهو حُرٌّ -

حلالٌ له نَقْضُهَا. »

- و -

فَكَ رَايَاتِهِ وَأَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ

مِنْ سَلَاسِلِ أَوْهَامِهِ

الْخَفِيَّةِ وَالْمَعْلَنَةِ

وَأُنْحَنَى مُتَعَبًا

كَيْ يَرَى الْعَالَمَ الْجَرِيحَ الَّذِي يَتَدَلَّى

فِي فِضَاءِ الْمَدِينَةِ

مِنْ عُنُقِي الْمِثْدَنَةِ.

* طَرَفُ الْخِيْطِ - أَوَّلُهُ فِي السَّمَاءِ :

تَسْلَقْنَهُ، يَا جِرَاحِي

أَلْمَلَايِكُ جَاءَتْ وَقَصَّتْ جَنَاحِي.

- ز -

لِسُمِيسَاطَ: أَنْقَاضِهَا

وَبَقَايَا أُسَاطِيرِهَا

الْوَالِيَهْ،

هُوَذَا يَشْرُتُبُّ الْحَجَرُ

رُقْمًا وَتَمَائِيلَ، مِنْ نَشْوَةٍ.

وَكَاثِي أُضْغِي لِلْقِيَانِ^(١)

يَسْخَرُ فِي صَمْتِهِ

مِنْ يَقِينِ الْبَشَرِ،

وَمِنْ الْآلِيَهْ.

- ب -

«أَصْدِقَانِي^(٢)!

رَأَيْتُ كَاثِي فِي النَّوْمِ،

أُضْغِي إِلَى الْمُتَوَكِّلِ،

يَصْرُخُ:

«ذَبَرْتُ قَتْلِي،

لَا تَمْتَعْتُ بَعْدِي،

بِالْخِلَافَةِ...»

- رُؤْيَا،

إِنْشَاهَا وَائْتِنَا بِالْتَّبِيدِ -

أَلْتَّبِيدُ الْعَزِيزِ اللَّذِيذُ!

- ج -

قِيلَ: شَاوَرُ فِي قَتْلِهِ

فَقَهَاءَ،

رَاوِيًا قُنُجَ أَعْمَالِهِ،

فَأَجَازُوا لَهُ قَتْلَهُ.

(١) لَوْفِيَانِ السُّمِيسَاطِي،
كَاتِبُ سُورِي بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ.

(٢) الْكَلَامُ لِلْمُنْتَصِرِ،
يَخَاطَبُ أَصْدِقَاءَهُ فِي إِحْدَى
جُلُوسَاتِهِمْ قَبِيلَ مَوْتِهِ.

* إِنَّهَا شَهْوَةٌ عَالِيَهْ،

وَضَعُ الْفَجْرُ كَفًّا عَلَى كَتِفِ الرِّيحِ،

وَارْتَاخَ، يَنْتَظِرُ الْحِطَّ فِي كَفِّهِ الثَّانِيَهْ.

- ح -

لا تخوّم، - مسافات ظنّ

تتخبّطُ فيها خطانًا

وصدى راحلين حيارى

وصدى أمكنة

نزد رمل على باب تدمر

والريح تحمل في راحتها

شمعة الأزمنة.

- ٩٦ -

- ١ -

أطلقوا^(١) كل من في

السجون، لكي ينهبوا

ولكي يهدموا،

ولكي يحرقوا.

- ب -

قُتل الشاعر^(٢) -

وجع الشعر طيف

على قبره دائر.

* المرات تكسو المدائن -

أقدارها وأحوالها

ما ستفعل، والموت يكتب أياها

وأعمالها؟

(١) الجند الذين تمردوا،
طلباً لأرزاقهم.(٢) علي بن الجهم، وقتل
قرب حلب.

- ٩٧ -

- أ -

في الكوفة، يظهر يَحْيَى^(٢)
يُذْبَحُ فيها.
أخذوا الرأس، وقالوا:
سَقُّورُهُ -

نُستخرج منه اللَّب،
العَيْنين... ولكن،
هَرَبَ الجَزَارُونَ. تجزأ
سَهْلُ^(٣): قورُهُ،
وَحشاهُ مِسْكَأ.
نُصِبَ الرَّأْسُ بِسَامِرَاءَ،
وفي بغداد.

ثم رموه في صندوق،
في بيت سِلَاح.

- ط -

كنتُ، في غزواتِ الطَّفُولَةِ، أسأل
سمعانَ^(١) عن أوَّلِ الدَّرَبِ،

عَمَّا تَخِيلُهُ الآخرونَ، وَعَمَّا تَرَأَى
وَعَمَّا يُقَالُ

وأنا الآنَ، في غمراتِ الكهولةِ، أسألُ
سمعانَ عن آخرِ الدَّرَبِ:

سَمْعَانُ يسكن في صمتهِ

وفي سِرِّهِ،

وأنا ساكِنٌ في السُّؤالِ.

* جَبَلٌ يَتَخَيَّلُ صَوَانَهُ نَبِيًّا،
يا نَبُو^(٢)،

كيف سَمَّوكَ سمعانَ؟ سِرَّ المدادِ،
ووحي القَلَمِ

نُقِشَا خَاتَمَيْنِ على وجناتِ الصَّنَمِ.

(١) سمعان العمودي، ونَبُو
اسمٌ لجبل سمعان،
بالأشورية.

(٢) يحيى بن عمر الطالب،
ويُنْتَهِي نسبه إلى علي بن أبي
طالب.

(٣) شخص اسمه سهل
الصفدي.

- ب -

قتلوا عدداً

ممن تبعوا يحيى.

- ج -

سَبَطَرُ فِي طَبْرِسْتَانَ،

الْحَسَنُ^(١)، انْضَمَّ

الرَّيَّ إِلَيْهِ.

- د -

أَهْلَ حَمَصٍ يَثُورُونَ:

عَامِلُهُمْ يُقْتَلُ.

جاء موسى^(٢) إليهم:

عَاتِ حَزَقًا وَقَتْلًا وَأَسْرًا،

وَعُطِيفٌ^(٣) يَفْرُ،

وَلَا يَسْأَلُ.

- ي -

حملوه إلى بيته جريحاً

كَانَتْ امْرَأَةً (لَمْ يُقَلْ إِنَّهَا أُمُّهُ

لَمْ يُقَلْ أَخْتُهُ)،

تَلَقَّاهُ فِي الْبَيْتِ، مَجْرُوحَةً مِثْلَهُ.

أَلْتَوَافِدُ بِيضٌ تُطَلَّ عَلَى رِيحِهَا الْآتِيَةُ

وَالطَّيُورُ الَّتِي تَرْسُمُ الْأَفَقَ بَيْنَ التَّوَافِدِ،

بِيضٌ.

وَالْجَرِيحَانِ: يَسْتَجْمَعُ الْلقاءُ أَنَاشِيدَهُ

وَمَرَاتِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا.

كَانَ يَجْمَعُ مَا بَيْنَ وَجْهَيْهِمَا

كَوْكَبِ الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ.

(١) الْحَسَنُ بْنُ زَيْدِ الطَّائِلِيِّ،

وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي

طَالِبٍ.

(٢) مُوسَى بْنُ بَغَا الْكَبِيرِ.

(٣) عُطِيفُ الْكَلْبِيِّ، قَائِدُ

الْتَمَرْدِ، وَقَدْ قَرَّ إِلَى الْبَادِيَةِ.

* زهرة للبكاء

تَتَخَيَّرُ عِطْرَ الْحَقُولِ، تُضْمَخُ مِنْدِيلَهَا

وَتُبَلِّلُ وَجْهَ السَّمَاءِ.

- ٩٨ -

- أ -

قتلوا باغراً^(١)،

والموالي اضطراباً وفوضى.

- ب -

فتنة. حرب بغداد ضد

الخليفة - ضد الذين

خلعوا المستعين^(٢).

- ج -

في سامراء -

هزيمة الأتراك، وتلك

بغال وجواليق

كي تنقل كل رؤوس

المقتولين من الأتراك

إلى بغداد.

- ك -

- «ألدُمستقُ في حلب»،

- «حلب تهزم الروم»: حرب

والشعائر حرب

واللغات حروب، ولا فرقَ فيها.

مُسلمونَ وروم

ولا فرقَ ما بينهم.

واليمن هنا واليسارُ كمثلي اليمن

هناك ومثلي اليسار

- أين نمضي، إذن؟

- سبقتنا إلى شمس هذا التهاز

زهرة الجُلَنَاز.

* لسنا من آلات الغرب، ولسنا

من آيات الشرق،

نحن هناك غيوم، وهنا أحجارٌ من

سجّيل،

لكن، أين الفرقُ؟

(١) باغر التركي، وكان أحد قتلة المتوكل، «فزيد لذلك في أرزاقه، وأقطع قطائع».

(٢) لكي يبايعوا المعتز ابن المتوكل.

- ل -

سَيَرَى هَذَا الْجَنْدِي ذِرَاعَ أَخِيهِ
حَيْثُ يُصَلِّي.

سَيَرَى

قَدَمَيْنِ، حِذَاءً، وَبَقَايَا شَعْرِ
أَوْ أَسْنَانٍ.

سَيَرَى حُودَّةَ رُومِي فِي جِهَةِ الْقِبْلَةِ:

مَسْجِدِ رُغْبٍ

لَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ قِبْلَةَ.

- د -

مَنْ جَاءَ بِرَأْسِ تُرْكِيٍّ،
يُعْطَى جَائِزَةٌ.

- ه -

فِي كُلِّ مَكَانٍ،
قَتْلِي،
وَنُبُوتٍ.

* لَيْسَ تَارِيخُ آبَائِنَا غَيْرُ الْفَاطِنَا،
نَتَلَمَّظُ إِيقَاعَهَا، وَنَتْرِكُ أَبْنَاءَنَا
يَتَمَشَّوْنَ فِي حَيْرَةٍ
بَيْنَ لَفْظٍ وَلَفْظٍ.

- ٩٩ -

- ١ -

يَسْتَقِيلُ الْخَلِيفَةُ مِنْ نَفْسِهِ^(١).

بعضهم قال ذلك شعراً:

«خُلِعَ الْخِلَافَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
وَسَيُقْتَلُ التَّالِي لَهُ، أَوْ يُخْلَعُ».

- ب -

بعضهم وَصَفَ الْمُسْتَعِينَ،

وقالوا:

كان ذلك وصفاً أميناً:

«خَلِيفَةُ فِي قَفْصٍ

بَيْنَ وَصِيفٍ وَبُغَا

يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ

كَمَا يَقُولُ الْبَيْغَا».

- م -

تَلْبَسُ الشَّمْسُ جِلْبَابَ وَرْدٍ

وَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا،

بَيْتُهَا حَلَمٌ آخَرٌ

فِي مَدَارِ خَفِيِّ.

فِي شَبَابِيكِهِ

يَتَوَهَّجُ جَمْرُ السَّفَرِ،

أَلْفَضَاءُ لَهُ مِثْلُ وَخِي

وَالْغَيُومُ السُّورُ.

* أحياناً يكتب، لا يكتب إلاّ

كي يتزحزح نيزُ الأخطاء

عن عُتْقِ الأشياءِ.

(١) خلع المستعين ابن
المعتصم، نفسه من الخلافة،
وبائع المعتز ابن المتوكل.

- ن -

الأسير^(١) المغطى بأوجاعه،

كيف لا تفتديه القصائد؟

ماذا يُبسر علي^(١)؟

الأسير المسزبل بالهم في سجنه

يَسزبل جفداً عليّ. صحيح

لا أحب المدار الذي يتحرك فيه

ويُحرك أوهامه.

غير أنني أقول: هو الشعر يجمع ما بيننا،

وأقول لأعدائه:

غرضي أن يعود من الأسير، هل ليلي

غرض آخر؟

- ج -

سُلم المستعين إلى حاجب^(٢):

- «خذ»، واضربه حتى

يموت^٣ - ولكن

لم يُطع.

حرّ، في لحظة، رأسه،

وفالوا:

أنقلوه ججراً،

وألقوه في دجلة.

* كيف لي أن أخلص نفسي

من ذلك الشتات؟

أه، ما أجمل السجن، إن كان بوابه

الفرات!

(١) الإشارة إلى أبي فراس
الحمداني. وعليّ هو سيف
الدولة، وكان كما قيل يتردد
في فدائه من الأسر.

(٢) اسمه سعيد بن صالح.

- س -

هل يحقّ لمثلي شكوى؟
ولمن أتشكى؟
عندما تقرأ الشمسُ أغوارَ نفسي،
وأقرأ أغوارَها،
لا أرى أيّ فَرْقٍ
بين أطفالٍ بيزنطيا
والسهول التي تتلأأُ فيها حَلَبُ.
إنّهُ الشَّعرُ كالشمسِ -
كلّ الحدودِ له شُرُفاتُ
أينما حلَّ في الأرضِ، أو
أينما ذهبَ.

- د -

ألخلافَةُ أضحوكةُ
والبلادِ وأنحَاؤها
تتمزّقُ مثلَ الخِرْقِ.
أمةٌ من قشورٍ،
أمةٌ من ورقٍ!

* قدماي انشيطارُ: خطوةٌ في الشروقِ،
خُطى في الغروبِ
ربّما سأصالحُ يَاسي، وتَبّاً
للدُّروبِ، وتَبّاً لابتكارِ الدُّروبِ.

باليس (١)

- ع -

غَابَةٌ مِنْ رِمَاحٍ
يَتَأَكَلُ فِيهَا الْوَطَنُ.

فرشتها كسجاده

في فضاء الفرات، التجوم
فوقها تغسلُ الغيوم
خُطُوبَاتِ الزَّمَنِ.

- ١٠٠ -

- أ -

رَأْسُ وَصِيفٍ^(٢) حَزٌّ،

وقالوا:

نُصْبُوهُ فِي تَنْوِيرٍ.

- ب -

أَلْمُؤِيدُ^(٣) فِي الْحَبْسِ، -

أُخْرِجَ مِنْ حَبْسِهِ،

مَيِّتًا.

(١) بلدة قديمة على الفرات،
كانت من مراكز تمرّد بني
كلاب على سيف الدولة.

(٢) وصيف الخادم.

(٣) طلب منه المعتز أن يخلع
نفسه من ولاية العهد، ففعل،
ثم حُبِسَ وقُتِلَ.

* لغة تتوالد فيها، -

هِيَ فِي آنٍ

مِحْرَابُ حِرَابٍ

يَتَبَطَّنُهُ مِحْرَابُ صَلَاةٍ.

- ف -

- هل زُرْتَ مَنبِجَ^(١)؟

- أُمُّهُ تَذْوِي،

وَيُسْلِمُهَا الْعَذَابُ إِلَى الْعَذَابِ،

وَتَقُولُ سَاهِمَةً: يَمُوتُ،

«وَلَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَابِ»^(١)

- هل زُرْتَ مَنبِجَ؟

- كَيْفَ أَحْضَنْ فِي الطَّرِيقِ تُرَابَهَا،

وَأَقُولُ مَا بَيَّ لِلتُّرَابِ؟

- ١٠١ -

- أ -

نُهَيْتَ دَارَهُ^(٢)،

وَتَفَرَّقَ عَنْهُ مَنْ يُوَالُوهُ.

فَقَتَلُوهُ،

نَصَبُوا رَأْسَهُ،

أَخْرَقُوهُ.

- ب -

«لَا يَلْذُ لِي التَّوَمُ: لَيْلًا نَهَارًا،

فِي سِلَاحِي، خَوْفًا

مِنْ بَغَا - كُنْتُ أَخْشَى

أَنْ يَجِيءَ مِنَ الْجَوِّ، أَوْ أَنْ

يَجِيءَ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْآنَ

طَابَتْ حَيَاتِي»^(٣).

(١) بلدة أبي فراس، وكانت أُمُّهُ تعيش فيها. يصفها في إحدى قصائده قائلاً:

«حَيْثُ النَّفْثُ، رَأَيْتَ مَاءً سَائِحًا، وَرَأَيْتَ ظِلًّا».

وما بين المزدوجتين، مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ: «زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَاسٍ، لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَابِ».

(٢) الإشارة إلى بَغَا.

(٣) اعتراف الخليفة المعتز بخوفه من بَغَا.

* لَا مَقَرَّ وَلَا مَخْرَجَ

أَسْرَتُهُ

فِي شَبَاكِ مَرَارَاتِهَا مَنبِجُ.

- ص -

أَوَّلُ اللَّيْلِ . من أين تأتي

شهوة النوم في أَوَّلِ اللَّيْلِ؟ تمضي

بُرْهَةً،

أَتَغْلِبُ فِيهَا عَلَى النَّوْمِ، لَكِنْ

بَعْدَ ذَلِكَ صَخَوٌ،

تَعَبٌ كَاسِرٌ وَصَخَوٌ.

ولماذا

هذه الحربُ ما بين صَخَوِي وَنَوْمِي،

فَتَاكَّةٌ؟

* صَدَفٌ هَاتِفٌ (لا أشير إلى آلِهِ)

لِلشَّوَاطِئِ، لِلْمَوْجِ أَعْمَاقَ حَبٍّ،

وَالرَّمَالِ مَرَارَاتِهَا -

صَدَفٌ هَاتِفٌ تَخِيلَ أَنِّي مَرَسَى لَهُ.

- ١٠٢ -

بعد أن خلَعُوهُ،

أَخْذُوهُ إِلَى الْمَهْتَدِي:

- مَا جَرَى، يَا أَخِي؟

- هُوَ أَمْرٌ

لَا يَرْضَى لِي فِيهِ، وَلَسْتُ

لَهُ صَالِحًا، وَهُمْ لَا

يُرِيدُونَنِي،

وَأُجْلِكَ مِنْ بَيْعَتِي.

أَرْجِعُوهُ إِلَى سَجْنِهِ.

ضَرْبُوهُ

بِالذَّبَابِيِّسِ، خَزَوْهُ مِنْ

قَدَمِيهِ،

أَدْخِلُوهُ لِكَهْفٍ

أَطْبِقُوا بَابَهُ عَلَيْهِ.

- ق -

(١) الإشارة إلى الخليفة
المعتز.

(رسالة شفوية من شخص
شارك في الحرب العربية - الرومية)

(٢) عتق بايكباك.

«...»

مِثْلَ جِسْمِي،

تَمَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ جِسْمَ الْمَكَانِ

وَلِمَاذَا أَعُوذُ، وَعَيْنَايَ لَيْلُ

وَيَدَايَ الرُّؤُومَانِ مَقْطُوعَتَانِ؟

رَايَةً رَفَعْتَنِي، رَايَةً أَنْزَلْتَنِي:

بَيْنَ ذَلِكَ الصُّعُودِ وَهَذَا التَّزُولِ

مَا أَشَقَّ الْحَيَاةَ، وَيَا وَيْلَتَا لِحَيَاتِي

لَمْ يُيسِّرْ لَهَا

أَنْ تَرْتَلَّ إِلَّا نَشِيدَ الْأُفُولِ».

- ١٠٣ -

- أ -

قَتَلُوا صَالِحَ بَنٍ وَصَيْفِ

حَمَلُوا رَأْسَهُ فَوْقَ رِمَحٍ

وَطَافُوا بِهِ.

صَرَخُوا: إِنَّهُ جَزَاءُ الَّذِي

خَانَ مَوْلَاهُ^(١). قَالُوا:

أَدْخُلُوهُ، كَمَوْلَاهُ،

فِي فُزْنِ نَارٍ.

- ب -

ضَرَبَ الْمُهْتَدِي عُقَّةً^(٢)،

وَرَمَى رَأْسَهُ لِأَصْحَابِهِ.

* نَائِمًا فِي الْعَرَاءِ

يَتَحَدَّثُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَهْذِي

أَلْحَصَى كَلِمَاتٍ

وَالْتَذَكَّرَ بَيْتَ مَفَاتِيحِهِ الْبُكَاءِ.

(١) أحمد بن المتوكل.

(٢) بايكباك.

«إِنْ أَمُتْ، بَيْنَ أَمْوَاجِ سِيحَانٍ،

أَوْ فِي ضِفَافِ قَوَيْقٍ،

فَأَنَا لَا أَرَى فَارِقًا.

أَلَسَّمَاءُ هُنَا، كَالسَّمَاءِ هُنَالِكَ،

وَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ لِلْكَفَنِ.

عِنْدَمَا يَطْبِقُ الْمَوْتَ عَيْنِيكَ،

يَهْمَسُ فِي أَذْنِيكَ:

«الْتَرَابُ هُنَا: وَهَنَّاكَ - الْوَطَنُ».

- ج -

خُلِعَ المهتدي

بُوعِ المَعْتَمِدُ^(١).

- د -

إِبْنُ عَمِّ لِبَايَاكِجَايِ^(٢)،

كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ المهتدي

بَيْنَ أَوْدَاجِهِ:

شَقَّهَا،

فَازَ مِنْهَا دَمٌ، رَاحَ

يَمْتَصُّ مِنْهُ،

وَيَكْرَعُ حَتَّى ارْتَوَى.

قَالَ: يَا صَحْبَنَا،

كَانَ لِي دَمُهُ، الْيَوْمَ، خَمْرًا.

* مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ إِلَيْكَ الْوَطَنُ؟

مِنْ أَيْنَ تَجِيءُ إِلَيْهِ؟

وَالْقَتْلُ طَرِيقٌ، وَالْقَتْلُ فُضَاءٌ، وَالْقَتْلُ

الرَّزْمُنُ.

- ش -

(رسالة)

«هل سأدخلُ تلك الجنانَ التي
وَعَدُونَا بها؟ هل سأخذ فيها
مَكَانِي بين وَلَدَانِهَا؟ ولماذا، لم يَزِرْنِي
إِلَى الْآنِ أَيُّ مَلَائِكَةٍ؟
مَنْ يُعَلِّمُنِي كَيْفَ أَقْرَعُ أَبْوَابَهَا، وَمِنْ أَيِّ بَابٍ
سَأَتِي إِلَيْهَا، وَمَا سَأَقُولُ لِابْوَابِهَا؟
وَلِبَاسِي مَا سَيَكُونُ، وَكَيْفَ سَأَمْشِي:
حَيْرَلِي؟ هَيْدَبِي؟
لم يَزِرْنِي مَلَائِكَةٌ إِلَى الْآنِ - يَأْتِي؟ أَتِي؟
مَا لَهُ غَاظِبٌ يَتَحَدَّثُ مَعِ تُرْجَمَانٍ؟
أَمْ تَرَانِي تَوَهَّمْتُ؟ لَا ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ مَلَائِكِي،
وَلَا تَلَكُمُ الْجِنَانُ جِنَانِي».

- ه -

بعضهم قال: كَلَّا،
عَصِرَتْ خُصِيَّتَاهُ^(١)
إِلَى أَنْ قَضَى.
وَرَوَى آخَرُونَ:
يَجْعَلُوهُ بَيْنَ لَوْحَيْنِ، شَدُوهُمَا
بِالْجِبَالِ إِلَى أَنْ قَضَى.

- و -

الْأُبْلَةُ فِي قُبْضَةِ الزَّنَجِ:
قَتْلٌ وَحَزَقٌ
وَعِبَادَانُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا
لِرَايَاتِهِمْ.

* ليس للشمس بيتٌ
ليس للشمس دربٌ
ليس للشمس ثوبٌ،
سوى ضوئها.

« ماذا؟

لا ذنبٌ يَعُوي، لا طَيْرٌ مرٌّ، ولا حشراتٌ
تتراقص حولي .

ثَلَجٌ، ثَلَجٌ - فَيَمَنُ أَسْتَأْنِسُ،

أَوْ أَتَدَفُّ؟ مَنْ سَأَضَمَ إِلَيَّ؟

وكيف أُعَدِّ لِمَوْتِي حَفْلَ استقبالٍ؟

لَسْتُ حَظِيًّا عِنْدَ أَمِيرٍ، أَوْ عِنْدَ النَّاسِ،

جراحي

تُفَرِّدُ وَجْهِي عَنْهُمْ، تُفَرِّدُ حَظِّي

لَا مُلْكَ لَوَجْهِي إِلَّا وَجْهِي .

سَأَوْدَعُ نَفْسِي، أَسْتَوْدَعُهَا

صندوقَ رِياحٍ» .

- ١٠٤ -

قَتَلَ الزَّيْجُ سَعِيداً^(١)،

وَالْمَنْضَمِينَ إِلَيْهِ .

رُغِمُوا:

جاء الزنج ومن أسنانهم

تندلى

كل رؤوس المقتولين،

وقالوا: اقْتَسَمَ الزَّيْجُ

لحومَ القَتلى،

ونهاذوها .

* كان يرطُنُ حولي، وأنا شَبُهُ مَيِّتٍ

يُدْنِدُنْ - أَحْسَسْتُ جِسْراً،

جامعاً بيننا، عَبْرَ آهَاتِنَا .

- ١٠٥ -

- أ -

أَسِيرَ الْبَحْرَانِي^(١)

صَدِيقُ عَلِيٍّ.

وَرَفِيقُ الْأَيَّامِ الْأُولَى،

فُطِعَتْ رِجْلَاهُ، يَدَاهُ،

وَقَالُوا:

ذَبَحُوهُ،

أُخْرِقَ بَعْدَ الذَّبْحِ،

وَقَالَ عَلِيٌّ:

«خَوَّطَبْتُ بِمَوْتِ الْبَحْرَانِيِّ،

جَمِيلٌ

أَنْ تُقْتَلَ، يَا يَحْيَى:

كَنتَ أَكْثَلَهُ».

- ث -

يَنْبَغِي أَنْ تُسَافَرَ فِي أَعْيُنِ الْجُنْدِ

فِي اللَّيْلِ - تَلْتَفُّ أَعْنَاقَهُمْ

بِمَنَادِيلِهِ،

لِتَرَى كَيْفَ تَمْتَزِجُ الْأَمَكَةُ

بِتَبَارِيحِهِمْ،

بِزَفِيرِ الزَّمَانِ،

وَحَمَمَةِ الْأَحْصَنَةِ.

* بِاسْمِ مَاضٍ وَأَتٍ

أَكَلُوا كَيْ يُصَلُّوا، وَصَلُّوا لَكِي

يَأْكُلُوا

مَا الَّذِي تَفْعَلُ الصَّلَاةَ

لِتُحَرَّرَ مِنْ مَوْتِهَا - الْحَيَاةُ؟

(١) يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ

الْبَحْرَانِيِّ. وَعَلِيٌّ هُوَ صَاحِبُ

الزَّنَجِ، عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ.

- خ -

مِثْلَ فِرْسَانِهَا،

تَتَأْبَى الدُّخُولَ إِلَى حَلَبَاتٍ

لَا تَكُونُ خُطَاها مَفَاتِيحَها

وَأَقُولُ هُنَا مَا أَقُولُ

لَا لِشَيْءٍ

سِوَى أَنْ أُحْيِي

هُيَامَ الْخِيُولِ بِفِرْسَانِهَا،

وَأُحْيِي الْخِيُولَ.

- ب -

أَلْفُ سَوِيٍّ

وَعَشْرُونَ، كَانَ جِزَاءً

لَأَبِي فَقَعَسٍ^(١).

وَالْجَرِيمَةُ شَتْمُ السَّلَفِ:

إِنَّهَا عِبْرَةٌ لِلْخَلَفِ!

* عَبَقَ الزَّهْرُ ثَوْبٌ

يُجَرَّرُ أَذْيَالُهُ الْهَوَاءَ

فِي رَوَاقِ الْفَضَاءِ.

(١) رَجُلٌ مِنْ سَامِرَاءَ،
مَجْهُولُ الْأَسْمِ.

كلُّ ليلٍ،

أقول لنفسي: خُذيني وسيري

في الجهات الخفية من جسدِ الشَّيء،

من هذه الصُّورِ الزَّائلاتِ،

وأصرُخُ: واحيرتي! علِّمني

علَّمي كلماتي، يدَي

كيف أكتبُ هذا الخفاءَ الذي يتَحاربُ

في حلبٍ وفلسطينِ،

ويروح ويأتي، ويعلو ويهوي

ويرينُ على كاهلي؟

- ١٠٦ -

قالَ نبيُّ الزَّنج^(١): صراطي

لا بيضُ،

لا سودانُ -

الثورةُ ميثاقُ الأشياءِ

والفاسيخُ مَنْ لا يُؤْمِنُ

أنَّ السودانَ كمثل

البيضِ،

سواء.

* لا تُضايقُ

سَقَرَ العِطرِ من كُفِّهِ

إلى حَقْلِهِ.

(١) علي بن محمد، الذي
قاد ثورة الزنج من بداياتها
سنة ٢٥٥هـ، حتى نهايتها،
سنة ٢٧٠هـ. هكذا استمرت
أربع عشرة سنة وأربعة أشهر،
وسنة أتمام.

- ض -

نقطة من دم،-

أُتْرَاهُ الْحِصَانُ الَّذِي كَانَ يَوْمِي
فِيَمَا يُحْشَرُجُ، أَمْ ذَلِكَ الْفَارِسُ؟
لَا تَسْلُ.

لَمْ أَجِءْ كِي أَشَاهِدَ قَبْرًا وَلَا جُثَّةً،
لَمْ أَجِءْ كِي أَذْكَرَ نَفْسِي
بَنِيرَانِهَا وَأَحْوَالِهَا،
لَمْ أَجِءْ كِي أَقُولَ: الْبِلَادُ صَلَاةٌ لِسَجَانِهَا
وَسُجُودٌ لِأَغْلَالِهَا.

لَا تَسْلُ،
لَنْ أَجِيكَ، يَا أَيُّهَا الْحَارِسُ.

* لَا يَرِيدُ الصَّحَارَى، يَرِيدُ الطَّرِيقَ
إِلَيْهَا
لَا يَرِيدُ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا،
لَا يَرِيدُ سِوَى بُعْدِهَا وَسِوَى صَمْتِهَا.

*

قَالَ نَبِيُّ الزَّنَجِ أَتُنِّي
سُورُ
غَابَتْ عَنِّي -

كَانَتْ تُجْرِي
فَوْقَ لِسَانِي مَاءٌ عَذْبًا،
مِنْهَا سِبْحَانُ،
وَمِنْهَا الْكَهْفُ وَضَادُ.

*

ضِفْتُ بِسُوءِ الطَّاعَةِ،
لَكِنْ
أَيُّنَ، وَأَيُّنَ امْضِي؟

- ظ -

لا أريدُ من الرّوم شيئاً

لا أريدُ سواها -

طفلةٌ في الطريقِ

لا أريدُ سوى جرحها

لا أريدُ من الجرحِ إلّا

أن أَمُرَّ كَفَيَّ عليه

وَأُبْلِسِمَ أَوْجَاعَهُ

لا أريدُ سوى أن أقول: الحريقُ

الذي يتأججُ في جرحها،

حريقي .

*

هوذا غيمٌ

يأتي ويظللني .

رعدٌ، صَوْتُ من أغوار

الرَّغْدِ، يخاطبني :

سِرِّ لِلْبَصْرَةِ!

ما أكرمَ سيري،

ما أكرمَ هذي الفِكْرَةَ!

*

جَنَلْ سُمِّيَ الشَّيْطَانُ،

ولا يَسْكُنُهُ

إِلَّا شَيْطَانٌ -

فيه، كان مقامِي، وَخِدي

والصَّحراءِ لِجُنْدِي .

* في فم الأرض سَمٌّ غريبٌ

يجرُّ الهواءُ

بيدٍ تَتَبَرَّكُ بِاللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءِ .

- غ -

(رسالة)

«لا أريد الصعود إلى جنة شهيداً:

لا لِحورية، شهواتي

بل إلى امرأة أتنشق أعضائها

أتلمس أعضائها

مثلما أتلمس طيناً.

فأنا عاشق لطين نَماني،

ويعزّ على فطرتي

أن يضيع المنى العزيز الرّواء

في سرير السماء».

*

هوذا،

بين الأعراب، يقلّب

أوراق الصحراء،

معه مولى^(١)

من أهل الأخساء.

معه مولى آخر^(٢)

قاذ الجيش

لدخّر الأعداء.

* زهرة طافية

فوق ماء: لها حين تنأى جسدً باذخ

ولها حين تدنو قدم حافية.

(١) هو يحيى بن محمد الأزرق، ويُعرف بالبحراني وقد سبقت الإشارة إليه، وإلى مقتله.

(٢) اسمه سليمان بن جامع.

هوامش



وَمَنْ يَكُ ذَا فَمُ مَرِيضٍ
يَجِدُ مُرًا بِهَ الْمَاءِ الزُّلَالًا.

المتنبي

ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن
العباس بن جريج . مات سنة
٢٨٣هـ .

بهدوءٍ ، يرفق

أخذَ الضَّوءُ فرشاته

أخذَ الضَّوءُ يرسم في الحقل قبراً

بحروفٍ من العشب ، حول الحروفِ

زهوّرَ : لَيْلَكَ

وورود

وفي آخر الحقل بيّت

يتمايل حزناً كعبادِ شمسٍ .

أيها الضَّوء ، من أين تعرفُ أنّ الذي يسكن

القبرَ ، حُبٌّ ؟

البحثري

مات سنة ٢٨٣هـ.

سكبت وردةً عطرَها

في يد الرِّيح - تفرع بابَ المساء

لملاقاته .

فوض الشاعر المنور للرِّيح أوراقه -

لم يقل: كيف؟ لم يتساءل

لم يَسْأَلْ أن يعكّر هذا اللقاء .

أحمد بن الطيب السرخسي

توفي سنة ٢٨٦هـ.

فيلسوف قرأ على الكندي.

قبل: قتله المعتضد لأنه دعا

إلى الإلحاد. وكان مستشاراً

عنده. ترك مؤلفات عديدة

بينها: المسالك والممالك،

كتاب السياسة، كتاب

الموسيقى الكبير، كتاب

الشاكين وطريق اعتقادهم،

كتاب النفس، وصف مذهب

الصابئين، كتاب أنولوطيقا،

كتاب قاطيغوريوس، كتاب

الأرتماطيقي والجبر

والمقابلة، المدخل إلى

صناعة النجوم، القيان، اللهور

والملاهي.

وقيل: اخترع أبجدية

صوتية في أربعين حرفاً لكي

تؤدي بالعربية أصوات اللغات

الأجنبية، المعروفة في عصره

(الفارسية، السريانية،

اليونانية).

اسألوا السيّد الخليفة:

هل كان يعقل؟

هل كان يعرف ماذا يقول اسمه؟

واسألوهُ:

ما الذي كان يهرّف عن دينه علمه؟

ولماذا،

إن يكن قرشياً ومن ورثاء النبيّ

قَتَلَ السَّرخسيّ؟

إسحق الأحمر

توفي سنة ٢٨٦هـ.

كوفي - زعموا

أَنَّ لَهُ أَوْراقاً

سَمَّاهَا بَعْضُ الْقُرَّاءِ كِتَاباً

فِيهِ زَنْدَقَةٌ، وَثَنُوا: فِيهِ قَرْمَطَةٌ.

وَرَوَوْا: كَانَ لَهُ أَصْحَابٌ

سَمَّوْهُمْ إِسْحَاقِيَّةً

كَانَتْ لَهُمْ فِي لَيْلٍ عَلَيَّ

صُورٌ وَمَعَانٍ

لَا تَفْصَحُ عَنْهَا

إِلَّا رُؤْيَا لَاهُوتِيَّةً.

ابن القط، أحمد بن معاوية

توفي سنة ٢٨٨هـ. من
بيت الخلافة الأموي في
الأندلس. كان عالماً بالهيئة
والنجوم. ثار وهاجم جليقية
Calice، ودعا أهلها إلى
الإسلام. خذله من معه. قُتل
ونصب رأسه على باب
سمرة.

لا النجوم ولا هيئة الفلك

نصرتك، استعنت بما لا يعين

ومن لا يعين. لماذا

خنت أبهى وأقرب عون

لما كنته - مقولك؟

وأرى رأسك الآن يعلو ويصرخ:

ها، هيت لك

أيهذا الفلك.

ثابت بن قرة

في الأخبار أنَّ له نحواً
من مئة وخمسين كتاباً في
الطب والفلسفة والعلوم
والهندسة والموسيقى، وأنه
كان يحسن أكثر اللغات
الشائعة في عصره. توفي سنة
٢٨٨هـ - ٩٠١م. كان طبيباً
وفيلسوفاً ورياضياً.

كان بين العلوم وما بينه جسرٌ

تَصِلُ النَّارُ بِالسَّحَابِ

وبالبدعة الصلاة،

ألهذا،

كان يؤوي العناصرَ في أصغرِ

ويعرف أسرارَ كلِّ اللغات؟

أبو علي نطّاحة

توفي سنة ٢٩٠هـ. من
الكتاب المترسلين. مات
قتلاً. له «صفة النفس»، وهي
مجموعة رسائل من ألف
ورقة، كما يقال، وله «طبقات
الكتاب».

«صِفَةُ النَّفْسِ» تَبْكِيكَ وَ «الطَّبَقَاتُ»، وَلَكِنْ

لَا الرِّسَالُ نَطَّاحَةٌ، لَا الْكَلَامُ رِمَاحُ

وَالسِّیُوفُ الَّتِي تَقْطَعُ الرِّقَابُ

تَتَرَبَّصُ فِي شُرَفَاتِ الْكِتَابِ.

هَلْ تَقُولُ لِمَنْ سَوْفَ يَخْلِفُ ذَاكَ الشَّرَارَ الَّذِي قَدَحْتَهُ
حُطَّالَكَ: اعْتَبِرْ، وَاتَّعِظْ؟

هَلْ تَقُولُ لِأَوْرَاقِكَ ارْسَمِينِي

أَثَرًا مِنْ جِرَاحِ

رَفَثِ عَشْبٍ عَلَى جَسَدٍ مِنْ تَرَابٍ؟

ابن وحشية

توفي سنة ٢٩١هـ.
كلداني أو نبطي، عالم
بالكيمياء، ينسب إليه
الاشتغال بالسكر والشعوذة،
وينعت بالصوفي. من كتبه:
ترجمة كتاب الفلاحة النبطية،
شوق المستهام في معرفة
رموز الأعلام.

أيها العالم السّاحرُ المستهَامُ
ما الذي قالت الكيمياءُ، ترى كان عقلك في وجهةٍ،
وقلبك في وجهةٍ -

حين أوغلتَ فيها؟ ولم السّحرُ؟ شَعَوَدْتَ -
قالوا. وتَصَوَّفْتَ: قالوا،

وخلطتَ الكلامَ

بِتخاييلِكَ -

اصْدُقِ القولَ:

مِنْ أين يَأْتِي إلى النَّاسِ هذا الظَّلامُ؟

ابن المعتز

قتل سنة ٢٩٦هـ.

وَلَهُ فِي يَنْقُضُ يَشْطَحُ

حَتَّى كَأَنَّ عُرُوقِي لَهُ مُنْهَدَرٌ

وَلَهُ - أَتَعْلَمُ فِيهِ

كيف تحيا سواء

لغتي وتباريحها

والحقول، وهذي الغيوم، وتلك السماء،

وهذا السَّجَرُ.

ابن الراوندي

قتل صلياً سنة ٢٩٨هـ -
٩١٠م. قيل: ترك مئة وأربعة
عشر كتاباً لم يصل شيء
منها. بقيت أسماء بعضها:
الدامغ للقرآن، التاج، فضيحة
المعتزلة، الزمردة، نعت
الحكمة، قضيب الذهب.

قال ابن الأثير في
حوادث سنة ٢٩٨هـ: «مات
في هذه السنة أحمد بن
يحيى بن إسحاق أبو الحسين
البغدادي المعروف بابن
الراوندي الماجن، المنسوب
إلى الهزل والزندقة، كان أبوه
يهودياً فأسلم هو. فكانت
اليهود تقول للمسلمين:
«احذروا أن يفسد عليكم هذا
كتابكم، كما أفسد أبوه علينا
كتابنا». صُفِّ كتاباً كثيرة في
الزندقة، منها: بعث الحكمة
في تقوية القول بالاثنتين،
وكتاب الدامغ للقرآن، وكتاب
الزمردة، والتاج والفريد.
وأمره في الزندقة والمخرقة
أشهر من أن يذكر. عليه
اللعنة والجزي».

- ١ -

وصفوه: «غاية في الذكاء»

قَدِمُ الكونِ - لا صانع، لا نبوة: بعض
من مقالاته.

كان يطعنُ مستهزئاً
بالشرائع والأنبياء.

- ٢ -

قال يوماً لإحدى مريداته:

«بعض روعي يحيى

في كتاب، وبعضُ

في كتاب، وبعضُ

في مكانٍ غريبٍ لا طريقَ له.

هل أصدقَ وهمي

أم أقول: بلى، لستُ حيّاً

ولا أتحركُ إلا بجِسمي؟».

VII

وما تَسْعُ الأزمانُ
عِلْمِي بِأَمْرِهَا . . .

المتنبي

مِنْ أَيْنَ، كَيْفَ تَمَشَّتْ فِي دَمِي حَلْبُ؟
 سَقَيْتَهَا لَغْتِي، حَتَّى إِذَا سَكِرَتْ
 تَمَرَّدَتْ، وَسَبَّاهَا سُكْرُهَا الْعَجَبُ
 هَلْ جِئْتُهَا لِأَرَى نَفْسِي، كَمَا فُطِرَتْ
 أَمْ جِئْتُ أَوْغَلَ فِي نَفْسِي، وَأَغْتَرَبُ؟
 لِقَامَةِ الشَّعْرِ تَزْهُوْنِي وَتَلْبَسُنِي
 خَلَعْتُ ثَوْبِي: لَيْلِ الْكَوْنِ مُؤَلِّقُ
 بِمَا أَبُوحُ، وَعَطَرَ الْخَلْقَ مُنْسَكِبُ.
 أَخِيْتُ فِي كَيْمِيَاءِ الشَّعْرِ أَخِيلَتِي
 حَتَّى تَمَازَجَ فِي الزَّوْمِ وَالْعَرَبُ
 لَا نَارَ فِيَّ إِذَا لَمْ تَشْتَعَلْ مَطْرَأً
 لَا مَاءَ فِيَّ إِذَا لَمْ يُجْرِهِ اللَّهْبُ،
 مِنْ أَيْنَ، كَيْفَ تَمَشَّتْ فِي دَمِي حَلْبُ؟

هوذا^(١) في البصرة،
 كان الناس سُكَارَى
 بطراً، أو كانوا
 يُخْتَضِرُونَ هَوَاناً.

خَرَكَ فِيهِمْ جَمَرَ الرَّفْضِ، -
 دَعَا السَّبَّانَ (وكان يقال لهم:
 غُلَمَانٌ). كَثُرُوا،
 قَامَ خَطِيباً فِيهِمْ:
 «سَبِّدْ هَذِي الْحَالُ
 وَيَكُونُ لَكُمْ
 مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ -
 أَرْضاً، أَوْ مَالاً».

* أَوْلُوا أَنَّهُ

لَا يَقُولُ بِمَا قَالَهُ الْأَنْبِيَاءُ
 أَوْلُوا أَنَّهُ
 يَتَهَيَّأُ كَيْ يُصْلِحَ السَّمَاءُ.

- ب -

أُذِرْكَ الْآنَ أَنِّي فِي حَيْرَةٍ فِي عَذَابٍ:
لا أَرَى مَا يَمَيِّزُ هَذَا الْحَجَرَ
عن بَوَارِقَ خَلَابِيَةِ.

أُسَمِّي

واقِعاً مَا أَرَى، أَمْ خِيالاً؟
أَمْ أَقُولُ: التَّنْظُرُ

هو طَوْرًا تَرَابٌ، وَطَوْرًا

سَرَابٌ؟

كَادَ أَنْ يَصْرَحَ التَّرَابُ: انْفِجِرْ، أَيُّهَا الْمَاءُ،
لَمْ يَبْقَ غَيْرَ الْخَرَابِ.

*

فِي عَسْكَرِهِ،

قَالَ لِكُلِّ مَوَالِيهِمْ:

«اسْرِفْتُمْ فِي قَهْرٍ

الْغُلَامِينَ، وَلَوْ لَمْ يَشْفَعْ

أَصْحَابِي فِيكُمْ،

لَقَتَلْتَكُمْ.

هَيَّا، انْطَلِقُوا،

لَكِنْ،

إِنَّا كَمْ أَنْ تَزُورُوا

شَيْئاً مِمَّا شَاهَدْتُمْ

عِنْدِي».

* رُبَّمَا،

لَمْ يَعِدْ أَيُّ مَعْنَى لِرَأْسِكَ، إِلَّا
أَنْ يَكُونَ مَرْوَقًا.

- ج -

حَضَنْتُ عَضْرِي - أَطْوِيهِ وَأَنْشُرُهُ
أَخْطُهُ وَأَغْنِيهِ، وَأَرْتَجِلُ
أَزُورُ أَرْضَ صَبَابَتِي، أَطُوفُ بِهَا
أَقِيمُ، أَنْقُضُ مَا أَبْنِي، وَأَرْتَجِلُ
مَنْوَرًا بَدْمِي، مُسْتَفِيرًا وَلَهِي
كَأَنِّي بِرَحِيقِ سَاحِرِ ثَمَلٍ،
طُوفَانُ حَبِّي مِثَاقِي، فَلَا قَلْقِي
يَبْلَى، وَلَا جُرْحِي الْخَلَّاقِ يَنْدَمِلُ.

*

قال زُمَيْسٌ^(١):

- «عِلْمَانُ أَبَاقٍ،

وَعِدَا يَمْضُونَ، فَلَا يُبْقُونَ
عَلَيْكَ، وَلَا يُبْقُونَ عَلَيْنَا.
لَا تَأْخُذْهُمْ، خُذْ مَا لَكَ».

- «لِلْعَبْدِ الْحَقِّ بَضْرَبُ

المولى»، قَالَ، وَأَكْمَلُ:

«قَوْمُوا، وَلْيَضْرِبْ كُلُّ

مَوْلَاهُ بِجَرِيدِ النَّخْلِ،

لَكُمْ أَنْ تَخْتَارُوا فِيهِمْ

مَا تُبْتَغُونَ -

إِلَّا الْقَتْلُ».

* يَا هَذَا الْفَطِنُ، الْجَوَابُ، الْحَذِيرُ
الْتَمَلْ،

قُلْ لِي، عَلِمَنِي

كَيْفَ تُدْخِرُ قُرْصَ الشَّمْسِ،
وَكَيْفَ تَسْوِسُ الرَّمْلَ؟

الْتَحِيَّةُ مِنْ أَوَّلِ

لِلسَّوَادِ لِأَهْلِ السَّوَادِ لِهَذَا النَّهَارِ
الَّذِي بَدَأَ الْآنَ يَسُودُ فِي/
عَرَفْتُ السَّوَادَ الَّذِي يَتَحَدَّرُ مِنْ جَسَدِ
الْشَّمْسِ، حِينًا، وَمِنْ جَسَدِ اللَّيْلِ،
حِينًا،
وَأَعْرِفُ جِنْسَ الثَّقُوبِ الَّتِي فِيهِ، أَعْرِفُ
مَا تُخْبِيءُ الثَّقُوبُ / السَّوَادُ مَدَانَا
وَالسَّوَادُ مَوَاتِقُنَا وَهَوَانَا.

*

يَوْمَ الْفِطْرِ،
هَبَّ الزَّنَجَ جَمِيعًا، وَانضَمُّوا
مُنْقَادِينَ إِلَيْهِ فِي مِثْلِ السَّحَرِ.
حَيَاهُمْ،
وَدَعَا لِصَلَاةِ الْفِطْرِ، وَصَلَّى
صَلُّوا، قَامَ خَطِيبًا
فِيهِمْ.

أُنْكَرَ مَا كَانُوا فِيهِ
مِنْ سُوءِ الْحَالِ، وَأَقْسَمَ
أَنْ يُنْقِذَهُمْ،
وَيُمْلِكَهُمْ -
أَمْوَالًا وَبُيُوتًا.

* أَلْحَقُولُ الْأَزَقَّةَ مِنْ وَقَعِ أَقْدَامِنَا
تَجْفَلُ، -
أُتْرَاهَا أَعَاصِيرُنَا
بَدَأَتْ تُقْبَلُ؟

أَتَيْقُنْ: هذا دُواري

ليس لي مِن مكانٍ.
حَلَبَ تَتَضَاءُلُ، والأَرْضُ
ضَاقَتْ.

سَأَفَوِّضُ أَمْرِي لِعَفْوِ الْفَضَاءِ
سَأَقُولُ لِنَفْسِي: كُونِي
كُرَّةً، وَالْبَسِينِي
وَاهْبِطِي وَاضْعِدِي
فِي الظُّنُونِ عَلَى دَرَجِ الْكِيمِيَاءِ.

*

قال نبي الزنج:
انْسَالَ الْجَبَرُ الْأَسْوَدُ
فَوْقَ صَحَائِفِ هَذَا
الْعَالَمِ:
ليس هناك بياض
إن لم يُلَفَّخْهُ
أَلَقُ زَنْجِي.

* هو هذا دَمُ اللَّانْهَيَاةِ

دَافِقًا - تعجبون؟ رويداً
بعدُ، لم يُولَدِ الْكَلَامُ، ولم
تَبْدَأِ الْحِكَايَةُ.

حَلَبٌ -

كيف أُنْفُوكِ، أَرَى زَهْرِي فِي حَوْضِكِ
 أشجار لقاحاتكِ، والَطَّلَعَ كما
 كان، ولا يجمعنا الآن سوى
 جَمْرِ الشَّتَاتِ؟
 هوذا أشعل قنديلَ ظنوني
 هوذا أقرؤكِ الآن، وأَسْتَقْرِئُ ما
 كُنْتُ
 وأَسْتَطْلِعُ أغواركِ في كلِّ
 الجهات... .

*

كان الجيش بدون سلاح.
 بدأوا بثلاثة أسياف:
 سيف علي،
 سيف ابن أبيان،
 سيف محمد.
 كان النصر حليفاً لهم
 في أول حربٍ خاضوها.

غنموا أموالاً وسلاحاً
 قتلوا أعداء. قالوا:
 «حملت كل رؤوس المقتولين
 فوق بغال المهزومين».

* نَمْلَةٌ خَيَّمَتْ

فوق رأسِ الجَبَلِ،
 تتساءل: مِنْ أَيْنَ تَوْتِي السَّمَاءُ،
 وما سيكون العملُ؟

- ز -

قَصَّرَ مِنَ الرِّيحِ يَطْوِينِي وَيَشْرِنِي، -
 لَمْ يَزَوْ مِنْ حَلَبِ ظَنِّي، وَلَسْتُ بِلَا
 شَكٍّ يُلْحِ، وَمَا ضَاقَتْ بِهَا سُبُلِي.

وها أنا بين أَيْامِي وَأَخْيَلْتِي
 مُبَعَثَرٌ بِطَرٍّ هَشٍّ وَبِي شَعَفٌ
 يَطُوفُ يَبْحَثُ مَجْرُوفًا بِلَهْفَتِهِ
 كَأَنَّهُ يَقْنَصُ التَّارِيخَ فِي حَجَرٍ
 يَنَامُ فِي الرُّمْلِ، أَوْ فِي رَاحَتِي طَلَلٍ.

*

قال نبي الزنج:
 الرغبة في الأشياء
 دَمُ الأشياء.

* واضحٌ مُبْهَمٌ، لا يَبُوحُ ولا يَكْتُمُ:
 شَبَّحَ لِلْكَلامِ، لأخرف وَضِلِ
 وَفَضِلِ،
 على وجهه يُرْسَمُ.

الآن، كلانا

يشكو ظُلم الآخر، يشكو

بعد الآخر عنه.

يسأل كل منا:

كيف، لماذا لا نتساوى؟

من أين سنبدأ؟ متى؟ حسناً

لا أملك إلا الجرح فخذهُ

كي نتقارب، كي نتساوى.

وَأدْلَكَ: حدق، هذي طرقي

أكداس غيوب ومرارات

هل تسلكها

كي نتلاقى، كي نتقارب، كي نتساوى؟

أتراني إن أعطيتك ملكي هذا

نتباعد، أم نتقارب، أم نتساوى؟

* الضياء الذي حملته إلى الشارع

الشمس: بعض

أخذته المفارق، بعض

أخذته الزوايا.

بقي العابرون يسرون في ليلهم.

*

فوضى - خاف السودان

أن يرجعهم لمواليهم.

جاء إليهم، طمأنهم.

قال: «انتوني، وأحيطوني،

ليكن حولي منكم جمع

وليفتك بي،

إن أحسنتم مني غدراً.

لم أخرج أبداً لحطام

أو عرض من أعراض الدنيا.

لم أخرج إلا غضباً لله،

ولما يملأ هذي الأرض

فساداً».

- ط -

هذا زمني؟ لا، لا شيء يربطني
بحبله، لا مقالات ولا كتب
مدّ الفرات يديه، ضارِعاً لِعَدِ
يرجّه، ويكت أنفاسها حلب
لم يبق مُتَسَعٍ لِلَّيْلِ في جَسدي
كأنه غَابَةٌ سَوْدَاءُ تَلْتَهَبُ
تركت شِعْري في جرداء قاحلة
يَسْري، وراحلتاه الرِفْضُ والغَضْبُ
لي من دُجَاهُ كَشُوفٌ تَسْتَضِيءُ بها
أَفلاكُ نفسي، ولي من نوره حجب.

*

«لا تنتهبوا»^(١) شيئاً
من هذي القرية،
لا تُسبُوا أحداً.
مَنْ يُقْتَلْ،
يُقْتَلْ».

* بين أفراحه ينام،

وفي حزنه يستفيق

هو كالأرض: جسمٌ يظلّ جديداً
وجرحٌ عتيق.

(١) الكلام لقائد الزنج.
والقرية تدعى الجعفرية، على
نهر دجلة.

- ي -

لا أريدُ طمأنينةً، بل أريدُ الترنحَ
 في طرفِ الخيطِ،
 في آخرِ الأفقِ، أو بين
 مَهْوَى ومَهْوَى.
 هكذا عِشْتُ حربي - حربي
 لم تكن خارجاً،
 مع الآخر الصديقِ، أو القاتلِ،
 حربي في داخلي.

*

كان لعلِّي أصحابُ
 ينضمون إليّ في
 عُزَلَتِي،
 يساقفونَ الخمرَ،
 وكانت

جِلَّةً في عُنُكِهِ.

* لم يَجِئْهُ من العيشِ إلاَّ التقلُّبُ
 في تيهِ جُرحٍ وداءِ،
 لم يَجِئْهُ من التيهِ إلاَّ فضاءٌ يقوِّدُ
 الفضاءَ.

- ك -

مِنْ زَمَانٍ، وَتَعْرِفَ عَنِّي هَذَا،

أَتَشْهَى الرَّحِيلَ

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمَتَرَدِّدُ فِي دَاخِلِي، يَا دَمِي.

هُوَذَا أَنْتَ، فِي ذُرُوبِ التَّرْحُلِ - عَيْنَاكَ،

صَدْرُكَ، أَحْشَاؤُكَ الْوَدِيعَةُ

مَحْرُوقَةٌ،

وَالْجِرَاحُ الَّتِي مَرَّقَتْكَ يَنَابِيعُهَا.

كَانَ يُغْرِيكَ هَذَا الدُّخُولُ إِلَى كُلِّ مَا لَا يُطَاقُ

وَهَا أَنْتَ الْآنَ فِي وَحْدَةٍ:

أَنْتَ وَالْمُسْتَحِيلَ.

*

قَالَ نَبِيُّ الرَّجَجِ:

الْعَالَمُ - هَذَا الْعَالَمُ،

عَهْدُ

مَعَ طَغْيَانٍ عَاهِدَ عَزْشَا،

وَأَنَا مِنْ هَذَا الْعَهْدِ بُرَاءً.

*

أَوَّلُ سَبَبِي^(١):

غِلْمَانُ،

مَالٌ وَجِلْمِي،

ذَقَبُ

وَنَسَاءُ.

* أَعَارَهُ اللَّيْلُ عَيْنِيهِ، وَأَسْلَمَهُ

خِيطَ الرَّوْىَ لِفَضَاءِ الْحَلَمِ وَالصُّورِ

لَمْ يَقْرَأِ الْأَرْضَ إِلَّا وَهِيَ حَانِيَةٌ

عَلَى الرَّمَادِ، وَلَمْ يَكْتُبْ سِوَى

الشَّرِّ.

(١) من قريتي القادسية
والشيفيا، لأنهما لم تُسَلِّمَا له
قاتل أحد أصحابه، كما ذكر
الطبري.

كَبُرَتْ خَطَوَاتِي
وَدُرُوبِي صَغُرَتْ:

أَيْنَ أَوْجَهَ وَجْهِي؟
مِثْلِي ذَاكَ الْجَبَلُ الضَّخْمُ: لَهُ آفَاقٌ
وَلَهُ دُرُوَاتٌ.

كَيْفَ اسْتَفْصَى أَسْرَارِي
وَتَغْلَغَلَ فِيهَا،
وَاسْتَسَخَّ هَمِّي،
كَيْفَ تَمَاهَى مَعَ أَحْلَامِي؟

*

حَرَمَ شُرْبِ الخمر، لِئَلَّا
يُسْغَلَ مَنْ كَانُوا مَعَهُ
بِحُرُوبٍ أُخْرَى
فِيمَا بَيْنَهُمْ.

*

أَسْرَى،
وَرَوْوَسَ قُطِعَتْ.

* تَعَبْتُ قَدَمَا نَهْرٍ قَوِيْقٍ. لَنْ يَشْفَى
بَعْدَ الْآنِ. قَوِيْقٌ شَيْخُ نَبَاتٍ، طِفْلٌ
حَقُولٍ،
لَمْ يَحْمَلْ غَيْرَ صَفَاءِ الْمَاءِ،
مَنْ أَيْنَ أَتَاهُ ذَاكَ الدَّاءُ؟

أَتَهَجِّي الْبِلَادَ:

الْيَمِينَ الشَّمَالَ الْوَرَاءَ الْأَمَامَ

أَتَهَجِّي الْعُلُوَّ، الْأَسْفَلَ -

مَا كَانَ مِنْ كَلِمَاتٍ

وَمَا لَمْ يَكُنْ.

وَأُنَادِي، وَأُضْغِي، وَأُشْعِرُ أَنِّي

مُوثَّقٌ بِخَطَايَ، كَأَنِّي أُنَادِي

غِيَابِي، وَأُنَادِي الظَّلَامَ.

* أَأَقُولُ: أَفْرَغْنِي دَمِي مِنِّي،

وَمَزَقْنِي سِتَارِي؟

حَلَبْ تَنْ مَعِي - تَحَلَّ إِزَارَهَا

بِيَدِي، وَتَدْخُلْ فِي إِزَارِي.

*

سَقَرُ:

بَعْضُ الْحُجَّاجِ، وَتُجَارَ.

قَالُوا: لَسْنَا

مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ،

فَأُطْلِقَ كُلُّ مِنْهُمْ.

*

قَالَ نَبِيُّ الزَّرْنَجِ: أَفِيَقُوا،

هَذِي الْأَرْضُ قَطَافٌ

وَالزَّرْنَجُ رُخَاءٌ.

عَالَمٌ - مَشْهَدٌ

- ن -

*

نَهْرُ شَيْطَانٍ^(١)

ضَلَّلَنِي عَنْ صَاحِبِي

ضَلَّلَهُمْ عَنِّي .

أَمْشِي - فِي رِجْلَيَّ نَعْلٌ

سِينَدِي

وَعِمَامَتِي انْخَلَّتْ .

أَمْشِي - قَصْرَتْ . تَحِيرُ

صَاحِبِي مِنْ فَقْدِي .

سَكُنُوا حِينَ رَأَوْنِي .

أَخَذَ الْبَصْرِيُّونَ مَتَاعاً

مِثْنِي :

كُتِبَ ، إِضْطَرَّ لَا بَابٌ . . .

* هل غدت نارهُ

مِثْلَ مَاءٍ عَلَى الْمَائِدَةِ؟

هل أقول التَّحِيَّةَ مِنْ أَوَّلٍ ، أَمْ أَقُولُ

التَّوَهُجَ مِنْ أَوَّلٍ ،

لِبَرَاكِينِهِ الرَّاقِدَةِ؟

(١) فِي إِحْدَى الْمَعَارِكِ عَلَى
نَهْرِ يُسَمَّى «نَهْرُ شَيْطَانٍ» .
(الطَّبْرِي) .

كُلُّ يَجْهَرُ: «حَقًّا،

لِلَّهِ،

لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ،

لِلْأَمْرَاءِ وَلِلْفُقَهَاءِ، الْأَمْرُ،

وَيَتَابِعُ كُلُّ:

«أُحْيِي رَأْسِي -

مُلْكِي هَذَا الْفَقْرُ، وَهَذَا

الْأَمْرُ.»

كَلَّا، كَلَّا يَا آدَمَ

«مَمْلُكَتِي لَيْسَتْ

مِنْ هَذَا الْعَالَمِ.»

* إِغْوَاءُ مُفْتَرِقٍ وَوَسْوَسةِ اخْتِبَارٍ:

أَهْنَاكَ مَا يَخْتَارُهُ؟

أَيَفْرُ مِنْ طِينٍ إِلَى طِينٍ، وَمِنْ نَارٍ
لِنَارٍ؟

*

سَاعَةُ عُسْرِ!

يَا رَبِّ أَعْنِي!

... وَرَأَيْتُ طَيوراً بَيْضاً

تَتَلَقَّى جَمْعَ الْأَعْدَاءِ

غَرِقَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

قُتِلَتْ طَائِفَةٌ

هَرَبَتْ طَائِفَةٌ

أَكْثَرُ مَنْ فِي هَذَا الْجَمْعِ أُبِيدُوا.

يَوْمَ سَمَوَهُ يَوْمَ شَذَا^(١) -

جَاؤُوا بِرُؤُوسِ الْقَتْلَى،

جَاءَ النَّاسُ لِيَأْخُذَ كُلُّ مِنْهُمْ

رَأْسَ أَبِي،

أَوْ رَأْسَ ابْنِ،

أَوْ رَأْسَ قَرِيبٍ.

(١) الشَّدَا جمع شَذَاة، نوعٌ من السَّفَنِ الخاصة في البصرة، في ذلك الوقت.

ويوم الشَّدَا: «قُتِلَ فِيهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ جَمَاعَةٌ مِنْ وَلَدِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الزَّمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ، لَا يُحْصَى عَدْدُهُمْ». (الطبري).

- ع -

حَلَيْتُ أُمَّهُ، وَعَنِيتُ الْأَمِيرَ،

(خِلَافاً لِمَا تَعْرِفُ النِّسَاءَ)،

كَمَا تَحْبِلُ الْغَيُومَ

أَرْضَعْتُهُ (خِلَافاً لِمَا يَعْرِفُ الْآخَرُونَ)،

كَمَا يَرْضَعُ الصَّوءُ ثَدْيَ الثُّجُومِ.

هَكَذَا يَرِثُ الْحَرْثَ وَالزَّرْعَ،

يَمْتَلِكُ الْأَرْضَ وَالْعَالَمِينَ

بِاسْمِنَا، نَحْنُ عَبْدَانُهُ

وَأَعْوَانُهُ،

الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، التَّابِعِينَ.

*

مَا لَمْ يُؤْخَذْ مِنْهَا

وَضَعُوهُ فَوْقَ بَسَاطٍ

مِنْ خَشَبٍ.

قَذَفُوهُ فِي الْجَزْرِ إِلَى

الْبَصْرَةِ

جَاءَ النَّاسُ إِلَيْهِ

كُلُّ

يَأْخُذُ رَأْسًا يَعْرِفُهُ.

* تِلْكَ نَارِي وَحَرْبِي :

لَا أَتَابِعُ إِلَّا هَوَايَ :

وَلَا عَرْشَ لِي غَيْرُ قَلْبِي .

- ف -

عندما تكتب الشمس شعير الفضاء،

وتُسأل عما تبقى

عندما يلبس الفجر تاج الزمان،

ويكتب تاريخه،

وتُسأل عما تبقى، -

ما الذي يتبقى من الرّان من ثلّ بطريق،

أو قلعة الحدث،

غير تلك الجُثث؟

*

قال نبي الزنج:

بيوض كواكب

تُحَضّن في أعشاش

الرّفَض،

سُعيد عيد الأرض.

* تجلس اللانهاية

خُرساء في وكر

نَملي.

- غَنُّ، صَلُّ، ابتهج

للمكان الذي صار فينا زماناً

للزمان الذي صار فينا مكاناً

غَنُّ، صَلُّ، ابتهج للسقيفة:

لا تزال إلى الآن ممدودة

كي، يَجِيءُ الخليفة.

- تتحدث عن وطن، أم بقايا دَمَن؟

وطني حيث شعري حرٌّ، وبيتي حرٌّ،

وحبي حرٌّ،

- غَنُّ، صَلُّ، ابتهج

لا مكان لهذا الوطن.

*

ما أَوْهَنَهُم - أَهْلَ البَصْرَةِ

لا تَجْمَعُهُمْ آيَةُ فِكْرِهِ!

يا زَبُّ، أعني

في تعجيل خراب

البَصْرَةِ!

خُوطِبْتُ: «البَصْرَةُ بين

يديكَ رَغِيفٌ. كُلُّهُ،

وإبدأ بالأطراف».

تراءى

نصف رَغِيفٍ، مكسور.

قلت: كمثل كسوف القمر،

اليوم، غداً، أو بعد غدٍ.

* إِمَضِ، طَمَنِّ رُؤُوسَ العبيدِ

سيفه ليس وقفاً على القَطْعِ والبَثْرِ،

فالسيفُ أيضاً نَشِيدٌ.

سَرُوجٌ، سِمْنِينَ، حَضْنُ الزَّانِ، خَزَشَنَةٌ^(١)

رُؤَى عَلَى عَتَبَاتِ اللَّهِ تَزْدَجُمُ

لَأَرْسِنَاسَ^(٢) هَدِيرٌ فِي جَوَانِبِهَا

كَأَنَّهُ، حِينَ تَطْفَى، سِيلُهَا الْعَرِمُ

«تَرَعَى السَّيْفُ بِهَا»^(٣)، فِيمَا تُعَانِقُهَا

نَارُ الْقِتَالِ، «نَبَاتًا إِسْمُهُ اللَّمَمُ».

أَضْرَفْتُ جَمْرَةَ شَعْرِي فِي مُوَاجِعِهَا

حَتَّى التَّوَى الرَّمْحُ مِمَّا قَالَهُ الْقَلَمُ

وَلَمْ تَكِ الْحَرْبُ حَرْبِي، كُنْتُ مِنْ وَلَئِهِ

قِيَارَ حُبٍّ، وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ النَّعْمُ

وَالْيَوْمَ أَهْجَرُ: هَجَرِي فِي تَمَرْدِهِ

بَوُحِ الْمَوْلَى - لَا شَكْوَى، وَلَا نَدَمُ.

*

جاءوا،

جاءت قبلهم نيران

في المريد، في زهران،

بني حمان

في وقت واحد.

أهل البصرة بين الهارب،

والمتبلد، والساجد.

ذاك تمام الرؤيا

بتمام خراب البصرة!

* ضَعَّ يَدِيكَ عَلَى وَجَّتِي، نَاكُذْ

أَنَّ رَأْسِي يَأْسِي.

(١) أسماء أمكنة تاريخية شهدت معارك وحروباً بين سيف الدولة والروم.

(٢) اسم نهر.

(٣) ما بين المزدوجتين للمتنبي.

ما تكونين من بعد، يا حلب الشعر،

نهداك رمل

وعيناك معصوبتان

كيف لي أن أعود إليك؟

أخطأ الفقهاء بما قولوك،

وأخطأ تأويلهم والبيان.

عجباً! خِرقة

تحجب الشمس عن ناظريك.

*

قال نبي الزنج، غداة دخول

الزنج إليها:

«رُفعت بين يدي البصرة

أصحابي فيها طوفان

لا مهرب منه.

ورأيت كأن ملائكة

تأتي وتقاتل مع أصحابي.

نضري، لا من بشر

نضري رباني».

* أنكر ما شئت: فضاء الشعر وسر

الشعر،

لست غباراً،

كي أعلو فيك، وتعلو نحوي،

يا هذا العَصْر!

- ش -

حملتُ شَمْسِي وأَيَّامِي وأسْئَلَتِي
 وَرَحْتُ أَسْتَقْرِئَ الدُّنْيَا وَأُفْتَحِنُ، -
 لا أَرْضَ، لا وَطَنُ
 إِلَّا خُطَاكَ تَرَوُزُ المَوْتِ، تَفْتَحُهُ
 دَرْبًا،
 وشَعْرَكَ بَيْتَ المَوْتِ، والكُفْرُ.

*

قال نبي الزنج:
 التاريخ زواج
 بين الصورة والمعنى.

*

- هل انت نبي؟
 - أُعْطِيتْ نَبْوَةً هَذَا الدَّهْرُ،
 أَيْتُ،
 - لماذا؟
 - عِبْنَةُ أَخْنَى أَلَا أَقْدَرُ
 أَنْ أَحْمِلُهُ.

* بَلَدٌ بِاللَّهِ، بِكُلِّ نَبِيٍّ، شَبِمْ
 عَامِرُ
 فلماذا يَصْغُرُ
 يُصْبِحُ فِتْرًا
 حين يَسَافِرُ فِيهِ الشَّاعِرُ؟

(١) هو ابن أبي أحمد المتوكل.

مُرْهَقٌ بِسْطَوْعِي.

شَغَفِي الْآنَ، أَنْ أَتَحَوَّلَ ظِلًّا

أَنْ أَمَازِجَ سِرِّي بِسِرِّ الْهَبَاءِ،

وَأُعْطِي جِسْمِي

لِقَمِيصِ الْغِيَابِ،

شَغَفِي أَنْ أَكُونَ، تُرَابًا

وَأَدْخَلَ فِي كَيْمِيَاءِ السَّحَابِ.

(٢) «الفاسق»، «الفاجر»، «الخبث»... إلخ، من النعوت التي يطلقها الطبري على قائد الزنج، وداعيه إلى التوبة هو أبو أحمد بن المتوكل أي الخليفة الواثق.

*

قالوا: في واسطٍ أعطى

اللَّهُ أَبَا الْعَبَّاسِ^(١)

أَكْتَفَ الزَّنجِ، انْهَزَمُوا

وَارْتَاخَ هُنَاكَ النَّاسُ.

*

قالوا: دُعِيَ الْفَاسِقُ^(٢)

لِلتَّوْبَةِ مِنْ تَقْتِيلِ النَّاسِ،

وَمِنْ تَخْرِيبِ الْبُلْدَانِ،

وَمِنْ دَعْوَى

لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ لَهَا أَهْلًا.

لكن، لم يَأْبَهُ

وَأَزْدَادَ غُلُوبًا فِي ثَوْرَتِهِ.

* جَبَلٌ لَا يَرِيدُ سِوَى أَنْ يَكُونَ ذِرَاعًا،

لِسَمَاءٍ،

لَا تَرِيدُ سِوَى أَنْ يَقَالَ لَهَا: أَنْتِ

خَضِرٌ.

- ث -

هذا الصّباح - رمى ماضٍ فريسته
 في نحرها، وبكى ربّ على صمّ
 دمٌ يُضرج أقداماً وأقنعةً
 وثائرون يرون الشحم كالورم
 يؤرّخون لآتيهم بلا لغةٍ
 ويُشدون لماضيهم بلا كليم
 أتيت أسأل عن معنى، فأحدق بي
 سيفٌ، وشرّمني في صمته قلمي -
 «أتى الزّمان بنوه في شببته
 فسرّهم، وأتيناها على الهرم».

*

قال نبيّ الزّنج:

الطّوفان الطّوفان

كي تغرق مملكة
 الطّغيان.

*

قالوا: سيفٌ، رمحٌ، قوسٌ

عزاداتٌ ومجانيقٌ

مفلاخٌ وحجارٌ -

ذاك سلاحِ الزّنج،

- وكيف، إذن

فَرَوَا؟ فَرَّ عَلِيٌّ؟

* تاريخٌ يمشي:

بين يديه

تمشي الأشياء

من دون طريقٍ، من دون ضياءٍ، من
 دون قضاءٍ.

- خ -

مَنْ أَسْأَلُ؟ ماذا تَهْدِمُ؟ هذا

النَّرابُ الذي في؟ ظَنِّي؟ وَهَمَ التَّوَقُّعُ؟

ذاك الفضاء الذي كنتَ سَمَّيْتَهُ مَكَانِي

واصْطَفَيْتُ أَحِبَّائِي فِيهِ، وَأَشْرَعْتُ

غَابَاتِهِ لِرِيَّاحِ الْأَمَلِ؟

مَنْ أَسْأَلُ؟ ذاك الغراب الذي في؟ أم ذلك

الذئب؟ أم يَأْسِي المَرْ؟ أم غَضِبَ

الشعر يَصْعَقُ تَارِيخَ تِلْكَ العروشِ،

وتلك المحارِبِ، تِلْكَ المِائِلِ؟

ما بَقَائِي فِي حَلَبٍ، ما العَمَلِ؟

*

خُوصِرَ جَيْشُ الزَّيْجِ،

اسْتَأْمَنَ بَعْضُ،

بَعْضُ أُعْطِيَ مَالاً،

وَكثِيرٌ قُتِلُوا.

قالوا: خَزَوْا لِلزَّيْجِ

رُؤُوساً

لَمْ يُحْضَرُوا.

* فِي تَرْحَالِي،

أَحْمَلُ بَيْنَ يَدَيِ الرِّيحِ،

وَأَسْأَلُ تِيهِي عَنْ أَحْوَالِي.

*

قال نبي الزنج: بهي
أن تَزْتَدَ لجذرك، تُمسي
في مَذْرَاة الزنج غباراً.

يا رب أعني
كيف أعابن هذا المشهد؟
أتناسخ؟
أهبط في ملكوت
ضياتك،
أم أصعد؟

- ذ -

الوجوه التي حضنتني وأحببتها تضيق
والبيوت التي شربت ماء شعري
وحزكت جذرانها
ولها وانتشاء، تضيق،
والمسافة بين الجراح وآلامها تضيق.
غير أن المدار الصفّي الصديق
في المجاهيل في بوحها
وتباريح إشراقها،
عاهد الأرض في وفي خطواتي:
لن يضيق إليها مساري، لن تضيق الطريق.
أو، من أين؟ أتى، وكيف وماذا؟
أهنالك حقاً طريق؟

* يتنشق رائحة الواقع،
عارفاً كيف يدخل في كنهه، كاتماً
سِرّه.
ويظلّ يسافر فيه كنجم
يتشرد في فلك ضائع.

- ض -

السَّحَابُ رَفِيقٌ لَوْجَهِي، سَأَحْلُمُ:

قَلْتُ السَّحَابُ ثِيَابُ

بِتَخَارِيمِ ضَوْءٍ وَظَلٍّ.

أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ، اعْذِرُونِي، فَقَدْ ضَعُتُ

مَا عَدْتُ أَعْرِفُ. مِنْ أَيْنَ تَأْتِي،

وَلَا كَيْفَ تَأْتِي إِلَى جَنْبِكُمْ

كَلِمَاتِي،

وَأَسْمَحُوا لِي - أَجِبْ ضِيَاعِي

هَذَا،

أَتَنْوِّرُ سِرِّي فِيهِ،

وَأُسْرَحُ فِي ضَوْئِهِ خَطَوَاتِي.

*

أَسْرَى وَرُؤُوسَ

فِي شَذَوَاتٍ وَسُمَيْرِيَّاتٍ.

ضَلَبَ الْأَسْرَى وَتَدَلَّى

فِي كُلِّ مَكَانٍ رَأْسَ.

زَعَمُوا: كَانَ حَصَارًا،

فِيهِ تَبَشُّ الزَّنَجِ الْمَوْتَى،

دَفْعًا لِلْجُوعِ،

وَبَاعُوا الْأَكْفَانَ وَقَالُوا:

أَكَلَ الزَّنَجُ نِسَاءَ

أَكَلُوا أَطْفَالَ.

* فِي دَفْتَرِ الرِّيحِ بَعْضٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ،

وَفِي الْمَحِيطَاتِ بَعْضٌ مِنْ حَنَائِهِ

لَوْجَهه فَلِكُ شَطَطِ الْمَدَارِ بِهِ

كَأَنَّمَا صُنِعَتْ مِنْهُ مَرَايَاهُ.

حَلَبْ تَذْهَبْ

وَأَنَا مِثْلَهَا أَذْهَبْ

وَالظَّلَامُ هُوَ الْمُسْتَرِيحُ عَلَى عَرْشِهِ،

وَالضِيَاءُ هُوَ الْمَتْعَبُ.

أَيُّهَا الْكُوكَبُ الْجَامِحُ الْمَتَفَرِّدُ فِي نَأْيِهِ وَفِي

قُرْبِهِ،

هَلْ يَقُولُ لَكَ الضُّوءُ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ،

إِلَى أَيْنَ تَمْضِي؟

أَمْ تُرَى أَنْتَ مِثْلِي، غَيْهَبٌ حَائِزٌ

وَالْيَقِينُ الَّذِي يَتَفَتَّقُ، فِي بَعْدِنَا

وَفِي قَرْبِنَا، غَيْهَبٌ؟

✱

رَأْسُ نَبِيِّ الزَّنَجِ يُحَرِّزُ

وَيُلْقَى

بَيْنَ يَدَيْهِ^(١).

رَأْسٌ مِنْ أَحْلَامٍ

صَارَ رَمَادًا.

✱

جَاءَ نَبِيُّ الزَّنَجِ يَقُولُ

الزَّنَجُ نَجُومٌ أُخْرَى

فِي هَذَا الْمَرْقُ،

وَلَهُمْ فِي كُلِّ بَيَاضٍ عِزٌّ.

كَانَ جِزَاءَ الْقَوْلِ الْحَرْقُ.

✱ كَيْفَ أَقُولُ لِفَكْرِي:

انْظُرْ حَوْلَكَ أَتُكْرِ نَفْسَكَ حَيْثُ

حَلَلْتَ

كَيْ تَعْرِفَ كَيْفَ أَتَيْتَ وَكَيْفَ

ضَلَلْتَ.

- غ -

إِنَّه زَمَنُ الْإِبْتِدَاءِ

زَمَنُ الْمَاءِ يَسْتَنْبِتُ النَّارَ،

وَالرَّيْحُ تَتْرُكُ أَبْنَاءَهَا لِلْعَرَاءِ

زَمَنُ الْمَوْمِيَاءِ -

ضَارِباً فِي الْجُذُورِ، وَفِي

طَبَقَاتِ السَّمَاءِ،

زَمَنُ الْقَيْدِ وَالْحَدِّ وَالْأَرْضِ -

سَابِحَةً فِي الدَّمَاءِ

إِنَّه زَمَنُ الْإِبْتِدَاءِ

زَمَنُ الْخَلْقِ يُوْغِلُ فِي كَيْمِيَاءِ الْهَبَاءِ

زَمَنُ الْإِبْتِدَاءِ.

*

كَانَ نَبِيُّ الرَّنَجِ يَقُولُ

الَّيْلُ فِضَاءُ الْمَعْنَى

وَالْمَعْنَى لُغَةً

لَا لِلشَّرْعِ، وَلَا لِلْحَدِّ،

وَلَكِنْ

كَيْ تُخْلَقَ - بَدْءاً مِنْهَا،

لُغَةً أُخْرَى

وَمَعَانٍ أُخْرَى.

* لَمْ تَعُدْ حَلَبٌ غَيْرَ ذَاكَ الْغُبَارِ الَّذِي

قَذَفْتَهُ خَطَاهُ

نَحْوَ ذَاكَ الْمَكَانِ الَّذِي لَا مَكَانَ

سِوَاهُ.

هوامش



أنا الغريقُ،
فما خَوْفي مِنَ البَلَلِ؟

المتنبي

سمنون الصوفي

مات سنة ٢٩٨هـ. سَمَى
نفسه سمنوناً الكذاب لقوله:

«فليس لي في سواكَ حظٌ

فكيفما شئتَ فامتحنِي» .

ولأنه كان يطوف على
المكاتب ويقول للصبيان:
«ادعوا لعنكم الكذاب» .

لن تعرفني

لن تعرف كيف سترسم وجهي .

وجهي ماءٌ في عاصفةٍ -

هل تعرف كيف تحيط بوجه الماء

في عاصفةٍ؟

حقاً

غاب الشرُّ الخالق عنك،

وغابت معه

سُورُ الأشياء .

أبو القاسم الجنيد

مات سنة ٢٩٧ أو

٢٩٨هـ، «كان إمام الدنيا في

وقته»، كما يوصف، وكان

يُلقَّب «شيخ الطائفة»،

و«طاووس العلماء». وحين

مات، قيل: «اضطرب الوقت

لموته».

لم يعد يعرف أن يجلس في مجلسهم،

لم يعد يعرف أن يصغي إليهم

لم يعد يعرف أن يحيا كما يحيا سواه -

لم يعد يعرف غير الجبر،

مسكوباً على خيرته.

الجنابي القرمطي

قتل سنة ٣٠١هـ. يقال:

قتله خادم له صقلي، وهو
في الحمام، بهجر.

كَانَ فِي هَجْرٍ وَالْقَطِيفِ وَأَكْثَرَ مِنْ بَلَدٍ آخِرٍ،
يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، يُسَمَّوْنَهُ السَّيِّدَا

وَزَعَ الْمَالَ وَالْمَلِكُ مَا بَيْنَهُمْ
(لا أقول سوى ما روته التواريخ عنه)

وَتَحَكَّمُوا وَاسْتَأْصَدُوا،
وَتَفَرَّدَ فِي الْقَوْلِ: لَا كَتَبَ مَنَزَلَاتٍ إِنْ تَكُنْ حِجَّةً
لِلْقَوِيِّ لَكِي يَأْسِرُ الضَّعِيفَ، وَيَبْتَزُّهُ. الْأَرْضُ مِلْكُ
لِعَمَالِهَا، سِوَاءٍ.

قتلته يدا خادم!
هَجْرٌ، أَصْبَحَتْ هَجْرٌ
عِبْرَةٌ مُرَّةً، وَالسَّوَالُ يُكَرَّرُ:
مِنْ أَيْنَ يُبْدَأُ؟ أَيْ، وَكَيْفَ؟
بِمَاذَا، بِمَنْ يُعْتَبَرُ؟

النَّسَائِي، أَحْمَدُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ

توفي سنة ٣٠٣هـ. من
الفقهاء المعروفين، دفن في
بيت المقدس، أو في مكة -
في رواية أخرى.

صَلَّى فِي الزَّمَلَةِ - فِي جَامِعِهَا

سَأَلُوهُ:

- وَمَعَاوِيَةُ؟ وَفَضَائِلُهُ؟

مَا رَأَيْكَ فِيهِ؟

أَمْسَكَ. آثَرَ أَلَّا يَتَحَدَّثَ عَنْهُ

ضَرْبُوه حَتَّى الْمَوْتِ. جَحِيمٌ

أَنْ تَسْكُنَ أَرْضاً

صِمْتُكَ فِيهَا مَوْتُ

وَكَلَامُكَ مَوْتُ.

أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا

توفي سنة ٣١٠هـ -
٩٢٥م، وقيل: ولد سنة
٢٥٠هـ - ٨٦٤م. يوصف بأنه
«طبيب المسلمين»، ويلقب
بـ «جالينوس العرب»، وفي
حين كان الفكر السائد في
وقته يؤكد على دور النبوة
والوحي في المعرفة وإيقاظ
النفوس، كان هو يؤكد على
دور الفلسفة والعقل.

هذي صَحَارَى مراراتي - مزجتُ بها

غدي بوجهي

وفَجَرَ الأرضِ بالعَسَقِ

خليلي العَقْلُ - مَثُوراً على طَبَقِ

من الجراحِ، ومنظوماً على طَبَقِ

كَوْنٌ - سِبَاقٌ، وتُعْطِينِي أَعْيَتْهَا

إلى الأفاصي، خيولُ السَيِّدِ الأفقِ.

ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨هـ. كتب
قصيدة في رثاء ابن المعتز،
لكنه خاف من الخليفة
المقتدر، فحوّلها وجعلها في
رثاء هــ. وهي قصيدة
مشهورة.

جُنَّ حزنًا على هِرّه، رثاهُ

لا تزال القصيدة محفوظةً

بتهاويلها

وتأويلها

لا تزال كما قالها

يُنكّر فيها، ويُعرّف فيها

زمنٌ بائِرٌ ماكِزُ

كيف صار الخليفة هِرًّا؟

مَنْ نُسائِلُ؟ والشعر هل سيُجيب،

إذا سئل الشعرُ، يا أيّها الشاعِرُ؟

ابن مسرّة، محمد بن عبد الله

توفي سنة ٣١٩هـ -
٩٣١م، يقول عنه الفرد
غيتوم: «هو أول من قدّم
للغرب الاستعمال الغامض
الملتبس للكلمات العادية».
ومذهبه الفكري باطني صارم،
يقوم على هرميّة سرّيّة.
(معجم الفلاسفة، لجورج
طرايشي).

مثلما تسكنُ الرّيحُ بيتَ الفضاءِ:

الترحّلُ قنديلُهُ

والحنينُ له طُرُقَاتُ.

جسمهُ لغَةٌ - فِطْرَةٌ

تترصّدُ شمساً تُنَوِّرُ أَيّامَهُ.

ساكنٌ في طفولةٍ أشرارِهِ.

الترمذي

(أبو عبد الله محمد بن علي، الحكيم)

توفي سنة ٣٢٠هـ -
٩٣٢م، نفي من ترمذ، مُتَّهِماً
بالزندقة، يقول: إن الولاية
متقدمة على النبوة. من أهم
كتبه: ختم الولاية.

أَخَذْتُكَ الْوِلَايَةَ، أَعْطَيْتُكَ أَسْرَارَهَا وَتَأْوِيلَهَا.

مَعْنَا أَنْتَ، فِي الصُّورِ الْمُسْتَسْرَةِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَلَنَا ضَوْءُكَ الْغَوِيِّ اللَّغَاتِ

يَتَحَدَّرُ مِنْ شَهْبِ نِيرَاتِ

زُرْعَتِهَا بَرُوقُكَ فِي رَجَمِ الْكَلِمَاتِ

وَنَطُوفُ بِهِ، وَنَقُولُ لِأَيَّامِنَا:

إِنَّهُ عَهْدُنَا،

إِنَّهُ وَقْتُنَا.

البلخي
(أبو زيد، أحمد بن سهل)

كَأْسُكَ الْآنَ مَلَأَنَّهُ

بِاللِّغَاتِ، بِمَا قَوْلُهَا، وَقَالُوا.

هَلْ سَتَجِرُّ مِنْ أَوَّلِ

وَتُوشِشِ ذَاكَ الْأَبْدُ:

مَرْحَبًا، يَا صَدِيقِي،

أَيُّ هَذَا الزَّيْدُ؟

توفي حوالي سنة ٣٢٢هـ - ٩٣٤م. «كان حُرَّ التفكير لا يخشى أن يرمى بالزندقة. يرى أنَّ أسماء الله الحسنى في القرآن مأخوذة عن السريانية. اشتهر بوصفه عالماً جغرافياً، له: صور الأقاليم، وتقويم البلدان». (معجم الفلاسفة، طرابيشي).

أبو بكر الصنوبري

توفي سنة ٣٣٤هـ. كان
يحضر مجالس سيف الدولة،
وكان أميناً على كتب خزائنه.
شعره يتمحور حول الرياض
والأزهار.

ادخل إلى روضةٍ

يا شاعر الزَّهر، احتضنْ زهرةً

وقل لها: وجهك وجه امرأه

تعيش مسجونةً

في بَرْدٍ أحزانيها،

والأرض من حولها

بحيرةٌ من دمٍ

وجمرةٌ مُطفأة.

الرواية

VII

«جاء حكيمٌ إلى سيّد المدينة غين، قال له :

- إذا قطعتَ رأسَ وزيرك طوغان، ودفتته، تخرج منه شجرة تثمر ثمرأً عظيماً يعود بالخير على رعيتك وعلى الدّنيا كلّها.

قال سيّد المدينة :

- وإذا لم يظهر ما ذكرت؟

- تصنع برأسي كما صنعت برأسه.

أمر سيّد المدينة برأس الوزير فقطع. أخذه الحكيم وغرس في دماغه نواةً غريبةً جميلة عالَجَها حتى صارت شجرة. أثمرت هذه الشجرة ثمرأً لا عهد للناس به - لهذا الثمر عينان وفمٌ، وله ليفٌ

كالشعر

وفي داخله مثل الدّماغ.

عادَ هذا الثمر، كما قال الحكيم، بالخير على المدينة، وعلى الدّنيا كلّها.

وسمّع أبجد أن حاكم المدن فاء، وكاف، ولام، وميم، ونون، وهاء، وواو، وياء، وكانت متّحدة في

نظام واحد، استدعى مرةً فيلسوفها ويدعى
الخلجان بن الوهم وكان بارعاً في وصف الإنسان.
سأله:

- ماذا تعرف عن الذكر والأنثى؟

فأجابه، بعد روية وتمعن:

- يجتمعان بشهوة اللحم والعظم، لإيداع الماء في
بيته. وهو ماءٌ يتدفق من بين الصُّلب والثرائب. ثم
يصير هو نفسه عظاماً تتخذ اللحم ثوباً يُشدُّ بالأعصاب
ويُنسجُ بالعروق.

- وماذا تعرف عن رأس الإنسان؟

- أعرف العين: لها أشْفَارٌ كالنوافذ تُفْتَح وتُغْلَق.
وأعرف السَّمْع: هو شِقٌّ ملآن بالرطوبة المرة لقتل
الدود والهوام، وملآن بتعويجات الصّوت. وأعرف
الأنف، وهو لاستنشاق روح الحياة، غذاء للقلب
وترويحاً لحرارة الباطن. وأعرف الحنجرة وهي
أنبوبة، بأشكال مختلفة في الضيق والسعة والخشونة
والملاسة وصلابة الجواهر ورخاوته والطول والقصر،
لتختلف الأصوات ويتميز الناس. وأعرف الرّقبة وهي
مركز الرأس. وهي برجٌ يتكوّن من سبع خرزات
مجوّفة، مستديرة، زائدة، ناقصة، لينطبق بعضها على

بعض، ويطول ذكر الحكمة.

- صِفْ لَنَا الْكَفَّ وَالْأَظْفَارَ؟

- الْكَفَّ، إِذَا بُسِطَتْ كَانَتْ طَبَقًا، وَإِنْ جُمِعَتْ كَانَتْ
آلَةً لِلضَّرْبِ، وَإِنْ ضُمَّتْ كَانَتْ مَغْرَفَةً.

أَمَّا الْأَظْفَارُ فَعِمَادٌ خَلْفِي وَمَنَاقِيرٌ لَلتَّقَاطِ مَا تَعْجُزُ
عَنْهُ الْأَنَامِلُ وَرَادَارٌ يَهْدِي إِلَى مَوَاضِعِ الْحَكِّ فِي الْجَسْمِ
فِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ.

- وَمَا الرِّثَّةُ؟

- مَرْوَحَةٌ لِحَرَارَةِ الْقَلْبِ.

- وَمَا الْعِظَامُ؟

- كَثِيرَةٌ وَبَيْنَهَا مَفَاصِلُ وَأَوْتَادٌ كَالرِّبَاطِ لَجَرِّ الْحَرَكَةِ،
وَالْعِضَلَاتُ آلَاتٌ لَتَحْرِيكِهَا.

وَسَمِعْتُ أَنَّ هَذَا الْفِيلَسُوفَ، الْخَلِجَانُ بْنُ
الْوَهْمِ، اخْتَفَى بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُعْثَرْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ.

(اسْتَطْرَاد)

[أَحَبُّ أَبْجَدْ هُنَا أَنَّ يَسْتَطْرِدَ فَيُرْوِي مَا قَالَهُ الْقَلَمُ أَوَّلَ
الْخَلْقِ عَنْ كَيْفِيَّةِ إِيجَادِهِذَا الْكَائِنِ الَّذِي سُمِّيَ الْإِنْسَانُ.
قَالَ]:

«أمر الخالق ملاكاً، قيل إنه جبرائيل^(١)، أن يأتيه بطين من الأرض. غضبت الأرض وقالت للملاك: أعوذ بالله منك أن تُنقص مني وتشتيني.

آنذاك، بعث الخالق الملاك عزرائيل، وهو ملاك الموت. قال للأرض أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمر ربي. أخذ تراباً أحمر وأبيض وأسود

سكب عليه ماء حتى صار طيناً

ترك حتى صار حمأً مسنوناً

ترك حتى صار صلصالاً

منه جاء آدم وجاء بنوه حمراً وبيضاً وسوداً

وسمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض.

مكث آدم أربعين سنة جسداً ملقى. كان إبليس^(٢) يأتي فيضربه برجله ويقول له: لست شيئاً.

عندما نفخ الخالق الروح في طينة آدم، دخلت من رأسه، ثم جرت فيها فصارت لحماً وعظماً.

عطس آدم فقالت له الملائكة: قل الحمد لله.

(١) «هو نفسه الذي رفع مدائن قوم لوط، وكن سبعا، بمن فيهن من البشر والحيوانات، على طرف جناحه حتى بلغ بها أوج السماء. سمعت الملائكة نباح الكلاب في هذه المدائن وصياح الديكة. ثم قلب هذه المدائن فجعل عاليها سافلها.

وهو نفسه الذي يظهر أحياناً في صورة أعرابي. وفي المأثور أن له شمتة جناح بين الواحد والآخر كمثل ما بين المشرق والمغرب».

(٢) «في المأثور أنه هو الذي قاتل الجن الذين كانوا أول من سكن الأرض وقتل بعضهم بعضاً، فقاتلهم وشتتهم، ومن يومها عرف الشتات. أخذ الغرور بهذا النسر فاستكبر على خالقه، وقال: صنعت ما لم يصنعه أحد. ومن يومها عرفت الفردة.

وفي المأثور أيضاً أن إبليس من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، وأنه حي الآن. له عرش على وجه البحر، وهو جالس عليه، وبيعت سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن. وهو أصل الحزن، كما أن آدم أصل البشر».

سجدَ له الملائكة إلا إبليس^(١) قال:

أنا خيرٌ منه

لا أسجد لكائنٍ من الطين .

طُرِدَ من الجنة أعورٌ عليه عمامة وفي إحدى رجليه نعلٌ .
أُسْكِنَ آدم الجنة بعد طرد إبليس . كان يمشي فيها فَرْدًا .

مرةً نام آدم . استيقظ . رأى عند رأسه امرأةً
خلقها الخالق من ضلعه . سألها:

- مَنْ أَنْتِ؟

أجابت:

- امرأة .

- لِمَ خُلِقْتِ؟

- لتسكن إليّ .

سألت الملائكة لترى علمه:

- ما اسمُها؟

- حواء .

- لم سمّيت حواء؟

- لأنها خلقت من حيّ .

وسوس الشيطان لهما (وكانت الحيّة حملته بين

(١) «في المأثور أنّ إبليس
سخر من البيت المعمور الذي
يقال إنه مسجد في السماء
يقال له الصُّراح، بدخله كل
يوم سبعون ألف ملاك ثم لا
يرونه قط . وهو في السماء
السابعة بمنزلة الكعبة في
الأرض . وسخر كذلك من
القول: «ليس في السماوات
السبع موضع قدم، ولا شبر
ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو
ملك ساجد أو ملك رافع» .
وسخر من القول: «إن فيها
لِلَّهِ ملكاً لو قيل له: التقم
السماوات والأرض بلقمة
واحدة، لفعل» .

ومن القول: «فيها ملك
من حملة العرش، ما بين
شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة
سبعمئة عام .

وسخر من سدرة المنتهى
التي جاء في المأثور أنّ
«ورقها كأذان الفيلة . يخرج
من أصلها نهران باطنان
ونهران ظاهران . الباطنان في
الجنة، والظاهران النّيل
والفرات» .

وفي المأثور أن إبليس
هو أول من أعطاه الخالق
ملكاً، ملكه على سماء الدنيا
وجعله خازناً من خزان
الجنة . استكبر على الربّ
وآذَى الربوبية، ودعا من كان
تحت إلى عبادته . مسخه الربّ
شيطاناً، وسلبه ما كان أعطاه،
ولعنه وطرده من سماواته» .

أنيابها وأدخلته الجنة)، فقال:

- يا آدم، هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يَبْلَى؟

مالت حوآء:

وعندما دعاها آدم إلى حاجته قالت لا، إلا أن
تأكل من هذه الشجرة. أكل وأكلت. بدت لهما
سوءاُتهما. ذهب آدم هارباً في الجنة. ناداه ربّه:

- أتفرّ مني يا آدم؟

- حياء منك، يا رب!«.

خَيَل إلى أبجد أنّه كان، فيما يروي، ينظر إليه
حجرٌ أسود يشع من جهة القلعة. كان القميص الذي
ترتديه السماء ممزّقاً وبلون البنفسج تقريباً. إلى يسار
الشعاع الطالع من الحجر، جسرٌ مكسور. يعلو، غير
بَعِيد عنه، سورٌ يبدو كمثّل دماءٍ عالية تخثرت.

كان في الجهات كلّها ضوءٌ يتكلّم:

هل اللّغة نجمةٌ تسيرُ بقدمين؟ سأل مدارَ الكلام،
الذي كان يتحرّك ولا ينطق.

امتزجت خطاه بخطوات الوقت، واختلط
صوتاهما. لمسَ بأهدابه صورة الأرض -

صحراءٌ ينهض فيها كتاب أشرعةٍ وأمواج

وجه آخر مَرْنِي لِلْهَبِ غير مَرْنِي

خارج الحجر شفافية سيقولها يوماً

داخل الحجر جدار سيخترقه يوماً

أخذت الريح تفرش البسط وتمد الوسائد . جلس
على مقعد دعتة إليه . نهض ، أسند ذراعه اليسرى على
نافذة متحركة في بيت الفضاء .

عندما حاول أن يتحدث مع حارس يلتصق بباب
التاريخ ، أحس أن صوته يعلو ويهبط في حنجرتة كأنه
حصاة غير مدورة وملساء ،

وجاء يشهد عليه الغسق الذي رسمته ، أمس ،
حول النوافذ قدم الشمس ،
وجاء ملك الرمل .

هل بيت الله في هذه الجهة؟

أكد له صوت صارخ أنه ، عقاباً على هذا
السؤال ، سينزل قريباً في بئر من النار .
كيف يواجه العتبة التي يتغلغل شعاع منها بين
أصابع قدميه؟

والقوس التي تشبه جفن غزالة ولدت
لتوها غزالاً؟

وخشب الباب الذي يمتلىء بالأهلة،
والذي يتغير، بحسب النظرة
واللحظة، كمثل دمية في يد
الضوء؟

سَيَسْتَعِينُ على ذلك بشجرة السدر، وبالتخيّل أولاً.
قبل ذلك، عليه أن يتجرّأ، أن يدفن بعضه في
جوف كلمة، وفي صخرة بعضاً آخر.

مَرَّتْ عَرَبُهُ رَمْلًا تَجْرُهَا الرِّيحُ، ولامست وجنتيه -
كان قد وضع قدميه على عتبة القلعة.

الذِّكْرَى

VII

المدينة خاء

قمر المدينة خاء طيب . يأخذ تعاليمه من ورقٍ تتنافس
في تزيينه جميع الألوان ، - ورق ينضاف إليه دائماً كلامٌ يهبط
عليه من جُرُفٍ عالٍ كأنه رأس كوكب أو كَتِفُ نجمة .

※

الشوك في المدينة خاء ، أكثر ألفةً من اليد ، والنافذة فيها
ترى أكثر مما ترى العين .

※

يتساقط الزمن في المدينة خاء ، كمثّل أوراق شجرة لا
اسم لها .

※

لا أظن أن في الأرض مكاناً يتعذب دون جدوى ، كهذا
المكان الذي يسمّى المدينة خاء .

※

تتقاطر الكلمات في المدينة خاء ، كأنها ناقيات عجاف
يحملن على ظهورهن - أثقالاً تُسمّى أفكاراً .

※

كتب لي قارئ من المدينة خاء:
«عندي جسدان، - واحد أدخل به إليها، وآخر أخرج به
منها».

✽

كان وجميع أخواتها في المدينة خاء، أسماك تسبح في
بحيرة آسنة، ونكاد أن تجف.

✽

الجبر، والكيمياء، ونجمة الصبح، جسد واحد يرتجف
بين يدي المدينة خاء.

✽

ليس في اللغة التي تتحدث بها المدينة خاء، أسماء أو
أفعال، فهي كلها مجرورات ونعوت.

✽

مجلس الفضة هو الذي ينتخب أعضاء الذهب:
تلك هي صيغة الحكم في المدينة خاء، كما يقول
سكانها.

✽

الآن، تصغي إليّ ريحٌ ليست لها أذنان، -
ريح تهبّ من جهة المدينة خاء.

✽

الحياة في المدينة خاء ليست حلماً
وليست إنجازاً، -
أعطها موعداً بين ذراعيك أيها الوقت.

✽

بوفاء كامل،
سأخون المدينة خاء.

✽

أحببتك حيناً، وكرهتك أحياناً، -
كان الخبز نفسه وسخاً على مائدتك. وما انحنيت لك،
حتى عندما كان ظلامك يطبق عليّ وعلى أنحائي.
ولست أريد منك أيتها المدينة خاء،
إلا شيئاً واحداً:
أن تكوني في مستوى التراب الذي تنهضين فوقه.

المدينة ذال

يخيل في المدينة ذال أن الأشباح هي الكائنات الوحيدة
التي تحمل رؤوساً تشبه الرؤوس الآدمية.

✽

في إناء اسمه المدينة ذال،
يعيش نبات لا يذبل أبداً، اسمه القتل.

✽

أمرت المدينة ذال مؤرخيها أن يكتبوا تاريخاً يؤكد أن
رأسها ينتمي إلى سلالة اسمها تاج الدين، وأن قدميها تنتميان
إلى سلالة أخرى اسمها تاج الدنيا.

✽

تعلم المدينة ذال سكانها أن ينذروا حياتهم كلها لعمل
واحد: أن يلوّثوا ضوء الشمس.

✽

ليس في الدم الذي يملأ عروق المدينة ذال، غير
الأبواق.

✽

لا أحد في المدينة ذال يعرف نفسه:
تلبس النعامة لبنة الأسد،

ويمشي الذئب بأرجل الحمامة .

✽

تتراسق جدران المدينة ذال بِكْرَاتٍ غريبة يؤكد الذين
رأوها، أنها ليست إلا رؤوساً .

✽

أجلوا العدالة إلى وقتٍ آخر،
أجلوا العمل إلى وقت آخر،
أجلوا الحب إلى وقت آخر،
أجلوا العلم إلى وقت آخر،
أجلوا الخبز إلى وقت آخر،
أجلوا الحرية إلى وقت آخر،
أجلوا حقوق الإنسان الأخرى إلى وقت آخر،
أجلوا الإنسان إلى وقت آخر:
تلك هي المبادئ التي تهيمن على المدينة ذال، وفي
هذه المبادئ يتنافس المتنافسون . . .

✽

الطرق التي تبدأ من المدينة ذال، جراح لا تشفى .

✽

إن شئت أن تعيش في المدينة ذال، فلن تقدر أن
تمارس إلا عملاً يهدم الفكر، أو فكراً يهدم العمل .

✽

الرؤوس في المدينة ذال هي نفسها السجون،
والأعمدة الفقرية عتبات للدخول والخروج.

※

منذور ساكن المدينة ذال لنضالٍ وحيد:
أن يأكل لحم أخيه.

※

موت الإنسان في المدينة ذال، هو الدليل الوحيد على
أنه كان حيًا.

※

لا تعرف الحياة في المدينة ذال أن تصفّق إلا للموت.

※

بعد الأشياء التي قرأتها، وتلك التي سمعتها عن المدينة
ذال، قرّرت أن أزورها مرة ثانية - لكن في عربة من الخيال.
كانت، لحظة وصولي، مقفلة. ويقال إنها مقفلة دائماً،
مع ذلك يمكن الدخول إليها من ثقبٍ ما، بإذنٍ ما، بورقةٍ ما،
بتوقيعٍ محدّد وخاصّ، يوحي بأن هذا الدخول نعمة وامتياز.
تدخل. ترى. تختبر، - لا تقدر أن تصادق في هذه
المدينة أيّ شيء. وقال لي أكثر من واحد: حتى عندما
يصادق الإنسان جسده أو عقله، فإن هذه المدينة تنظر إليه كأنه
متهم، وربما تعرّض لأن يفقد جسده أو عقله، أو كليهما معاً.

وتؤكد لك الخبرة أن كل شخص يسير في المدينة ذال،
يسير وراءه أو أمامه، إلى يمينه أو يساره، نوع غريب من
العَسَس.

وتلمس لمس اليد كيف أن أسبّاد المدينة ذال يمضون
أوقاتهم في العمل على حفر نفق ضخم، وإجبار الناس على
المرور فيه لكي يصلوا إلى ما يسمونه المستقبل أو الفجر
المقبل.

وهؤلاء الأسبّاد هم الذين يصنعون للناس رؤوساً ثانية
يركبونها داخل رؤوسهم الأولى. وكثيراً ما تتحوّل الرؤوس،
كما روى لي أكثر من شاهد، إلى قطع تبديل. لهذا حين
يتحدّث مواطن مع زائر، يسأله هامساً:

- هل تريد أن أحاورك برأسي الأول، أم برأسي الثاني؟
لكنه سرعان ما يستدرك، هامساً أيضاً:

- كلا، كلا، لا أقدر أن أحاورك إلّا برأسي الثاني.
ويقال، في رواية ثانية، لا يُعدّ مواطناً صالحاً إلّا
الشخص الذي مسح هؤلاء الأسبّاد رأسه بأيديهم.

ومع ذلك، هناك من يوحد مصيره مع مصير المدينة
ذال، غير مدرك أنه في عمله هذا كمن يربط نفسه بعمود من
الضباب.

ما أعجب المدينة ذال،-

إنها تناضل كمن يخطّط لكي يقلّص الفضاء.

رموز وعبر من : «كتاب آخر للأمثال» .

قرأته في المدينة ذال

أ -

قال ابن عباس :

«كان عرشه على الماء ،

وعندما أراد أن يخلق الخلق ،

أخرج من الماء دخاناً ارتفع فوق الماء وسما عليه ،

فسماء سماء .

ثم أَيْسَسَ الماء فجعله أرضاً واحدة ،

ثم فَتَقَّ الأرض فجعلها سبع أرضين ، وذلك في يومي

الأحد والاثنين .

وخلق الأرض على حوتٍ هو التون ، -

الحوت في الماء

والماء على صفاةٍ

والصفاة على ظَهر مَلَكٍ

والمَلَكُ على صخرة

والصخرة على الزَّيْح

وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء

وليست في الأرض .

وعندما تحرك الحوت واضطرب ،

تزلزلت الأرض ،

فَأَرَسَىٰ عَلَيْهَا الْجِبَالِ، فَاسْتَقَرَّتْ .

(١) بعد التحقيق، تبين أن
هذه رواية شائعة ومكررة في
كتب التاريخ كلها.

يوم الثلاثاء،

خلقت الجبال وما فيهن من المنافع،

ويوم الأربعاء،

خلق الشجر والماء، وخلقت المدائن والعمران

والخراب،

وفي يومي الخميس والجمعة،

فُتِّتَ السماء وكانت رتقاً فصارت سبع سماوات .

ثم خلقت الكواكب

زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى

بها .

ولَمَّا فرغ الخالق من خلق ما أحبه،

استوى على العرش» .

ب -

روي عن محمد بن إسحاق أنه قال :

«يقول أهل التوراة إن الله ابتداءً الخلق يوم الأحد،

ويقول أهل الإنجيل ابتداءً يوم الاثنين،

ونقول نحن المسلمون ابتداءً يوم السبت»،

وإلى هذا القول الأخير مال طائفة من فقهاء

الشافعية^(١) .

المدينة ضاد

بشر يهرولون بين الكلمات، يتخذون من حروفها
شرايين، ومن نقاطها عيوناً،
أسافل تهبط في اتجاه أسافل أبعد غوراً،
ظلام يأخذ العرش، ونور يأخذ المنفى،
سيوف تسكن الأعناق، ورماح تسكن الخواصر،
وحدة بين الفكر والسجن،
زمن يعارض الماء،
فضاء لا يتسع لأكثر من بغاء،--
أقول: رأيت هذا كله
رؤية العين،
وكان ذلك في المدينة ضاد.

※

- ١ - في المدينة ضاد، لا يولد الغيم من الماء، ولا من الغيم، - يولد من الحجر.
- ٢ - الغراب نفسه في المدينة ضاد دفتر أبيض.
- ٣ - رجل في المدينة ضاد توفيت زوجته. نام ليلة، حزناً، فرأى في نومه نساء لم ير معهن زوجته. سألهن عنها، قلن:

- «فَصَرْتُ فِي كَفْنِهَا، فَهِيَ تَسْتَحْيِي أَنْ تَخْرُجَ مَعَنَا.»

٤ - قال رجل في المدينة ضاد: «رأيتُ في النوم حسناتي وسيناتي. في حسناتي، رأيتُ حَبَابَ رَمَانٍ. وكنت مرةً، قبيل موتي، أكلتُ رَمَانًا فسقطت على الأرض ثلاث حبات، لممتهن عن الأرض وأكلتهن. ورأيت في سيناتي خَيْطِي حَرِيرٍ كَانَا فِي قَلَنْسُوتِي.»

٥ - روى رجل آخر في المدينة ضاد: «رأيت في نومي الناس يجتمعون حول رجلٍ عند المسجد. اقتربت، وسألت: من هذا؟ - هذا رجل جاء من الآخرة إلى الدنيا، ليخبر الناس عن موتاهم.»

٦ - وقال رجل آخر في المدينة ضاد: «رأيت رجلاً شاهراً سيفه، يضرب رؤوسنا. كان كلما وقع رأس، يأخذه، ويعيده إلى مكانه. أتى إليّ، وضرب رأسي. وقع على الأرض. أخذته، نفضت عنه التراب، ثم وضعت بين كتفيّ، وأعدته كما كان.»

※

عجياً للمدينة ضاد،
كيف تجد المتشع لكى تجلس، حيناً، تحت كرسي
وحيناً بين قدمين.

※

أحاول (بلا نجاح حتى الآن)
أن أضع في فلاة كتب المدينة ضاد،
لغاية واحدة: أن أحزّر الورق!

※

تحيا المدينة ضاد، كأنها اللب
وتعمل كأنها القشر،
يا لهذا الجدل بين عبّ باطن وعبّ ظاهر.

※

الضوء في المدينة ضاد
يائس من المصابيح،
والمصابيح يائسة من العيون.

※

لا يقدر النهار في المدينة ضاد
أن يكون أكثر من سرير،
لا يقدر الليل فيها
أن يكون أكثر من غطاء.

※

إن شئت أن تسكن في المدينة ضاد،
فلن تجد بيتاً تسكنه غير الكلام - عنيت:
قفص الكلام،
وسوف يواكبك حرس خاص ينتظم في صف لا ينتهي،
أوله السماء وآخره الغبار.

※

لا تحيا في المدينة ضاد، إلا بعد أن تموت،
سلفاً، منذ ولادتك، بل قبل أن تولد:
أنت من الأسلاف!

※

للمدينة ضاد
جدران تتواطأ مع عميان
يتسربون إليها من بين النجوم.

※

يبدو الجسد في المدينة ضاد، كمثل الشجرة،
والروح ثمرة - للفصول كلها،
ولا تكف عن السقوط،
وأحياناً، تبدو الروح نفسها كمثل الشجرة
والجسد ثمرة للفصول كلها،
ولا يكف عن السقوط.

المدينة ظاء

خوفاً من سلطة البرد الذي يحكم شوارع المدينة ظاء،
لبس الجوع معطفه،
صعد إلى المسرح، مسرح السّاحة العامة،
وأخذ يمومي الشيع.

✽

الأخضر معتقل، والبياض متهم في المدينة ظاء،
وفيما تحاول الشمس أن تلام جراح السهول، تكاد
الجبّال أن تختنق.
على القمم ثلج لا يسقط من جهة السماء، وفي الأودية
صراخ يخرج من ثقب في الأرض تشبه الحناجر.

✽

هوذا حكم الرّيح على ساكن المدينة ظاء:
أن ينقل الماء، طول حياته، من الرمل إلى الرمل.

✽

يمكن أن تنفذ الكلمات في المدينة ظاء، ولا تنفذ
قيودها.

✽

ها هم يهتفون لنيرون، ويضعون بين يديه رؤوس
القتلى،

تقدّموا يا شعراء المدينة ظاء،
إنه دوركم لكي تضعوا على رأسه الغار.

✱

أحياناً، يبدو الإنسان في المدينة ظاء،
كأنه شخص التقى بجسده عبثاً، والتقّى بروحه
مصادفة.

✱

يا للرؤوس التي تتساقط دون توقّف
من أجل تاج يذهب وتاج يجيء:
ذلك هو التاريخ في المدينة ظاء.

✱

في لحظة ما، وبسحرٍ ما،
يمكن في اللغة التي تسود المدينة ظاء، أن تسمى الجئة
جحيماً، والجحيم جئة.
وأن تصرخ: أيتها الغزالة، ألن تعترفي أخيراً بأنك
كزكدن؟

✱

يبددون أصواتهم في الغناء من أجل مستقبل ليس إلّا
الشرطان الذي يلتهم حناجرهم:
هكذا يصف بعضهم سكان المدينة ظاء.

✱

تغصّ المدينة ظاء بمشائق تنتصب في الهواء، سرّياً.

✱

كلمة - تضع في عنقها طِلْسَمَهَا، لكي لا تضع،
محفورة عالياً، فوق رأس المدينة ظاء،

- وما الغرابة، هنا؟ اللغة في هذه المدينة تحب أن
تستسلم لأحوال الهواء.

المدينة غين

لا يكتشف الإنسان في المدينة غين، تاريخه الحقيقي
إلا في الطبقات السفلى من أنين أيامه.

※

في المدينة غين،
يقتل بعضهم بعضاً كما يأكلون،
وفي محابر الأناشيد المنذورة للعرش،
يسكبون دماء القتلى.

※

عنده، في المدينة غين، مفاتيح لا تحصى
لكن، ليس هناك باب واحد.

※

نزل السيل، سيل الكلام، وادي المدينة غين،
ترك أسنانه في رأس الوادي، وقدميه عند قدميه،
ثم تحوّل إلى ثقب في دولاب الوقت.

※

جلس الليل تحت سقيفته، في المدينة غين،
دعا النجوم إلى الجلوس معه،

ثم أخذ ينتقد الظلام .

※

أمس ، خَيْلٌ إلَيَّ بقوة لا أعرف كيف أفسرها ،
أنني أرى السماء تبذر نجومها في حقول المدينة غين ،
تحية لحصاد صلواتها ، كما قيل لي .

※

سكّانُ هذه المدينة في حاجة إليك أيها الأب الموت .

※

اتبعوا الشارع في تغيراته -
يكاد أن يكون وجهاً مصنوعاً من الموج .
لا أحلم . واليوم غسلت ذاكرتي من أنقاضها .
هذا هو الشارع في المدينة غين ، -
مرسوم بزبد كأنه النار ، وبنار كأنها الزبد .

※

كُتبت الكيمياء وغازاتها في سجل الفضاء ،
كتب الأرق وكوايسه ،
احتفاءً بالمدينة غين -
هذه الكتابة أرضٌ بلا حدود ، وقيل إنها مَخْلُوطَةٌ
بالسما .

※

من أين للكلمات أن تتحوّل إلى قبائل ؟ لا تقيم على
ضفاف اللسان إلّا لكي تسبر غور الرّحيل .

أتأمل هذه المسألة، فيما أتأمل أحوال المدينة غين .
وأعجب لانحراف خطواتي نحو قمة في جبال الرغبة،
يشاع أنها خرساء .

✽

حقاً، يبدو العالم كمثّل طائر ميت
في عنق المدينة غين .

✽

نادرون جدّاً أولئك الذين يقدرّون أن ينكروا
أنّ القرنَ العاشر هو الذي سيعقب
في المدينة غين
القرن العشرين .

✽

قال شاعر هذه المدينة :
الأمة قصيدة والأفراد كلماتها .
قلتُ: لا وجود، إذن، إلّا لِلغة .

✽

ليست الحياة في هذه المدينة ذروةً يشرف منها
الإنسان،

بل نفق يختبئ فيه .

✽

يُصدّق سيّد هذه المدينة أنّه بطل :
أمرٌ لا يُصدّق .

✽

ما أكثر الكتب في هذه المدينة -
لكن، يكفي، لكي تفهمها، أن تقلّب أوراقها.

✽

لن يمتلك الإنسان فصاحة الريح،
لذلك لن يقدر أبداً أن يصف المدينة غين.

✽

قرأت آخر قصيدة كتبها شاعرٌ عاش في هذه المدينة،
قال فيها:-

«الفرس التي يمتطيها الليل في سفره
لا تقدر أن تسيرَ إلا على الطريق
التي تقود إلى الصّباح.
مع ذلك -

أيتها الغيمة التي ولدت واقفةً
والتي ستموت وهي تمشي،
هل تقبلين صداقتي؟».

✽

«قبل أن تقولي عنه^(١): إنه يحتلّ مكاناً عالياً،
اسألني: مَنْ أولئك الذين رفعوه، وأولئك الذين ينظرون
إليه.

✽

يغيّر رأيه دون أن يغيّر ذوقه،
أو يغيّر ذوقه دون أن يغيّر رأيه:
في الحالين، لا يتغيّر.

✱

إلى متى نبقى مجبرين على هذا الاختيار:
بين بيت لا يدخله أي نور،
ونور لا يدخلنا إلى أي بيت؟

✱

تسأليني أن أضع معجماً للكلمات من نوع آخر؟
حسناً، لنُجرب:

كلمة قذف بها الفضاء من شباك الأمامي،
وكان سقوطها حدثاً ماتت فيه الكيمياء،
وابتليت المادّة بالداء الذي لا دواء له.

كلمة لن يقدر المعنى أن يجد له صورة جديدة إلا
إذا ماتت.

كلمة إن كان هناك فرح، فهو أن تقتل الكلمات وأن
تحييها.

كلمة يخرج من عباءتها الجند والخيول والبساتين.

كلمة عمود كبيريت يعانق عموداً من الملح.

كلمة رأس مثقوب بالشك.

كلمة لم يولد بعد الأفق الذي يتسع لتلك الأجنحة
التي تبتكرها خطواتي
كلمة ليتني أقدر أن أضيف إلى جسدي جسداً
آخر لكي أقدر أن أحتضنها،
(والبقية آتية لا ريب).

✱

كلّام لم يعد القمر بيتاً لي،
غيرت الطريق بين قدمي وأحلامي.

✱

لم أولد بعد،
سأولد قريباً، أقرب مما يُظنّ.

✱

دخل كمثّل عاصفة بيني وبين آلامي،
ورفعني إليه -
لا تسليني: مَنْ، كيف، ومتى وأين؟

✱

يقدر ما تقتربين من الأفق،
بيتعد عنك:
لن تصلي، إذن، إلى نفسك، أبداً.

✱

لم يكن يبكي -

كان يبكي داخل البكاء .

✽

تصنع المدينة غين حاضرها بأشخاص ماتوا،
وتصنع المستقبل بكلمات لا حاضرها لها .

✽

مدينة يبدأ فيها سجن المرء
بالسلام على العرش .

✽

الأب في هذه المدينة لا يُقتل، بل يُبدل .

✽

يتقدم الزمن في هذه المدينة،
كمثل طحلب على جدار اسمه الأبد .

✽

تجلس الخوذ على رؤوس الشجر، في هذه المدينة،
في كل ثمرة رصاصة .

خاتمة

- «الشَّامُ أَمَامَكَ، لا أَحَدٌ يَمْنَعُكَ مِنْهُ» ،

قال ناصر الدّولة لأخيه سيف الدّولة .

ودخل سيف الدّولة مدينة حلب

يوم الاثنين، من شهر ربيع الأول،

سنة ٣٣٣هـ .

وكان دم الحرب لا يجفّ، وكان قتلها كمثّل إبر في

يد الرّيح تخيط للزمن ثوبه الأكثر التصاقاً بجسده

وكان الدّم يتفجّر من أحشاء القلعة وأطرافها

ليست تُفّاحة حواء هي وحدها الغواية

للتاريخ، هو أيضاً، تُفّاحاته وغواياته .

وفي رواية، وهذا تكرار لما سبق، أنّ القلعة بدأت

خطواتها في أيام سلوقس نيكادور قبل المسيح بثلاثمئة واثنتي

عشرة سنة . ولمّا صار فيها تلامذة للمسيح أخذ يتعاش فيها

الذين يعبدون الله - يهوداً ونصارى، والذين يسجدون لوجه

الحجر الذي كان يُسمّى الصّنم، والذين يسجدون للنار .

ثم هَلَلت لخيول أبي عبيدة وسيوفه .

ثم أخذت تتدحرج كمثّل كرة تنزف دماً بين يدي

الأرض، وتحت أقدام العرش -

الأموي

العباسي

الطولوني

الحمداني

.
المرداسي، العقيلي، التركماني،
الزنكي، الأيوبي، المملوكي، الجركسي، العثماني -

(«سار السلطان سليم
إلى حلب. خَفَّ أهلها لملاقاته. طلع إلى القلعة. رأى أشياء
أدهشته: ذهباً وفضةً وغيرهما

- ومن هؤلاء؟

- خلفاء المشايخ الذين أتوا مع الغوري مسافرون إلى بلادهم.

أمر بإحضارهم. رمى رقابهم عن آخرهم».)

«قال بعض الحذّاق من المؤرخين إن وقائع الجراكسة
مع السلطان سليم كانت دموية، وكان موته سنة ثمانٍ وعشرين
وتسعمئة بعلّة فَرَخَ الجمر. وهكذا الدنيا تفعل بأهلها. هنيئاً
لمن أعرض عنها ورضي منها باليسير، فإنها غدارة غزارة
سبحان مبيد الأكاسرة ومذلّ الجبابرة وقاهر العباد بالموت،
وهو الذي يرث الأرض ومن عليها».

القسم الثاني

أوراق سيف الدولة

أوراق سيف الدولة

(١) السنة التي سيطر فيها
سيف الدولة على حلب.

[كتبت هذه الأوراق، في أوقات
متقطعة بين ٣٣٣هـ - ٣٥٦هـ.]

٣٣٣هـ (١).

(١) أثر أبجد أن يتحدث عن
المدينة غين أيضاً بشكل غير
مباشر، عبر مقاطع من رسالة
كتبها في شكل خواطر، شاعر
إلى صديقة له في هذه
المدينة.

اليوم، بدأت طريقاً
لا أعرف كيف تؤول، وكيف تكون
أعرف أن الأرض
هنا وهناك -

دم، وجنود.

*

لا أحب المطر
حينما لا يسافر كالدمع بين جفون الشجر.

*

ليس بين الخليفة والناس إلا
سيفه والخلافة، -

للسيف من قال: كلاً.

للخلافة أبنائه

وأبناء أبنائه،

ولهُ الحاشِيَّةُ:

هِيَ فِي الْقَصْرِ حِيناً، ذُنَابٌ
وَهِيَ، حِيناً، قَطِيعٌ مِنَ الْمَاشِيَّةِ.

✱

أعراب،

وقبائل طي،

وقرامطة،

لِمَ لا يُجدي غيرُ السَّيفِ؟

أغرث، قتلتُ الهادي^(١)،

وهدمتُ القرية^(٢)، حيثُ اعتصموا.

※

من جديدٍ تشورُ كِلابٌ وأحلافُها:

بالسِّ فتنَةٌ، وفسادٌ، وفوضى.

لا سبيلٌ سوى العُنْفِ، لكن

لن أبلِّغَ فيه - أكتفي منهمُ بتأديهم.

وسأوصي

أن تعادَ إليهمُ سباياهم.

※

جند الإخشيد أسارى

بين يديّ، ولكن

لن أقتل منهمُ جنديًا، وسأعفو عنهم، وأُسرَّحهم.

(١) اسم القرمطي الثائر.

(٢) اسمها الحدث، وكانت في إقليم حمص.

✱

جَبَلٌ شَاهِقٌ
وَالدَّرُوبُ إِلَى الْحَصَنِ مَقْطُوعَةٌ
بِخَنَادِقِ نَارٍ وَنَفْطٍ.

✱

لَا حَصَانَةَ غَيْرُ الصُّعُودِ. صَعَدْنَا
وَصَلْنَا إِلَى بَرْزَوِيهِ، دَخَلْنَا إِلَيْهِ،
كَنْتُ أَضْغِي إِلَى أَرْضِهِ - التَّلَالُ،
الصَّخُورُ، الْمَتَارِيسُ، أَسْوَارُهُ
تَتَهَاوَى وَتَنْشَقُّ حَزناً عَلَيْهِ.

فَرَدَسَ (٢) مُخَبَّطٌ كَسِيرٌ،

وَكَأَنِّي أَرَاهُ

يَتَمَرَّقُ مُسْتَسْلِمًا وَيُجَرِّجُ أَحْشَاءَهُ

فَوْقَ صَخْرٍ وَنَارٍ.

كَانَ نَصْرًا جَمِيلًا تَنَوَّرَتْ فِيهِ

مَا سِيحَدُثُ، وَازْدَدْتُ فَنَاءً

فِي التَّمَرُّسِ بِالْحَزْبِ.

عَزَزْتُ أَخْلَاقَهَا - أَعَدْتُ إِلَى فَرَدَسٍ

إِيَّاهُ (مَاتَ فِي حَرْبِنَا، وَحَمَلْنَاهُ رِفْقًا وَضَنًّا بِهِ أَنْ يَظْلَ

طَعَامًا لَطِيفٍ أَوْ لِيَوْخِشٍ. نَصَارَى حَلَبٍ سَلَمُوهُ إِلَيْهِ

وَكَانُوا بَيْنَنَا جَسْرَ وَضَلٍ)

كُنْتُ أَسْتَبْصِرُ الْوَقْتَ فِي نَشْوَةِ النَّصْرِ، حِينَ مَرَرْتُ

بِأَنْطَاكِيَّةٍ

وَالْتَقَيْتُ بِأَحْمَدَ (٣). كَانَ اللَّقَاءُ الْمَدَارَ الْأَشَدَّ التَّصَاقُافَ

بِأَعْمَاقِي النَّائِيَةِ.

(١) السنة التي حَقَّقَ فِيهَا
سَيْفُ الدَّوْلَةِ نَصْرًا مَهْمًا عَلَى
الرُّومِ، وَهِيَ السَّنَةُ نَفْسُهَا الَّتِي
التَّقَى فِيهَا بِالْمُتَنَبِّي فِي
أَنْطَاكِيَّةٍ.

(٢) فَرَدَسَ فُقَّاسٌ، قَائِدُ
الرُّومِ، آنَ ذَلِكَ.

(٣) الْمُتَنَبِّي.

عامر وقشير وعجلان، أولاد كعب
وكلاب -

كلهم خارجون علي. ولكن
كان سهلاً

أن يردوا إلى طاعتي. أزلت أباطيلهم،
وأوضيت جُنْدِيَّيَ الْأَ يَمْسُوا
حريماً لهم. وعفوت، وسامحتهم
وكانوا قتلوا والياً^(١).

*

أعرف أن بكاء الناس شديد،
ميتي.

لكن،
سيكون علي شديداً أيضاً،
حين أموت.

*

(١) هو الضياع بن عمارة،
وكان والياً على قنشرين.

ظِلُّ رَمَحِي سَوَالٍ عَنِ الْقَتْلِ وَالْمَوْتِ ،
خُطَّ عَلَى جَسَدِ الشَّمْسِ . وَجْهِي
مِثْلُ طِفْلِ
يُهَيِّئُ أَحْلَامَهُ وَالْعَابَةَ
لِلطَّيُورِ وَأَعْشَاشِهَا .

※

أَصْدَقَانِي -

يَحْسِبُونَ الْكَوَاكِبَ شِعْرًا
وَالشَّعَاعَ الَّذِي يَتَجَسَّسُ مِنْ دَوْرَةِ الْكَوَاكِبِ ،
وَحَيًّا .

مَا يَكُونُ ، إِذَنْ ، جِبْرُهُمْ ؟

※

لَمْ أَكْتُبْ شَيْئًا . كُنْتُ أَقُولُ : الْحَرْفُ يُمِيتُ ،
وَكُلَّ كِتَابٍ

يَسْخَرُ مِمَّا فِيهِ الْوَرَقُ ،
إِنْ لَمْ تَتَجَدَّدْ فِيهِ الْأَرْضُ ، وَتَبْدَأُ مِمَّا
قَالَ الطَّرْقُ .

※

كون - لم أقرأ فيه
إلا كلمات
لم ألمح فيه إلا صورة
أين يكون المعنى؟
هل أسأل ما يتغير فيه، أو ما يتبقى؟
هل أسأل جسم الكوكب عن معناه؟
أم أسأل نوره؟

*

يُنْبغي أن تُسمى الثغور
وطناً آخراً
زارعاً حاصداً للقبور.

*

غارة، غارة، في تباريحه العالية،
يتغير طوروس: طوراً
يُنحني - يترأى
في خليج قُسطنطينة، وطوراً
يزدهي - يتقلب في حضن
أنطاكية.

*

لا نِيَالٌ وَلَا عَرَبَاتٌ . لا دروْعٌ - ولكن
خَوْذٌ، لا طُبُونٌ
إِبِلٌ وَيَارِقُ شَتَى - خطوطٌ وَوَشْيٌ، وعمائمٌ
تَسْتَنْفِرُ الصَّهَوَاتِ، وتزهو وتخطّ فضاء
الخيول.

✽

يمدحون، ولو عَرَفَ المادحونَ دخائلَ مَنْ
يمدحونَ، إِذْ لَرَمَوْا ما يقولونَ
في سَلَةِ اللِّقْمَامَةِ،
ولكانوا، إِنْ أَرَادُوا الحَيَاةَ بِصَدَقِ،
رَفَعُوا عُذْرَهُمْ وَأَخْطَاءَهُمْ
في الطَّرِيقِ إِلَى مَوْتِهِمْ عِلَامَةً.

✽

أَتَرَكُ الرِّيحَ تَعْبُرُ . وَقَتُ المَحْبِبِّينَ والشَّعْرَاءِ
الْجُذُورُ وَأَسْرَارُهَا، وَأَدَارِي
خَيْرَتِي، وَطَحَالِبَ خَطْوِي،
وَأَخْطَاءَ حَقْلِي :
الطَّبِيعَةُ فِي تَقْلَمِ أَشْجَارِهَا.

✽

بِخُضُوعٍ وَزُلْفَى،
يرفعون هواهم وأقوالهم وأعمالهم،
إلى كُلِّ عَرْشٍ.
وَيَمْدُونَ أَيَّامَهُمْ
تَحْتَ خَطْوِ سُلَاطِينِهِمْ بِسَاطَأَ،
وَيُضِيفُونَ أَسْمَاءَهُمْ
لِلنَّبِيِّ، وَآلِ النَّبِيِّ، وَصَحْبِ النَّبِيِّ.
مَا الَّذِي يَفْعَلُ الْعَرْشُ،
أَجْمَلَ مِنْ جَنِّي هَذَا الْقَطَافِ
الشَّهِي؟



حَرَبُوا حَلَبًا، تَرْكُوهَا
 أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ
 وَكَأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا شَاءَتِ الْخِلَافَةُ مِنِّي،
 وَمَا شِئْتُهُ،
 وَرَقًا عَائِمًا
 فِي مِيَاهِ قُوتِي،
 وَدَمَاءُ تَسِيلُ عَلَى الضَّفَتَيْنِ.

✱

حِينَ أَرْنُو إِلَى الْحَرْبِ غَزَوًا وَقِتْلًا وَنَهَابًا،
 أَتَشْكُكُ: مَاذَا، أَهَذَا جِهَادٌ؟
 أَبْهَذَا نَضَمَ سَوَانَا إِلَى دِينِنَا؟
 أَمْ فِسَادٌ يَجْزُ الْفِسَادُ؟

✱

لِمَ لَمْ أَقْرَأِ الرِّيحَ وَهِيَ تُقَلِّبُ بَيْنَ يَدَيْهَا
 كِتَابَ الشَّجَرِ؟
 لِمَ لَمْ أَسْأَلِ النَّهْرَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي بِأَقْلَامِهِ؟
 كَيْفَ يَقْرَأُ، أَوْ كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يَتَحَدَّثَ
 مَعَ غَيْمَةٍ أَوْ حَجَرٍ؟

ضَحِكَ الضَّوءُ مِنِّي
ضَحَكَتْ أَنْجَمٌ تَتَمَوَّجُ أَثْدَاؤُهَا فِي مِيَاهِ قُوقِي .
وَكَأَنِّي أَرَى لِقُوقِي يَتَغَامَزُ مَعَ ضِيقَتِي .
ضَحِكَ الزَّبَدُ الْمَتَرَبِّعُ حُرًّا عَلَى عَرْشِهِ
فَوْقَ وَجْهِ النَّهْرِ .

✽

الْخِلَافَةُ بَيْتٌ -
عِنْدَمَا يَدْخُلُ الدَّاحِلُونَ إِلَيْهِ
تُغْلَقُ أَبْوَابُهُ ،
وَتُقَامُ الطَّقُوسُ ، -
الْإِلَهَ عَلَى عَرْشِهِ
سَاهِرٌ بَيْنَ جُدرانِهِ :
الزَّوْوسُ تُقَطَّعُ مَخْتُومَةً بِيَدِيهِ
وَالدَّمَاءُ تُرَاقُ عَلَى قَدَمِيهِ .

✽

أَزْسِنَاسُ وَأَطَوَافُهُ وَالزَّوَارِقُ وَالْجُنْدُ وَالْخَيْلُ
وَالْإِبِلُ النَّافِرَاتُ جَوَارٍ إِلَى الْقَلَلِ الْمُنْتَظَرِ :
عَرَبٌ يَعْبُرُونَ إِلَى الرُّومِ ، فِي نَهْرِ مِنْ صَوَرِ .

✽

لم أَعُدْ أفهمُ
كيف يُسْتَغْفَرُ العرشُ كاللّه،
أو كيف تُزْرَعُ،
من أجل أن تُخصَدَ، الأنجمُ.
أعْطِنِي قوّة الرّفْضِ والنُّطْقِ، يا حُبّها
لأقول: بلادي

لا حدودَ، ولكن
حيثما كان عدلٌ وحبٌّ، بلادي
ولا خوفَ، لا فَرْقَ فيها،
أعربَ الناسَ أو أعجمُوا.

※

آه، ما أطيبَ النومَ!
بين السريرِ وتلك المرايا
حولَ محرابها،
لا فراشَ لنا
غير عِطْرِ الفضاء،
وغيرَ الفضاءِ الذي سيجتُه بأهدابها.

※

أَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْكَهُولَةِ
وَأَوْشُوشُ صَخْبِي
وَأَكْزَرُ هَذَا لِسِيفِي
وَأَكْزَرُهُ لثِيَابِي -
وَأَرْدَدُ مَا أَتَعَزَّى بِهِ:
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ التَّقَدُّمِ نَحْوُ الْكَهُولَةِ، إِلَّا
خُطَوَاتُ الطُّفُولَةِ.

※

لَمْ أَزْعَمْ يَوْمًا
أَنْ هَيَامِي أَنْ أَرْغَى النَّاسَ، وَلَكِنْ
صَادَفَ هَذَا.

وَلَهِيَ أَنْ أَسْتَجْلِي
جَسَدَ الْأَشْيَاءِ، وَأَمْشِي خَلْفَ خُطَاهَا
وَلَهِيَ أَنْ أَرْغَى نَجْمًا
أَنْ يَشْرَدَ وَجْهِي فِي وَجْهِ الشَّمْسِ
وَأُسَلِّمَ صَدْرِي
لِبَهَاءِ مَدَاهَا.

※

لولا الفارابي وأحمد^(١) والكتابُ وأهل الفن،
ولولا

العلماء،

كانت حلبٌ قفراً.

هُم أعطوني معجدي،

وبهم حلبٌ قالت وتقولُ رؤاها

وبهم عرفتُ

أن تُوغل في سِرِّ الأشياء.

❖

(١) يشير إلى المتنبي،
والمعروف أنه بقي معه في
حلب، تسع سنوات، بين
٣٣٧هـ - ٣٤٦هـ (٩٤٨ -
٩٥٧م). والمعروف أيضاً أن
سيف الدولة وُلد في السنة
نفسها لولادة المتنبي، سنة
٣٠٣هـ - ٩١٥م. وأنه مات
بعده بستين ٣٥٦هـ. وأنه
أنشده آخر قصيدة في حلب،
سنة ٣٤٥هـ، والتي يقول
فيها:

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره
قد أُفِيذَ القول حتى أُخِجِدَ
الضمُّ.

أَلَدَمَسْتُكَ يَبْكِي . تَرَهَّبَ . أَشْفَقْتُ . لَنْ يُقْتَلَ
 سِيرِي عِنْدَنَا مَلَاذًا
 وَيُكْرَمُ . أَوْصَيْتُ خَيْرًا بِهِ .
 كَانَ يَأْتِي إِلَيْهِ نَصَارَى حَلَبَ لِلزِّيَارَةِ . يَوْمًا ،
 أَخَذَتْهُ مُوَاجِيذُهُ وَأَسْرَارُهَا ،
 وَارْتَقَى فِي سَلَالِمِ رُؤْيَاةٍ : « كَلَّا ،
 لَنْ أُعِيشَ أَسِيرًا ، هُنَا » ، وَقَرَّرَ أَنْ
 يَشْرَبَ السُّمَّ . أَعْطَوْهُ فِي خَفِيَّةٍ مَا أَرَادَ
 وَتَغَاضَيْتُ رِفْقًا بِهِمْ
 وَسَمَحْتُ لَهُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَالْحَدَادِ عَلَيْهِ ،
 شَأْنَهُمْ فِي تَقَالِيدِهِمْ ،
 وَبِلَبْسِ السَّوَادِ .

✱

كَلَّمَا قُلْتُ : رَوْمَ ، أَحِسُّ بِأَتِي أَضْغِي
 لِعَذَابِ ابْنِ مَرْيَمَ :

- يَا سَيِّدِي

لَمْ أَحَارِبْكَ يَوْمًا .

وَأُصْغِي

بَحْنَانٍ وَحُبِّ لَصُوتٍ يُغْنِي

لِمَجْدِ ابْنِ مَرْيَمَ :

«أَنْتَ الطَّبِيعَةُ - مَا قَبْلَهَا، وَمَا بَعْدَهَا،

وَالْتَحَوَّلُ أَنْتَ، وَأَنْتَ الْفُصُولُ»،

أَوْ يُغْنِي لِصَلْبِ ابْنِ مَرْيَمَ :

«أَنْتَ الطَّرِيقُ،

وَفِي السَّفَرِ اللَّانْهَائِي، أَنْتَ الْوُصُولُ».

- لَمْ أَحَارِبْكَ، يَا سَيِّدِي، لَمْ أَحَارِبْكَ يَوْمًا.

※

أَتَسَاءَلُ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ يَقِينِي

بَأَنِّي أَعْرِفُ أَحْوَالَ غَيْرِي،

وَأَحْوَالَ نَفْسِي -

وَأَنَا الْآنَ أَجْهَلُ مَنِّي أَمْسٍ؟

※

ذَاهَبَ فِي غَزَاةٍ غَدًا. وَلِمَاذَا؟

أَلَكِي يَتَعَالَى صِرَاحُ الْعَبَثِ

فَوْقَ صَمْتِ الْجُنُثِ؟

※

ليس لي من طفولتي الآن غير الصُور
صورٌ - ذكرياتٌ
لا كلام، ولكن
أبجدية وزد وضوء تتلألأ في طبقات النظّر.
*

أحرقوا، دمروا،
نهبوا كل شيء
والنساء استبحن: اغتصبن، سبين - بماذا
أسوِّغ هذا،
وكيف أَدافع عنه؟
بجهاد العدو؟ بنبل الجهاد، وبأسِ
الكفاح؟

والجنود اندفاع رياح:
أهناك سبيلٌ لصدِّ الرياح؟
حيرتي عبث الدهر:
من يأسر الأرض يحيا أسيراً على الأرض،
والمستبيح هنا أو غداً
سيكون هنا أو غداً مستباح.
*

الحروب التي خضتها

وانكسرت هنا، وانتصرت هناك، الحروبُ

التي دمرت عدوي، أو دمرتني

لم تزدني إلا ضياعاً ويأساً.

✱

في انكساري، في ذروة الفجيعة،

دائماً،

كنت أشعر أنني أضفي

وأكثر قرباً لنفسي

والى حكمة الطبيعة.

✱

لم أشأ أن أطارد كافور^(١)، أو جنده

والأسارى سمحت لهم أن يعودوا إلى أهلهم:

لم أشأ أن أشاهد خيلي

تخوض في بركة.

إمض كافور - رأسك في مأمّن

وجيشك في مأمّن،

وطريقك مفتوحة.

✱

(١) لقيه وجنده في الرمن،

قرب حمص، فانهزموا. أمر

سيف الدولة جنده ألا يقتلوا

أحدًا من الأسرى، قائلاً:

«الدم لي، والمال لكم». أسر

نحو أربعة آلاف من الأمراء

وغيرهم. ومضى كافور هارباً

إلى دمشق. ثم أطلق سيف

الدولة هؤلاء الأسرى جميعاً.

خَمَرَةُ الْأَرْضِ أَبْعَدُ مِنْ نَشْوَةِ التَّفَكُّرِ فِي
أَضْلَاهَا،

وَالطَّبِيعَةُ أَسْمَى وَأَعَمُّ

مِمَّا يَقُولُ اسْمُهَا.

※

فِي الطَّرِيقِ، جُنُودٌ يَمُوتُونَ: بَعْضُ

لَا يَزَالُونَ فِي أَوَّلِ الْعَمْرِ، بَعْضُ شَيُوخٍ.

الدَّبَابُ، الْوَحُوشُ، الطَّيُورُ الْكَوَاسِرُ

تَجْتَاحُ أَحْشَاءَهُمْ.

كُلُّهُمْ خَطَّ نَفْسًا عَلَى سَاعِدِيهِ،

أَوْ عَلَى صَدْرِهِ - اسْمُهُ وَالْهَيْهَ

أَوْ مِنْ هَذِهِ الْمَتَاهَةِ.

※

يَا أَطْبَاءَ جِسْمِي^(١)، اذْهَبُوا الْآنَ عَنِّي

إِنَّ رُوحِي فِي حَاجَةٍ

لِأَطْبَائِهَا.

※

(١) قيل: كان يقف على
مائدة سيف الدولة أربعة
وعشرون طبيباً لينصحوها له
بتناول الطعام الذي ينفع
مزاجه. (الطَّبَاخ، أعلام
النبلأ: ٢٧٩/١).

لم أكن مرةً قريباً لنفسي، كما أشعر الآن:

فوقِي

نجمَةٌ أترصد أحوالها.

أتراني، يوماً،

مثلما وشوشتني أُمِّي:

أتدثر سِرِّبَاليها؟

✱

أتساءلُ في وحدتي:

أترى الليلَ أجملُ من هذه الشمس؟

والموتُ، هل هو، حقاً، ظلامٌ؟

والسؤالُ لكي يُستَعاذَ

ولعاً بالخفاءِ وسِحرِ السَّوادِ.

✱

غالباً، أتساءل: كيف عرفنا

وحدةَ الله؟ لا جسرَ ما بيننا،

لا كلامٌ، ولا صورةٌ.

وأضيفُ بشكٍّ وصمتٍ:

ربّما - نحن لم نخترِ الجهلَ باللهِ، لم نخترِ المعرفةَ.

رُبَّما - هو شاء الذي شاء:

ألا نرى منه غير الصِّفَةِ.

✱

يتساءل: ما السرّ في هذه الأرض؟ ما الغيب؟

من أين إمكانه والمُحَال؟

يتساءل - وهو السُّؤال، وأضلُّ السُّؤال، وسِرُّ السُّؤال.

✱

(١) الإشارة إلى الخطاط المشهور علي بن مقلّة، (مات سنة ٣٣٨هـ)، وكان منقطعاً إلى سيف الدولة وآل حمدان. وقيل: إن عدد هذه الأوراق خمسة آلاف، ولا يعرف ما كان فيها. وقد سميت هذه الغزوة، غزوة المصيبة.

كُتِبَ ورسائلُ، أوراقُ شِعرٍ وعِلْمٍ

حَظَّهَا بيديهِ،

أُخِذَتْ مِنْهُ^(١) فِي هَذِهِ الْحَرْبِ. خَلِي

شَتَاتٌ، وَجُنْدِي فِي

مِخْنَةٍ.

وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ مَاذَا أَقُولُ

كَلَّ مَا فِي أَنْقَاضِ حُبِّ وَحَلْمٍ

وَرَمَالَ بَلَا شَاطِئٍ، وَطُلُولُ.

✱

حَلَبٌ لَمْ تَكُنْ مَرَّةً مِثْلَهَا الْآنَ:

لَأَلَاءَ بِيْزَنْطِيَا وَخَمِيرَةَ بَغْدَادَ: زَوْجَانِ فِيهَا،

وَالسَّرِيرُ دَمَشَقُ.

✱

أَتَعْلَمُ أَنَّ أَرْسَمَ الْأَفَقَ بِالْحُبِّ، وَالْأَرْضَ بِالْقَلْبِ:

هَذِي

لُغَةً فِي الصَّبَاحِ

أَتَنْسَمُ أَغْوَارَهَا وَأَسْرَارَهَا

في كتاب الجِراح .

✱

قَدْرِي أَنْ أَكُونَ أَلِفًا
وَأُولَدَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ،
غريباً .

✱

أَحْمِلُ السَّيْفَ قِثَارَةً (هذه لُغَةٌ لَا تُحِبُّ وَأَشْعُرُ
أَتِي فِي حَاجَةٍ لَكِي أَتُنَكِّبَ عَنْهَا)
وَأَقُولُ لِهَذَا الزَّمَانِ : انْسَكِبْ
بَيْنَ أَوْتَارِهَا

هَلْ يُصَدِّقُ^(١) أَنِّي أَحَنُّ إِلَى أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا ،
وَأَكُونَ إِلَى جَنْبِهِ شَاعِرًا؟

✱

(١) الإشارة إلى المتنبي .

لم يكن مادِحاً
 كان يهجو عَمَى الآخرين،
 ويقرأ أحواله وأعماله
 في شمائلٍ ممدوحه.
 كان يرنو إليَّ كَأَنِّي صِنُو
 وَنَدُّ لَهُ،
 وَيُضِيءُ نبوءاته وهياماته
 في التحدُّثِ عَنِّي.
 كان ممدوحه
 شخصه الغامض الآخر.
 هكذا، كان يمضي بعيداً في الكلام عليه
 ليزداد علماً بأحواله.
 وكثيراً تساءلتُ: ماذا سيفعل لو كان في
 موضعي؟
 أترى، كان يَنْشُقُّ نصفين، مثلي: يعيش
 مباذِلَ أيامه،
 ويخسرُ أحلامه وغواياتها؟

(١) الممروف أن سيف
الدولة أعاد الصلة بالمتنبي بعد
تركه مصر، ومجئته إلى
الكوفة. فقد أرسل سيف
الدولة ابنه من حلب إلى
الكوفة معه هدية، فكتب إليه
من الكوفة سنة ٣٥٢هـ،
قصيدته المشهورة اللمية،
والتي يقول فيها:
وسوى الزوم خلف ظهرك
روم
فعلى أي جانبيك تميل؟
(...)

من عبيدي، إن عشت، لي
ألف
كافور، ولي من نداك ريف
ونيل.

وكثيراً، تَمَيَّتُ لو قال لي مرّة
خَطَأِي، والتباسَ النَّظَرِ
في أمور البشر.

وكثيراً تساءلتُ:

لكن،

أُتْرَى كان ذلك يلقي لديَّ القَبُولُ

أم تُراني كنتُ أجاهِرُ: كلاً،

باطِلٌ ما تقولُ وتجهلُ ماذا تقولُ^(١)؟

بلدٌ - بركةٌ مِنْ دَمٍ:

هل أقولُ - تعهدْتُها، وأُشرعْتُها

للملأ

كي تزولَ عن الأرض نازُ الظمأ؟

(لغةٌ لا أحبّ اللجوءَ إليها).

✱

تفتح الحرب للموت بخرأ

وللحبّ تُغلق بيتاً،

وتشاء الذي لا نشاء.

بخطاها، لا بألفاظها

تكتب الحربُ تاريخَ هذا الفضاء.

✱

سيُسَمّونني خائناً - ولكن

هل أخون المدينة

إن جلبت إليها - في تباريحها ومراريتها

ما يردّ إليها السكينة؟

✱

عَالِيَا،

فِي بِنَابِيعِ حَرِيَّتِي -

أَشْعُرُ الْآنَ أَنِّي وَحِيدٌ،

وَمُنْفَايَ فِي بَدْنِهِ .

※

قَلْتُ لِلشَّمْسِ، أَمْسِ، اغْفُرِي لِي

نَمْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَادَتِي،

وَسَهَرْتُ بِلا حِكْمَةٍ .

وَمَدَدْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْرِهَا،

وَصَلَّيْتُ فِي حَضْنِهَا .

※

فِيَّ ضَعْفٌ يُهَيِّمُنْ حِينًا، فَأَصْرُخُ :

«قَرْنُ الحَوَافِرِ

يَتَقَدَّمُ عِنْدِي رَنِينَ المَزَاهِرِ .»

※

لَيْسَ هَذَا صَبَاحًا،

إِنَّهُ قَشْرَةٌ مِنْ صَبَاحٍ

جَرَفَتْهَا إِلَيَّ الرِّيحُ .

※

أَهْنَالِكَ حُبُّ

شَبِيخٌ وَفَتًى فِي آيْنِ؟

※

عَرَقٌ يَتَحَدَّرُ مِنِّي - لَكِنْ

مِنْ أَيْنِ؟ ثِيَابِي

تُلَجِّ؟

وَالْأَنْجُمُ فَوْقِي تَرْجَفُ بَرْدًا.

※

رُومِيَّةٌ عَاشِقَةٌ أَسْرَهَا، وَعَشَقَهَا أَسِيرِي،

تَأْخُذْنِي، تَسْكُبُ أَحْزَانَهَا

فِي جَسَدِي فِي دَمِي،

تَقُولُ فِي غَبْطَةٍ - وَالذَّمْعُ مَرَاتَهَا:

«يَاسِرْنِي أَنَّنِي

حَزَرْنِي حُبُّهُ

يَاسِرْنِي أَنَّنِي

أُحِبُّ حَبِّي لَهُ.»

أَقُولُ: «رُومِيَّةٌ - حَزْرٌ أَسِيرُ بِهَا

يَاسِرْنِي أَنَّنِي

أُحِبُّ حَبِّي لَهَا.»

※

كيف، من أين أصلح نفسي
وأعيد الفضاء الذي كنته
لمداراته،
والذي كان في وما كان عندي،
ضَيَعْتُهُ؟

※

تحدث أُمِّي عن آخرِ
فيَّ . من أين جئتُ إليه،
ومن أين يأتي؟ غيوبٌ
توهجُ في صدرها:
«ذاك من أمر ربي» .
لا أجادل أُمِّي، ولا أتساءلُ. أحنو عليها
وأفوض أمري إلى أمرها.

※

حُلُمي في اتجاه، جسدي في اتجاه، وفكري في
آخر:

لا تناقض،
بل وحدة الضوء والظل في هذه الحياة -

وحدة السّاهر المشرّد

في غابة الكلمات .

✽

سَايَرْتُ نَهْرَ قَوَيْقٍ : ضِيقٌ لَبَسْتُ
وَجَهَ التَّرَابِ ، وَأُخْرَى تَلَبَسَ الْأَفْقَا
فِي صَوْتِهِ فَلَقَّ - أَفْقُو تَمَوَّجَهُ
فَأَحْضَنُ الصَّوْتِ ، لَكِنْ أَعْشَقُ الْقَلَقَا .

✽

جَسَدِي خُبْرَتِي ، -

لَيْسَ لِي غَيْرُ مَا قَامَ أَوْ نَامَ فِيهِ ،
مِنْ بَهَاءِ الْمَسِيرَةِ
فِي عَتَمَاتِ الْكِفَافِ .
لَيْسَ لِي غَيْرُ هَذَا الْمَبَاهِجِ ، هَذَا الْجِرَاحِ .
جَسَدِي خُبْرَتِي -

أَخَذْتُهُ إِلَيْهَا سَمَاءُ الْغَيُومِ ، وَتَرْجِيهِ فِي فَلَكِ
الرَّضْدِ ، هُوجُ الرِّيَاحِ .

✽

كنتُ أقولُ: أحسنُ بأتَيَّ أولدُ كلِّ صباحٍ،
واليومَ أقولُ:

الموتُ أمامي والموتُ ورائي .
الشُّبَّاءُ شِبَّاءُكَ

والمقعدُ، حولي، خالٍ .
أحدِسُ: ضَيْفِي، هذا اللَّيْلُ، شهابُ أعمى .
*

قال يتابعُ أفكاراً، كنا نتحاوَرُ فيها:
«كنتُ أسألُ عَقْلِي عَمَّا كَانَ، وَعَمَّا
يَتكوَّنُ - مِنْ أَشْيَاءِ الْعَيْبِ، وَمِنْ أَشْيَاءِ
الدُّنْيَا.

لم أسأل يوماً جِسْمِي،
ألهذا لم أعرف شيئاً
وأموْتُ غريباً عن نفسي؟» .
*

حولي أشياء كنتُ أراها
كلِّ صباحٍ .
واليوم أحسنُ كَأَنِّي لم أعرفها

وكأني لم ألمحها، قَبْلُ - تُرانا
نُؤَلِّدُ في لحظات الموتِ،
أَمِ الأشياءُ تحوُلُ:
الطِّفْلُ يراها في ثوبِ
والشيخ يراها في ثوبِ؟
طِفْلٌ في جُبَّةِ شيخٍ،
شيخٌ في طَلْعَةِ طِفْلٍ -
لا أزمنة، لا أعمار،
بل أحوالٌ ومواجيدُ.

※

لو تيسَّرَ لي أن أعودَ كما كنتُ طفلاً،
وحَيَّرْتُ، لاخترْتُ
ألاً أفكر، ألاً أحارب،
لاخترْتُ جِسي
ولأغرقتُ في الحبِّ، في فتنة الحياة،
وفي فطرة الطَّبيعةِ نَفْسي.

※

أَمْسِ حَيْثُ نَهَرَ قَوْنِقِ

عند مفرقِ بيتي

وتحدّثُ مع وردة.

لم أفكر، قبل حبّي لها،

أَنِّي قَادِرٌ أَنْ أَحْيِيَ نَهْرًا

وَأَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَ وَرْدَةٍ.

✱

أَحْبَبْتُ دُونَ حَنَانٍ دُونَ عَاطِفَةٍ

وَمَا تَشْهَيْتُ إِلَّا مَا أَلَامِسُهُ

فِي غُزْلَةٍ عِشْتُ: لَا ضِدُّ يُشَاطِرُنِي

تُبَلِّ الصَّرَاعِ، وَلَا يَدُّ أَنَا فِسُهُ.

✱

كَانَتِ الْحَرْبُ حِينَ عَزَاءِ

لِي عَنْ وَحْدَتِي، وَحِينَ هُرُوبًا.

مَنْ صَغَارَ هَذَا الزَّمَانُ

وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الْحَرْبِ، كَانُوا

لَعِبَةً أَوْ رِهَانًا.

✱

أَتَعْجَبُ مِنِّي

كيف أمضيت عمري في الحَرْبِ -
حَرْبِ السَّيُوفِ، وَحَرْبِ الْكَلَامِ،
كيف لم يرفع الشعراءُ البيارقَ
للحُبِّ أو لِلسَّلامِ.

أَتَعْجَبُ مِنِّي وَمِنْهُمْ

كيف كُنَّا نَعْتِي لِتَحْطِيطِ مَنْ لَيْسَ مِنَّا
ونزهِو بهذا الفناءِ وهذا الحُطَامِ.

※

رَبِّمَا لَمْ تَكِ الْحَرْبُ إِلَّا ثَوْبِي الْمُسْتَعَارَ
كِي أُعْطِيَ عَجْزِي عَنِ الْفِكْرِ، أَوْ أُتَجَرَّأَ حَتَّى
أَقُولَ لِهَذَا الْغَبَارِ الْإِلَهِيِّ: أَنْتَ
الْفَرِيسَةُ وَالْوَحْشُ
يَا آدَمَ الْغَبَارِ.

※

لِلْأَشْيَاءِ كَلَامٌ أَبْهَى، وَدَمٌ أَعْلَى:
تُقْتَلُ أُمُّ
كِي تُؤْخَذَ مِنْهَا مِرَاةٌ.

يُقْتَلُ طِفْلٌ

كَي تُؤْخَذَ مِنْهُ لَعِبَتُهُ .

يُقْتَلُ شَيْخٌ

لِيُجَرَّبَ نَضْلٌ .

ما لي أتذكر هذا؟ . . . جسدي واو . . . أصوات؟

أصغي : حشدُ ملائكَ فوقِي في طبقات الغيم وفوق
سريري؟

هل يُنذرنِي؟ هل يسخرُ مِنِّي؟

※

جالِسٌ في سريري ، أسأِلُ نفسي :

ما الحربُ ، ما الحبُ ،

ما الحكمُ ، ما حلبٌ؟

كلماتٌ

تتخاصمُ فيّ ،

وتعلو وتهبطُ ،

تأتي وتمضي ،

وأجهلُ ماذا أقولُ .

جسدي في مكان،
وفراشي في آخر،
إنها لحظة الدُخولِ إلى غَيْهَبِ الأفولِ.

※

أأقول الآنَ لِسيفِ الدَّولةِ؛
لستَ عليّ؟
أأسألهُ: مَنْ أنتَ؟ ولكن،
مَنْ كانَ عليّ قَبْلَهُ؟
سرٌّ مكنونٌ،

لا، لن أسألهُ: مَنْ سيكونُ؟

※

المكان سريرٌ
يَتَشَعَّثُ في رِيحِ هذا الزَّمانِ، -
إنه الوقتُ: وَجْهِي يَرُدُّ إلى الشَّمْسِ
ما كان فيه،
مِنْ تقاسمها،
ويَدَايَ إلى الموتِ مَمْدُودَتَانِ.

※

من غبار المعارك، فوق ثيابي

جمعتُ الكثيرَ،

وسَوَّيْتُهُ لِبَنَّةٍ،

وأوصيتُ صَحبِي:

«عند موتي^(١)، ضَعوها

مُسْنَدًا تحتَ حَذْيٍ».

❖

(١) يُروى أن سيف الدولة
عُجِّلَ، لِمَأمات، تسعَ
مَرَّات: بالماء، والزَّيت،
والنَّبلوفر، والصَّنْدَل،
والعنبر، والكافور، وماء
الورد، والماء المقطَّر،
والزَّعفران. وبلغ ثمن كفنهِ
ألف دينار، ودفن في مِيا
فارقين، سنة ٣٥٦هـ، بعد
مقتل المتنبّي بستين.

أوراق خولة

أوراق خولة*

[كتب هذه الأوراق بين ٣٤١ - ٣٤٨هـ]

في الشمسِ، اليومَ، رأيتُ لجسمك ظلاً
فوق فراشي.

✱

الوقت يصيرُ تراباً، يا ماء حياتي
هل ستمرّ؟ رجاء، مُرّ. البابُ سيبقى
مفتوحاً.

حُرّاسي؟ عُشّاقُ أيضاً.

ولهم أسرارٌ ومواعيدٌ ولقاءاتٌ . .

✱

للسرير الذي سألاقيك فيه،

العشيّة، بوح

تتمارّج فيه روائح وزدٍ ومِسكِ،

وروائح نَدّ. وفيه

ألقٌ من بهاء النخيل، وفيه

واحة رسمتها

* الأخت الكبرى لسيف
الدولة، وهي التي كانت بينها
وبين المتنبي علاقة حبّ، في
رأي بعضهم. تُوفيت في
مَينافارقين، سنة ٣٥٢هـ.
وكان المتنبي آنذاك في
الكوفة. ورثاها بقصيدته
المشهورة، والتي جاء فيها:

طوى الجزيرة حتى جاءني
خبرٌ

فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه
أملأ

شرقت بالدمع حتى كاد يشرّق
بي.

وتملّق الواحدني على
أحد أبيات هذه القصيدة في
شرحه قائلاً: «أساء في ذكر
حسن مبسم أخت ملك». و
دافع عنه ابن جني، قائلاً:
«كان المتنبي يتجاسر في
ألفاظه جدّاً».

وفي هذه القصيدة،
يقول:

قد كان كلّ حجابٍ دون
رؤيتها

فما قنعت لها يا أرض
بالحجب

وهل سمعت كلاماً لي ألم بها
فقد أطلت وما سلّمت من
كُتب.

بالحنين وأيامه
خواصِرُ غزلانِها .
في السرير الذي سألَـك فيه ، العشيّة ، هذي العشيّة ،
مِثاقُ غاباتنا
ومُحيطاتِها .

❖

أَعْطِ للحربِ وقتاً أَقلَّ وشِعْراً أَقلَّ . عَذَابُ
أَنْ أَرَاكَ إِلَى جَنْبِهِ^(١) :

أَنْتَ فِي حِيرَةٍ ،
وَتُكَايِدُ مَا لَيْسَ مِنْكَ ، وَمَا لَسْتَ مِنْهُ .
وَهُوَ مُسْتَبْسِلٌ

وَاضِعُ رَأْسِهِ بَيْنَ سَيْفٍ وَسَيْفٍ ،
ضَائِعٌ بَيْنَ بِيْزَنْطِيَا وَدِمَشْقٍ ، -
تِلْكَ قُدَّامَهُ تَكَرَّرْتُ ، وَهَـذِي
خَلَقُهُ : كَيْدُهَا عَظِيمٌ .

❖

(١) الإشارة إلى أخيها سيف الدولة .

في الفراش الذي صَمْنَا
يكتبُ الحبُّ والحلمُ والرَّغَبَاتُ صحائفَ أيامنا،
مثلما تكتبُ الحقولُ
ما تقولُ الفُصولُ.

※

كلّ تلك العوالم في جَنَّةِ الوَعْدِ،
في وَهْمِي الأَثْوَى، حياةٌ
أَتَقَلَّبُ فيها

بين أحضانهِ الخالِقَةِ -

أين أنت؟ اغتَرَفْنِي

أَعْطِنِي ماءَ قلبِكَ، خُذْنِي إِلَيْكَ،
إلى نارِ شَهْوَتِكَ الخارِقَةِ.

※

لا دَمٌ في عروقي

غَيْرُ ذَاكَ الدَّمِ المتفَجِّرِ مِنْهُ إِلَيَّ. وهذي

غرفتِي تتَقَلَّبُ في نارِها

وتهايمُسُ جُذُرَانِها:

لا أَصْدَقُ - لَيْلِي، وَحُلْمِي

والتوافدُ، والبَابُ: هذا

كلُّهُ، مِثْلُ ضَوْءٍ

يَتَبَجَّسُ مِنْهُ،

ومن ذِكْرِهِ،

أَسِيرِي، وَأَصْلِي

كَي تَضِيقَ عَلَيَّ عُرَى أَسْرِهِ.

✽

آهَ طَعْمِكَ! مَا زَالَ رِيقِي يُسَافِرُ فِيهِ:

لِسَانِي سُكَّرٌ،

وَفِي شَفَتَيَّ جُنُونٌ.

✽

طَوَلَ اللَّيْلُ، أُنْقَلَّ خَطْوِي

فِي الدَّارِ، هُنَالِكَ - حَيْثُ...

وَحَيْثُ الْمَاءِ انْسَكَبَتْ.

✽

الْمَوْتُ أَسِيرٌ

وَالْحَارِسُ أَنْتَ وَحْبِي.

✽

قَلْبِي جُزِرَ

سُقُنُ الحَبِّ الأَوَّلَى تُرْسِي فِيهِ،

ورِيَّاحُ الحَبِّ الأَوَّلَى تَغْدُو وتَرْوُحُ إِلَيْهِ،-

لَا رُبَّانَ إِلَّا أَنْتَ،

أُبَحِزُ فِي إِيْنَا، كَيْفَ تَشَاءُ، وَأَنْتَ شِئْتَ.

※

كُلُّ يَوْمٍ،

أَقُولُ لِهَذَا السَّرِيرِ، لِهَذَا الغَطَاءِ

جَسَدِي نَاجِلٌ،

وَيُحِبُّ التَّمَوِّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ،

وَيُحِبُّ العَرَاءَ.

※

أَمْضَيْتُ لَيْلِي أَسْأَلُ اللَّحْظَاتِ عَنْكَ،

أَشْمُ جِلْدَكَ فِي الغَطَاءِ،

وَفِي الوَسَادَةِ،

صَدَقْتُ: كُلُّ غَوَايَةِ

رَبِّ، وَكُلُّ هَوَى عِبَادَةٍ.

※

لِفَعْلُوا مَا أَرَادُوا، لَنْ تُفَارِقَنِي
جَنِّي، وَلَنْ أَتَخَلَّى عَنْ شَيْطَانِي
وَكَيْفَ أَكْتُمُ حَبِّي، أَوْ أَقْنَعُهُ
حَتَّى يُبَايِي وَأَخْلَامِي تُعَرِّبَنِي.

※

أَلْقَصَائِدُ - تِلْكَ الَّتِي كُنْتُ تَكْتُبُ فِي دَفْتَرِي
بَيْنَ تَغْرِي وَنَحْرِي،
يَتَقَفَّزْنَ، يَأْتِينَ لَيْلاً إِلَيَّ،
يَدَاعِبْنَ ثَدْيِي فِي لَيْلِكَ السَّاهِرِ،
أَوْ يَا سَاحِرِي.

※

قَمَرُ اللَّيْلِ جَوَّعَانُ،
وَالْوَقْتُ مِثْلُ السَّوَارِ
هُزُّ جَذْعِي إِلَيْكَ، اخْتَضِصْنِي -
مَلَأَى بَحْيِي،
مَلَأَى بِأَشْهَى الثَّمَارِ.

※

اليوم، حصاني
لم يعرف كيف تجيء الشمس
لينهض كي يلقاني،
داعبت سواد قوائمه،
والعنق، الرأس، وعُرتَه
بردائي - بالأزرار، وبالأزدان.

※

بين تذيي طيف:
رأسه مثل طفلٍ
وادع، دافئ.

※

أنت فضاء وأنا تيه -

ما أبهى تيه الإثنين،
يا قَمري الأبهى ما بين القمرين.

※

ليس لي أجنحة
كي أطيّر إليك، وهذا
شعفي: أن أكون كأرض
وتجيء إليّ، وتهبط في ظلماتي
أن أكون كبابٍ على سُرّة الزمان،
وأن تفتحه.

✱

هوذا بصري - طائر، سابح، غارق
عالق بطريقك أنى توجّهت، أو كنت.
ماذا،

تفعل الآن، يا سيدي؟
خُذ يدي، خُذ يدي.

✱

أه من فكرة الحریم،
ومن ملكوت الحریم
جسدي، مثلُ فكري، جحيم
جسدي، مثلُ فكري، رجيم، -
تبارك شيطاني الرجيم.

✱

أَلْكَرْسِيُّ يَجَرُّ خُطَاهُ سِرًّا
لِيرَى: هل ثوبُكَ هذا المَرْمِيُّ، إزاء سَرِيرِي؟
وَأَنَا لَمَّا أَسْتَيْقِظُ.

※

وَخُذِي - لَا طَعَمَ لِهَذَا الشَّايِ، وَمِنْهُ شَرَبْنَا
أَمْسٍ، وَكَانَ لَذِيذًا.

※

أَمْسٍ حَلَمْتُ. رَأَيْتُكَ نَهْرًا
وَأَنَا فِيكَ أَغْوَصُ وَأَنْزِلُ حَتَّى الْقُعْزُ
صَوْبَ الْبَحْرِ.

※

مَا لَجَسْمِي غَرِيبٌ -
لَا عَلِيلٌ، وَلَا خَالِصٌ
مِنْ عَذَابَاتِهِ،
لَا مُقِيمٌ وَلَا رَاجِلٌ.
أَلْقُ فِي خَلَايَاهُ، لَكِنْ
قَلْقُ فِي خُطَاهُ.
أَمْزُجِي عِطْرِي، الْيَوْمَ، يَا خَيْرَتِي
أَمْزُجِيهِ بِشَعْرِ حَبِيبِي وَأَنْفَاسِهِ.

※

الستار، البلاط، الساط، الحصير
كل شيء يقول: انهضي،
وأعدي السرير.

※

من صندل حبي، من مجمرتي
يخرج ليل آخر يمشي حول سريري
ويخالط ضوء البيت ويكي
ويذوب حيناً في حنجرتي.

※

لا أصدق، لكن
جسدي غار مني
حين قلت لفكري:
زُرْه ليلاً، وسله، وأخبره
واحضنه عني.

※

طُولَ هَـذِي الشُّهُورِ

لَمْ أَتَمِّ مَرَّةً

دُونَ أَنْ أَتَغَطَّى

بِالْغَطَاءِ الَّذِي لَقْنَا

وَعَرَفْنَا أَوَائِلَ أَسْرَارِنَا تَحْتَهُ.

هُوَ لِي لَوْنٌ وَجْهِي وَجِسْمِي وَعَيْنِي،

وَالْأَرْضُ فِي مَا تَكُونُ، وَكَأَنْتِ.

وَهُوَ لِي مَائِي الطُّهُورِ.

※

فِي شَهْرِ الصَّوْمِ

غَيَّرْتُ ثِيَابِي

غَيَّرْتُ غِلَائِلَ نَوْمِي

غَيَّرْتُ بَيَاضَ سَرِيرِي، وَوَسَائِدَهُ،

كَيْ لَا أَنْقُضَ صَوْمِي

كَيْ لَا أَلْمَسَ إِلَّا نَارَكَ فِي أَثْنَاءِ النَّوْمِ.

※

ما أحبُّ وأغربُ هذا المساءُ :
من شبابيكهِ تتدلى نجومٌ
لابساتٌ غلائلٌ من ورقِ الآسِ ،
والليلُ يرسم أفخاذهنَّ
على شُرَفاتِ السَّمَاءِ .

※

ها هنا ، حول بيتي
فوقَ حَدِّ تَوَسُّدِهِ لَارَوْرُدِ المَدِينَةِ ،
يكتبُ رَبُّ الكواكبِ أشعارَهُ -
غرفتي ، وهي تقرأ تلكَ الكتَّابَةَ ، تقتصُّ آثارَهُ
وسريري ، رموزُ
تفتَحُ في ضوئِهِ ،
وتعلِّمُ أسرارَهَا
كيفَ تَجلو ، متى جاء ، أسرارُهُ .

※

(١) أخوها، سيف الدولة.

(٢) الإشارة إلى المتنبي.

مَرَّتِ الرِّيحُ بِيضَاءَ، واشتعلَ اللَّيْلُ أبيضَ،

في ذُرُواتِ الشَّجَرِ،

كنتُ أقرأ ما يكتب الحبُّ بيني وبين النُّجومِ -

صديقاته،

وأهْيَى أطفالَ حُزْني لرُسمِ القمرِ.

✱

لم يكن عادِلاً عليَّ^(١)

حين أضغَى لحساده^(٢)، -

كيف يقدر أن يسمع الشعرَ من غَيْرِهِ؟

يهرعونَ إليه

لا ولاءَ، ولا فتنةَ

بالجمالِ، ولكن

يهرعونَ إلى مالِهِ وإلى زادِهِ.

✱

إقْتَرَبَ إقْتَرَبَ

أَلْمَلَأْتُكَ مِنْ فَوْقِنَا فِي هَوَاجِ أَعْرَاسِهَا،

سأقولُ لِحُرَّاسِنَا أَنْ يُعَدُّوا الخِيَامَ لِحُرَّاسِهَا.

✱

أَلْمَازِنُ فِي شَفَتَيْكَ، عَلَى كَتِفَيْكَ،
وَفِي نَاضِرِيكَ . . . سَوَارٌّ،
أَمْ حَصَاؤٌ؟
وَدُرُوبُ السَّمَاءِ تُؤَدِّي إِلَيْكَ . تَلَقُّتُ،
رَبِّمَا . . .
مَا أَقُولُ؟ لِمَاذَا
أَتَذَكَّرُ هَذَا؟

فَاطِمَةُ
أَطْفَيْتِي شَمْعَةَ السَّرِيرِ، وَأَعْطَيْتِي
لِلْهَيْبِ الْمُنُورِ فِي ذِكْرِيَاتِي،
فَرَاشَاتِهَا الْهَائِمَةُ .

✽

أَلْحَبُّ بِلَادَ
تَتَرَحَّلُ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ،
بِدُونِ حُدُودٍ
وَبِلَا حَزَاسٍ .

✽

عندما ينظر الآخرون إليّ،
أَحْسَ كَأَنَّ لَوْجَهِي غِطَاءٌ
نَسَجْتَهُ تَجَاعِيدُهُمْ .
عندما لا يراني سِوَاهُ، أَحْسَ كَأَنِّي
فَلَكَ بَيْنَ أَفْلَاكِه الحَانِيَاتِ عَلَيْهِ
أَتُنْقَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

✱

أَلَسْمَاءُ تَغَطَّتْ
بِغَبَارِ الْمَدِينَةِ، هَذَا الصَّبَاحَ . غَيُومٌ
تَأْسِرُ الشَّمْسَ - تَخْرُجُ مِنْهَا، وَتَهْبِطُ
فِي حِينِنَا
مَطَرًا سَاحِنًا .
كَأَنَّ جَنُّ الْمَسَاءِ قَدْ اسْتَيْقِظُوا بَاكِرًا
وَمَضَوْا، بَعْدَ أَنْ حَمَلُونِي رَسَائِلَ مِنْهُمْ
إِلَيْهِ .

...

سَأَقُولُ لَهُ : وَاحِدٌ
بَيْنَهُمْ ، يَتَشَكَّى عَلَيْهِ .

✱

أَيَكُونُ الْفَرَاتُ سَرِيرَ تَبَارِيحِي
الشَّارِدَةُ،

أَتَكُونُ الْجِبَالُ شَبَابِيكَهَا؟
يَا ظَبَاءَ الْفَرَاتِ الَّتِي لَمْ تَزْرَنِي
مِنْ زَمَانٍ - (وَقَالُوا:
إِنَّهَا الْآنَ تَقْفُو ظَبَاءَ الْحِجَازِ
وَتَغْنِي لِأَطْلَالِهَا الْبَائِدَةَ)

يَا ظَبَاءَ الْفَرَاتِ الَّتِي لَمْ تَزْرَنِي
مِنْ زَمَانٍ، خَذِينِي
سَاعِدِينِي، سَلِي كَيْفَ أَشْفَى -
دَوَائِي

مِثْلَ دَائِي، رَحِيلُ
فِي سُهوبِ الْمَجَازِ.

*

أَكْتُبُ الْآنَ مَا يُشْبِهُ الرِّسَالَةَ

لَا إِلَيْهِ، وَلَكِنْ

لِلطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكَتُهَا خُطَاؤُهُ،

بَعْدَ ذَلِكَ الْلِقَاءِ الَّذِي ضَمَّنَا -

لِخُطَاؤُهُ، لِاضْطِرَابِ خُطَاؤِهِ فِي الرِّقَاقِ

الَّذِي يَنْتَهِي عِنْدَ بَابِي، لِصَمْتِ التَّلَهُّفِ

وَهُوَ يَدُقُّ عَلَى الْبَابِ. يَدْخُلُ - جَسْمِي

وَرَدَّةً فِي يَدَيْهِ، هَلَالٌ

حَوْلَ أَجْفَانِهِ،

وَحَبِّي هَالَةٌ،

أَكْتُبُ الْآنَ مَا يُشْبِهُ الرِّسَالَةَ.

※

هَاهُنَا نَحْنُ فِي الْبَابِ، فِي ظِلِّهِ وَاقِفَانُ

أَنْتَ ماضٍ. أَنَا؟ نَتَرَدَّدُ:

كَيْفَ نَقُولُ: الْوَدَاعَ،

وَجَسْمِي وَجَسْمَكَ لَا يَقْبَلَانِ،

وَلَا يُصْغِيَانِ؟

※

كان أجدادنا يقولون:

قيسُ بدايةً -

لا بدايةً للحبِّ، كلُّ عشيقين بدءٌ.

أثرها النهاية لفظٌ، لا لوصفِ الوجودِ، ولكن لوصفِ
الكلامِ،

البدايةُ في الحبِّ والخَلْقِ،

لا تعرفُ النهايةَ.

✱

أتذكرُ. لا غيمَ. كانت سماءُ المدينة أضفى منَ

الدمعِ. قلنا

نارُ أعضائنا فراشَ

والنجومُ غطاءً لنا.

✱

لا أصدقُ ما قال بعضُ المحبين: «ما كان في الحبِّ

أوهى وأوهنُ مما يكونُ»،

لا أصدقُ ما قال بعضُ المحبين: «ما كان في الحبِّ

أبقى وأكملُ مما يكونُ».

كلُّ حبٍّ جنونٌ بهيُّ

لا تفاضلَ في مثلِ هذا الجنونِ.

✱

رُزْتُ آثَارَنَا

بينَ بَيْتِي وَبَيْتِكَ . فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْهَا ،
وَتَنَسَّمْتُ عِطْرَ الطَّرِيقِ وَعِطْرَ الْمَكَانِ ،
وَتَخَيَّلْتُ أَنِّي
بِاسْمِهَا ، رُحْتُ أَخْتَطُّ تَحْتَ السَّمَاءِ سَمَاءً
كَيْ تُظَلِّلَ عُشَّاقَ هَذَا الزَّمَانِ .

*

دَاخَلَ نَفْسِيكَ تَمَاضِي ، تَتَوَعَّلُ . خَارِجَ نَفْسِي
أَمْضِي ، أَتَوَعَّلُ : أَنْتَ مُقِيمٌ
حَيْثُ الشَّعْرُ ، وَأَنْتَ
لَا حَدَّ لَوَجْهِكَ . وَجْهِي
فَلَّكَ دَوَارٌ
يَتَّبِعُ وَجْهَكَ أَتَى كُنْتُ .

*

أَضْعِ . هَذِي خُطَاَنَا
تَتَقَدَّمُ خَلْفَ السَّيَاحِ ،
أَضْعِ - هَذَا هُوَ الْجَرَسُ الْمَتَمَوِّجُ
فِي عُنُقِ الرِّيحِ ،
هَذَا غِنَاءُ الْمَفَاتِيحِ ،
هَذَا رَنِينَ الرِّتَاجِ .
أَضْعِ - لَا شَيْءَ إِلَّا
جَسَدَانَا ،
وَالْأَسْرَاجِ .

✱

لَيْتَكَ الْآنَ عِنْدِي ، قُرْبَ السَّرِيرِ ،
تَرَى اللَّيْلَ كَيْفَ يَجِيءُ إِلَيْنَا
سَاكِباً جِبْرَهُ فِي الْفَرَاشِ كَمَوْجٍ ،
رَاسِماً فَوْقَهُ جَسَدَيْنَا .

✱

أَعْطِهَا، سَيِّدِي
أَعْطِ أَعْضَائِي الْأَسِيرَةَ، أَعْضَائِي الْعَاشِقَةَ،
أَنْ تُسَافِرَ فِي هَذِهِ اللُّغَةِ الْمُسْتَسِيرَةِ،
فِي أَبْجَدِيَّةِ
أَعْضَائِكَ الْخَالِقَةِ.

✱

مِثْلَهَا أَنْسُجُ^(١) -
غَيْرَ أَنَّ عُرُوقِي سَدَاةٌ وَدَمِي لَحْمَةٌ.
عَالِيًا - أَتَرَصَّدُ أَنْوَارَهُ
وَالِى سَاعِدِيهِ، إِلَى عَرْشِهِ،
جَسَدِي يَعْزُجُ.

✱

لَا أَحِسُّ بِأَنِّي أَنَامُ، وَلَوْ كُنْتُ أُوْغِلُ فِي النَّوْمِ،
يَقْظِي
أَبْدًا بَانْجَذَابَاتِهِ
وَبَأَنْوَارِهِ وَدِيَا جِيرِهِ.
هُوَذَا رَأْسُهُ بَيْنَ نَهْدَيَّ،
وَالْأَرْضُ تَنْجَرِي إِلَى رَبِّهَا.

✱

أقرأ الآن، تلك الغصون التي تنكسرُ

في غابةِ الوقتِ،

عُريانةً، ندبةً

والتي تتراكمُ في حقلِ أيامنا.

لم أقل مرّةً إنها ذكرياتُ

لم أقل إنها غيومٌ -

قلتُ: هذي رياحُ خفيةً.

✱

باسمِهِ لِاسْمِهِ

كم أغتير مسراي، كم أتنقّلُ، كم أرحلُ

وأنا هاهنا بين جدران بيتي

خطواتي كقلبي - عالمٌ مُقفلٌ.

✱

غالبًا، أتخيّل أنّك بعدى^(١)،

لن تعرفَ النساءَ

وأسرُّ بهذا التّخيلِ، لكن

فجأةً، تتوهّجُ فيّ، كأنّك

تلمس تلكَ النّوّةَ التي أتوهّجُ فيها،

فأصرخُ: كلاً،

ليكن، وليعش

مثلما شاء، لا مثلما أشاء.

*

أتراها حياتي

لا تقولُ سوى مَوْتها؟

*

ستكونُ لنا بعدَ ليل الهبوطِ
إلى آخر الهاويه،
في مداراتِ أخبابنا وأخلائنا
دَارَةٌ للإقامة: للشعر والعشق أبوابها
وأساطيرها،
وللعاشقين وللشعراء نوافذ أشواقها
وأسرة أفراحها،
ومقاماتها.

سيكونُ لنا موتنا
في معارج أسرارنا الآتية
لغة ثانية.

※

وَحْدَهُ مَالِكٌ لِسَانِي
وَاللَّغَاتِ الَّتِي تَتَفَجَّرُ مِنْ تَحْتِهِ.
وحده عالَمٌ بصدري وما فيه من نعمةٍ وضيقٍ،
وحده أولُ الطريقِ إلى صَبَوَاتِي،
وحده آخرُ الطريقِ.

※

فِي زُرْقَةِ الْأَفْقِ، أَسْرِي خَلْفَ كوكبهِ
وَأَقْرَأِ النَّارَ وَالْآلَامَ وَالْمِحْنَةَ
بَحْرٌ فَتَحْتُ لَهُ صَدْرِي، وَطُقْتُ بِهِ
أَعَانِقُ الْأَرْضِ وَالْأَفْلَاكُ وَالزَّمَنَاتُ.

✽

بَيْنَ غُنْقِي وَصَدْرِي فَرَاغٌ.

فَرَاغٌ

بَيْنَ دِفْءِ الْيَدَيْنِ وَدِفْءِ الْهَلَالِ الَّذِي يَتَمَرَأُ
فِي مِيَاهِ الْمُثَلِّثِ - أَنِّي، وَكَيْفَ
أَقُولُ لِأَعْضَائِكَ الْقَمَرِيَّةِ هَذَا الْفَرَاغَ،
وَكَيفَ أَهْدُمُ أَسْوَارَهُ،
وَالْحَوَارِيَّ أَنْتَ، وَأَنْتَ الَّذِي يَتَمَلَّكُ أَسْرَارُهُ؟

✽

مَا الَّذِي خَلْفَ عَيْنِكَ، مَاذَا يُسِيرُ التَّغْضُّنُ
فِي وَجْهِكَ؟ تُرِيدُ الْمُضِيَّ
إِلَى آخِرِ التَّخْوَمِ
أَمْ تُرِيدُ التَّرَاجُعَ؟ قُلْ لِي،
أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُتَلَالِيُّ فِي وَجْهِهِ،
كَيْفَ أَقْرَأُ فِيهِ النُّجُومَ؟

✽

زَمَنْ مِثْلُ غَنِيمٍ يُحَوِّمُ كَالطَّيْرِ فِينَا
وَنُحَوِّمُ فِيهِ، -

حَبَّنَا غَابَةً لَطِيوْرٍ
صَالِحَتُنَا مَعَ الرِّيحِ أَشْجَارُهَا.
*

جَسَدَانَا
يَمْلَأَنَّ الْمَسَاءَ بِفَوْضَاهُمَا -
يَحْفَظُ اللَّيْلُ إِيقَاعَهَا، وَيُغْنِي
لِلسَّرِيرِ أَنْشِيدَهَا.
*

فِي تَقَاطِيعِنَا، فِي خَطَانَا
يَقْرَأُ اللَّيْلُ سِفْرَ الدُّخُولِ إِلَى حَبَّنَا
مِثْلَمَا كَتَبَتْهُ أَقَالِيمُنَا.
*

فَكَّتِ الشَّمْسُ أَزْرَارَهَا
لِلْمَغِيبِ، رَمَتْ ثَوْبَهَا
فِي يَدَيْهِ،
وَتَغَطَّتْ بِوَرْدٍ.
*

أَتَقَاتَلُ فِي الْبَيْتِ مَعَ خَطَوَاتِي

وَأَعَاتِبُ ثَوْبِي عَلَى صَنْمَتِهِ .

أَتَمَدَّدُ فَوْقَ سُرِيرِي ، وَأُضْغِي :

صَوْتُ نَافُورَةٍ مِنْ عَذَابٍ

يَجِيءُ وَيَذْهَبُ فِي زَفَرَاتِي .

✽

دَغْ صَدْرُكَ ، افْتَحْهُ ، قُلْ لِي كَيْفَ يَتَّسِعُ

لِذَلِكَ الْقَلْبِ الْأَكْأَلِ يَمْخَرُهُ

لِلرَّعْدِ يَقْصِفُ ، لِلْأَمْوَاجِ تَضْطَرُّعُ

وَلِلصَّحَارَى ، وَلِلرَّمْلِ الَّذِي امْرَقَتْ

فِيهِ الرِّيحُ ، وَنَاءَ الرَّاحِلُونَ بِهِ

فَاسْتَسَلَّمُوا ، وَانْتَنَوْا يَأْسًا ، وَمَا رَجَعُوا ،

وَكَيْفَ تَجْتَرَحُ الْإِعْصَارَ يَلْقِفُهَا

وَكَيْفَ تَسْمُو عَلَى الدُّنْيَا وَتَبْتَدُعُ -

أَلْصَّاعِدُونَ إِلَى آفَاقِكَ انْحَسَرُوا

وَالسَّائِرُونَ عَلَى آثَارِكَ اتَّضَعُوا

دَغْ رَأْسُكَ الْآنَ يَسْتَسَلِّمُ لِخَاصِرَتِي

دَغْ صَدْرُكَ ، افْتَحْهُ ، قُلْ لِي كَيْفَ يَتَّسِعُ ؟

✽

مِثْلَمَا عَلَّمْتَنِي رَوْاهُ

أَنْ نَوَرَ الْقَصِيدَةَ يَأْتِي إِلَى الشَّيْءِ،
يَفْتَحُ أَحْشَاءَهُ وَيَسَافِرُ فِيهَا،

هَكَذَا، بَعْدَهُ

سَوْفَ أَبْدَأُ فِي شَقِّ أَحْشَاءِ هَذِي الْحَيَاةِ
الَّتِي تَتَرَاءَى كَمِثْلِ الضَّبَابِ
ثُمَّ أَمْضِي، أَرْدَ إِلَى الْأَرْضِ ذَاكَ الْهَبَاءِ الَّذِي
أَخَذْتَهُ رِياحِي مِنْهَا،
وَأَصْعَدُ نَحْوَ الْأَقَاصِي
عَلَى سُلْمِ الْغِيَابِ.

✱

أَخَذْتَنِي الْوَسَادَةُ بَيْنَ يَدَيْهَا
حِينَمَا رَحْتُ أَبْكِي،
وَأَرْسُمُ بِالْذَّمْعِ حُلْمِي عَلَيْهَا.

✱

رَبِّمَا آثَرَ السَّفَرُ

وَتَشَرَّدَ كِي يَتَعَزَّى

حَبَّهُ عَاصِفٌ

وَأَقَالِيْمُهُ

شَرَّرَ يَسْتَشِيرُ الشَّرَرَ.

✱

قُلْ لِي: تِلْكَ الْغَابَاتُ الْمَمْتَدَّةُ

فِي عَيْنِيكَ

مِنْ أَيْنَ أَتَاهَا غَيْمُ الْحُزْنِ؟ وَقُلْ لِي:

هَلْ وَصَلَ النَّبْعُ الطَّالِعُ مِنِّي

فِي أَهْدَابِ الْفَجْرِ إِلَيْكَ؟

✱

طُرُق - ما أَكْثَرَهَا، ما أَقْرَبَهَا،
ما أَوْسَعَهَا
وأراها قفرَاء، وكلّ مكانٍ فيها
سِجْنٌ أو ضِيقٌ.

إِلَّا وَاحِدَةً -

تَأْتِي مِنْكَ إِلَيْكَ
ما أَبْهَى أَنْ تَتِمَادَى، وَتَطُولَ، وَتَنَاقَى بَيْنَ يَدَيْكَ.

*

أَمْسِ، لَمَّا التَقِينَا عَلَى الثَّهْرِ، ثُمَّ أَتَيْنَا إِلَى الْبَيْتِ،
أَحْسَنْتُ أَتَكَ تَهْبِطُ مِنْ كَوَكِبٍ
فِي قَصِيدَةٍ
قُلْتَهَا فِي شَبَابِكَ، -

أَوْعَلْتَ فِيَّ،
وَأَسْلَسْتَ جِسْمَكَ لِلْحُبِّ. قُلْ لِي:
هَلْ كُنْتُ نِصْفَكَ، مِنْذَ الطِّفْلِ؟ هَلْ كُنْتُ
تَبْحَثُ عَنِّي؟ قُلْ لِي:
أَأَنَا مِنْكَ أَوَّلَ أَيَّامِكَ الشَّرِيدَةِ،
أَجْزُ أَيَّامِكَ الشَّرِيدَةِ؟

*

لا أريدُ لحلمي أن يتحقَّق،
كي لا يكونَ لناري فيكَ انطفاء،
كي أظلَّ انتظاراً،
كي أظلَّ كأني على طرفِ الجمر، أخياً
وكأني أضُمُّ شفا هوة.
لا أريدُ لحلمي أن يتحقَّق فيكَ،
لكي لا أسافرَ مِنْكَ، لأبقي
في أقاليمِ نوعي وجنسي
أسيرةَ نفسي.

✱

كلّما غابَ في وجهه ناظري
لكي أتورَّ أبعاده
والهمومَ التي تتراحمُ فيها -
حسبْتُ كأني أَلَمُ المساء، أَلَمُ الصّباح
موجةً موجةً
من خليجِ الجراح.

✱

أُنْكِرْتُهُ الْمَدِينَةَ -

هي في نَوْمِهَا
وهو في فَجْرِهَا
يُوقِظُ الْحَبَّ فِيهَا
وَالشَّمُوسَ الدِّينَةَ فِي أَرْضِهَا الدِّينَةَ.

✱

أَيْنَ يَمْضِي، إِذْنَ؟
نَهَرَ مِنْ جِرَاحٍ لَا مَصَبَّ لَهُ،
يَتَدَقَّقُ فِي فَلَوَاتِ السَّمَاءِ
جَارِفًا حَلْبًا وَالْفِرَاتِ وَمِيًّا فَارَقِينَ، بِأُمُوجِهِ.
أَيْنَ يَمْضِي، إِذْنَ؟
شَجَرُ الْجُبْرِ نَكَسَ أَغْصَانَهُ -
أَيْنَ يَمْضِي، إِذْنَ؟
لَمْ يَعِدْ بَيْنَنَا غَيْرَ تَرْحَالِهِ - وَخَطَاؤُهُ، وَوَقَعَ خُطَاؤُهُ،
وَطَيَّفَ اللَّقَاءَ

لَمْ يَعِدْ بَيْنَنَا
غَيْرُ أَنْ أُنْسِلَ الْوَقْتُ كَالْخَيْطِ مِنْ طَيْفِهِ،
وَمَنْ ذَكَرَهُ،
وَأَخِيَطَ الْهَوَاءَ.

✱

جسدي - كم أَحِبَّ شَيْطَانَهُ
أَسْتَضِيءُ بِوَسْوَاسِهَا
وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَيْهَا.



كيف لي أن أُمَيِّزَ بَيْتِي بين البيوت
أو أَفْضِلَ ما بين رُفُحٍ وَنَايٍ،
عندما لا يكون أَمَامِي، في هذه اللَّحْظَاتِ،
سِوَى بُعْدِهِ،
وَسِوَى أَنْ أَمُوتَ.



دفاتر

(أوراق خاصة عُثِرَ عليها وأُلحقت بالمخطوطة)

«كان يستغرق في الدرس، حتى
يمضي من الليل أكثره. وقال وكيل
داره: «ثم جُنَّ اللَّيْل، فقَدِّمت له
شمعة، وأمرَ برفع دفاتر، وكانت
تلك عادته، كلَّ ليلة».

(الصَّبح المنبي: ٨٠ / ١)

1 / VIII

دفتر أيقونات

- أ -

غَيْرَ الْجَبْرِ أَفْلَامُهُ
غَيْرَ الضُّوءِ أَبْوَابُهُ وَقَنَادِيلُهُ
غَيْرَ الظِّلِّ مَسَرَى خُطَاهُ، -
كَلِّهِمْ يَكْتُبُونَ تَأْيِينَ بِبَزَنْطِيَا
وَأَنَا عَاشِقٌ لِأَسْرَارِهَا -
أَتَبَطَّنُ أَيْقُونَةَ
وَأَسَافِرُ فِيهَا.

يُولَدُ اللَّيْلُ فِي وَرْدَةٍ. مَرَايَا
تَتَلَا بِبَيْنِ الظَّلَالِ. سِيَاحُ
خَلْفَهُ، أَتَلَمَّسُ أَقْرَأَ أَيْقُونَةً،
وَكَانَتْ
وَرْدَةٌ مِنْ جِرَاحِ
تَتَفَتَّحُ فِيهَا (أَوْ تَخَيَّلْتُ هَذَا)،
رَأَيْتُ الْكِتَابَةَ حَمْرَاءَ زَرْقَاءَ
تَرْفُلُ فِي بُرْدَةِ الطَّبِيعَةِ
كَيْ تَكُونُ، كَمَا يَحْدُسُ الشَّعْرُ، لَيْلًا
لَا يُقَا بَنَجُومِ الْفَجِيعَةِ.

- ج -

أَيْقُونَةُ صَلْبٍ:

كَدْتُ أَمُوتُ. جِرَاحِي

تَمَشُّي تَحْتَ نَوَافِدَ. مِثْلِي

تَتَوَهَّجُ حُبًّا

لِكَنَائِسِ أَنْطَاكِيَّةٍ،

جَسَدِي بَيْتٌ لِلْأَسْرَارِ، وَحُزْنِي

جَبْرٌ أَيْقُونِي.

أزُنُو إِلَيْهَا - تُرَى مِنْ أَيْنَ جَنَتْ إِلَى
أَغْوَارِهَا،

وَسَرَتْ فِيهَا خِيَالَاتِي؟
هَذِي - هُنَا صُورٌ مِنِّي، وَذَا أَثَرُ
وَهَذِهِ بُرْكَ مِنْ مَاءٍ أَغْنَيْتَنِي
مَحْفُوفَةٌ بِطُيُورٍ مِنْ صَبَابَاتِي،-

ذَكَرْتُ أَبْقُونََةَ كَانَتْ تُعَلِّمَنِي
أَنْ أَصْقَلَ الْأَرْضَ مِرَاةً لِقَافِلَتِي
حُبًّا، وَأَنْ أَتَمَرَّأَى فِي مَرَارَاتِي.

في الظلال الخفيفة، عبر التوافد

تظهر أشياءها -

ما أقول لأشياء أيقونية؟

ما أقول عن الشيء، والشيء يندخ في صمته،

وأنا المفرغ الشيء مما له

وأنا الماليء؟

ما أقول، وتحت لساني

ناطق ناصح:

كل صمت بريء

والكلام هو الخاطيء.

رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْفَرَاغُ مَلِيئاً بِأَيُّقُونَةٍ
هِيَ نَفْسِي وَأَشْيَاؤُهَا.
رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْفَرَاغُ الْخِيوطُ الَّتِي
نَسَجْتَ ثَوْبَ أَحْلَامِهَا.
رَبِّمَا كَانَ ضَوْءُهَا عَلَيْهَا وَضِيَاءُ لَهَا،
رَبِّمَا كَانَ جِسْرُ التَّأَلُّفِ
مَا بَيْنَ أَوْهَامِهَا وَأَيَّامِهَا، -

رَبِّمَا كَانَ هَذَا الْفَرَاغُ طَرِيقِي إِلَيْهَا.

- ز -

يَوْمٌ يَلْبَسُ ظِلًّا

يَوْمٌ يَلْبَسُ خَطًّا

يَوْمٌ بَيْنَهُمَا،

يَوْمٌ عَارٍ.

أَيَّامٌ

بِشْرَارِ الْمَعْنَى، وَبِكُلِّ رَمَادٍ

مَعْجُونَةٍ،

أَيَّامٌ

تَتَطَايَرُ فِي صَمْتٍ - فِي هَذِي الْأَيْقُونَةِ.

- ح -

تَسْرَحُ الأَزْمَنَةُ

بَيْنَ حَطِّ وَظَلِّ

تَتَقَدَّمُ فِي الضَّوِّءِ، بَيْنَ تَعَارِيَجِهِ

وَتُمَازِجُ بَيْنَ هَوَى الْأَمَكْنَةِ

وَهَوَى الْعَاشِقِينَ.

تِلْكَ أَيْقُونَةُ

تَهْتَدِي بِتَأْوِيلِهَا

طُرُقُ النَّائِهِينَ.

- ط -

(١) سبعين: قرية بباب حلب، وكانت إقطاعاً له من سيف الدولة. إضافة إلى الصف، وهي ضيعة بالمعزة، منها هزب المتنبي إلى دمشق ومصر. أشار المتنبي إلى هذا الإقطاع قائلاً:

«أسير إلى إقطاعه في ثيابه
على طرْفه، مِن داره
بُخْسامه».

ما لنا اليوم:

لا اللَّيْلُ وَشَوْشَ قَنَدِيلُهُ

الكلماتِ التي بيننا

مثلما اعتادَ. رِيحُ

وَسَبْعِينَ^(١) تَهْتَرُّ تحت أعاصيرِها،

وأنا لا مُبالٍ.

وَجْهٌ أيقونَةٍ

أتشردُ في ضوئه

أتبعثر، أسألُ، أحزمُ أمري

وأحاورُ في صمته ظلماتي.

- ي -

سُفُنٌ مَّازَجَتْهَا جِرَاحِي تَمَاهَتْ بِهَا
زَوَّجَتْ عِطْرَهَا
لِرِيَّاحٍ جَرَتْ، مَرَّةً،
بِمَا تَشْتَهِيهِ.

فَاتَّنَا

أَنْ يَكُونَ لَأَمْوَاجِنَا
شَاطِئٌ وَاحِدٌ -

كُنْتُ أَقْرَأُ أَيْقُونَةَ
وَأَعْلَمُ شَعْرِي
كَيْفَ يَأْتِي إِلَى بَيْتِهَا.

- ك -

بستانُ طيوفٍ مَقْتُونَةٌ

بوقائع - لا تتذكر منها

إلا أشجاراً دافئة

وسياجٌ وُروِدٌ.

بابٌ محروسٌ

إِسْمُ البابِ العَالَمِ واسْمُ الحارسِ

نِسْيَانٌ:

هل تَعْرِفُ كيف ستَقْرَأُ هَـذِي الأَيَقُونَةَ؟

(١) جاء في شروح ديوان
المتنبي أن العرب كانوا
يجترئون «على استعمال
الأسماء الأعجمية، فإن أمكن
نقلها إلى أوزانهم نقلوها».
وإن لم يمكن نقلها حذفوا
بعض أحرفها. مثلاً:
أرسطوطاليس، صارت عند
المتنبي رسطاليس، وأبرواز
أصبحت أبرويز... إلخ.
فالعرب «تتصرف في الأسماء
الأعجمية ما شاءت». (شرح
السيارجي، ص ٢٧٧،
و٢٨٧).

لا تُحاربُ. جاءَتْ

مِنْ قُسْنُطِينَةٍ^(١)، وَمَدَّتْ

لِضَفَافٍ قَوِيٍّ يَدَيْهَا.

عَمَرَتْهَا يَدَاهُ

وَأَنَاخَتْ تَبَارِيحَهَا

بَيْنَ أَحْضَانِهِ.

تلك أَيْقُونَةُ

جَمَعَ الْبَحْرُ أَمْوَاجَهُ وَأَصْدَاقَهُ وَمَرَكَبَ أَحْلَامِهِ

مِنْ شَوَارِعِ أَنْطَاكِيَّةٍ،

وَأَتَاهَا إِلَى حَلَبٍ

كَيْ يَعَاقَ أَحْزَانُهَا الْعَالِيَةَ.

مُصَوَّرٌ.

كأنما

مِنَ أَوَّلِ الزَّمَانِ . كُلُّ ظِلٍّ
سَحَابَةٌ .

خُطوطٌ

مِثْلُ خِيوطِ مَطَرٍ مُخَيَّلٍ .

يَدَاهُ ، مَقْلَتَاهُ

مُسْتَوْدَعٌ مِنْ كُتُبِ وَوَحْيٍ .

أَيَقُونَةٌ بَقَعَهَا بِحَبْرِهِ خِيَالِي

كأنما صَوَّرَهَا إِلَهُ ، -

هل المسيح لا يزالُ طِفْلاً؟

- ن -

لا يُريدُ الفُضاءُ الذي يَتحدَّثُ عنها
وَيُوجِّهُ فرسانَهُ إليها،
أن يكونَ جَلِيًّا
لا يُريدُ التجسُّدَ:
لا يتمثَّلُ في كلماتٍ، ولا يَرْتَسِمُ.

هِيَ أيقونَةٌ -
أُفُقٌ واسعٌ شاسِعٌ
والفُضاءُ الذي أتحدَّثُ عنه
مُغلَقٌ كالرَّجَمِ.

- س -

جَبَرُهَا بَخْرُهَا

ولها أبجدية نارٍ ويابسةٌ وهواءٌ.

وبأقلامِها

تَنهَجِي أقاليمَها.

ينفتح جَبري

برعماً برعماً

في حدائقِ أيامِها -

ربّما، في غَدٍ

يُحيطُ، رويداً رويداً، بأحلامِها.

- ع -

عَطَشُ

يُجْلِسُ الشَّمْسَ فِي ظِلِّ غُضَنِ .

عَطَشُ

يَجْعَلُ الْغَيْمَ إِبْرِيْقَ حُزْنٍ

وَيَدْلِيهِ مِنْ بُرْزَعِمٍ .

عَطَشُ

مِثْلَمَا يقرأ الرَّمْلُ أَمْوَاجَهُ

وَتُحْطُ التَّجَاعِيدُ فِي وَجْهِ نَبْعٍ .

عَطَشُ ،

أَيَّ أَيْقُونَةٍ

سَتُفْجَرُ فِي يَنَابِيعِهَا؟

- ف -

فَاجِئْ عَندي،-

سَكِرْتُ عينايَ، أَيُّ رَؤى

تَجيءُ، تلبسُ أَهوائي - مَدى، وَصَدى؟

ظِلالُها، نورُها مَوجٌ وَأَشِرَعَة

تَطوفُ بي أَمداً مُسْتَشْرِفاً أَمداً:

أيقونَة

ضِغْتُ في أَبْعادِها وَلها

وَرُحْتُ أَقرأ فيها اللّهَ والأبدا.

هُودَا

سَأَوْشُوشُ بِيْزْنَطَةَ

أَنْ بَيْنَ النُّجُومِ الَّتِي تَتَوَهَّجُ فِي رَأْسِهَا وَبَيْنِي،
قُبَّةٌ مِنْ سَلَامٍ وَحُبٍّ.

هُودَا

سَأُجَاهِرُ أَتْيَ أُعَاشِرُ أَيْقُونَةَ:

بِأَسَارِيرِهَا أَتَمْرَأَى

وَأُطِيلُ التَّوَعَّلَ فِي الْأَرْضِ، فِي مَا تَبْقَى
مِنْ أَسَاطِيرِهَا.

هُودَا

سَأُجَاهِرُ أَتْيَ أَعَانِقُ أَيْقُونَةَ،

وَسَأَكْتُبُ تَارِيخَ حَبِّي لَهَا وَتَارِيخَ نِيرَانِهِ
بِأَلْوَانِهَا.

- ق -

كيف لا أضطربُ
وأنا الشاهدُ يزوي ما رَأَى :
خَرَجْتُ أيقوْنَةٌ مِن بيْتِها
لِترى النَّاسَ ، فراحَت دجلةُ
تتغنّى بهواها
وأنت تحنو عليها حَلْبُ .
وتكْتَبِنَا لكي نُخرسَها
أنا والشعر ، وكانَ التَّعَبُ
حارساً آخرَ ،
كانتُ جسداً :
آهَةٌ نازَ ، ودفعَ ذَهَبُ
كيف لا أضطربُ ؟

أَلَسْمَاءُ تَرَفُّ هُنَا، بَيْنَ هَذِي الْأَظْلَةِ،
فِي شَكْلِ جَفْنٍ،
وَالنَّجُومُ لِقَاحُ
بَيْنَ لَوْنٍ وَلَوْنٍ.

أَخَذْتَنِي، فِي دَرَجَاتِ الْفَضَاءِ،
طَيُورٌ.
وَمَشَيْتُ خَفِيفًا إِلَى غَابَةِ،-
بَعْضُ تِلْكَ الْقِيُودِ الَّتِي فِيَّ تُكْسَرُ،
وَالْأَرْضُ سَمَحَاءُ،
وَالضُّوءُ غَطَّتْهُ أَحْلَامُهُ.
سَمَنِي، أَيُّهَا الضُّوءُ، أَيْقُونَةٌ.

- ش -

يُبْعَثُ الضَّوءُ، -

قَشٌّ وَدِيعٌ، سَنَابِلُ مَحْزُومَةٍ
بِأَسْعَةِ شَمْسٍ خَرِيقِيَّةٍ .
أَلْحَقُولُ صَحَائِفُ، وَالْكَلِمَاتُ بِذَوْرٍ .

يُبْعَثُ الضَّوءُ،

رُوحٌ تَرْفُ عَلَى الْحَقْلِ . نَجْنِي، نُعْبِيءُ -
مَالَ التَّهَازِ

كِي يَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ . أَكْتَأُنَا

وَأَكْتَأَفُ جِيرَانِنَا

تَتَرَنَّحُ تَحْتَ الثَّمَارِ،

مِثْلَ أَيْقُونَةٍ .

تلك أيقونته :

مِثْلَ نَهْرٍ عَمِيقٍ
حُزْنُهَا مُفْرَدٌ بَعِيدٌ تَحْتَ أَمْوَاجِهَا .
وأريد لِحزني
أن يعيش بعيداً مُفْرَدًا مِثْلَهُ
في قرارة نَفْسِي .

ذَهَبَ اللَّوْنُ فِي ضِفَّةِ النَّهْرِ يَفْتَحُ أَبْوَابَهُ
ويقول لمن طَرَقُوهَا : ادخلوا .
ذَهَبَ اللَّوْنُ عَائِقَ مِغْرَاجِهِ
ومَضَى يَتَدَقَّقُ ، فِي حَزْنِهِ ، بِإِذْخَاءٍ .

- ث -

أَتَخَيَّلُ أَيْقُونَةَ

يَكُونُ التَّخَيَّلُ فِيهَا

شَبَكًا مِنْ تَرَابٍ وَعَئِيمٍ:

صُورَةً

تَتَحَدَّرُ مِنْ ذُرُوبِ التَّخَيَّلِ

فِي لُغَةٍ وَالْهَيْهَةِ، -

بَشَرًا لَا يَعِيشُونَ إِلَّا

فِي رُؤْيٍ، فِي طَيُوفٍ

وَلَهُمْ شَهْوَةٌ الْإِلَهَةِ.

- خ -

أَتَخَيَّلُ أَيْقُونَةً

لَا كَنَائِسَ فِيهَا، لَا مَسَاجِدَ، لَا هَيْكَلٌ.

أَتَخَيَّلُ أَيْقُونَةً: شُرَفَاتٍ

ضَوْءُهَا دَهْرُهَا

وَعَلَى رَأْسِهَا

قَمَرٌ عَاشِقٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا

شَمْسٌ حَرِيَّةٌ وَانْخِطَافٌ.

أَتَخَيَّلُ أَيْقُونَةً

لَهَا الشَّعْرُ بِدُءِ الْمَطَافِ،

وَحَاتِمَةٌ لِلطَّوَافِ.

ذَهَبُ عَلَى ذَهَبٍ، نَزَرْتُ كَأَبْتِي
فِي الضَّوءِ، وَافْتَرَشْتُ مَدَاهُ خَوَاطِرِي
تَتَلَمَّسُ الْأَلْقَ الْبَعِيدَ وَتَرْتَجِي
أَنْ يَسْتَجِيبَ مِدَادُهُ لِدِفَاتِرِي
وَفَرِحْتُ أَنِّي لَمْ أَنْلُ مَا شِئْتُهُ
وَفَرِحْتُ أَنِّي كُنْتُ أَسْعَدَ خَاسِرٍ:

أَيَقُونَةُ -

أَعْطَيْتُ نَظْرَةَ وَائِقٍ
لِفَضَائِهَا،
وَأَخَذْتُ نَظْرَةَ حَائِرٍ.

- ض -

- كلاً، ليس المعنى بيزنطياً

أو عربياً.

مَنْ قال الشمس تمدّ يديها

للقيد،

ومن سيقول الرّيح تصيرُ حصاةً؟

- أقولُ المعنى نجمٌ حائرٌ

في فَلَكٍ دائِرٍ؟

- ظ -

يَسْطُ الصَّمْتُ جَنَاحِيهِ . شَهَابٌ

وَاضِعٌ أَهْدَابُهُ تَحْتَ غَيُومٍ .

- مَا الَّذِي تَقْرَأُ فِي أَبْقُونَةٍ؟

مَا الَّذِي تَبْحَثُ عَنْهُ

فِي حَفَايَا لُغَةٍ مُلْتَهَبَةٍ؟

عَنْ شَرَارٍ آخِرٍ؟

عَنْ دَمٍ يَسْخَرُ مِنْ سَافِحِهِ؟

بَيْتُ أَلْوَانٍ عَلَى تَلَّةٍ عُشْبٍ :

سِرْبُ طَيْرٍ يَرَسُمُ الْبَيْتَ ، قَنَادِيلُ

تَخْطُ الْعَتَبَةَ .

- غ -

(١) الإشارة إلى سيف
الدولة .

مِثْلَ أَيْقُونَةٍ أَرَاهُ^(١)، -

لا أَمَجْدَ فِيهِ

مَا يُرَادُّ لَهُ أَنْ يُمَثَّلَ : فَارِسَ تَغْلِبَ،

أَوْ بَطْلَ الْمُسْلِمِينَ

فِي الْقِتَالِ مَعَ الرُّومِ . هَذِي

تُرَاهَات

لَا يُصَفَّقُ شِعْرِي لَهَا

(لَمْ يَكُنْ لِيُصَفَّقَ مِنْ قَبْلُ، لَوْلَا هِنَاتُ)،

بَلْ أَمَجْدُ فِيهِ

حِسَّهُ بِالْجَمَالِ، بَغْنَ الصَّدَاقَةِ، بِالشَّعْرِ،

وَالْغَوْصِ فِي لُجَّةِ،

وَأَمَجْدُ فِيهِ الصَّدِيقَ الْأَمِينَ .

2 / IX

دفتر ملائكة الحبر

(١) هو الزاهي علي بن
إسحاق الذي وُصف، ولا
أعرف سبب ذلك، بأنه
«الخارج على إجماع
المسلمين». شاعر وكاتب،
كان عضواً في حلقة أدبية
حول المتنبي. من أعضائها
الشاعر علي بن دينار وابن
نباتة الخطيب. ويقال إنهم
كانوا يتدارسون قصائد المتنبي
في حضرته. مات سنة
٣٥٢هـ - ٩٦٣م.

أَجْمَعَ ضَوْءٌ فِي الْمَحْرَابِ وَضَوْءٌ

يَأْتِي مِنْ أَبْوَابٍ وَهِيَ كُلُّ أُخْرَى

وَانْضَمَّتْ لَهُمَا

أَضْوَاءُ كَوَاكِبَ تَسْهَرُ بَيْنَ خِيَامٍ

لَا نَشْهَدُ مِنْهَا

إِلَّا مَا يُشْبِهُ لَوْنَ التَّفَاحِ عَلَى الْعَتَبَاتِ، وَقَالَتْ

لِلزَّاهِي^(١) الْخَارِجُ: أَنْتَ

صَفِيٌّ تُخْوِمُ

لَا تَتَوَغَّلُ إِلَّا فِيهَا،

أَنْتَ قَرِينُ أَعَالٍ

سَتَظَلُّ نَفِيءٌ إِلَيْهَا.

(١) الإشارة إلى الشاعر أبي الحسن، علي السَّمِشَاطِي (السَّمِيسَاطِي)، نسبة إلى سَمِيسَاط التي ينتمي إليها لوقيان.

كان مؤدّب الأمراء الحمدانيين، واختار مع أبي محمد الفَيَّاضِي من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت، كما يُروى. مات سنة ٣٧١هـ.

نَحْوِي^(١) في بستان الشَّعْرِ

يَتَلَوُ شَجَرًا

وَيُرَتِّلُ عُشْبًا،

ويقول لسيف الدولة: أَنْتَ الْحَبْرُ.

ويقول لماء قوثي:

سيف الدولة نرجسُ هذا الدَّهْرُ.

- ج -

(١) الإشارة إلى الشاعر أبي
الحسن السري، الرقاء (كان
في جباه يرفو ويطرز في
دكان). وكان من أعداء
المتنبي، ومن المتأثرين
بشعره. ويقال إنه حُم حسداً
من المتنبي، وتحامل إلى
منزله ومات بعد ثلاثة أيام.
(الصبح المنبي: ٥٦/١ -
٥٧).

كان يَزْفُو^(١) الثياب، وَيَزْفُو الكلام:

يُطَرِّز هذا،

يزركش تِلْكَ. اشتكاني

مِراراً،

ولكنه كان عَدْلًا،

وَيُخَيِّنُ، فيما وراء الخصومة، أَلَّا يُسَمِّيَ

فَجَرَ القصيدة ليلاً، وَأَلَّا

يَحْسَبَ القَشَّ وزداً.

كان يَسْكُن في ظلِّ شِعْري،

عاصياً، وَوَفِيًّا.

(١) الكلام بلسان الشاعر
الوآء الدمشقي، مشيراً إلى
سيف الدولة. واسم الوآء
محمد بن أحمد أبو الفرج،
وهو مولود في نصيبين. كان
موضع ثقة سيف الدولة،
وصديقاً للمتنبي. مات سنة
٣٩٠هـ - ٩٩٩م.

عَمَرْتَنِي ^(١) عطاءاته

غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَتَغَيَّرْ، بَقِيْتُ كَأَنِّي

وَرَدَّةٌ فِي أَصْيَصٍ.

يَعشَقُ الْمَاءَ تَزْتِيلَ عَطْرِ

يَتَقَطَّرُ فِي خَفَرٍ وَاتِّضَاعٍ

مِنْ هَيَادِبِ أُرْدَانِهَا.

صِرْتُ خِلاً لَهُ:

كُنْتُ فِي دَارِهِ

مَوْضِعاً آمِناً آمِناً

لَأَسْرَارِهِ،

وَحُبَايَا هَوَاهُ.

(١) الإشارة إلى الشاعر
كشاجم، أبو الفتح،
محمود بن محمد. كان طبّاحاً
لسيف الدولة، كما يُروى.
مات سنة ٣٥٠هـ - ٩٦١م.

طَبِخُ أَكْلٍ عَلَى نَارِهِ،

وَعَلَى نَوْرِهِ طَبِخُ شِعْرِ^(١) :

ضِفْنَا نَهْرٍ

يَتَحَدَّرُ مِنْ سُرَّةِ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ الْمَكَانُ

جَسَدُ عَاشِقٍ

يَتَقَصَّى سَرِيرَ مِلْدَاتِهِ

فِي مَبَاذِلِ هَذَا الزَّمَانِ.

(١) هو أبو الحسن علي بن
عبد الله، المعروف بالناسي،
الأصغر. كان من علماء
الكلام، إلى جانب كونه
شاعراً. مات سنة ٣٦٥هـ -
٩٧٥م.

ماذا قال النَّاسِيُّ^(١) أمس؟ وماذا

سيقولُ غداً غدٍ؟

يتكلَّم؟ أسأَلُ:

هلْ لِلْأَسْوَدِ حُبٌّ أَرْزَقُ؟

أَتَرَى، يَرِثُ الْوَرْدُ؟ وهذا الزَّئْبِقُ

هل يَتَوَضَّأُ دُونَ حِجَابٍ؟

والتَّقَاخُ، أَيُقْتَلُ فِيهِ، إن قال الشاعر عنه:

هذا نَهْدٌ لَمْ يَعْرِفْ أَيْةَ أَفْعَى؟

والتَّرَجْسُ؟ هل يَتَزَوَّجُ، أم يكفيه

أَنْ يَسْتَمْتِعَ، أو أَنْ يَعْشُقَ؟

قُلْ، يَا نَاسِيٌّ. ماذا؟ حسناً،

سنراك غداً غداً غدٍ،

وسُنْضِغِي.

(١) الإشارة إلى عيسى
الرَّقِي، الطبيب المنجِّم،
وأحد مشاهير المترجمين من
الشرمانية إلى العربية.

أَغْطِنِي وَرْدَةً، وَقُلْ لِي ^(١):
مَا الدَّمُ الْمَتَسَرَّبُ مِنْهَا إِلَيَّ،
وَمِنْ أَيْنَ لِلشَّعْرِ أَنْ يَتَقَرَّى
تُؤَيِّجُ هَوَاهَا وَأَنْ يَفْهَمَهُ؟

لَا فَصَاحَةً. لَيْلُ الْعِبَارَةِ عِبَارَةٌ مُبْهَمَةٌ
وَالَّذِي قَالَهُ الشَّعْرَاءُ وَمَا سَيَقُولُونَهُ،
تَرْجَمَةٌ

مَا تَبَقَّى غِيُوبٌ
تَتَلَعَّثُ، أَوْ تَمْتَمُهُ.

- ح -

(١) الإشارة إلى الشاعر ابن
نباتة السعدي، (أبو نصر،
عبد العزيز بن عمر). مات
سنة ٤٠٥هـ - ١٠١٤م، وكان
ممن تأثروا بشعر المتنبي،
تأثراً قوياً.

لمواعيدها

تخرج الكلمات فُرَادَى إِلَيْهِ^(١)

مِنْ بَيوتَائِهَا، -

مَوْعِدٌ لِقَرَاءَةِ مَا رَسَمْتُهُ

فِي الدَّرُوبِ الَّتِي قَطَعْتَهَا،

مَوْعِدٌ لِأَسِيرَةِ أَهْوَائِهَا،

مَوْعِدٌ لِلتَّنَزُّهِ بَيْنَ الْحُقُولِ الَّتِي تَصْطَفِيهَا

لِنَبَاتِ الصُّورِ،

مَوْعِدٌ لِاقْتِصَاصِ الْأَثَرِ.

(١) هو أبو بكر الخوارزمي،
محمد بن العباس، كان
عالمًا، وجاء من تركستان إلى
حلب، لمزيد من العلم. مات
سنة ٣٨٣هـ - ٩٩٣م.

تركستانُ إناءُ

لورودِ لا تَبْلَى

وأَبُو بَكْرٍ^(١) فِيهِ

أَغْنَى لَوْنِ،

وَهَوَاهُ أَطِيبُ وَزِدِ.

أَعْطَتْهُ حَلَبٌ مَا لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُعْطِيَهُ

مَدَنٌ أُخْرَى فِي ذَاكَ الْوَقْتِ: حَدُوسُ

تَتَجَسَّدُ فِي أَدَوَاتِ،

أَدَوَاتُ

تَدْخُلُ فِي الْأَشْيَاءِ كَمَثَلِ النَّبْضِ

كَيْ تَنْقَضِيَ

سِرَّ الْكَوْنِ وَوَجْهَ الْأَرْضِ.

- ي -

(١) الإشارة إلى علي بن
دينار، الخطاط والشاعر،
وكان عضواً في حلقة أصدقاء
المتنبي.

ماءٌ عَذِبٌ - فلماذا
لا يُنتَج إلاَّ عطشاً
لمزيدٍ منه؟
لُعَّةٌ ترقصُ بين يديه^(١):
قَلَمٌ بِكَرٍّ وكَلَامٍ
جَسَدٌ عَارٍ -
ليلٌ يتمدّد في أحضانِ الفَجْرِ.

وتَحَارُ: أثلّك شطوطُ
أم تلك وسائدُ مُدَّتْ
لِمَلاكِ الجَنَرِ؟

- ك -

(١) الإشارة إلى أبي عبد الله
محمد بن علي، الشاعر،
الملقب بالشيخ الخليل
الشامي.

أَيْهَذَا الْمَطْوُوقُ بِالنَّارِ - نَارِ التَّشَوُّقِ
وَالْوَجْدِ، يَا شَيْخَنَا الْخَلِيلِ^(١)،
مَا أَجَلَّكَ، أَشْعَلْتَ لِلشَّهَوَاتِ قَنَادِيلَهَا،
وَأَجَجْتَ بَرَكَائِلَهَا.

مَا أَبْرَكَ، أَعْطَيْتَ لِلْأَرْضِ،
حَقَّ السَّمَاءِ،
وَلِلدَّهْرِ حَقَّ الرِّبْعِ.

- ل -

(١) الإشارة إلى ابن ثباتة الخطيب أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد، وكان خطيب سيف الدولة. من أهل مِثَافَرَقِينَ. ويقال إن خطبه تُتلى حتى اليوم في المساجد، أيام الجمع. مات سنة ٣٧٤هـ - ٩٨٤م، وكان عضواً في الحلقة التي أُنشئت لدراسة شعر المتنبي.

لم تكن نافخاً^(١) في زجاج الكلام،

تَبَصَّرْتُ،

كالعطر يَأْرَجُ، كالعضفِ يَجْتَثُّ،

عينُ البصيرة فيك،

وعينُ الشهادةِ نجمانِ: فَنِّ وحبِّ.

طَبَّقَ مِنْ نَبِيذٍ وَخُبَيْرٍ

كلماتك،

والشعر بيتٌ لها.

(١) حوار بين سيف الدولة
والشاعرين اللذين كانا يغاران
من المتنبي كثيراً، ويحاربانه،
وهما عثمان وأبو بكر،
المعروlien بالخالدين.

- غَالَيْتَ^(١) كثيراً،

أَفْسَحَ لِسِوَاهُ

كي يكتَبَ شعراً أَفْضَلَ مِنْهُ.

- حسناً. هذي واحدة

ليست بين قصائده، الْفُضْلَى.

هل عندكما أَفْضَلُ منها؟

....

صَغُرَا، صَغُرَا وَاثْهَارَا

حَرَسَا وَاسْتِخْذَاءً.

عَجَبًا خَالَوِيهِ^(١) تَخِيلَ أَنِّي غَرِيمٌ لَهُ!

يَتَجَرَّأُ، يَزْمِي جَبِينِي بِمِفْتَاحِهِ

وَعَلَيَّ يَرُوزُ وَيُضْغِي.

لَمْ أَحْرَكْ لَهُ سَاكِنًا:

رَاسِخٌ مِثْلَ طَوْدٍ.

سَيُقَالُ الْبُغَاثُ يَنَاطِحُ صَفْرًا

وَالْبَعُوضَةُ حَطَّتْ عَلَى وَجْهِ نَبْعٍ.

سَيُقَالُ الْمَذَرُ

دَبَّ كِي يَسْلُقُ جَذَعَ الْقَمَرِ.

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن خالويه كان مؤدياً لأولاد سيف الدولة، ويغار من المتنبي ويحاربه. وقصته معه في بلاط سيف الدولة مشهورة. مات سنة ٣٧٠هـ - ٩٨٠م.

قال له المتنبي:
«ويحك، أيها الأعجمي لم يبق إلا أنت تخوض في العربية». فلم يحتمل القول وضربه بمفتاح في يده. لم ينتصر له سيف الدولة، ولم يحرك ساكناً. كان ذلك آخر يوم من تسعة أعوام أمضاها مع سيف الدولة. وكان عمره اثنين وأربعين عاماً.

- س -

(١) هو عبد الواحد بن علي
الحلبي، وهو الذي انتصر له
المتنبي في نقاشه اللغوي مع
ابن خالويه في بلاط سيف
الدولة. قتل في دخول
الدمشق إلى حلب، سنة
٣٥١هـ - ٩٦١م.

لأبي الطيّب^(١) اللّغوي
يتداعى الكلام، يجمع أزهاره
من حقول الروايات، يأتي إليه
وينزل في روضه البهي.

هو ممّن أحدث عنهم وأكني
بهم عنهم، أحارب أكشف وجه الزمان الصغير
وأدون أهواله
ببروق تخيرتها وتعهدتها
كي تكون التغير النذير.

- ع -

(١) الكلام بلسان الفلكي أبو
صقر عبد العزيز بن عثمان
القابسي، الذي عاش في
بلاط سيف الدولة.

كَانَ ظَنِّي^(١) أَتَى أَسِيرٌ إِلَى فَلَكٍ
أَتَخَلَّصُ فِيهِ

مِنْ سَلَسِلِ أَوْهَامِي الْبَارِدَةِ.
كَانَ ظَنِّي أَتَى أَنْصَمُ لِلْوَافِدِينَ الضِّيُوفِ
عَلَى الشَّمْسِ، فِي بَيْتِهَا
وَأَجْلَسَ ضَيْفًا إِلَى الْمَائِدَةِ
كَانَ ظَنِّي سِجْنِي، -

صِرْتُ أَضْحَكُ مِنِّي، وَأَنَا جَالِسٌ
وَأَنَا سَائِرٌ. وَقَالُوا:
فِيهِ مَسٌّ. وَقَالُوا:
هُوَذَا! فَلَكِي مِنَ الْجَنِّ يَهْدِي!

- ف -

(١) عبد الواحد بن نصر
المخزومي، من شعراء سيف
الدولة، وكتابه. كان صديقاً
للمنتبي. ولد في نصيبين،
ومات سنة ٣٩٧هـ -
١٠٠٧م.

الصديق أبو الفرج البغاء^(١)

ينسج الفجر ثوباً

للصداقة ما بيننا

ويقول: سأكسو به الكلمات،

وأكسو النهار، وأكسو المساء.

ويقول: غداً،

سوف أنسج ما لا أقول،

وما لا يقال،

لغير الأحبة والأصفياء.

(١) الشاعر والتَّحْوِي أَبُو
العباس أحمد بن محمد
الذَّارمي المصيصي، المعروف
بـ الشامي يُخاطب سيف
الدولة. كان من خواصه
ومذاحيه، وكان له تلامذة
كثيرون في حلب. وهو من
أعداء المتنبي. مات سنة
٣٧٠هـ - ٩٨٠م. وقيل في
رواية، سنة ٣٩٩هـ -
١٠٠٨م.

جاءه، مرّة،

وجهه، غضباً، مِرْجَلُ:

- كيف، يا سيدي^(١)

تحتفي بِابْنِ عِيدَانٍ أَكْثَرَ مِمَّا

تحتفي بسواه، وبِي أَوْلَا؟

- لم تقل قولَه،

لم يقل أَحَدٌ قولَه:

«يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَنَحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ

وَقَدْ أَغْدَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ.»

إنه الشاعر الأَوَّلُ.

لم يكن ضَعْنُ الذَّارمي

غَيْرَ أَمْثُولَةٍ:

كَانَ قَرْعاً تَفْتَقُ مِنِّي وَسَيْفاً عَلَيَّ.

- ق -

(١) الإشارة إلى أحمد بن فارس (أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي)، العالم اللغوي المشهور، وأستاذ ابن جني، مات سنة ٣٧٧هـ - ٩٨٧م.

يَسْتَضِيُّ^(١) بِمِثَالِهِ،

يَتَبَصَّرُ، نَحْوًا وَصَرْفًا

قارئاً عَتَمَاتِ الحُرُوفِ، وَأَصْوَاتِهَا،

وَالنِّظَامَ.

هُذَا يَتَنَوَّرُ تَارِيخُهَا، -

يَرُوحُ وَيَغْدُو

فِي أَقَالِيمِهَا وَمُنَاحَاتِهَا،

وَيَقُولُ اهْتَدَيْتُ لِسِرِّ الْكَلَامِ.

(١) الحارث بن أبي العلاء، سعيد. اغتيل أبوه أمامه، وهو في الثالثة. عامله ابن عمه سيف الدولة كاتب له، وعلمه. ولأه على منبج وهو في السادسة عشرة من عمره. قتل سنة ٣٥٧هـ.، وكان في السابعة والثلاثين من عمره (٩٦٨م). وقيل: قتله ابن سيف الدولة. كان المنيبي يشهد له، ويخشاها في الوقت نفسه، كما يروي المؤرخون. قبل أسره، كان أبو فراس يعيش كإقطاعي، موزعاً وقته بين الصيد، واستطلاع البدو، والشعر.

(٢) قال أبو فراس يوماً لسيف الدولة: «إن هذا المتشذق كثير الإدلال عليك. وأنت تعطيه، كل سنة، ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد. ويمكن أن تفرق منتي ديناراً على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره». (الصبيح المنيبي).

لأبي فراس^(١)

دَيْنٌ عليّ - أنا الوفيّ، أقول:

شِعْرُ أبي فراسٍ

شُهِبَ، ولكن لا فضاء لها، ودَمَعٌ

يحلّو إذا ذرَفَتْهُ ثَاكِلةٌ، وماءٌ

لا ماء فيه. أبو فراسٍ

طِفْلٌ بكى.

وأنا الوفيّ، شكوتُ - أحضن حُزَنَهُ

لَمَّا شَكَا^(٢).

- ش -

ربما يعرف الخالديان^(١)، أن التوافد

ليست رياحاً.

ألهذا، إذن، يجهلان

أن وجه المكان

زمن آخر لشعري؟

كتب الخالديان شِعْرَهُمَا

فوق حَدِّي بساط،

والقوافي كما ورثاها

والدروبُ إليه، كما مُهِّدَتْ.

(١) سبقت الإشارة إليهما.

في شرح العكبري

(١: ٤٣٤): «أن الخالدين أبا

بكر وأخاه عثمان قالاً لسيف

الدولة إنك لتغالي في شعر

المتنبي. اقترح علينا ما شئت

من قصائده حتى نعمل أجود

منها. فدافعهما زمناً، ثم كزرا

عليه فأعطاهما القصيدة التي

مطلعها:

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي

وللحب ما لم يبق مني وما

بقي.

فلما أخذها قال عثمان

لأخيه أبي بكر: ما هي من

قصائده الطنانات، فلأني شيء

أعطاناها؟ ثم فكراً، فقال

أحدهما لصاحبه: والله ما أراد

إلا هذا البيت:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمي

أراه غباري، ثم قال له الحق.

فتركوا القصيدة، ولم

يعاوداه، ولم يعمل شيئاً.

(١) هو ابن جني المملوك،
من كبار أئمة الأدب والنحو
وعلم العربية، تتلمذ على
ابن فارس وحين فارقه، وأخذ
يعلم، قال له: «رَبِّيتُ وَأَنْتَ
جِصْرَمُ»، فترك التعليم وتبعه
حتى اتقن العربية وعلومها.
سئل المتنبي مرة عن إعراب
بيت له، فقال للسائل: «لو
كان ابن جني هاهنا،
لأجابك». وروي أنه كان
يقول: «ابن جني أعرف
بشعري مني». شرح ديوانه
وسماه «القنسر». مات سنة
٣٩٢هـ - ١٠٠٢م.

كان أبوه جَنِّي^(١)

مملوكاً من أبناء الروم - وما أكرمه

أعطانا

ملكاً في النحو، وفي آداب اللغة العربية

كان محيطاً

بفنون القول، ويعرف شعري خيراً مني.

يؤسفني

أن لساني

لا يقدر أن يفصح عني

لأحييه

وفقاً لأصول اللغة الرومية.

- ث -

(١) مات سنة ٣٣٩هـ -
٩٥٠م، قُتله لصوَّص في
الطريق. صُلِّي عليه سيف
الذِّوْلَة، ودفنه في دمشق.
صلب قاتلوه حول قبره.

هوذا الفارابي^(١) أميرٌ
في ملكوت الفكر، وفي بستان الموسيقى
والشعر، يُؤاخي
بين ضفاف العقل ومَوْج القلب،
وينطقُ حَدْساً
كي يكتبَ رَمْزاً.

ألفكر أَخَّ للشعر، وكلُّ مقالٍ
صُورَهُ خَلْقٌ للأشياء، وطِينُ ثانٍ
لخلائق أُخْرَى.

- خ -

(أسئلة إلى الفارابي)

أعرفُ : «الروح من أمر ربّي»، ولكن
ضائع،

بين روحي وربّي - لا هذه تتراءى
ولا ذاك يدنو .

كيف أحيا ضياعي؟

كيف لي أن أقطر من ظلمتي شعاعي؟

أتراني - أكتفي أن ألامس هذا الحجر

وأسائل أتى، لماذا، وكيف انفطر؟

أم تراني أطل أوشوش نفسي :

معناك موج

يتمزق فيه شراع الصوز؟

- ذ -

(رسالة إلى الفارابي)

(١) الإشارة إلى الخليفة
العباسي الواثق.

أَمَرَ

أَسْأَلُ رَأْيَكَ فِيهِ :

«بَيْنَ يَدَيْهِ»^(١)

رَجُلٌ مَضْرُوبُ الْعُنُقِ، وَكَانَ الضَّارِبُ

يَمْسَحُ بِالْمَضْرُوبِ السَّيْفَ . ذُهِلَ :

- يَا مَوْلَانَا، مَنْ هَذَا؟

- كَانَ يَقُولُ : «الْقُرْآنُ كَمِثْلِ الْعَالَمِ، مَخْلُوقٌ .

فُرِزَ لِلَّهِ، أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ،

لَا عَفْوَ عَنْ شَخْصٍ مِثْلِهِ» .

- هَلْ كُنْتَ سَتَقْتُلُهُ،

أَمْ كُنْتَ سَتَعْفُو عَنْهُ؟

- ض -

(رسالة إلى فيلسوف آخر،
بوساطة الفارابي)

أَلَسَّمَاءُ الَّتِي قَلَّتْ عَنْهَا

إِنِّهَا أَنْهَرُ وَبَيُوتُ

وَعَقُولُ تَفِيضِ الْمَلَائِكُ مِنْهَا

بَعْضُهَا جَامِدٌ بَارِدٌ

بَعْضُهَا عَاشِقُ مُسْتَهَامٍ،

وَالَّتِي قَلَّتْ: فِيهَا نِسَاءُ

هُنَّ فَاتِحَةُ الْفَاتِحِينَ فِضَاءُ الْوُجُودِ،

وَمِنْكَ الْخِتَامُ

كَلَّ هَذَا الَّذِي قُلْتُهُ

لَيْسَ إِلَّا طَيِّفًا

تَشَاءُ بَ تَحْتَ جَفَوْنِ الْكَلَامِ.

- ظ -

(رسالة إلى الفارابي)

لا تقل لي من أين جئت، ولا كيف؟
لا أتوقع من غنيم هذا السؤال المطر.

هل يقول الأريج لماذا

يتفتق عنه الزهر؟

هل يدلك جرح

على كتفه المدحز؟

والنجوم التي تترأى

مرة من غبار

مرة من شرز،

لا تقول سوى صمتها.

أنبي ترى بعد هذا وذلك، يمكن أن ينتظر؟

- غ -

(رسالة إلى الفارابي)

حَلَبْ عَلَّمْتَنِي،

أَنَّ بَغْدَادَ مَسْكُونَةٌ بِدَمَشَقٍ.

هَكَذَا، مِثْلَكَ الْآنَ، أَبْنِي

وِطْنًا لَأُثِينَا

بَيْنَ شِعْرِي وَبَيْنِي.

3 / X

دفتر لَيْلِ الأَعْضاء

«أخبرني أبو الفتح عثمان بن جني
أنَّ المتنبي أسقط من شعره الكثير،
وبقي ما تداوله الناس».

(نزهة الألباب: ٣٦٦)

«شوهدت بين يدي بعض العلماء
نسخ من الديوان (ديوان المتنبي)
بخط المتنبي وتصحيحه».

(العكبري ٢: ٣٠٦، ١٢٣، وذلك
أثناء وجود المتنبي في بلاط سيف
الدولة.)

(١) كان المتنبي فيما يرى
بعضهم يحبّ خولة، أخت
سيف الدولة. ويعلق
الواحد على بيت له في
قصيدته التي رثاها بها،
وهو في الكوفة سنة
٣٥٢هـ قبيل مقتله
بستين: «أساء في ذكر
حسن مبسم أخت ملك،
وليس من العادة ذكر
جمال النساء في
مراثيهن».

وقال ابن جني، في هذا
الصدد: «كان المتنبي يتجاسر
في ألفاظه جداً». وقد سبقت
الإشارة إلى ذلك.

والبيت المشار إليه هو:
«يَعْلَمَنَّ، حين تُحْيَا حَسَنَ
مُبْنِمَهَا

وليس يعلم إلا اللُّهُ بالسُّبِّ».
وفي القصيدة يقول:
«أرى العراقَ طويلاً اللّيل، مُدَّ
نُعَيْثٌ...».

كيف لي أن أصورَ حَبِّي لها^(١)،

كيف لي أن أُسمِّي ما لا يُسمَّى؟

ولَهي أن أذوقَ،

وحين أُعَبِّرُ، أومىءُ

لا شيءَ غيرَ الإشارةِ.

هكذا، سأظلُّ أحيي الغموضَ -

غموضَ العلاماتِ ما بيننا

وغموضَ العبارةِ.

- ب -

«يا معلّم أحشائنا...»

هكذا تسكب اللّيل في صدرها

وتسائلُ وجه القمر:

هل سألت الكواكب عن آخر الكلماتِ

التي همستُها له؟

هل كتبتَ إلى المدّ والجُزرِ

أني فوّضتُ جسمي

ومُحيطاته وأمواجهُ

إلى السيّد المُنتظر؟

لم يكن مرّةً ليلنا
يتفكّر، أو يذكرُ
كان يَسْهَرُ، يأتي، يَروُحُ كما يتلألُ نجمٌ،
وكما يَسْهَرُ.

كان ينسى - دائماً يَبْدَأُ الطريقَ
ويَبْدَأُ أهواءَهُ،
ويُشير، وَيَسْتَنْفِرُ،
ويقول لنجم الطريقِ اهْدِني
أيها السيّدُ الجَسَدُ التَّيَرُ.

أَغْرَقْتَنِي، وَمَلَكَتِ الْمَوْجَ وَالْعَرَفَا
يَا مَالِثِي غِبْطَةً، يَا مَالِثِي فَلَقَا
أُغْوِي بِكَ اللَّيْلَ - يَزْهُو بِي، وَيَأْخُذْنِي
أَخَذَ الْعَزِيزِ،
وَأُغْوِي بِاسْمِكَ الْأَفْقَا

لَبِسْتُ وَجْهَكَ أَسْتَجْلِي بِهِ طُرْقِي
وَرِيحَهَا، وَلَبِسْتُ الرِّيحَ وَالطُّرْقَا.

(١) شميلة هي، كما يروي
المؤرخون، أول امرأة في
الإسلام لبست المصنّفات
وعملت الشفوف وعبّأت
الطيب، تزوجها ابن عباس.

لِشْمِيلَةٍ^(١) يَأْرُجُ فِي مَهْدِ عُسَاوِهَا

طِيْهَا، كُلَّ لَيْلٍ.

لِسُلَيْمِ بْنِ عَمْرٍو^(٢)

لمفاتيح مكة يبتاعها قُصَيٌّ

ببيعير، وزقٌ من الخمر،

أَزْرُعُ فِي جَنَّةِ الْجِرَاحِ

وَزْدَةٌ، بِاسْمِ هَذَا الصَّبَاحِ.

(٢) هو سليم بن عمرو
الخراعي وكنيته أبو غبشان،
كان سادناً لخرافة على مكة.
يُروى أنه باع لقريش مفاتيح
مكة، بيعير وزقٌ من الخمر.

بِضَفَائِرَ لَمْ يَعْرِفِ الصَّبَاحُ
كَيْفَ يَجْمَعُ أَطْرَافَهَا،
يَتَوَشَّى الطَّرِيقُ إِلَى بَيْتِهَا،
مَا الَّذِي فِيَّ يَعْلُو وَيَسْقُطُ، يَمْضِي وَيَأْتِي؟
خُطَوَاتِي أَدْغَالُ طَيْرٍ -
يَتَقَدَّمُ نَحْوِي جَنَاحُ
وَيَنْفِرُ مِنِّي جَنَاحُ.

(١) «كان المتنبي إذا شُغِبَ
في مجلس سيف الدولة،
وتحن إذاك بحلب نذكر له
هذا (أي قرآنه) وأمثاله، مِنَّا
كان يحكى عنه، فينكره
ويجحد، قائلاً: «إنما
يدعوني بالمتنبي من يريد
الغضب مني، ولست أقدر على
الامتناع». (أحد ظرفاء تلك
العصبة ضده، تاريخ بغداد:
١٠٤/٤).

تلك حَزْبٌ (ونعرفُ أسرارَها)

لم تكن مرّةً حَزْبُنَا.

حَزْبُنَا وَرَدَّةٌ نُحَرِّرُ عِطْرَ اللَّقَاحِ الَّذِي يَتَوَثَّبُ فِيهَا،

وينايعُ نُفْلِتُ أُمُوجَهَا

وخمائرُ وَجْدٍ وَشَوْقٍ

ندلّ عليها، ونُغْري بها.

حَزْبُنَا أَنْ يَكُونَ الْجَسَدُ

أَبْدًا آخِرًا لِلْأَبَدِ^(١).

- ح -

لَا، لَا مَكَانَ يُؤَاخِيهِ سِوَى دَمِهِ
يَشْطَطُ فِيهِ، وَإِلَّا خِيَمَةُ الْأَرْقِ
يُرَاقِصُ التَّلَجَّ - فِي أَطْرَافِهِ لَهَبٌ،
وَيَحْضُنُ الْفَجَرَ - مَرْسُومًا عَلَى الْغَسَقِ.

قُلِ الرِّيحُ صَوَارِيهِ، وَقُلِ غَدُهُ
سَفِينَةٌ مَرَجَّتْهَا الشَّمْسُ بِالْأَفْقِ.

أَلْعَزِيزُ الْمَشْرُدُ يَشْكُو لِأَوْرَاقِهِ :

«قَاعِدٌ، وَقَمِيصِي لَيْلِي، أَعْلَمُ لَيْلِي

أَنْ يُخَيَّلَ حَالِي قَمِيصاً لَهَا

يَتَحَوَّلُ فِي كَيْمِيَاءِ مَدَارَاتِهَا،

وَيُلَابِسُ أَسْرَارَهَا .

كَأَذْ نَجْمٍ يَجْزِرُ خُطَاهُ

فِي الْمَدِينَةِ، تَحْتَ الْقَنَاظِرِ، فِي الشُّرَفَاتِ الْحَزِينَةِ

كَأَذْ أَنْ يَتَغَنَّى كَمَثَلِي :

«مَا أَمْرُ الْمَسَافَاتِ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ،

مَا أَبْعَدَ الْمَدِينَةُ» .

- ي -

(١) كان أعداء المتنبي
يشيرون في تهجمهم عليه إلى
قضايا فلسفية في شعره،
ويتخذون منها دليلاً على
إلحاده - كالسوفسطائية،
والتناسخ، والشيوعية،
والمانوية، وإنكار البعث... إلخ.
ويعزون هذا إلى تأثيره
باليونان وفارس، والفرق
المنشقة.

قِيلَ عَنْ رَجُلٍ تَتَعَشَّقُ أَعْضَاءُهُ:

كَافِرٌ، مَارِقٌ^(١).

خَشِيتُ، أَنْ تُصَلِّيَ

بَعْدَ ذَلِكَ، أَوْ أَنْ تَمُدَّ يَدَيْهَا إِلَى شَعْرِهَا

أَوْ إِلَى صَدْرِهَا.

خَشِيتُ أَنْ تَسَافَرَ فِي صَوْتِهَا

نَحْوَ أَعْضَائِهَا.

بَيْنَمَا، حِينَ يَمْضِي كَلَانَا، وَيَفْتَرِقُ الْعَاشِقُونَ،

عَدُوَّ عَاشِقٍ

أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمَارِقُ.

- ك -

طُوبَى لِمَدَاهُ
لِلرَّيحِ تَجَرَّ خِيُولَ هَوَاهُ،
وَلَيَنْغَيَّرَ، مَهْمَا شَاءَ.

سَأْجَانِسُهُ
وَتَصِيرُ خُطَايَ خُطَاهُ
وَأُؤَافِقُهُ
فِي مَا سَرَّ، وَفِي مَا سَاءَ.

- ل -

كيف أتيت، وكيف وصلت؟

من أيّ جسرٍ للظنّ عبرت؟

ما أشهى هذا الثوبَ عليك،-

أغمُرني فيه، خُذني

خُذ أعضائي، خُذ آهاتي

أين رحلت، وأين حلت.

في جراحي، جراحي، ما لا يُقال وما لا يُضاء،

غير أن الشموع التي عرفتنا، رَوَّتنا

لأَيامها ولأحزانها،

والوسائد واللُّحَفَ البيضَ والزُّرْقَ،

والعَتماتِ التي خانَتِ الشموعَ، رَوَّتنا

لأَيامها ولأحزانها - فلماذا

تركبن الجنونَ يفرّ ويهجر أعضاءنا،

ولماذا البكاء؟

- ن -

لم أكن مثلما شئتني

لم تكوني

مثلما شئتُ . كوني

بينَ هذا وذاك

ما تشائينَ -

أكرهُ فيكِ التحيرَ،

أكرهُ فيكِ السماءَ، وجنّاتها،

وأكرهُ فيكِ الملاكَ .

- س -

تلك خيام، أم كتيبان؟
جُثَّتْ، أم أطلال؟
مَنْ أسأل؟ أَيْةُ لفظه
تتقصّاني
وترجم حالي
في هذي اللحظة؟

لا، لا أحدُ
والوقتُ أنينُ
والأرضُ جراحٌ تَطْرُدُ.

- ع -

روميّة -

تركتّه هائِماً ذَنيْفاً
يحيا، يقولُ: «بلا شمسٍ ولا أُفُقٍ
أحيا، كأنّ لا يدي مِنّي، ولا كِبدي».
مَضَى إليها، سرى ضوءاً، سرى نَسْماً
ومات، مِنْ شَغَفٍ عالٍ وَمِنْ كَمَدٍ

لم يَشْكُ،
لم يَبْكُ،
لم يُومِئْ إلى أحدٍ.

- ف -

(١) قال الشعالي في «يتيمة
الدهر» (٥٤/١): «كان لسيف
الدولة جارية من بنات الزوم
لا يرى الدنيا إلا بها، ويشفق
من الريح الهابة عليها،
فحسدها سائر خطاياها على
لطف محلها منه، وأزمعن
على إيقاع مكروه بها من سُم
أو غيره. وبلغ سيف الدولة
ذلك، فأمر بنقلها إلى بعض
الحصون احتياطاً على
روحها».

هي رومية^(١)

تندوّق في الشرقِ أغوارَهُ،
وأنا؟ مَنْ أسأِّلُ عَمَّنْ أنا؟

يَلْتَقِي عاشقان: التّواصلُ بينهما لحظتانُ
لحظةٌ كلُّ شيءٍ حضورٌ
كأنَّ المكانَ
لُجَّةٌ في جسدٍ،
لحظةٌ لا أخذ.

- ص -

وَضَعْتَ آخِرَ اللَّيْلِ فِي قَلْبِهَا، وَكَانَتْ
وَضَعْتَ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي سَاعِدَيْهَا.
أَيُّهَا الْحَلَمُ، رَفْرِفْ بِرَفْقٍ
طَوِيلًا طَوِيلًا عَلَى مُقَلَّتَيْهَا.

شَعْرَهَا مُرْسَلٌ فَوْقَ وَجْهِهِ
وَلَمِيعَادَهَا شَكْلُ ظَنِّي - مَمْتَزَجًا بِالْجِرَاحِ:
إِنَّهَا شَمْسُ هَذَا الصَّبَاحِ.

- ق -

تُرْسُهُ فِي يَدِ

سَيْفِهِ فِي يَدِ،

وَحُطَّاهُ إِلَى بَلَدِ آخِرِ.

غَيْرَ أَنْ هَوَاهُ، رَوَاهُ، وَأَشْوَاقُهُ

تَتَكَبَّبُ فِي مَوْضِعِ آخِرِ

وَتَكَبَّبَ عَلَى جَسَدِ آخِرِ

لِغَدِ آخِرِ.

عَادَ مِنْ غَزْوِهِ

رَجُلَ الْحَرْبِ، يَجْشُو

فِي مُحَارِبِ زَوْجَتِهِ الْعَاشِقَةِ

يَتَطَهَّرُ فِي نَارِهَا الْخَالِقَةِ.

أَتَخَيَّلْ ذَاكَ الْمَسَاءَ، وَأَشْرُدُ:

مَنْدِيلُكَ الْآنَ عِنْدَ الْوَسَادَةِ حَيْثُ جَلَسْنَا.

مُخَدَّعٌ - كُنْتُ تَأْتِيَنَ، تَزْوِينَ فِيهِ لِلَّيْلِ

أَسْرَارَ لَيْلِكَ. مَنْدِيلُكَ، الْآنَ،

يَرْشَحُ بِالْعِطْرِ، عِطْرُ الْلِقَاءِ، وَعِطْرُ الْغِطَاءِ،

وَعِطْرُ الْعَرَاءِ.

أَتَخَيَّلُ: مَنْدِيلُكَ الْآنَ يُصْغِي لِمَا كَانَ جُرْحِي

يُوشِشُ جُرْحِي، ذَاكَ الْمَسَاءَ.

- ش -

لو كان اللّيلُ كمثلي
لَتَنَوَّرَ جَسْمُكَ عَضْوَاً عَضْوَاً
ولَمَّا أغمَضَ عَيْناً
إِلَّا بعدَ مَرُورِكَ فِيهَا
وَلَقَالَ لِكُلِّ جُزْيٍ فِيكَ وَفِيهِ :
لِلْهَذْيَانِ الضَّارِبِ فِي أَعْضَائِكَ ، أَمْنَحْ عَقْلِي .
لو كان اللّيلُ كمثلي .

- ت -

نامتِ المرأةُ العاصِفَةُ
نامتِ الشُّرُفَاتُ العَصِيَّةُ في قَصْرِها،
وَنَوَّمَ حِرَاسُها
والمَدَائِنُ نَامَتْ، ونامتِ مِيادِينُها
وأفراسُها.

وحده، سَاهِرٌ
عاشِقاً، يرصدُ اللَّحْظَاتِ، ويزرعُ ما حوله
بتباريحه الجارِفَةِ.

- ث -

تحلم، تُعطي نَهْدِيهَا
لأصابع ليل لا تعرفه.
تعطي رثيها
لهواء لم تعرفه.
تحلم، تعرف أن أثير هَواهُ
كونَ طيَّارٍ.

تحلم، توقن أن الحلم سيأتي
وسيلبس هذا الجسد المنثور كَقَمَحٍ،
في حَقْلِ اللّهِ.

- خ -

هَيَّ، مَثَلُ الْيُنَابِيعِ، تَرْفُلُ فِي مَاءِ تَرْحَالِهَا

وَتَلَمَّ طَيُورُ مَسَاءِ أَتِهَا

حَوْلَهُ،

وَتَلَمَّ الزَّهْرُ،

وَتَقُولُ الْجَنَاحُ

لُغَةً وَطَرِيقٌ وَوَعْدٌ.

وَهُوَ، مَثَلُ الْجِبَالِ وَمَثَلُ الشَّجَرِ،

لَا يِعَانِقُ إِلَّا الرِّيحُ.

- ذ -

فاطمه

جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ

طَافَ فِي ظِلِّهَا

وَتَزُودُ مِنْهَا قُبَيْلَ الرَّحِيلِ .

فاطمه

زَوْجَةُ الْفَارِسِ الَّذِي مَاتَ فِي غَزْوِهِ :

السَّمَاءُ عَلَى وَجْهِهَا تَتَمَرَّقُ ،

وَالْأَرْضُ فِي صَدْرِهَا هَائِمَةٌ .

- ض -

لم نَشِخْ، شاختِ السماء -

السماء التي سَرَقَتْنا

وكَسَتْ غُرْيَهَا

بِلُهَاثَاتِنَا.

السماء التي مِنْ وَرَقْ

السماء التي تَمَزَّقْ فِي رِيحِنَا.

لم نَشِخْ. شاخَ فينا المدارُ، وشاخَ المسارُ،

وشاخَ الأَرَقْ -

شاختِ الأرضُ: قُلْ لِي، يا أَيُّهَا الطِّفْلُ،

يا خالقَ الحبِّ، هَلَا غَضِبْتَ،

وغيَرتَ هذا الفضاء!

- ظ -

أَتَرَاهُ التَّعَبُ

كَانَ إِرْثًا لَنَا وَحَدَنًا؟

أَتَرَى الرِّيحُ أَتَتْ، وَحَنَّتْ

مِثْلَنَا، وَبَكْتَنَا وَأَعْطَتْ

لَمَلَاتِكَ أَحْزَانَنَا كُلَّ نَائِي

صَنَعَتْهُ الطَّبِيعَةُ

مِنْ بُرْحَاءِ الْقَصَبِ!

- غ -

لم تقل إنها نَسَمٌ لا يقول اسمُهُ، -
يتوسَّدُ زَنَدَ الفضاءِ، يجرّ على الزَّهْرِ
أحشاءهُ،
لا يقول اسمُهُ .
يَلِجُ اللَّيْلَ، يقرأ لِّلَّيْلِ أحلامَهُ
لا يقول اسمُهُ .

لم تقل إنها نَسَمٌ
لا تقولُ الرِّياحُ الغصونُ التَّوافِذُ
إِلَّا اسمُهُ .

- غ - ٢

(استطراد)

- أ -

النِّسَاءُ يُطَوِّقْنَ حُبًّا خَدِيجَةً فِي قَوْلِهَا:
«جاءني مرّة

وعلى رأسه، مثل ظلّ، عَمَامَةٌ
قلتُ: هذي علامة -

أنّه السيّد الذي شئتُه،
لأكون له زوجة.

كنتُ في الأربعينَ ولي ما أشاء
وتزوَّجتُ شخصينِ من قبله.
أولُ امرأةٍ صدَّقْتُه - نبيًّا، أنا،

فأنا أولُ المؤمناتِ - / «خديجةُ خير النساءِ».

هكذا قال عنها النبيُّ

(رواهُ مسلمٌ والبخاري).

النِّسَاءُ يُطَوِّقْنَ حُبًّا خَدِيجَةً فِي حُبِّهَا.

- ب -

كيف لا نتقصى كلام النبي ومعناه - «لم ينزل الوحي يوماً

وأنا في لحاف امرأة،

غيرها».

وعنى عائشة.

كيف ننسى حديثاً لها:

«لم أغز من نساء النبي، ولكنني

عُرتُ منها (وتعني خديجة)، كانت

عجوزاً.

حين ماتت، رأيت النبي حزيناً يخفّ وينزل في قبرها.

أذكر الآن موت النبي كأني أراه:

مات في ثوبتي،

بين رأسي ونخري،

خالطاً ريقه بريقي».

4 / XI

دفتر الليل الأشياء

مَرَّت. هل أتبعها؟

هل أتلفت؟ ناي الحب عتيق،

ويداي بلا قيثار.

مَرَّت. مر الضوء، ومر الليل، ومَرَّت

عُرف ووسائد،

بين يديها -

من أين، وكيف أجيء إليها؟

- ب -

في مدار الغروب، دخلنا -
نتأمل في آخر الشمس، لا شيء إلا
آخر الشمس: ورْدٌ
مُتَعَبٌ، داخلٌ في العَسَقِ.

خُذْ يَدَيَّ، تَرَفُّقُ
أَيُّهَا المَفْتَرَقُ.

وردة. كل شيء يؤلف ما بيننا
وجْهها واسمها وشذاها
وأوراقها الدامية،
هي ذي تتكسر في ريح أيامها.
لا أريد لعطرك أن يتقضى رياحي، قالت.

صُورٌ ولغاتٌ
في الجهات التي واكبتها،
في التراب الذي عرفته
تَبَجَّس من عطرها
في معاجم آثارها الباقية.

كم تخيلتُ أنني
أَتأرجعُ في عنقِ الموتِ،
لكنَّ عنقَ التخيّلِ،
كان كمثل الأمومة -
يجذبُ رأسي إليه .

- لَسْتُ طفلاً،
وأحاول ألا أعودَ كما كنتُ طفلاً .

نَجْمَةُ الموتِ
تسطع في الظلّ،
بين طريقي وبينني .

ترى بلبِلِ مراياها، أَرَى بدمي
كأنَّا شَرُّ يُسْري به شَرُّ
يَقودنا، إِنَّ شَطَطنا، حَبْرُ أُغْنيةِ
الأَرْضِ دَفترها والشَّاعِرُ المَطَرُ -

لا تَجْهَلُ الرِّيحُ أَنّا من لَواعِجِها
فليس يُثْمِرُ، إِنَّ لَمْ نَعْشَقِ، الشَّجَرُ.

هُوَذَا دَهْرُنَا -

لَا عَدَّ، لَا مَعَاذَ
قَبْلَ أَنْ تُزْرَعَ الْحَقُولُ، يَحِينُ الْحَصَادُ.

وَأَنْجِيَاهُ،
أَيْنَ التَّجْوُمُ الَّتِي وَشَوْشَتَكَ،
مَتَى، كَيْفَ، أَتَى
سَقَطُ فِينَا
مِنْ عَقُولِ سَمَاوَاتِهَا،
عَقْلُهَا الْمُسْتَقَادُ ؟

- ز -

نَزَلَ اللَّيْلُ مِنْ تُقُبِ نَجْمٍ
وَأَتَى حَافِيَاً

كي يزور السرير الذي نمت فيه -
مرّة،
ويجسّ الغطاء.

لم يجد غير خنيط
نسجته الطفولة حتّى
توقظ الشمس من نومها،
وتجّر السماء.

ضَوَارِ نَفُوسِ النَّاسِ يَرْحَفُ بَعْضُهَا
عَلَى بَعْضِهَا، مِنْ شِرَّةٍ، وَيُغَيِّرُ
حُرُوبَ تَذَوُّبِ الرُّوحِ فِيهَا مَرَارَةً
وَيَسْمُنُ فِيهَا صَاغِرٌ وَصَغِيرٌ

أُحِبُّ كَلَاماً لِلأُحَيْمِرِ^(١)، عَالِياً
وَيَأْسِرُنِي فِيهِ هَوًى، وَنَذِيرُ:
«عَوَى الذَّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذَّبِّ، إِذْ عَوَى،
وَصَوْتُ إِنْسَانٍ فَكُذْتُ أَطِيرُ».

- ط -

ادخلْ لا تدخلْ .

تلك الغابةُ

أعطى كلُّ فضاءٍ فيها للرَّمْلِ كتابةً .

ادخلْ لا تدخلْ .

هل بين الصَّخر وبينك خَيْطٌ؟

هل هذا السَّائِلُ في خطواتك جرحٌ؟

تلك الغابةُ

جُزْرٌ للرَّيحِ ، طيورٌ

مِنْ كُلِّ غبارٍ ،

وَدُمى جَوَابَةٌ .

لا تدخلْ ادخلْ .

- ي -

نَاعِمٌ، مُتَرْفٍ

وَبَعِيدُ الْإِشَارَاتِ هَذَا الشَّرْكُ -

يَتَمَوَّجُ، يَلْتَفُ

حَوْلَ الْعُقُولِ وَحَوْلَ النَّفُوسِ وَأَهْوَائِهَا.

شَرْكٌ - أَصْلُهُ عَشْبَةٌ

فِي السَّمَاءِ، وَشِعْرٌ

غَمَسَتْهُ جِرَاحَاتُنَا

فِي عَبِيرِ الْفَلَكَ.

- ك -

يحتفون بموتاهم . سيوف
تحمل التَّعْش . رَفْص
والبكاء كما تَشْهَقُ الرِّيح . أكفانهم
حرير، والقبور قصور.

يُكملون الحياة - دروب
تتطاوَلُ حيناً، تتكرَّرُ حيناً،
ولا مَخْرَج.

معهم يجلس الفقرُ سكران - مِن مَلِلٍ أو غَضَبٍ
وَيُصَلِّي كما علّموه
لِلشَّقاء الذي أَلْفَوْهُ -
لينابيع الآمهم
تندفقُ خرساء من دُرُواتِ التَّعَب.

وُلِدْتُ مِنْ طِينَةٍ لَمْ يَزَوْ كَاحِلُهَا
مِنَ الْغُبَارِ، وَلَمْ يُكْشَفْ لَهَا نَسَبُ
أَدَوْرٍ فِي قَلْبِكَ الْمَعْنَى - يِرَافِقْنِي
رَمْلُ الْكَلَامِ، وَحَبْرُ الرَّفْضِ، وَالْعَضْبُ
وَجْهِي فَضَائِي، خُطَايَ الْيَأْسُ تَكْتِبُهُ
بَوَارِقِي، وَمَدَايَ التِّيْهِ وَاللَّعْبِ.

هو الحلم - يكسوني - بعفو سماءه،

ودربي،

والأرض التي باسمها أنبي.

مُصادفةً،

أعطاني الموج شكله

وعلمني أن أستقي ولهي مني

فصرنا كأننا واحد متعدد

أسأله عنه، ويسألني عني.

قُلْ لِهَذَا التُّرَابِ اضْطَجِعْ، وَتَخَيَّلْ
أَنَّ وَجْهَكَ وَجْهَ امْرَأَةٍ -

قُلْ لَهَا عَلِّمْنِي

كَيْفَ أَهْبَطَ أَدْرَاجَ هَذَا الظَّلَامِ إِلَيْكَ،

أَسَافَرَ فِي حُفْرَةٍ

وَأَشْبَهَ نَفْسِي بِظِلٍّ،

أَوْ بِقَطْرَةٍ مَاءٍ،

وَأَغْنِي مَقَاصِيرَ عُزْبِكَ - أَنْهَاءَهَا

وَأَشْيَاءَهَا،

وَقَتَادِيلَهَا الْمُطْفَأَةَ.

- س -

تلك أيامنا

جاريات كمثل الجداول،

حيناً تفيض،

وحيناً تشح -

وتَصْفَرُ أحشاؤها وتقاطيعها.

تلك أيامنا -

أَلْتَلُوجُ مَصْبَاتِهَا

والغيومُ يَنَابِيعُهَا.

- ع -

إِنَّهَا الرِّيحُ تَغْتَقِلُ الْآنَ حَظُوكَ،
وَالْأَفْقُ يَسْجُنُ عَيْنِكَ،
وَالْجِرْحُ أَعْمَى:
سَلَسِلُ سُدَاءٍ فِي زَمَنِ مَيِّتٍ.

نَزَلَ الضُّوءُ، فِي كَسَلٍ وَارْتِخَاءٍ
مِنْ أَعَالِيهِ فِي الشَّمْسِ، وَارْتِطَمَتْ رُكْبَتَاهُ
بِبَقَايَا شَمُوعٍ،
فَهَوَى فَوْقَهَا، مُوجِعًا،
وَالصَّبَاحُ أَضَاعَ مِفَاتِيحَهُ.

لَمْ يَعْذْ مَكْرُ تِلْكَ السَّمَاوَاتِ سِرًّا.

لَيْتَ هَذَا الْأَلَمَ
جَاهِلِيٍّ، يَجْزِي النَّجُومَ عَلَى ظَهْرِهِنَّ،
وَيَرْتَاخُ فِي حَجَرٍ أَسْوَدٍ،
وَيَصَلِّي
لِلصَّحَارَى وَوَاحاتِهِنَّ وَغَزَلَانِهِنَّ
وَيَصْنَعُ مِنْ سَعْفِ النَّخْلِ
كُوخًا يَفِيءُ إِلَيْهِ،
وَصَحَائِفَ حُبٍّ يَفِيءُ إِلَيْهَا الْكِتَابُ،
وَمَحْرَابُهُ، وَالْقَلَمُ.

كيف لم أَتَنَّبَهُ لماء قوَيْقٍ
وهو يقرأ ما تكتبُ الصَّحَارَى؟

ألهذا،

لم أقل إنَّ بين الصَّحَارَى والقصائدِ جِئًا
يمزجون الرِّيحَ بأنفاسهم؟
صورٌ في خيالي للجنِّ، منذ الطفولة، منقولةٌ
عن كتاب السَّماء - تَفَقَّيْتُ آثارها
في ثقوب المسافات، ساءلتُ مَجْرَى قوَيْقٍ
وغدرائه،

وتَقَصَّيْتُ ماءَ الجرارِ، سألتُ الجرارِ
وأصغيتُ - شُبّهَ أَنِّي أصغي إلى الجنِّ،
تقرأ أشعارها

وشُبّهَ أَنَا

نتكاشفُ: تأخذ سرِّي، وأخذ أسرارها.

- ق -

أَثَرٌ - غِزْلَانٌ مَرَّتْ؟ أَمْ تِلْكَ قَوَافِلُ رِيحٍ؟

لَمْ يَتَغَيَّرْ

شَيْءٌ فِي الْبَيْتِ: الشَّمْعَةُ فِي الْمَشْكَاةِ، وَكُلُّ
كِتَابٍ

فِي مَوْضِعِهِ،

وَالدَّفْتَرُ، ذَاكَ الدَّفْتَرُ، يَرْقُدُ فِي صَنْدُوقٍ

حَيْثُ اعْتَادَ. وَلَكِنْ

مَاذَا قَالَتْ لِلْبَيْتِ؟ لِمَاذَا

لَمْ تَخْتَرْ وَقْتًا آخَرَ أَقْدُرُ أَنْ أَجْلِسَ فِيهِ

مَعَهَا، وَأُحَادِثُهَا؟

وَلِمَاذَا مَرَّتْ؟

أَصَوَاتُ أُوشِكٍ أَنْ أَلْمَسَهَا

وَأَحَارُ: لِمَاذَا لَا أَفْهَمُهَا؟

في مساءٍ مضيئٍ، أنستُ لنهرٍ قوئقٍ
مشينا معاً،

ورأيتُ إلى القمرِ الطُفلِ، يَجري مع النهرِ،
يُمسكُ بالماءِ - يسألُ عن وجههِ.

وجههُ حَجَرٌ - قالتِ الضفَّتَانُ.

أفلتَ الماءُ من بين كَفْيِهِ، نامَ،
ونامتْ على صدرهِ مُقْلَتَانُ.

- ش -

عَنْ، يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ فِي، الطُّفُولَةِ - وَزَدَا، خَزَامِي
حَبَقًا، نَرْجِسًا، وَأَزْهَارِ دِفْلَى،
وَأَبَارِيقَ مِنْ كُلِّ خَمِيرٍ.

وَيَا أَيُّهَا الشَّيْخُ،
مَا زَالَتْ الْأَرْضُ تُطَوِّي كُتُوبَكَ، وَالتَّاقَةُ الْحَائِثُ
لَمْ تَصِلْ بَعْدُ، وَالشُّعْرُ
كَالْحَبِّ: كَفَاهُ مَغْلُولَتَانِ،
وَحُطُوتُهُ عَائِرَةٌ.

- ت -

خَلْتُ نَفْسِي مِرَاراً
فِي طَرِيقِي إِلَيْهَا
أَنْنِي أَتَحَدَّثُ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ
وَأَرَى كُلَّ شَيْءٍ
يَتَفَتَّحُ، يُصْغِي، وَيَفْتَحُ أَحْضَانَهُ
وَيُوشِشُ جِيرَانَهُ
أَنَّهُ، مِثْلِي الْآنَ، يُطَبِّقُ أَجْفَانَهُ عَلَيْهَا.

- ث -

مَدُنْ لَا تَزَالُ كَمَا أُنْشِئْتُ، ضَحِيَّةً

تَتَغْنَى بِجَلَادِهَا

وَتَصْقِلُ أَسْيَافَهُ

وَتَوْرَخُ: تَابَعَ أَسْلَافَهُ

وَتَشَبَّهَ بِالسَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ.

مَدُنْ لَا تَزَالِ، كَمَا أُنْشِئْتُ، خَرَابًا:

بَشَرٌ يَسْكُبُونَ الْوَطْنَ

فِي قِصَاعٍ، يَصْفُونَ أَجْنَادَهُمْ حَوْلَهَا -

طَائِفٌ يَتَشَى،

أَكِلٌ يُفْتَنُ.

- خ -

كَتَبَتْ تَسْأَلُ عَنْ حَالِي، قَالَتْ:

«خُذْ يَدِي، هَاتِ يَدِيكَ

عُدْ إِلَى وَجْهِي، أَعِدْ وَجْهِي إِلَيْكَ».

لِلَّذِينَ يَقُولُونَ لِلصَّمْتِ أَوَّلُ أَنْشُودَةٍ،
لِلْحِجَارَةِ سَوْدَاءَ فَوْقَ الرُّؤُوسِ، لِلَّيْلِ
تَقْصِي الْكَوَاكِبِ أَحْلَامَهَا مِنْ شَبَابِكِهِ، لَذَكَرِي
حَمَلْتُ نَارَهَا بَيْنَ أَهْدَابِهَا،

أَتَنْسَمُ هَذِي الْقَصَائِدَ مِنْ جَوْفِ حَوْبِ
وَأُهَيِّئُ لِلصَّمْتِ آخِرَ أَنْشُودَةٍ.

- ض -

سَلَلْتُ خَطْوِي مِمَّا خُطُّ فِي حَلَبٍ :

هذي دروبي وهذا آخرُ البلدِ،-

أروحُ، أوغل في جرحي وفي لغتي

كأنَّ بيتيَ محمولٌ على كبدي.

هَوَايَ فِي فَلَوَاتِ الرَّفْضِ مُعْتَقِلٌ

وَتِلْكَ نَارِي تَوَاسِيهِ، وَتِلْكَ يَدِي.

أَجَرَ دَهْرِي مَنَقُوعاً بِخَمْرَتِهِ

مُزَمَّلاً بِرِيَّاحِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ،-

هَذَا مُقَامِي وَهَذَا أَوَّلُ الْبَلَدِ.

- ظ -

في وجهه مِنْ بقايا حلمه دَمَنْ
وفي أغانيه مِنْ أشلائه مِرْقُ
ضاقت على قدميه الأرض وانكمشت
عنه ، وضاقَ على أهدابه الأفقُ .

- غ -

أُضْغِي -

تَقُولُ لِي الْقَصِيدَةُ وَالْمَدِينَةُ وَالطَّرِيقُ:

لا، لا يَلِيقُ بِي الْمَقَامُ،

وَلَيْسَ لِي مَنَفَى يَلِيقُ.

باريس - برينستون

(١٩٩٥ - ١٩٩٧)

علي مولا

ISBN 1 85516 740 9



أدونيس

الكتاب

أحسن الممكن الآن

III

علي مولا

الهاتف

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية



الكتاب
أحسن العكاز الآن

أدونيس

الكتاب

أهس المكان الآن

مخطوطة تُنسبُ إلى المتنبّي
يُحقّقها وينشرها أدونيس



الشارع
الهاقي

© دار الساقى
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ISBN 1 85516 535 X

دار الساقى
بناية ثابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢
بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ - ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

DAR AL SAQI
London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 020-7-221 9347, Fax: 020-7-229 7492

I

فاصلة استباق

إنها أرضه التي ينتمي إليها، -

تنحني كأنها الياء.

ويريد أن تنهض كأنها الهمزة على ألف الطبيعة.

باسمها يحرق الحنين ويسقي حدائق الرغبة.

باسمها يفتش الفضاء خطاً خطاً.

يسكن شهيقها في أعضائه يسكن

زفيرها في تأوهاتة

مرکبة من آلهة حواسه، ولا تزال سراً وعصية عليه.

- في

كل

مكان

ينتظره

موت

ما.

باسمها يشرح الروح بصخب المادة

يبتكر علماً لتحليل السماء يستضيف اللاهوت

الفلسفة العلم الفقه والشرع يستودع

التاريخ مواعيده ويتصارع معه يرى

نفسه في هذه الأرض ويُسهر عليها حروبه.

أنتِ، يا من قُذِبَ وردة الحياة من البذرة

- إلى إلى الأريج،

متى قولي كيف يقود أعماله -

يصدق

الشعر هو

ويكذب المبعثر الذي يُغني مُهيناً أشلاء؟

وعده؟

تشجين في اتجاه السديم، لكن لا يزال

ترابك يهذي بالولادات.

عذب هو السفر في مراكب الرؤيا في صوبات كمثل نساء

- يد الشعر يمشطن رؤوس الأيام وما أبسط جغرافية

تجس نبض النسوة ما أهدى خرائط تيهها.

الأغوار،

- أهى نبوة هوذا يتقدم في دخان يخيظ الأفق وها أنتِ

المحو؟ يا أرضه تشردين في محيط احتمالات في عصر

- أهو المحو كمثل فاصلة بين الموت والموت،

يُعلن وأين الإشراق الذي يقرأ ضربة الترد؟

البدايات؟

خُذْ يَدِي،

خُذْ دَوَائِرَ جِسْمِيْ وَادْخُلْ مَعِيْ فِي

الدَّوَارِ،

أَيُّهَا الرَّاقِصُ الْمَلَكِيُّ

الْمَتَوَجِّعُ بِالسَّمْسِ،

يَا أَيُّهَا الْعُبَّارُ.

بعد قتل علي^(١)،

من تُرى

سيُحرك للزنج

في هذه الظلمة الغامضة،

شرز الذاكرة؟

- منصور، أنكلاني^(٢)!

هوالك أرض ووعد،

وانت للناس آي!

* القصيدة كالشمس،

لا تتفياً إلا بإشعاعها.

(١) علي بن محمد، قائد الزنج.

(٢) «كان للزنج بوسائل حركة، فصاحوا: أنكلاني، يا منصور. وكان أنكلاني والمهلبلي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني وآخر معهم من قواد الزنج، محتبسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام في دار البطيخ في يد غلام من غلمان الموفق، يقال له فتح السعيد. فكتب الموفق إلى فتح أن يوجه إليه برؤوس هؤلاء الستة. فدخل إليهم فجعل يخرج الأول فالأول منهم، فذبحهم غلاماً له، وقلع رأس بالوعة في الدار، وطرح أجسادهم فيها، ووجه رؤوسهم إلى الموفق». (الطبري، أحداث السنة ٢٧٢هـ).

- ب -

أَسْلَمْتَهُ الْحَيَاةُ إِلَى لُجْهَها

لَا أَنْجِرَافَ لِمَسْرَاهُ فِي هَوْلِهَا،

لَا تُخَوْمُ.

لَمْ يَكُنْ، مَرَّةً، حَامِلًا

رَايَةَ الْجَنِّ، أَوْ قَارِنًا لِلتَّجْوُمِ.

مِثْلَ نَوَّلٍ، يَدُ الْوَقْتِ تَأْتِي وَتَمْضِي

فِي نَسِيجٍ يَرْتَلِ أَلْوَاحَهُ:

وَاحِدًا لِلرَّحِيلِ

وَاحِدًا لِلطَّرِيدِ الْقَتِيلِ

وَاحِدًا...

وَالْخِيوطُ عَلَى عَهْدِهَا

فِي يَدِ الْوَقْتِ، مَحْمُولَةٌ فِي

يَدَيْهِ،

عَبَثًا تَقْرَأُ الْخِيوطُ نَسِيجَ

الْفَجِيعَةِ فِي مَقْلَتِيهِ.

«أَلْمَسِيحُ؟ رَأَيْتُ

الْمَسِيحَ، سَمِعْتُ

الْمَسِيحَ يَكَاثِفُ قَلْبِي:

«أَنْتِي مِثْلَ نِخْيِ

وَأَنْتِي رُوحُ الْقُدُسِ.

أَنْتِي الْحُجَّةُ الدَّاعِيَةُ

لِعَوَالِمِ أَفْلَاكِنَا

الثَّانِيَةِ^(١).

* أَثْبُهَا الضَّيَاءُ الَّذِي يَتَحَدَّرُ مِنْ جُرْحِنَا،

قُلٌّ لَخِيْطِ الدَّمِّ:

هَلْ عَرَفْتَ بَمَنْ نَهْتَدِي؟

هَلْ عَرَفْتَ لِمَنْ نَنْتَمِي؟

(١) كَلَامٌ يُنْسَبُ إِلَى خَمْدَانَ
قَرْمَطٍ الَّذِي تَنْتَمِي إِلَيْهِ الْحَرَكَةُ
الْقَرْمَطِيَّةُ. وَكَانَ بَدَأَ ظَهْرَهَا
فِي الْكُوفَةِ - مَسْقُطَ رَأْسِ
الْمَتْنِيِّ.

- ج -

أَلْبِلَادُ الَّتِي أَنْتَمِي إِلَيْهَا
لُغَةٌ فِي الْمَجَازِ - تَرَحَّلْتُ فِي ضَوْئِهَا،
ضَمَمْتُ إِلَيْهَا سِوَاهَا؟
وَأَسْلَمْتُ جَبْرِي لِتَأْوِيلِهَا.
أَقْسَمُ الْأَفْقُ وَالْغَيْمُ أَنَّ تَأْوِيلَهَا
لَا تُعَانِقُ غَيْرَ التَّرَحُّلِ:
مِنْ هِجْرَةٍ إِلَى هِجْرَةٍ
وَمِنْ مَوْعِدٍ إِلَى آخَرٍ.

الذاكرة

٢٧٨هـ.

- «إِنَّهَا الْقُدْسُ،
لَا مَكَّةَ.

قُبْلَةُ الْقِرْمَاطِيِّ».

- «هَكَذَا قِيلَ».

- مِنْ أَيْنَ يَنْزِلُ

هَذَا الْبَلَاغُ

عَلَى ذَلِكَ النَّبِيِّ؟

* إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ جِرَاحِي
شَبَحًا أَتَرَدَّدُ فِي لَمْسِهِ.
أَهْ مِنْ مُحْمَلٍ فَاتِنٍ
يَتَدَلَّى عَلَى كَتِفَيْهِ.

الذاكرة

٢٧٨هـ.

- «لا أخذ

يقدز

أن

بنالني

بسوء»^(١)

- د -

ما لِحُزْنِي يَطَارِدُ أَسْرَارَهُ

مَا لَهُ سَاهِرٌ

يَتَقَلَّبُ فِي دَائِهِ؟

أَعْطِهِ، أَيُّهَا الْجَمْرُ مِفْتَاحَهُ

وَأَعِدْهُ لِبَيْدَائِهِ.

أَصْحِيحْ

أَتْنِي لَسْتُ إِلَّا الطَّرِيقَ الَّذِي سِرَّتُهُ؟

* مَطَرُ الْيَأْسِ جَارِفٌ، وَالصَّبَابَاتُ هَبَاءٌ،

وَالْحَبُّ جِسْمٌ عَلِيلٌ

أَهِيَ الصَّخْرَةُ؟ انفجرْ، أَيُّهَا الْمَاءُ،

وَأَغْرِبْ يَا ذَلِكَ التَّأْوِيلُ.

(١) كلام يُنسب إلى حمدان
قرمط.

- «لا يُباع كتاب»^(١)

في التفلسف أو في

علوم الكلام.

لا مكان لدينا

لمن صاحب النجوم،

وخان النظام».

إصرخوا هكذا

في شوارع بغداد

حتى يُغيق النيام.

- ه -

كلُّ هذي الدُّروب تُوَدِّي إلى وحدةٍ

في المسارِ - العُبارِ، ولا فَرْقَ

في الخُطواتِ: أكانت تَوُوبُ

أم تسافِرُ. أدعو

أَسائِلُ:

مَنْ يأخذ الأرضَ مِنْ جَذْرِها

وَيُسْتَتُّ هذي الدُّروب؟

يَعْرِف السُّمُّ أوجاعنا:

بِذَرَةُ العَيْمِ فينا.

* وَخَدي - لا أَشكو

لا أَرْجو عَوْنًا، لا أَطْلُبُ نَجْدَةً:

تَحْمِينِي وَتُعْذِّبْنِي هذي الوحْدَة.

(١) كلامٌ يُسبب إلى الخليفة
المعتمد.

(١) الإشارة إلى الخليفة
المعتمد.

- و -

أَلْسَمَاءُ الَّتِي تَتَحَوَّلُ لَيْلًا إِلَى جَرَّةٍ
حَضَضْتَنِي مِرَارًا
وَمِرَارًا سَقَطْتَنِي إِكْسِيرَهَا.

السَّمَاءُ الَّتِي لَا تُصَلِّي
لِجِرَاحِ الَّذِينَ يَشْكُونُ فِيهَا
وَيَثُورُونَ، مِنْ حَيْرَةٍ، عَلَيْهَا،
لَا أَصَلِّي لَهَا.

الذَّكْرَةُ

٢٧٩هـ.

ماث حُفَّاء^(١)،
كما قال بَعْضُ،
وبالْأَسْمِ فِي قَوْلِ
بَعْضٍ.

* عَادَةً، تَأْمَلُ الرِّيحُ،
لَكِنَّ رِيحَ الْبِلَادِ الَّتِي أَنْتَمِي إِلَيْهَا،
لَا تَقُولُ سِوَى يَأْسِهَا،
لَا تَقُولُ سِوَى نَفْسِهَا.

الذّاكِرة

٢٧٩هـ.

كان يرثي لحالته قائلاً^(١):

«أليس من العجائب

أن مثلي

يرى ما قلّ ممتنعاً

عليه،

وتؤخذ باسمه

الدنيا جميعاً

وما من ذلك شيء

في يديه».

- ز -

أَتَشْتُّ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ . تَرَاهَا -

كَلِمَاتِي خِيُولُ

وَصَدْرِي حَقُولُ لَهَا؟

إِنَّهُ الْمَوْتُ يَنْسُجُ

قَمِصَانِ هَذَا الْفَضَاءِ الَّذِي

أَتَقَدَّمُ فِيهِ ، وَتِلْكَ جِرَاحِي

نَقَرْتُ مِنْ سَرِيرِ مَجْرَاتِهَا .

* البرقُ ذاكِرتي -

نَشَرْتُ غَيُومَ حَزْنِي

فِي غَابَةِ ،

وَشَرَدْتُ بَيْنَ خِيَامِهَا :

الْحُبُّ آخِرُ خَيْمَةٍ .

(١) الإشارة إلى الخليفة
المعتمد .

- «لا طريقَ إلى العرشِ،
لا سِدْرَةٍ، لا خَلاصَ
غيرَ أن يُطرحَ النَّاسُ وَالْمَلِكُ
في ذُنُوبِ الرُّصَاصِ»^(١).

- ح -

قَارِئُ الرَّمْلِ يَسْأَلُ:

مِنْ أَيْنَ تَأْتِي إِلَى الْكَوْنِ

هَذِي الرِّسَالَاتُ،

مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ هَذَا الْبَلَاغُ؟

وَأَنَا قَارِئُ الْكَوْنِ، أَسْأَلُ:

مِنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَيْهِ - هُوَ الْجِلْدُ

وَالْمَالِيُّ الْكُلُّ،

هَذَا الْفِرَاقُ؟

* أَخَذْتَنِي إِلَى بَيْتِهَا وَرَدَّةٌ

مَوْتُهَا عِطْرُهَا:

أَوْ مِنْ رِيْشَةٍ

جَسَدِي جَبْرُهَا.

(١) الإشارة إلى رواية أخرى
عن موت الخليفة المعتمد
تقول إنه دُمِيَ حَتَّى فِي رِصَاصِ
مُدْرَبٍ.

- ط -

الذاكرة

٢٨٠هـ.

- «لَنْ أُفِرَّ

على مَنْ دَعَوْتُ

إليه،

ولو أَنَّ نَاراً

شَوَّنِي»^(١).

- «سَفَعَلُ هَذَا»^(٢).

أُتْرَحَلُ. هَلْ وَمَاءٌ؟

هل لقاء بلا موعد؟

لا أَحَبُّ لشمسي

أَنْ تُعَاشِرَ أَشْلَاءَهَا.

بين أشواقنا وَتَبَاريجها،

أَتَوَقَّعُ أَنْ تُبَدِّعَ الْمَعْصِيَةَ

لَعَنَةَ الْأَغْنِيَةِ.

* أَيْنَ مِنْ سَيِّخُلُصْ عَضْرِي

مِنْ عَكَكِيزِ أَنْقَاضِهِ؟

(١) هذا الكلام يُنسب إلى محمد بن الحسن بن سهل، المعروف بـ «شَيْلَعَة»، وكان مع صاحب الزنج. سأله الخليفة المعتضد عن الرّجل الذي يدعو إليه، فأجاب: «لو كان تحت قدمي لما رفعتهما عنه». ... فَأَمَزَ بِنَارٍ، فَأَوْقَدَتْ، ثُمَّ شُدَّ عَلَى خَشْبَةٍ، وَأَدْبَرَ عَلَى النَّارِ، حَتَّى تَقْطَعَ جِلْدُهُ. ثُمَّ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَضُلِبَ. (الطبري، أحداث السنة ٢٨٠هـ).

(٢) الكلام للخليفة المعتضد.

- ي -

رَقْصُ عُشْبٍ. تِلَالُ

تَتَخَاصَرُ. غَيْمٌ

عَابِرٌ فِي قَوَافِلَ لَا مَاءَ فِيهَا.

هَذَا شَيْلَمَةُ

كوكبٍ مِنْ وَقَاءٍ وَخُبٍ

يَتَلَأَلُ فِي

أَرْضِهِ الْمُظْلِمَةِ.

شَجَرٌ نَاجِلٌ

شَجَرٌ مَائِلٌ.

جَوْفَةُ لِلرَّحِيلِ

أَنْتَ فِيهَا الشَّرِيدُ وَأَنْتَ الدَّلِيلُ.

* هَا هُمْ الْعَاشِقُونَ

لَا طَرِيقَ لِأَحْلَامِهِمْ

غَيْرَ لَيْلٍ الْهَبُوطِ عَلَى دَرَجَاتِ الْجُنُونِ.

خطواتي -،

في الطريق إلى مصر، سكرانة

بتباريحها تلوذ،

بأنقاضها تُفتتن.

تتهجى مداها وتوغل في أبجدية أهوائها،

وتؤالف ما بينها

وبين تجاعيد هذا الزمن.

ها هو الفارس الذي

جاء من بعده^(١)،

لم يعد يتجزأ أن

يلبس الزبح، أو أن

يسيل دم الأغنية

في شرايين تاريخه.

أتراها -

في هجير الزمان

وصحرائه،

سبقت إلى التوبة

المعصية؟

- ك -

(١) الضمير هـا عائد إلى شيلمه.

* يكتب الشعر كالأرض تكتب أزهارها، -

شعره

مثل هذا التراب الذي ينتمي إليه:

فلك سابح.

- ل -

لِلسَّمَاءِ رِداءً

خِيطَ فِي خَضِرِهِ

شَكْلُ جَسْمٍ وَصُورُهُ عِرافَةٌ.

ولأَكمامِهِ شَريطٌ

مِن عِناكَبٍ سُودٍ.

مَا أَحَبَّ إِلى سَيِّدِ المَوْتِ، هَذِي العَشِيَّةُ

قَرُودُ أَيَّامِنَا المَتَنَكَّرُ فِي قَرَوَةِ آدَمِيَّةٍ.

الذاكرة

٢٨٠هـ.

شَيْلَمَةُ -

شُكُّ فِي السَّيِّخِ

مِن قَدَمِيهِ إِلى

شَفَتِيهِ،

وَضَعُوهُ

فَوْق نَارٍ، يُدار عَلَيْهَا

وَيُسَوَّى.

بعد هذا،

ضربوا عُقْفَهُ،

ولم يكتفوا:

صَلَبُوهُ!

* سَاهِرٌ حَوْلَ صَمَتِ الجُثَّتِ،

فَإِلَى أَيْنَ يَمْضِي بِفُلُكِي هَذَا العَبَثُ؟

- ٢ -

أَيْنَمَا كُنْتَ، أَوْ كَيْفَمَا كُنْتَ، تَسْمَعُ
فِي جَرَسِ الْوَقْتِ صَوْتًا يَقُولُ:

ابْتَدِئْ،

عَنْ مَاءِ الْخَلِيقَةِ كَيْ يَتَلَفَّحَ
هَذَا الْوُجُودُ، وَكَيْ يُبْتَكِرَ،
كُنْ عَلَى الْأَرْضِ بَابِلَ، أَوْ كوكِبًا
يَتَنَزَّلُ فَوْقَ الْمَدَائِنِ،
فِي كُرَّةٍ مِنْ شَرَرٍ.

الذِّكْرَةُ

٢٨١هـ.

- «اخْفَرُوا لِلْعَدُوِّ
الَّذِي لَا يَرَى رَأِينَا
خُفْرَةً،
ثُمَّ ذَلُّوهُ فِيهَا عَلَى
رَأْسِهِ،
وَاطْرَحُوا بَعْدَ ذَلِكَ
الْتَرَابَ عَلَيْهِ،
وَدُوسُوا التَّرَابَ
إِلَى أَنْ يُوَدَّعَ أَنْفَاسُهُ»^(١).

* مَا لِأَيَّامِنَا لَا تَرَى
تَحْتَ هَذِي السَّمَاءِ،
أَيَّ نَهْرٍ لَتَجْرِي فِيهِ
غَيْرَ نَهْرِ الشَّقَاءِ.

الذاكرة

٢٨١هـ.

وزروا:

كان ينصب^(١)

أعداءه

كالدرية في

قصره،

ثم يرميهم بنشاب

إلى أن يموتوا.

- ن -

في دمي كائن آخر

ليس نفسي، ولكنني

لست إله، إلا خطاه وآثاره.

بيننا طيف وصل وفصل

وأنا عابر مقيم

لا مقيم ولا عابر.

* أتراني، حياة وموتاً، رفيق

ليأسي؟

أتراني باسم الوفاء لنفسي،

عدو لنفسي؟

(١) الإشارة هي هنا إلى
الخيعة المعتضد، كذلك.

هَـا هُمُ الشَّعْرَاءُ :

يَمُوتُونَ فِي التَّيِّهِ،

لَا قَابِرُونَ وَلَا أَضْرَحُهُ،

وَالْقَصَائِدُ مِنْ حَوْلِهِمْ

تَتَأَوُّهُ مَكْسُورَةُ الْأَجْنَحَةِ .

السَّوَادُ يَجْزُرُ الْمَدَائِنَ

يَجْتَرُّ أَنْقَاضَهَا،

مَازَجًا جِسْمَهَا بِعَقَاقِيرِهِ .

الذَّاكِرَةُ

٢٨٢هـ .

هَلْ أَحَدٌ يُضِيئُ

بِصَبَاحِهِ،

هَلْ أَحَدٌ يَقْرَأُ

هَذَا الزَّمَانُ؟

أَنْكَرْتُ الْأَغْصَانُ

أَشْجَارَهَا

أَنْكَرْتُ الْأَشْجَارُ

أَغْصَانَهَا،

وَاخْتَلَطَ الْقَدِيسُ

بِالْبَهْلَوَانِ .

* رُبَّمَا،

فِي الزَّمَانِ الَّذِي يُقْبَلُ

لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ سِوَى الشَّعْرِ :

يَسْأَلُ، أَوْ يُسَأَلُ .

الذّاكِرة

٢٨٣هـ.

هُوَذَا جَيْشٌ^(١) يَضْرِبُ

عُنُقِي عَمَيْنِ لَهُ.

هُوَذَا جَيْشٌ مَقْتُولٌ

بِيَدِي هَارُونَ

أَخِيهِ:

هَلْ فِي كُلِّ أَخٍ

شَيْءٌ مِنْ هَارُونَ،

وَشَيْءٌ مِنْ جَيْشٍ؟

- ع -

يَقْتُلُ الْمُلْكُ أَبْنَاءَهُ

غَاسِلًا وَجْهَهُ وَيَدِيَهُ

يُطْفِئُونَ لَهُمْ.

وَالْمُعَزُّونَ آتُونَ مَاضُونَ خُرُسٌ

لَا مَجِيبٌ وَلَا سَائِلٌ.

قُلْتُ: فَوْضَى؟ وَلَكِنْ

مَا نِظَامُكَ يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُ؟

* مِثْلُ ثَوْبٍ

أَجَرَ زَمَانِي عَلَى الْأَرْضِ، أَكْنَسُ دَرْبِي

بَأَذْيَالِهِ،

وَأَفْكَكَ أَزْرَارَهُ.

(١) هو ابن خمارويه،
وهارون أخوه.

«... وثب الجند على
جيش بن خمارويه، وقالوا
«لا نرضى بك أميراً علينا،
فتنح عنا حتى نولي عمك».
عدا جيش على عنقه،
فضرب عنقه. وعنق عم له
آخر

هجم الجند على جيش،
فقتلوه، وقتلوا أمه، وانتهبوا
داره، وانتهبوا مصر،
وأحرقوه، وأفعدوا هارون بن
خمارويه، مكان أخيه».

(الطبري، أحداث السنة
٢٨٣هـ).

الذاكرة

٢٨٣هـ.

. قُتِلَ السَّرْحُشِيُّ^(١)،

وكانت له

كتب في فنون من

الفكر والقول -

كان الخليفة يزوي:

«دعاني كي أكفرا،

ولهذا قضيت عليه».

- ف -

أنهَذَا الضِّيَاءُ الصَّدِيقُ،

مَنْ الْحَائِكُ الظَّلَامَ سِتَاراً عَلَيْنَا،

وَمَنْ أَسَدَلَهُ؟

رُبَّمَا، لَنْ يَكُونَ لِي الْحَقُّ،

فِي مَا يَجِيءُ مِنَ الْوَقْتِ،

أَنْ أَتَلَفَّظَ بِاسْمِي،

أَوْ أَحْمِلُهُ.

* أَوَّلُوا أَنَّهَا الرِّيحُ هَبَّتْ تُعَانِقُ مِعْرَاجَهَا،

ولماذا إذا عادت الرِّيحُ، يأساً من الأفقِ،

أذْرَاجَهَا؟

(١) هو علي بن أحمد بن الطيّب بن مروان السرخسي، صديق يعقوب بن إسحاق الكندي. قتله الخليفة المعتضد.

لا أَسَافِرُ إِلَّا

- ص -

بَيْنَ ظَنٍّ وَظَنٍّ . مَقِيمٌ

فِي الضَّفَافِ . الْأَقَاصِي

دَائِمًا فِي ضِيَاةٍ شِعْرِي ، وَشِعْرِي

دَائِمًا فِي ضِيَاةٍ

مَا يَتَسَرُّ مِنْ فَلَوَاتٍ .

رَأْسُ رَافِعٍ^(١) يَجْتَازُ

أُودِيَّةً وَجِبَالاً ،

وَيَحْفُ بِهُ مُوَكَّبٌ .

غَيْرَ أَنَّ لَهُ حَامِلًا

وَاحِدًا -

حَامِلُ الرُّؤُوسِ بِحُمُ

فِي وَجْهِهِ الْمُنْقِذُ

جَنَّةُ الْفَنَاءِ :

يَأْخُذُ جَانِزَةَ الْمُنْقِضِ .

تُتْرَى ، هَذِهِ الْغَيُومُ كَمَثَلِ نِسَاءٍ

يَجْتَنُّ إِلَى الْحَبِّ فِي شَهَقَةٍ

وَيَرْحَلْنَ فِي آهَةٍ أَوْ دُورٍ ؟

* مَرَضِي لَا يَطِيقُ الدَّوَاءَ

وَأَنَا لَا أَطِيقُ الشِّفَاءَ .

(١) رافع بن هرثمة .

صالح^(١) يقطع الطريق

إلى مكة:

أخذوا نسوة الحجيج

وأموالهم،

بعضهم مات من جوعه.

عَنَمَ أو بَقَرَ

هؤلاء الذين يُسَافِرُونَ

كالنمل،

فُرِىَ إلى الله،

أو يُذبحون، لماذا

أدخلوا في عداد البشر؟

- ق -

شَبَحَ يَتَّقَى خُطَايَ،

وَحَاوَلْتُ فِي اللَّحْظَاتِ الْمَضِيَّةِ

أَنْ أَقْتَلَهُ،

وَأُوَارِي فِي قَبْرِهِ سِرَّهُ.

ها أَنَا أَتَبَدَّلُ -

هل أَقْدِرُ الْآنَ أَنْ أَتَحَرَّرَ

مِنْ لَيْلِهِ، وَأَنْ أَبْدَلَهُ؟

* لا تزال أساطيرنا

مثلما كَتَبَتْهَا الطَّبِيعَةُ مَجْرُوحَةً،

وَأَنَا لَسْتُ إِلَّا دَمًا

يَتَقَطَّرُ مِنْهَا.

(١) هو صالح بن مدرك الطائي، وُسِّمَ ذلك اليوم «يوم الأَجْفَر».

«عربٌ يذبحون،

عربٌ يرجزون»:

«ما إن رأى

النَّاسُ كيوم الأُخْفَرِ

النَّاسُ صَرْغَى

والقبورُ تُخْفَرُ».

*

إنه الرأسُ بالرأس: هاتوا

حطباً، واطرحوه عليهم.

أحرقوهم، وغنُّوا لديار

العرب

لن يطهرَ أدرانها

ورجسَ شياطينها

غيرَ هذا اللَّهَبِ.

- ر -

عندما صِرتُ أعرفُ أتى وكيفَ

أشقُّ القضاء، أُوحدُ بيني وبينَ القضاء،

عُلِّقْتُ في مَساريي أبوابُهُ.

هَلْ أُنوحُ كَعَيري

وأقولُ: القضاءُ مَرِيرٌ؟

سَأُجاهِرُ: كَلَّا

لا صديقٌ لِمِثْلِي غيرُ القضاءِ

وَلَا نِدٌّ غيرُ القضاءِ.

* هلِ أتعلَّم سِحْرَ الأمرِ، لأعرفَ كيفَ

أعلِّمُ

سِحْرَ الفوضى؟

ظهر القرظي^(١)

الجنابي - أول

ما قيل عنه :

«رَجُلٌ مُفْتَرٍ،

لُغَةٌ تُفْتَرَى.

هوذا

يُثْهَبُ المَدَائِنُ

أو يهدمُ القرى».

*

الجنابي يظهر - أحلامه

لبن، نخلة، رغيف

تشرئب الصحارى إلى

ظله،

وتسير على هديه

هجر والقטיפ.

- ش -

شَجَرُ الزَيْتُونِ طَرِيقٌ آخَرُ - مَهْلًا:

رجلٌ يحملُ غُصْنًا.

هوذا يصعدُ أعلى جُدْع.

ورأيتُ إليه

يتلَقَّتْ حَوْلَ الجُدْعِ، يمدُّ يديه، يَضْحَكُ - ماذا؟

أَترَاهُ يحلُمُ أن يَبنِي بيتًا؟

أَترَاهُ يَرُغِبُ أن يَتَحَوَّلَ طيرًا أو سنجابًا؟

أَترَاهُ رَجُلٌ مَجْنُونٌ؟

* مُدُنٌ من عروش، مُدُنٌ لِلْحَطَبِ:

لا طريقٌ إليها إذا لم تكن

لغة في اللَّهَبِ.

(١) الإشارة إلى أبي سعيد الجنابي.

(١) هو العباس بن عمرو
الغنوي.

- ت -

ذابلُ وَجْهَ أَيَّامِنَا
ذابلَاتُ رِيَاحِيئِهَا
ذابلَاتُ خُطَاهَا.

وَأَرَى لَا أَرَى
غَيْرَ مَنْ يَنْسَجُونَ عَبَاءَتِهِمْ
يَتَّابِينَ مِنْ كُلِّ مَوْتٍ.

يَرْفَعُ الْوَقْتَ قُمْصَانَهُ فَوْقَهُمْ
كَالْبَارِقِ مَرْسُومَةً
يَتَجَاعِعِدُهُمْ.

الذّآكرة

٢٨٧هـ.

هَجَرَ فِي يَدِ الْقَرْمَطِيِّ.

جَاءَ حَتَّى يُحَارِبَهُ
الْغُنَوِيُّ^(١):

هَزَمَ الْقَرْمَطِيُّونَ
فِرْسَانَهُ،

أَسْرَوْا مِنْهُمْ أَلْفَ
شَخْصٍ، كَمَا أَخْبَرُوا،
غَيْرَ مَنْ قَتَلُوهُمْ.

أَخْرَجُوا -
تُرِكَ الْغُنَوِيُّ طَلِيقًا.

* لَمْ أَجِئْ كِي أُطْرِدَ الْحِيرَةَ،
أَوْ أَسْأَلُ: هَلْ لِلْمَوْتِ عُنُقٌ؟
أَوْ لِمَاذَا تَقْطُرُ الْأَرْضُ دَمًا؟

خَزَ رَأْسُ وَصِيفٍ^(١).

سألوه،

قبل أن يقتلوه:

- «ما الذي تشتهي؟»

- «كتب عن ملوك مضا،

ورياحين أشنمها».

- ث -

لا أعرفُ كيف أَلُمُّ جِراحِي،

وَأَسْلَمُهَا لِنِظَامِ هَوَايَ. كَثِيرًا،

قُلْتُ لِحِجْسِي:

تلك جِرَاحٌ أَصْغُرُ مِمَّا ظَنَنْتُ،

فلماذا تَزْهَو؟

لكنَّ جِراحِي جَمَعَتْ

وَأَجْتَاَزَتْ كُلَّ سِيَاجٍ.

أَتُرَاهَا تَتَأَرَّ مَنِي؟

* أَلْخَرَابُ نَجِيَّ الْخَرَابِ

تَحْتَ تِلْكَ الْبُذُورِ الْجُذُورِ الْقَشُورِ الْخَلِيطِ

الْمَوْصَّلِ فِي طَبَقَاتِ التَّرَابِ:

أَتُرَاهَا الطَّيْبَةُ شَيْطَانَةٌ؟

(١) وصيف الخادم الذي
اشتهر بذكائه، وبالهيمنة على
الخلافة في وقته.

- خ -

مَا هَٰذَا الْأَرْضُ! كِتَابٌ

فِي فِقْهِ الْحِنَاءِ .

فِي أَصْلِ الدِّيكِ

وَفَصْلِ الْبَيْضَةِ . أَرْضُ

بُوقٌ لِلتَّهْلِيلِ وَلِلتَّمْجِيدِ ، وَقَيْدٌ

فِي الْخُطُوبِ

وَفِي الْكَلِمَاتِ

وَفِي الْأَشْيَاءِ .

«ذاك أمري :

إِقْلَعُوا وَاحِدًا وَاحِدًا ، كُلُّ

أَضْرَابِهِ ، عُلِّقُوا عَلَى

صَخْرَةٍ ،

اقطعوا ساعديه

ورجليه ، ثم اضرَبُوا

عُنُقَهُ ،

واصلبوه

في المكان الذي ضَمَّ

أصْحَبُهُ ، قَبْلَهُ» .

* عَالَمٌ يَرْكُضُ فِي أَنْشُوطَةٍ

خَاطَهَا طَائِفُ جَنْ

يُؤْخَذُ التَّرْيَاقُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ .

(١) المعتضد، والإشارة هنا
إلى ابن أبي فوارس، أحد
الفرامطة الكبار.

- ذ -

أَلْمَكَانُ، وَإِنْ كَانَ حُبًّا
طَرِيقٌ إِلَى لَامَكَانٍ.

الذاكرة

٢٨٩ هـ.

«عِشْتُ - لَمْ أَفْهَمْ
الماءَ، والثَّارُ تجهل
ما كُنْتُ. ما سأكونُ:
تُراني
ألمح الموتُ يجلسُ
قُدامَ بيتي،
أَمْ أَنَا واهِمٌ؟
مَرَّةً، كَادَ ظَنِّي
أَنْ يَكُونَ بَقِيَّةً».
كَلِمَاتُ
قَالَهَا قَرْمَطِي
فِي الطَّرِيقِ إِلَى
زُبَيْدٍ...

* مِتْعَةُ الْعِيشِ تُضْفِي
عَلَى الْمَوْتِ
أَعَمَّقَ أَسْرَارِهِ.

يَتَحَلَّقُ حَوْلَ الْعَمُودِ

الَّذِي صَلَبُوهُ^(١) عَلَيْهِ،

أُنَاسٌ

وَيُدِيرُونَ مَا بَيْنَهُمْ

نِقَاشًا:

- هُوَذَا جِسْمُهُ

يَتَدَلَّى.

- جِسْمُهُ؟

- رُبَّمَا.

- ض -

نَقَلَ . نَارُ شَوْكِ ، طَيَّورُ

وَالْغَيُومُ عَلَى عَهْدِهَا :

بُسْطٌ تَتَمَرَّقُ . أَرْضُ

أَتَهَجَّى أَسَارِيرَهَا

شَجَرًا يَتَنَبَّأُ : هَذِي خُطَاهُمْ ، وَهَآ هُمْ

يَهْجُمُونَ ، وَمِنْ كُلِّ صَوْبٍ

يَمْدُونُ أَشْرَاكَهُمْ ،

وَالْمَكَانُ دَمٌّ نَافِرٌ .

قُلْ لِي الْآنَ ، مَاذَا سَتَفْعَلُ ، مِنْ أَيْنَ تَأْتِي ،

إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ ، يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ؟

* جَسَدٌ جَرَّخَ ، وَنَفْسٌ وَالِئْهَ ،

مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ الشَّاعِرُ مَا بَيْنَهُمَا ،

غَيْرَ أَنْ يَلْعُوَ كَمَثَلِ الْإِلَهِةِ؟

(١) الإشارة هي دائماً إلى ابن أبي فوارس .

- ظ -

طَيْفٌ يَهْمُسُ : تلك ثيابي
رُقِعَ مِنْ جِلْبَابِ الْمَعْنَى ،
وأنا بين يديه
كُبَّهُ عَزَل .
قُلْ لي ، يا هذا الطَّيْفُ ، أَبَيَّنَ الْغَيْبِ
وبينك سرٌّ؟
أَقُولُ لِجِسْمِي أَنْ يَرْقَى
في دَرَجَاتِ الظَّنِّ إِلَيْهِ؟

الذاكرة

٢٨٩هـ .

- أكيّد .

- ذاك ما يترأى

- ولكن

قلوا آخراً

سواء .

* أَلْسَبَاكَ الَّتِي نَسَجْتَهَا بُحِيرَاتُ حُلُمِي ،
أَلْقَيْتَهَا

في المحيط ، ولكن
لم أَكُنْ أَتَوَقَّعُ صَيْدًا .

الذاكرة

٢٨٩هـ.

- دُونَ ذَلِكَ،

إِنْ صَلَبُوهُ

هُوَ، فِي ذَاتِهِ،

تَتَكَاثَرُ عَنْهُ

الْأَقَاوِيلُ،

يُفْتَنُّ النَّاسُ

فِيهِ .

- غ -

حَلَبُ أَجْمَلِ الْمَدَائِنِ، وَالصَّخْرَةُ فِيهَا مَجْرَّةٌ،

وَالْبُيُوتَاتُ جَنَّاتُ،

وَالْأَرْضُ فِيهَا سَمَاءٌ.

غَيْرَ أَنِّي مَاضٍ، كَمَا وَسَّوَسْتَ نَفْسِي،

نَفْسِي أَمَّارَةٌ

وَالْمَجَاهِيلُ تُرَابٌ لِنُشُوتِي وَهَوَاءٌ.

* وَطَنُ الشَّعْرِ يَمْتَدُّ فِي سَقَرِ الشُّعْرَاءِ،

وَفِي عَدَنِ الْأَنْبِيَاءِ،

جَسَدِي طِفْلٌ هَذَا الزَّوْاجِ الشَّقِيّ،

وَشِعْرِي نُبُوَّةٌ هَذَا الْهَبَاءِ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



I. معراج

١ - تخيّل

أتخيّل بغداداً، لكنني أُحَيِّ
حلباً، وأُحَيِّ
كوفةَ الثَّائرين - اتركِ الحُبَّ يدخلُ إليك
دونَ أن يقرع الباب. كالحلمِ يأتي إلى مقلتيك،
دون أن يسألَ الليلَ. طيفُ
يترصد بين شقوقِ الثَّوافيذ:
من أين قلبك يمضي إلى سيره؟
أُتِراه يُحَيِّني، وهو يمضي إلى سيره،
شجرَ الورد في ساحة البيت؟ هل يتلفّت؟ أيقظتُ
في داخلي أصدقائي ليرَوْا مِنْ جديد
سيفَ سُلطاننا
كيف يَهوي عليك - وَها هُم حولَ قبرك. ماذا؟
هل تقومُ لِتلقاهُم، ونُصغي إليهم
ينشدون: سلاماً على عهدنا
وسلاماً عليك.

٢ - حَرْبَةٌ

إِنَّهُ صَوْتُهُ
غَائِبٌ ضَائِعٌ يَتَفَيَّأُ فِي بَلَدٍ آخِرٍ،
مِنْ جَحِيمِ الْعَذَابِ عَلَى أَرْضِهِ .
فَلَيْقَ لَا يَقْرَأُ . يَسِيرُ ، وَيَجْهَلُ
مَنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَى أَيْنَ يَمْضِي .

حَرْبَةٌ تَقْتَفِيهِ .

٣ - عباءة

قِيلَ: تُخْصِي جِرَاحَكَ
تَرْمِي أَزَاهِيرَهَا
فِي عَبَاءَةِ أَخْزَانِكَ السَّاهِرَةِ
وَعَدَا سَوْفَ تَتْرُكُ
عَيْنِيكَ لِلدَّمْعِ - يَهْمِي
كَيْ يُرَوِّيَ تِلْكَ الْجِرَاحَ: لِمَاذَا؟

هَلْ تُرِيدُ اتِّبَاعًا لَهَا -
صُورًا مِنْ نَبَاتٍ
صُورًا مِنْ حَيَاةٍ بِلا جَنَّةٍ أَوْ جَحِيمٍ،
أَمْ جُذُورًا - مَرَايَا لِأَيَّامِكَ الْعَابِرَةِ؟

٤ - ديدن

أَتَوْسَلُ الْوَزْدَ: اتَّخِذْنِي
ضَيْفًا كَمَثَلِكَ فَوْقَ هَذِي الْأَرْضِ، كَلَّا
لَنْ أَقُولَ لِحِجَّةٍ
كُونِي مُقَامِي، لَنْ أَلَوْحَ لِلْجَحِيمِ: تَحَوَّلِي
بَرْدًا،
دَحَوْتُ الْأَرْضَ شَكَاً.

هُوَذَا أَطُوفُ بِهَا، أَلُوذُ بِغَيْمِهَا
أَسْتَحْضِرُ الْبَرْقَ الْعَصِيَّ عَلَى الْحُضُورِ
وَأُخْطُ فَوْقَ تُرَابِهَا
وَجْهِي: سَأَعْرِفُ كَيْفَ أَبْنِي
وَطَنًا أَقِيمَ مَدَائِنِي فِيهِ، وَأُنْذِرُ نَارَهَا
لِطَقُوسٍ كُلِّ مُهَيِّمٍ.

هُوَذَا أَطُوفُ: أَبَتْ دِيدْنَهَا الْغَوِيَّ وَأَرْتَدِي
فِي كُلِّ هَاوِيَةٍ غَلَالَتُهُ
وَأَلْتَحِفُ الْعَصُورَ.

٥ - هباء

ذاك صباحي :

نَحَلَاتُ السَّاحَةَ مَالَتْ

وَتَكَادُ تَمُوتُ - الشَّمْسُ سَعِيرٌ

يَنْفِرُ مِنْهُ حَتَّى التَّيْلُ . أَتَأْتِي؟

هل تَأْتِينَ؟ تَرَكْتُ فِرَاشِي فِي وَحْدَتِي ،

وَأَنَا أَحْيَا

فِي ضَوْءٍ وَفَاءٍ يُوشِكُ أَنْ يَرْمِيَنِي

فِي ظِلْمَةٍ جُبٍّ .

نَمْضِي؟ يَا هَذَا الشَّوْقُ ، أَعْنَدَكَ ظِلٌّ؟

يَتَصَاعَدُ مِنْ جِهَةِ الصَّحَرَاءِ هَبَاءٌ .

٦ - مستقبل

عندما سُسِيخَ قلبي،
سَأَوْقُظُ فِيهِ رَمَاداً مِنْ بَقَايَا طُفُولَاتِهِ
وَأَحْلِمُ أَتْيَ صَاعِدٍ هَابِطٍ
فِي جَحِيمِ شَرَايِينِهِ .
وَتَجِيئُ إِلَيْهِ عَشِيقَاتُهُ
لَهَباً طَاغِياً
وَيَعْرِجُنَ مِنْ أَوَّلِ إِلَى عَرْشِهِ .
غَيْرَ أَنِّي عَرَفْتُ وَأَعَرَفُ قَلْبِي :
لَنْ يُسِيخَ إِلَّا
مَرَّةً وَاحِدَةً ،
عندما يَتَنَزَّلُ كَالْوَحْيِ فِي حُفْرَةِ الْمَوْتِ ،
فِي غَوْرٍ أَحْضَانِهَا الْبَارِدَةُ .

٧ - مشهد (تخيّل)

أَلْخَطُوطُ، الْقَنَاظِرُ بَسْتَانُ وَرْدٍ.
كَلَّ خَطٌّ وَسَادَةٌ حَلَمٍ
وَطَرِيقٌ إِلَى مَوْعِدٍ:
أَلْحُرُوفُ تَقَاسِيمِ حَبِّ وَالْأَصَابِعُ أَوْتَارُهَا.

وَإَكْبَرُوا هَذِهِ الْبَسَاتِينَ، شَمَّوْا شَذَاهَا
وَاسْتَضِيئُوا
بِالْمُقَرَّنَصِ فِيهَا
وَبِأَقْوَاسِهَا الْقَاهِرِيَّةِ.
لَكَ بَابٌ إِلَى السِّرِّ، فَانْهَضْ إِلَيْهِ
لَا قِيَّهَ وَاحْتَضَيْنُهُ
حَيْثُ لَا تَعْرِفُ الْكَلِمَاتُ سِوَى صَمْتِهَا.

إِمْنَضِ وَاهْبِطْ إِلَيْهِ - إِلَى كَبِدِ الْأَبْجَدِيَّةِ.

٨ - حيرة

أَنْتِ سَوِيَّتِ لِلَّيْلِ - لَيْلِي، نَابَا،
وَجَعَلْتِ النَّهَارَ دَمًا سَائِلًا.
هَلْ خُلِقْتِ عَلَى صُورَةِ الْمَوْتِ،
كَيْ تَشْرِيهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟

مَا الَّذِي أَفْعَلُ الْآنَ فِي رَغْبَتِي
أَنْ أُسْرَحَ إِبْلِيسَ مِنْ قَيْدِهِ
وَأُكْنَسَ هَذَا الْمَكَانَ وَتَارِيخَهُ كَقَشٍّ،
وَأُغْسَلَ مِمَّا تَبَقَّى يَدَيَّ؟

آه، نَوْمٌ غَرِيبٌ يُحَوِّمُ فِي مُفْلَتِي!

٩ - مسافات

من وراء التلال، أرى الفجر ينهض:
ما أقرب البعد، ما أوضحه!
أَلتَّلالُ تَرْتَنُّنُ بِالْأَفْقِ - يَصْعَدُنَ فِيهِ،
وظفولة حُزْنِي
لا تزال على رُكْبَةِ الْفَجْرِ تَغْفُو.

المسافات تنأى، ولكن
مِنْ وَرَاءِ التَّلَالِ أَرَى كَيْفَ تُولَدُ
فِي وَجْهِي الْأَجْنَحَةُ.

١٠ - خنفساء

أَسْأَلُ الْآتِي مِنْ بَغْدَادَ: هَلْ تَحْمِلُ فِي قَلْبِكَ ضَوْءًا؟

لَسْتُ تَمَثَالًا، وَلَا رَأْسَ هِلَالٍ
لَسْتُ إِلَّا رِيشَةً يَأْخُذُهَا الْجَبَرُ إِلَى مُخْدَعِهِ،
كُلُّ مَسَاءٍ .

أَسْأَلُ الْآتِي مِنْ بَغْدَادَ: هَلْ تَحْمِلُ مَوْتِي أَوْ حَيَاتِي؟

خَنَفْسَاءُ - ذَهَبُ الثُّوبِ الَّذِي تَلْبِسُهُ
بِاذْخِ الْمَنْظَرِ . مَرَّتْ
تَحْتَ عَيْنِي . سَاعَطَنِي
هَذِهِ اللَّيْلَةَ - مِنْ أَوَّلِهَا
جَسَدِي حَرًّا لَجَبْرِ الْكَلِمَاتِ .

II

فاصلة استباق

جاء العصر إلى المكان، -

مَرَقَ رؤوسٍ مسحوقَةٍ تَتَهَارَشُ حولها
الجيش والَّلغة تَتَمَشَّهْد
شِفاهاً في طور الجَمَادِ.

خيرُ لهذا الشَّاعر أن يُكثِرَ الثَّقُوبَ في
حَنجِرة اللَّغة إذن هل الأرضُ محتاجةٌ
إلى الدَّمِ لكي تفهَمَ الماء؟ إذن نشدّ
أسماعنا إلى محارات الإثم ندخلُ
في أخوية النار ونَسْلُ اللَّهَبِ
ويكون لنا اللَّعب طَيِّباً كالعملِ

والمجدُ لك أيُّها الوثني التحيلُ الجسدُ
المقبلُ في محيط احتمالاتٍ
في عصرٍ كمثُل فاصلةٍ بين الموت والموت.

- شاعِرٌ

ليس من هنا وليس من هناك

كأنه يعيش في رمية الترد.

- يُريد

أل هذا يرى شوكتاً أكثر إلفاً من اليد؟

أن

أل هذا يرى نوافذ أحد بصرًا من العين،

يتشبه

وطرفاً بعيدة

بالضوء.

- ليس

أكثر قريباً من عتبة بيته؟

للضوء

ماضي.

- لست، أيتها الشاعر

- ليس

من هنا ولست من هناك.

للضوء

يلزمك جنون آخر

غير

لكي تعرف من أنت.

المستقبل.

(١) الإشارة إلى الخليفة المعتضد.

سَأُصَدِّقُ أَنَّ الْمَطَرَ
يَتَقَمَّصُ أَحْزَانَ حَوَلَةَ، أَنَّ الشَّجَرَ
يَتَكَلَّمُ كُلَّ اللُّغَاتِ،
لِكَيْ يَتَأَوَّلَ أَشْجَانَهَا.

سَأُصَدِّقُ أَنَّ الرِّيحَ
التَّبَسَّنَ بِأَهَابِهَا
وَتَلَبَّسَنَ أُرْدَانَهَا.

* كَرَّرِ الْآنَ قَوْلِي يَا أَيُّهَا الْجَوَادُ،
وَكَرَّرَهُ يَا أَيُّهَا الْحُسَامُ:
آمَ مَا أَقْتُلَ الرَّحِيلَ،
وَأَقْتُلُ مِنْهُ الْمُقَامَ.

الذاكرة

٢٨٩ هـ.

قيل: إحدى

جواربه^(١)، أعففته
سَمًا.

بمسنديلها.

”

كان قد أنزل الملة

نصرًا على أهل

أولياء الخليفة -

جاؤوا

بالرؤوس إلى داره.

نُصبت فوق جسر بغداد،

كانوا يقولون:

من يتطفئ الرأس عند

الطلب

تتطامن أحواله

وتطوق أيامه بالذهب.

- ب -

صُورٌ لِلْخَرِيفِ، وَأَيْلُولٌ فِيهَا جِرَارٌ
لَا تَبُوحُ بِأَحْشَائِهَا، وَتَشْرِينُ سَهْمٌ
يَتَرَصَّدُ فِي غَايَةِ الْحَبِّ قَلْبًا.

صُورٌ - حَوْلَةٌ
تَمَرَّقُ فِي جَنْدَرِهَا.
هِيَ ذِي تَخْرُجُ الْآنَ سِرًّا
تَزُورُ الدَّرُوبَ الَّتِي أَلْفَتْنَا.

هَا هِيَ الْآنَ عَادَتْ:
لَا وَسَادَةٌ غَيْرُ الْبَكَاءِ.
آه، مَا أَضِيقُ الْفَضَاءَ.

الذِّكْرَةُ

٢٨٩هـ.

خَدَّثُوا عَنْهُ^(١)، كَانَتْ:

صُورَةٌ تُتْرَأَى لَهُ

تَتَعَدَّدُ: طَوْرًا

رَاهِبٌ. تَارَةً فَتَى،

وَمِرَارًا،

شَكْلُ شَخْصٍ لَهُ لِحْيَةٌ،

وَحِينًا

تُتْرَأَى، وَفِي يَدَيْهَا

السَّيْفُ،

تَضْرِبُ مَنْ

صَادَفَتْهُ.

* لَا تَقُلْ: أَتَذْكُرُ،

إِلَّا إِذَا كُنْتَ تَمْرُجُ
مَا تَتَذَكَّرُ فِي مَوْجِ مُسْتَقْبَلٍ.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

شَطَحُوا فِي الزَّوَايَةِ^(١)،

قالوا: ذاك إبليس،

قالوا: مؤمنون من

الجنْ جاؤوا لكي

يردعوه عن المُنْكَرَاتِ

وسفك الدماء،

وقالوا: خدم

يعشقون الجوّاري،

يجيئون في جبل،

في عَاقِرٍ تُخْفِيهِمْ،

وتموه أشكالهم.

- ج -

سَأْأُولُ: اتَّبِعْ وَاسْتَصِفْنِي يَا أَيُّهَا الشَّتَاتُ،

أَعْطِنِي لِفِرَاغِكَ، خُذْنِي

إِلَى حَيْثُ تَهْوَى

فِي هَبُوبِ رِيَّاحِ دِمَشْقِيَّةٍ،

أَوْ عَلَى غَيْمَةٍ

تَتَبَخَّرُ مِنْ صَدْرِ دِجْلَةٍ،

أَوْ مِنْ زَفِيرِ الْفَرَاثِ.

خَوْلَةُ الْآنَ رُؤْيَا تُسَافِرُ فِي مُقَلَّتِي،

خَوْلَةُ الْآنَ تَهْوِي عَلَى سَاعِدِي.

* لِعُلُويِّ عَمَقٍ لَا يُفَارِقُ أَغْوَارَهُ:

هَذِهِ جَمْرَتِي

تَضْطَفِينِي إِلَيْهَا

وَأَنَا سَاهِرٌ عَلَيْهَا.

(١) تأويلاً للصورة التي كانت
تتراءى للمعتضد.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

بعد أن قدموا

رأس بدر له^(١)،

قال في شهقة:

«أقدر الآن

أن أذوق طعم

الحياة، ولذة هذي

الخلافة - هيا

إقطعوا رأس بدر

نظفوه

ضعوه هنا،

في الخزانة، قربي».

أَتَخَيَّلُ نَفْسِي كَأَنِّي فِي غِيَابَةِ جُبِّ .

تَارَةً أَتَوَهُمُ أَنِّي أَقَاتِلُ :

جَيْشِي نَحْوُ وَصَرَفُ

وَقَتْلَايَ لَفْظُ .

تَارَةً أَتَوَهُمُ أَنِّي

سَقَرُ دَائِمٍ ، وَمَطَايَايَ تِيَّةُ :

مَا أَسَافِرُ فِيهِ

يُقَيِّدُ شَمْسِي وَيُطْلِقُ لَيْلِي .

مَا أَرَاهُ

يُلَطِّخُ عَيْنِي

بِعَمَاقَاتِهِ .

* مَنْ سَأَكُونُ إِذَا عَرَفْتُ بِنَفْسِي؟

وَأَنَا لُغَةً تَرْفُرُ نَاراً -

نَاراً تَكْتُبُنِي ، فِيمَا تَأْكُلُنِي .

(١) الإشارة هنا إلى الخليفة المكتفي .

وبدر هو غلام أبيه الخليفة المعتضد .

- ه -

هِيَ ذِي دِمَشْقُ - أَرَى وَرَاءَ قِبَابِهَا

شَرّاً لِحِمْرِتِهَا الدَّفِينَةِ .

يُرِيقَالُ لِي: خَافَ الْأَمِيرُ^(١)، وَجُنَّ مِنْ

قَلْبِي، وَيَطْلُبُ أَنْ أُسِيرَ إِلَيْهِ .

أَمْدَحُهُ؟

مُعَاذَ هَوَايَ،

وَاسْتَعِيرُوا عَلَيَّ، كَمَا يَشَاءُ

الْمَلِكُ،

يَا شُرَطَ الْمَدِينَةِ .

المذكورة

٢٨٩ هـ .

أمر المكتفي

بإلغاء ما كان

والدة يتفنن فيه،

من أساليب

أو أدوب

ليفسخ إعداده.

* آه بغداد! رأس عيي،

لَعْنَةُ مَوَمَاءَ

مَنْ يُزِينُ هَذَا الْفِرَاعَ لِبَغْدَادٍ؟ مَنْ أَنْشَأَهُ؟

(١) أمير دمشق آنذاك، وقد رفض المنبي أن يمدحه.

تُراني هُنا الآنَ عَبري؟ وماذا سمعتُ

وأسمعُ؟ هَذي العَريشُ^(٢)، دَمٌ

التَّخل سَقاؤها،

واللَّيالي جِراؤُ.

في العَريشِ، الحَداثُ تُحَلِمُ: قُمَسانُها

مُلِئتْ أَنجَمًا.

(١) طُغج بن جُف، هو القائد الذي انتدبه هارون بن خمارويه، لمحاربة «صاحب الناقة» وكان اسمه يخى بن زكرويه القرمطي.

(٢) العريش، المدينة المصرية المعروفة، وكانت في ذلك الوقت مشهورة بحدائقها.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

«صاحب الناقة»،

القرمطي، يُعيرُ

على الثَّام. حَزْبُ

بين طُغج^(١) وأَنصارِهِ.

عند بابِ دِمَشقِ،

يتدحرجُ يَحى قَتيلًا.

المدينة في بَهجة،

وأخوه الحَسينُ

يَصيرُ وريثًا لَهُ.

✽ أَيُّها الشَّعرُ خُذني،

مِثلما تُؤَخِّدُ الشَّهواتُ،

وَكُن لي لَيلاً.

أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ الصَّلَوَاتُ

كما شاءها

لا لسيفٍ ولا سيّدٍ،

حرّةً كالْمَطَرِ.

أَذِنَ الشَّعْرُ أَنْ يَسْكُنَ الْحُبُّ حَرّاً

في قلوبِ البَشَرِ.

هكذا تُعلنُ البروقُ التي أَضْمَرَتْها الحياةُ،

وتهدرُ في مُهجتي

لكي أُعلِنَته.

قيل: يخفى

كان يلبس ثوباً

واسعاً، يتلثم،

يعتم. قالوا:

كان أعداؤه

يُهْزِمُونُ

إن أشار إلى

حيث يأتون،

أو يكمنون.

✽ عاشقُ ذلك الرّبِّ في مِصرَ،

يحيا أليفاً،

ويؤثّرُ أَنْ يَتَغَرَّبَ فِي وَجْهِ طَيْرٍ.

لا جنون، ولكنتي

سأقتل صُحبي.

وسأقتل حُجاب

عرشي،

وكُتّابهُ،

وسأقتل كل نساّي.

- ح -

وَجْهَهَا مُوجَّهٌ، ويداهَا شِراعٌ -

أَهْيَ الرَّمْلَةُ^(١)؟ المَدِينَةُ قَيْثارَةٌ

وَالْمَآذِنُ أَوْتَارُهَا.

وَالْأَمِيرُ الْحَسَنُ

صَمَّهَا، يَتَمَاهَى بِهَا

وَيَقْطُرُ فِيهَا رَحِيقَ الزَّمَنِ.

* سَاجِسُ الرِّيحِ، سَأَعْوِي قَلَقِي

أَنْ يَتَحَوَّلَ رِيحاً أُخْرَى

تَكْسُو طُرُقِي.

(١) كان كافور يقول
لأصحابه: «أترؤنه يبلغ
الرَّمْلَةَ، ولا يأتيها؟» وقد
كتب إلى أميرها آنذاك
الحسن بن طُغج، بطلب منه
أن يرسل إليه المتنبي

لا جنون، ولكنتي

سوف أقتل حتى

بناتي، وأقتل

أبي - كلاً

لا جنون، ولكن

إخوتي - سوف أرميهم

واحداً واحداً

في جحيم الهلاك

لا جنون - أنا

الملك المستنجد،

ولي هيئة الملائكة^(١).

- ط -

هل أقول لها من تكون؟ الجراح

المُعَذَّة في ارتباك،

ونطقي لا يسعف الآن. نفسي

تجيء وتذهب شوقاً لمرآتها،

ولأطرافها.

هاتها، أيتها البحر من فضل ذاتك،

من مُهَجَّة الغيب،

من شمسبه، هاتها.

* بعضهم

ينظرون إليّ كأنني

كاهن في جحيم

يشعل الماء في خلقه.

(١) الكلام بلسان إبراهيم بن

الأغلب، من أمراء الأغلبية

في أفريقيا، مات سنة

٢٨٩هـ. قيل إنه أصيب

بالماليخوليا، فقتل كثيراً من

أصحابه وكتابه وحجابه

وسائه.

وقتل اثنين من أبنائه،

وثمانية إخوة له، وسائر بناته.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

- ي -

رَمْلُ ظَنٍّ، وقامتني الآن تَسْبَحُ فيه.

رَفَحُ (١) -

وَحْدَةُ الماء والنَّارِ في جَرَّةٍ،

وَحْدَةُ اللَّيْلِ يَقْظَانِ،

وَالشَّمْسِ، مَقْرُونَةٌ بِشِرَانِهَا.

آه، يَا عَطْشًا فِي دَمِي!

وَرَدَّةٌ فِي الطَّرِيقِ

تُمَزَّقُ أَرْدَانَهَا.

الحسين (٢) تكاثر

أنصاره:

تَمَلَّكَ جَمْعًا،

وَدَمَشَقُ تَصَالُحَةٍ،

وَتُوْدِي الْخَرَجِ إِلَيْهِ.

*

- إبي!

- أمي! أَخْبِرِي،

وقولي: ما ديتك

الآن؟

- لماذا السُّؤال؟ أنت

عارف.

- أريد أن أقول: ما

عرفته من قَبْلُ، كان

باطلاً.

- والآن؟

- قَرْمُطِي.

الفكر في انعتاق،

والذين دينُ حَقٍّ.

(١) المدينة المصرية

المعروفة، وقد مرَّ فيها
المتنبي.

(٢) الحسين بن زكرويه الذي

حلَّ محلَّ أخيه يحيى، وقد
سبقت الإشارة إلى ذلك.

* أَتْرَانِي أَحْيَا كَمَنْ يَعْمُرُ الْأَرْضَ

بِاسْمِ السَّمَاءِ؟

يَخْزُنُ الْمَاءَ فِي مُنْخَلٍ

وَيَخِيطُ الْهَوَاءَ.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

زعموا أنه^(٢)

قَتَلَ النَّاسَ - أَطْفَالَهُمْ

وَالنِّسَاءَ

فِي حِمَاةٍ،

فِي الْمَعْرَةِ، فِي بَغْلَبُكْ،

وَفِي التَّسْلِمِيَّةِ: لَمْ يَبْقَ

شَخْصاً حَوْلَهَا فِي الْفَرَى،

كَانَ يَقْتُلُ يَحْرِقُ يَسْبِي

عَابِتاً يَثْلُمَا يَشَاءُ.

- ك -

فَرَمَا^(١) - مَنْ رَمَى

فِي يَدَيَّ ثِمَارَ الْمُحَالِ لِيَنْضَجَ؟ هَذَا

كَفَرَنْ يَتَطَاوُلُ فِي قَدَمَيَّ، وَهَذَا -

مَا الَّذِي قَلْتُهُ؟

فَرَمَا - جِسْرُ حُبِّي وَرَائِي،

أَتُرَانِي مِنْ أَوَّلٍ،

سَأَمُرَّ عَلَى جِسْرِ حُبِّي، إِلَّا كَمَا

عِنْدَمَا

مِثْلَمَا... .

(١) من الفرى المصرية التي
رآها المتنبي في طريقه إلى
انفاخرة.

(٢) الإشارة إلى الحسين بن
زكرويه. وقيل إنه أظهر شامة
في وجهه، زاعماً أنها آيته،
ومن هنا سُمِّي «صاحب
الشامة».

* قَمَرٌ

يَفْتَحُ كُلَّ مَسَاءٍ جُرْحاً

فِي جِسْمِ امْرَأَةٍ.

- ل -

تلك بلبيس^(١) لاحت.

جسدي متعب، ولبيس فيها

ما يذكر. لكن

كيف لي أن أعود؟ أعود إلى

أين؟ كلاً

سوف أسكن في ذلك القيد -

ذاك الذي كنت سميت الرجاء

وأقول لشعري:

أنت الرحيل،

وأنت البقاء.

- وضعت طفلها.

- من تراها؟

- امرأة هاشمية.

صرخت:

- «أخذوني

بعد أن ذبحوا والدي

وأهلي جميعاً،

وأقمت لديه^(٢)، فترة، ثم

قال:

ادهبي إليهم، مُشيراً إلى
صخبه^(٣).

امكني عندهم، وكوني

لهم.

من تراها أبو الطفل؟

من أين أدري؟

* الموج يشيخ، ولكن

قال العشق، وقال العاشق: يبقى

في رجم البحر جنيماً.

(١) القرية المصرية

المعروفة

(٢) الإشارة إلى القائد

الفرمطي، الحسن بن

ركويه. وكان قد خطب له

على المنابر في حمص،

وسمى نفسه «المهدي، أمير

المؤمنين»، ورووا أنه بدأ في

السلمية، القرية القريبة إلى

حمص، بقتل بني هاشم،

ففضى على الضبيان واليهانم،

«وخرج منها، وليس بها عين

تطرف».

(٣) أربعة من قواده.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

سُلِّ لسانه^(٢)،

قطعوه. دُلِّي بين الغينين،
وقالوا:

فَلْيَرْبُطْ فوق حمارٍ.

ربطوه، طأفوا في الأسواق،
رأه الناس:

مُؤَذَّنًا؟

مات، ولكن

إِمعاناً في تأديبٍ

الموتى،

صلبوه مَيْتًا.

- م -

تِلْكَ فُسْطَاطُ^(١) تاريخنا.

مسجدٌ - بَشَّرَ حَوْلَهُ

يَمْزِجُونَ خُطَاهُمْ بِأَكْفَانِهِمْ.

وَالنَّوَافِدُ - أَتَى نَظَرْتُ،

سَراويلٌ منشورةٌ.

وَتَحَيَّلْتُ نُورَ قَرِيشٍ،

وَتَحَيَّلْتُ قُوَادَهَا وَأَجْنَادَهَا.

لَنْ أَحَاكِيَ مَوْتِي.

* أَتَرَاهُ النَّشِيدُ النَّبِيَّ

قَادِرٌ وَحْدَهُ

أَنْ يَغَيِّرَ هَذَا الْوُجُودَ الشَّقِيَّ؟

(١) وصل المتنبي إلى
الْفُسْطَاط (القاهرة) في
السنة ٣٤٦هـ. (آب، ٩٥٧
ميلادية).

(٢) الإشارة إلى شخص
يُدعى عروس المؤذن. قتله
موسى بن أحمد، صاحب
القيروان، آنذاك.

حُمِلَ القرمطي^(١)

لبغداد، حيناً

على ظهر فيل.

- ن -

في الأزقة، بين الحوانيت، في الطُّرقات،

أمام الجوامع، أضغي -

أَتَوْهُمُ رَأْسِي

طائراً بابلتاً

يجرّ جناحيه في غابةٍ من حَجَرٍ

وَيَخُطُّ أُسَاطِيرَهُ

بغبار البَشَرِ.

خَلَفَ هَذي الصَّوامِعِ، مِلءَ الفِضاءِ، صِراخُ

المدائنُ مأسورةٌ -

جرحها نازِفٌ، قناديلُها مُطفأةٌ

والطفولةُ أنشودةٌ مُرجّاةٌ.

* لُغَةٌ - جَسَدٌ حيٌّ، -

أَلأَرْضُ تنامُ على كتفيها،

والغيبُ كتابٌ بين يديها.

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة»، الحسين بن زكرويه، وقد تغلب عليه وأسره بدر الحمّامي، قائد ابن طولون.

الذاكرة

٢٨٩ هـ.

مِثْنًا سَوَاطِ

لِلشَّامَةِ.

فَطَعْتُ رِجْلَهُ^(١)،

يَدَاهُ،

كُوُوُهُ،

فُطِيعَ الرَّأْسِ،

وَكَثِيرَ كُلِّ النَّاسِ،

سُرُورًا.

*

لا يعرف الكلام أن

يقول كيف مات

كأنما تمرّيفه

صلاة!

- س -

أَتَمَشُّى مَعَ التِّلِى، أَخَذُ حِيناً يَدِيهِ،

نَتَحَدَّثُ، أَفْتَحُ صَدْرِي لِأَشْجَانِهِ.

فَوْقَنَا سَاعِدَانِ، أَصَابِعُ

تَضْفَرُ شَعَرَ الْفَضَاءِ

الَّذِي يَتَمَدَّدُ حُبًّا

عَلَى صَدْرِ خُوفٍ.

هَرَمُ الْغَيْبِ يَجْثُو عَلَى

حُفْنَةٍ مِنْ غُبَارٍ.

وَأَرَى لَا أَرَى

أَثْرًا لِنَبِيِّ.

* أَصْغَيْتُ إِلَى دِفْلَى صَلَّتْ:

كَانَ التِّلِىُ إِمَامًا،

وَالشَّمْسُ أَذَانًا.

(١) الإشارة إلى «صاحب الشامة». كان يقول عنها: «هذه آيتي!».

أَسْرُوا كُلَّ مَنْ

قَبِلَ عَنْهُ

إِنَّهُ فَرَمَطِيٌّ.

فَدَمُوا الْكُبْرَاءَ^(١)

لَكِي يَقْتُلُوهُمْ:

فَطَعُوا كُلَّ أَطْرَافِهِمْ،

وَأَعْنَاقَهُمْ ضَرْبُهَا.

- ع -

صَمْتُ حَوْلِ ضِفافِ النَّيْلِ - الْبَرْدِيُّ يُهَيِّئُ

حَقْلًا.

إِيزِيسَ سَتَحَضِرُ وَالْأَهْرَامُ،

وَقِيلَ: النَّيْلُ سَيُلْقِي شِعْرًا.

نَجْمٌ يَنْزِلُ عَنْ كُرْسِيِّ اللَّيْلِ -

يُعَانِقُ خُوفًا.

* أَلْتَجُومُ؟ سَتُصْبِحُ عَمَّا قَرِيبٍ،

مُدْنًا وَأَسِيرَةً حُبًّا.

(١) يُقَالُ إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا
أَرْبَعَةً وَثَلَاثِينَ شَخْصًا.

الذاكرة

٢٨٩هـ.

شَحَاذُ

يُطَحُّهُ عَلَى وَجْهِهِ^(١).

وَابْدَأُوا أَوَّلًا بِيَمَنِ

يَدَيْهِ - اقْطَعُوهَا،

واقطعوا بعدها

رِجْلَهُ،

ثُمَّ يُسَرَى يَدَيْهِ وَيُسَرَى

قَدَمَيْهِ -

اضْرِبُوا عُقْقَهُ، وَإِلَى أَسْفَلِ

نَكْسُوهُ.

- ف -

(١) الإشارة إلى أحد القرامطة الأسرى.

يَأْتِي فَجْراً فِي زِيِّ امْرَأَةٍ،

وَيَعُودُ مَسَاءً فِي زِيِّ عَشِيقٍ،

فَقَصَّ عَلَيْنَا:

عَرَضَ الشَّيْطَانُ عَلَيَّ كِتَاباً

أَمْسِ، وَرَاءَ الْجَامِعِ، كَيْ أَقْرَأَهُ

فِي شَهْرِ الصَّوْمِ.

قَالَ رَأَى فَوْقَ سَرِيرِ امْرَأَةٍ

لَا وَقْتَ لَدَيْهَا

إِلَّا لِلنُّوْمِ.

* هَذِهِ لَحْظَةُ الظَّنِّ وَالتَّوْرِيَةِ

أَتَرَاهَا

لَحْظَةُ الرُّوحِ مَهْجُورَةٍ؟

قُلْ لِقَيْثَارِ هَذَا الزَّمَانِ: ابْدَأِ الْأُغْنِيَةَ.

- ص -

دَارٌ - «دَارُ الْفِيلِ»،

تتذكر، حين تراها، عام الفيل

وتذكرُ بالعدوى سجيل.

أمشي حول الدارِ، وأسمعُ حولي

أصواتاً

لكن،

لا ألمحُ أفواهاً تخرجُ منها.

هل أصواتُ النَّاسِ هنا

تتصاعدُ من أحشاء النِّيلِ؟

* أَلَزِمَانُ دَمٍ سَائِلٌ وَالْمَدِينَةُ مُسْتَنْقَعٌ،

فلماذا نُنكسُ هاماتنا

للخلافَةِ، أو نَخضعُ؟

الذاكرة

٢٩٢هـ - ٢٩٣هـ.

كانوا بضعة أشخاص،

قُتلوا في بغداد،

وكانت تلك

نهايةَ عهدٍ^(١).

*

مات القاسم^(٢) ابنُ عبيد

الله، السِّفاح. ابتهج

النَّاسُ. يقول الشاعرُ فيه:

«شربنا عشيّة مات الوزيرُ،

ونشرب، يا قوم، في

ثاليته

فَلَا قَدَسَ اللَّهُ تِلْكَ الْعِظَامُ،

وَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي وَارِثِهِ».

(١) الإشارة إلى آل طولون،

ولاة مصر، وكانوا بضعة عشر

رجلاً، نُقلوا مقيدين إلى

بغداد، حيث قُتلوا جميعاً.

(٢) هو وزير الخليفة

المكتفي. كان سفاكاً للدماء،

وهو الذي قتل بالسّم الشاعر

ابن الرّومي.

ولم أعثر على اسم

الشاعر، قاتل هذين البيتين.

- ق -

أَلْخِيَالُ وَبُرْهَانُهُ

المَقَابِرُ، ظِلُّ النَّحِيلِ، النَّحِيلُ،

الْيَمَامُ، الْحَدِيثُ مَعَ النَّيْلِ،

إِيزِيسُ،

لَيْلُ التَّوْغُلِ فِي كَوْكَبِ الْقَصِيدَةِ.

أَثَرِي هَذِهِ كُلُّهَا

لَعَنَ فِي الرُّجُوعِ الْقَرِيبِ إِلَى حَوْلَةِ الْبَعِيدَةِ؟

الذَّاكِرَةُ

٢٩٤هـ.

بَعْدَ مَقْتَلِ ابْنَيْهِ^(١)، يُشْعَلُ
خَزْبًا.

فَتَلُوهُ، وَشَقُّوْا،

كَمَا قَبْلَ،

أَحْشَاءُهُ.

* إِنَّ أَخَذْتُ الزَّمْنَ

وَهَجَرْتُ نَفْسِي مِنْهُ،

أَتُرَانِي إِذَاكَ أَعْرَفُ أَنِّي، وَكَيْفَ،

وَمَاذَا يَكُونُ الْوَطَنُ؟

(١) الإشارة إلى ذكرويه،

وإلى ابنه يحيى والحسين.

ويقال إنه قُتل من

الحُجَّاجِ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى

مَكَّةَ، عَشْرِينَ أَلْفًا.

الذاكرة

٢٩٥هـ.

قُبِضَ الْمُكْتَفَى:

قَاذَةُ وَقُضَاءُ

يُجْمَعُونَ عَلَى خَلْعِ وَاثِهِ

المقتدر^(١)،

وعلى أن يكون الخليفة

شخصاً جديراً.

سألوهُ^(٢)،

استجاب، ولكن

بشرط: لا دم

لا قتال.

- ر -

ألفضاء الذي يلبس النيل آخر

أفتقيه،

أنهجي تقاسيمه.

كانت الشمس تملئ عليه شعاعاتها

عندما كان وجهي يسطخ في وجهه.

كل ليل،

يقود النجوم إلى داره:

هكذا وشوشتي برديّة.

* أتذكر أنني التقيت على النيل،

موتي مراراً:

دائماً،

كان يبدو بهيئة طفل.

(١) كان عمره ثلاث عشرة سنة.

وقد زوي أن القاضي المثنى أحمد بن يعقوب، قال في هذا الصدد: «لن أباع صبيّاً».

(٢) هو ابن المعتز، الشاعر.

- ش -

أَلْخُلُودُ حَبِيبٌ إِلَى النَّاسِ، لَكِنْ
أَتَسَاءَلُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْمَرِيرَةِ،
فِي ذَاتِ نَفْسِي، لِمَاذَا
لَا أُحِبُّ سِوَى الزَّمَنِ الْعَابِرِ؟
وَلِمَاذَا
لَا أَنْصُبُ ضَوْءاً يَسْوَدُ عَلَى الْأَرْضِ، إِلَّا
قَلَقَ الشَّاعِرِ؟

الذّاكِرة

٢٩٥هـ .

بایعوه،

وَأَعْطَوْهُ اسْمًا

جَدِيدًا^(١) .

لَمْ يَدُمْ أَمْرُهُ،

خَلَعُوهُ،

قَتَلُوا كُلَّ مَنْ

بَايَعُوهُ،

وَأَعَادُوا إِلَى

عَرْشِهِ، الْمُقْتَدِرُ .

* كَيْفَ تَاهَتْ غَزَالَةُ عَيْنِيهِ عَنْ دَرْبِهَا؟
هُوَذَا حَاضِنُ نَخْلَةٍ
تَتَمَايَلُ سَكْرَانَةً
وَتُحَدِّثُ عَنْ حَبِّهَا .

- ت -

رُبَمَا النَّيْلُ جُرْحٌ

مِنْ هَيَامٍ وَتِيهِ

خَفَرْتُهُ عَلَى جَسَدِ الْأَرْضِ،

رَيْشُهُ خَلَّاقِهَا،

رَبَمَا النَّيْلُ وَعْدٌ لِمِثْلِي -

لِمَلَايِكَ يَأْتُونَ لَيْلاً إِلَيْهِ،

يَسْهَرُونَ، يَجُوسُونَ أَحْشَاءَهُ

وَيَنَامُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

الذَّكْرَةُ

٢٩٥هـ.

يسأل الناس: مَنْ

منهما بُيَاعُ،

أو يسألون: لِمَنْ

ننتصِر؟

حَبْسُهُ^(١)،

أَخْرَجُوهُ مِنَ الْخَيْسِ،

مَيَّنَا.

* مَا أَقُولُ وَمَا لَا أَقُولُ

وَحُشَّةٌ فِي طَرِيقِي إِلَى عَتَبَاتِ الْأُصُولِ،

وَمَا يَتَخَطَّى الْأُصُولُ.

الذّاكِرة

٢٩٥هـ.

عندما بايعوه^(١)،

سألوا الطّبريّ^(٢) عن

الأمر، ما رأيه؟

قال:

- كلا، لن يتمّ له

الأمر؟

- كيف؟ لماذا؟

- أنيتم،

برجاء كبار

كلّهم يتقدّم في زمن

يُذبر

كلّهم خاسر

وهو أوّل من يخسر.

- ث -

تَهْتُ فِي التَّيْلِ - فِي ضَوْئِهِ وَفِي ظِلِّهِ .

تَهْتُ، أَبْحَرْتُ فِي سَفْنِ جَارِيَاتِ

بأسرارِهِ

فِي سَرِيرِ أَسَاطِيرِهِ .

كَانَ نَخْلِي يُعْتِي

هَذِهِ السَّفْنُ الْجَارِيَاتِ، وَكَانَ عَرَارِي

شَاعِراً آخِراً يَتَبَطَّنُ الْآءَهَا

وَيُعْتِي مَجَازِفَهَا،

وَحِيَازِمَهَا،

وَيُعْتِي الصَّوَارِي .

* قُلْ لَشَعْرِكَ - هَذَا الصَّدِيقِ الْأَمِينُ :

جِسْمِي الْآنَ نَفْيٌ لَجِسْمِي ، -

وَلَهُ يُلْهِمُ الْعَشْقَ، يَلْتَهُمُ الْعَاشِقِينَ .

(١) الإشارة إلى ابن المعتزّ .

(٢) هو المؤرّخ والفقيه المشهور محمد بن جرير الطبريّ .

قتل ابن الرضا:

فقطعوا رأسه،

نصبوه على الجسر

أمثلة

للذين يقولون

أقواله

أو يقولون عنه:

بهجة نهجنا.

- خ -

سأشبه نفسي بالنيل:

ترحال فيض

ومسراه مسراي،

والأرض فينا

«وزدة كالدهان».

غير أن حياتي قلق ومجاز

وشعري كالشمس: من لا مكان.

❖ بلد - لم يقل مرة:

أحب. اتركوه، إذن،

للوحوش التي تسيد

بأحشائه.

الذاكرة

٣٠٤هـ.

قيل: «رَدَّ» الكلام

إلى أصله،

ولهذا

فطمعوا وأسنه،

ضلوه على ناقة!*

- ذ -

مَا أَقُولُ لِيَوْمِي، هُنَا،

مَا أَقُولُ لِلْأَمْسِي؟

أَتَرَاهُ الزَّمَانُ سَيُضْغِي؟

فِي شَخْصَانِ: شَخْصٌ

لِلْمَكَانِ، وَشَخْصٌ

لِلتَّقَالِيدِ،

وَأَنَا ثَالِثٌ.

لَا أُجَادِلُ شَخْصِي، أَتْرُكُ لِلشَّعْرِ أَمْرَهُمَا،

وَأُجَادِلُ نَفْسِي.

* أَلْمَكَانُ يَغْيِرُ أَهْدَابَهُ

وَتَقَاطِيعُهُ:

سَوْفَ يُصْبِحُ، بَدْءًا مِنَ الْيَوْمِ، أُتَّى.

(١) الإشارة إلى شخص
اسم خاند الشعرى. وكان
عاملًا على كرمات وسجستان،
وقد تمزّد وسمى نفسه أميراً.

كان إماماً^(١)

في الفقه، وكان

يُحبّ الثَّعْرَ،

ويعلن أنّ الحقَّ إمامٌ

والعدلُ إمامٌ.

لكن، مع ذلك،

مات فتيلاً.

- ض -

سَأَقُولُ لِذَاتِي: تَجَلَّيْ

فِي قَمِيصِ الظُّلَامِ لَكِي أَنْقَضَيْ مَدَاهُ،

وَأُخْسِنَ قَبْضِي عَلَى النُّورِ -

يَا ظُلْمَةُ الْيَوْمِ. فِي كُلِّ وَجْهِ

أَثَرٌ مِنْ شُعَاعِكَ، وَالتَّيْلُ قَيْضُ

بَيْنِ ثَدْيَيْكَ. إِيْزِسْ ثَفَاحَةً

فِي سَرِيرِكَ أَمَّارَةً -

أُمَّةٌ أَنْتِ، حَقًّا.

* أَنَا وَالتُّورُ فِي هِجْرَةٍ:

جَسَدَانَا وَأَحْلَامُنَا دَارُنَا

يَتَحَرَّرُ فِينَا الْمَكَانُ،

وَمَا يَتَرَمَّدُ تَوْقِظُهُ نَارُنَا.

(١) الإشارة إلى الناصر العلوي المعروف بـ «الأطروش».

الزُّوْسُ تُقَطَّعُ، تُهْدَى

لِبَغْدَادَ: مِنْ كُلِّ

صَوْبٍ،

وَاحِدًا وَاحِدًا

فَوْقَ صَخْنٍ،

أَوْ مُدَلَّى عَلَى رَأْسِ

زُفْجٍ.

لَمْ يَعُدْ فِي الْخِلَافَةِ إِلَّا

اسْمُهَا.

- ظ -

أَتَوْهُمْ؟ كَلَّا

لَمْ أَشَاهِدْ بَعِيْنِيْ كَافُوْرَ،

شَاهِدَتُهُ

بِالصَّدَاقَةِ مَخْنُوْقَةً

بِالْحَيَاةِ - انْكَسَارًا وَهَوْلًا.

هَكَذَا سَاجَاهِرُ: كَافُوْرُ دُنْيَا

وَكَافُوْرُ أَرْضٍ.

هَكَذَا سَوَفَ

أَرْتِي لِعَضْرِي.

* أَتْرَاهُ وَفْتِي

فِي هَذَا الْفَلَكَ السَّاحِرِ - مِصْرَ، فَرَاغٌ

لَا يَمْلُؤُهُ شَيْءٌ؟

الذاكرة

٣٠٤ هـ.

إنها الراحلون، تُرانا

لا نزال بعيدين

عن قُصْدنا؟

هل أمد إليكم

يدي، وأمع

صدري؟ قولوا

لم أعد أذكُر

من أين جتنا،

إلى أين نمضي؟

- غ -

هَيَّأَتْ خُبْرَهَا. إِنَّهُ النَّيْلُ يَوْمِي. ماذا؟

كَتَبْتُ وَجْهَهَا

فوق وجه الرّغيف.

جَبْرُهَا؟ أَخَذْتُه

مِنْ هُبُوبِ السَّتَاءِ، وَمِنْ خُمْرَةِ الصَّيْفِ

مَسْكُوبَةً فِي دِنَانِ الْخَرِيفِ.

الطَّرِيقُ إِلَيْهَا وَإِلَى خُبْرَهَا،

رَبِيعٌ.

* نَوْرُسٌ يَتَمَوَّجُ،

وَالنَّيْلُ يُسَلِّمُ أَعْضَاءَهُ لَأَعْضَائِهِ.

سُرَّةُ الْمَاءِ لِلْحَالَمِينَ سَرِيرٌ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



II. ديجور

١ - رغبة

أَتَحْتَلِ بِغَدَادَ، لَكُنِّي أُحْيِي
حَلْباً وَأُحْيِي
كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - اهُدِّي، ذِكْرِيَّاتِي،
وَاجْلِسِي. رَكْبَتَايَ سَرِيرَانِ.
هَذَا عُرُوقِي
عَطَشُ جَارِفٍ. وَهَذَا
كَبْدُ الْوَقْتِ: مِنْ جَمْرِهِ
تَتَدَفَّقُ هَذَا الْوَجْهُ الَّتِي تَتَشَرَّدُ.
مَاذَا؟ إِهْدَنِي وَاجْلِسِي.
أَفَلَا تَرْغِبِينَ هُنَا، الْآنَ، أَنْ تَسْمَعِيهِ
يَتَكَلَّمُ: ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَحْيَا
أَبْدًا صَامِتًا، بَيْنَنَا؟

٢ - حلم

حلمٌ نَسِيتُ سريرهُ
يأتي إليّ، يَجْرُ قافلةُ الظُنُونِ.
عَسَلْتُ وَجْهِي
برحيقه، -
أَتَذَكِّرُ الآنَ: انحنيتُ لوجهه
فمَضَى. لماذا.
ولِمَن يَعُودُ، ولم أعدُ ما كُنْتُه؟

كُنَّا وَفَرَقْنَا الطَّرِيقُ
هو جَدُولٌ وأنا حريقٌ.

٣ - مناجاة

قلتَ لي: ناديم؟

أيُّها الجسمُ - جسْمِي. هل صِرتَ غيري، إذن؟

بيننا أَلْفُ حَرْبٍ وَحَرْبٍ

وكثيراً جرينا معاً

لملذاتنا

وسهرنا نقطر الآءها،

ونمت، ولكنتي لم أُنم

بيننا أَلْفُ حَرْبٍ وَحَرْبٍ

بيننا ظلمات

بيننا ما أخاف التَّبَسُّطَ فيه،

وأجبنُ عن ذكره:

هكذا،

لا أكرّر ما قُلْتُهُ. لا أُطيقُ النَّدَمَ.

٤ - نُواح

المساء . كأنني أراه
آتياً من سَمَرْقَنْدَ في موكبٍ
مِن مَّاذَن . يَمْشِي
وعلى وجهه وَهْمُ شَمْسٍ .
يَتَسَلَّقُ خَضِرِي ، يَكْبُو على كَتْفِي . سِهَامُ
تَرَاءَى على دَرْبِ غَزْلَانِهِ - المساء كَشِيخٍ
تَوَحَّدَ في غُرْفَةِ الكَوْنِ مُنْتَظِراً ضَيْفَهُ - المَوْتِ . أَصْغِي
لحَفِيفٍ غَرِيبٍ : تُرَاهُ
طائر المَوْتِ ؟ لَكِنَّ هَذَا النُّواحُ
ليس قَبِراً ، وَلَمْ تَتَنَبَّأْ بِقِيثارِهِ الرِّيحُ .

٥ - تأويل

رَجُلٌ يَجْرَحُ جَذَعَ النَّخْلَةِ قُرْبَ الْجَامِعِ . يَرْوِي

أَنَّ الرُّطْبَ السَّاقِطَ مِنْهَا سُمٌّ .

هَلْ يَتَوَهَّمُ؟ هَلْ يَتَنَسَّقُ سِحْرًا؟

أَعْطَيْتُ النَّخْلَةَ زَنْدِي .

قُلْتُ لِغُصْنٍ :

كَتِفُ الشَّمْسِ تَحْنُ إِلَيْكَ . وَقُلْتُ لِآخَرَ : أَنْتَ سَرِيرٌ

وَسِيرْقٌ فِيهِ ، يَوْمًا

طَائِرٌ حَبٌّ .

رَجُلٌ آخَرُ جَاءَ لِيَحْرِقَ جَذَعَ النَّخْلَةِ . يَرْوِي

أَنَّ الرُّطْبَ السَّاقِطَ مِنْهَا

لَيْسَ جَنْيًا .

٦ - التباس

لم أعد أتعجب، إن كنتُ سوَّيتُ من طينة
أو من التَّمْرِ - نُصباً
يتعبدُ آلاءُ شَقِيٍّ
وإذا جاع وافتقد الخيرَ راح إليه
يتذوق أشلاءهُ لقمةً لقمةً.

لم أعد أتعجب إن كنتُ سوَّيتُ سيفاً
ليُقطعَ بي كلُّ رأسٍ يقولُ: الخليفةُ لا رأسَ له!
أَلخليفةُ - آه الخليفةُ! آه الجنودُ الحروبُ السَّجونُ المجاعاتُ
آلهةٌ من عبيدٍ،
وآلهةٌ سادةٌ،
والخليفةُ - آه الخليفةُ! من أينَ يا لغةَ الضَّادِ،
تبدأُ هذي الفجیعةُ،
أو هذه المهزلةُ؟

٧ - رحلة متخيَّلة

(أ)

أَلْعَنَّاكَ يَنْسُجْنَ قُمْصَانَهُنَّ . السَّمَاءُ
رَمَتْ صَدْرَهَا
فِي ذِرَاعِي صَبَاحٍ لَهُ وَجْهُ طِفْلِ .
وَأَزَى حَوْلَهُ
أُمُومَةٌ أَرْضِ
تَأْسِرُ الطَّيْرَ فِي عُشِّهِ .

صَجَّةٌ . لَا الشَّجَرُ
لَا الْجَدَاوِلُ . لَا الرِّيحُ . لَا الرَّعْدُ . لَا خُطَوَاتٌ .
صَجَّةٌ فِي فِضَاءِ النَّظَرِ .

٨ - رحلة مُتَخَيِّلَة

(ب)

الطَّرِيقُ وَأَنْبَإُهَا، -

رَبِّمَا تَأْخُذُ الرِّيحُ هَذَا الطُّلُولَ . نَبْوَآتُ رُغْبٍ
تَتَفَتَّحُ فِي قَدَمِيَّ وَفِي الْعُشْبِ . خُذْنِي
أَيُّهَا الضُّوْءُ فِي سَاعِدِيكَ ، وَفِي خَطَوَاتِكَ . عَيْنَا
هَذِهِ الصَّخْرَةَ التَّبَاسُ
فِي طَرِيقِي . نَسِيَانُ هَذَا الطَّرِيقِ؟ أَيْنَسِي
قَدَرُ نَاطِرِيهِ؟

أَتَرَاهُ الْقَدَرُ

لَعْنَةُ الْيَأْسِ فِي شَهَوَاتِ الْبَشَرِ؟

٩- رحلة متخيَّلة

(ج)

هُوَذَا يَقْتَرِبُ الذَّبُّ، ولكن
ليس في عينيه نَارٌ.

أين غابت هذه الأسطورة الحية؟ غُرِّي
في فضاء الورق الساقطِ. أضغاثُ رياحٍ
والخريفُ انكسرت أجراسُهُ.

يضع الذَّبُّ على أهدابه
شَبْحاً يَتَّبِعُ

ما الذي يكتبُ هذا الورقُ الميتُ، بماذا يَعِدُ؟

١٠ - رحلة متخيَّلة

(د)

الرَّمْلُ يغمُر وجهَ دجلةَ . هذه

صَرَخَاتُ حَبِّي :

وَجْهُ الأُلُوْهِةِ وردةٌ ذُبُلْتُ . بلادُ

صَدَأُ صديدٌ ،

والعابرونَ يعانقونَ غوايةَ الجُرْحِ القديمِ .

بغدادُ فتنةٌ شاعِرٍ . هذي عكاظُ؟ أَمِنْ جديدِ

تَصْحُو وتسكُرُ تحت قوسِ جراحِها؟

أَهْوَ المكانُ ، يُشَقُّ صدرُ نبيِّه ،

أهو السَّديمُ؟

III

فاصلة استباق

إنه النَّيلُ -

«فاضَ المالُ، وكثرتِ الفتنُ،
وظهر دجالون كلُّهم يزعم أنَّه الحقُّ»،

إنها القاهرةُ،

القرن العاشر جسدي كنتُ فيه الجنونُ

واستأثرَ بيَّ العقلُ كنت المحوَّ (وربَّما

سيقول التاريخُ إنِّي الذَّاكرةُ)

النَّيلُ، - أشير إلى الصَّوء لكنهم لا يعرفون

في سريرهِ أن يحدِّقوا إلَّا في ثيابي «أفي

تكتشف السَّماءَ كلَّ يوم تحت ضِئِّي شُويعرٌ؟»

لذَّة النَّوم. كلا، لا أملَ إلَّا من جهة اليأس.

في خطواته تكتشف لذَّة البقطة.

أنظروا - الفضاء أنا،

يرسل النَّيلُ تحياتِه وشِعري غيومُه الممطرة.

مكتوبٌ إنه الوقتُ ليأخذَ كلَّ شيءٍ اسمَه

على جسدِ الشَّمس. ولكي ترسمَ الطريقَ.

هكذا أقول لمصر وأشياؤها:

وُلِدَتْ فِي نَسَقِ الشَّمْسِ،

وَأَنْتِ مَغَامِرَةُ الْبَدءِ.

ها هي

جدائلُ الشمسِ

تَتَبَلَّلُ بِمَاءِ النَّيْلِ.

إِنَّهُ النَّيْلُ، -

يَنْجَسُ إِلَيَّ مِنْ أَغْوَارِ الْعُنَاصِرِ،

وَدَوْرِي الْآنَ أَنْ أُتَشَبَّهَ بِهِ -

مَاذَا أَفْعَلُ يَا سَيِّدَ الْأَسَاطِيرِ؟

رَمَنْ -

فَقَاعَاتُ تَعُومُ

عَلَى وَجْهِ النَّيْلِ.

الْهَبُ يَزْفِرُ فِي اللَّغَةِ، -

قَلْبِكَ، أَيُّهَا الْعَالَمُ، الْوَحْشُ؟ إِذَنْ

سَيَكُونُ شِعْرِي الْفَتَكُ.

النَّيْلُ هَادِيٌّ؟ عَنِيتُ: هَا هُوَ الطَّوْفَانُ.

مَاءُ الْمَوْتِ لِلنَّيْلِ

هُوَ نَفْسُهُ

مَاءُ الْحَيَاةِ.

أَسْمَعُ النَّيْلَ:

لَا يَسْقُطُ الْحَبُّ مِنَ السَّمَاءِ

إِلَّا لِأَنَّهُ يَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ.

«بِمَائِهِ اغْتَسَلَتْ

النَّبِيُّهُ الْأُولَى»:

قَالَتْ الْأَرْضُ مَرَّةً

تَصِفُ النَّيْلَ،

وَلَا تَزَالُ السَّمَاءُ تَكَرَّرُ

مَا قَالَتْ الْأَرْضُ.

أَلَنْ تَطْرَحَ عَنْكَ أَخِيرًا، يَا صَدِيقِي النَّيْلُ،

عَبَّءَ تِلْكَ السَّمَاءُ الَّتِي تَجْتُمُّ عَلَى كَتِفَيْكَ؟

وَأَرْجُوكَ

أَنْ تَفْهَمَ فَيضَانِي فِي اتِّجَاهِ أَحْبَابِي.

أنا ضراوة الانشقاق	من خيوط مائه
رفضاً للنخاسين «مَحْفَلِ القروء»	ينسج النّيل
«المرتزقين القابضين على الزّمام»	ثوباً واحداً
«دولة الخدم» .	لفرحه وحزنه،
	هو ثوبه الوحيد.

أنا الشُّبُهَاتُ وأنا الحقُّ	كلّ يوم
يا لهذا العالم - الخديعة :	يُلقي النّيلُ
«بكلّ أرضٍ وطئتها أُمَمٌ	من أعلى قِمَّةٍ
تُرعى بعيدٍ كأنّها غَنَمٌ	في جبل الحكمة،
إني وإن لُمْتُ حاسِدِيّ، فما	موعظة الماء.
أنكرَ آتِي عقوبَةُ لَهُمْ» .	

وأسألك، أيها النّيل :	يحضن النّيلُ
من أين تجيء هذه اللآنهاية	السّفن والقوارب
التي ترفرف على وجهك؟	كانتها بيوتٌ
	وأسرّة
أنا الواحد،	لأطفاله.
وكلّ شيءٍ فيّ متناهِرٌ	
و«اسمي في السّماء : لا» .	

أعرف الآن

لماذا آثر أبو الهول الصمت :
أُرتج عليه ،
وهو يحاور النيل .
لك شكل
أيها السيد النيل
لا ينتهي من التشكل :
عَلَمَنِي الشعر يا صديقي .

لِلنَّيْلِ بِشَرَّةٍ
يَتَصَاعَدُ مِنْ
مَسَامُهَا ضَوْءٌ
ليس الجسدَ
وليس الجنسَ ،
وليس شيئاً آخرَ
غيرَهما .

إذن ، سأعترف :
خُلقت بجسمين - واحدٍ يعذبني ،
وآخر أعذبه .
هكذا أُمسُحُ أَعْضَائِي
وأبتكر للشعر خطاياهُ .
سلامٌ لِلْعَصَاةِ فِي الشعرِ ،
سلام لمن يهْوِسُ
وَيُضِلُّ .

هل يمكن
أن يُقالَ :
وداعاً ، لِلنَّيْلِ ؟

إنَّها القاهرة، -

أدخلُ الآنَ في طَفْسِها، وأُعْتي لها

ويُعْتي معي

قصبُ اللَّيلِ - (يوماً، كيوسفُ، لكن

في منامي، أتيتُ إلى القاهرة

زرتُ آمونَ في بيته.

وكتبتُ وغنَّيتُ مُستَسَلِماً

لهوى امرأةٍ راودتني عن نفسها،

ولكنَّها لا تُحبُّ سيواهُ).

قل لي الآن، يا نيلُ، من أين تأتي

إلى أين تَمْضي خيولُ تَبَارِيحِكَ النَّائِرَةِ؟

إجلِسي^(١)

وانظري في شكواهم،

وحُديهم برفقٍ

الكلام، وصدِّقِ النَّظْرَ.

غضب الفقهاء^(٢) من الأمرِ

واشتكروه:

كيف لامرأة أن تُولى شُؤونَ

البشر؟

* لِمَ، هذا المساءُ،

يحجبُ اللَّيلُ عني

نجمَةً، كنتُ هيأتُ نفسي

كي أُسامِرَ في ضوئها

فَلَمَّا الأَصْدِقَاءُ؟

(١) في الزَّواجِة أنْ أمَّ

المقتدر، واسمها شغبُ أمرت

قهْرمانَةً لها اسمها مُنلُ وفي

رواية تُمل أن تجلس بالزَّصافة

للمظالم، وتنظر في كتب

الناس.

انتفع بذلك المظلومون،

وأشكر ذلك الكثيرون

واشتَبَعوه.

(٢) قال الإمام السيوطي:

«صار الأمر والنهي لحرم

الخليفة ولنسائه، لركاكته.

وإن الأمر إلى أن أمرت أمَّ

المعتدر بمُنلِ القهرمانة أن

تجلس للمظالم وتنظر في

رقاع الناس كلَّ جمعة.

فكانت تجلس وتُحضر الفُضاة

والأعيان وتبرز التواقيع وعليها

خطُها».

الذاكرة

٣٠٩ هـ.

قال غزيب^(١):

«كان الحلاج غويّاً ينتقل في
البلدان،

يموت

بين السنة سني،

بين الشيعة شيعي،

مُعتزلي، إن قابل شخصاً
معتزلياً».

- ب -

لَمْ تَعُدْ لَدَّتِي

مِثْلَ تَبَعٍ يَهِيْمُ عَلَى وَجْهِهِ.

لَمْ تَعُدْ قَامَةُ الرِّيحِ مَسْكُونَةٌ

بِجَدَائِلِ أَحْلَامِي الطَّوِيلَةِ.

رَافِعُ غَضْبِي رَايَةً

وَأَقُولُ الْكَلَامَ الَّذِي يَنْفَتِقُ رَفْضاً وَهَدْماً.

وَلِهَذَا أَغْتِي، أَنْصَبُ نَفْسِي

عَاشِقَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَحِيلَةِ.

* جَسَدِي يَتَمَرِّقُ مُسْتَنْزَفاً

بَيْنَ مَا قَلْبُهُ،

وَمَا لَمْ أَقُلْ.

(١) غزيب بن سعد القرطبي،
في «الصلّة» التي كتبها تكجلاً
لتاريخ الطبري.

- ج -

أَخَذْتَنِي إِلَى بَيْتِهَا نَقَرْتَنِي
وَسَقَتَنِي إِكْسِيرَهَا .

(وَحَدَه الشَّعْرُ كَانَ الْمَقَامَ
الَّذِي نَسَاكُنُ فِيهِ) .
وَأَرَى النَّيْلَ يَلْبَسُ أَهْدَابَهَا
(لَا تَقُولِي لِي الْآنَ مَا لَمْ تَقُولِيهِ
مِنْ قَبْلُ) لِلنَّيْلِ رَوْحٌ تُرْفَرُفُ ،
وَالْكُونُ وَجْهٌ لَهَا .
أَرْضُهُ نَشْوَةٌ ،
وَالثُّجُومُ عَرَائِسُ يَخْرُجْنَ مِنْ ضُلْعِهِ .

قال عُرَيْبٌ :

«كَانَ الْحَلَاخُ خَفِيفًا

فِي الْحَرَكَاتِ -

يُسْعَوُذُ: مَخْرُوقٌ

حَتَّى اسْتَهْوَى

مَنْ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا» .

* رُبَّمَا يَنْبَغِي

أَنْ أُخِيطَ الرِّيحَ وَأَنْ أُتَنَزَّهَ فِي إِبْرَةٍ .

هَلْ الْأَيْسُ نَارَ الظُّنُونِ،

وَأَمْكَرُ؟ أَشْيَاؤُهَا

مَكَرَتْ وَمَكَرْتُ: المَدَائِنُ قَلْبُهَا

صفحة، صفحة -

قَدَمِي تَتَقَدَّمُ، رَأْسِي فِي خَلْوَةٍ:

أَعْلُو، أَمْهَوِي

أَمْ جَنُونُ أَقَاصِرْ؟

شَغَفْتُ لَاعِجٌ، شَغَفْتُ جَارِفٌ، -

نَشْوَةٌ أَنْ تُهْدَمَ أَسْوَارُ

هَذِي المَدَائِنُ،

وَالشَّعْرُ مِعْرَاجُكَ العَاصِفُ.

قال غريب:

كان الحلاج يُجاهِرُ

إني الربُّ،

و «ما في الجبة غيرُ

الله»، وشاعثُ

كتب أملاها

مُلثثُ

بحماقات،

وكلامٍ مقلوبٍ،

وبكُفْرٍ.

* لا أَسَافِرُ

إِلَّا لِصِيدِ الكَوَاكِبِ،

وَالْأَفُقُ لِي جُجْبَةٌ.

رُبَّمَا يَنْبَغِي

أَنْ أُسْلِسَلَ جِنْسَ النَّطَائِرِ، جِنْسَ الْمَجَازَاتِ،
جِنْسَ الْفُرُوقِ، وَأَصْرَحَ: أَهْلًا
بِالسَّطْوَعِ، - النَّسَاءُ يُرْتَلَنُ
أَحْزَانَهُنَّ،
السُّهُولُ هَوَادِجُ مَحْمُولَةٍ
فِي قَوَافِلَ مِنْ كُلِّ زَهْرٍ.
رُبَّمَا، رُبَّمَا. وَظَنِّي،
أَتْنِي سَأَقُولُ لِدَرْبِي خُذْنِي
خُطُواتِي رِيَاخَ لَوَاقِحَ يَصْرُخُنَّ حُبًّا.

قال غريب:

«كان الحلاج يقول

لِبَعْضِ مَنْ تَبِعُوهُ:

أنت محمد،

موسى أنت،

ونوح أنت.

أنا من قال

لأزواجهم

أن تهبط

فيكم».

* وَرَدَّةُ - (لن أجاهر أُنِّي وكيف) ولكنني

أَتَغْطِي هُنَا الْآنَ فَوْقَ فِرَاشِي

بِأَهْدَابِهَا.

آه منه، وآه عليه
ذلك الشاعر المتشرد في وجهه،
وفي أصغريه.

هوذا عصرة المرء
يستجمع الكلمات،
ويسلم للضرب أعناقها.

لنسور تطايرن من قلبه
ويؤمن جواً بعيداً،
ينحني ويقول: وداعاً.

أترى عنده موعد آخر؟

* الليالي نساء
والتوافد من حولهن طيوف.

قال الزاوي:
«قال عريب،
هذا اليوم،
كلاماً
كادت لغتي
أن تهرب منه».

- ز -

مُثْقَلًا بِعَجَائِبِ هَذَا الزَّمَانِ:

أَتَمَرَّدُ فِي مَحْبَسٍ

وَأُغْنِي وَعُنُقِي

يَتَوَسَّدُ سَيْفًا.

وَبِشْعَرِي أُدِينُ، بِشْعَرِي أُبْرِي: شِعْرِي

شَهَوَاتِي وَجِيشِي

وَحَرْبِي - لَا تَنْتَهِي،

وَالرَّهَانُ.

قال عُزَيْبُ:

«كَانَ الْخَلَّاجُ يَقُولُ:

أَنَا أَهْلَكْتُ ثَمُودًا».

و«يَغِيبُ عَنْ

الْأَتْبَاعِ، وَيَنْزِلُ

مِنْ طَبَقَاتِ الْجَوْ

عَلَيْهِمْ».

* رُبَّمَا خَبَأَ اللَّيْلُ سَكِينَتَهُ

فِي يَدَيِ نَجْمَةٍ.

(١) محمد بن يحيى
الطُّولي.

- ح -

خِطْتُ صَدْرِي بِصَدْرِكَ يَا شَمْسُ. أَمْشِي،

أَتَرْنَحُ وَالْيَأْسُ رَقْصِي:

قَدَمِي لِلْغُبَارِ،

وَأَيْقَاعُهَا لِلشَّقَاءِ.

آيَةٌ آيَةٌ

يَنْزِلُ وَقْتِي هُنَا فِي كِتَابٍ

لَا يَرَى كَيْفَ أَحْيَا

وَيَشَاءُ الَّذِي لَا أَشَاءُ.

قال الطُّولي^(١):

«الحلاج جهول،

لكن يتعقل،

وهو غيبٌ، لكن

يتفصح،

وهو الفاجرُ لكن

يلبسُ كي يَتَنَكَّكَ -

ضوفاً».

* حملته إلى أرض أحلامه النَّائِيَةِ
شَهْوَةً عَالِيَةً.

- ط -

مِصْرُ، هذا هو الخيطُ بين أئينا وبينك :

طاليسُ بَرْدِيَّةُ سَاهِرُ

وعلى شُرْفَةِ التِّلِ

بِيزَنْطِيَا

تَتأملُ أسرارَهَا

في تقاطيعِ أُنْقُوَّةِ.

مِصْرُ: لا غَرْبَ لا شَرْقَ، بل وَحدةُ البدءِ

في القلمِ الفاطِرِ

تَتَجَدَّدُ في لُغَةِ الشَّاعِرِ.

قالوا:

«نُوظِرُ يَوْمًا:

لا يعرف شيئاً من

أخبار الناس،

ويجهلُ أهلُ الفكرِ،

لا يعرفُ حتَّى القرآنُ،

وحتى الفقهُ،

ويجهلُ حتَّى الشعْرُ».

* منذُ أن كنتُ طِفْلاً

كنتُ أَسْبِحُ في لُجَةِ البدءِ،

في ماء شَيْخُوخَتِي.

- ي -

مِنْ مُعَاوِيَةَ وَالرَّشِيدِ وَمَرْوَانَ، لَمْ يَبْقَ
غَيْرُ الْحُرُوفِ الَّتِي عَرَفْتُنَا
بِأَسْمَائِهِمْ.

غَيْرَ أَنِّي أَرَى الشُّعْرَاءَ وَأُضْغِي
كَيْفَ يُسْتَنْقَرُ الزَّمَانُ لَكِي يَتِمَّاهِي
بِتَارِيخِهِمْ وَمِيرَاثِهِمْ، وَكُلُّ
عِنْدَ أَصْحَابِهِ نَبِيٍّ.

قالوا:

«بُخِّي الْحَلَاخُ

الموتى،

والجئْ لَهُ خُدَامٌ».

* كَبِدُ الْوَقْتِ مَقْرُوحَةٌ، -

هل أسأَلُ شُحْرُورَ هَذَا الصَّبَاحِ:
لِمَاذَا تَغْتِي؟

- ك -

أُصْغِي -

في هذا الشارع أصوات
أسمع فيها
همساً من يونان، وجرساً فينيقيًا.

وأحسُ بفتنة بابل: حقًا
مصرُ صحيفة بدءٍ
فيها رسمت ريشة آدم
وجه العالم.

قالوا:

«كانت بغداد
تُسائلُ كلَّ مكانٍ
فيها: هل أنت
شريكٌ حقًا
في نيرنج الحلاج،
وماذا تعرفُ عنه؟».

* كم تخيلتُ فينيقيا:

وطنٌ مركبٌ،
والطريقُ إليه
كتفًا مَوْجَةٍ.

- ل -

مِنْ أَيْنَ يَخْفُقُ هَذَا النَّجْمُ فِي كَبْدِي؟

خَزَمْتُ صَدْرِي بِأَوْجَاعِي وَطَفْتُ عَلَى

أَطْلَالِ حَبِّي - أَرَاهَا كَيْفَ تَنْسُجُنِي

بِرِيحِهَا،

وَتَبْقِيَنِي وَتَرْتَجِلُ.

يَا لِلْفُجَاءَةِ: ثَوْبُ الرِّيحِ مُنْخَرِقٌ

مُعَقَّرٌ

وَرَمَادُ الْأَرْضِ يَشْتَعِلُ.

قالوا:

«كانت كلُّ دفاتره

من ورقِ صيني.

بحريرٍ وبديباجٍ

بطنها.

وبماءٍ من دَمَبٍ

خطَ رُوَاهُ».

❖ هل أقولُ: سريري

قَاتِلِي وَأَمِيرِي؟

- م -

في السَّوَارِعِ، بين المآذِنِ، في كلِّ حيٍّ
وفي كلِّ أرضٍ،
أَصْغِ لِلضَّوْءِ، لِلوَقْتِ، لا تَلْتَفِتْ
إلى العابرينِ .
وَاعْتَرِبْ واضْطَرِبْ
حائراً
يَسْتَضِيءُ بِقَافِلَةِ الحائرينِ .

✽ عَابِرُ الرَّمْلِ بَقَعَ ماء كواكبه الآفِلَهُ
بدم القافله .

قالوا:

«كان الحلاج كثير
الأسفار، وزار الهند،
وفيها
زار امرأة
خرجت معه نحو البحر،
وكانت
تحمل غزلاً ملفوفاً
فيه عقده
تشبه أدرج السلم
قالت بضعا من
كلمات .
صمتت، جلست،
قامت،
صعدت في خيط
الغزل، وغابت .»

- ن -

عَصَّةُ الشَّمْسِ فِي كَتَفِ النَّيْلِ،
رَزَقَاءُ،

وَالضَّفَّتَانِ تَمْدَانِ مَهْدَأُ
لِلْحَقُولِ - النَّبَاتَاتُ

تُولِمُ أَثْدَاءَهَا لِعُشَائِهَا.

أَهْوَ الْحَبُّ يَنْزُلُ فِي شَكْلِ دَمْعٍ
عَلَى وَجَّتِي،

أَمْ هُوَ النَّيْلُ يَخْرُجُ مِنْ صَمْتِهِ
وَيَقْصُ تَبَارِيحَهُ عَلَيَّ؟

قالوا:

«كُنَّا نَنْظُرُ».

كَانَ الصَّانِرُ مَيْتًا.

غَطَاهُ بِكُمِهِ،

هَمَسَتْ شَفَتَاهُ

كَلِمَاتٍ لَمْ نَسْمَعْهَا.

عَادَ الطَّائِرُ حَيًّا.

قالوا:

«إِنْ لَمْ نَقْتُلْهُ،

اَفْتَنَّ النَّاسُ

بِعِلْمِهِ».

❖ الفراغ الذي يَتَقَدَّمُ نحوي كريم،
أُحْيِيكَ يَا أَيُّهَا الصَّدِيقُ،
وَأَرْجُوكَ: لَا تَمْتَلِئْ.

- س -

حَوْلَةٌ - أَتَخِيلُهَا هَا هُنَا،

وَأَقُولُ الْهَلَالُ الَّذِي يَتَسَكَّعُ

فِي مَا وَرَاءَ التُّجُومِ سَيَأْتِي إِلَيْهَا،

وَالطَّيُورُ الَّتِي يَرَسُمُ النَّيْلُ أَعْنَاقَهَا

سَوْفَ تَأْتِي،

وَسَيَأْتِي إِلَيْهَا

لَا زَوْرَدُ الْمَكَانِ - تُرَانِي أَهْذِي، وَلَكِنْ

هَآ هُوَ اللَّيْلُ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهَا.

قالوا:

«ضربوه أنشواطاً

لم يُحصوها.

فقطعوا رجليه، يديه،

خزوا الرأس،

وقالوا: نصبوه فوق

الجسر، وقالوا:

حُمل الرأس إلى

بلدانٍ أخرى

كي يُنصبَ فيها».

* غَيْرَةٌ،

سَأَقُولُ لِعَاشِقِ إِيْزِيسَ : دَعْنِي أَلَامِسَ

بِأَحْشَائِي الْخَافِقَةِ

نَارَكَ الْعَاشِقَةِ .

- ع -

كوكبٌ يتسكّع حيرانَ في كلّ حيّ،

والنوافذُ صفراءُ. ليلٌ

يزفر الآن أحزانهُ

ويقولُ النهارُ مريضٌ.

ومن ذلك الذي يغررُ السّهامُ

في صدور أحبائنا؟

ربّما ليس للضوء، في ظلّ كافور،

متّسعٌ للمقام.

قالوا:

«أُحرقَ جنمُ الحلاج

ودُرّ رماداً

في دجلة». قالوا:

فاضت دجلةُ

حبّاً».

* أسمعُ في الطّرقَاتِ كلاماً - يبدو حيناً،

سِرْبَ خِزَافٍ،

وقطيعَ جِمالٍ، حيناً.

- ف -

شَبَّحَ - كيف جاء، ومن أين جاء؟
له وَجْهٌ رَبِّ .

قالوا:

«دُعِيَ الزَّافُونَ

لِيُقْسِمَ كُلُّ مِنْهُمْ

أَلَا يُقْنِي أَيُّ كِتَابٍ

بِلِحَاجٍ،

شِرَاءٍ،

أَوْ بَيْعًا» .

الزَّمانُ يوسِّدهُ ساعديهِ،

والغبارُ على وجههِ صَلَاةٌ .

شَبَّحَ شامِخٌ

ذراعاه ممدودتانُ

تحت رأسِ المكانُ .

* - أُسْكُتْ، أَفْسَدَتْ هَوَاءَ الدِّينِ،

- أَيَفْسُدُ دِينٌ

مِنْ نَفْخَةِ هَمٍّ؟

- ص -

في هذا الشَّارِعِ كان الماءُ سَجِيناً .
وهُنَا في هذا الشَّارِعِ شَمْسٌ
يَسْتَوِطِنُ فيها عِصْيَانٌ .

وهُنَا، في هذا الشَّارِعِ، شَاعَ كَلَامٌ
أَنَّ الضُّوءَ سيأتي سَحَرًا
وعلى كَتْفِيهِ
وَطَنٌ يَقِظُ، وفضاءٌ حَيٌّ .

قالوا:

سمعوهُ يَهْمِسُ

فيما يُحْتَضِرُ:

«نَاسٌ بَقَرُ

لَسْتُ المَقْتُولُ،

كما يَهْدُونُ . ولمْثَلِي

سِرُّ هَوَاةٍ

لا يَدْرُكُهُ إِلَّا اللُّهُ» .

* تاريخُ: ثوبٌ مفتوقُ،

هل يَقْدُرُ شِعْرُ

أَنْ يَرْتَقَهُ؟

- ق -

لَا تَقُلْ : نَعَشَقُ الْإِمَارَةَ مَذْهُونَةً

بِبَهَارِ تَوَارِيخِنَا ، وَلَكِنْ

قُلْ : سَنَسْكُنُ أَكْوَاحَ قَشْرٍ

لِنُخْدِمَ عُشَّاقَهَا .

رَبَّمَا سَوْفَ يُؤَلِّدُ مِنْ أَوَّلِ

كِتَابِ نَبَوَاتِنَا

فِي جَحِيمِ غَوَايَاتِنَا الْمُنْكَرَةِ

رَبَّمَا رَغْبَةً فِي اخْتِنَاقِ طَوِيلِ

سَوْفَ تَلْتَهُمُ الشَّفَقَتَيْنِ ،

وَتَلْتَهُمُ الْأَصْغَرَيْنِ ،

وَتَلْتَهُمُ الْحَنْجَرَةَ .

أَلْحُلُجُ فِضَاءِ

هَيَامِ ،

وَالْوَقْتُ كِتَابٌ

بَيْتٌ يَدِيهِ .

* - لَا نَقْدُرُ أَنْ نَتَكَلَّمَ فَوْقَ الْأَرْضِ ،

- أَتَقْصِدُ أَنْ نَتَكَلَّمَ تَحْتَ الْأَرْضِ ؟

- وَدَاعاً .

- مَنْ أَنْتَ ؟ كَأَنَّكَ تُشَبِّهُ مَيِّتاً .

- ر -

أَنْتَ الْغَارِقُ فِي التَّحْرِيمِ،
وَفِي التَّحْلِيلِ،

خَيْرٌ أَنْ تَكْتُبَ،

أَوْ أَنْ تَقْرَأَ شِعْراً

عَنْ عَشْقِي

أَوْ عَنْ سِرِّ

بَيْنَ الْبَرْدِيِّ وَنَهْرِ النَّيْلِ.

أَلْحَاجُ أَمَامَ السِّرِّ،

وَبَعْدَ الْكُتُبِ

الْحَاجُ يَفُوضُ أَمْرَ

الْمَعْنَى لِيَدِ اللَّهَبِ.

* رَقِصْ ضَوْءٍ يَأْخُذُ الْوَقْتَ إِلَى شَهْوَتِهِ،

وَالضَّفَافِ اسْتَسَلَمَتْ

لِهَوَى أَغْشَابِهَا.

- ش -

ساجراً من إمامة هذا الزمان،

ومما تراه العقول،

ومما تقول العلوم،

سأقول لكافور: أنت الإمام على الأرض،

خُذْها كما شئت،

واكتب

لرعاياك أقدارهم -

ما تقول النجوم وما يُعجزُ النجوم.

صوت الحلاج كناية

في طغيات الكون،

دم كوني،

ويعيش وحيداً

بين الأول والآخِر

لا يعرف أن يشبهه

باليَنبوع الدافق

منه، غير الشاعر.

* إن تجيء مرةً، وسريُّ اللهب

في انتظارك، لا تبتس.

الأساطير في بذئها بعد،

والشعر يبتكر المنقلب.

- ت -

- هل رأيتَ إلى بابِه؟

- فَضَّةٌ .

- وإلى عرشِه؟

- ذَهَبٌ خَالِصٌ .

- والتَّقْوَشَ وما حولَها؟

- حَجَرٌ أَسْوَدٌ كَرِيمٌ .

كيف لا تُوغِلُ المدائن في سُخْطِها؟

كيف لا تتناقَلُ أفواهُها

ما تقولُ سيوفُ صعالِكِها

لِلطُّغَاةِ وما لا تقولُ؟

ترك الحلاجُ فضاء

آخر، غثى:

ما أنهى

أن أولم ليلى

لنجوم المعنى

حيث الأرضُ سريرُ

والعائِقُ كؤُ.

* نُطْفٌ من هباء

تتقطرُ من ثدي

هذي السماء .

- ث -

أتمدّد فوق فراشي، أو أسيرُ أرى النَّاسَ،

لكن، لا تواصل - ماذا

لو أكرّرُ ما قلتهُ مرّةً:

«ليس في حاضر النَّاسِ أيُّ غريبٍ عليّ؟»

وأيّن هو الأَمْسُ كي أتأمّل في ما مضى؟

الصَّبَاحُ صديقٌ أبداً غائبٌ

في فراغٍ يُسمّى غداً.

أُتْرى وحده الشَّعرُ يكفي؟

قالوا،

سمعوا الحالّجَ يغني:

ما أبهى أن يتحدّثَ

عني لهبٌ،

ويطوفَ عليّ جنودٌ.

ما أبهى أن اتحقّقَ

أنّ الصُّورةَ كونٌ

تشرّد فيه

عنقاء المَعْنَى.

* مُسْرِجاً لِلرَّحِيلِ حِصَانِ الْأَلَمِ،

قلتُ مستدرِكاً:

لو أطعْتُ التَّوَهُّمَ، أسرجتُ هذا الهَرَمَ.

- خ -

لَا يُكْتَبُ الشَّعْرُ إِلَّا فِي مُشَافَهَةٍ

مع الغيوب، -

سأحيا في مخيلتي،

أُعلو، وأُستدرجُ المعنى، وأنتظرُ

لي منزلي خلف أسوار أكابدها

ولي جناحان: وَجْهُ الغيبِ والحجرُ.

نزل الحلاج خفيفاً

في بُرْكانِ الشَّوْقِ

من أعلى سرِّ

في درجاتِ الدَّوْقِ.

* أَيُّهَا المَعْطَفُ،

أَنْتَ يَا ذَلِكَ الغَيْمِ، كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ

تلبسُ جِسْمَ السَّمَاءِ، وَلَا تَعْرِفُ؟

- ذ -

مُقْعَدٌ، أَتْرَاهُ

جَاءَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ؟

يَتَرَاءَى كَمَنْ يَمْضَغُ الرِّيحَ،

أَوْ مَنْ يَجْرُ حَدِيداً.

آه، مَنْ أَيْنَ لِلشَّعْرِ أَنْ يَتَدَبَّرَ هَذَا الشَّقَاءُ؟

هَلْ أَقُولُ لَهُ: كَيْفَ حَالُكَ؟ لَكِنْ

رَبِّمَا كَانَ يَرْفُضُ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِي أَمْرِهِ

غَرِيبٌ،

رَبِّمَا كَانَ يُؤْثِرُ أَلَّا يَكَلِّمَ إِلَّا الْفَضَاءَ.

قالوا:

عرج الحلاج إلى

دُرُواتِ اللَّهِ

بلا معراج

من أعلى نوءٍ

في بحر الحب،

وَأَلْقَى

عظة الأمواج.

✽ عندما تخرج الشَّمْسُ من بيتها، شتاءً،

يأخذ الفجرُ منديلها

ويغطي به كتفيه.

- ض -

واهِنٌ في قرارة نَفسي
(أَوْ يُخَيَّلُ لي أَنني واهِنٌ)، وأَسْكُنُ
بيتاً جميلاً - هديّة كافور، لكن
هو، في ما يَرى الشَّعرُ،
أَوْهِنُ بَيْتٍ.

أَلبيوتُ هنا وهناك البيوتُ
لغةً في كتابٍ
كَتَبَتْهُ يدا عنكبوت.

قال الحلاج: «الليلُ
لشمسي وطنٌ
وحبيبٌ:
من أين، وأين،
وكيف تغيب؟».

* كيف أَرُوي حَرَجِي لِلَّيْلِ، هل أَبْقَى،
إلى أين أقوم؟
وأنا الشَّاردُ، لا أعرفُ من أينَ إلى أينَ
التخوم؟

- ظ -

أَنْتِ، وَجْهًا لَوْجِهِ
مَعَ تَبَارِيحِ هَذَا الزَّمَانِ وَأَشْرَاكِه .
مَعَ غَيُومٍ تَحْجُرُنَ :
مَاذَا يَقْلِنُ لِهَذَا الْفَضَاءِ ،
وَمَاذَا تَقُولُ؟ الْفَضَاءُ وَأَنْتِ
اتِّحَادُ صَدِيقَيْنِ فِي وَرْدَةٍ :

وردة - لَفْتَةٌ .

وردةٌ تَقْرَأُ الشَّمْسُ لِلْحَبْرِ أَفْلاَمَهَا
وَتَلَاوِيْنَهَا،

وَرْدَةٌ تَتَهَجَّى تَأْيِينَهَا .

قالوا:

سمعوا الحلاج

يقول - «لَفْطَةُ

اليوم كلاماً

كادت لغتي

أن تهرب

منه» .

* أَلَمْ لَيْسَ فِكْرًا وَلَا صُورَةً،

إِنَّهُ جَسَدٌ يَتَقَطَّعُ : هَلْ ضَرْبَةُ قَاضِيهِ

أَتَرْتَحِ فِيهَا - فِي ثُمَلَاتِي الْبَاقِيَةِ؟

- غ -

حَيَّةٌ؟ قُلْتُ يَوْمًا

أَحَبُّ الْغَوَايَةِ فِيهَا،

وَأَحَبُّتُ حَوَاءَ مِنْ أَجْلِهَا.

وَأَنَا مِثْلَهَا -

سَأَغْتَرِ جَلْدِي،

كَلَّمَا شَاءَ حَدْسِي:

مَا أَضَيَعَ الْقَصِيدَةَ

عِنْدَمَا لَا تَكُونُ الطَّرَادَ وَمِثْدَانُهُ وَالطَّرِيدَةَ.

قالوا:

«صلبوا أصحاب

الحلاج جميعاً»^(١).

❖ سوف أولم هذا القمر

لكواكب شعري،

وإذا جاء ليل غريب عليه،

سألودُ بشيطاني المنتظر.

(١) بينهم «حيدرة،
والشعراني، وابن منصور.
طولبوا بالرجوع عن مذهبه،
فأبوا. ضربت أعناقهم، ثم
صلبوا»

هوامش
(يوميات المتنبي)



III. رَضْد

١ - وداع

أَتَخِيلُ بَغْدَادَ، لَكُنِّي أُحْيِي
حَلْبًا، وَأُحْيِي كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - تَجْرَأُ
قُلُودًا لَأَرْضِكَ، لِلْعُشْبِ فِيهَا، وَلِأَشْجَارِهَا وَأَنْهَارِهَا.
قُلُودًا لِسُجَانِهَا، لِخَلِيفَةِ أَنْقَاضِهَا
وَهُوَ يُمْلِي عَلَيْهَا تَعَالِيمَهُ،
وَقَصَائِدَ غِلْمَانِهِ.
وَتَوَسَّلْ إِلَى غِيَمَةٍ تَتَفَيَّأُ فِي ظِلِّهَا.

قُلُودًا لِهَذَا التَّمْرِقِ، هَذَا الْأَلَمِ
وَأَزْفُرِ الْآنَ مَا خَطَهُ
فِي يَدَيْكَ وَفِي نَظْرِيكَ وَفِي خَطَوَاتِكَ وَاصْرُخْ:
لَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ
وَأَنَا مِثْلَمَا تَقُولُونَ: شَخْصٌ غَرِيبٌ
لَيْسَ لِي غَيْرُ هَذِهِ الدَّوَاةِ وَهَذَا الْقَلَمِ.

٢ - عجز

أَلرَّمَالُ التي غمرت وجهَ تلك البلاد التي جنّت منها،
ها هي الآن تَغْمُرُ وَجْهِي،
وأنا عاجِزٌ أن أُخَمِّنَ:
هَلْ يُكْنَسُ الرَّمْلُ،
أم سوف نُطَمَسُ؟ لا وَمَأَّةَ
مِن نَبْوءَاتِ حَيِّي.

سَأَقُولُ لتلك البلاد التي حملتني: لا شيء
يَنأى بقلبي عَنِ الْمَوْتِ، إِلَّا هَوَاهَا
وأقول لتلك البلاد التي حملتني: لا خَيْطٌ
يُربطُ بيني وبين المدائنِ
إِلَّا اسْمُهَا.

٣ - اطمئنان

قُلْ كما شئتَ عَنِّي :

أحمقٌ ،

وأعني لأيةِ جَنِيَّةٍ ،

وأفوضُ نفسي لأهوائِها .

قُلْ كما شئتَ عَنِّي :

يَدِي مِنْ غُبَارِ

وروحِي تَبَابٌ .

غيرَ أَنَّكَ لَنْ تعرفَ الوَرْدَ إِنْ كُنْتَ تجهلُ عِطْرِي ،

ولَنْ تعرفَ اللانهايةَ ،

إِلَّا إِذَا كَانَ شِعْرِي

بَيْنَ الدُّرُوبِ إِلَيْهَا .

٤ - غراب

كيف أخرجُ من بيتي المنيّت؟ لكن
أين أخرجُ؟ موتٌ
حيثما دارَ وجهي .

ألقناديلُ تطبقُ أجفانها
والدقائقُ هؤلّ وفنك .

أيُّ هذا الغرابُ الجميلُ النَّقيّ
لِمَ لا تُشرعُ الأفقَ باباً إليك ، وتُعطي
للمكانِ وللخطواتِ وللريحِ ميراثك الكوكبيّ؟

٥ - كآبة

لم أكن مرّة
مثلي، اليوم. هذا القرنفل شوك.
ودفلى
هذه الياسمينّة. والأرض تبدو كجبانة.

جبل من هباء
جائت فوق صدري.
لا ريف لأني جناح
في الحقول التي حرثتها تواريخنا
ولا ريح في الأشعة.
والفروقات مطموسة:
من ترى يعرف الآن،
أين الوجوه، وأين هي
الأقنعة؟
سألود بشعري، -
أشمم أعضاء
وأنام على زنده.

٦ - رحلة متخيَّلة

هذه الخيلُ التي تُقبلُ . أمضي . إنها تبحث عني ،
أين أمضي ؟

أُعْطِينِي عَشْبَ ؟
أَيُّاويني بيت ؟
أصديقُ يظهر الآن ويعطيني يديه ؟

ليس لي إلَّاكَ يا هذا الضياءُ
أَتَقْرَى غَدَّكَ الضَّارِبَ في صحرائه ،
وأرى شمسي فيه ، -

هوذا أعطيتُ جسمي
لتقاليدك واستعصمتُ بالخيِّطِ
الذي يغزلُه وجهُ الفضاء .

٧ - احتفاء مُتَخَيِّل

لن أقولَ لهذي الحشودِ التي تتجمّع حَولي
وتهتفُ بِاسْمِي : أنا رأسُها،
والأمينُ عليها.

لن أقولَ لكم أن تكونوا لِرَأْسِي
تاجَ قولٍ، ولا تاجَ غارٍ.

لن أقولَ لكم إنني نشيدُ لأَيِّ
مِن فتوحاتكم
أو بطولاتكم.

سأقولُ لكم إنني خائِنٌ - خائِنٌ
لِمعاييركم وتعاليمكم.

٨ - تحرُّر

أَتَحَرِّزُ مِنْ سَجَنِ جَسْمِي، وَأَسْأَلُ حَرِّيَّتِي :
أَأَنَا الْآنَ نَفْسِي، أَمْ غَيْرُهَا؟
أَأَنَا قَبْلُ أَمْ بَعْدُ، أَمْ بَيْنَ بَيْنَ؟ الثَّيَابُ تُدَاهِنُ،
وَالشَّكْلُ طَيِّفٌ.

لَا طَرِيقَ سِوَى الْقَلْبِ نَحْوِ الْأُلُوهَةِ وَالْحَبِّ،
نَحْوِ التَّحَرُّرِ،
فِي مَا وَرَاءَ الْجُسُومِ، وَفِي مَا وَرَاءَ الْعُقُولِ.

حَرِّرُوا فِي الْقُلُوبِ يَنَابِيعَهَا
وَاتْرَكُوهَا تَفِضُ
كِي يَفِضَ الْمَكَانُ بِآلَائِهَا،
وَتَفِضَ الْفُصُولُ.

٩ - رحلة متخيَّلة

هل أُصدِّق؟ بغدادُ تغفو وتنهضُ في خاتَمٍ .
زُرْتَهَا أَمْسٍ مِنْ حَلَبٍ ، في منامي . كانت
ناقَةَ ضَخْمَةٍ
تَمُوتُ على صَدْرِ طِفْلٍ .

رُحْتُ في كُلِّ حَيٍّ أَجْسُ غُبَارَ الدُّرُوبِ ،
وَأُصْغِي إلى اللَّيْلِ ، أَصْغِي
لَمَّا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ جِدَارٌ
وَتَكْتُمُ أَسْرَارَهُ مِثْلَهُ .
هكذا في منامي

كنت أَسْتَفْسِرُ المَاءَ عَنْ مَوْتِ بَغْدَادَ ، أَمْشِي
وَأُخْبِطُ ، أَقْتَصُّ آثَرَ حُبِّي
وَأَحْتَضِنُ النَّاسَ وَالْأَمَكَةَ .

١٠ - استباق

أَمْشِي، أَسْأَلُ دِجْلَةً:

مَنْ ذَلِكَ الرَّسَامُ يَغْرُزُ فِي جَبِينِكَ

رِيشَةً لَا لَوْنَ فِيهَا؟

فَمَكَ الْمَلِيءُ بِحَشْوِهِ، فَقَدَ الْكَلَامَ،

فَمَنْ يُعِيدُ لَكَ الْكَلَامَ

أَلرَّيْحُ فِيكَ عَلِيلَةٌ

وَالْمَوْجُ أَشْبَهُ بِالْحُطَامِ.

مَنْ ذَا يُضِلُّ فِيكَ حَتَّى الْمَاءِ؟ مُبْتَهَجاً،

أَمْدُ يَدِي

إِلَيْكَ. يَدِي سَوَالٌ، وَيدَاكَ مِنْ عَلَتِي وَطِينُ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذُرُوءُ الدُّنْيَا وَأَسْفَلُ سَافِلِينَ.

IV

فاصلة استباق

فجأة،

ضجيج من جهة الغيب

هل نستجيب؟ ندخل تحت قبة هذا

المكان مرفوعة كسقف عائلي منقوشة بأعناق

كأنها التخاريم

خيوطاً في هذا البساط المتآلف من اللحم

خطوطاً على الحجارة

بقايا أطلال.

كلاً لم تكن ترسم أيها الشاعر كنت ماحياً يقول

صديقك الذي لا تعرف اسمه والذي ينتظر شكلاً

القوس وانحناء الواو فيما يرى ملاكاً يرفع يديه

ليبارك العساكر ويقدم لها بقول الروح في

إيقاعات خوذ وأنصال لها هيئة الوحي

وتجلس حول الموائد

خشوعاً خشوعاً

السَّماء تنزل وتجلس هي كذلك تتأمل كيف يتوحَّشُ

النبات الإنسيّ كيف تخرج الحيوانات الجائمة في أرحام

الكلمات كيف وجد القتلُ طريقَه إلى مكانٍ رأى الله

صورته فيه وقال حسنُ هذا

وها هي تُصغي إلى شفاءٍ بهيئة الأرجل تصدح بخطبةٍ

الأزمنة تستطيع أن تواكبها أينما توليت أن ترى

إليها تعرجُ وتحدودب ترقص وتغني لا تقل إنها

تتصنع قل إنها تمومي طربَ العصر

عند ذلك المنعطف

رأسُ نزل عن كتفها

وأخذ يتنبأ

من أحشائه تخرجُ طفولةُ الرصاص .

الدَّم ساعة رملية

والرياحُ جنائزُ عائمة .

الذاكرة

٣١١هـ.

كن وزيراً^(١)

لِتسقي سَمًا

أو لتشرب

سَمًا:

قِسْمَةٌ شَاءَهَا

مَنْ يَقْسُمُ

رِزْقَ الْعِبَادِ

بِاسْمِ هَذِي

الْبِلَادِ.

- أ -

رَجُلٌ مُوْتَقٌّ بِجِرَاحِ تَوَارِيخِهِ.

رَجُلٌ يَتَرَسَّبُ فِي قَاعِ أَوْهَامِهِ، رَجُلٌ عَائِمٌ

رَجُلٌ هَائِمٌ

يَتَخَيَّلُ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى أَرْضِهِ وَإِلَى بَيْتِهِ

حُفْرَةٌ يَتَنَاقَرُ فِيهَا شَطَايَا.

رَجُلٌ مِنْ صَحَارَى، رَجُلٌ مِنْ نَخِيلٍ

هُوَذَا الْمَاءُ يَدْخُلُ فِي قَبْضَةِ الثَّارِ،

وَالْأَرْضُ تَرْتَجِلُ الْمُسْتَحِيلَ.

* فَرَحُ الشَّعْرِ أَوْجٌ

لِتَبَارِيحِهِ.

(١) الإشارة إلى حامد بن عباس، وزير المقتدر، وقد قتلته هذا الأخير بالسِّمِّ في بيض مشوي. وحامد هو الذي دُبِّرَ مقتل الحلاج.

ما نقولُ لمن

مرٌّ في

فلوات التفكر

في الدين والكون،

أو من تشكك

أو من مرّق؟

ورق عاشق،

رماد

ذهب سائل

في رماد الورق:

إنها المحرقة،

تنقلب فيها

كتبُ الزندقة^(١).

- ب -

أعرفُ الآنَ غُزِّيَ الطَّريدِ الذي يتدَثَّرُ بِالكلماتِ،

أعرفُ الآنَ ليلَ الدُّروبِ

التي تتمرّق في ريحها حياتي، -

واضعٌ في كثافةِ هذا الظلامِ

كبدي شمعةً

واضعٌ كلماتي طريقاً -

جسدي مثلُ عَصْفٍ

والزَّمانُ الرِّكامُ.

* كلما راح فكري يُسافر في جرحي الأولِ،

يتمرّق، يصرخُ بِاسْمِي: واهاً عليّ،

وويلي من جرحي المقبلِ.

(١) يُروى أنّه في هذه السنة،
«أُحرق بالنار على باب العاعة
في بغداد، مثنان وأربعة أعدل
(أكياس) من كتب الزنادقة،
سقط منها ذهبٌ كثيرٌ كانت
مُحلّةً به». والوزير حامد بن
عبّاس هو الذي أمر بإحراقها.

- ١ -

يا أبا طاهر^(١)،

أثرى يمكن الذين أن

يتقدم كالثار؟ ماذا

تقول لعاء الجوارح، للحب،

للكلمات التي يتفتح فيها

الجلد؟

ما مشترك يضر في

بصرة الظلمات،

وأية أشودة

سُغّي غداً

لطفولة هذا البلد؟

- ج -

لم أقل مرة: كتبت وأكتب،

حتى يزول الشقاء من الأرض.

أكتب كي أتواصل مع ذلك الذي يتأصل

في، مع الريح - أمّا له، تتقلب عريانة،

في سرير الهباء،

ولها اللانهاية ذرب.

لم أقل مرة:

إنني أتناسل في رجم الأبجدية

إلا لغير الغناء، وإلا لوجه الغناء.

* أتراني أسير هبوطاً إلى آخر الجحيم؟

أتراني رجيم

وأختط للآخرين المسار الرجيم؟

(١) «دخل أبو طاهر الجنبلي أمير الفرامطة البصرة في ألف ومبعدة فارس. هرب أكثر الناس. ألفوا أنفسهم في الماء. مكث فيها سبعة عشر يوماً، يقتل الزنجال، ويأمر النساء، ويأخذ ما يختار من أمر به».

أَتُتَمِي؟ لَا لِشَيْءٍ سِوَى الشُّعْرِ. لَا شَيْءٌ
يُؤْوِيكَ. سَكُنِي أَنْ تَكُونَ ضِياعاً. وَبَدءُ
أَنْ تَكُونَ الْخَتَامَ وَمَزْمَارَهُ وَنَشِيدَهُ.

آه مَا أَبْعَدَ الْيَوْمَ دَرْبَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ
أَنْ يَسْكُنُوا فِي الْقَصِيدَةِ.

هَرَبَ الْبُصْرِيُّونَ
وَأَلْقَوْا، مِنْ خَوْفٍ،
أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَاءِ
كَيْ يَتَأَخُّوا
مَعَ لَيْلِ الْأَشْيَاءِ.

* غَابَةٌ ذَبَحَتْ طَيْرَهَا
كَيْ تَرَى فِي دَمِ الْمَذْبَحَةِ
كَيْفَ يَجْتَرُّ رَأْسُ الطَّبِيعَةِ ذَاكِرَةَ الْأَجْنَحَةِ.

- ٣ -

يا أبا طاهر،

أنت من قال للناس:

عندي

زمن آخر كي نعيش على

الأرض،

أو نسكن السماء،

فلماذا، إذذ،

يفعل القرمطي كما

يفعل الخليفة:

يستعبد الرجال،

ويسبي النساء؟

- ه -

سأغنيك، أيتها الصّاعقة

وأحبك، إن جئتني اليوم في هذه

الظلمات - هنا، الآن، واشتدّ

عصفك في خطواتي، وعلمتها

كيف تخرج منك، تُرّد إليك،

وتُخلّق في نارك الخالقة.

سأعلم جسمي

كيف يجتاح زنديك، أيتها الصّاعقة.

* نهض الفجر قبلي، ولكن

عندما راحت الشمس تولم أضواءها

لموائد بين يديه،

أخذتني في غريها إليه.

فوق صَحْنٍ من الضَّوءِ، قبل الشُّروقِ،
ارتَمَيْتُ، وأَقْسَمْتُ أَنِّي
سَأَزُورُ البلادَ التي لَمْ تُزَرَ.
قُلْتُ لِلشَّمْسِ: ما زِلْتُ أُبْجِرُ في حوضِكَ
النَّيْرُكِيِّ،
(كان قلبي غاراً ورأسي من حدسه،
في جحيم).

هكذا رَحْتُ أَهْذِي

فوق صَحْنٍ من الضَّوءِ، قبل الشُّروقِ، وأصْغِي
لنداءٍ من الغيب يَأْتِي ويذهبُ منها إِلَيَّ.

* قَدَمُ الشَّمْسِ تلمسُ قَنْطَرَةَ الياسمينِ على
البابِ، أسمعُ بين الزَّهورِ هَسيساً،
وأَرَى مُخْدَعاً
يتَغَطَّى
بأواخرِ أحلامِهِ.

الذاكرة

١٣١١ هـ

- ٤ -

جيشك آخر بين

جيوش

لا نعرف غير القتل

وغير النهب:

الرأس خنيفة فلك والأفكار
بغور.

الذاكرة

٣١٢هـ.

- ٥ -

يا أبا طاهر^(١)،

هل أَسْرَتَ الحَجِيجَ،

نساءَ الحَجِيجِ وأبناءهم،

هل تَمَلَّكَتْ أموالهم،

ومَلَّكَتْهم لِلضِّياعِ،

كي تُعَمَّرَ قَفْرًا،

أو لكي تُطْعَمَ الجِيعاءُ؟

- ز -

أَتَخَيَّلُ أَنِّي صَنَعْتُ مِنَ الضَّوءِ مُهْرًا،

وَيَمَّمْتُ وَجْهِي شَطْرَ المَدِينَةِ -

تلك التي لا نراها،

(قُلِ السِّرُّ تَارِيخُهَا وَالْهَيَامُ).

أَتَخَيَّلُ أَنِّي سِرْتُ إِلَيْهَا

وليس أمامي طريقٌ.

أَتَخَيَّلُ: أَصْهَرُ مَا كَانَ فِي مَا يَكُونُ،

وقل مَعْدَنِي حُرُوفٌ

وقل أَرْضِي الكَلَامُ.

* بَلَدٌ مُقْفَلٌ

جِسْمُهُ ذَائِلٌ مَقِيمٌ

وشرائينه تَرْحَلُ.

(١) في هذه السِّتة «قتل أبو طاهر القرمطي خُلُقًا كثيرًا من الحَجِيجِ، وأسر من نساءهم وأبنائهم من اختاره، واصطفى من أموالهم ما أراد، وتركهم في الفياضي بلا ماءٍ ولا زادٍ ولا مخمل».

الذاكرة

٣١٢هـ.

- قي قياقو!

آه من زُنْدَقَاتٍ^(١)

الذين ينامون مثل

الذئاب،

ويستيقظون كمثلي

النعاج،

يقرأون الكتاب الكريم

بخزف الدجاج!

- ح -

أفحص وجهي في مرآتي

(مرآتي ماء)

وأرى كيف يسيل العمر، وكيف يذوب،

ويمزج في موج الأيام

وأقول لجفر تجاعيدي:

قل لي -

أهناك مكان في عيني

لغير سراي؟

أهناك مكان للأحلام؟

* لا أحب الوصول إلى قاع يآسي،

لا هروباً، ولكن

لا أعود أرى في الوجود المحيط،

وما يتبطن

أحواله،

غير نفسي.

(١) في هذه السنة، ضربت
كما يُروى «رقاب ثلاثة من
أصحاب الحلاج، وضلّبو».

وكان يُقال عنهم: «قي
قياقو! قي قياقين! زنادقة
يقرأون القرآن بحرف
الدجاج!».

الذاكرة

٣١٣هـ.

يا أبا طاهر^(١)،

هل تنوزت في

الكوفة، اليوم، أحزانها؟

ولماذا إذن عثت فيها -

اعتقلت خطايا

ومزقت أردانها؟

- ط -

وَطَنُ؟ هل أَسْمِيهِ؟ يَأْتِي الشَّعَاعُ

إِلَيْهِ .

وفي عُنْقِهِ صَخْرَةٌ .

وتجيء القصائدُ مَخْنُوقَةً .

قَطَعُ من حياتي

تَتَنَاقَرُ في كُلِّ دَرْبٍ،

أَتُرَاهَا تَمَثِّلُ حَالِ الْوَطَنِ؟

أَتُرَاهَا سَتَعْدُو ثَقُوباً

في رداء الزَّمنِ؟

* ذَابِلُ لَيْلٍ هَذَا الْخَرِيفِ عَلَى النَّيْلِ،

وَالرَّوْحُ صَفْرَاءُ لَا تَتَحَرَّكُ، لَا تَنْبَسُ .

أَهْ مِنْ أَيْنَ صَبْرُكَ، يَا أَيُّهَا اللُّوْتُسُ؟

(١) في هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي «إلى الكوفة . أقام فيها شهراً، يأخذ من نسايتها وأموالها ما يختار» .

الذاكرة

٣١٥هـ.

يا أبا طاهر،

أَسْرُكَ الْجُنْدُ^(١) شَيْءٌ

وَقَتْلُكَ إِيَّاهُمْ، آخِرٌ.

أَنْتَ مِنْ طِينَةِ الْخَلِيفَةِ

سَارِقٌ بَيْتَهُ فِي خَفَاءٍ

أَكَلٌ فِي خَفَاءٍ رَغِيقَةٍ.

كَلَّ مَا قُلْتَهُ صَحِيحٌ

أَوْ يَكَاذُ. وَلَكِنْ

مَا عِلَاقَةُ مَا قُلْتَهُ

بِمَا تَفْعَلُ؟

أَنْتَ، مِثْلَ الْخَلِيفَةِ:

مَاضٍ كَغَيْرِكَ،

وَالضُّوءُ وَالْحَقُّ

مُسْتَقْبَلٌ.

- ي -

لَا تَلُمَّهُ، إِذَا كَانَ جَدَفَ، -

صَلَّى لِأَهْوَائِهِ،

حَاضِئاً فِي تَجَادِيفِهِ

حِلْماً أَوْ رَجَاءً.

لَا يُجَدَفُ إِلَّا

مَنْ يُحِبُّ السَّمَاءَ.

* لَا طَرِيقَ

إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْيُهَا

طَرِيقاً إِلَى غَيْرِهَا.

(١) في هذه السنة، «أسرَّ القرامطة يوسف بن أبي الساج أمير الجيش، ثم قتلوه، وقتلوا خلقاً كثيراً من جنده».

- ك -

الذاكرة

٣١٦هـ.

إنها المائدة، -

(الكلامُ حرائقُ، والروحُ عجفاءُ،

والرأسُ في غَيْهَبٍ).

- ١ -

خَزَبُ الْمُوصِلِ^(١)

والمدائنُ من حولها

ناهباً سالباً قاتلاً.

- ٢ -

راح يدعو لمهديه:

إنه الشرقُ يدعو إلى

غُزِيهِ،

البشائرُ خضراءُ،

والناسُ يأتونَ

فوجاً ففوجاً إلى

جُزِيهِ.

* عقله مُخطئُ

وكرسيُّه مُصيبُ:

البلادُ انحناءُ لَهُ،

ولدولابه.

مؤنس الخادم^(١)

عائذ، رافعاً نصرة

بيرقاً عالياً،

ويصفق للنصر

جاهل بغداد والعالم.

يتقدم - أسراه

كثر

نكسوا كل أعلامهم،

كاتبين عليها:

«ونريد أن نمزج على الذين
استضعفوا في الأرض».

- ل -

نخلتُ حَصَنَتِي، كان المغيث

يُنحني فوق سُلَمِ إيقاعه.

وجلسْتُ أسامِرُ أغصانها

في ضياءِ هلالٍ

وَشَحَنَتِهِ غَيُومٌ لَمْ تُفَارِقْ تَقَاسِيمَهُ.

وأخذتُ أَقْصَ عليها

بلداً ليس فيه

مَنْ يُسَأَلُ أَوْ مَنْ يُجِيبُ.

هل كلامي غصبي عني الفهم،

هل من سؤالٍ

أيُّ هذا الهلالُ الغريب؟

* مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ فِيَّ؟ تُرَانِي
لَمْ أَعِدْ أَحَشُّ الشَّيْءَ، بَلْ وَهْمَهُ؟
نَاشِئاً هَكَذَا شِرَاعَ رَحِيلِي
فِي مَحِيطَاتِ ظَنِّي.

(١) في هذه السنة «انكسر
القرامطة. هزمهم مؤنس
الخادم. أسر طائفة كبيرة من
أشرافهم. دخل بهم مدينة
السلام وأعلامهم منكسة كتب
عليها: ونريد أن نمزج على
الذين استضعفوا في
الأرض».

- المُرَاد: الجلوسُ على العرش^(١).

- كلاً، المُرَاد الشُّفَاعَةُ.

حرب

بين رأيين - فقهيّين.

قَتْلَى.

إنّها آفة البَقْعَةِ:

يجعل من كل حَرْفٍ

في الشريعة

سِتِيفاً

وسجناً.

- م -

عَلَّمِينَا هَوَاكَ، خُذِينَا لِأَحْضَانِكَ الْحَانِيَّةَ
أَنْتِ، يَا هَذِهِ الْهَآوِيَّةَ.

يَنْبَغِي أَنْ نَسْأَلَ مَعْنَاكَ

عَنْ طِينَةِ ثَانِيَةٍ،

كَيْ نَرُدَّ إِلَى الْأَرْضِ أَزْهَارَهَا

وَأَشْجَارَهَا

وَيَنَابِيعَهَا،

وَنَرُدَّ إِلَى النَّاسِ أَشْكَالَهُمْ.

* الْإِنْسَانُ كَلَامٌ

خَيْرٌ أَنْ يَتَنَاطَرَ بَيْنَهَا

فِي دَفْتَرِ حَبٍّ.

(١) الإشارة إلى فتنة وقعت في بغداد بين طائفة من العامة، وأصحاب أبي بكر المروزي الحنبلّي، لاختلافهم في تفسير الآية. «عسى يبعثك ربك مقاماً محموداً».

وقيل: «مات في هذه الفتنة خلقٌ كثير».

- «اقتلوا»^(١) ذلك المسمى

أميراً،

حزروا مكة

من خرافاته.

اقتلوا أهله.

واقتلوا جنده -

اهدموا الكعبة:

الطيور الأبايل

أوت لأعشائنها،

وحجارة سجيل

رمّل.

«أنا إله، وبالله أنا

يخلق الخلق

وأفنيهم أنا».

- ن -

إِنْ أَتَى، يَا يَنَابِيعَ حَبِّي

مَنْ يُسْأَلُ عَنِّي، قَوْلِي:

مَرَّ مِنْ هَا هُنَا

لَمْ يُبَخَّ بِاسْمِهِ،

وَلَمْ يَتَوَقَّفْ.

عَالَمِي؟

إِنَّهُ خُطَوَاتِي

نَحْوُ مَا لَا أَرَى كَيْفَ يَأْتِي،

وَلَا أَيْنَ يَمْضِي.

* ليس في العقل سرٌّ

إذا لم يكن نشوة.

(١) الكلام للفرمطيني

الجنائني، مشيراً إلى الخُجاج.

والبيت الأخير يُنسب إليه.

- ١ -

بعد أن عَزَلُوهُ^(١)

أَحْرَقُوا دَارَهُ:

تَكْتَبُ النَّارُ مَا يَغْجِزُ

الْجَبْرِ عَنْهُ،

فَلَهَا جَبْرُهَا

وَلَهَا خَطُّهَا

وَلَهَا وَرَقٌ تَتَقَلَّبُ

فِيهِ الْبِلَادُ

بَيْنَ غَزَفِ الرِّيحِ

وَأَنْشُوءِ الزَّمَاذِ.

- س -

لِتَجِيْ كُلُّ تِلْكَ الْبَرَائِكِ، مِنْ أَوَّلِ الْأَرْضِ،

مِنْ آخِرِ الْأَرْضِ، وَلِتَتَفَجَّرَ

فَوْقَنَا،

فَوْقَ سُلْطَانِنَا وَالْعُرُوشِ الَّتِي

تَتَنَاسَلُ فِيهِ،

تَتَنَاسَلُ مِنْهُ.

مَا الَّذِي تَخَسَّرُ الْأَرْضُ

إِنْ لَفَظْتَ قِيَحَهَا؟

* قَدُمُ الضَّوْءِ تَسْخَرُ مِنْ كُلِّ قَيْدٍ،

وَمِنْ كُلِّ حَدٍّ.

(١) الإشارة إلى الخطاط

المشهور علي بن مقله، وكان

وزيراً للمقتدر. مات ابن مقله

سنة ٣٢٨هـ في السجن، بعد

أن قُطعت يده اليمى، وقُطع

لسانه.

- ٢ -

قطعوا يده واللسان^(١):

لماذا الكتابة، ما

شأنها؟ ولم الخطُ

والثُّطُّ؟ يهربُ

في زِي مُكْدٍ

أو بزِي امْرَأَةٍ -

ولِى أين؟

يُطْرَحُ في السَّجَنِ.

للموت. لا نطق:

ألفاظُهُ تَمْتَمَاتُ

وإعرايه مُومَأَةٌ.

- ع -

أَتَقَدَّمُ فِي ظُلُمَاتِ الْمَعْنَى

فِي عِيدِ الْمَوْجِ، وَأَرْسُمُ دُونَ حُدُودِ

شُطَّانَ الْمَعْنَى.

أَتَطَوِّحُ فِي هَاوِيَةِ الْمَعْنَى

طِفْلاً يَلْهُو

وَيُدْحَرِجُ مِلْءَ هَوَاهُ

كُرَّةَ الْمَعْنَى.

(١) الإشارة إلى ابن مقلة

وقد سبّل عبد الله بن
الزبجي الكاتب.

- ما تقول في خط ابن
مقلة؟

قال:

- «ذاك سبّي فيه. أفرغ
الخطُ في يده، كما أوحى إلى
النحل في تسديد بيوته».

* لا اكتشاف ولا ذُرُوات

دونَ رَفْضٍ وَهَدْمٍ.

- ف -

لِمَ لَمْ يَفْهَمُونِي؟

لَا أُطَالِبُ بِالْمُلْكِ . مُلْكِي

أَنْ أُرَدَّ إِلَى الْأَرْضِ فِطْرَةً إِبْدَاعِهَا -

الْأَرْضُ بَيْتٌ

لَيْسَ فِيهِ عَبِيدٌ وَلَا سَادَةٌ،

وَمُلْكِي

أَنْ أَسْأَلَ نَفْسِي :

مَنْ أَنَا؟ وَلِمَاذَا؟

سُمِّيَ الْمَتَنَبِيُّ شَبَّاحٌ فِي؟ شَمْسُ

لَا تُصَدِّقُ حَتَّى قَنَادِيلِهَا .

لِمَ لَمْ يَفْهَمُونِي؟

- ١ -

مُؤْنِسٌ^(١) يَتَوَلَّى

شُؤُونَ الْحَجِيجِ،

يَسِيرُ إِلَى مَكَّةَ

فِي كَثِيفٍ مِنَ الْجَيْشِ .

خَوْفًا أَنْ يَصِيدَهُمُ

الْقِرْمَاطِيُّ

نَهَجُوا فِي الْمَسِيرَةِ

نَهَجًا خَفِيًّا

فِي شُعَابٍ وَأَوْدِيَةٍ

لَمْ يَزُرْهَا

أَحَدٌ قَبْلَهُمْ .

* زَهْرَةٌ

تَشْرَبُ الْخَمْرَ مِنْ جَوْفِ نَجْمٍ .

- ص -

وردةً تتنهدُ، كفايَ طَلٍّ

يتقطرُ مِنْهَا.

تنهدُ: آهاتها

أَرْجُ صاعِدٌ.

تنهدُ - فيها

يتكثفُ صيفُ الحياةِ الخريفُ الشتاءُ

الرَّبيعُ، ويجنحُ كُلُّ إلى حلمِهِ،

وإلى بيتِهِ.

وردةً تتنهدُ، لَيْتَ السَّمَاءَ

تنحني كي تلامسَ هذا البَهَاءَ.

- ٢ -

فاجأتُ مؤنساً

عجائبُ، قالوا

لم يروا مثلها:

عظامُ ضخمةٌ لذكورٍ

وإناثٍ، جميعاً

مُسَخَّوْا في حجارةٍ

لا تُطيقُ العبارةُ

وَضُفّاً لأحوالهم،

ولا تصدُقُ العبارةُ.

* آه، لو شعلَةٌ مِنْ شَواظِ التمرُدِّ.

لو شعلَةٌ واحدَه

تتوهَّجُ في هذه الأبديةِ، في أرضنا الباردة.

إِنِّهَا وَخَدْتِي -

لَا لِأَنْتِي شِخْتُ تَزْدَادُ عَمَقًا.
لَا لَخُسْرَانٍ مَا كُنْتُ رَاهِنْتُ أَنْتِي
سَأَرْفَعُ رَايَاتِهِ.

- ٣ -

حملوا ما استطاعوا
وجاؤوا به للخليفة
كي لا يكذب ما
شاهدوه،
وقالوا:
إنهم قوم عادٍ
أو شعيب،
وقالوا:
ربما من ثمود.

لَا لِحَلْمِي - أَسِيرًا

لَوْقَائِعَ مِنْ كُلِّ طِينٍ.

وَخَدْتِي أَنْتِي الْمَبْعَثُ فِي هَذِهِ الْفَلَاةِ
الَّتِي سُمِّيَتْ حَيَاءً.

* الْغَيُومُ

تَقْصُصُ

عَلَى مَاءِ عَيْنِي صَحْرَاءَهَا.

رُبَّمَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ

لِأُقَدِّمَ قُرْبَانَ تَقْوَى

لِسُلْطَانِنَا، وَلَكِنْ

أَتُرَاهُ سَيَرِضَى وَيَعْفُو،

إِنْ ضَعُفْتُ، وَتُبْتُ، وَأَعْطَيْتُهُ طَاعَتِي

وَذَبَحْتُ خُرُوفًا لَهُ؟

سَأَقُولُ لِرِضَايَ

أَنْ يُفَكِّرَ فِي أَمْرِهِ .

- ١ -

جاءه^(١) مؤنس

وبقية غلمانه .

أخرجوه، أخرجوا أمه

وأولاده .

وقالوا: سُبَّاحُ

من بعده أخاه .

فشلوا،

جاء أعوانه

وأعادوا له عرشه .

* أَخَذَ اللَّيْلُ آخَرَ مَا يَعْرِفُ الْفَجْرُ

عَنِّي،

مَنْ أَنَا الْآنَ؟

لَا الْفَجْرُ بَيْتِي، وَلَا اللَّيْلُ مَنِّي .

- ٢ -

فقهَاء يرفعون المصاحف

والتأس من حوله.

قال: مَنْ جَاءَنِي بِرَأْسِ

فَلَهُ خَمْسَةٌ^(١).

وَمَنْ جَاءَنِي بِأَسِيرٍ،

فَلَهُ عَشْرَةٌ.

- ش -

قَلْتُ، فِيمَا أَسْأَلُ نَفْسِي، تُرَى

هَلْ تَكُونُ لِي الْقَاهِرَةَ

أُفُقًا آخَرًا، وَهَوَى آخَرًا -

وَنَسِيتَ الزِّيَاحَ.

رَبِّمَا يَنْبَغِي الْآنَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الْمَاكِرَةَ

كِي أُجِيبَ،

وَكِي أَسْتَجِيبَ لِظَنِّي، أَنْ أَسْأَلَ الْجِرَاحَ.

* لَا أَرَى الثُّورَ بَيْتًا،

أَرَاهُ رَحِيلًا.

(١) خمسة دنائير، والكلام
للخليفة المقتدر، يخاطب
أنصاره مشجعاً إياهم على قتل
خصومه، وقطع رؤوسهم،
ووضعها بين يديه.

- ت -

أَقْرَأُ النَّيْلَ ، فِيمَا يَنَامُ
عَلَى سَاعِدِ السَّمَاءِ ، وَأَسْأَلُ :
مَا أَنْتَ يَا هَذِهِ السَّمَاءُ
وَمَاذَا يُؤَالِفُ مَا بَيْنَنَا؟

ولماذا،
عندما أَتَنَوَّرُ مَسْرَاكِ
يَسْوَدُ وَجْهُ الْفَضَاءِ؟

* زَمَنْ يَأْخُذُ الْأَرْضَ مِنْ عُنُقِهَا
يَتَقَدَّمُ فِي جُنَّةٍ
وَيُحِبُّ التَّنَكُّرَ فِي شَكْلِ جِنَّ.

الذَّاكِرَةُ

٣٢٠هـ.

- ٣ -

حَشْدُ جَنْدٍ يَقُودُهُمْ
مُؤَنِّسٌ .

هَجَمُوا ، طَوَّقُوهُ :

- أَأَنَا ، وَيَلَكُمْ؟

- أَنْتَ إِبْلِيسُ ،

فَاسْجُدْ .

ذَبَحُوهُ ،

قَطَعُوا رَأْسَهُ ،

رَفَعُوهُ فَوْقَ الرُّؤُوسِ ،
ابْتِهَاجاً .

الذاكرة

٣٢١هـ.

- ١ -

- «طَيَّبُوا الْحَانِطَيْنِ عَلَيَّ»^(١)،

وَهُوَ حَيٌّ، وَلَكِنْ

أَكْثَرُوا الْكُلْسَ.

هَبَا، وَادْبَحُوا ابْنَ

بُلَيْقٍ»^(٢).

دَبْحُوهُ،

وَضَعُوا رَأْسَهُ

فَوْقَ طَسْتٍ

أَمَامَ أَبِيهِ»^(٣).

- ث -

مَنْذَأَنْ سَكَنَ الْحَبُّ قَلْبِي،

لَمْ يُنْزَلِ اللَّيْلُ

عَنْ كَتْفِي

حَقَائِبَ أَسْفَارِهِ.

أَلْهَذَا،

نَهَضَ النَّيْلُ كَيْ يَشْرَبَ، الْيَوْمَ،

عِنْدِي شَايَ الصُّبَاحِ،

بَلَا مَوْعِدٍ؟

* إِنَّهُ الضَّوءُ يَجْهَلُ أَسْرَارَ لَيْلِي،

وَأَنَا عَاشِقٌ جَهْلُهُ.

(١) الإشارة إلى ابن المكثي.

(٢) علي بن بليق.

(٣) بليق. وكان القاهر بالله هو الخليفة آنذاك، أبطل الخمر والغناء، «ونفى المخانيث وكسر آلات اللّهُو. وكان مع ذلك لا يصحو من الشُّكْرِ، ولا يفتقر عن سماع الغناء».

- خ -

عَتَبَاتُ الْأَرْزَقَةِ فِي حِينَا

حَجَرٌ مِنْ حَنِينٍ

حَجَرٌ مِنْ بُكَاءٍ،

وَالنَّوَافِذُ مَنْقُوشَةٌ بِالْغَضَبِ .

آه، مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لَوْجَهِي

إِلَى أَيْنَ تَمْضِي بِقَلْبِي،

يَا رَسُولَ التَّعَبِ؟

الذاكرة

٣٢١هـ .

- ٢ -

حِينَ قَتَلَ رَأْسَ

ابْنِهِ،

بَاكِئاً،

دَبْحَوْهُ^(١) .

- ٣ -

أَخَذُوا مُؤْنَساً

وَضَمُّوا لِرَأْسَيْهِمَا

رَأْسَهُ .

* زَمَنْ عَنكِبُوتْ

يَلُمُّ الْخِيوطَ مِنَ الشُّعْرَاءِ،

وَيَنْسِجُ لِلْأَرْضِ قُمَصَانَهَا .

- ذ -

عند خُوفُو، قُبيلَ التَّقَاءِ النُّجُومِ
بأحبابِها، أَمْسِ،

أَحْسَنْتُ أَنَّ السَّمَاءَ سَتَوْعُ
فِيَّ،

وَحُيِّلَ أَنَّ النُّجُومَ كَمَثَلِ الشَّبَاكِ.

صِرْتُ أَرْنُو إِلَى النُّورِ يَلْتَفُّ

حَوْلِي خَيْطاً فَخَيْطاً،

وَأَمْسُ فِي كُلِّ خَيْطٍ مَلَاكَ.

الذاكرة

٣٢١هـ.

- ٤ -

طُوفُوا بِالرُّؤُوسِ

الثَّلَاثَةِ،

مُسْتَبْشِرِينَ:

«الضَّلَاةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ

وَأَصْحَابِهِمْ،

وَالسَّلَامُ

إِنَّ هَذَا جَزَاءُ

لِمَنْ يَنْقُضُ الْعَهْدَ،

أَوْ مَنْ يَخُونُ الْإِمَامَ».

* إِنَّهُ الْحُبُّ يَمْشِطُ رَأْسَ الْفَضَاءِ،

وَيُجْلِسُ تَارِيخَ يَأْسِي فِي حُضْنِهِ.

ها هو الحجرُ
الأسودُ - اقتلَعوه^(١)،
وساروا إلى دار
هجرتهم في هَجَرٍ.

أربعونَ بعيداً
في الطريقِ تنوُّ
وتهلك مِن ثِقَلِهِ.

بعد عشرين عاماً،
عندما أرجعوه،
سَمُنَتْ ناقةٌ
حملته،
وتغيّرَ شَكلُ القَمَرِ!

- ض -

لا أواجهُ دَهْرِي إلّا

هازئاً مِن بقاءِ

كمثل الرّحيلِ، وأعني

هازئاً من رحيلِ

كمثل البقاءِ.

مازجا صَخَرَتِي بالهواءِ

وفَهَقَتهِي بالبُكاءِ.

✽ لِلسَّمَاءِ التي أَتَحَرَّكُ في ظِلِّها
كَتِفَا نَاقَةٍ.

(١) في الأخبار أنّ القرمطي
«لَمّا أخذ الحجر الأسود،
هَلَكَ تحته أربعونَ جَمَلاً، من
مَكَّة إلى هجر.

ولمّا أعيد، بعد عشرين
سنة، حُمِلَ على قَمُودِ هَزِيلٍ،
فُسِّمَ!».

فَرَّ قَلْبِي مَنِي

- ظ -

لِيَخْفَقَ فِي غَيْرِ جَسْمِي، لَمَّا

هَبَطْتُ إِلَيْهَا،

وَأَوْغَلْتُ فِيهَا،

وَأَوْغَلَ فِي كِبْدِي سِرُّهَا.

- ١ -

إِبْنُ بُؤْيُؤٍ^(١) يَأْخُذُ

فَارِسَ، هَذَا بَدَأَ

لِسَيَادَةِ آلِ بُؤْيُؤٍ.

أَوْ، مَاذَا أَسَمِّي بِلَاداً

لَمْ تَعُدْ تَنْتَمِي إِلَيَّ،

وَلَا أَرْضَ لِي غَيْرُهَا.

صُעْلُوكُ يَعْرِفُ كَيْفَ

يَسُوسُ الدُّنْيَا.

- ٢ -

كَانَ بُؤْيُؤُ^(٢) صُعْلُوكاً،

فَرَأَى فِي الثُّومِ كَأَنَّ

عَمُوداً مِنْ نَارٍ

يَخْرُجُ مِنْهُ.

وَرَأَاهُ تَشْعَبُ حَتَّى

مَلَأَ الدُّنْيَا.

* لَيْسَ هَذَا الصَّجِيجُ هَدِيراً

لِعَوَاصِفٍ، أَوْ ثَوْرَةً لِمَوْجٍ.

إِنَّ هَذَا الصَّجِيجَ حَفِيفٌ لِحُمَائِلِ أَفْكَارِهِ.

(١) عَلِيٌّ بْنُ بُؤْيُؤٍ.

(٢) قَالَ الْإِمَامُ السَّبُوطِيُّ

«تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ»:

١ - «كَانَ بُؤْيُؤُ فَقِيراً صَعْلُوكاً

يَصِيدُ الشَّمَكَ رَأَى كَأَنَّهُ نَارٌ،

فَخَرَجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَمُودٌ نَارٍ ثُمَّ

تَشْعَبَ الْعَمُودُ حَتَّى مَلَأَ

الدُّنْيَا. فَفُسِّرَتِ الرُّؤْيَا أَنَّ

أَوْلَادَهُ يَمْلِكُونَ الدُّنْيَا».

٢ - وَقَالَ الْإِمَامُ

السَّبُوطِيُّ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ بُؤْيُؤٍ:

«قُلْتُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ،

فَنَامَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَخَرَجَتْ

حِجَةٌ مِنْ سَقْفِ الْمَجْلِسِ، فَأَمَرَ

بِتَقْضِهِ فَخَرَجَتْ صِنَادِيقٌ مَلَأَتْ

ذَهَباً».

الذاكرة

٣٢٢هـ.

- ٣ -

قالوا في تفسير الرؤيا:

«سيكون لآل بويه

سلطان

وسيملا هذا السلطان

الدنيا».

- ٤ -

بين السيف وفقه الرؤيا،

يتدفق ماء العرش،

وطريقك: إما هذا الكرسي،

وإما هذا النعش!

- غ -

كلّ ليل، أحاول أن أتقرّى

طُرقاتٍ، منائرٍ، دُوراً،

زوايا

لأرى كي تولّد أشواقُها

ونيرانُها.

لا أشيرُ إلى فتنةٍ

أو إلى ثورةٍ

أو إلى شهوةٍ عابرةٍ،

بل أشيرُ إلى القاهرة.

* أيّها الطيّبُ الجدولُ،

لا طريقي طريقك، والماء - هيهاتِ

أن يروي الرّمْلَ، والعابرونَ

هوئى آكلٌ وهوئى يؤكلُ.

٣ - وقال الإمام السيوطي:

«ركب يوماً فساخت قوائم

فرسه، فحفروا فوجدوا

كنزاً».

استولى على بلاد

فارس، وخرجت خراسان

وفارس عن حكم الخلافة.

هوامش
(يوميات المتنبي)



IV. فلك

١ - إمكان

أتخيّل بغداد، لكتني أحيي
حلباً، وأحيي
كوفّة الثائرين - الأزقة مَحْشُوَّة
بالبكاء وبالموت، رأس

يتدحرج. صدر
تَقَبَّته الرُّمَاح. دماء
تتحول غزلاً، وتُسَجُّ للأفق منها ثياب.

هل ستُصبح، يا أيّها الأفق، بوقاً
أم ستُصبح مرثية؟

يمكن الفكر أن يُطفئ الآن مصباحه
كي يسير على هُدي تاريخه.

يمكن الآن أن تتحول شمسُ الغروبِ إلى بومة.

٢ - غَزُو

كُنْتُ أَصْغَيْتُ يَوْمًا لِصَمْتِ الْفَلَكَ
مُوحِشًا، فَاتِنًا.
قُلْتُ لِلْجِسْمِ: أَيْنَ الْأَوَانُ لَتَعْلُو كَالطَّيْرِ،
تُصْغِي لِآهِ الْمَلَائِكِ فِي خَدْرِهَا.

فَجَاءَتْ، يَخْرُقُ الصَّمْتُ صَوْتُ
يُوشِوشُ: لَبَّيْكَ،
هَا أَنْتَ فِي مُخْدَعِي، هَيْتَ لَكَ.

هَكَذَا رُحَّتْ تَغْزُو الْفَلَكَ!

٣ - أسئلة

هي ذي تَعْبُسُ ، تَسْتَلْقِي ، وفي أَهْدَابِهَا

شَرَزَ أَعْمَى . لماذا

كيف تُغْوِيكَ ، وَتَسْتَفْرِ أَحْشَاءَكَ هَذَا الْأَنْجَمُ؟

ولماذا

تَنْفُرُ الْخَاصِرَةُ الْبَيْضَاءُ فِي حِسِّكَ؟ وَالشَّعْرُ - لماذا

شَعْرُهَا يَحْجُبُ عَيْنِكَ ، وَيَسْتَرْسِلُ زَهْوًا؟

ربّما في ذلك المصباح ، في مُشْكَاةِ

بين أَوْرَاقِكَ ، في دَفْتَرِكَ الطَّائِرِ مِنْ جَبْرِ لِحْبَرِ

أُفُقٍ آخَرٍ - فيه

يُكْشَفُ الْمَجْهُولُ عَنْ أَبْعَادِهِ

وَيُضِيءُ الْمَظْلِمُ .

٤ - دعوة

نثرت بغداد في كل مكان
وبنت تاريخها
كلمات ودماء -

أفلن تفصل بغداد هواها
عن تقاليد خطاها؟

أفلن يعلو صوت الله في ثورة مسروقي
على سارقه،
بدلاً من مئذنه؟

أضمير الآن هوى حزاً وأدعو
ذلك الشاعر في عزلته،
أن يعلنه.

٥ - الغصن

فقراء: رَمَلْ هذي الأَرْضِ مسكوبٌ على أهدابهم،
وَمَجْرَاتٌ مِنَ الْقَشِّ تُوَاسِي زَرْعَهُمْ.

كُلُّهُمْ يَمْضِي وَيَأْتِي
حَامِلًا تَابُوتَهُ،
مُوغَلًّا فِي غَابَةِ الْيَأْسِ .
يَعِيشُونَ حَيَارَى

بَيْنَ سُلْطَانٍ يُعَمِّيهِمْ ، وَدِينٍ
يَقْتُلُ الرَّغْبَةَ فِي أَجْسَادِهِمْ .

غُضُنُ الْحُلُمِ عَلَى أَهْدَابِهِمْ مُنْكَسِرٌ .

٦ - عَرَافَة

لَا تَقُلْ لِلنُّجُومِ
أَنْتِ نَوْرٌ. ضِيَاءُ الْمَجَرَّاتِ مِنْ أَدَمَعِ الشَّمْسِ -
هَذِي الَّتِي
تَغْسِلُ الْآنَ فِي جُرْنِهَا
رَاحَتِهَا
مِنْ دَمَاءِ الَّذِينَ يُسَاقُونَ لِلذَّبْحِ فِي ضَوْئِهَا.

قُلْ لَتِلْكَ النُّجُومُ
لَسَتْ إِلَّا تَرَاباً
لَسَتْ إِلَّا صَدَى.

وَاصْطَجِبْ فِي مَسِيرِكَ نَحْوَ الْمَجَاهِيلِ
عَرَافَةَ الْغَيُومِ.

٧ - عجباً!

عجباً! أَلْخَلِيفَةُ يُصْبِحُ فِي لَيْلِ بَغْدَادَ فِي شَمْسِ بَغْدَادَ،
هَزْأً.

عجباً! شعراءُ

يَشْهَرُونَ عَلَيْهِ، سُكَارَى بِهِ.
عجباً! كُلُّ رَأْسٍ وَسَادَ لَهُ.
عجباً! فِي الْأَرْقَةِ، فِي كُلِّ بَيْتِ مُوَاءَ
لِلتَّعَاطُفِ مَعَ ذَيْلِهِ.

عجباً! رَأْسُهُ

يَتَحَوَّلُ فِي كُلِّ رَأْسٍ كِتَاباً
لِلْأَسَاطِيرِ مِنْ كُلِّ إِفْكٍ.

عجباً! لَا مَكَانُ

لِغَيْرِ اسْمِهِ،
وَلِغَيْرِ تَعَالِيْمِهِ.

٨ - قراءة

للمكان، كما رسمته أساطير هذا الزمان، نوب.

ولله آله تقرأ الطين. هذي

يرقات من الشحم والرمل ينثرون

ألاءهن على خصره.

أضع الآن صحناً،

أضع الآن في الصحن رأساً، وأسأل:

أين الملاك الذي يتجرأ

أن يقرأ الله في طينه؟

٩ - حُلْم

أَسْأَلُ الْمَاءَ مَتَى يَطْفُو عَلَيْهِ
وَجْهَهُ تَارِيخِي، وَأَسْتَرْسِلُ فِي اسْتِفْسَارِهِ
عَنْ هَوَى آدَمَ: هَلْ يَهْفُو لَطُوفَانٍ جَدِيدٍ؟

وَعَنِ الْفُلْكِ الَّذِي يَصْنَعُهُ الشُّعْرُ،
لِيَنْجُو مِثْلَ نُوحٍ.

شُرْطِي زَاخِفٌ خَلْفِي. أَغْتِي
زَاخِفًا خَلْفَ صَبَابَاتِي،
عَلَى الضَّفَةِ، مِثْلَهُ.

كُنْتُ سَكْرَانًا عَلَى ضِفَّةِ دِجْلَه.

١٠ - أسطورة

أَلْجَمِيلَةُ تُسْتَيْقِظُ الْآنَ فِي دُجَلَةٍ.

أَلْجَمِيلَةُ عَرِشٌ عَلَى الْمَاءِ يَمْضِي إِلَى سِيرِهِ.

أَلْجَمِيلَةُ تُسْتَوْدِعُ الْحُبَّ أَشْلَاءَهَا

وَأَسْرَارَهَا.

أَلْجَمِيلَةُ مَالَتْ عَلَى خَصَرِهَا

كِي تَوَدَّعَ فِي الْمَاءِ مِرَاتَهَا.

أَلْجَمِيلَةُ تُوَلَدُ مِنْ أَوَّلِ

فِي طِفُولَةٍ أَيَّامِهَا

فِي هَوَى الرَّاغِدِينَ

فِي الْهَوَاءِ وَمَا بَيْنَ بَيْنِ!

أَلْجَمِيلَةُ - آهًا،

أَتُرَانِي أَحْدَثُ نَفْسِي عَنْ حَوْلَةٍ؟

v

فاصلة استباق

أَمْسِ جَدَّتَكَ الْأَبْجَدِيَّةَ الرِّمْلُ جَدُّكَ الْآنَ
وَلَكَ حَيْضُ الصَّحْرَاءِ
لِمَاذَا تَنَكَّرَ أَحْوَالُكَ وَتَوَلَّوْا بِاسْمِ اللَّهِ كَمَنْ يَتَسَلَّقُ
جَذَعَ نَارٍ أَوْ يَسْبَحُ تَحْتَ ذَيْلِ الْجَبَّارِ لَا أَثَرَ
الْأَثَرُ كُلُّهُ لَوْ قَتَّ يَجْرِي جَرِيَّانَ سَائِلٍ كَأَنَّهُ مَنِيُّ أَتَانِ
حُبْلَى

أَيْنَ جِسْرُ الْجَحِيمِ لِنَتَكَيَّ وَنَعْبِرَ؟

جِيم:

مَا أَقْسَى،
لَكِنْ مَا أَكْبَرُ أَنْ تَحَبَّ الْكُلُّ،
وَأَلَّا يُحِبَّكَ أَحَدٌ.

عين :

جرثومة فضائية تبتكر حُمى الشعر .

ألف :

محيط يلتهم شواطئه .

ميم :

فراشة تحاول عبثاً أن تحمل وردة ذابلة .

عصركَ دون خطواتهم ضوء لكنه حُجَاب

ذهبي لكنه ذباب

لا بُدَّ

لا بُدَّ

تأخذ الفراغ بيتاً وتستكمل السقوط

تَرى حشراتٍ لها أنوفُ الكواكب

تَرى التراب يترُضُضُ ويتعجس دماً

تَرى جدراناً تلتهم البشر

تَرى إلى الكلام يتدفقُ جُثثاً من الحناجر .

سُئِلَتْ عَيْنَاهُ^(١). وَقَالُوا:

سَأَلَتْ عَيْنَاهُ

عَلَى خَدَّيْهِ!

مَا أَصْغَرَهَا - بَغْدَاد

الْيَوْمَ،

تَرَوْحُ وَتَأْتِي

مِثْلَ الدُّمِيَّةِ فَوْقَ يَدَيْهِ!

- أ -

هُوَذَا النَّيْلُ: تَارِيخُهُ وَمِعْرَاجُهُ

شَغَفْتُ وَاحِدًا

وَحِدَةً الْجَفْنِ وَالْجَفْنِ فِي مُقْلَةٍ.

هُوَذَا النَّيْلُ، هَذَا سَرِيرُ الْفَتْوحَاتِ

هَذِي صَبَابَاتُهُ.

وَأُظِنُّ: الزَّهْوُورُ الَّتِي تَتَخَاصَرُ فِي الظِّلِّ،

تَقْرَأُ لِلتُّرْبَةِ الْمُثْقَلَةِ

بِفُصُولِ مَوَاعِيدِهِ،

مَوْسَمَ النَّشْوَةِ الْمُقْبِلَةِ.

* مَرْكَبٌ عَاشِقٌ

رَسَمَ الْحُلُمِ شَطَّانَهُ:

حَبَّهُ، فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِهِ، خَانَهُ.

- ب -

كَبِدُ النَّيْلِ فِي حُلْوَةٍ

مَعَ دِفَاتِرِ بَرْدِيَةٍ.

- ١ -

ضرب السّلمعاني^(١)

ثمانين سوطاً،

بعد هذا

ضربت عُقُوه.

- ٢ -

أيها الثّائرُ

يسألُ الفكرُ فيك،

ويستغِيرُ الشّاعرُ:

خلقتُ شعْرَها السّماءَ

ما الذي ستقولُ لها

الأرضُ، هذا المساءُ؟

* سوف يأتي زمانٌ، يقول لي النّيلُ،

يأتي زمانٌ

يتحوّل فيه المكانُ إلى درّجاتٍ

لصعود المحيّين صوبَ أقاصيهم.

(١) ذُكر سابقاً في «الكتاب».

وهو محمد بن علي، أبو جعفر السّلمعاني. ادّعى أن اللاّهوت حلّ فيه، ويقول: «إن الله بحلّ في كل إنسانٍ على قدره».

أفتى علماء بغداد بإباحة دمه. فقتله الخليفة الرّاضي بالله، وأحرق جثته.

يُعرف بابن أبي الغزافر، وإليه تُنسب الفِرقة «الغزافرية».

الذاكرة

٣٢٣هـ.

- ١ -

فُتِلَ الذِّلْمِيُّ^(١)

الذي كان يزعم:

روح سليمان فيه،

وسليمان ثوب له.

- ٢ -

تخرج الرُّوحُ من جسمها،

وتدخل في آخر:

لِمَ هذا التنقل، هذا السَّقَرُ

أَيُّها الرُّوحُ، في ما

تَدْمِينُهُ وتُهْيِينُهُ

وتقولين عنه

إِنَّهُ موطنٌ لظلام البَشَرِ؟

- ج -

تهبط الشَّمْسُ، هذا الصَّبَاحُ، على النَّيلِ
فَلَاحَةً،

يَتَغَنَّى بِأَهْدَابِهَا وبَآرِدِهَا

زَهْرٌ أَحْمَرٌ أَيْضُ،

لَا يُجْمِجُ، لَا يَكْتُمُ.

وَتَمِيلُ لَهُ الضَّفَّتَانِ، وَيَسْرِي

في جوانحِ بَرْدِيهَا ارتعاشُ.

المسافاتُ سَكَرَانَةٌ

وتضاريسُها تحلُمُ.

* كُلَّ يَوْمٍ أَرَى النَّيْلَ فِي حُلَّةٍ

غَيْرِ تِلْكَ الَّتِي كُنْتُ شَاهِدْتُهَا، -

آه مَا أَعْجَبَ الطَّرَازَ الَّذِي يَتَخَيَّرُ خِيطَانَهَا

وَأَلْوَانَهَا.

(١) هو مزداويج، وكان

يزعم أن روح سليمان بن

داود حلَّت فيه. وقيل كان

يجلس على سرير من ذهب.

قُتِلَ بِجُحْمٍ أَخْضَ مَمَالِيكِهِ.

وبجكم هو الذي استنقذ

الحجر الأسود من القرامطة.

اشتراه بخمسين ألف

دينار.

- د -

أَوْماً النَّيْلُ ، قَالَ اثْرُكُونِي
 فِي فُلْكِ حَبِي ،
 وَأَنَا لَا أُعَلِّمُ ، لَكِنِّي أُلْهِمُ .

- ١ -

جُثُّ الْمَوْتَى
 تَتَنَاقَرُ فِي الطَّرَاقِ
 وَالنَّاسُ مُتَنَاتٌ .

- ٢ -

غَيْرَ أَنَّ زَمَانِي غَرِيبٌ
 كَتَفَاهُ سَمَاءٌ
 وَخُطَاهُ دَمٌ .

عَلِمْنَا تَجَارِينَا :
 كُلُّ رُبٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ
 سُلْطَةً أَوْ رَغِيفًا ،
 لَيْسَ إِلَّا تُرَابًا .

* أَسَرَّتْنِي خَفَايَاكَ يَا نَيْلُ ،
 وَالْوَقْتُ يُوَلِّمُ أَشْجَارَهُ
 لِأَعَاصِيرِهِ ،
 وَالْمَدَائِنُ فِيَّ انْشِقَاقٌ .

طِينُ أَجْدَادِنَا الْبَابِلِيُّ عَلَى النَّيْلِ :
فِي الْقَلْبِ غَيْمٌ ، وَفِي الْغَيْمِ نَارٌ .

أَعْرَبُوا أَعْرَبُوا ، فَأَنَا الْمُعْجَمُ .

مَا أَقُولُ لِقَوْمِي
وَأَنَا فِيهِمْ بِهِمْ مِنْهُمْ ؟

يَا لِقَلْبِي مِنْ طَائِشٍ :
أَلْحَقِيقَةُ فِي نَبْضِهِ
وَهُوَ لَا يَعْلَمُ .

* إِنَّ لِلَّيْلِ كَالنَّيْلِ شُطْطَانَهُ
وَلَهُ سَفْنٌ جَارِيَاتٌ ،
وَلَهُ لُغَةٌ فِي الْحَنِينِ وَأَمْوَاجِهِ السَّاهِرَةِ ،
نَهَرٌ آخِرٌ هُوَ اللَّيْلُ فِي الْقَاهِرَةِ .

يَا أَبَا طَاهِرٍ (١) ،
فَرْقَةٌ فِي جُنُودِكَ ،
بَعْضُ يُهَارِشُ بَعْضًا .
وِثْمَةٌ قَتْلَى .
أَتَرَى كَيْفَ يَلْتَهُمُ
الْثَّائِرِينَ الْخِلَافُ
عَلَى الْمُلْكِ وَالْمَالِ ؟
وَانْظُرْ : هَا هُوَ
الْفَقْرُ مَا زَالَ
يَشْخِذُ أَعْضَاءَهُ
كَيْ يَنَامَ عَلَى جَرْحِهِ ،
حَاضِنًا مَا تَفَتَّتْ
مِنْ خُبَرِ أَخْلَامِهِ .

- ١ -

قتلوا بِنَجْمًا،

والغلام^(١) الذي كان

يحملُ أسْرَازَهُ.

- ٢ -

آه من ليل تاريخنا:

ليس في أرضنا

غيرُ شَخْصَيْنِ - إِمَّا

قَاتِلٌ أَوْ قَتِيلٌ.

- و -

صورةٌ للطفولة - محضونةٌ

بعذاباتها

في الأزقة، قلبي كليّم لها.

وحنوتٌ عليها كأني أبٌ

ومشينا معاً، وهمسنا للزمان بأوجاعنا

تارةً وجَهَرْنَا بها تارةً

ومزجنا بأهاتنا شمسنا ومزاميرَ أضوائها،

والبلادَ وهولَ الظلام.

آه، كم يُوجِعُ الكلام.

* ما أطيّب أن نَسْتَلْقِي

شِعْري وأنا، عندَ النَّيلِ،

ونشربَ صَفْوَ دموع

عَتَقْنَاهَا.

(١) كان اسمه بَنَجْمُكَ.

الذاكرة

٣٣٠هـ.

- ١ -

منجنيقات بغداد

منصوبة:

الخلافة أضحوكة

والقرى والمدائن

نهب وقتل.

- ٢ -

كيف لم يفهم الذين

يسرون في موكب

الخلافة.

أنها مرض في الحياة

وفي العقل، أو أنها

لم تكن، غالباً، تحت

فيء الحقيقة،

بل تحت فيء الخرافة؟

- ز -

مسجد، ساحة - طيور

تتناثر فيها.

عاشقان يطيران في زهو ريشيهما

في عناق طويل

بين أحضان هذا الزمان البخيل.

كيف، من أين جاءت إلى التل

هذي الثلوج التي تتساقط

من كل صوب؟

* أتخفى (أحلم أن أتخفى)

في أحضان التل، وأعرف

كيف يكون الماء رسائل حب.

- ح -

أَسْأَلُ النَّيْلَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي

بهذا البهاء،

وَهُوَ مُحْتَبَسُ الضَّفَّتَيْنِ،

أَسِيرُ جِدَارَيْهِمَا؟

فَأَرَى صَوْتَهُ - لَا كَلَامًا

بَلْ هَسِيَسًا غَرِيبًا

يَسِيلُ عَلَى الْأُفْقِ جَبْرًا،

يُذَوِّبُ فِيهِ اللَّغَابَ،

وَيَرْسُمُ لِي صُورَةً فِي الْهَوَاءِ.

- ١ -

كثُرَ الزَّافُضُونَ

بِبَغْدَادَ، فِي كُلِّ حَيٍّ

أَثَرٌ مِنْهُمْ:

يُولَمُونَ لِأَيَّامِهِمْ

وَلِأَتْرَاحِهَا

شَهَوَاتِ الْجَسَدِ،

وَيُضَيِّثُونَ لَيْلَ الْأَبَدِ.

* هَيَّا النَّيْلُ إِبْرِيْقَهُ

لِيَقْدِمَ شَايَ الصَّبَاحِ إِلَى أَخْتِهِ،

أَخْتُهُ الشَّمْسُ، فِي كُلِّ فَجْرِ،

تَقْصُصُ عَلَيْهِ رَوَايَا.

- ٢ -

أنظر الآن في

كبد الأفق، في وجه

بغداد: للرفض قرنان

والأرض حُبلى

بأساطيره -

بطيور من النار

تجهل من أين جاءت،

إلى أين تمضي.

- ط -

كوكب يَشْهَى

أن ينام على زُند فلاحه،

رسمت وجهها بحبر

كان خوfo يُخبُّه تحت برديّة،

في خزانة أوراقه.

ما الذي يستطيع ابن حنْزاية^(*) ضدها؟

* يحفر الحب كالشعر ثقباً

في جدار الزّمن،

كي يجدّد ميلاده،

ويمزّق عنه الكفن.

(*) كان ابن حنْزاية ورياً
لكافور، وعدواً للمتنبي.
وكان له «مجلس يتلاقى فيه
الشعراء والعلماء،
والمحدثون».

وكان ابن حنْزاية يحاول،
كما جاء في الصبح المبني،
أن يتحدث دائماً عن سرقات
المتنبي. اسمه جعفر بن
الفرات، ومن أصل عراقي.

- ٣ -

يسأل الزافضون

الخليفة، في خيرة:

قُلْ لَنَا كَيْفَ تَأْتِي

إِلَيْنَا

أَبَايَاتِ عِلْمِكَ،

أَمْ بِالْهَوِطِ عَلَيْنَا

مِنْ عِلٍّ؟

وَلِمَاذَا،

يَا خَلِيفَةَ أَيَّامِنَا

وَأُمُورِنَا، لِمَاذَا

تَ تَمْرَأَى بِنَا

- ي -

مِنْ جَدِيدٍ، تَعُودُ السَّمَاءُ لَكِي تَسْكُنُ اللَّحْمَ

وَالْعِظَمَ: هَذَا مَقَالٌ

قَدْ يَسُرُّ الْعَقِيلِيَّ (*) لَكِنْ،

كَيْفَ يَدْخُلُ فِي الْجِسْمِ ضَوْءُ الْحَبِيبَةِ؟

مِنْ أَيْنَ تَأْتِي

خَمِيرَةُ هَذَا الْهَوِطِ الصُّعُودِ

فِي مَجَرَّةِ أَعْضَائِهَا؟

هَلْ أُسَائِلُ فُسْطَاطَ هَذَا التَّخِيلِ عِنْدَ

الْعَقِيلِيَّ، أَمْ أَسْأَلُ الْوُجُودَ؟

* اِبْتَدِئْ اِبْتَدِئْ

وَجْهُكَ الْآنَ كَالنَّارِ -

تُوشِكُ أَنْ تَنْطَفِئَ.

(*) هو الشريف علي بن

الحسين بن حيدرة العقيلي

(توفي في أواخر القرن الرابع

الهجري). من الشعراء في

زمن كافور. له ديوان مطبوع.

ومن شعره في حبيبته:

«ضاقَت عَلَيَّ نَوَاحِيهَا، فَمَا

قَدَرْتُ

عَلَى الْإِنَاخَةِ فِي سَاحَاتِهَا

الْقُبُلِ».

- ك -

رجُلٌ في طريقي (ربّما كان كافورَ أو ابنَ حِزَابِيَّةَ)،
رجُلٌ هالني،

في حناجر أبنائنا

وأبائنا -

ساطعاً،

قاطعاً مثل سيفٍ؟

قل لنا كيف يحدثُ

هذا،

قل لنا كيف تأتي؟

- ٤ -

رافضُ مات موتَ

الطَّبيعةِ، لم يقتلوه،

ولكن

صلبوه، بعد أنْ

مات، حُزوا

رأسُهُ فرَّ عن كتفيه، وها هو يمشي

تاركاً جسمه خلفه،

ويطوفُ وحيداً

وها هو يمشي ورائي

لاعقاً خطواتي .

عندما راحتِ الشمسُ تسكبُ تزيافاً،

أخذتهُ إلى بيتها نملةً .

* ظُلْمَةٌ - والأزقةُ تَحْتَضِنُ السَّائِلَةَ

في دماءِ الخريفِ الرّماديّةِ السَّائِلَةِ .

(*) هو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي، الملقب بالنجي، والموسوس، وسيبويه المصري. وُلد في البصرة سنة ٢٨٤هـ. ومات في مصر، سنة ٣٥٨هـ

- ل -

سأقول لهذا الموسوس، هذا الذي لَقَّبَهُ
سَيَّوِيَه (*) : القصيدة، يا قارئ، رحيل
خارج النحو والصرف، سيّر
في جميع الجهات.
نفس صاعد من قرارة أحشائنا
يلبس أيامنا وأشياءنا
قلقاً، زهرة، حضاة.

سأقول: القصيدة كالشمس، كالماء،
مُسْتَقْبَلٌ للكلام
لا تنام، ولا شيء في ضوئها ينام.

* جَاهِدْ أَنْ أَعْلَمَ خَصْمِي
كيف يحيا بهياً وحرّاً
ليصير جديراً بعدائي له.

الذاكرة

٣٣١هـ.

رأسه، نشوة.

آدم

حائز العقل في

ديته،

وفي سرّ تكوينه،

وفي شهوات

بنيه.

- ٥ -

حمرّة في السماء،

الوجوه، الحجارة

حمراء. حبل

المجانين يمتدّ -

حبل مسدّ.

لا تشكّوا. تريدون أن
توقنوا؟

اسألوا الرافضين
الذين يحبّون
هذا البلد.

- ٦ -

ترك الرافض القتل
كتاباً:

«لم أشاهد إلهاً
يتصدّر جمعاً
أو يسير على رأس
حشد.

فلماذا تُصرّ الحشودُ
على أن تقود السّماء
خطأها؟».

- م -

أتخيّل نفسي تقتل نفسي:

رجلاً سائراً أمامي خلفي
طالِعاً مِن ثيابي في صورة - صورتي .
ويواكبنني أينما كنتُ أو سرتُ . حربٌ
عليّ . شديدٌ عنيدٌ لا يُقاتل غيري .

وأنا واثقٌ:

سيراني أعداء شعري ،
ذاتَ يومٍ ، قتيلاً
بين قُمصانه .

❖ كُنْ كبيراً على الأرضِ ،
كن ذرّةً مِن ضياء .

- ٧ -

رافض آخر قال :

«أعرف أنني

سأقتل، فليهنأ

الخلفاء على هذه

الأرض، لكن

بعد قتلني

سأولّد في

كلّ شيء».

- ن -

لا أرى في الفراغ، كما يزعم الهجر، عرياناً
بل أراه كساء.

كيف نلمس ثوب الضياء، إذا لم يحرك
جسمه في فراغ؟

ألهذا

كان بستان حزني أشدّ احتفاءً

بالطُيور التي هاجرت

كي تدقّ بالصمت أعشاشها^(*)؟

(*) قلت هذا لمدّاحهم،
فكانني قلته لجدار.

وهو المدّاح الأنصاري،
أبو القاسم بن أبي العمير،
صاحب كافور والوزير ابن
حزابة.

* كلّ يوم أعود إلى البدء،
أجبل من زفرائي طيناً
وأنقش فيه تقاطيع حبي.

- ٨ -

هُوَذَا رَافِضٌ يُثْبِتُ

كُلَّ شَيْءٍ لَهُ مَعْبُدٌ:

«لا أريدُ لهم أن يموتوا،

كما شاءَ غيري أو يُقْتَلُوا

(أقصد الآلهة)

بل أريدُ لهم أن يعيشوا

أن يظلُّوا أشداءَ في

حربهم علينا، وأنْ

يُغْلِبُوا،

هكذا يكبرُ اللاعبونَ

ويزدهرُ الملعبُ.

هكذا تُولَدُ اللُّغَةُ

الوالهة».

- س -

لا أَرَى أَنْ جَسْمِي تُرْزَلُهُ الْآنَ
أَيَّةُ أُغْوِيَةٍ.

لا أَرَى فِي شَعُورِي أَيَّ انفْجَارٍ
تَتَفَتَّقُ عَنْهُ دُرُوبٌ،

أَوْ تَسَافِرُ مِنْهُ الْجِرَاحُ إِلَى نَشْوَةٍ
لَمْ تَكُنْ تَتَرَاءَى لَهَا.

ما الذي يحدث الآنَ فيَّ؟ وأين اختَفَتِ
رَغْبَاتِي؟

إنْهَضِي، هل سمعتِ، وماذا تقولينَ
يا كلماتي؟

* رَبِّمَا كَانَ هَذَا أَوَّلَ الْمُنْحَذَرِ،
وَأَحْسُ كَأَنَّ الدَّقَائِقَ سَيَلٌّ
يَجْرُ الصَّرَاطُ إِلَى رَبِّهِ،
وَيَجْرُ الْبَشَرُ.

البريدى^(١) بقتل حتى

أخاه:

كيف تقدر من بعد

هذا الذمّ الفزّ،

أن تتلمس خديه

أو صدره،

يداه؟

- ع -

أتمدّد مستسلماً في سريري إلى حيرتي،

كأنّي

لم أعد قادراً أن أحسّ ولا أن أرى.

هل هُزِمْتُ؟ هل انكسر الضوء في؟ وكيف

سأعرف نفسي؟ أستلّها

من ركاماتها القديمة، أم أستعيد الظلام

الذي لَفَّها خَفِيّة، عندما كنتُ أزهو

بِالألّاها؟ وأرى أين كانت، وكيف،

وماذا؟

هل هُزِمْتُ؟ أم الشعر في آخر الليل، يرفعُ

نفسي إلى البدء - يقرأ أوراها،

ويجدّد ميلادها؟

* غسل الأفق أسنانه، بالغيوم، -

قلتُ هذا وصدّفتي الشعر، لكن

عبستُ وتولّت في خطاي النجوم.

(١) قُتل أبو الحسين

البريدى، وُصِّل، ثم

أُحرق. وكان بعض الفقهاء قد

أفتى بإباحة دمه.

ومعه انقضت أيام

البريدية.

الذاكرة

٣٣٣هـ.

- ١ -

مَنْ تُرَى يَسْتَنْصِفُ

الْخَلِيفَةُ: قَبْقَابُهُ

والعباءة، هذا

المساء؟

هوذا يَتَمَرَّقُ: لا مُلْك،

لا خَبْر، لا شَيْء

إِلَّا الشَّقَاءُ.

- ٢ -

إِسْمُهُ الْقَاهِرُ -

اسْمُهُ ظَلَمَاتٌ

جَمْعُ تَمَرَّقَ

أَحْشَاءُهَا

- ف -

جَسَدُ الضَّوْرِ فِي مِصْرَ، فِيَّ، وَفِي

صَبَوَاتِي

جَسَدُ عَاشِقٍ

دَهَنَ الْوَقْتُ أَطْرَافَهُ بِبَهَارٍ

وَأَدَارَ عَلَى عُنُقِهِ

دَهْبًا ذَائِبًا فِي لُجَيْنٍ،

يَجْهَدُ اللَّيْلُ كِي يَتَحَوَّلَ فِيهِ

إِلَى مُقْلَتَيْنِ.

* مَا لَهُ - ذَلِكَ اللَّيْلُ لَا يُهْزَمُ؟

أَهُوَ الْعَيْمُ لَا يُتَسَلَّقُ،

وَالْجَرْحُ لَا يُلَاقَى؟

(١) هو الخليفة القاهر،

ويروى أنه «افتقر حتى لم يبق

له شيء سوى قطعة عباءة

يلتفت بها، وقبقاب من خشب

في رجليه».

- ص -

كَيْدِي - مَا الَّذِي ذَهَابَهَا؟

لَمْ أَعِدْ أَعْرِفُ فِيهَا إِلَى أَيِّ شَخْصٍ،

أَوْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ.

وَأَجِسْ كَأَنِّي فِي حَاجَةٍ

كَيِ أَخَاصِمَ أَهْوَاءَهَا - أَعَانِقِ أَهْوَاءَهَا،

وَأَسَافِرْ فِيهَا إِلَى مُتَهَايَا - إِلَى أَيْنَ؟

أَيْنَ الْمَكَانَ الَّذِي يَقْدُرُ الْآنَ أَنْ يَتَقَبَّلَ

مَا بِي، وَيَفْتَحَ أَحْضَانَهُ لَجِرَاحِي؟

أَهْ يَا نَفْسِي الرَّجِيمَةُ يَا نَفْسِي الْكَرِيمَةُ

مِنْ جَدِيدٍ أَعُودُ لِصَحْرَائِي الْقَدِيمَةِ.

بِأَطَافٍ مِنْ فِضَّةٍ،

وَتَقَادُ إِلَى كُلِّ مَا

لَا تَشَاءُ.

عَرْنُ، كَرَزُ نَشِيدِكَ

يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ:

مُسْرَحٌ لِلْحَلَاظَةِ،

يُسْتَأْصَلُ الْعَقْلُ

فِيهِ،

وَلَا شَيْءٌ يُؤْخَذُ

غَيْرَ الدَّمَاءِ،

وغيرُ الهَبَاءِ.

* أَرْسَلْتُ لِلَّيْلِ كِتَابًا

وَنَشَرْتُ حُرُوفَهُ

فِي طُرُقَاتِ هُمُومِي فِي أَنْحَاءِ الْكَوْفَةِ.

لَوْحَ الرَّاحِلُونَ

بمناديلهم، وأناخوا نياقَ التَّعَبِ.

يَسْطُ الْأَفْقُ كَفْيِهِ، أَصْعُوا:

فَتَنٌ فِي الْأَقَالِيمِ، أَرْضُ

تَمَزَّقُ. هَذَا وَارِثُ الْعَرْشِ، يَجْتَرُّ كَرْسِيَهُ

وَالْبِطَانَةُ نَسْجُ الذَّهَبِ.

يَرْقِصُونَ وَيَسْتَمِرُّونَ

لَحْمَ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ فِي مَهَبِ الطَّرَبِ

وَعَلَى كُلِّ دَرْبٍ، وَفِي كُلِّ فَجٍّ، بَشَرٌ مِثْلُهُمْ،

بَشَرٌ مِنْ مَعَادِنَ، مِنْ صَلَوَاتِ

وَمِنْ شَهَوَاتِ،

رُكَّعٌ خَاشِعُونَ.

- ١ -

أخذوا رأسه -

ذلك الخارجي^(١)،

دامياً طازجاً،

وزموه إلى القائمِ

الفاطمي!

- ٢ -

لم يعد دفتُرُ

السَّماءِ

في فضاءِ الخوارجِ

إلاَّ

ورقاً لكتابةِ مَريَّةٍ.

- ق -

(١) أبو يزيد الخارجي.

* تتردد هذي اليمامةُ

في قولها لِلسَّماءِ: اصدُقي مَرَّةً.

- «لا مَفْرُ. كتبنا عليكم دُلُكُم، وكتبنا الخضوع»،

- «لا فضاء»، تقول الأَصاحي،

- «لا ملاذ»، تقول الدَموعُ.

- كيف يمكن أن تُفْهَمَ الشعوبُ التي ترسمُ

اللَّهُ فوقَ الرؤوسِ على حَدِّ سَيْفٍ،

وتدليه في ساحةٍ،

وتعلمُ أطفالُها

أن يحيوه، كلَّ صباحٍ؟

✽ آه، ما هذه الأرض - تَجْهَدُ أن تَخْنُقَ

الهواء الذي تتنفسه رثاها،

في فضاءٍ يَزُقُّ الطُّيُورَ بِكِبْرِيَتِهِ!

الذاكرة

٣٣٣هـ.

لم تعد هذه الأرض،

في خطوات الخوارج،

إلا

نهرًا

لغيوم البكاء.

- ٣ -

أُتْرَابٌ يمدُّ يديه

كريمًا إلى الخارجِ

وأبنائه

وأصحابه،

حائياً،

مُضْغِيًا

لتباريحهم.

- ش -

لِعليّ،

لَا بِن رِشْدِيْنَ، لَابِن أَبِي الْجَوْع، لِلرُّوْذَبَارِيِّ (*)،
أَصْغَيْتُ، أَصْغِي،
وَأَقُولُ لِأَوْجَاعِهِمْ:

حَوْلَكُمْ رَبَّةَ الْعَمَاءِ وَرَايَاتُهَا،
مَعَكُمْ لَيْلُ أَكْفَانِكُمْ،
لَا سَقُوفَ لَكُمْ،

غَيْرُ مَا يَتَبَخَّرُ مِنْهَا، -
لَا طَرِيقٌ، وَمَا مِنْ بَدِيلٍ.

ليس إِلَّا الرَّمَادُ،

وهذا الفضاء القَتِيلُ.

* الْمُحَبَّبُونَ مَاتُوا، -

لَا بَحَارٌ سَتَكْفِي لِغَرَقٍ فِيهَا حَنِينِي،
لَا سَمَاءٌ سَتَكْفِي لِغَلَوٍ فِيهَا ضِيَاعِي.

(*) صالح بن رشدين، من
كُتَّاب ديوان الرسائل في
العصر الإخشيدي.

- علي بن صالح
الروذباري كان والياً على
دمشق، وكانت له في مصر
حلقة أدبية.

- علي بن أحمد
المهلبي، (عبد الله بن أبي
الجوع)، من اللغويين
النحويين، في أيام كافور.

كانوا جميعاً يتدارسون
ديوان المتنبي، تحت إشرافه،
كما جاء في «يتيمة الذَّهَر»
للشَّعالي (١ : ٣١٤ - ٣١٧).

- ٣ -

فجأة، يتغيَّر -

يأتي بلا موعدٍ

يزورُ بيوتاتهم

وأكواخهم،

ويجشَّتهم

واحداً واحداً.

- ٤ -

زمنٌ مُنْهَكٌ -

زمنٌ خارجيٌّ:

الفضاء بلا نعمةٍ

وبلا حكمةٍ،

ويُد الماءِ مَبْثُورَةً.

- ٥ -

هذه وَرَقَاتُ
خَطَّهَا خَارِجِيٌّ،
وَلَعَلِّي تَأَخَّرْتُ
فِي نَشْرِهَا،
فَعُذْرًا:

«أَلْمُلْكُ سَيَفُ

هَوَى،

وَرَمَحُ فَتَوَى،

وَتَابَوْتُ،

وَبَخَرُ دَمٍ.

أَلْمُلْكُ سَاخَةٌ

أَنِيَابٍ

وَفُفَاةٌ.

- ت -

الكلامُ إلى فاتكِ(*) وعليه، حجابٌ.

مَعَهُ أَتَغَيَّرُ، أَصْعَدُ مِنْ أَوَّلِ

دَرَجَاتِ الْكَلَامِ، أَغَيَّرَ مَعْرَاجَهُ

وَأَرَجَّ الْحُدُوسَ الَّتِي فَيَأْتُهُ

وَالْخِيَالُ الَّذِي يَتَفَيَّأُ فِيهِ.

وَأُكَاشِفُهُ - بَيْنَ جَبْرِي وَالْكَلِمَاتِ هَوَى آخَرٍ.

فَاتِكُ شَاعِرٌ،

وَيَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ يُؤْخَذُ شِعْرِي.

* لَيْسَ لِلْسَّائِرِينَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا

أَنْ يَصِيرُوا غُبَارًا:

حِكْمَةٌ بَالِيَةٌ

نَتَقَلَّبُ فِي نَارِهَا الْعَالِيَةِ.

(*) هو فاتك الإخشيدى.
كان يُعرف بالمجنون. وكان
المتنبي يعبّده بين أقرب
الأصدقاء إليه.

- ث -

شَعَفَ عَالٍ

يَرَسُمُ فِي طُيُوفِهِ:

مَا أَطْيَبَ أَنْ أَتَحَوَّلَ مَاءً

وَأَذُوبَ جَسْمِي

فِي جَسَمِ الْكَوْفَةِ.

الذَّكْرَةُ

٣٣٣هـ.

أَتَمَلُّكَ مِنْ وَرَقٍ،

أَتَمَلُّكَ مِنْ عَلَقٍ،

أَتَمَلُّكَ فَيَذَرُ جَسَاءِ

رَأْسِ قَافِلَةٍ

مِنْ الذَّنَابِ، وَيَبْدُ

لَا حُدُودَ لَهَا.

أَتَمَلُّكَ بِسِمْلَةٍ

أَلَيْسَتْ بِتَدَنَةٍ

مَحْنُوقَةٍ، وَحَدِيدٍ

دَافِقٍ دُهْبًا.

أَتَمَلُّكَ

فَتَسْتَقْفَعُ.

* مِثْلُهُ - ذَلِكَ الْوَفِيُّ لَتَرْحَالِهِ

فِي صَحَارَى عَذَابَاتِهِ:

لَا أَخُونُ الرِّيَّاحَ الَّتِي لَبَسَتْني.

الْمَلِكُ سَمَى

يَدِيهِ رَايَةً رُفِعَتْ

عَلَى السَّمَاءِ، وَسَمَى

طِينُهُ لِهَبًا.

الْمَلِكُ يَحْسِبُ وَجْهَ

الْكُونِ مُنْكَأً

لِلنَّيْنِ، وَدَارَ

الْخُلْدِ مُنْقَلَبًا.

- خ -

إِنْ أَقُلْ مَا أَقُولُ، فَكَيْ أَرْضِي الْأَصْدِقَاءَ،

أُحْيِي بَيوتَانِهِمْ وَتَقَالِيدَهَا.

غَيْرَ أَنَّ شُعُورِي أَعْلَى وَأَنَايَ،

وَأَسْأَلُ: مَاذَا سَأَفْعَلُ؟ لَا أَرْضَ تَعْلُو إِلَى

مَا أُحِسُّ، كَأَنِّي

لَمْ أَعِدْ قَادِرًا أَنْ أَكُونَ نَمِيًّا

أَوْ نَجِيًّا لِبَيْتٍ أَوْ دَمٍ أَوْ عَشِيرٍ.

لَمْ أَعِدْ قَادِرًا أَنْ أُحِسَّ بِنَفْسِي إِلَّا إِذَا

رَحْتُ أَفْتَضُّهَا كَالطَّرِيدَةِ،

لَمْ يَعِدْ أَيُّ شَيْءٍ يُوَكِّدُ نَفْسِي لِنَفْسِي، إِلَّا الْقَصِيدَةُ.

* خُطُواتُ الطُفُولَةِ - ماذا

يَتَبَقَّى مِنَ السَّرِّ فِيهَا؟

كَيْفَ لِي أَنْ أَشَمَّ شَذَاهَا

وَأَنْ أُنْحِنِي عَلَيْهَا؟

- ذ -

خَطُّكَ الْأَعْوَجُ - الْمُسْتَقِيمُ
 أَيُّهَا الْعَقْلُ، لَا أَطْمَنُّ إِلَيْهِ،
 وَلَا شَيْءَ فِيهِ،
 سِوَى النَّافِلِ الْعُقْلِ:
 سَيْرٌ بَلِيدٌ عَلَى دَرَجَاتِ التَّعِيمِ.
 وَأَنَا عَاشِقُ الْجَحِيمِ.

أَلَمْ تَكْ أَوَّلُ مَنْ
 لَبَّى، وَأَوَّلُ مَنْ
 صَلَّى، وَأَوَّلُ مَنْ
 غَنَّى وَمَنْ طَرِبَا.

الْمَلِكُ غَابَةُ غِيلَانَ
 دَمٌ شَرَفَتْ
 بِهِ الْحَيَاةُ، وَلَمْ
 تَعْرِفْ لَهُ نَسَبًا.

* أَنْتَ، يَا عَقْلُ نَوْرٌ - يُقَالُ، وَلَكِنْ
 كَيْفَ لَا تَتَوَهَّجُ فِيكَ مَسَافَاتُهُ؟
 وَلِمَاذَا تَقَدَّمَهُ لِلْمَسَافِرِ نَحْوَ الْمَجَاهِيلِ،
 فِي كَأْسِ سُمٍّ؟

نأقتي -

- ض -

هل تيقّنت أنني

تاركٌ للطوافِ المؤرّقِ حولِ الموائِدِ،

للتّومِ في شحمها سوائِي؟

أتشكّين؟ جسّي عروقي، وأصغي لنبضي،

وها مُهجتي، ها يداي:

صدري الآن أعلى وأرحبُ ممّا ظنّنت، ومن كلّ أرضٍ -

خُذيني وسيري

في فيافيهِ، لكن بحقّ تباريحنا،

حاولي أن تمرّي بخشوعٍ وصمّتٍ

في مدارِ براكينه؛

في مدارِ براكينه هوائي.

ألملُكُ

نيلٌ

فُراتٌ

دجلةٌ

بردى.

ألملُكُ آيةٌ

إعجازٍ

بحكمته

وحكمه

وبما أعطى

وما كسبا.

* الحقيقةُ وخي الجنون، -

تقول الحياةُ لمعراجها.

فجأة، صورتني تتجلى في مرارات بغداد، في حلب، في دمشق.
فجأة، حولة.

فجأة، نشوة ودروب وكواكب لا يعرف الجبر أسماءها.

فجأة، نأخذ الزمن الميث، نرميه في قبو أيامنا.

فجأة، يحمل الأفق أثقاله ويسافر فينا.

فجأة، يخرج الليل من بيته ويطوف علينا بأباريقه.

فجأة، قصب الليل، ورد المسافات، خشخاش حزن وصمت:

تعلّم هذا المزيج ونبني سقوفاً لأحلامنا،

فجأة، تتقدم شمس وتكتب في دفتر الضوء أسماءنا.

فجأة، يلبس الفجر وجهي،

فجأة، أتجلى لنفسي.

الذاكرة

٣٣٣هـ.

ألمك

سيد

أسياد

ملانكة

إن شاء

صبر من

أعناقهم

ذرجاً،

* أرضنا جرحنا:

فعلى أيّ جنبٍ نميلُ، وماذا

من نُسالمُ، أو من نُقاتلُ؟

مائلٌ عُنقُ الكونِ مائلٌ.

- غ -

النبوءات قالت :

اتركوا الشعر يا أيها المؤمنون
قبلها، قال ذلك تلميذ سقراط : لا شيء
في الشعر إلا الضلال وإلا الجنون .
غير أن الخليفة لم تُصغ ،
والشعراء استمروا يعيشون كالأنبياء
مع شياطينهم ، يسألون ، ونسأل :
ماذا ،
ما الذي يتبقى
خارج الشعر ، غير العماء ؟

الذاكرة

٣٣٣هـ .

أو شاء ، صيّر
من أجسادهم
خطبا .
ألملك ينزل من
أم الكتاب ،
ومن
أهل الكتاب ،
ومن . . . » .

* صوت - يخرج منه عطر

وضع التيل عليه يده ،

كي يبقى حرا :

صوت زمان آت .

هوامش
(يوميات المتنبي)



٧. غيوم

١ - قِباب

أَتَخَيَّلُ بَغْدَادَ، لَكِنِّي أَحْيِي
حَلَبًا، وَأَحْيِي
كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - الْقِيَابَ،
الشُّيُوخَ يَنَامُونَ فِي ظِلِّهَا،
أَوْ يَقْصُونَ أَيَّامَهُمْ.
أَلَدَّقَاتُ أوتارُ قِيثَارَةٍ
وَالْمُصَلِّونَ: كُلُّ حَاضِرٍ غَائِبٌ، وَكُلُّ
يَتَحَدَّثُ فِي نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ:
كُلُّ مَا يَخْلُقُ الضَّوءَ فِينَا،
لُغَةٌ مُرْجَأَةٌ.
وَطَنٌ - جِبْرُهُ جِرَاحَاتُنَا
وَنَجْهَلُ أَنَّ نَقْرَأَهُ.

٢ - صحراء

أَيْنَ سَتَبَحْتُ عَنْ بَيْتٍ؟

هل تَسْكُنُ بَيْنَ خِيوطِ الشَّمْسِ؟ ولكن

خَيْرٌ أَنْ تَسْكُنَ فِي أَوْرَاقِ العُشْبِ، وَغَيْرُ

تَرْتِيبِ الأحرفِ حَتَّى تَبْقَى

تَتَشَرَّدُ فِي بَيْدَاءِ النَّاسِ كَذَرَّةِ رَمْلِ.

هي ذِي صحراءِ المِحْنَةِ

بَشَرٌ مَذْعُورُونَ، وَكُلُّ فِضَاءٍ سُدٌّ.

هذِي الأَرْضُ وَصِيَّةُ عَرْشِ، والعَرْشُ قِضَاءٌ، -

يَا لِلْعَنَةِ!

٣ - استغناء

هذي الأرض كمثلي امرأة
لا تعرف كيف تعيش ، وماذا تعمل . يوم يمضي
يوم يأتي
ويدها قيد مُحكَم
تحت مظلة عرش أبكم .

من قال لشيعرك : أنت المعنى ،
ولصورته : أنت الصور ؟

كلاً ،

في هذي الأرض ، هنا وهنالك ،
لا يحتاج إليك البشر .

٤ - سراب

هُوَذَا يُبْتَكَرُ الْآنَ سَرَابٌ:

حَيَوَانٌ أَخْضَرُ الْقَامَةِ، رَأْسَانِ كَبِيرَانِ

عَلَى حَوْضٍ صَغِيرٍ،

وَلِلَّيْلِ الرَّدْفَيْنِ

قَمَرٌ يَسْكُنُ تَحْتَ الْكَتِفَيْنِ.

غَيْرَ أَنَّ الْعُنُقَ اسْتَلْقَى عَلَى شَفْرَةِ حُلْمٍ.

رَبَّمَا لَا تَرْغَبُ الشَّفْرَةَ أَنْ تَسْتَقِظَ الْآنَ. تَعْلَمُ

أَيْهَا الشَّاعِرُ أَنْ تُصْغِيَ لَوَقْعِ الْكَلِمَاتِ

فِي سَرَابِ الْخُطَوَاتِ.

٥ - نسيان

السَّمَاءُ رَمَتْ طِينَهَا

فوق أجفان بغداد. أَلْقَتْ

قدميها وكرسيها على رَأْسِهَا. دَوَّارٌ

في سرايين بغداد، تبكي

لم يعد دمعُ بغداد طِفْلاً

لم تعد تعرف البكاء.

نَسِيتُ كيف تَزْفِرُ أو كيف تَشْهَقُ في صدرها كَرَبْلَاءَ،

هكذا

نَسِيتُ وَجْهَهَا -

أَتُرَاهَا أُحِيلَتْ إِلَى مُومِيَاءَ؟

٦ - التباس

عَرْشُهُ فِي كَنْفِ اللَّهِ مُقِيمٌ .
يَهْدُمُ الْبَيْتَ عَلَى أَطْفَالِهِ
وَالْمَعْرُونَ حِرَابٌ وَسِیُوفٌ .

كَيْفَ لَا أَصْرُخُ بِاسْمِ اللَّهِ ،
فِي الشَّعْبِ الَّذِي يَرْتَجِفُ الْآنَ ، أَطْعَمَهُ :
كُنْ جِسَاءً .
كَيْفَ لَا أَسْأَلُ هَذَا الْعَرْشَ : قُلْ لِي
أَنَا مَيِّتٌ . وَلَمْ تَأْذَنْ لِمَوْتِي ،
هَكَذَا أُتْبِشُ مِنْ قُبْرِي لَكِي أُدْفِنَ
فِي ظِلِّكَ ، فِي سَجَنٍ وَرَاءَ الْمَقْبَرَةِ ؟
لَمْ أَعِدْ أَعْرِفُ : هَلْ عِنْدِي ، فِي ظِلِّكَ ، رَأْسٌ وَذِرَاعَانِ
وَسَاقَانِ ، وَعِنْدِي
مِثْلَ غَيْرِي ، حُنْجَرَةٌ ؟

٧ - خَبَّاز

خَبَّازُ هُمُومٍ، لَكِنْ
فِي كُلِّ رَغِيفٍ قِثَارَةُ نُورٍ.
تُثَوِّرُ الْحِكْمَةُ نَارَ سَلَامٍ.

يَا خَبَّازَ هَوَانَا
أَلْحِكْمَةُ تَبْكِي، وَالْكُونُ دَمُوعٌ.
أَرِنِي عَيْنِيكَ
أَفِي شَفْتَيْكَ هَوَى
وَشِعَاعٌ مِنْ عَيْنَيْهَا؟

يَا خَبَّازَ هَوَانَا
قُلْ لِعَشِيقِ الْحِكْمَةِ: حَاوِلْ
أَنْ تُلْقِي، هَذَا اللَّيْلَ، بِدِيكَ عَلَى كَتِفَيْهَا.

٨ - الوردة

تتكلم - في صَوْتِهَا وَخَزْ شَوْكِ،
وفي شفتيها ارتعاشٌ.

وحدها، ويكادُ البكاءُ
أن يُعْطِيَ بِالنُّظْفِ الحُمْرِ أوراقَهَا.

إنها وردةُ الليل، أو هكذا سُمِّيَتْ،
لبست عُزِّيَهَا
وَانْحَنَتْ فوق خَصْرِ المساءِ.

٩ - لوتس

أَمْسِ، فَجْرًا، عَلَى ضِيقَةِ التِّلْ، غُصْنَانِ مِنْ لُوتْسِ
يَقْرَأُ عَلَى الْمَاءِ نَهْدِيَهُمَا.
رَحْتُ أَصْغِي، وَكَانَ الْهَوَاءُ
يَتَنَصَّصْتُ. نَهْدَانِ مِنْ لُوتْسِ.

مَرَّ فَوْقِي سِرْبٌ
مِنْ يَمَامٍ. وَمَرَّتْ
صُورٌ بَيْنَ عَيْنِي عَنْ عَهْدِ حُبٍّ
كَدْتُ أَنْسَى تَفَاصِيلَهُ.
أَو، فِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ النَّبِيَّةِ، مَا أَكْرَمَ الْبُكَاءَ.

١٠ - ولادة

إِنَّهُ النَّيْلُ يَفْتَحُ شُبَاكَهُ
لِلصَّبَاحِ وَلِلشَّمْسِ، ضَوْءٌ
يَسْتَحْمُ. وَضَوْءٌ يَتَمَطَّى، يَفْكَ عُرَى ثَوْبِهِ. ضِفَافٌ
تَتَلَاؤُ. مَوْجٌ
وَادِعٌ يَتَخَاَصَرُ. يَلْهُو
كَأَنَّ الْهَوَاءَ فِرَاشٌ لَهُ.

أَسْتَهْيِي مَوْجَةً
أَوْشُوشُ أَحْضَانَهَا
وَأَخْيَلُ جِسْمِي لَهَا
وَأَخْيَلُ مِعْرَاجَهُ إِلَيْهَا، وَتَبَارِيحَهُ، وَعِنَادَهُ.

فِي الْمِيَاهِ الْعَمِيقَةِ
أُصْغِي إِلَى زُقْرَةِ الْمَوْتِ فِينَا وَأُصْغِي إِلَى شَهَقَةِ الْوِلَادَةِ!

فاصلة استباق

من أنت أيُّها المتظر؟

لن تحظى بالحياة إلاً مصادفةً

بين الموتِ والموت .

من أنت أيُّها المتظر؟

الخريفُ يكملك

وجسدك يكمل الغبارَ

في تاريخٍ يتسلى،

يكتب شِعراً عن أرجل العناكب .

من أنت أيُّها المتظر؟

لا تقدر ملائكةُ العلم

أن تبكرَ أسطورةً واحدةً

تُولد فيها الشقائق من دمِ عاشقٍ،

أو ينفصل فيها

رأسُ شاعرٍ عن جسده،

ويجري مغتياً

في ماء الطبيعة .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

غداً

يَقْرُونَ الْخُرَافَةَ

وَيَسْتَخْلَصُونَ مِنْ جَوْفِهَا

الْحَقَائِقَ .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

اهْتَفُوا لِلْأَنْهِيَارَاتِ

احْتَفِلُوا بِالْأَنْقَاضِ

اسْتَبْشِرُوا بِالْخُرَابِ .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

الْغَيْبُ يُوَاحِي الْجَسَدَ،

وَالسِّرُّ زَهْرَةُ الْكَلَامِ .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

عَلَى حَيَوَانٍ خُرَافِيٍّ

نَجْلِسُ غداً وَنَقْرَأُ الْعَالَمَ .

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

بلى،

الإنسان يسير نحو البَيْعَاءِ.

بلى،

يُولَدُ جَنْسٌ آخَرُ مِنْ حَيَوَانَاتِ اللَّهِ.

مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ؟

الْحَمْدُ لِكُلِّ تَبَاسٍ.

- أ -

الذاكرة

٣٣٤ هـ.

المُعزَّ يَعَانِي بِغَدَادِ،
يَجْمَعُ أَنْصَارَهُ حَوْلَهُ،
مِثْلَ رَاعٍ يَعْذُّ خِرَافَتَهُ،

المُعزَّ يَسُوقُ الْخَلِيفَةَ،
يَسْمُلُ عَيْنِيهِ، يُلْقِيهِ
فِي السَّجَنِ. مَا هَذِهِ
الْبَطُولَةُ فِي سَمَلٍ
عَيْنَيْنِ؟ مَا هَذِهِ
الْخِلَافَةُ؟

أَتَسْأَلُ حِينًا، وَأَنَا أَتَمَشَّى
فِي الْفَسْطَاطِ، لِمَاذَا، كَيْفَ رَحَلْتُ؟

وَلِمَاذَا لَمْ أَتَحْمَلْ رَهْقِي،
وَأَعِشُ بَيْنَ النَّاسِ كَفَرْدٍ مِنْهُمْ؟

أَغْضَبُ حَقًّا مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكِنْ
أَغْضَبُ حَقًّا مَنِي -

فَأَنَا الْآثِمُ أَيْنَ ذَهَبْتُ، وَأَتَى
صِرْتُ، وَمَهْمَا قَلْتُ.

فَلِمَاذَا - كَيْفَ سَأَرْحَلُ، كَيْفَ رَحَلْتُ؟

* أَوْ لِلْكُوفَةِ الْآنَ: هَلْ مَلَمَحَ، هَلْ أَثَرُ

لِطُفُولَاتِ حُبِّي؟

أَتَرَى لَمْ تَزَلْ، مِثْلَمَا كُوتْتُ،

ذُبَّةً، وَتُحِبُّ الْقَمَرَ؟

(١) «مَبِيتُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَكْفِي
بِاللَّهِ مَاثِبًا إِلَى مَعَزِّ الدَّوْلَةِ بْنِ
بُوَيْهِ فِي بَغْدَادِ. سَمَلُ عَيْنِيهِ
وَسَجْنُهُ. تَوَيْعُ مَكَائِهِ الْمَطِيْعُ
بِاللَّهِ».

وَكَانَ الْمَعَزُّ، وَاسْمُهُ
أَحْمَدُ، «يَحْمِلُ الْحَطَبَ عَلَى
رَأْسِهِ، فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ».

وَيُقَالُ لَهُ: «الْأَقْطَعُ»،
لِأَنَّهُ يَدُهُ الْيُسْرَى قُطِعَتْ فِي
مَعْرَكَةٍ مَعَ الْأَكْرَادِ. دَامَ مُلْكُهُ
فِي الْعِرَاقِ ٢٢ سَنَةً إِلَّا شَهْرًا،
بَدَأَ مِنْ سَنَةِ ٣٣٤ هـ.

الْمُعَزَّ يَجُرُّ

دُبُولَ الظَّفَرِ:

أَقْطَعَ الْجُنْدُ^(١) أَرْضَ

العراق - الخراب

يعتمر أرض البشر.

- ب -

سَاعُودُ إِلَى فَلَوَاتٍ، -

وَكَيْفَ أَعِيشُ أَجِيرًا

عند أميرٍ؟

كَيْفَ أَمَجِّدُ عَرْشًا مَيْتًا - عَرْشَ خَضُوعٍ

وَاسْتِخْدَاءٍ؟

كَيْفَ أَعْلَمُ أَنَّ الظَّلْمَةَ نَوْرٌ، وَاللَّهُ فَضِيبٌ

أَوْ عُكَّازٌ عِنْدَ الْعَرْشِ،

وَأَنَّ الْعَرْشَ يَرْفُفُ فَوْقَ الْمَاءِ؟

كَلَّا، سَاعُودُ إِلَى فَلَوَاتٍ الْمَعْنَى

حَرًّا، وَغَرِيبًا

وَجْهًا آخَرَ لِلصَّحْرَاءِ.

* كَيْفَ أَقُولُ لِهَذِي الْأَرْضِ، بِلَادِي أَنْتِ،

وَكُلُّ صَبَاحٍ، تُعْلِنُ:

كَلَّا، لَا يَتَحَدَّثُ بِاسْمِي

إِلَّا سِجْنٌ أَوْ سَفَاحٌ؟

(١) فِي أَيَّامِ الْمَعَزِّ «أَقْطَعَ
الْجُنْدُ الْبِلَادَ وَالْأَرْضَ. أَذَى
ذَلِكَ إِلَى الْخَرَابِ».

- ج -
 مَنْ يَخْلَصُ قِيداً مِنَ الْقَيْدِ؟ مَنْ يَتَفَهَّمُ
 سِرِّي فِي الْوَصْلِ وَالْفَصْلِ، فِي أَنِّي
 دَمٌ وَاحِدٌ:
 فَارِسٌ وَطَرِيدٌ.

مَنْ تَرَاهُ سَيُشْرَحُ أَنْشُودَتِي
 لِلْحُرُوفِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا؟

الذَّاكِرَةُ

٣٣٥ هـ.

أَلْمَعَزُ شَعُوفٌ

بِمَنْ يُتَقَنُّونَ فَنُونَ

الصَّرَاعِ^(١) - فَهَيْتَا،

إِنْ تَكُنْ بَارِعاً

فِي مَلَاحِمَةٍ أَوْ صِرَاعٍ

تَفْرُ:

أَلْجَمُوعُ تَحْيِيكَ،

وَالْمَالُ يَهْمِي عَلَيْكَ.

كُلُّ شَيْءٍ يَصِيرُ كَمَا

تَشَاءُ

طَبْعاً فِي يَدَيْكَ.

(١) «أعجب معز الدولة
 بالمصارعين والملاكمين،
 وغيرهم من أرباب هذه
 الصناعات التي لا ينتمى بها
 إلا كل قليل العقل، فاسد
 المروءة».

* هَلْ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَنِّي

أَعَشَقْتُ مَوْتِي،

لَا شَغْفاً بِالمَوْتِ، وَلَكِنْ

كَيْ أَبْقَى سِراً؟

لا مَقَرَّ. الطَّرِيدَةُ تَهْذِي،
تَتَمَلَّمُ فِيَّ - تُرَانِي وَحْشُ الْمَكَانِ،
تُرَانِي بَلْبَالُهُ؟

أَخَذَ الْفَجْرُ حَزَنِي
وَعَطَى بِهِ كُلَّ شَيْءٍ.

وَالدُّرُوبُ شَبَاكَ: بَشَرٌ مُتَعَبُونَ
هَارِبُونَ إِلَى مَوْتِهِمْ،
لا يَرُونَ وَلَا يَسْأَلُونَ.

* كُلَّ يَوْمٍ، أَفْتَشُ عَنْ هَارِبٍ،
تَحْتَ جِلْدِي.

الذَّاكِرَةُ

٣٣٥هـ.

الْجَنُودُ يَعِثُونَ

فِي الْعَالَمِينَ فُسَادًا:

كُلُّهُمْ فَاتِكٌ

وَقُصَارَاهُ أَنْ

يَتَفَتَّنَ فِي فَتْكِهِ.

لَمْ يَجْنِيْ يَوْمًا غَرَابُ الْيَقِيْنِ وَلَا هُدْهُدُ
الْحِجْنِ، بَيْنِي وَبَيْنَ السَّمَاءِ الْحَوَاجِزُ
تَعْلُو، وَتَمْتَدُّ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ.

وَأَرَى الْأَرْضَ أَضْيَقَ
مِنْ ظِلِّ طَيْرٍ، وَالسَّمَاءَ كَلَحْدٍ.

غَيْرَ أَنِّي أَرَى الْكَوْنَ طِفْلاً.

الذَّاكِرَةُ

٣٣٨ هـ.

- ١ -

فِتْنَةٌ: شَيْعَةٌ

سُنَّةٌ.

كُلُّهُمْ يُضْمِرُ الْحَرْبَ

ضِدَّ أَخِيهِ،

كُلُّهُمْ يَنْقِيهِ.

شَيْعَةٌ - سُنَّةٌ،

سُنَّةٌ - شَيْعَةٌ:

رَجُلٌ وَاحِدٌ

يَتَاكَلُ

مِنْ دَاخِلٍ.

* عَظُمَ تَيْسٌ هُنَاكَ تُرْشُ عَلَيْهِ التَّعَاوِيذُ،
تُصَنِّعُ مِنْهُ عَكَائِزُنَا،
وَتُضَاءُ خُطَانَا بِهِ، وَتُلَفَّحُ أَيَامُنَا.

لو نعيشُ كما نَشْهَى

لا يَدُ فوقنا

لا لِشَحْمِ الوجودِ ولا لِلورَمِ

لا نُبَوَاتُ حربٍ وقَتْلٍ

ولا شَرْقَ لا غَرْبَ، لا عَرَبَ لا عَجَمَ،

أبدأ في مَهَبِّ الأبد:

هكذا كُنْتُ أصْغِي لِفَقْهِ الجَسَدِ.

- ٢ -

سُنَّة - شِيعَة:

رجلٌ واحدٌ

يتمزَّق من داخلٍ

يتجزأ في ذاته،

لا لشيءٍ سوى

ضيقه:

لا يرى معه آخراً

لا يرى غير

أظفاره.

* لَيْتَهَا تَغْرُقُ -

سَفُنُ الكَلِمَاتِ التي لا تُجَنُّ،

ولا تَعَشَّقُ.

- ز -

هَيَّاتُ لِحْصَمِي
جِلْدًا آخَرَ أَظْهَرُ فِيهِ
أَنْتِي غَيْرِي .

وَحْدَيْتِي مَعَ هَذَا الْجِلْدِ يَطْوُلُ
وَلَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهُ
مَعَ زَمَنٍ مَيِّتٍ .
هَذَا زَمَنٌ مَيِّتٌ .

* لَا ضِيَاءَ - سَوَى ذَلِكَ الْبَرْقِ ،
يَخْرُجُ مِنْ قَوْلَةٍ
تَتَلَأَلَأَ ، أَوْ خُطْوَةٍ .
الْبَقِيَّةُ جَبَانَةٌ .

الذَّاكِرَةُ

٣٣٨ هـ .

- ٣ -

شِيعَةٌ - سُنَّةٌ :

زَهْرَةٌ وَاحِدَةٌ

تَنْقُصُفُ ضِعْفًا

وَجَهْلًا

فِي عَوَاصِفٍ

أَهْوَائِهَا الْبَارِذَةُ .

- ح -

تَلْعَبُ التَّرْدَ مَعَ سَيِّدِ الحِطِّ؟

مِنْ أَيْنَ تَحْطِي بِهِ؟

صُورٌ فِي صَحَارَى تُسَمَّى مَدَائِنَ، لَكِنَّهَا

تَتَحَرَّكُ عَمِيَاءَ - مَاذَا؟

سَيِّدُ الحِطِّ يَكْبُو عَلَى سَرَجِهِ .

لَا أَشْكُ: خِيُولُ الزَّمَانِ بِلَا سَائِسٍ .

- ٤ -

سُنَّةٌ - شِيعَةٌ:

مَدَنٌ مِنْ شَكُوكٍ،

مَدَنٌ مِنْ جَرَّاحٍ،

مَدَنُ الصَّمْتِ

وَالْهَمْسِ

وَالْمَوْمَاءِ،

لِمَ لَا يَبِيعُ اللَّهُ

ضَوْءَ الحَقِيقَةِ

فِي هَذِهِ المَدَنِ

المُطْفَأَةِ؟

* رَقْصُ دُبٍّ عَلَى عَرْشِ هَذَا السَّدِيمِ

المُرَكِّي

بِالْخُرَافَةِ، أَمْ رَقْصُ رَبِّ؟

- ٥ -

سُنَّة - شِيعَة :

كُرَّةُ سُودَاء

تندحرجُ فينا

تندحرجُ فيها،

حَتَّى لَنَكَادُ نَضِيعُ،

ونجهلُ كيفَ نميزُ

فينا

بينَ النعوتى والأحياء.

- ط -

هل أرى شكْلَ غُصْنٍ من الغارِ في

مُدْخَلِ البابِ، أم أتوهَّمُ؟ بابُ

يذكرُ بالبَدْءِ - هل كنتُ أحلمُ؟

هل كان رأسيَ شكلاً لطيفٍ؟

أم تُرائي أعطيتُ إِذَاكَ جِسمي

إلى آلَةٍ؟

كلُّ شيءٍ يذكرُ بالبَدْءِ،

دَعِ جِسمَكَ الآنَ يَنْهَضُ إلى سِرِّهِ.

* دائماً،

يبدأ اللَّيْلُ مِنْ سُرَّةِ.

- ي -

أشعر الآن أني في حاجة

كي أغني

لا لهذا الأمير ولا ذاك،

لا للخليفة، لا للمكان - ولكن

للضياء الذي لا يُسمّى .

أشعر الآن أن الشرار الذي في

من هذه الطبيعة

في حاجة كي يُصلي .

- ٦ -

شيعه - سنة :

نِسوة أو رجال،

بعضهم باسم سنّة

بعضهم باسم شيعية،

يحرقون البيوت،

يجزّون أصحابها

بالجبال .

* أترى ذاك مُستقبلي :

خَيْطُ أَرْيَان

يُسَجَنُ في مغزلٍ ؟

- ٧ -

سُنَّة - شِيعَة:

ألقوا من عهد

عاد، تجوب

مفازاتنا،

وفي كل دُزْب، وفي

كل حي لها مخفّل.

قبائ الخرافات

نرفع في أرضنا

راية لقتال

ولمن، ولماذا

نُقاتل، يا أيها

الزحل؟

- ك -

أطريق التي سلكتها خطاي، سلوها

ليروا ما رأيت. سلوها

عرفت كل شيء:

شغف القافلة

وعذاباتها،

والسهول التي رصدتني، والجبال التي طاردتني،

سلوها

عرفت نكهة الموت في زفارات النياق،

وضاعت

بين أناتها ومالت

تحت أعناقها المائلة.

* أتعصى، أسأئل: أين جذوري - في

صخرة، مثلما قال جُرْحي؟

أم تُراها، كما قال شعري، في موجه؟

- ل -

في العُرفَةِ حيثُ أَنَامُ، بُيُوتُ عَنَاكِبَ،
حَطُّ

أَلَا يَصْدِرُ عَنْهَا أَيُّ هَسِيسٍ.

في صَمْتِ تَبْنِي، وَتَعِيشُ كَأَنَّ الْعَالَمَ خِيطٌ
أَوْهَنُ مِمَّا تَنْسُجُ أُرُوي
لِقِرَاشِي كَيْفَ تُسَافِرُ تَحْتَ السَّقْفِ
وَبَيْنَ زَوَايَا، حَوْلَ سَرِيرِي، فِي أَشْيَائِي
إِحْدَاهُنَّ تَجِيءُ الْآنَ وَتَذْهَبُ فَوْقَ غَطَائِي.

مِنْ نَافِذَتِي

يَتَدَلَّى خِيطُ بَيَاضٍ.

- ٨ -

شِيعَةٌ - سُنَّةٌ:

نُهَبَ الْكَرْخُ^(١). قَتْلَى.

وَالْوَزِيرُ الْبُيُوهِيُّ

تُؤَخِّدُ أَمْوَالَهُ.

صَانِدُونَ يَصِيدُونَهُ.

أَيُّهَا الصَّانِدُونَ

الْإِمَامُ هُوَ

الْفَتْكُ.

وَنُعَسُّ لَدَوْلَابٍ

هَذَا الْجُنُونُ.

(١) نُهَبَ الْكَرْخُ فِي هَذِهِ
الْفِتْنَةِ. وَخَرَجَ، فِي السَّنَةِ
نَفْسَهَا، «عِمْرَانُ بْنُ شَاهِينَ
الصَّيَّادُ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ
الصَّيَّادُونَ. هَزَمُوا الْوَزِيرَ
الْبُيُوهِيَّ، وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُ.
قَوِيَ شَوْكُهُمْ».

* كَيْفَ تَبْنِي مَقَامَكَ يَا شِعْرُ فِي الْأَرْضِ،
مِنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَى رَتِيكَ الْهَوَاءُ،
وَالْفُضَاءُ فَمَ خَيَّطَتْهُ السَّمَاءُ.

- ٩ -

سُنَّة - شَيْعَة:

لَفْظَتَانِ تَنْوَانِ

تحت الجراح،

كل خزف محيط

من دم وبكاء.

لم تعد تنغنى بغير

أساطير قتلاهما،

شَهَقَاتِ الرِّيحِ.

- ٢ -

رَأْسِي الْآنَ مَلَأَ شَوْكَاً.

تَعَبٌ رَاكِدٌ فِي قَرَارَةِ جِسْمِي،

تَعَبٌ آسِنٌ.

أَلْزَمَانُ يَلُمُ الْفُصُولَ

وَيَقْطَعُ أَوْصَالَهَا - يَزْنِرُ جِسْمِي بِهَا.

إِقْرِعِ الْبَابَ، يَا أَيُّهَا الذُّبُولُ

وَلَا تَفْتَحِ الْبَابَ، يَا أَيُّهَا الْأَفُولُ.

* مَا دَمْتَ تُجَاهِرُ أَنْتَ مَلَاكُ

فلماذا لا تبقى طيراً أو تبقى ظلاً؟

- ن -

في سريري شمسُ ترنُ خلايلها،
والوسادةُ محشوةُ
برياحينَ لا حلمَ فيها.

- ١٠ -

شيعه - سنة:

فتنة داترة

كيف لا ينفّر

الضوء منها،

وترفضها

اللغة الشاعرة؟

لم أعد مالكا لِنفسي:
وَطني قَسُ غَيْبٍ
ودروبي شرارٌ -
وكأني أسيرُ لهذا الكلام.

ليلُ هذا المكانِ ثَقِيلُ
وأنا عاجِزٌ أن أنام.

* كلُّ ما قلته، أو أشرتَ إليه
صُورٌ في كتابِ المُحالِ،
فلماذا، لماذا

لم تزل تعشقُ الأرضَ، يا أيها الخيالُ؟

الذاكرة

٣٣٩ هـ.

أرجع الخبز

الأسود^(١):

الطريق التي شقها

عائداً،

بعد عشرين عاماً

إلى بيته،

خجر ينحني،

وأساطير

تُسَوَّلَد.

- س -

أَلْحُرُوفُ السَّوَائِنُ، شَأْنُ الْحُرُوفِ

الصَّوَائِنِ، لَيْسَتْ غُرَاباً

وَلَا هُدْهَدًا.

سُورٌ مِنْ غَيُومِ الْخَرِيفِ، يُحَوِّمَنَّ فِي

رَأْسِ صَيْفٍ:

يَسْتَشِيرَنَّ يَنَابِيعَهُ

وَيُؤَكِّدَنَّ مَا قَلَّتْهُ.

* لا أريد العراقيين مُلْكَاً،

لا أريدُ الولايةَ حتَّى على كوكبٍ، فخذني

أيُّها الشعرُ، خذني

إلى خيمةٍ، أو إلى وَرْدَةٍ.

(١) قبيل في تنويع على الزواية التي تقدّم ذكرها: «لما أخذه القرامطة، حملوه على عدّة جمالي تفرّحت ظهورها، ولما زدوه، حملوه على جملي واحد، ولم يصبه أذى!».

- ع -

حَقًّا، كَأَنَّ الْكَوْنَ مُثْقَلِبٌ عَلَيَّ.

- ١ -

يَدْعِي أَنَّهُ الرَّبُّ^(١)؟

خَلَّوْهُ فِي شَأْنِهِ.

مَا الَّذِي يَتَغَيَّرُ إِنْ

قَالَ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْأَلْوَةِ

شَخْصٌ:

إِنِّي وَجْهُكَ الْآخَرُ؟

قَدْ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ طِفْلٌ

أَوْ يُقَالُ كَلَامُكَ

مُسْتَعْرَبٌ، وَلَكِنْ،

لَا يُقَالُ لَهُ كَافِرٌ.

مَاذَا جَنِيْتُ مِنَ الْحَيَاةِ؟ تَشْرُدُ

وَصَدَاقَتُهُ امْرَأَةً. فَقِيرٌ

لِلدَّمْعِ يَمْزِجُنِي بِنَيْعِ جِرَاجِهَا

لِغَلَالَةٍ

أَتَنْوِّرُ الْجَسَدَ الْبَهِيَّ وَرَاءَهَا

وَأَزِيحُهَا خَفِيرًا وَأَهْوِي

فِي لُجَّةِ الْجَسَدِ الْبَهِيَّ.

* لَا تَقُلْ هَذِهِ طَرِيقِي، أَوْ هَذِهِ طَرِيقٌ،

إِذَا لَمْ يَكُنْ بِدَوُّهَا هَوًى.

(١) «رُفِعَ إِلَى الْوَزِيرِ الْمَهْلِيِّ
رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ جَعْفَرِ بْنِ
أَسِي الْعَزْزِ الَّذِي قُبِلَ عَلَى
الرَّزْنَدَقَةِ، كَمَا قُبِلَ الْخَلَّاجُ.
اتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَهْلَةِ
صَدَّقُوهُ فِي ادِّعَائِهِ الرِّيَاسَةِ،
وَأَنَّ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ
تَنْتَقِلُ إِلَيْهِمْ. وَجَدَتْ فِي مَنْزِلِهِ
كُتُبٌ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. كَانَ
مَعَزُ الدَّوْلَةِ يُحِبُّ الرِّافِضَةَ.
فَبُحِثَ إِلَيْهِ».

- ٢ -

أَنْ يَجِيءَ نَبِيٌّ

أَوْ مَلَاكٌ، وَيَنْزِلَ

فِي صَدْرِ شَخْصٍ

شَاعِرٍ أَوْ سَوَاءٍ،

حَدَّثَ مِنْ بَهَاءِ السَّمَاءِ،

بِهَاءِ الْبَشَرِ

حَدَّثَ لَيْسَ فِيهِ

مَا يُضَيِّرُ الْإِلَهَ،

حَدَّثَ يُنْتَظَرُ.

- ف -

هَلَّا سَمِعْتَ هَدِيرَ مَوْجِي أَيْهَا الزَّمَنُ

الْحَطَامُ

لَا صَوْتَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِيطَ بِمَا أَحْسُ

وَلَا كَلَامُ.

بَزَعْتَ نَجُومَ فِي فِضَاءٍ تَشْرُدِي

نَاجِيَّتُهَا،

وَسَأَلْتُ عَنْ أَسْمَائِهَا

لَا نَوْرَ أَصْغَى لِلسَّوَالِ وَلَا ظَلَامُ.

* أَشْعِلْ قَنَدِيلًا، حَيْثُ ذَهَبْتَ،

وَلَا تَسْتَغْرِبْ

إِنْ لَمْ يَرَهُ إِلَّا عَمِيَانُ.

- ٣ -

نَفَعَ اللّهُ من رُوحِهِ

في جُسُومِ بَنِيهِ،

فَرَأَى بَعْضُهُم

أَنْ في رُوحِهِ نَبِيًّا

وَرَأَى بَعْضُهُم مَلَكَأً،

لَا مِساْفَةَ، لَا فَضْلَ

في نُشُوءِ الكُونِ،

بين الحُضُورِ وَبَينِ

الْغِياِبِ،

وَرَحِيْقُ السَّماِءِ رَفِيْقُ

وَصِنُوْ

لِرَحِيْقِ التَّرابِ.

- ص -

أهو الفِراؤ؟ أفرُّ من حُلُمِي، ومِمّا كانَ

لي أَفقًا، وأتركُ مِصرَ؟ عَفوَكَ

يا كَلِيمي، أينَ أَنتَ؟ وأنتَ يا هذا

النَّخيلُ أَجِبْ، ويا ذاكَ العِراؤ.

أَتُرى طَريقِي شَتُّهُ،

أَمْ شاءَني؟

أَتراه ضِوءٌ مُستَعارٌ؟

* لَا تَخَفْ غَيرَ عِلْمِكَ،

يا أَيُّها العالِمُ.

الذّاكِرة

٣٤٠هـ.

- ق -

ماذا أقولُ لمِصرَ؟ كلاً،

لم أَهْجُ مِصرَ - سَخَرْتُ من حُكّامِها

(لَكُنِّي أَخْطَأْتُ إِذْ مَا هَيْتُ بَيْنَ تُرَابِها

ونِظامِها).

لم أَهْجُ مِصرَ - هَجَوْتُ ذُلّاً

وَضُمائِراً مَنْخُورَةً.

وهَجَوْتُ عَرِشاً: ما شَأْنُهُ

إِنْ لَمْ يَكُنْ ضِوَاءً يُسَبِّحُ وَجْهَ مِصرِ؟

- ٤ -

شِزْراً، طِفْلَةً

نَظَرْتُ لِلْمَعْلَمِ، قَالَتْ:

لا أَرَى بَيْنَ عَيْنَيْكَ

أَنِّي مُلَاكٌ.

قِيلَ كَانَ الْمَعْلَمُ

يَرْوِي لَهَا

أَنَّهُ نَجْمَةٌ.

* رَبِّمَا كَانَ دُنِّي

عِنْدَ أَعْدَاءِ شِعْرِي،

أَنْتَنِي

لا أَكُنْ لَهُمْ أَيَّ شَرٍّ.

بيني وبين النيل فاتحةً على غيب الجراح،

وبين شعري

والنيل سِرٌّ غوايةً كُبرى، وبينهما انفجارٌ

أَبَدٌ من المعنى تَقْمَصُّ أرضَ مِصرٍ

مِثاقُهُ ماءٌ

وصورته من الماء الشَّراؤ.

وأقولُ مِنْ وَلِيهِ، وأكتمُ غَيْرَتِي:

يا نِيلُ كيف يصحُّ أن تستقطبَ الدُّنيا،

وتعشقك العناصرُ والفصولُ،

ولا أغازُ؟

الذاكرة

٣٤٠هـ.

- ٥ -

شاعرٌ أكَّد الأصدقاء

وأكد جيرانه

أَنَّهُ، كلُّ يومٍ،

يَتَقَمَّصُ بِضِيَّاحِ ما

كان يُدعى زقاق

العروسة في حَيِّهِ

ويأوي إلى حانَةٍ.

قِيلَ من قَبْلُ عنه:

عادةً تشرق الشَّمْسُ

في جَوِّ بغداد

مُسْلِمَةً خَضَرُها

لهوى كَتْفِيهِ.

* قُلْ: نَعَمْ لِلطَّرِيقِ،

وكلاً لمن شَقَّها.

- ش -

أَتَرَاهُ يَشْتَاقُ الْفِرَاتُ إِلَى خُطَايَ؟

تَرَى إِلَيَّ أَزَقَّةً

فِي الْكَوْفَةِ ارْتَسَمَتْ عَلَيْهَا

آهَاتُ سَقَاءٍ؟ أَتَحْتَاجُ السَّمَاءَ إِلَيَّ،

كَيْ أَصِلَ النُّجُومَ بَلِيلَ جَدَّتِي الْبَعِيدِ،

وَكَيْ الْأَمْسَ غَيَبَ أُمِّي؟

هُوَذَا أَعُودُ إِلَيْهِمْ

هُوَذَا أَعُودُ بِلَا رَجَاءٍ وَبِدُونِ يَأْسٍ،

أَحْيَا غَرِيباً مِثْلَهُمْ

الشَّعْرُ كَوَكُبُنَا وَفَتَتَهُ الْمَدَارُ.

- ٦ -

انظروا هذه المِدْفَاءَ

حولها، حول جَمْرٍ

يتأجج في صدرها،

تتبادلُ روحيهما

وردةً وامرأةً -

فوق رأسيهما

مَلَاكٌ

يغطينهما بأهدابه.

انظروا، ها هو

الملاكُ يوحدُ

وَجْهيهما.

* لَيْلًا، حِينَ أَنَا، يَكُونُ الْعَالَمُ فِي رَأْسِي

مَعْنَى،

فَلَمَّاذَا، حِينَ أَفِيقُ صَبَاحًا

يَصْبِحُ هَذَا الْمَعْنَى صُورَةً؟

- ت -

خمرُ الغيوبِ تَسِيلُ في جسدِ المكانِ،
شعاعُها

جسدُ الهواءِ: دمي رحيقُ
مِمَّا تُعْتَقُهُ، وَأَيَّامِي جِرَارُ.

من أين آخذُ هذه الدُّنيا، ولؤلؤُ عَرْشِها
طينُ، ومالِكُها غبارُ؟
أَتُرى حَيَاتِي نَشْوَةٌ
طاشت وطاشَ بها المسارُ؟

- ٧ -

ظَبِيَّةٌ قَتَلَتْهَا

رماحُ القَبِيلَةِ، لكن

هِيَ ذِي تَنَاسُخٍ فِي حَانَةِ

كَانَ يَأْوِي إِلَيْهَا

نَوَاسِيْنَا .

ظَبِيَّةٌ تَتَنَاسَلُ

فِي مَاءِ أَحْزَانِهَا .

* يُوشِكُ مَنْ يَفْهَمُنِي حَقًّا،
أَنْ يَسْتَعْبِدَنِي .

- ث -

شَرُّ الرِّحِيلِ لَبْسُهُ
وَبِنَارِهِ لَقَحْتُ خَطَوِي: لَا قَرَارُ.

- ٨ -

أَلرُّوحُ رَحِيلٌ.

ماذا لو شاءتْ

أَنْ تَتَوَقَّفَ أَوْ أَنْ

تَسْكُنَ فِي مِفْتَاحِ

أَوْ فِي قِفْلٍ؟

أَلْخَالِقُونَ كَأَنَّمَا خُلِقُوا لِكُلِّ مَدِينَةٍ
وَلِكُلِّ عَصْرِ،
فِي كُلِّ مُفْتَرَقٍ لَهُمْ بَيْتٌ،
وَكُلِّ سَحَابَةٍ لَهُمْ دَنَارٌ.

أَلرُّوحُ هَوَاءٌ أَوْ نُورٌ

وَلَهَا أَنْ تَسْكُنَ أُنًى

شَاءَتْ.

أَهْنَاكَ مَلَاكٌ

لَيْسَ هَوَاءٌ،

أَوْ نُورًا؟

* الوجودُ عطاءٌ:

أَعْطِ كِي تَتَيَقَّنَ أَنَّكَ حَيٌّ.

- خ -

يا ذلِكَ الوجهُ الذي رَسَمتهُ أَيَّامِي على
جَسَدِ الحَيَاةِ أُنِزْ خُطَايَ أُنِزْ

هَوَايَ

لي مِنْكَ في الظَّنِّ الجميلِ على فِرَاشِي شَمْعَةٌ
هوذا أَدورُ بها وأَكْتُبُها،
وأَقْرَأُ ما تَخَبُّأُ مِنْ دَفَاتِرِها،
وتَسْكُرُ بِاسْمِها لَغْتِي، وَيَسْكُرُ بِاسْمِها
حَبِّي، وَيَسْكُرُ سَاعِدَايَ.

- ١ -

إنَّها الحربُ^(١)

تَغسلُ أَرْدافِها

بدمِ المُسلمينِ!

- ٢ -

سَمُكُ العَرشِ

يَسِخُ في

بِرَكَّةٍ مِنْ دَمَاءٍ،

والحَيَاةُ جَحِيمٌ

حيثُما كُنْتَ في ظِلِّ

هذِي العروشِ -

عروشِ العَرَبِ،

فازُفَرِي عَالِيَا واثُشْجِي،

يا رِيَاخَ اللُّهَبِ.

* لا ضِيَاءَ،

إِذَا لَمْ يَكُنْ آتِيَا مِنْ جَرَاخِكَ.

(١) «جرت حروبٌ كثيرة في
هذه السنة، بين المَعزِزِ
الفاطمي، وصاحب الأندلس
عبد الرحمن الناصر الأموي».

الذاكرة

٣٤٤هـ.

- ذ -
أَلشَّمْسُ تَدْخُلُ فِي حِבَاءِ حَنِينِهَا -

حَانَ الرَّحِيلُ

ماذا؟ كَأَنَّ هَوَايَ مُنْشَقٌّ

وترحالي عليلٌ

في ساعدي قيودُ أحلامٍ

وفي قلبي طولٌ.

- ٣ -

فاطمي هنا، أموي

هنالك، والناس

في أمرهم، وفي غيهم

سادرون،

ولماذا، إذن، لا يرى

على الخرب أبؤنا

وأبناؤنا؟

ولماذا

لا تُشَقُّ القُبُورُ

لشُرْكٍ فيها،

ويُبْعَثُ

الميتون؟

* الدَّمْعُ طَرِيقٌ

تسلكه العينُ لتكتبَ فيه

ما لا تقدرُ أن تقرأه.

- ض -

عَتَيْتُ لِلْمُتَشَرِّدِينَ

أَلْغَاضِبِينَ عَلَى الْهَوَاءِ - يَهْبُ دُونَ رِسَالَةٍ

مِنْ طَائِرٍ أَوْ وَرْدَةٍ وَقَرَأْتُ شِعْرِي

لِلْفُضَاءِ - مَمْرَقًا بِحُدُودِهِ وَأَقُولُ لِلْمُتَجَبِّرِينَ،

فِي أَيِّ قَافِلَةٍ مَضَوْا مِنْ أَيِّ قَافِلَةٍ أَتَوْا:

نَامُوا وَرَاءَ سِوْفِكُمْ،

نَامُوا أَمَامَ سِوْفِكُمْ،

وَلَيْنَهَمَزُ كَذِبُ الْمَدَائِحِ فَوْقَكُمْ،

وَلْيَصْطَخِبْ قَالٌ وَقِيلٌ،

فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْجَمِيلَةِ

وَحَدَهُ، يَبْقَى الْجَمِيلُ.

- ٤ -

فاطميّ هنا، أمويّ

هنالك: رُمَحْ

في اِفْتِتَانٍ،

وسيفٌ

في عِباءةٍ زُهوٍ.

يا بلادَ الكتابِ

وأَسْرارهِ العالِيَةِ،

زُبْمًا فَاتَكَ الْوَقْتُ:

هَذي الْحَيَاةُ الَّتِي

شَتَّيْهَا،

لَا طَرِيقَ لَهَا،

لَا مَكَانَ سِوَى

الْهَاوِيَةِ.

* عَبْتُ الْوَاقِعِ عَالٍ

لَا يَقْدَرُ أَنْ يَبْلُغَهُ حُلْمٌ.

الذاكرة

٣٤٤هـ.

- ظ -

ألوحدُهُ اتَّكَأْتُ على أَوْجاعِها
والضَّوءُ يقرأ جُرحَهُ
لكواكبِ اللِّغَةِ البعيدة.

- ٥ -

أموئِي هنا، فاطمي
هنالك: يا هذه
الأم، يا أبجدية
تاريخنا الدامغة،
لم نعد فيك إلا
تعبلة شكل:
نحن تمثالُك العجيز
وجزفتك اللامعة.

في كلِّ شيءٍ بُحَّةُ
والأفقُ منكسرٌ: حضنتُ
هواجسي،
ودخلتُ في كَنَفِ القصيدة.

* لا جحيمٌ، ليعرف كيف يُحسُّ بنارك،
أو يرتقي إليها، أيها العاشقُ
لا نعيمٌ، ليعرف كيف يُحسُّ بنشوتك
الكوكبية، أو يرتقي إليها، أيها
الخالقُ.

- ٦ -

فاطمِي هنا، أمويّ

هنا لك: والنّاس

في حيرة ساهمون.

أقول السّلام عنى

أرضنا

أقول وداعاً لتاريخنا؟

وأنا لست إلا سؤالاً،

هل لديكم جواب

أيها العارفون؟

- غ -

لا حدود لِمَسْرَى هَوَايَ. الحنينُ رداء.

أَتَخِيلُ ما تَهْمِسُ الأَرْضُ،

ما يَجْهَرُ البَحْرُ،

ما ستَقُولُ النُّجُومُ.

سيكونُ اقْتِئاناً أن تَسِيرَ بِي الأَرْضُ

حرّاً غريباً

قدماً في الثّرى، قدماً في الثّرى.

أَتَبْعُثُرُ في فَلَكٍ من ظنونٍ

وأَسْأَلُ من أين جئتُ إلى أين أذهبُ،

عزّافة النّجوم.

* من يقول: القصيدة ليل

وعزلة مُستوحِدٍ في سَفَرٍ؟

أَلْقَصيدةُ أرضِ البَشَرِ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



VI. غُور

١ - لو

أَتَخَيَّلُ بَغْدَادَ، لَكُنِّي أُحِبِّي
حَلَبًا، وَأُحِبِّي كُوفَةَ الثَّائِرِينَ - تَرَصَّدُ
كَيْفَ تَعْجُنُ بَغْدَادُ أَحْزَانَهَا
فِي الْمِيَادِينِ، فِي كُلِّ حَيٍّ، وَفِي كُلِّ بَيْتٍ
وَتُزَاوِجُ بَيْنَ الرِّغْفِيفِ وَأَحْلَامِهَا وَالسَّهَرِ.

لَوْ تَرَصَّدَتْهَا،
لَصَنَعْتَ مِنَ اللَّيْلِ قِيثَارَةً وَغَنَيْتَهَا
وَتَمَثَّلْتَ فِيهَا هَوَاكَ وَمَهْدِيكَ الْمُتَنْظَرُ.

٢ - عهد

لم تتركِ إثمًا
إلاَّ علَّمتِ جراحِي أن تُثَقِّنَهُ
مائي ظمًا
ودمي لُججٌ مِن حِيتَانِ .
لَكَ عَهْدِي - أَأَنْ أَبْقَى
أَتَعْلَمُ كَيْفَ سَأُولَدُ، كُلَّ نَهَارٍ،
بِاسْمِ الحَبِّ،
وكَيْفَ سَأَحْيَا.

٣ - تجويف

ليس هنالك، حيث وُلدت،
وحيث سَتَقْبَرُ، إلَّا
تَجْوِيفٌ يُنْفَخُ فِيهِ
مِنْ رُوحِ غِبَارِ شَيْخٍ
طِفْلٌ قَامُوسِيٌّ.

هل يُزْهِرُ صَخْرٌ حَقًّا
إِنْ لَامَسَهُ رَبٌّ؟

٤ - عندما

عندما تعبرُ

يُكْسِرُ الضَّوُّ فِي خُطَوَاتِكَ ،
وَالشَّمْسُ تَفْتَحُ أَحْضَانَهَا
لِكِتَابِ الْجِرَاحِ وَأَسْرَارِهَا ،

عندما تعبرُ

فِي زِقَاقٍ تَعَلَّمَتْهُ خُطْوَةٌ خُطْوَةً ،
أَوْ إِلَى جَنْبِ مِئْدَنَةٍ نَمَتْ فِي ظِلِّهَا ،
أَوْ قِبَالَ بَيْتِ مِنَ الطِّينِ آخِيَتُهُ - وَلَكِنْ ،
قُلْ ، لِمَاذَا

عندما تعبرُ

لَا تَلَوِّحْ ، لَا تَنْظُرْ ؟

حَلَبٌ - كَيْفَ صَارَتْ
أَنْتَ يَا مَنْ شَبَّتَ عَلَى زَهْرِهَا
وَتَشَبَّتَ بِالْكَوْنِ فِيهَا؟

الْغَبَارُ فَمَنْ يَشْرَبُ الضُّوءَ
وَالشَّمْسُ تَرْتِي قُوَيْقَاً.

أَتُرَاهَا الْأَرَائِكُ مَحْشُوَّةَ رُؤُوساً؟
وَمَا هَذِهِ الْجِسْمُ الَّتِي تَتَوَخَّشُ،
مَا هَذِهِ الرُّؤُوسُ الَّتِي تُرْكَلُ؟

جَحْفَلٌ مِنْ عِظَامٍ يَغِيبُ
لِيُظْهَرَ فِي إِثْرِهِ جَحْفَلٌ.

٦ - مطبخ

يَقْرَأُ الْقَصْرَ وَالشَّعْرَاءَ وَأَهْلَ السِّيَاسَةِ، طَبَّاخَهُمْ:
أَعْطِهِ صُرَّةً،
أَعْطِهِ مَنْزَلاً، أَوْ حَصَاناً،
أَعْطِهِ رِيشَةً وَدَوَاةً،
وَقَدْرًا
لِلْحَسَاءِ، وَخُذْ مَا تَسِرُّ
مِنْ حَشْدِ هَذَا الْوَرَقِ.

وَرَقُ قُرْشِيٍّ
مَنْ تُرَى يَتَجَرَّأُ أَنْ يَتَوَسَّلَ طَبَّاخَهُمْ
كَيْ يَكُونَ رَفِيقًا بِهَذَا الْمَرْقِ؟

٧ - إِنَّهَا

إِنَّهَا - لا تَرُدُّ، لا شَكَّ في ما أَقُولُ - السَّمَاءُ
فوق بَغْدَادَ، في حَلَبَ، في دِمَشْقَ
وعلى ضِفَّةِ النَّيْلِ، ترعى
وتحرسُ عَرْشَ الْخِلَافَةِ،
والوارثينَ،
وَعُلَمَانَهُمْ.

إِنَّهَا إِنَّهَا السَّمَاءُ:

في يَدِ حَنْجَرٍ،
في يَدِ بَيْغَاءَ.

٨ - أبدأ

أبدأ، لو تَوَضَّأْتَ بِالْعِطْرِ،
لو أَثَّكَ الْعِطْرُ،
باركتَ أَيَّامَنَا وباركُتْنَا
بالكلام الذي سُمِّيَ الْوَحْيُ،
أو بِالتَّرَابِ الذي لَا يَزَالُ عَلَى وَجْهِهِ
أَرْجُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَثَارُ أَقْدَامِهِمْ،

أبدأ،
لن يَكُونَ لَتَارِيخٍ مَعْنَاكَ إِلَّا
شَكْلُ مُسْتَنْقَعٍ.

٩ - نقائض

ما تُرانا نقولُ هنا الآنَ في المرءِ - هذا الذي

تَحَيَّرُ فيه البصائرُ: جَمْعُ

من نقائضَ . ذاتُ

تَتَقَنَّعُ حتَّى لَتَلْبَسُ كُلَّ قَناعٍ . جُزْيَاءُ

يحتوي الكلُّ . يُخلَقُ لكنه خالِقٌ .

عاقِلٌ والجنون هواءٌ له . واهِمٌ

غيرَ أنَّ له بَصَراً من حديدٍ،

حائِلٌ ثابتٌ .

ما تُراك تقولُ هنا الآنَ فيه -

أنتَ ، يا عقلي الصَّامِتُ؟

١٠ - رقص

يُضْحِكُ التَّيْلُ أُمَ ذَاكَ طِفْلٌ
لَهُ التَّيْلُ وَجْهٌ؟

رقصُ مَوْجٍ
وفي العُشْبِ، في الضَّفَّتَيْنِ، عِيونٌ
تَتَلَمَّسُ أَحْلَامَهَا،
وقاماتُ ضَوْءٍ، وأَكْفُ تُصَفِّقُ. عِيدٌ.

عاشِقٌ مَمْسِكٌ بِيَدَيْ شَمْسِهِ:
يَلْبَسُ الْفَجْرُ ثَوْباً
حَاكُهُ مِنْ بَرَاعِمِ أَزْهَارِهِ.

آه، يا ذاكِ الحُبِّ. من أين تأتي إلى كوخِ أَيْامِكَ الباكِيَةِ
هذه التَّجْمَةُ الْعَالِيَةِ؟

فاصلة استرجاع

(المتنبي يخاطب امرأ القيس)

التَّخِيلُ يَفْتَحُ لَكَ الطَّرِيقَ حَيْثُ تَعْبِرُ نَاقَةً تُشَبِّهُ الْكَلَامَ . أَلْهَذَا
سَمِيتَ الْحَبَّ غَزَالَةً رَحْتَ تَطَارِدُهَا وَتَرَكْتَ أَنْحَاءَكَ
تُشَبِّهُ بِالْأَفْقِ وَنَفْسِكَ «تَسَاقُطُ نَفُوساً» ؟
«الْيَوْمَ خَمِرٌ وَغَدًا أَمْرٌ» :
عَرَفْتَ كَيْفَ تَرْقُصُ مُنْفَرِداً ، وَكَيْفَ تَصْنَعُ لِمَوْتِكَ فِضَاءً .

حِينَ تَنَاءَتْ «فَاطِمٌ» ،
خَرَجْتَ أَحْزَانُكَ وَرَاءَهَا تِلَالاً .
أَنْتَ الْآنَ مُفْرَدٌ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَكَ :
هَلْ أَحْزَانُكَ لَكَ ؟
هَلْ أَنْتَ أَنْتَ ؟

خدعتك «فاطم» -

مَنَحْتَ كُلَّ مَا لَيْسَ مِنْهَا .

خانتك ولم تهجرك :

هكذا، غالباً، يُولَدُ الحُبُّ .

- غديرٌ عاري :

نساءً

يلبسنُ

الماء .

- هل الحياةُ امرأةٌ تعيش

في غابات

المجاز؟

في «المُلْكِ الذي حاولته»، وتركتَه تائهاً، يمتدُّ

شهيقٌ يحملُ تاريخك :

- كان فارسٌ

الهجوم،

لهذا

خانتَه

الأشياء الهاربة .

العمل حصادك الذي اكتمل،

والحلم الزرعُ الذي لا يكتمل .

إنها الصَّحراءُ لا تشيخُ وهيئاتُ أن ترتوي

بماء كلماتك .

- أليست الغيمةُ

الصيَّادَ الوحيدَ

الذي يموثُ

لتحيا

طريدته؟

ها همُ «الحُرَّاسُ» يَسْتَسِرُّونَ في الهواء

ها هو «القتل» بساطُ المسافات

قُلْ لصاحبك : «لا تبك»، وَضَعْ حَدَّكَ عَلَى التُّرابِ .

حولك رياحٌ

وفي مكانٍ ما، بقرةٌ وحشيةٌ تزفر حنيناً.

مع ذلك لا تزال شفتاك بين حروفك،

وما زلت معنا،

تهجم، وتجوّب المفازات.

«مَوْجٌ هو اللَّيْلُ، والصَّبَا حُ لَيْلٌ آخِرٌ»،

«ذراعك تضيق أن تقوم فتلبس رداءك»،

وها هي الرِّيحُ تَنسُجُ المكان.

خَطَطُ لهذه النهاياتِ حروبها، واستبسل.

سيكون الرَّمْلُ فخوراً حين يغمرك،

وسوف ترقصُ الرِّيحُ.

- هل

الغبارُ

يكتبُ

الرِّيحُ،

أم

الرِّيحُ

تكتبُ

الغبارُ؟

أعطيت أطرافك للأقاصي مازجاً بين الشمس

ولهيك: هكذا وسعت حدود سجنك.

أني عُرِي في أن تشاهد الصحراء تلبسُ

أحلامك!

أية حريّة في أن يكون الهواء حصاراً!

أنت الآن تتشرّد في قبيلة الصّمت، والشّعْر وحده

يستعيدُ صراخَكَ في مجالسٍ للتّبيذ والطّيب

حيث تُغتصب اللذّة لطف السّماء وتتصالح مع

السّرابِ النبوءات

مُخالفٌ مُنازع:

أيّها التّائه كيف تقوّد غيرَكَ؟

قوسُ قُرحٍ من جهة الشّام:

إنّه شعرك ينزفُ الضّوء.

- ١ -

فتنة تتواصل. قتلى.

شيعة. سنة.

وهذا

نصف جن. وهدي

نصف شيطانية،

والبقية

صور تتأله في

نسخ آدمية.

- أ -

وَطَنٌ تُدَحْرَجُهُ عروشُ اللّهِ،

هَلْ يُجْدِي المَقْدَمُ لِكِي نُعِيرُهُ؟

وهل يُجْدِي الرَّحِيلُ؟

فَلَا حَفِظَ بِهَوَاهُ،

وَلَأَهْمَسَ لِقَلْبِي: كُلُّ جَرَحٍ

وَطَنٌ لِنَبْضِكَ، أَوْ دَلِيلُ

وَلَسَوْفَ تُؤْوِيكَ الغيومُ كريمةً

وَلَسَوْفَ يُسَعْفَكَ النَّخِيلُ.

* فرحي طاغ:

أَلْهَذَا لَسْتُ سَعِيداً

فِيمَا أَتَنَسَّمُ عَصْرِي؟

- ب -

عجبا! نَهَارِي كَيْفَمَا عَايَنْتُهُ

ظَلَمَاتُ شَكِّ

وَيُضِيئُنِي،

وَيُضِيءُ ظَلَمَةَ شَكِّي اللَّيْلُ الطَّوِيلُ.

رُدِّي عَلَيَّ غَطَاءَ حَبْنِي

رُدِّي إِلَيَّ غَوَايَتِي -

يَا فَتْنَةَ الدُّنْيَا، أَنَا وَجَحِيمُ عَطْرِكَ وَاحِدٌ

وَالْمُسْتَحِيلُ.

- ٢ -

مُنْبِذُ الْكَرْخِ

مُنِيرُ أَحْزَانِهِ

شَارِدُ وَارِدِ.

وَالْجَمُوعُ عَلَى عَهْدِهَا

تَتَصَوَّرُ حُرُنَا

وَجُوعَا.

إِمْحِي وَاخْرُجِي

مَنْ تَهَاوَيْلِكَ

النَّيْزِكِيَّةُ

أَيُّهَا الْهَالَةُ الْمَاضِيَّةُ.

* رَبِّ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرِي

لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي،

أَيَقَنْتُ وَأَوْقَنْ فِيهِ.

- ج -

هُوَذَا أَعَانِقُ حَيْرَتِي

وَأَرَى إِلَى زَمَنِي يَدُورُ كَأَنَّهُ

كُرَّةٌ مِنَ الْوَرَقِ الْعَمَاءِ،

يَجْرُهَا جَبْرٌ عَمَاءٌ،-

أَلْأَرْضُ وَارِثَةُ السَّمَاءِ؟ خَرَافَةٌ.

مَا أَفْقَرُ الْأَرْضُ الَّتِي تَرِثُ السَّمَاءَ.

- ٣ -

عَائِشُوْ يَتَسَلَّقُ

ضَوْءَ النُّجُومِ إِلَى

حَبِيْبِهِ،

أَخَذَتْهُ فَجْأَةً، بَيْنَ أُنْيَابِهَا،

فَتَنَّتْهُ الْعَرْشَ وَالْدِّينَ.

أَخْرِقْ

مَا تَبَقَّى: أَغَانِيَهُ.

أَسْلَاءُهُ الْبَارِدَةُ،

أَيُّهَا الشُّرْطِيُّ الَّذِي

يَحْرُسُ الْمَائِدَةَ.

* أَرْضُنَا كُرَّةٌ مِنْ تُرَابٍ

وهذي

قَدَّمُ اللَّهَ تَلْهُوْ بِهَا، وَخَدَهَا.

- ٥ -

مدنٌ تصيرُ مقابراً

وخطيُ تصيرُ ديببَ ثملٍ .

حيثُ تُدنيُ نجمة

وطويثُ تحتَ عباءتي ورقاً ضنيناً

أودعته ما كان بين دمي وهجرتها النية .

أقول هذي سَقَطَةُ الدنيا، تمورُ نُخومها

بجحافلِ الموتى،

وترتطم الضحيةُ بالضحية .

- ٤ -

بَعْدَ طَغْيِ هَنِيءٍ،

أُبْحَرَ الرُّمَحُ فِي

الغيمِ، نحو السَّمَاءِ

كِي يُرَكِّي

سَيْئَهُ، وَيُرْوِي

سَافَهُ وَيُدِيهِ

بِرَحِيْقِ الْمَلَانِكِ

وَالْأَنْبِيَاءِ .

* أَسْأَلُ: ماذا يمكن أن يعني

أيُّ كتابٍ لم يقرأني؟

«أَهْنَاكَ شَيْطَانٌ يَرُوْغُنِي؟» سَأَلْتُ

سَرِيرَتِي،

وَأَخَذْتُ أَوْغُلُ فِي مَخِيلَتِي - أَجْسُ

وَرِيدَ حَبِّي،

وَأَقُولُ، مِنْ ضَجَرٍ، كَغَيْرِي:

رَخْوُ هُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يَصُلُّ الْفَجِيعَةَ بِالرَّجَاءِ.

وَأَقُولُ مِنْ يَأْسٍ، كَغَيْرِي:

نَامَتْ نَوَاطِيرُ الْمَدِينَةِ فِي طَوَاحِينِ الْهَوَاءِ.

الذَّاكِرَةُ

٣٤٨ هـ.

- ه -

كوكب - فتنه:

هو في عين محمود

وجه

هو في عين حمدان

نفاحة

فلماذا تكون الطريق

إليه،

دزجا من دماء

صاعداً هابطاً؟

شغفي كوكب آخر

يجيء إلينا

بطيئاً على فيله.

والطريق إليه

دزج من ورود.

* وحده، الغيب، يقدر أن يوقف الهواء

على رأسه:

هل يتأخ لشكي

أن يرى هذه المعجزة؟

- و -

أَتَعْجَبُ مِنِّي : لماذا، جسدي شائع، وحبّي طفل؟
ولماذا

جسدي، رُغم أهواله، جامع،
وروحي في صُورة لا تُشبه؟ سيّري
نحوهم، يا خطاي -
إلى هؤلاء الذين يدقّون باب
الرجاء، يعيشون في ظلّ أحلامهم.

واحدٌ نحنُ :

حبّي،
والكون لا ينتهي.

- ٦ -

نهضتُ شمسُ هذا
الصباح، رأيتُ جسم
بغداد أحمر،
والناس في شغلٍ
فاكهيّن.

إنّه القتلُ يولمُ
أنفاسه،

إنها الحربُ تستغفرُ
الجائعين!

✽ غيّر الوقتُ كرسيّه
والدقائقُ نحُل - خلاياهُ في كلّ حقلٍ.

- ز -

رَحْتُ أُوهِمُ صَحْبِي

أَنْنِي رَاغِبٌ فِي مَقَامِي، وَلَكِنْ

كُنْتُ فِي وَحْدَتِي أَهْيَى سِرّاً

لِلرَّحِيلِ بِلَطْفٍ وَرِفْقٍ.

أَشْكُرُ الرَّمْلَ - فِيهِ دَفَنْتُ رِمَاحِي،

وَحَمَلْتُ عَلَى الْإِبِلِ الْمَاءَ فِي اللَّيْلِ زَاداً

لِعَشْرِينَ يَوْماً.

فَلَقِي كَالسَّحَابِ يَقِيسُ السَّمَاءَ بِأَشْلَانِهِ.

* زَمَنِي غَابَةٌ مِنْ خِيوطِ

لِعِنَاكَبَ مِنْ كُلِّ جَبَرٍ،

وَأَنَا طَائِرٌ يُقَلَّبُ فِيهَا.

الذَّاكِرَةُ

٣٥٠هـ.

- ٧ -

أَتَرَى ذَلِكَ مَا قَالَهُ

الدِّينُ:

إِمَّا هُنَاكَ، وَإِمَّا

هُنَا؟

قِسْمَةُ مَرَّةٍ

وَحِيارٌ عَقِيمٌ.

مَنْ تُرَى أَنْتَ،

إِنْ لَمْ تَكُنِّي أَنَا؟

- ٨ -

أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّابِ

أَيُّهَا الْمَسْكُوعُ فِي

كُوفَةِ الشَّعْرِ،

مُسْتَرِشِدًا

بِأَرْقَةِ أَحْلَامِهَا،

رَبَّمَا، كُلُّ مَا قَالَتْ

النَّبَوَاتُ خَيْرٌ.

وَلَكِنْ،

كُلُّ مَا قَالَتْ الْحَيَاءُ

جَمِيلٌ، وَيُؤَكِّدُ هَذَا

خُبَارِي،

مَا خِيَارُكَ يَا أَيُّهَا

الْوَالِدُ،

أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّابُ؟

- ح -

إِنَّهُ الْعِيدُ(*)، وَالنَّاسُ «فِي شُغْلٍ فَاكْهُونُ»،

وَالْأَمِيرُ وَحَرَّاسُهُ

فِي ابْتِهَاجٍ وَفِي غَفْلَةٍ.

جَاهِزٌ كُلُّ شَيْءٍ،

وَطَرِيقِي يَبْتَئُهَا.

الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ وَهُمْ غَافِلُونَ.

* تَعَبٌ - لَا أَقَايِضُ هَذَا التَّعَبُ

لَا بِمُلْكٍ عَلَى الرَّافِدِينَ، وَلَا بِالذَّهَبِ.

(*) عيد الأضحى، وعشية

العيد بالذات كتب قصيدته

«عيدُ بأية حالٍ...»، وانتَهَزَ

انشغال كافور والناس بالعيد،

ليرحل.

- ط -

هِيَ بَلْبِيسُ: عبد العزيز بن يوسف^(*) ضوء
في ظلامي - ضوء صديق.

- ٩ -

النبي الذي كان،
من حكمة،
مستطيلاً،
يُصبح الآن، من
حيرة، كروياً.

طيب ليل هذا
اللقاح
بين باه الغناء
وباه الثواخ!

* ربّما كان هذا الحجرُ
قطعةً من شهاب هوى.
ربّما كان هذا الغمامُ بريدَ المطر.

(*) كان الشاعر يعرفه، وقد
نزل عنده في بلبيس، فأكرمه
وأرسل معه دليلاً.

- ١٠ -

دجلة - متخفّ سائِلُ

لِلرَّؤُوسِ الَّتِي أُلْقِيَتْ

فيه، بِاسْمِ الْخِلاَفَةِ،

أَوْ بِاسْمِ نُورِ الْإِلَافَةِ.

دجلةُ يَشْهَدُ رُغْبًا:

فَمُهْ مِنْ حديدٍ،

وَمِنْ ذَهَبٍ راحِتاة!

- ي -

جِسْمِي (*) - أَرْضُ نَخِيلٍ، طَيِّبَةٌ وَنَدَى فَجْرِ

مَحْمُولٍ بَيْنَ شِفَاهِ نِسَاءٍ يَغْرُلْنَ

الضُّوءَ، وَقَوْمُ فَرَازَةَ - مَا أَكْرَمَهُمْ.

لكن، خَيْرٌ أَنْ أُرْحَلَ، يَبْدُو أَنَّ فساداً

يَسْرِي بَيْنَ عبيدي.

رَأْسُ الصَّوَانِ وَرَاءَ خُطَانَا

رَأْسُ حَصَانٍ بُحٍّ وَنَامَ - الْأَفْقُ نِدَاءً.

(*) جسمي موضع جميل
يكثُر فيه النخل.ورأس الصَّوَانِ اسمٌ
لموضعٍ آخر.

* كَلَّمَا قَلْتُ لِلشَّمْسِ: لَا تَشْرَبِي مَاءَ حَبِّي،

دَهَنَ اللَّيْلِ جِسْمِي بِمَرْهِمِ أَحْلَامِهِ.

- ١١ -

إنها ريشة الشمس
تكتب في دفتر الضوء:
«قولوا

للمحبين، للرافضين، لأهل
التمرد، للخارجين وأصحابهم،
إنهم فتنة اللغة العالية
في خناجر أيماننا الآتية».

- ك -

جَسَمِي - كَأَنَّ ظِلَامَ اللَّهِ مُنْبَسِطٌ
عَلَى الْمَدَى، وَجِرَاحَاتِي قَنَادِيلُ
تَهَبُ خِيَلِي كَمَثَلِ الرِّيحِ غَامِرَةٌ
وَجْهَ الشَّرُوقِ، وَفِي صَدْرِي صَدَى وَهْوَى
لِدَجَلَةٍ، لِلْفِرَاتِ السَّمْحِ يَرْفُدُهُ
حُبٌّ وَرَفْضٌ وَتَنْزِيلٌ وَتَأْوِيلُ.
أَرْضُ الْعِرَاقِ تَبَارِجٌ عَلَى طُرُقِي
وَفِي عُرُوقِي وَأَحْشَائِي تَرَاتِيلُ.

* أَلْتَوَافُذُ تَصْطَادُ صَيَادَهَا، -

كَانَ طَيْرٌ تَنْزَلَ مِنْ كَوَكَبٍ غَامِضٍ
يَتَخَبَّطُ فِي قَفْصٍ مِنْ نُحَاسٍ
جَرَفَتْهُ التَّوَافُذُ فِي دَمْعِهَا،
وَفِي رِيحِهَا.

- ل -

دومة الجندل (*) -

صخرة؟ رأس شخصٍ مرَّ والتهمةُ
شياطينه؟

أم تُراها صورةً بينَ بين؟

في الفضاءِ نوافذٌ من كلِّ ريحٍ
والسَّماءُ تغيرُ قمصانها - السَّماءُ توكبُ
ترحالنا،
جسداً عارياً
وذراعين ممدودتين .

* وضع الغسقُ الوردِيَّ يديه

فوق جبيني، -

من خاصرتي
يَهْمِي عَرَقٌ ويسيلُ غبارٌ .

الذاكرة

٣٥٠هـ .

- ١٢ -

المدائنُ مخنوفةٌ، -
أرضها غابةٌ من
عظامٍ،
والثُخومُ ي نابيعٍ
حمراء - حقاً،
موتك الآن،
يا أيها الخليفةُ،
يا أيها البائسُ،

أنتُ القائدُ الأمينُ

لقطعانٍ هذي

المدائنِ،

والحارسُ .

الذاكرة

٣٥٠هـ.

- ١٣ -

شُعُوذُ الْفَيْلَسُوفِ

الَّذِي يَنْكَلِمُ سَبْرًا

مَعَ جَنَاحِي يَمَامَةٍ،

فَاتْعِظْ،

لَا تُرَدِّدْ كَلَامَهُ!

- م -

إِبْلِي تَضْرِبُ التِّيَّهَ مِنْ أَوَّلِ

إِبْلِي غَابَةً مِنْ رِمَاحِ

إِبْلِي تَتَأَلَّفُ مَعَ غَيْمَةٍ رَاحِلَةٍ

وَتَقُولُ لِلَّيْلِ الْعِرَاقِ أَنْتَظِرْنِي فِي

فَيْءِ شُبَاكِهَا،

بَعْدَ أَنْ تَعْبَرَ الْقَافِلَةَ.

* رَحَلَ الْعَاشِقُونَ كَمَا تَرَحَّلُ النَّارُ

مِنْ لَيْلِ صَوَانِهَا، -

وَرَقُّ الْأَسْرِ يَقْضِمُ أَظْفَارَهُ بَاكِيًا.

(*) اسم موضع .

- ن -

نَحْلُ . موضعُ ماءٍ لا نحتاج إليه ،
لا نحتاجُ لأيِّ خفيرٍ .

الذاكرة

٣٥٠ هـ .

- ١٤ -

فقهاء؟

حسناً، يعرفون من

الكلم الميث أعشاشه

والطيور التي

تتناسل من بيضها

والمصيده،

ألهدا

يجرؤون على الشعر؟

دعز

يتشرب أعضاءهم

كلما واجهوا قصيدة!

* لم أزل

مثلما عودتني ضفافك، أسبح في

لغة ماكرة،

يا فضاء الطفولة، أيتها الذاكرة.

(*) موضع مَرّ فيه المتنبي .

- س -

تُرْبَانُ(*) - أَيْنَ الْعِرَاقُ الْآنَ ، يَا إِبِلُ؟

ما هذه الأَرْضُ؟ نَامَ الدُّلُّ فِي دِمِهَا
فِي نَبْضِهَا ، وَتَسَاوَى الْبَحْرُ وَالْوَشْلُ .

الذّاكِرة

٣٥٠هـ .

- ١٥ -

شَاعِرُ فَلَكِيٍّ

يَتَسَكَّمُ

فِي أَمَةٍ لَاهِيَةٍ

وَيَقُولُ الْخِلَافَةُ بَيْتٌ

لِتَقَالِيدِهَا الْبَالِيَةِ .

هُودًا - يَتَقَنَّ فِي

جَرِّهِ شُرْطِي .

* دَخَلَ الضُّوءُ فِي رَفْصِهِ ، -

أَلْتَرَابُ يُسَائِلُ عَنْ وَرْدَةٍ

لَمْ يَسَلِّمْ عَلَيْهَا أَمْسَ سَقَاؤُهَا

وَالسَّمَاءُ تَرَشُّ عَلَى الْأَرْضِ مِلْحَ

مَوَاعِيدِهَا .

- ١٦ -

«شاعرٌ

هاربٌ

من ضجيج الرُعاغِ

سجنه - وحده

الطريق إلى نفسه

في الظلام الذي

يَتَكَاثَفُ مِنْ حَوْلِهِ؛

سجنه وحده الشعاع».

هكذا أرخوا

للحياة التي عاشوها.

- ع -

أَلْبَوِيرَةُ(*) نَقَرٌ عَلَى بَابٍ قَفِيرٍ.

أَلْبَوِيرَةُ أَلَقَتْ عَلَى الرَّمْلِ جَعْبَةً أَحْلَامُهَا

وَنَامَتْ.

طَلَلُ دَارِسٍ وَأَثَارُ نَارٍ، -

رَبِّمَا تُوَلِّدُ الْأَرْضُ مِنْ أَوَّلِ

فِي بَقَايَا رَمَادٍ.

* نَبَتَ الشَّعْرُ فِي رَأْسِ هَذَا الْحَجَرِ

بِاسْمِ مُسْتَقْبَلٍ مُتَطَرِّقٍ.

(*) اسم موضع .

- ف -

هذه أرض نَجْدٍ
وَبُسَيْطَةٌ(*) فيها وطنٌ لِّلمها والتعام .

وأكاد أرى طيفَ ليلى
وَألمسُ أردانه الطويله
وأكادُ أَلأبسُ قيساً .

وطنٌ فارغٌ من هُذاءِ العقولِ ومن
هَذَيَانِ الكلامِ ،
وطنٌ للوحوشِ الجميلة .

* أَلْفِيَايَ تُترجمُ خيلي
وَخَيْلي تُترجمُ حَزَيْتي .

الذاكرة

٣٥٠هـ .

- ١٧ -

قال : «أعطيكُم
الخلافة ، أرض
الخلافة ، سلطانها ،
وما قبلها وما بعدها .

لا أريدُ سوى أن
تعيدوا إلي ذواتي
وجنري ،
لا أريدُ سوى
وخدتني^٩ .

كانَ يَرنو إلى
السيفِ كيف يُفرَّقُ
بين الرؤوسِ
وأعناقها .

(*) موضع ، والجراوي نبع .

- ص -

كانت السَّمْس في عقدة الجَوْف (*) تشربُ
ماءَ الجُراوي (*) ، حين هبطنا عليها .
شربنا . شربْتُ نوْقنا وأفراُسنا .

عقدة الجَوْف تسأل من أين جئنا؟
تجاوز أحزاننا ، ونفهم ما لا تقولُ ،
ونفهم ما لا نقولُ .

عقدة الجَوْف تغزلُ أبهى عباءاتها
من رُغاءِ النِّياقِ ومن حَمَحَماتِ الخيولُ .

* أَرَقَّتْنِي الوحوشُ التي تتقافزُ بين الورقِ ،
هل سيبقى طويلاً ،
أيُّها الربُّ ، هذا الأرقُّ؟

الذاكرة

٣٥٠ هـ .

- ١٨ -

«أَعْطِنِي جُرْعَةً ماءٍ
وُخِذِ الْعَالَمَ .
لا أعرفُ . ماذا
قلتُ؟ لا أعرفُ .
كلاً ،
وَطَنِي جِلْدِي ،
ولا أملكُ إلاَّ
كلماتي» .

- ق -

أَتُرَاهَا الرُّهَيْمَةُ^(*) وَجْهٌ

لشَقَاءٍ تَلَاشِي؟

أَتُرَاهَا تَوَدِّعُ أَيَّامَهَا الْحَزِينَةَ؟

دَجَلَةٌ وَالْفَرَاتُ نَشِيدَانِ

وَالْعُشْبُ يَرْقُصُ :

لِلأَرْضِ عِيدَانِ، عِيدِ السَّوَادِ

وَعِيدِ الْمَدِينَةِ.

الذَّاكِرَةُ

٣٥١ هـ.

- ١٩ -

- «هُرْطُوقِي»، مَنْ

يَقْتُلُهُ،

يَعْلُو بِاسْمِ اللَّهِ،

- دَعْوَةٌ

لَنْ يَعْلُوَ حَتَّى عُشْبٍ

يُنْقَى

مِنْ شُرَيَّانِ

هُرْطُوقِي».

* أَيُّهَا الْوَاقِعُ،

مَا الَّذِي يَجْرَحُ الصَّدْقُ فِي رَثْيِكَ،

وَمَاذَا يَضِيرُكَ تَوَارُهُ الطَّالِعُ؟

- ر -

شاطِئَانِ - الْبَقَاءُ، الْخُرُوجُ: الرَّبْدُ

مَوْكَبٌ مِنْ كُرَاتٍ. وَمَرْسَى

لِإِعَاسِيْبَ تَبَحُّثٌ عَنْ حُبْرِهَا.

فَانِلٌ يَنْمَرَى

فِي خَنَاجِرٍ

أَسْلَافِهِ.

يَتَخِيلُ قَيْنَةً، وَيَطْفُو

مَثَلُهَا -

لَا اتَّجَاةٌ

لَا مَدَى

لَا أَحَدٌ.

* يَدْخُلُ الضَّوُّ فِي حَالَةٍ

يَخْرُجُ الضَّوُّ مِنْ حَالَةٍ -

لَا شَهِيدًا، وَلَا شَاهِدًا.

عَابِرٌ يَنْقَرَى الطَّرِيقَ إِلَى نَفْسِهِ.

- ش -

لم أُعِزْ مَرَّةً ذِرَاعِي لِمَوْتِي .

هوذا الآنَ أدخُلُ في روحهِ الباردِ

وأطوِّق أطرافَهُ،

وأحسَّ كأنَّا

طائرانِ يعيشانِ في أَيْكَةٍ واحدةٍ .

(١) «أمرَ معز الدولة بن بويه، قبحه الله، أن تغلق الأسواق، وأن تلبس النساء المسوح من الشعر، وأن يخرجن في الأسواق حائيرات شعورهن، يلطمن وجوههن، ينحن على الحسين، ولم يمكن أهل السنة مع ذلك، لكثرة الشيعة، وكون السلطان معهم» .

الذاكرة

٣٥٢هـ .

- ٢٠ -

الأسواقُ سماعٌ^(١) :

قياراتُ سودٌ

بيضٌ

تندلى

من أعناق رياحٍ

طلسمية .

الأسواقُ ساءٌ

في شهبابٍ

روحانية .

* كَبِدِي تتوَعَّلُ قُدَّامَ جَسَمِي،

وجَسَمِي يَمْشِي أَمَامَ حَيَاتِي .

الأسواق ثيابُ

أُخلى

ما حاكتهُ

أيدٍ بغداديّة.

الأسواقُ

خطايا لأهوتيّة.

- ت -

لا تَسَلْ، لا تَسَلْنِي

عن أبٍ أو قبيلَه،

نَسِي^(*) في لساني.

جئتُ من غيلِ دَهري، وظنني

أنني ذاهِبٌ إلى الله، غيلة.

* يقرأ الماء في شفّتي أناجيلَه، -

عَطشي عاشِقٌ.

(*) روى الخطيب عن عليّ بن المحسن عن أبيه، قال:

«وسألت المتنبي عن نسبه، فما اعترف لي به». (البرقوقي، ١ : ٢٠).

- ث -

نَجْمَةٌ

تَتَغَطَّى بِرُفْعِ أَحْزَانِهَا

رَمَلَتْ وَجْهَهَا

بَحْنِنِي، وَغَابَتْ .

عَرَقِي صَارَ ثَوْباً لَهَا .

الذَّكْرَةُ

٣٥٤هـ .

- ٢٢ -

الْأَسْوَاقُ خَمَائِرُ حُبِّ

فِي أَجْسَادِ جُنَّتْ،

وَعِشَاءَاتِ

حَوْلَ مَوَائِدِ سِرِّيَّةِ .

الْأَسْوَاقُ وَجْوهُ

تَتَوَهَّجُ فِي اسْتِحْيَاءِ،

يَتَلَاقَى فِيهَا

ضَوْءُ الشَّمْسِ

وَضَوْءُ الْحُرِّيَّةِ .

* أَذِنَ اللَّيْلُ لِلْعَاشِقَيْنِ

أَنْ يَظْلُومَا عَلَى حُبِّهِمَا سَاهِرِينَ .

- ٢٣ -

«النساء يخوضن في
التهر، يلقين أفخاذهن،
وقمصانهن، ويصرخن
في الماء: أين الحسين؟
عَبْتُ الرِّيحَ والزُّمْلَ مِلءَ
الفضاء،
وملء الحقول،
ومِلءَ اليدين»:

هذه صورة

لمثالٍ قديمٍ

قَدَّمَتْهَا لِشُكَّانٍ

بغداد، هذي العشية،

أسواقها.

- خ -

أَتَخَيَّلُ أَتَى أَسَائِلُ قَيْسًا: أَيْنَ لَيْلَى؟
تُرى ما تَزَالانِ عَطْرَيْنِ فِي وَرْدَةٍ وَاحِدَةٍ؟
وَبِمَاذَا أُدْقِي أَحْشَاءَ هَذَا الْفَضَاءِ وَأَعْضَاءَهُ
الْبَارِدَةِ؟

وَأَسَائِلُ: مَا الْكَوْفَةُ الْآنَ؟

قَيْشَارُ حَبٍّ،

أَمْ لِقَاءُ أَلَيْفٍ بَيْنَ قَتْلِ وَقَتْلِ؟

* هوذا نرجس:

لِمَاذَا

لَا أَرَى فِيهِ وَجْهًا، وَلَا زَهْرَةً؟

- ذ -

الذاكرة

٣٥٤هـ.

إنّها الأرضُ مخنوقَةٌ

ودمُ الطّبعِ ينقضُ ميثاقَه

معَ نبضِ الطّبيعةِ . والحبُّ يرثي لإحلامِه

نازفاً عند شبّاكِه :

قلّما تقرأ البيوتُ قناديلَ عُشاقِها،

وأرى ، لا أرى - هل أصدّق عينيّ ؟ - إلّا

بشراً ميّتين يعيشون في طينةٍ حيّةٍ .

- ٢٤ -

الأسواقُ جراحُ

أردافُ جنونٍ

وصدورُ تصرخُ حبّاً .

مهلاً ، يا هذا الرّعدُ ،

الأسواقُ تكاذُ تميدُ

وتهوي

تحت هديرِ الوجْدِ !

✽ قل لِعِدْوِكَ : سوفَ تظلُّ صديقاً

ما دمتَ فضاءً

أقرأ فيه أخطائي .

الذاكرة

٣٥٤هـ.

- ٢٥ -

الأسواق زواج

بين الطنح

وهذي الأرض - اللغنة.

الأسواق

جبلّة دمع،

يأس يشرب،

لكن،

لا يشرب إلا

ماء الرغبة.

- ض -

أهناك ابتداء؟ أهناك انتهاء؟

أم لغات توسوس أحشاءنا

ونهاجر فيها نهاجر منها

كي نحرر إيقاعنا

من سلاسل إيقاعها

ونعود إليها

ونكرّرها في لغات سواها؟

* أنغير - كي تبقى

نفسى نفسى.

- ٢٦ -

«بين سُنيّة

تتغَرَّب في فُتُهَا

وشِيعَة

تتغَرَّب في كُتُهَا،

أُتْخِلْ أَتِي

غَابَة من لَغَابِ.

أَلْفَضَاءُ سَرِيرِي

ورَأْسُ السَّمَاءِ عَلَى

رَكْبَتِي.

آه - ماذا؟ أَحَقًّا

نَسِيَ الضُّوءُ، هَذَا

الصَّبَاحُ، مَفَاتِيحُهُ

فِي يَدَيَّ؟»:

هَذِهِ صُورَةٌ

لِرِسَالَةِ حُبٍّ

قَدِيمٍ.

- ظ -

لَمْ أَحَاوِلْ، كَمَا وَسَّوَسْتُ جِرَاحِي،

أَنْ أَهْدَمَ جَسَرَ التَّوَدُّدِ

بَيْنَ امْرِئِ الْقَيْسِ وَالْمُلْكِ،

حَاوَلْتُ أَنْ أُغْوِيَ الزُّهُرَةَ الْعَرَبِيَّةَ

كَيْ تَتَجَلَّى عَلَى دَرْبِهِ

وَتُرَافِقَ أَحْوَالَهُ.

غَيْرَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ جَاءَتْ:

أَخَذَتْ وَقْتَهُ،

أَخَذَتْ وَقْتَهَا،

أَخَذَتْ وَقْتَنَا.

* فَوْضَ الرَّاكِبُ الْغَيْمَ، نَبَعَ الْحَيَاةِ

إِلَى جَوْفِ إِبْرِيْقِهِ.

جَوْفُ إِبْرِيْقِهِ رَمَادٌ.

- ٢٧ -

آه، ما أحوج الصلاة

لحناجر من ياسمين

وطيب.

هكذا من يصلي

ومن لا يصلي،

يضعدون على سلم

الفضاء

إخوة في البهاء.

هكذا تصبح الحياة

شغفاً وابتكاراً.

هكذا يصبح الشعر

للكل تزيّلة.

- غ -

ها هُنا نستقرُّ. آنَحْنا. «ركّزنا الرّماح»،

أخذنا «نقبَل أسيافنا».

«وَكُنّا وَفِينا، وَكُنّا أَيْنّا، وَكُنّا عَتُونّا على من عَنّا»،

و«ما كُلُّ من قال قولاً وَفَى

ولا كلٌّ من سِيَمَ خَسَفاً أبى،

ومن كان يحملُ قلباً كقلبي

يشقُّ إلى العزّ قلبَ الهلاكِ، بشعرٍ

مدحْتُ به الكركدنَّ، بين القريض وبين الرُّقى

وما كان ذلك مُدْحاً لَهُ،

ولكنّه كان هَجَوَ الوَرَى».

* إِنَّهُ الشَّعْرُ يَأْتِي

من يقين المكانِ إلى لا مكانٍ.

هوامش
(يوميات المتنبي)



VII. غيب

١ - إصغاء

في التشرّد، أصغيتُ دوماً إلى الأرضِ تُنبِتُ أعشابها.
عملٌ شاعِرٌ. غير أنَّ النَّباتَ يحبُّ الرّتابةَ كالبحرِ. كلا،
لا أحبُّ الرّتابةَ لكنني
دُقْتُ شعرَ التّموجِ، شعرَ الفروقاتِ، فيها، وذُقْتُ
الهبوطَ إلى الجذْرِ: حاولْتُ
أن أتبيّنَ فيه جناحَيْنِ، ليلاً، ولكن
صرخةً أخذتني إلى بومةٍ،
تتذوّق مثلي طريقاً إلى جذورها.

أُتشرّد. ضوؤه الصّباح أُمامي، هنالك، يعلو وحيداً على ثلّة.

٢ - انطفاء

الشتاء انتهى

وأنا لم أكد أبداً.

الفصولُ مرايا، والحقولُ وجوه.

سقطت شمسُ هذا الصّباح على وجهها،

عندما رحت كالطفل ألهو - أتسلّق أرذافها.

طائر؟ يُطلق الطائرُ المهاجرُ آخرَ أصواته

عائداً. كيف أعرفُ أنّ طريقَ الرجوعِ إلى بيته،

آمن؟

الرّبيعُ انتهى

والخريفُ انتهى،

كيف أصبحتَ يا أيّها الصّيفُ؟ عيناك حزنٌ،

ووجهك، في حيرةٍ، مُطفأ،

وأنا لم أكد أبداً.

٣ - غيمة

نَقَلْتُ مِنْ حَذِرِ خُطَايَ كَأَنِّي
طَيْرٌ . يَكَاذُ الْعَشْبُ يَنْبُتُ فِي خُطَايَ ،
صَرَخْتُ : كَيْفَ يَسِيلُ صَوْتُ
مِنْ لَهْفَةٍ ، كَالْمَاءِ ؟ أَصْرُخُ
كَيْ أَطْمَئِنَّ وَحْدَتِي .
أَنْزَلْتُ عَنْ كَتِفِ النَّهَارِ يَدِي وَجَزَةَ حُزْنِهَا ، وَدَعَوْتُهُ :
قِسْنَا مَعًا طَوْلَ الصَّدى
بَيْنَ الصَّرَاخِ وَوَحْدَتِي .

- «أتريد أن تأتي إليك يمامة؟»

أَغْمَضْتُ عَيْنِي ،
وَحَلَمْتُ : بَيْتِي غَيْمَةٌ .

٤ - غربه

أن تكونَ غريباً
هو أن تقرأ الكونَ في بدئه، دائماً.

المدينة ماضٍ أليفٌ،
والغربةُ في كيفَ كانت .
أتراها المدينةُ، بغدادُ، مخنوقَةٌ؟
ولماذا تذكرُها الآنَ؟ عَصُرُ
يتشكّل في جَوْفِ جَبَانَةٍ.

وأنا مثله - حائرٌ بائِرٌ
إشغفني الآنَ، مِنْ عَهْدِ حَبِي، يا أيّها الشّاعِرُ.

٥ - قَدَر

قَدَرِي أَتْنِي
لَا أَطِلُّ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شُرُفَاتِ الْقَدَرِ .

رَبَّمَا يَفْهَمُ الطِّفْلُ فِي الْعَذَابِ الَّذِي يَتَخَثَّرُ مِنْ عَهْدِ آدَمَ ،
فِي رَتْنِي . اضْطِرَابُ
فِي الضِّيَاءِ الَّذِي يَتَسَلَّلُ مِنْ كَهْفِ حَرَيَّتِي . ضِيَاءُ
آخَرُ مِنْ فُضَاءٍ غَرِيبٍ
يَتَسَكَّعُ فِي خَيْطِ شَمْسٍ .

أَخْذُ الْآنَ حُلْمِي شَيْخًا وَطِفْلًا
وَأَفْتَحُ أَبْوَابَ لَيْلِي لَهُ
وَأَنْذِرُ أَهْدَابَهُ لِلْسَّهَرِ .

٦ - حرب

ما أقولُ إذا سألتني
خطواتي عن بيتها؟
لن تعودَ الحياة؟ الطريقُ وأشباحها
تتخاصمُ فيه وفي حبه؟
أم أقولُ انتهى -
والرّمالُ تظلّلُ تاريخه؟

ولماذا
لا أحبّ التذكّرَ إلّا إذا كانَ حرباً؟

أيُّ هذا الفضاء الذي يتوهج في بيتها - لماذا
لم تقل للطريقِ إلى بيتها،
إنني حُنتُه؟

٧ - عطش

أَتَهْجَاكِ، يا هذه الأرض - أَرْضِي، أشباح موتكِ في ناظري،
أغانيك مَرْتِيَّةٌ ونواح، وأيامكِ احتضارٌ.

الجحيمُ الذي فيَّ منك - التبتُّ بتاريخه،
وانتميتُ إليه،

فكيف وأَيَّانَ أخرجُ منه؟
وأحسُّكِ فيَّ الهواءَ وميراثه: لا خلاصَ.
ومَنْ فيكِ يعرفُ إنْ مُتُّ أو عِشْتُ؟ عيناكِ
لا تنظران، وقلْبُكِ رَمْلٌ وقَشٌّ.

عَطِشِي أَلَكِ الماءَ، والماءَ وَصَلْ.

٨ - تنقل

لا أسائل موتي عن حياتي، أو حياتي عنه، فموتي
كحياتي رحيلٌ.

ولهذا،

لا أحبّ المقام، أحبّ الرحيلُ.

في الرحيلِ، أكون وحيداً، وأصغي لنفسِي، ونفسي تُصغي
إليّ، ولا شأنَ لي في السماء،
ولا شأنَ لي في البقاء على هذه الأرضِ. وحدي
أَتَكَاثَّرُ في الصُّمُوتِ، في ذلك الحوارِ المَعْمَى
بين ليلِ الإلهِ وبيني -
أَتَنَقَّلُ من مستحيلٍ إلى مُستحيلٍ.

٩ - عبودية

ربما صرتُ عبداً لذلك الكلام الذي كنتُ أجتأحه
وأروضُ عصيانه
وأطوِّعه مثل عبْدٍ.

أصديقٌ يصيرُ عدواً؟
أعدوٌ يصيرُ صديقاً؟
أم هو الضدُّ يظهرُ في ضده؟

قل لي الآن، ماذا سأفعل؟ هل كنتُ أصرخُ من دون صوتٍ؟
وهل كنتُ أخطئُ في الظنِّ والقول؟ هل خطأي ظاهرٌ؟
قل لي الآن، ماذا
أيها الطائرُ البشريُّ الذي طار في حلمي
فَتَفَكَّكَ في شمسِهِ واحترقَ،
أيُّ هذا الوزقُ.

١٠ - الوداع

لحظةً - كي أقول وداعاً

للبلاد التي أنتمي إليها،

لحظةً يتحول فيها

كلُّ شيءٍ إلى ذكرياتٍ.

هل سأبدأ من أولٍ؟ أين؟ لا دجلة تتراءى
والفرات عصيٌّ على أيِّ حبٍّ.

هوذا أترقّب - (آه،

كم ترقّبتُ!) ماذا؟

ما الذي يتجلّى؟

أهنالك شيءٌ تبدّى، أهنالك شخصٌ بدا؟

إتعبتُ اتعبتُ وتعلّم

أيهذا الفسيح البهيّ المدى.

الخاتمة

I. كتاب السَّواد

II. رماد المتنبِّي

كتاب السّواد

(أوراقٌ خاصّة أوصى كافور أن تُنشر بعد موته . وقد وصلت إلى أدونيس ، بطريقة غامضة ، وفي صندوقٍ واحد مع «يوميات المتنبي» . وهي تُنشر هنا ، بناءً على هذه الوصيّة ، للمرة الأولى . والعنوان هو من وُضِع أدونيس) .

✱

لا بلادي بلادي ، لا يدي في يدي ، -
كيف لي أن أقولَ لهذي المدينة :
حَبَّأتُ حُزنَكَ في جُلدي الأسود ؟

✱

المدينة شَحْمٌ
وأنا لستُ إلّا
هيكلاً مِن عظام ، -
شِخْتُ يا هذه المدينة ، يا شَمْسَ أوجاعنا ،
وأنا لم أزل ، بعد ، طِفْلاً .

✱

كيف جئتُ إلى مصر؟ وحدي؟ مع آخرين؟ أتذكر
 يا جسْمي المَشْهُو؟ من أين؟ كيف اشترايتُ تاجرَ رَيْت؟
 ومن أين صِرتُ إلى إِبْنِ وَهْبٍ؟ وإخشيْد
 بمِصرٍ - لماذا اضْطفاني، وأَعْتَقني،
 وَحَمَّاني؟
 عَجبي غامِرٌ. أحكمهُ عَيْبٍ؟ مُصادَفَةٌ؟ فَلْتَةٌ؟
 ما أقولُ؟ سأتركُ هذا لغيري،
 ولتاريخ هذا الزَّمانِ.

✱

كنتُ أُسْتَرَق السَّمْعَ، أَصْغِي إلى مالكي - سيدي
 يتحدَّث عَنِّي
 مع زُواره:
 «هُوَ عَبْدٌ خَصِيٌّ،
 غير أنَّ لَهُ خُلُقاً عالياً
 لا يليقُ به غيرُ قَصْرِ».

✱

أَلْمَدِينَةُ مَنفُوحَةٌ بِأَبَاطِيلِهَا

وَالْغَيْبُ الدَّجِيءُ يَدُورُونَ فِيهَا،

يَنْظُرُونَ إِلَى قُبَّةِ السَّمَاءِ، يُشِيحُونَ عَنْهَا:

كَسْرَةُ الْخُبْزِ أَجْمَلُ مِنْ كَوْكَبٍ.

✱

الطَّبِيعَةُ - أُمِّي، ضِدِّي.

✱

كُلُّ مَا كَانَ يَقْطُرُ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ الرَّحِيقِ،

رَحِيقِ الْمَنَامَاتِ،

أَوَّلَمَتْهُ لِلْغَيُومِ.

فَجَاءَتْ، ذَاتَ لَيْلٍ،

وَأَنَا أَتَقَلَّبُ فِي النَّوْمِ، شَاهِدْتُ أَنَّي نَجْمٌ

يَتَلَاؤُ بَيْنَ النُّجُومِ.

✱

عَشْتُ زُنُجَيْتِي كَرِيمًا

أَتَرَصَّدُ وَقْتِي -

فَاتِحًا شَهَوَاتِي عَلَى كُلِّ رِيحٍ.

✱

آه، ماذا؟ كَأَنِّي، طَوْرًا
أَتَأَرْجَحُ فِي عُنُقِ سَيْفٍ، وَطَوْرًا
فِي يَدَيَّ نَجْمَةٍ.

✱

لي فراشٌ على شَكْلِ حَوْضٍ
وَالْوَسَادَةُ نَهْدٌ:
حُلِمْتُ كُنْتُ أُرْوِيهِ حَتَّى
لَا أَكْرَرُ دَوْمًا
أَنِّي كُنْتُ أَحْيَا - كَأَنِّي
أَشْرَبُ الْمَاءَ مِنْ جَوْفِ عُوْلِ.

✱

آه، لِلضَّوءِ وَجْهٌ -
لَا أُرِيدُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا
أَنْ أَكُونَ سَوَادًا لِأَهْدَابِهِ.

✱

أُتْرَانِي فِي مَرْكَبٍ يَتَخَبَّطُ فِي لُجَّةٍ؟
لَا مَنَارٌ وَلَا شَاطِئٌ.
أَيْنَ أَمْشِي، إِذَنْ؟

✱

دائماً، كنتُ أومنُ:

بيضٌ وسودٌ - طينةٌ واحدة.

لا تُقاسُ الحقائقُ بالطَّينِ . فاذْهَبْ

أيُّها العِرْقُ وارْقُدْ

في رَمادِ خرافاتِكَ البائِدة.

✱

يَتَضامَنُ، لكنْ بِالْفَاطِهَةِ:

رَجُلٌ مِنْ رِياحٍ وَنَزْدٍ.

✱

ما هذا الغيمُ؟ كَأَنَّ خُطَاهُ

تَتَشَحَّطُ، تَمْضِي تَأْتِي، وَتُسَبِّفُ وَتَعْلُو

في ما يُشْبِهُ مَوْجاً:

يَبْدُو أَنَّ الْأَفْقَ مَرِيضٌ.

✱

كُلُّهُمْ أَصْدِقَاءُ

في البِطَانَةِ، في القَصْرِ: بعضٌ لبعضِ خَلِيلٌ.

وبعضٌ لبعضِ قَرِيبٌ،

وأنا وحدي الغريبُ.

✱

مِنَعِي، وَلَذَائِدُ فِكْرِي، وَكُوَابِيسِي المَارِدَةُ
تَتَجَادَبُ رُوحِي وَجِسْمِي فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ.

✱

هُوَذَا - هَلْ أَشَاهِدُ نَجْمًا
يَتَبَسَّمُ فِي خِفَّةٍ
وَيَقُومُ وَيَقْعُدُ مُسْتَهْزِئًا
وَيُدْغِدُغُ أَعْضَاءَهُ؟
أَمْ أَنَا وَاهِمٌ؟

✱

الطَّرِيقُ الَّذِي قَادَنِي لِلخُرُوجِ مِنَ التَّيْهَةِ؟ يَبْدُو
أَنَّهُ قَاتِدِي مِنْ جَدِيدٍ
لِلدُّخُولِ إِلَيْهِ.

✱

إِنَّهُ الْعَرْشُ يَنْهَارُ. هَلْ آخُذُ الْعَرْشَ مِنْ أَوَّلِ الْخَيْطِ
بِالْبَاسِ وَالْعَقْلِ؟ أَمْ أَتْرُكُ الْمَسْأَلَةَ
مِثْلَمَا أَلْفَ النَّاسِ تَارِيخَهُمْ -
جِيلَةً، مَرَّةً،
مَرَّةً، مَقْتَلَةً؟

✱

حولِي الْآنَ، مِنْ كُلِّ فَعَجٍ،
بَشَرٌ يَطْمَحُونَ إِلَى سُدَّةِ الْحُكْمِ،
أَوْ يَطْمَحُونَ إِلَى لُمْبِهَا وَتَقْيِيلِهَا -

بَشَرٌ يَجْعَلُونَ مِنَ الْأَرْضِ مُسْتَنْقَعًا.

※

لَنْ أَقُولَ لَخَيْلِي: مُرِّي عَلَى جُثْبِ الْآخِرِينَ
الَّذِينَ يُعَادُونَنِي.

سَأَقُولُ لَهُمْ: بَيْنَنَا

شِرْعَةُ الْحَقِّ،
وَالْفِكْرِ - حُرًّا،
وَمِيرَاثُهَا الْأَمِينُ.

※

يَنْبَغِي أَنْ يُعَادَ إِلَى الْعَرْشِ مَا يَمْنَحُ الْعَرْشَ مَعْنَاهُ:
لَا ظَنَّةَ،

لَا رَشَاوَى،

لَا تَوَسُّطَ بَيْنَ الْأَمِيرِ وَشَعْبِ الْأَمِيرِ،
وَلَا مُرْتَشُونَ.

وَالْأَبَاعِدُ، فِي الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، مِثْلَ الْأَقَارِبِ، لَا خَوْفَ،
لَا يُقْمَعُ الَّذِينَ يُنَادُونَ بِالْعَدْلِ، أَوْ يَنْقُدُونَ الْأَسِيرَ وَأَعْمَالَهُ

وأقواله،
ولا يُعزلون،
ولا يُحرمون،
ولا يُقتلون.



لا أمثل شعبي،
لست منه سوى ذرة.
غير أنني تمثله
وتنوّرت أوجاعه وأسرارها،
وصوّرته فضاء
ورسمت حياتي حباً
فوق طرس أمين
من طروس بهاءاته.



هل أدقّ عروق الرّماح، وأصنع جبر الحقيقة منها؟
هل أقول السماء كآية جبانة؟
غضب في اللهب
والفضاء انحناء وبقايا قُضب.



أَتَدَّرُّ أُنْحَاءَ مِصْرٍ
وَأَفُوضُ قَلْبِي لِأَقَالِيمِهَا.

❖

سَمِعَ النَّيْلُ هَمْسًا:
«ما الذي يخسرُ النَّيْلُ، إن قُطِفَتْ زهرةٌ
بين أحضانهِ؟»
ضَجَّكَ الْمَدُّ وَالْجَزْرُ فِيهِ،
وَمَضَى يَتَسَفَّطُ أَخْبَارَ أَزْهَارِهِ.

❖

نَزَفَ الْأُفُقُ مِنْ أَجْلِكَ، الْيَوْمَ، يَا نَيْلُ، وَأَنْصَهَرَ الْحَبُّ:
لَا عَصْفَ إِلَّا
مَا يَهْبُ مِنْ النَّاسِ،
لَا ذَرْبَ إِلَّا الصَّعُودُ.

مَا بَقِيَ فُتَاتٌ لَكَي يَسْتَمِرَّ الْوُجُودُ.

❖

حَافِيًا، مُتَعَبًا
يَتَقَدَّمُ نَحْوِي. يَدَاهُ
مِثْلَ خَيْطَيْنِ - هَذَا نُحُورُ الْيَقِينِ الَّذِي يَتَعَذَّبُ
فِي نَارِهِ الْفُقَرَاءُ:
آه مِمَّا يُخَبِّرُهُ الْأَغْنِيَاءُ،
وَيُفْتِي لَهُ الْفُقَهَاءُ.

❖

رُبَّمَا تَتَقَدَّمُ نَحْوَ الْعَدَالَةِ . . . لَكِنْ ،
عِنْدَمَا يَتَدَفَّقُ نَهْرُ الْمَجْرَةِ فِي جَوْفِ حُوبٍ .

✱

حَزَمْتُ خَصَرَهَا
التَّجَوُّمُ وَنَامَتْ
فِي سَرِيرِ الْأُبُوَّةِ :
مِصْرُ فِي جَوْعِهَا تَنَامُ وَأَعْضَاؤُهَا
أُتْخِمَتْ مِنْ رُكُوعٍ ؛
مِصْرُ مَخْتَوِمَةٌ
بِشَمْعِ النَّبَوَّةِ .

✱

وَشَوْشَتْنِي ، فِي حَسْرَةٍ ، وَرْدَةٍ
(وَرْدَةٍ صَوْرَةٍ لِمَلَاكٍ
لَا أَقُولُ اسْمَهُ) :
« سَيَكُونُ بَعِيداً ، وَلَنْ يَحْضُرَ الْيَوْمَ حَقْلَ الْعِشَاءِ »
كَيْفَ أَكْتُمُ حُزْنِي ؟
كَنتُ هَيَّأْتُ لِلْحَقْلِ أَجْمَلَ مَا عَرَفَتْ مِصْرُ مِنْ شَطْحَاتِ الْغِنَاءِ .

✱

لَا أُجَسِّرُ بِأَعْدَاءِ عَرْشِي ،
وَأُحِبُّ الَّذِينَ يَغَارُونَ مِنِّي .

✱

هذه مِصْرُ؟ بُرُجُ يُقَامُ على الكلمات،
وَمَشْتَقَّةٌ كي تسوسَ الشَّقَاءُ؟

ما الذي فَعَلْتُهُ
أَرْضُ مِصْرٍ لِمِحْرَابِ تِلْكَ السَّمَاءِ؟

※

مِنْ غُبَارِ السِّيَاسَةِ يَأْتِي إِلَى الْقَصْرِ هذا الهواء،
دَبِقًا، خَانِقًا
آه، لو كنتُ أَقْدِرُ أَنْ أَغْسِلَ الفضاءَ.

※

لا كِرَامَةً، لا صِدْقَ، لا كِبْرِيَاءَ:
الحياة على هذه الأرضِ أَنْشُوطَةٌ
وَالسِّيَاسَةُ قُبُورُ الْبَغَاءِ.

※

غَيَّانٌ تَهْبُ أَعَاصِيرُهُ عَلَيَّ،
وَأَنَا قَانِعٌ:
ليس لي غيرُ هذا الهَبَاءِ الذي في يَدَيَّ!

※

يَخْطُرُ اليومَ لي أن أخونُ
ما أُحِبُّ، لعلِّي
أَتَوَرَّ ما كنتُ، ما سأكونُ
وأعرفُ كيف يكون التعقُّلُ في لَحْظَةِ الهَيَجَانِ،
وكيف يكونُ الجُنُونُ.

✱

ما الذي يجعلُ الشعبَ، في الضَّيقِ،
وَحْشاً غريباً يُحِبُّ الجَرمَ؟
أَلدماءُ له خَمرةٌ، مراراً
ومراراً تَميمَةً.

✱

لا أُحسُّ بأنِّي كنتُ الضَّحيَّةَ. كلا، وأكرهُ تمثيلَ أدوارِها.

✱

ليس من عادتي أن أُوجِّلَ ما أعملُ اليومَ حتَّى غَدٍ، ويكفي
أن أقولَ لهذي السَّتارةِ: نامي،
أو استيقظي لتلك السَّتارةِ.
هكذا، مُذْ أَفْقُتُ، تساءَلْتُ: ماذا لديّ، وماذا

سأفعلُ؟ يَبْدُو

أَنني مثَلُ غيري سَجينٌ -

أَنني سأكرِّرُ يوميَ هذا كما شاءَتِ الأَمارةُ.

✱

الخُرَافَةُ جَبْرُ العُرُوشِ،
السُّجُونُ بَسَاتِينُهَا.

❖

سَوَفَ أُثَبِّتُ لِلْمَاءِ أَنِّي جَذْرٌ، وَلَكِنْ
أَتُرَانِي فِي حَاجَةٍ
كَيْ أَبْرِهِنَ لِلرَّيْحِ أَنِّي عُبَارٌ؟

❖

بِي حَنِينٍ إِلَى رَفَقَاءٍ نَشَأْتُ عَلَى حُبِّهِمْ.
رَفَقَاءَ مَشِينَا خُفَاءَ مَعَا،
وَأَكَلْنَا مَعَا خَبِيرَنَا
وَقَسَمْنَا مَعَا أَرْضَنَا
بَعْضُهَا لِلْعَمَاءِ، لِلَّيْلِ الْقَدَرُ
بَعْضُهَا لِلتَّشَرُّدِ فِي الْبُؤْسِ أَوْ فِي يَبَابِ الْبَشَرِ.

غَيْرَ أَنِّي فِي لَحْظَةِ الْوَعْيِ أَعْرِفُ أَنِّي وَحِيدٌ،
وَأَعِشَقُ هَذَا الْبَقَاءَ وَحِيداً،
كَيْ أَعَاشِرَ نَبْضَ الْوُجُودِ وَأَدْخَلَ فِي فَيْضِ أَسْرَارِهِ.

لَا أُجِسُّ بِأَنِّي أَسْكُنُ فِي مُخْدَعِ الْأَرْضِ،
أَوْ مُخْدَعِ الْأَلُوْهَةِ إِلَّا إِذَا كُنْتُ وَحْدِي.

❖

مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَعَذِّبُ جِسْمَ الْمَدِينَةِ، نَكْسُوهُ ثَوْباً جَدِيداً؛
مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَقْطَعُ أَوْصَالَهُ، وَنَسْوِسُ تَابِيئَهُ،
وَنُؤَالِفُ مَا بَيْنَ خَشْخَاشِهِ وَتِرْيَاقِهِ؟
مَنْ يَرَانَا، وَنَحْنُ نَجَرِّ الْوُجُوهَ الَّتِي عَشَقْتُنَا - الْوُجُوهَ الْأَمِينَةَ
بِحِبَالِ الْمَدِينَةِ؟

※

أَفْتَحُ النَّافِذَةَ -
عَابِرُونَ، سُكَارَى. عَسَسَ، وَقَنَادِيلُ سُودَاءُ صَفَرَاءُ. لَيْلٌ
آخَرٌ مِنْ جِرَاحٍ وَتَمَائِمٍ كَيْ يُطْرَدَ الْحَزَنُ عَنْ وَجْهِ مُصْرِ.
نَجْمَةٌ تَأْخُذُ النَّيْلَ مِنْ خَصْرِهِ.
سَاهِرٌ. لَنْ أَزُورَ سُرِيرِي، وَلَنْ أُغْلِقَ النَّافِذَةَ.

※

بَعْدُ، لَمْ تُوجَدْ الْحَيَاةُ الَّتِي قِيلَ عَنْهَا
إِنَّهَا غَائِبَةٌ.
وَكَثِيراً تَخَيَّلْتُهَا - أَتَنِي سِرّاً، وَرَافَقْتُهَا،
وَدَخَلْنَا مَعاً دَارَهَا -
دَارَهَا الْكَاذِبَةَ.

※

أَلْحِصَانُ الْمُجَنِّحِ بِالْحَبِّ،
يَجْمَعُ فِي اللَّيْلِ،
يَأْتِي لِيَرْتَادَ يَنْبُوغُ مَوْتِي.

※

كَيْفَ صِرْتُ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ؟ لَا الْأُمْرُ أُمْرِي، وَلَا الْمَالُ مَالِي.
وَأَنَا لَا أَحِبُّ الْقِتَالَ عَلَى الْمُلْكِ، أَوْ غَيْرِهِ،
وَأَكْرَهُ سَفْكَ الدِّمَاءِ.

لَا أُصَدِّقُ أَنَّ لِحِزَاسِي الْآنَ أَمْرًا وَنَهْيًا
وَلَهُمْ خُرُوبُهُمْ فِي الشَّرَابِ، وَرَايَاتُهُمْ فِي الْمَجُونِ
وَلَهُمْ حَوْلِي الرُّقَبَاءُ، لَهُمْ حَوْلِي الْعِيُونُ
يَمْلِكُونَ الدَّرُوبَ إِلَيَّ وَأَسْبَابَهَا
وَيُسْتَعْظَفُونَ، وَيُسْتَرْحَمُونَ.

لَا أُصَدِّقُ أَنِّي كَغَيْرِي يُجَزَّرُ الْعَبِيدُ إِلَيَّ هَدَايَا
مِنْ جَمِيعِ أَقَالِيمِ مِصْرٍ، وَأَهْدِي
مِنْهُمْ مَنْ أَشَاءُ إِلَى مَنْ أَشَاءُ.
لَا أُصَدِّقُ أَنِّي أَنْقُلُ جِسْمِي كَمَا أَتَشَهَّى
بَيْنَ مَا مَلَكَتْهُ يَمِينِي، وَبَيْنَ الْحَرِيمِ، وَبَيْنَ الْإِمَاءِ
لَا أُصَدِّقُ أَنِّي أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ هَذِهِ السَّمَاءِ،
لَا أُصَدِّقُ أَنِّي أُمِيرٌ.

※

شَمْسُ هذِي الظَّهِيرَةِ مَالَتْ
رَسَمَتْ حَزْنَهَا عَلَى بَابِ بَيْتِي وَمَالَتْ .
كَانَتْ امْرَأَةً قُرْبَهُ
تَتَعَلَّمُ سِرَّ التَّشْبِثِ بِالْأَرْضِ مِنْ عُشْبَةٍ . غُرَابٌ
حَامِلٌ حَظَّهُ
وَالْغَبَارُ يَجْرُ عَلَى الْبَابِ مِنْدِيلُهُ .

كُنْتُ أَمْشِي ، وَكُنْتُ أَحْسُ كَأَنَّ السَّمَاءَ سَتَسْقُطُ عَمَّا قَرِيبٍ
كَسْرَةً كِسْرَةً فَوْقَ رَأْسِي .
أَتَوَقَّفُ كَمَا أَشْتَهِي الْآنَ أَنْ أَمْتَدِّدَ فِي ظِلِّ رُمَانَةٍ
فَوْقَ هَذَا التَّرَابِ . تُرَاهَا يَدُ اللَّيْلِ ، تِلْكَ
الَّتِي تَدْخُلُ الْآنَ فِي جَيْبِ فَلَاحَةٍ ؟ أَرَاهَا السَّمَاءُ تَنَامُ
عَلَى كَتْفَيْهَا ؟
كَوْكَبٌ يَهْبِطُ الْآنَ عَفْوًا عَلَى سُلَمِ الْفَضَاءِ :
هُوَذَا شَارِدٌ فِي الْحَقُولِ
وَأَنَا غَارِقٌ فِي الْبُكَاءِ .
أَهْ شَيْخُوخَةُ الْقَلْبِ أَذْهَى وَأَفْجَعُ مِمَّا تَظُنُّ الْعُقُولُ !



يخدمُ العَرْشَ، يخدمُ كرسِيَّه. ولكن
أهْنا لِكَ في العَرْشِ مَنْ يخدمُ الشَّعْبَ،
مَنْ يخدمُ الشَّعْرَ، أو يخدمُ الجَمالَ؟
عرشي الآنَ هذا السُّؤالُ

✱

كنت أحلُمُ أن يأخذَ المتنبِّي
بيدَيَّ أَسودِ
يتبوأُ عَرْشاً
بنالِةِ أفعالهِ وأفكاره
لا يَإرِثُ، ولا باغتصابِ.

كنت أحلُمُ أن يتآخَى
مَعَ أَيامِهِ وتباريحِها،
والحدودِ التي اخترقَها خُطاهُ،
رسمَها خُطاهُ
في مسيرةِ هذي البلادِ،

كنتُ أحلُمُ أن يُجريَ الشَّعْرَ أبيضَ،
في لُجَّةِ السَّوادِ.

✱

لَمْ أَشَأْ أَنْ أَطِيعَ هَوَى الْمُتَنَبِّي
وَأُنِيطَ بِهِ ضَيْعَةٌ.

لَمْ أَشَأْ أَنْ أُدْجِنَ مَا فِي حَنَائِهِ مِنْ شَامِخٍ عَصِيٍّ.
شِئْتُ أَنْ يَسْتَمِرَّ كَمَا رَسَمْتَهُ رُؤَايَ :
الشَّرِيدَ، النَّذِيرَ، النَّقْيَ.

✱

نَقْلُوا عَنْهُ مَا قَالَهُ فِيَّ ، - حَالُ
أُتْرَاهَا،
مَثَلْتُ حَالَهُ؟

لَا أَغَيِّرُ فِي نَظَرْتِي إِلَيْهِ
مَا بِنَفْسِي عَنْهُ . لِهَذَا
لَا أُعِيرُ انْتِبَاهاً لِمَا قَالَهُ .

✱

لَنْ أَقُولَ سِوَى الْحَقِّ عَنْهُ :
شَاعِرٌ لَا أُجَادِلُ فِي شَعْرِهِ .
هُوَ إِيقَاعُ هَذَا الزَّمَانِ وَمِعْرَاجُهُ
إِلَى سِرِّهِ .

شِعْرُهُ الْقَوْسُ وَالشُّعْرَاءُ جَمِيعاً يَمْرُونَ مِنْ تَحْتِهِ .
وَأَرَى أَنَّ أَوْجَاعَنَا تَشَابَهُ :

يَمْضِي إِلَى سِرِّهِ ، غَرِيباً
وَأَعُوذُ لِسِرِّي ، غَرِيباً .

✱

لا أريدُ امتداحَ السَّوادِ، ولكن
ربّما أخطأ المتنبّي
في قراءةِ لوني وقراءة ما بيننا.

لم أَشأْ أَنْ أَلْبِي ما شاءَ . لم أعطِهِ الولايةَ كي
لا يكونَ سجيناً لها .
شئتُ أن يَستمرَّ وفياً
لمراتِهِ .

أن يُطلَّ على الأرضِ من شُرْفَةِ الأنبياءِ
كوكباً مُلكهُ الفُضاءُ .

✱

هُوَ لم يَرِنِي ، مرّةً
وأنا لم أَشاهدُ
بين نفسي وبينِي سِوَاهُ .
كيف خانت طريقي إليه خُطاهُ؟

✱

يا جدائلَ ذاك الحنينِ
كيف أنسيتيني؟
لم أَعُدْ أَتذكَّرُ ما قالَهُ
لجراحاتِنَا
في اللَّقاءِ الأخيرِ ، الغبارُ الأمينُ .

✱

أَيْهَذَا الصَّدِيقِ الْعَدُوِّ، الْبَعِيدُ الْقَرِيبُ، الْمَقْنَعُ - كَلَاً

لَا تَقُلْ أَيَّ شَيْءٍ .

لَمْ أُرِدْ أَنْ تَبُوخَ، وَأَوْثُرُ أَلَّا يَكُونَ الْخِطَابُ طَرِيقاً

إِلَيَّ . تَعَوَّذْتُ أَنْ أَقْرَأَ الصَّمْتَ، أَنْ أَسْمَعَ

الصَّمْتَ . فِي الصَّمْتِ مَا يَتَخَطَّى الْخِطَابُ،

وَمَا يُعْجِزُ الْخِطَابُ :

لَا يَقُولُ الْكَلَامُ عَنِ الثُّورِ، نُورِ الْأُلُوْهِةِ،

غَيْرَ الْحِجَابِ .



كُنْتُ غَيَّرْتُ صَوْتِي وَقَلْبِي

وَحَرَّيْتِي فِي الْكَلَامِ وَفِي الْفِكْرِ، وَالزَّايَةَ الَّتِي

وَكَبْتُ خُطُواتِي،

وَالسَّمَاءَ الَّتِي ظَلَّلْتَنِي، وَغَيَّرْتُ مَا عَقَدَتْهُ الصَّدَاقَةُ -

أَخْلَافَهَا،

وَعَهْدِي،

وَجَرَاحَاتِ حَبِّي وَآفَاقِهِ، وَدَرْوَبِي .

ولكن وجهي ظلَّ عَصِيّاً - ظلَّ يَحْنُو على نفسه

مثلما شِئْتُهُ

مثلما كَانَ - لم يَتَغَيَّرْ .

✱

أَلْغَبَارُ كَلِيمِ الْهَوَاءِ، يُرْتَّبُ أَوْرَاقُهُ

في خَزَائِنِ حَرَّتِي .

✱

أَسْأَلُ الْآنَ: كَيْفَ السَّبِيلُ لَتَعْلَوْ مِصْرُ؟

لا سَوَالُ إِذَا لم يَكُنْ خَائِنًا .

رماد المتنبي

I. تدخل الأرض في أبجدية أهوائها

صوت ناي، أنين - من ترى يعرف؟
وتر الشمس في دهشة يتساءل، والريخ لا تعرف.

تدخل الأرض في أبجدية أهوائها
يدخل الشعر في مائه، -
ربما تثق الآن يا سيد الغيم أن المطر
ليس إلا بكاء.
آه، ما أبعد الصعود وما أقرب المنحدر.

إنه الكون كالطفل يدرج في ذروات القصيدة،
عيناه لليل منذورتان،
وأعضاؤه للسهر.

أَلَرَّمَادُ عَلَى الْقَلْبِ وَالرُّوحِ مَأْخُودَةٌ
بِدَمٍ آخِرٍ
لَيْسَ مِمَّا قَرَأْنَاهُ فِي مُعْجَمِ الدِّمَاءِ .

أَتَوَقَّعُ أَنْ يَمزَجَ الْوَقْتُ سِرّاً
عَطَشاً شَيْئُهُ ،
بِالْمِيَاهِ الَّتِي لَا أَشَاءُ .

أَتَرَدَّدُ: مَا الصُّورَةُ الَّتِي سَوْفَ أَخْتَارُهَا
لِلْأَسَافِرِ فِيهِ إِلَيْهِ؟

أَتُرَاهَا
وَرَدَّةُ الرِّفْضِ يَوْمَ افْتَتَحْتُ الطَّرِيقَ إِلَى شَعْرِهِ؟
أَمْ تُرَاهَا

وَجَعَ يَخْرُجُ الْآنَ مِنْ غَوْرِ تَارِيخِهِ؟
فَلَقِي أُنَّنِي أَتَرَنَّحُ فِيمَا أَقُودُ التَّحَوُّلَ . مَاذَا؟

أُتْرَى يَكْذِبُ الْمَاءُ حِيناً لِكِي يَصْدُقَ الْهَوَاءُ؟
أُتْرَى يَأْخُذُ الضُّوْءُ شَكْلَ الظَّلَامِ لِكِي يَتَقَرَّى تَبَارِيحَهُ،
وَيَمْتَحَنَ الْأَنْبِيَاءُ؟

الرَّمَادُ يَجْرُ الْفُرَاتَ عَلَى وَجْهِهِ
الرَّمَادُ يُؤَاخِي
بَيْنَ دَنَجُورِهِ وَالْفَضَاءِ .

وَيَقُتُّ دَجَلَةً
بِسَلْسَلِ الْأَمِهَا
بِالْغَبَارِ الَّذِي كَدَسَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا
بِالنُّفَاقِ الَّذِي حَفَرَتْهُ
فِي تَجَاعِيدِهَا، وَبِالنَّافِقَاءِ .

أُتْرَى، مِنْذُ كُنَّا
مِنْ بَدَايَةِ تَارِيخِنَا،
لَمْ يَمْتَ أَحَدٌ بَعْدُ مِتًّا؟

عُمَرَ وَعَلِيَّ وَعِثْمَانَ وَالصَّاحِبَ الْأَوَّلُ
ومعاويةً ويزيدُ

وَأَبُو طَالِبٍ

وَأَبُو لَهَبٍ

لَا يَزَالُونَ يَحْيُونَ. أَبْنَاؤُهُمْ

نُسَخَ عَنْهُمْ.

مِثْلَهُمْ،

نَتَدَبَّرُ أَحْوَالَنَا وَنَسُوسُ وَنَحْيَا

مِثْلَهُمْ،

نَشْرَبُ الْمَاءَ، نَغْسِلُ أَجْسَادَنَا، مِثْلَهُمْ نَأْكُلُ.

لَا يَزَالُونَ يَحْيُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

فِي الْمَدِينَةِ - أَيَّامِهَا، وَأَسْوَاقِهَا

وَالْمَآذِنِ، وَالطَّرِيقَاتِ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ

وَفِي كُلِّ بَيْتٍ.

هَذِهِ دُورُهُمْ وَسَاحَاتُهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ

هَذِهِ أَرْضُهُمْ وَمَقَالَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ.

يَعْمَلُونَ، يَقُولُونَ مَا يَشْتَهُونَ، وَنُصْغِي إِلَيْهِمْ

لا نقولُ ولا نفعلُ .
منذ تكويننا القُرشي
لم يمت أحدٌ بعدُ مِنّا
لم يمت بيننا
غيرُ ضوءِ الحياةِ ومِعراجِها البهيّ وغيرُ النبيّ .

- كيف يا ذلك الشرارُ
الذي كان يكمنُ في جذرِ بغدادَ، لم تتكلّمُ؟
- في الكلامِ الحرائقُ،
والرُوحِ عجفاءُ، والرأسُ في غَيْهٍ .
- كيف لم تتكلّمُ؟
- أتغنّى
بدمِ الثائرينَ لكي لا يُريقَ الطغاةُ دماً بعده؟

أَتَقصّي مدارَ التوحّشِ حتّى
تَنأَسَ أَيْامُنَا وأفكارُنَا؟

- كيف لم تتكلّمُ؟
- يعجزُ المدُّ والجَزْرُ في الشَّعرِ أن يَتَنَوَّرَ
ذاك المحيطُ من القَتْلِ، ما أوجَعَ الدّاكِزَ:

أَبَدٌ مِنْ صَحَارَى
يَجِيءُ وَيَذْهَبُ فِيهَا
أَبَدٌ مِنْ قَوَافِلِ مَكْسُورَةٍ حَائِرَةٍ.

- كيف لم تتكلم؟
- فِي شَقَا جُرْفٍ. لَا مَكَانَ سِوَى الصَّمْتِ يَلْتَهُمُ النَّاطِقِينَ.
وَانْظُرِ الْهَوْلَ. مَا أَبْلَغَ الْهَوْلَ! لَا مَوْضِعَ
وَلَا مَوْقِعَ.
كُرَّةٌ تَتَدَحْرُجُ فِي ظِلِّ سَجَانِهَا.

دَجَلَةٌ. وَاسِطٌ - دَيْرٌ عَاقُولِهَا،
لَعَّةٌ - لَمْ تَكُنْ مَرَّةً
لَعَّةً فِي الطُّلُولِ
إِنِّهَا لَعَّةٌ فِي الْأُصُولِ
الرِّيَاحُ مَزَامِيرُهَا، وَإِقَاعُهَا الْفُصُولُ.

- كيف لم تتكلم؟
- قَلْ دَمِي حِيرَةٌ، وَقَلْ الْحُنْجَرَةُ
أَوَّلُ الْمَقْبَرَةِ.

II . الغَيْهَب

في الموجِ صَحْبٌ وعلى اليابسة
بَشَرٌ يَعْمُرُ اللُّؤْلُؤَ
ينسجون بِأَجْفَانِهِمْ شِبَاكَ الأَيَّامِ

فاصلة

قَمَرٌ نَصْفٌ نَائِمٌ
يرتقِ الشُّبَاكَ في زاوية المرفأ
وها هو يتعد
أَشْعَثَ الشُّعْرَ بين النَّوَارِسِ
والتَّجْوُمِ حَوْلَهُ
يُسَلِّمُنَ جَدَائِلَهُنَّ إِلَى مِقْصَاصِ اللَّيْلِ .

ما هذه الرِّيحُ
التي تقهر الأشرعة!
تَكَاذُ المَرَائِبُ
أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى أَحْوَاضٍ لِلدَّمَعِ .

سُئِلَ المَتَنَبِيُّ، فيما يُروى:
- كيف تَدْعِي النُّبُوَّةَ، والحديثُ
يقول: «لا نبيَّ بعدي»؟
فأجاب:
هذه قراءةٌ للحديث غيرُ
صحيحة. الصَّحِيحُ أَنْ يُقْرَأَ:
[«لا، نبيَّ بعدي»].
وأنا،

اسمي في السَّمَاءِ: لا .
[المتنبي]

أَنْتِ آتِيهَا الْأَسْبِجَةُ الْحَدِيدِيَّةُ الَّتِي تُزَرِّ بِحَارِنَا، بَسْمَلِي كَمَا
تَشَائِينَ هَلْ لَكَ أَنْ تَكْبَحِي أَوْ أَنْ تَرْدِي الْوَحُوشَ
الَّتِي تَهْمُ أَنْ تَفْتَرَسَ الشَّوَاطِي؟
وَمَا هَذِهِ السُّفُنُ الَّتِي تَقْلُدُ حِكْمَةَ السَّمَاءِ؟
مَا هَذَا الْمَاءُ الَّذِي يَتَمَوَّجُ حَوْلَهَا وَلَا يُبَلِّلُ أَحَدًا؟
شَمَوْعُ تُنَافِسُ الشَّمْسَ

فاصلة

نِسَاءً
[«كَانَ يَعْلَمُ طَرَفًا مِنْ
السَّيْمِيَاءِ. قَالَ لِلْمَطَرِ
أَنْ يَنْزِلَ حَوْلِي وَأَلَّا يُصِيبَنِي.
كَانَتِ الْغَيُومُ تُظِلُّنِي،
فِيمَا تَمَطَّرَ حَوْلِي»].
مَعَاذَ بَنِ إِسْمَاعِيلَ]

أَيْنَ يَقِفُ الْآنَ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ الْمَائِلُونَ عَلَى عَكَازٍ تَارِيخِيهِمْ؟
وَكَيْفَ أُغْرِي الزَّمَنَ بِالسَّيْرِ فَوْقَ هَذَا الْوَرَقِ الْأَبْيَضِ،
وَأُغْرِي جِرَاحِي؟ وَكَيْفَ أَتَذَوَّقُ مُعْجَمَ هَذَا
الشَّاطِئِ الَّذِي يَتَطاوَلُ بَيْنَ الْإِسْكَندَرُونَةِ وَطَنْجَةِ كَمْثَلِ شَرِيطِ

مِنْ أَطْبَاقِ إِلَهِيَّةٍ
تَحْمِلُ الْأَسْلِحَةَ وَالْآلَاتِ وَالْحَوَانِيتِ؟

فَاصِلَةٌ	مَنْ يَخْدَعُ الْمَوْجَ؟
[«دَلَّتْ	مَنْ يَغْرُزُ بِرُشْلِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ،
أَشْيَاءُ	يَفْتَحُ لَهُمُ الْمَصَائِدَ
فِي دِيْوَانِهِ،	فِي اللَّغَةِ وَفِي الدُّرُوبِ، كَمَا تُفْتَحُ النَّوَافِدُ
أَنَّهُ	وَيُنْصَبُ الْبُومَ ذَا الْقَرْنَيْنِ،
كَانَ	مَلِكًا عَلَى الْمَفَارِقِ -
مَتَالُهَا».	فِي اللَّيْلِ الَّذِي يُتَأَتَّى، اللَّيْلِ الَّذِي هُوَ ابْنُ
الْمَعْرِي]	لِلنَّجْمَةِ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَمَجِّدُ الشَّهْوَةَ
	فِي سَرِيرِ عَرَسِهَا فِي وَقْتِ يَعْرِجُ
	نَاسِيًا نَحْوَ التَّارِيخِ وَصَرْفَهُ.

أَدِرْ وَجْهَكَ إِلَى مَكَانٍ يَسْتَقْبِلُ الْخِرَافَ
الضَّالَّةَ إغْرِقْ فِي أَحْضَانِ نَخِيلِهِ
حَيْثُ كَنَائِسُ الْعَشْبِ وَمَاذُنُ السَّكِينَةِ
حَيْثُ الْأَرْضُ
لَا تَزَالُ تَنْتَمِي إِلَى غَنَاءِ الطُّيُورِ.

الأمواج تُواصلُ أنينها في بحرٍ يتنكرُ لشطآنه، وها هو الماء
يتزوّج الرَّمْل.

- «قَسْتُ حُنْجَرَةَ الْهَوَاءِ»،

قال المتنبي،

«كَانَ عَدْدُ أَوْتَارِهَا أَقْلٌ مِمَّا تَمْلِكُ حُنْجَرَتِي،
وَتَنْبَأْتُ بِمَصِيرِ الْهَوَاءِ».

II

مُدُنْ -

سَطْحُ مَجْدُورٍ، وَالْقَرَارُ يَتَقَيُّ أَحْشَاءَهُ

مُدُنْ -

أَسْمَاكَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ تَتَأَرَّجُ بِاسْمِ الْآلِهَةِ وَبِاسْمِ الْمَعْدَةِ

فِي مَوَازِينَ تَتَأَرَّجُ بَيْنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

بِاسْمِ الْبُخُورِ تَلْتَصِقُ رَوَائِحُ السُّوقِ

بِوَجْهِ زُؤَارِهَا بَيْنَ أَغْشَابِ

نَادِرَةٍ فِي صِنَادِيقٍ تَنْحَنِي فَوْقَهَا سَمَاءُ

يُرْشَحُ مِنْهَا سَائِلٌ لَا يُعْرِفُ إِنْ كَانَ

عَسَلًا أَوْ قَيْحًا.

فاصلة

«إِنَّ غُلِيْمًا مِعْطَاءَ بِالرِّيِّ

(الصَّاحِبِ بْنِ عَبَادٍ) يَرِيدُ أَنْ

أَزُورَهُ وَامْدَحَهُ، وَلَا سَبِيلَ

إِلَى ذَلِكَ».

[المتنبي]

وحيث كانت الأبواب آخذة في

الصَّدا، كان رجالٌ مائلونَ على عكاكيزهم يبللون
سؤالَهم بماءِ الهجرة.

كانَ البحرُ يَرْتَجِلُ هديره كأنه جرحُ يلتهمه الملحُ في «ليلِ أرْحَى سُدُولِهِ»
كأنه الرِّفِيُّ الأعلى لامرئ القَيْسِ،
بعيداً،
تحت نخلة،

لا يزال امرؤ القيس ينهض فاتحاً صدره
لناقته الذَّبِيحَةَ - احتفاءً بالحبِّ. غير أن الغديرَ جَفَّ
الغِزْلانُ تَشْرَبُ دموعها والقلوبُ أطلال
هناكَ صيَّادٌ غير الرَّمَلِ

مع ذلك لا يزال جرح المكان ينزف وْحياً

من أجل حضوركِ يا صحراء العالم

من أجل شهواتكِ

من أجل أصابعكِ التي تعزف على

أراغبي الدَّمع

من أجل ركبتكِ والسَّق الذي

يتلأأُ بينهما

من أجل صفائركِ التي تَرَيْنُ كَفَّيْ ليلنا

من أجل روحكِ التي لا مَادَّةَ فيها غيرُ المَادَّةِ

من أجل وقتكِ الآنَ وأَيَّامكِ الآتية

الذَّاهِبَةُ على ظهر فيلٍ سَجَّيلٍ

فاصلة

[«بلوثُ (من أبي الطَّيِّب)

ثلاثُ جَلالٍ ذميمة،

وتلك أنَّه

ما صامَ

ولا صَلَّى

ولا قرأ القرآن».

علي بن حمزة

(راوية ديوان المتنبي)

في مُدُنٍ تعمُرُها صلواتُ الآخرة
في دروبٍ مرّت على حَصْبائها مِسْحاةُ التَّقوى
مِنْ أَجْلِ أَنْ نَظَلَ دائماً نَجِيءُ في اللَّحْظَةِ نفسها قبلَ
الوقتِ وبعده
في اللَّحْظَةِ نفسها
لا تناقُضَ في المصادفات
لا تناقُضَ في الرِّيحِ
وأوّلُ الغبارِ كآخره
ولستُ ابنًا للحُلُم - الحُلُمُ وجهي الآخر .

«قُسْتُ حُنْجَرَةَ الفِضَاءِ»
قال المَتَنِّي .
«كَانَ عَدْدُ أَوْتَارِهَا أَقَلَّ مِمَّا تَمْلِكُ حَنْجَرَتِي»
وَتَنَبَّأَتْ بِمَصِيرِ الهَوَاءِ .

III

- قُلْتُ : « لا مَكَانَ لِحَسَدِينَا » .
- قُلْتُ : « بَيْنَنَا جُزُرٌ ، وَلا جِسْرَ غَيْرِ الكَلَامِ » .
- قلنا : « البُعْدُ جِدَادٌ وَجَسَدَانَا مَسْرُوحُ الجِدَادِ » .

مَنْ إِذْنٌ سَيَسْرُحُ لَكَ صَدْرَكَ ،
أَيُّهَا العَاشِقُ ؟

تَحَدَّثْنَا عَنْ أَقْوَلِ الْحَضَارَاتِ

عَنْ شُعُوبٍ تَرْتُهَا وَاضِعَةٌ جَذُورُهَا فِي قَاعٍ طَحَلِبِ سَمَاوِيٍّ
تَحَدَّثْنَا عَنْ الْحُلُوى تُؤَكَّلُ بَعْدَ السَّمَكِ تَيْمُنًا بِحَدِيثٍ وَضَعْنَاهُ .
كُنَّا نَنْتَظِرُ وَصُولَ صَيَّادِينَ تَلْمَعُ عَلَى وَجُوهِهِمْ لَآلِئُ الْغَوْصِ
كُنَّا نَقْشُرُ لَهُمْ خُرْشُوفَ السَّرِّ فِيمَا تُرَدَّدُ :
اَللّٰهُمَّ ،
أَغْرِقْنَا فِي حَوْضِكَ الَّذِي لَا يَفْنَى .

وَكَانَ قِرْدٌ مِنْ فَصِيلَةٍ عَالِيَةٍ تَنْحَدِرُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ أَرْضٍ لَا تَبْعُدُ إِلَّا
قَلِيلًا عَنْ كَرِبَلَاءِ الْحُسَيْنِ يُغْنِي مُسْتَعِيدًا مُوسِقَى غَابَاتٍ
لَمْ تَصِلْ إِلَى أَعْنَاقِهَا بَعْدُ سَيُوفُ الْإِبَادَةِ

كُنَّا نَرْتَلِ مَعَهُ أُنَاشِيدَ تَبْدُو كَأَنَّهَا طَالِعَةٌ مِنْ قِيَارِ
زُرِّيَابٍ .

كَانَ رَجَالٌ مَائِلُونَ عَلَى عَكَائِزِ تَارِيخِهِمْ

يَسِيرُونَ فِي الْمَاءِ أَمَامَنَا يَحْرَكُونَ

رُؤُوسُهُمْ يَمْنَنُ وَيَسْرَةُ
فَجَاءَتْ غَابُوا خُيَلٌ إِلَيْنَا أَنَّ
الْمَاءَ انشَقَّ وَابْتَلَعَهُمْ
فَجَاءَتْ ظَهَرُوا ،

فاصلة

[«اشترط المتنبي على سيف الدولة

إذا أنشده مديحه، ألا ينشده

إلا وهو قاعد، وأنه لا يكلف

تقبيل الأرض بين يديه.

فَنُسِبَ إِلَيْهِ الْجَنُونُ!

ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط».

الصباح المنبى]

يلبسون قشورَ حيتانٍ ويهزون أكتافهم
كأنما لكي يؤكّدوا أنَّ العقل طَيِّعُ كمثل الظلِّ،
أنَّه خُلِقَ لكي يخضع للنبيّات.

«قِسْتُ حنجرةَ الفضاء»،

قال المتنبي

«كان عددُ أوتارها أقلَّ مما تملك حنجرتي،
وتنبأت بمصير الهواء».

IV

سيرنا

فاصلة

وراءنا تعلو أبراجٌ شَبَّهها بعضنا برؤوس
الشَّياطين قال آخرون إنها جبالٌ
عُقِلَتْ بأقدام الغيم.

- أ -

[«أنزلُ دائماً على قبائل

العرب،

وأحبُّ ألا يعرفوني».

المتنبي]

في نهر بردى قبل أن يجفَّ، أخذتنا
مراكب المعرفة إلى خاناتٍ يُخزن فيها
ما يَبْقَى من قوافل الزمن

- ب -

[«حدّثتُ أنَّ المتنبي كان إذا

سُئِلَ عن حقيقة هذا اللَّقبِ،

قال: هوَ من النَّبوةِ،

أي المرتفع من الأرض.

وكان قد طمَع في شيء

الذِّكريات مَحفوظةٌ في أكياسٍ من الدَّمقس
التَّاريخُ طاحونٌ يُسيرها ماء أحمر
مَنْ يخلف مَنْ

قَدْ طَمَعَ فِيهِ
مَنْ هُوَ دُونَهُ.

[المعري]

- ج -

[«صَجِبَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ فِي عِدَّةِ
غَزَوَاتٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَمِنْهَا
غَزْوَةُ الْفَنَاءِ (فَنِيَ فِيهَا الْجَيْشُ
إِلَّا سَبْعَةً مِنْهُمْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ
وَالْمُتَنَبِّي).

قال سيف الدولة:

كان المتنبّي يسوق فرسه، فَأَعْتَلَقَتْ
بِعِمَامَتِهِ طَاقَةً مِنَ الشَّجَرِ الْمَعْرُوفِ بِأَمِّ
غِيلَانَ، فَكَانَ كُلَّمَا جَرَى الْفَرَسُ، انْتَشَرَتْ
الْعِمَامَةُ. وَتَخَيَّلَ الْمُتَنَبِّي أَنَّ الرُّومَ قَدْ
ظَفَرَتْ بِهِ، فَكَانَ يَصِيحُ: الْأَمَانُ، يَا عَلِجُ!
فَهْتَفْتُ بِهِ وَقُلْتُ: أَيُّ عَلِجٍ هَذِهِ
شَجَرَةٌ عُلِقَتْ بِعِمَامَتِكَ.
فَوَدَّ أَنَّ الْأَرْضَ غَيَّبَتْهُ».

قال له ابن خالويه:

«أَيُّهَا الْأَمِيرُ،

أَلَيْسَ أَنْ تُثَبِّتَ مَعَكَ حَتَّى

بَقِيَّتَ فِي سِتَّةِ أَنْفَارٍ،

تَكْفِيهِ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ؟».]

الكرسيّ العنكبوت
البلاد النعامة

هاتوا أنباء الصّباح

قليلاً من البكاء أيتها الشّمس

الفكرة هنا تُقيم تحت الكاحل وتتشحّط وراء
الكعب

بي حاجة للحديث مع سوفوكليس، ليلاً،
إن أمكن،

ومع إسخيلوس، نهاراً، فيما يفتح
الفجر ذراعيه،

هل الفاجعة وحدها تعلّم الفرح؟
من يسلك معي الطريق التي تأخذنا إلى بيتها؟
المسرح لا يكفي
لا بُدّ من رؤية السرير والسُرّة والسريرة،
وَلْتَمَزَقِ السَّائِرُ.

لكن ها هو الزّمنُ،

مياه شحيحة تسيل في الغرابيل

أعناق تطاير بين الأسلاك

الطيور لا تعرف أين تمضي

تكاد أن تجهل كيف تبني أعشاشها

ولم نعد نخافُ
الخوفُ هجوئنا الآخر .

أَلْعَادَةُ أَنْ يُلَوِّحَ رَجُلٌ بِعَصَاهُ وَيُعلنَ نَفْسَهُ قَائِداً
أَلْعَادَةُ أَنْ تَجْتَذِبَ الْعَصَا جُنُوداً غَيْرَ مَرْتَبِينَ لَكِي يَتَغَلَّغُوا أَيْنَمَا حَلُّوا
فِي الْمَادَّةِ وَصُولاً إِلَى جِزْئِهَا الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ
أَلْعَادَةُ أَنْ يُنْحِنِي الْجُمْهُورُ الثَّائِرَ أَمَامَهُمْ حَتَّى يُعَانِقَ غُبَارَ أَقْدَامِهِمْ وَغَالِباً
مَا يَنْسَى الْحَيَوَانَ النَّاطِقُ أَنَّهُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ

فاصلة
[«كان المتنبي
داهيةً،
مُرَّ النَّفْسُ» .
الذين يرسمون بلدانهم كمثل أسلاكٍ شائكةٍ
على صفحات القانون
مَنْ أَوْلَتْكَ

ابن فورجة] ماضياً
عَقَصْتَنِي رِيحٌ مِنْهُمْ
وَتَنَقَّلْتُ فِي عَرَبِيَّةٍ تَنْقُلُ بَعْضُ أَنْفَاصِهِمْ

ماضياً
زَرَعُوا فِي خَاصِرَتِي قَرْنَيْنِ لَأَيْلٍ طَرِيدٍ، وَلَمْ
أُفِدْهُمْ شَيْئاً
كَنْتُ لَهُمْ دَائِماً

حقيبة فارغة
ومليئة بالتقوب .

لكن ها هو الزمن -

أطفالاً يلبسون البنادق

جنوداً يبتنون رصاصهم بالحلوى

كُهانٌ يفتشون صلواتهم على عتبات الموتى

الأفقُ فحْمٌ والهواء يتأكسدُ

فاصلة

يكاد النَّاسُ أن يتحولوا إلى بشورٍ في جلدة الأرض

- أ -

ومن يقدر الآن

أن يميزَ بين اللُّغة واللُّغو؟

[«كان المتنبي

يعمل الشعر للنَّاس،

لا للممدوح».

قل لي، أيها البابونج السماوي

[الصباح المنبي]

من أين لك أن تشفي سُعالَ المادَّة؟

- ب -

غاب حارسُ الملكوت

[«... ومولانا يعلم أنَّ الثوب

في زاوية

لا يعلمه البرَّازُ كما يعلمه الحائك.

في رواقٍ

لأنَّ البرَّازَ يعلم جملة، والحائك

في قَصْرِ

يعلم تفاصيله.

في مدينة طالما غناها أبنائه

وإنما قرَّرتُ امرؤ القيس لذة النساء

وما أكثرهم - حشدٌ من الشعراء

بلدة الركوب للصيد، والشجاعة في مُنازلة

الأفاعي بنات آوى

الأعداء بالسَّماحة في شراء الخمر للأضياف،

أوه! سلِّم بياني من عطايات

للتضايِّف بين كلِّ من الفريقين.

تنسّم رَمْلَ اللُّغة!

وكذلك لما ذكرت الموت في صدر

البيت الأول، أتبعته بذكر الردى في آخره
ليكون أحسنَ تلاؤماً. ولما كان وجهه
الجريح عبّوساً، وعينه باكيةً،

قلت: ووجهك وضّاح،
لأجمع بين الأضداد في المعنى». [المتنبى]

ومن أين للمجهول الذي يرقد تحت
سُرة الكون،
هذا العذب؟ وهذا الفلق
الذي يُغري بالغسق؟

فوقنا -

- ج -

[«رأى بعض عبّيد

ثوراً يلوح فقال:

هذه منارة الجامع.

نظر آخر إلى نعامٍ،

فقال: هذه نخلة!

فضحك المتنبى».

[الصّبح المنبى]

وذلك الماء الذي تعود أن ينظر من علّ إلى
الحقول الظّامّة لم يعد ينظر إليه الآن غير القشّ.

ربّما،

- د -

[«أخفى طريقه،

فلم يؤخذ له أثر.

عمل طريقاً تحت

الأرض؟».

[الصّبح المنبى]

ليس الغبار في هذه الحقول، شأنه في جميع
الحقول الأخرى التي تحرثها يدُ الله إلاّ ناراً
تتغذى بأجساد المارقين والعشاق أولئك الذين
يحسبون أنّ المعرفة كمثل برميلٍ مثقوبٍ في
شكل نهْدٍ يُسمّى الأبد،
لا يتسّع حتّى لقطعة من الماء.

«قِسْتُ حَنْجَرَةَ الْفُضَاءِ»

قال المتنبي .

«كَانَ عَدْدُ أَوْتَارِهَا

أَقْلُ مِمَّا تَمْلِكُ حَنْجَرَتِي

وَتَنْبَأْتُ بِمَصِيرِ الْهَوَاءِ» .

V

صُفُرٌ دَاكِنُونَ أُولَئِكَ الرُّجَالُ الْمَائِلُونَ عَلَى

عُكَاكِيزِ تَارِيخِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَنَامُونَ

بِلُءٍ عَيُونِهِمْ وَيَسِيرُونَ فِي نَوْمِهِمْ كَمَثَلِ

جَدَاوِلَ تَلْتَهُمَا الضُّفَافُ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ

إِلَى مَصْبَاتِهَا

فاصلة

[«بلوت من أبي الطيب

ثلاث خلالٍ محمودة، وتلك

أنه ما كذب،

ولا زنى،

ولا لاط» .

وَهَا هُمُ الْأَطْفَالُ يَضْطَجِعُونَ مَخْمُورِينَ

بَيْنَ الْأَحْذِيَةِ وَدَوَالِيبِ الْعَرَبَاتِ الَّتِي لَمْ

تَعُدْ صَالِحَةً إِلَّا لِلْخَرَابِ وَلَمْ يَكُنِ الْقَمَرُ

امْرَأَةً وَلَا خَشْخَاشًا عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ

آنَذَاكَ فِيمَا كُنْتَ أَتَشَقُّ رَوْحَ يَاسْمِينَةٍ

دَمَشْقِيَّةٍ كَانَ ذَاكِرَةً وَقْتُ يَعِيشُ

فِي الْهَجْرَةِ

علي بن حمزة»]

[«أيجوز للأديب ألاّ

يعرفَ شعرَ أبي تمام،

وهو أستاذ كلِّ من قال

الشَّعرَ بعده؟]

[المتنبي]

في شِعْرِ - حَدِّ

يَقْطَعُ الرِّيحَ

ويبسُّطُ أجزاءها

على مائدة المعنى .

[«في شعره (المتنبي) غرابةُ المُحدِّث،

وفصاحةُ القديم. خاتم الشعراء».

ابن الأثير]

لا أزال أُسْتَبَشِّرُ بفتنة اليأس في

هذا الغار المديد الغائر الذي يصطرعُ فيه

الزَّمنُ والأبدُ حول رماد الآخرة

اليأس الذي يُبْهَجُنِي أن أسكبه كمثّل

حنطةٍ في حَوْصلة الموت

اليأس الذي ينظر إلى ما حولي لا يرى

إلاّ سراباً ينعقد على أطرافه

كحبل أسود لا يرى إلاّ ثمرةً

حمراء في وجتتي كأنها دمعَةُ الشَّكِّ

لا يرى إلاّ كرةً بين يدي اسمها

ياجوج الهجرة

اليأس الذي ينظر يرى لا يرى شيئاً.

«قِسْتُ حُنْجَرَةَ الْفُضَاءِ».

قال المتنبي .

«كان عدد أوتارها أقلّ مما تملك حنجرتي،

وتنبأت بمصير الهواء».

VI

هَلْ أُعْطِيَ لِنَفْسِي الْحَقُّ أَنْ أَرْسُمَ خَطًّا أَحْمَرُ

تَحْتَ لَفْظَةِ النِّهَايَةِ؟

اتركوني، أنتم يا أبناء هاجر، لا أزال

قادراً أن أعيش هنا قرب هذه البئر

لا تزال هناك أوتادُ

لا تزال خيامُ

وثمةُ أصداء تؤكد أن هناك أصواتاً

لا تزال الشِّفاه التي بَنَتْها ترسم في

الأثير.

فاصلة

[«ما خدمتُ

عيناي

قلبي،

كالיום».

[المتنبي]

لَا بُدَّ أَنْ تَفْتَحَ عَيْنِيكَ وَتَرَى

تَرَى ذَلِكَ الْحَائِطَ

يُديرُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ كَأَنَّهُ يَنْقُلُ

رِسَالَةَ الطِّينِ الْآدَمِيِّ.

أوه! طينُ لا تزال شفتاه مُبْتَلتينِ

بندى الكلامِ الأوَّل!

وماذا تفعلين إذن يا هذه

الشمسُ!

تَرَى الطِّفْلَ يَعْرجُ عَلَيْهِ مُصَدِّقاً أَنَّهُ

سَرِيرٌ سَمَاوِيٌّ تَرَى الشَّيْءَ يَقُولُ الْحَاضِرُ
لَيْسَ حَاضِرًا تَرَى شَرِيطَ النَّهَائِيَّاتِ
يَتَنَقَّلُ بَيْنَ دَجَلَةٍ وَالْأَنْدَلُسِ تَرَى كَائِنًا
مِمَّا قَبْلَ التَّارِيخِ كَأَنَّهُ وَلِيدٌ فِي شَهْرِ الْأَوَّلِ
وَالْيَوْمَ يُوقِظُكَ صَوْتُ يُشَبِّهُ
لَكَ فِيهِ أَنَّ النَّهَارَ بَرَكَةٌ آسَنَةٌ تَتَخَبَّطُ
فِيهَا نَحْنُ سُكَّانُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَمِثْلِ أَسْمَاكِ
شَبَّهِ مَيِّتَةٍ وَتَرَى الضُّوءَ يَتَمَهَّلُ فِي سِيرِهِ وَيَعْدُ
خَطَوَاتِهِ خُشْيَةً السَّقُوطِ .

وهذه التَّجُومُ ، كم هي مَجْنُونَةٌ !
لَا تَزَالُ تَعْتَقِدُ أَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَسَافِرَ إِلَى الْكَوْفَةِ
لَكِي تُمَضِّي السَّهْرَةَ فِيهَا ثُمَّ تَعُودُ فِي اللَّيْلَةِ ذَاتِهَا
أَحَقًّا أَنْتَ نَفْسُكَ الْآنَ ذَلِكَ الَّذِي وُلِدَ
مِنْ عُنَاقٍ يَتَكَرَّرُ كُلُّ يَوْمٍ بَيْنَ الْغُبَارِ وَالشَّمْسِ ؟

الفكرةُ تزدرد أختَهَا ،
والشُّوكُ نكهةُ الحَنْجَرَةِ .

فاصلة

حَقًّا،

[«رَأَيْتُ النَّاسَ

عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ التَّوَسُّطِ.

فَإِمَّا مُفَرِّطٌ فِي وَصْفِهِ

وَإِمَّا مُفَرِّطٌ».

مِنْ زَمَانٍ بَيْعَتِ السَّمَاءِ لَمْ يَبْقَ فِيهَا

مُتَّسِعٌ إِلَّا لِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَيْسَّرُ لَهَا أَنْ

تَسْتَوِلِيَ عَلَى عَرْشِ اللَّغَةِ.

«هؤلاء الثلاثة (أبو تمام،

البحراني، المتنبي)

لَا تَشْعُرُ وَغَزَاهُ

وَمَنَاتُهُ».

ابن الأثير]

تَمَهَّلُ أَتَيْهَا الصَّوْتُ الَّذِي يَتَبَعُهُ وَرَاءَ الْأَبْجَدِيَّةِ

كَمَثَلِ جَرَسٍ فِي عُتْقِ فَرَاثَةٍ،

دُرُوبِي سَدِيمٌ تَخْتَرِقُهُ مَجَزَاتٌ مَحْلُولَةٌ

الضَّفَائِرُ وَحَيَاتِي فَرَاغٌ لَا تَقِيمُ فِيهِ إِلَّا

الْأَشْعَةُ وَلَا أَحْلَمُ ضُمْنِي يَا ذِرَاعَ

الْوَاقِعِ إِلَى احْتِمَالَاتِكَ وَأَسْأَلُكَ:

مَتَى يَحِينُ قَطَافِي؟

التَّارِيخُ يَتَمَوَّجُ فِي قَنِينَةٍ تَتَمَوَّجُ فِي اللَّحْجِ

وَأَهْ مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ الَّتِي تَعْمُرُ الْعُقُولَ وَلَا تَقُولُ

إِلَّا الْيَبَابَ

حَقًّا لَا جَبْرَ إِلَّا الْجَسَدَ أَصْغُوا

لِلسَّلَالِمِ الَّتِي تَتَطَايَرُ دَرَجَاتُهَا فِي غَوَايَاتِ

الْأَرْجْلِ لِلْهَبْوَطِ -

إن كانت هناك حقيقةً فهي في الجسد

وأوجاعه

في

الغُور الغُور الغُور .

فاصلة

[«أُبْخِرُ الطَّيْرَ تُخْشِينِي؟

ومن عبيد العصا

تخاف علي؟

«قُسْتُ حَنْجَرَةَ الْفَضَاءِ»

قال المتنبي .

«كان عدد أوتارها أقل مما تملك حنجرتي ،

وتنبأت بمصير الهواء» .

معاذ الله

أَنْ أَشْغَلَ فِكْرِي

بِهِمْ

لِحِظَةِ عَيْنٍ .

VII

لِلَّيْلِ ذَوَابَاتُ

تَسْبَحُ فِي دُخَانِ بَخُورٍ

لَا إِلَى النَّارِ يَنْتَمِي لَا إِلَى الرَّمَادِ

يَنْتَمِي إِلَى بَرْقٍ

يَجْرُ الْمَوْتُ أَمَامَنَا

حَامِلًا مَقْلَبَتَيْهِ فِي صُحْنٍ أَعْمَى .

وَلَا أَرْضِي

أَنْ يَتَحَدَّثَ

النَّاسُ

بَأَنِّي سِرْتُ

فِي خَفَاةٍ

أَحَدٍ

غَيْرِ سَيْفِي» .

[المتنبي]

وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَيُّهَا الشَّعْرُ أَنْ تُغْلِبَ

فاصلة

[«قاتلَ حتى قُتِلَ».]

*

[«لَمَّا قُتِلَ،

في طريق الأهواز،

وُجِدَ معه ديوانا

أبي تمام والبحتري،

بِخَطِّه».]

*

[«شُعِلَتْ به الألسن،

وسهرت في أشعاره الأعين.

طالَ فيه الخُلْفُ،

وَكَثُرَ عنه الكَشْفُ.

له شِيعَةٌ

تغلو في مَدْحِهِ،

وعليه خوارجُ

تتعب في جَرْحِهِ».]

ابن شَرَف القيرواني]

مِنْ قَيْدِكَ الملائِكِي حَتَّى لو صرْتُ حارسَ

الجحيم؟

أقول لك

لا أعرف اليوم إن كانت الشَّمْسُ

لا تزال نائمةً

إنهض يا ليلي اسأَلْ:

ما هذه الرِّياحُ التي تتأوهُ

جداداً؟

أوه!

كأنَّ دم الأرض يتخثَّر في أجرانِ الآلهة.

. III

سَاهِرٌ حَوْلَ صَمْتِ الدَّمِ
الْمَتَدَفِّقِ مِنْ آدَمِ

- كيف لم تتكلّم؟
- هل أقول ابتكرتُ لجسمي
جسداً آخراً؟

هل أقول لبيتي
أنتِ نِصْفُ لِنَفْسِي
ونِصْفُ لغيري؟

- كيف لم تتكلّم؟
- لم يعدْ من فضاءٍ لنا غيرُ تيهِ خرافاتِنَا،
لم نعد نتحرّك إلاّ
في دِمَقْسٍ وإِسْتَبْرَقٍ وَجِنَانٍ
من حروفِ الهجاءِ،
فاحترقَ صامتاً، أو تقمّضَ قميصاً
سَمَهُ البَيْعَاءُ.

- كيف لم تتكلّم؟

- أئْهْذي المدائنُ، ساحاتُها والبيوتُ القناطرُ أبوابُها

وأسواقُها والقِيابُ

هنا أُمَدَّ عروقي يَنابِيعُ فيكُنْ تجري، وماذا؟ لماذا

لا يَخاطِبُ أحشائي الحانياتِ عليكُنْ غيرُ الخَرابِ؟

رِغْشَةً في الحُقُولِ

في البلادِ التي أُنْتَمي إليها

تَمَازُجُ بالدَّمعِ،

تَمزجُ بالدَّمعِ ماءَ القُصُولِ.

ليَكُنْ. لَنْ أَقُولَ وداعاً

للبلادِ التي أُنْتَمي إليها،

ولأشْيائها. لَنْ أَقُولَ.

- كيف لم تتكلّم؟

- خرجت من جُفوني وأنا أحلم

صورةً عن حياتي،

عن هذه البلاد التي أنتمي إليها

تنوّرتها، ونوّرتها

وأنا اليوم أسأل: ما الأوضّح، الآن،

هذا المنور، أم ذلك المُنْبهَم؟

- كيف لم تتكلّم؟

- ساهِرٌ حول صَمّتِ الدّم المتدفّق من آدم.

IV. شرق بلا شرق

أمس الآن غداً

نجتمع على اسمك بضعة شعراء نابذين منبوذين ليس

في الهواء حولنا غير الحُوذ وغير لَبْلَابِ بَشْرِي يُعرّش عليها

الدروب أفدام لا تعرف غير السلاسل والزمن ساقان

مشلولتان

لكن ها نحن ننظرُ إليك شعرك الدليل والسبيل وكلُّ

قصيدة بداية

هل كَتَبْتَ إِلَيْكَ الكُوفَةَ؟
ما لهذه اللِّقَالِقِ تحوُّمٍ حول آثار طفولتك؟
أُهْنَاكَ نَوَافِدُ تتحوَّلُ إلى أجنحة؟
أُهْنَاكَ آهَاتٌ تُصِيرُ أنْهَاراً؟
أُهْنَاكَ أَلْفَاظٌ لِلْمَدِّ لَا تقولُ غَيْرَ الْجُزْرِ . وأَلْفَاظٌ لِلجُزْرِ لَا تقولُ
غَيْرَ المَدِّ؟
وطَمَّيْ الفُرَاتِ هل تحوَّلَ إلى كُتُبٍ ورسائل؟
وهل لنباتاته حروفٌ وإيقاعات؟

حَشْدُ أَقَاوِيلَ يَلْتَطِمُ بِخَطَوَاتِكَ يَهْذِرُونَ يَهْرَفُونَ
يَحْسُدُونَكَ حَتَّى عَلَى غِبَارِ قَدَمَيْكَ حَتَّى عَلَى رِمَادِكَ
يَتَجَيَّشُونَ ضِدَّكَ فِي قِبَائِلَ وَعَشَائِرَ فِي أَفْحَاذٍ وَعَائِلَاتِ

أَدْخَلْنَا فِي عُلُوكَ
فِي سَكُونِكَ وَحَرَكَتِكَ
عَلَّمْ تَقَاطِيعَنَا أَرْقَ مَسَافَاتِكَ
قُلْ لَنَا هَيْأَمُكَ وَسُلْطَانُ أَعْشَابِهِ
أَرْشِدُنَا إِلَى حِكْمَةِ الْحُرُوفِ وَالتَّقَاطُطِ وَالفَوَاصِلِ
فِي نَسِيمِكَ وَإِعْصَارِكَ

هكذا يكون لنا أن نعلن
من عَصَفٍ واحدٍ نحن
ورفضنا يتوحد برفضك
هكذا نَتَبَيَّرُ بِكَ وفيك

ونقولُ هذه رايَةُ الوَقْتِ
ونقول السَّماءَ والأَرْضَ مِنْ سُلَالَةٍ واحدة
ونقول الحبَّ والشَّعْرُ نَحْوُ واحدٍ
ونقول أَهْلًا بالكِيمياءِ
بقوسِ قُرَحِ العناصرِ
بالعقل والقلب في إنبيي واحد
ومدارنا التَّحوُّلُ.

هل يفصل البحر عن أمواجه
هل يقول الفضاء: لن ألبس الغيم،
والشَّجَرُ: لن أُورِقَ؟
إذن، كيف لا نكونُ واحداً؟

آه، اهْدِنَا الصِّرَاطَ وَأَوَّلُ وَأَوَّلُنَا
هل يكفي أن نتعلَّم صَبْرَ الماءِ،
وماذا نفعل لِشَرِّقٍ بلا شَرْق؟

ما العاصِفُ الذي يهبُ؟
ما مجهولُكَ، أيُّها الشَّعْرُ؟

وَلِدَ الْعَصْرُ فِي جُثَّةٍ .

- أ -

الرَّماذُ - سأوقظُ من نومهِ أورفيوسُ :
تُراكَ تَعَلَّمْتُ سِرَّ الهبوطِ على درجاتِ الجحيمِ ؟
جَرَّتِ السَّمْسُ أُرْدانها حولَ قيثارهِ الكَلِيمِ ، -
السُّهولُ مرايا تتدافعُ فيها
شهُواتُ الشَّجَرِ
والنُّجومُ نساءً
يَتَفَحَّصُنَ أجسادهنَّ ويفتقنُ ثوبَ القمرِ .

- ب -

ها هُوَ الطَّلُعُ يسألُ رِيحَ صباباتِهِ :
« كيف أُلقي بِداري لِعَصْرِ »
قالَ عنه كتابُ نبوءاتِهِ :
« لم يَجِئْ قَبْلَهُ
قاتِلٌ مِثْلُهُ » .

- ج -

الرَّماذُ - ولكن

ما يقول لِلَّيْلِ الطَّبِيعَةُ لَيْلُ الْبَشَرِ؟
وأنا لا أكادُ أَصَدِّقُ غَيْرَ الرِّيحِ التي تَدْنُرُ ثَوْبَ الْعُبَّارِ . وماذا
لم أكن مَرَّةً
كوكباً تابِعاً، لن أكونُ
جَسَدِي سفنٌ جارياتٌ وَرُبَّأُنْهَنُ الجنونِ .

- د -

الرَّمَادُ - ولكن
ما تُرى ذلك السَّحَرُ يُمَسِّكُ بالأَرْضِ مِنْ غُنْقِهَا؟ وظَنِّي
أَنَّ تلكَ التُّجُومِ سَتُصْبِحُ عَمَّا قَرِيبٍ
عُرْفاً وَأَسِيرَةً حُبٍّ
وشوارعَ تأتي وتذهبُ في كلِّ ضَوْءٍ .

- هـ -

الرَّمَادُ كِتَابٌ، أَلْكِتَابُ رَمَادٍ
لا الكِتَابُ - الرَّمَادُ، بل الصَّبَاثُ التي تَبْجَسُ مِنْ عَتَمَاتِ الْجَسَدِ
لا الرَّمَادُ - الكِتَابُ، بل الحُبُّ لا حَدٌّ فِيهِ،
والطَّرِيقُ بلا رَايةٍ
والرَّيَّاحُ تروح وتغدو
في مَهَبِّ الأَبَدِ .

لا الكتاب - الرماذ، اكتبني أنت أيتها المعصية
جسد الأغنية

واقرنني : الكون صوتي
غير أن الدروب إليه
مدن مقلنة .

واقرنني : اليوم تدرج آيات حبي وحبك في سور الأسئلة
واقرنني : هيت لك
عاشقي ، أيتها الفلك .

الكتاب ، الرماذ - سأوغل حتى الأمس ما كان خارج لمسي ،
ذاك البعيد العصي الذي لا يعبر عنه رماذ .
أتأخى مع الضوء ،
لا مع تراب ولا مع سماء .
وأصادق ما يتجلى
وأعاشر ترعاه ،
وأقول لأحلامي اسبقيني
نحو مجهولك ، اغمريني
ببهاءاته -

زمني خيرة
ومكاني هو اللامكان .
أيتها التيه ، شكراً

أَنْتَ سِرُّ الطَّرِيقِ،
وَفَاتِحَةُ الْعُنْفُوانِ.

لا أقولُ: الحقيقةُ بيّتي .
لا أقولُ: الضلالُ طريقي ، -

إنّها الكلماتُ التي تتأوّه في مَهْدِها
إنّها الكلماتُ التي قُبِذَتْ
والتي عُدِّبَتْ
فُصِّلَتْ عن هَواها
فُصِّلَتْ عن مَداها.

هل يكون لنا من جديدِ كلامٍ
لا كسيفٍ يَهْزُ وعيداً وَوَعْداً
بل كبحرٍ كريمٍ لا ضِفافَ لَهُ.

- و -

الرّمادُ - الكتابُ ، وماذا
أُتْرى لم يعد للقصيدَةِ من شاعرٍ
يتغنّى بها ويغني لها:
ليس للحبِّ شرٌّ،
ليس للشعرِ شرٌّ.

يشرب الشَّعْرُ، كالحبِّ، ماء الحياة، ولكن
مِنْ يَنَابِيعَ مَطْمُوسَةٍ فِي حَنَايَا الْجَسَدِ
يَادَنَا فَتَدَلِّي
مُرِيداً، مَدَدٌ.

- ز -

الْتَّجُومُ تَرُنُّ خِلَافَهَا
وَالرِّيَّاحُ اللَّوَاقِحُ فِي هِجْرَةٍ.
هَكَذَا سَأُسِيرُ إِلَى اللَّيْلِ مَا لَا أُسِيرُ إِلَى غَيْرِهِ،
مُلْقِياً كَتِفِي عَلَى جَذَعِ زَيْتُونَةٍ، -

الرَّمَادُ،

وَمَا أَكْرَمَ الشَّمْسَ تَأْخُذَ مِنْدِيلَهُ
وَتَغْطِي بِهِ قَدَمَيْهَا.
وَانظُرُوا -

هَا هِيَ الْآنَ تَمْشِي رَأْسَ الْفَضَاءِ، وَتُجْلِسُ فِي حِضْنِهَا بَيْتَنَا.

الرَّمَادُ - وَلَكِنِّي

لَا أَدُوُّ، بَلْ أَفْتَحُ الْجَرْحَ فِي غَيْهِبِ الدَّلَالَةِ
لَا أَدُوُّ، بَلْ أَتَعَلَّمُ أَنْ أَشْرَبَ الْكُونَ حَتَّى الثَّمَالَةِ.

الرَّماذُ - ولكن

أشعرُ الآنَ أَنِّي في حاجةٍ كي أَغني
جسدي وَرَدَّةً وفِكري عِطْرُ.

(باريس - برلين ٢٠٠١)

للشاعر

(آثرنا، اختصاراً، أن نكتفي بالإشارة إلى الطبعتين الأولى، والأخيرة).

(١) شعر

- قصائد أولى، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- أوراق في الريح، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٥٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، ط١، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦١؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل.
ط١ المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- المرح والمرابا، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٨؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
- وقت بين الرماد والورد، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.
- هذا هو اسمي، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٠.

مفرد بصيغة الجمع، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧؛
طبعة جديدة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.

كتاب القصائد الخمس، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.
كتاب الحصار، دار الآداب، بيروت ١٩٨٥.
شهوة تتقدم في خرائط المادة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٧.
احتفاءً بالأشياء الغامضة الواضحة، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٨.
أبجدية ثانية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٤.
الكتاب I، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٥.
الكتاب II، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٨.
فهرس لأعمال الريح، دار النهار، بيروت.

٢) الأعمال الشعرية الكاملة

ديوان أدونيس، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥؛
ط ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩.

الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥؛
الطبعة الخامسة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

الأعمال الشعرية الكاملة، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

٣) دراسات

مقدمة للشعر العربي، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١؛
ط ٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦.

زمن الشعر، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢؛
ط ٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب،
الطبعة الثامنة (طبعة جديدة، مزيدة ومنقحة، في أربعة أجزاء):

١ - الأصول،

٢ - تأصيل الأصول،

٣ - صدمة الحداثة وسلطة الموروث الديني،

٤ - صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري.

دار الساقي، ٢٠٠١.

فاتحة لنهايات القرن، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠؛

الطبعة الثانية، دار النهار، بيروت.

سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥.

كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٠.

الصوفية والسوريالية، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٢.

النص القرآني وأفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

النظام والكلام، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

ها أنت أيها الوقت، (سيرة شعرية ثقافية)، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٣.

٤) مختارات

مختارات من شعر يوسف الخال، دار مجلة شعر، بيروت، ١٩٦٢.

ديوان الشعر العربي،

الكتاب الأول، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.

الكتاب الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.

الكتاب الثالث، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٨.

ديوان الشعر العربي (ثلاثة أجزاء)، طبعة جديدة، دار المدى، دمشق، ١٩٩٦.

مختارات من شعر السياب، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٧.

مختارات من شعر شوقي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.

- مختارات من شعر الرصافي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- مختارات من الكواكبي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- مختارات من محمد عبده (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من محمد رشيد رضا (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من شعر الزهاوي (مع مقدمة)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- مختارات من الإمام محمد بن عبد الوهاب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.
- (الكتب الستة الأخيرة، وُضعت بالتعاون مع خالدة سعيد).

(٥) ترجمات

- حكاية فاسكو، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
- السيد بوبل، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٢.
- مهاجر بريسبان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
- البنفسج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٣.
- السفر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
- سهرة الأمثال، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٥.
- مسرح جورج شحادة، طبعة جديدة، بالعربية والفرنسية، دار النهار، بيروت.
- الأعمال الشعرية الكاملة لسان جون بيرس،
منارات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦؛
طبعة جديدة، دار المدى، دمشق.
- منفى، وقصائد أخرى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨.
- مسرح راسين
- فيدر ومأساة طيبة أو الشقيقان العدوان، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٩.
- الأعمال الشعرية الكاملة لإيف بونفوا، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦.
- كتاب التحولات، أوفيد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢.

ISBN 1 85516 535 X

علي مولا

